



الرسائل الجامعية

النَّحوُ العَرَبيُّ بِبِلادِ شَنَقيْط

د. يحفظ عمرو إِنَجِّيه محمّد عبد اللّه





الرسائل الجامعية ٧

النّحو العربيّ ببلاد شنقيط

تأليف
د. يحفظ عمرو إِنَجِّيهْ محمّد عبد الله

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م





النحو العربي ببلاد شنقيط

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٩هـ.
فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عبدالله، يحفظ عمرو إِنَــجِّــيهْ محمد
النحو العربي ببلاد شنقيط. / يحفظ عمرو إِنَــجِّــيهْ محمد عبدالله؛
الرياض، ١٤٣٩هـ
..ص؛..سم - (الرسائل الجامعية؛ ٧)
ردمك: ٢-١١-٨٢٢١-٦٠٣-٩٧٨
١- اللغة العربية- النحو أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٤١٥,١ ١٤٣٩/٤١٩١
رقم الإيداع: ١٤٣٩/٤١٩١
ردمك: ٢-١١-٨٢٢١-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com



هذا العمل عبارة عن أطروحة دكتوراه تمّت مناقشتها يوم ١٦/ ٠٤/ ٢٠١٥م. بمدرّجات كلّية الآداب/ جامعة القاضي عياض بمرّاكش/ المغرب. وحصلت على ميزة (مـشرّف جـدّاً). وتكوّنت لجنة المناقشة من السّادة :

- أ. د. محمّد حيلُـو مشرفاً ومقرّراً.
- أ. د. المصطفى الوظيفيّ رئيساً.
- أ. د. المنصف الكريسيّ عضواً.
- أ. د. محمّد فوزيّ عضواً.
- أ. د. فيصل الشريبيّ عضواً.

وجاءت الأطروحة في حجم كبير، غير أنّني اضطررت إلى اختصارها، بما يقرب من مائتي صفحة، وذلك نظراً لمتطلّبات النشر، التي لا تقبل في الغالب رسائل الماجستير والدكتوراه، دون تنقيحها، وتهذيبها.

فهرست الموضـــوعات

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً على إنعامه وإحسانه، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه ومَن تبِعهم بإحسان إلى يوم الدّين

أخذ الدرس النحويّ يشقّ طريقه إلى الأندلس والمغرب بشكل ملموس في القرن الثاني الهجري، وحصل امتزاج كبير بين الدراسات النّحوية واللّغوية بالأندلس في القرن الرّابع، ممّا مهّد لنشاطٍ نحويّ بالِغ الأثر في المغرب، امتزجت فيه عدّة اتجاهات، كالامتزاج بين المذاهب النّحوية، وشيوع الاستنباط والتحليل، والتلاقي بين النّحو والمنطق مثلاً. وكان انتقال ثقل الدراسات النّحوية بشكل واضح من المشرق إلى الأندلس والمغرب في القرن الخامس الهجريّ على أيدي كوكبة من النّحاة واللّغويّين، وفي القرن السابع ظهَر على يد شيخ النّحويين بالأندلس محمّد بن مالك الجياني (ت٦٧٢هـ) مذهب نحويّ متميّز بسماته وخصائصه، جامع بين المذاهب النّحوية، ناحٍ في أغلب الأحيان مَنحَى أصحاب المذهبين النّحويين الكبيرين : البصري والكوفي، ثمَّ أصحابِ المذهب البغدادي، مازجاً في فكره النّحوي بين توجّهات هؤلاء النّحويين وتصوّراتهم، مع ميله الواضح في الغالب العامّ إلى المذهب البصريّ، مع تميّزه بكثير من السمات والخصائص البارزة [1].

١- يراجع الدكتور محمد المختار بن أبّاه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص٢٤، ٢٥، ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

وقد اعتمدت بلادُ شنقيط في تحصيل العلوم العربية الإسلامية عموما، والدراسات النّحوية خصوصا في بدايات نشأتها وتكوُّنها على الروافد المعرفية الوافدة إليها من المغرب والأندلس، ثمّ مصر. واهتمّ العلماء والدارسون الشناقطة بالمتون النّحوية المغربية والأندلسية اهتماما كبيرا منذ أن وصلت بلادهم، وتأثّروا بها أيّما تأثُّر، فتعدّدت خدمتهم إيّاها ما بين دارس، وناظم، وشارح ومحاكٍ. وهذا ما استدعى التقديم لهذه الأطروحة على النّحو الموالي :

أ- التعريف بالموضوع : هذه الدّراسة موضوع أطروحة دكتوراه في النّحو العربيّ، بعنوان : (النّحو العربيّ ببلاد شنقيط)، الذي وسَّعْتُ رِحابَه عن قصْد فاتّسع لِي حتّى ناقشتُ في أحضانه قضايا النّحو والتصريف عبرَ العصور، واللّغة، واللّسانيات الحديثة، ببلاد شنقيط، حيث ترك لنا النحاة الشناقطة عبر العصور السّالفة تراثاً ثرّاً، وكنوزاً أصيلة غنيةً، أوْدعوها في فيْض غزير من تآليفهم النحوية التي ما زال معظمها مخطوطاً، يُخشى عليه من الضياع والسقوط من يد الزمن، ممّا جعل هذا التراثَ الغنيّ محتاجاً بإلحاح إلى مَن يُدلي فيه بدلوه بين الدّلاء، وذلك بتسليط الضوء عليه، والتعريف به، والتنويه بمكانته، لِنفْض الغبار عنه، وإيقاظه من سُباته العميق، ومراجعته، وتحقيقه، وإبراز قيمته العلمية الكبيرة، ليكون في متناول أيدي الدّارسين وطلاّب العلم.

ب- أسباب اختيار الموضوع : تمثّلتْ أسباب اختيار موضوع هذه الأطروحة في كوْن :

١- هذا التراث الغزير(الذي استطعت في دراستي هذه أنْ أُترجم ترجماتٍ موجزةً لِواحد وستّين ومائـتـي عالمٍ نحويٍّ مؤلِّف، أحصيت لهم من التآليف النحوية اثنين وخمسين وأربعمائة، من ضمنها كثير من الموسوعات)، ما زال أغلبه مخطوطاً، يخشى عليه من السقوط من يد الزّمن؛ لأنّه متبعثر في بطون المكتبات الخاصّة، المنتشرة على نطاق واسع في ربوع الوطن على امتداده الشّاسع، في الأرياف، والقُرى والمدن، على السواء دون رعاية، بل مع إهمال شديد، ممّا جعل بقاءه مهدّداً. وعليه فهو يستحقّ الكثير من العمل في حقله، للحفاظ عليه وإنقاذه من الضياع.

٢- الحاجة الماسّة إلى دراسة شاملة تُبرز جهود العلماء النّحاة الشناقطة في الدّراسات النّحوية، من حيث الحديث عن المؤلِّفين ومؤلّفاتهم، مع الاعتناء بجمع المادّة، وقدْرٍ من الدراسة والتحليل.

٣- حاجةُ اللّسانيات الحديثة ببلاد شنقيط الملحّةُ إلى دراسة علمية تُبيِّن قدرَ إسهام الشناقطة فيها، مع تبيان تاريخ وصولها، وأوّلِ مَن نشأت على أيديهم بالبلاد.

٤ـ رغبة جامحة كانت تحثّني إلى ضرورة وضْع التراث النحوي الشنقيطي في الميزان، بِتبيان ما له، وما عليه، وكذا اللّسانيات الحديثة ببلاد شنقيط.

٥ـ سمعت يوماً على كراسيّ الدّراسات العليا (سنتي١٩٩٤ ـ ١٩٩٥/ ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦م) بجامعة الفاتح سابقاً/ جامعة طرابلس حالياً بليبيا ـ أستاذَنا المرحـــــوم الدكتور إبراهيم رفيدة[١] يحثّ طلاّبه في قسم اللّغويّات على التوجُّه إلى بلاد شنقيط للإسهام في تحقيق ما بمكتباتها من المخطوطات من التراث النحويّ، وتسليط الضوء على جهود علمائها النحويّين، الذين تزخر محاظر شنقيط ومكتباتها الخاصّة والعامّة بإسهامهم العلميّ الواسع، فبقي ذلك التوجيه مدّةَ هذه السنوات حافزاً يدفعني إلى ضرورة الإسهام في إحياء هذا التراث والتعريف به.

ج - **التعريف بالمصادر والمراجع** : استُخدِم في هذه الأطروحة فيض غزير متلوّن من المصادر والمراجع المعتمدة، بلغ تعدادها حوالي ثلاثمائة، تمثّلت في :

- مصادر ومراجع مخطوطة.
- مصادر ومراجع مطبوعة.
- أطروحات دكتوراه وماجستير.
- دوريات.
- رسائل جامعية.
- مواقع ألكترونية.
- مقابلات مع شخصيات علمية.

د- **المناهج المعتمدة** : استخدمت في هذه الأطروحة جملة من المناهج العلمية، أبرزها: المنهج التاريخي، الوصفي، الاستقرائي، التّحليلي التركيبي، المُقارِن. إذ عدتُ إلى المحطّات التاريخية عبر العصور بالبلاد، واستقرأتُ جزئيات المادّة، قارئاً، واصفاً، محلِّلاً مركِّباً، مُوازِناً مُقارِناً.

١- صاحب كتاب : النّحو وكتب التفسير. المتوفّى سنة ١٩٩٩م.

هـ - الدراسات ذات الصلة : أقصد بها الجهود التي تحدّثتْ عن موضوع الأطروحة، المتمثّل في التّراث النّحويّ، واللّسانيات الحديثة ببلاد شنقيط، لا الجهود التي تناولتْ مؤلِّفاً أو تأليفاً خاصّاً، مع أنّ لها قيمتها الكبيرة دون منازع في خدمة هذا التراث، والمـآل إليها في تحقيقه وإخراجه، وقد خصّصت لها مكاناً في صلب الدّراسة مع التنويه بها في الباب الثاني . وأبرز هذه الدّراسات وردت في المصادر الآتية، مع تفاوُت بيِّن في قدر إفادة الأطروحة منها:

أوّلاً- تاريخ النّحو العربيّ في المشرق والمغرب[1]. للدّكتور محمّد المختار ولد ابّاه. وهذا التأليف حقيقةً دراسة موسوعية مهمّة في تاريخ النّشاط النّحويّ بالوطن العربيّ، خصّص مؤلّفه الباب الرّابع منه لدراسة النّحو العربيّ ببلاد شنقيط، تحت عنوان : (مدرسة ابن مالك في المحاظر الشنقيطية) بلغت صفحاته (ستّاً ومائة ١٠٦ صفحة)[2]. وأبرز ما تحدّث عنه المؤلّف في هذه الدّراسة : تأثير ألفية ابن مالك في النّشاط النّحويّ ببلاد شنقيط، والإشادة بظاهرة المحظرة الشنقيطية بمقرّراتها وخصائصها، ودورِ شيوخها من العلماء النّحويّين وتلاميذهم النّابهين، والتّنويـــهُ بالعطاء النحويّ لهؤلاء العلماء، مع شيء ليس باليسير من المناقشة والتحليل.

وهو حقيقة كتاب جدير بالاحترام والتقدير، اكتسب قيمته العلمية من مصادره الأصيلة، من عيون التراث النحوي عبرَ التاريخ منذ عصر الإمام سيبويه (ت١٨٠هـ). إذ اطّلع المؤلِّف على جلّ ما كُتِب في النّحو العربي عبرَ العصور، ونقل عنه مباشرة. وذِكْرُ نماذج من ذلك غير مفيد، لشهرة هذه المصادر وتنوُّعها، حيث ما اطّلع عليه المؤلِّف أكثر بكثير ممّا فاته. لذلك كان فضْله كبيراً على هذه الأطروحة.

ثانياً- بلاد شنقيط المنارة والرّباط عرض للحياة العلميّة والإشعاع الثقافيّ والجهاد الدّينيّ من خلال الجامعات البدوية المتنقّلة (المحاضر)[3]. للأستاذ الأديب الخليل النّحويّ. وهو تأليف موسوعيّ، ذوقيمة كبيرة، من موضوعاته التي تحدّث عنها بإفاضة: المحاظر الشنقيطية وشيوخها، وأنواع العلوم التي تُدرّس بها، والمؤلِّفون ومؤلّفاتهم ببلاد شنقيط. وممّا تميّز به هذا التأليف القيّم عن غيره من التآليف الشنقيطية حرصُه الكبير على توثيق تواريخ وفيات المؤلّفين الشناقطة، مع الصعوبة البالغة في تحقيق ذلك.

١- مصدر سابق.

٢- ذلك من ص٤٣٧ ـ ٥٤٢.

٣- تونس١٩٨٧م.

وأبرز مصادره في الثقافة الشنقيطية مصدران اثنان، هما : كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) للعلّامة الأديب أحمد بن الأمين الشنقيطي(ت١٣٣١هـ)، وموسوعة العلّامة المختار بن حامدن(ت١٩٩٣م)، خاصّةً الجزء الثقافي منها: (حياة موريتانيا الثقافية[١])، فهو مطّلع عليهما، مُكثِر من النقل عنهما أو محاكاتهما، كما نقل عن غيرهما من المصادر الشنقيطية ذات الصلة. وقد أفدتُ كثيراً من هذا المصدر القيّم.

ثالثا- حياة موريتانيا(الجزء الثاني ـ الحياة الثقافية[٢]). للعلّامة المؤرّخ الكبير المختار ولد حامدن(ت١٩٩٣م). الذي استعرض فيه ضروب الثّـقافة ببلاد شنقيط، من أنواع العلوم والفنون والتّصوّف، والمعلّمين والمؤلّفين، والمحاظر العلميّة (مؤسّسات التعليم العتيقة) وشيوخها، واللّهجات المحلّية وقواعدها، والأمثال والكنايات، والتقاليد والعادات الشعبية، والألعاب الرّياضية.

فهو تأليف ممتاز، ومصدر أصيل من مصادر الثقافة العربية الإسلامية الشنقيطية. وهو أوّل مصدر موسوعيّ، شامل للحياة العلمية والسياسية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية ببلاد شنقيط، أغلبه مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي. وقد طُبع منه أربعة أجزاء : الجغرافي، السياسي، التاريخي، الثقافي، الذي هو موضوع حديثنا. ولم يذكر المؤلّف مصادر مكتوبة يمكن أن يكون رجع إليها في تأليف هذا الكتاب الضخم، بيْد أنّ مصادره المحتملةَ بقوّة أربعةٌ، هي :

- كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) للعلّامة الأديب أحمد بن الأمين الشنقيطي(ت١٣٣١هـ)، إذ لابُدّ أن يكون من مصادره؛ لأنّه المصدر الأوّل الأصيل الأهمّ في ثقافة بلاد شنقيط وتراث أهلها، فليس من الممكن تجاوُزه، وهو متوافر في الساحة.
- المخطوطات المنتشرة على نطاق واسع في الساحة الشنقيطية، وهو خير المطّلعين عليها وأفضلهم، لذلك له كتاب مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي في (المؤلّفين ومؤلّفاتهم ببلاد شنقيط).

١- الدّار العربية للكتاب ١٩٩٩م.

٢- الدّار العربية للكتاب ١٩٩٩م.

- المصادر الشفوية، حيث كان كثيرَ الترحال بين القبائل، مهتـمّاً بمقابلات الأشخاص ومراسلاتهم أثناءَ تأليف موسوعته المذكورة.
- محفوظاته الغزيرة، إذ كان ذاكرة بلاد شنقيط دون منازع، متمتّعاً بملكة الحفظ، وميزة الفطنة، وقوّة الاستدراك، وجودة الملاحظة.

رابعاً- الخِطاب الشِّعْريّ الحَـدَاثِـيّ في موريتانيا دراسة في أجرُّوميّة النصّ(١). للمختار بن محمّد الأمين بن الجيلانيّ، الأستاذ بجامعة انواكشوط. وهو كتاب قيّم للغاية، ناقش فيه المؤلّف بعضاً من الموضوعات اللّسانية الحديثة : من الجملة إلى النّصّ، ووسائل سبْك النّصّ، وحبْك الخطاب. أفادتْ منها هذه الأطروحة كثيراً في مجال المستوى النّحويّ التّركيبيّ والمستوى الدّلاليّ.

ومصادره لسانية حديثة، متلوّنة، عربية، أجنبية. وهو حقيقةً أهمّ مصدر شنقيطيّ على الإطلاق وقفت عليه عند الحديث عن جهود الشناقطة في علْم اللّسانيات الحديثة. لذلك كان فضله كبيراً على الأطروحة.

خامساً- الشّعر الموريتانيّ المَلْحُون(لِغْـنَ)، خطوة نحو الاكتشاف، دراسة مقارنة(٢). لمحمّد بن بتّار بن الطلبة، الأستاذ بجامعة شنقيط الحرّة. وهو تأليف متميِّز حقيقةً في الشّعر الشّعبيّ ببلاد شنقيط، المنظوم باللّهجة العربية، المعروفة ب(الحسّانيّة)، الملحونة من الفصحى. وهو عبارة عن دراسة قيّمة للّهجة الحسّانيّة وأدبها، مع مقارنة ممتعة بينه وبين أدب الفصحى. وأفادت منه الأطروحة كثيراً في مجال الحديث عن هذه اللّهجة.

سادساً – الحسّانية ألسُنـيّاً وأدبيّاً دراسةً(٣). للأستاذ محمّدُّو سالم ولد جدّو. وهو تأليف صغير الحجم (ثمان وخمسون صفحة ٥٨)، غير أنّه ذوقيمة بالغة، إذ درس فيه المؤلِّف اللّهجة الحسّانية دراسةً ألسُنيةً، أدبيةً، مُوازِناً بين أدبها وأدب الفصحى. ولهذا المرجع أيضاً فضْل بيِّن على الأطروحة في مجال هذه اللّهجة.

و- ما أسهمتْ به الأطروحة ووَعَدَتْ به من تميُّز على مستوى الحصيلة والاجتهاد.

أبرز ما تميّز به عملي في هذه الأطروحة أُوجِزُه فيما يلي :

١- الإمارات، موريتانيا : دار يوسف بن تاشفين، ومكتبة الإمام مالك، الطبعة الأولى١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٢- القاهرة : دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر ٢٠١٠م.

٣- انواكشوط : مطبعة المنار بلكصر، الطبعة الأولى١٤٣٢هـ٢٠١١م.

١- حاولت دراسة النّحو العربيّ ببلاد شنقيط دراسة شاملة، مُعتنياً بحصر المؤلِّفين النحويّين وتآليفهم النحويّة قدر المستطاع، حيث تمكّنت (كما سبقت الإشارة) من أنْ أُترجم ترجماتٍ موجزةً في الغالب لواحد وستّين ومائتـيْ عالمٍ نحويٍّ مؤلِّف، أحصَيت لهم من التآليف النّحوية اثنين وخمسين وأربعمائة تأليفً. وهذا القدر من الإحصاء لم أُسبَق إليه حسب علْمي.

٢- توصّلت إلى تحقيب النّحويّين واللّغويّين الشناقطة في أربع مراحل، تبيّن لي أنّ تراث كلّ مرحلة يتـميّز ببعض السّمات والخصائص البارزة عن تراث المراحل الأخرى، مع الإكثار من تحليل النّصوص ومناقشتها عند الحديث عن كلّ مرحلة، وفي مواطن عديدة أخرى. وهذا لم أُسبق إليه حسب علمي.

٣- وطّأتُ لِصلب الدراسة وهيكلها بتمهيد عن الإطار الثقافيّ، المتمثِّل في انتشار اللّغة العربية، ودور المدن التاريخية، والمحضرة الشنقيطية في الإشعاع الثقافيّ ببلاد شنقيط.

٤- توسّعت في الحديث عن روافد النّحو العربي البارزة ببلاد شنقيط ومصادره المغاربية والمشرقية، معرّجاً على قضايا التقليد والاجتهاد فيه، واعتناءِ القوم بوضع قواعده، واستخدامِ أصوله الاستدلالية، مع تبيان علاقته بالعلوم الشرعية لديهم، واستعراضِ كثير من النّصوص لإثبات ذلك، مع التّحليل والمناقشة.

٥- قدّمت دراسة موسّعة عن شيوع ظواهر الأنظام والطُرَر والمُلخّصات والألغاز والأحاجي والمناظرات والمُلَح والاستدراكات النّحوية ببلاد شنقيط.

٦- كما استعرضتُ جملة من الأخطاء والأوهام لدى بعض الباحثين الشناقطة عند الحديث عن التراث النحوي الشنقيطي، مناقشاً استخدامهم مصطلح (مدرسة نحوية) بدل استخدام مصطلح (مذهب نحوي).

٧- كما خصّصت فصول الباب الرّابع : (الوضع الرّاهن للّغة العربية ببلاد شنقيط) (بشكل لم أُسبق إليه حسب علمي) لِلوقوف على جهود الشناقطة في علم اللّسانيات الحديثة، متحدّثاً عن الفصحى، واللّهجة، ولغة المستعمر الفرنسي، وما حدث بينها من صراع حادّ، مناقشاً وضْع اللّغة العربية الراهن

بالبلاد، مُفيضاً في الحديث عن المستويات اللّسانية الحديثة : التركيبية والصرفية والصوتية والدلالية، مع تبيان تاريخ دخول علم اللّسانيات المعاصرة بلادَ شنقيط، ومدى إسهام القوم وجهودِهم فيها.

٨ - ثمّ ألحقت بأبواب الرسالة الأربعة المتخصّصة في النّحو العربيّ ببلاد شنقيط ـ باباً خامساً : (النّحو واللّسانيات المعاصرة، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ)، إذ رأيت من المناسب والمفيد أن أختم به الدراسة، مُستعرضاً فيه موازنةً بين النّحو العربي واللّسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغوي، متحدّثاً عن اللّسانيّين العرب المعاصرين، والنّحوِ العربي، معرّجاً على المواقف النظرية والمنهجية، مُعتنياً بِعرْض موسَّع عن النحو العربي بين القديم والحديثِ، ملاحظاً في الاعتبار الأُسسَ النظرية والمنهجية، موازناً، مقارناً بين وجهات النظر في هذه المحاور جميعها.

٩- توسّعت في مناقشة مواقف النّحويين، واللّسانيّين العرب المعاصرين من قواعد النّحو العربيّ وضوابطه، ومناهج النّحويّين العرب القدامى، موازناً بين موقفين اثنين، رأيتهما متباينين.

١٠-احتوت الدراسة على ستّة عشر ١٦ شكلاً، وجدولاً؛ لتوضيح بعضٍ من الظواهر النّحوية، واللّغوية.

١٢-بذلتُ جهداً كبيراً في سبيل الوقوف على المخطوطات بأماكن وجودها قدرَ الإمكان، وتقييد بطاقاتها التعريفية المسجَّلَة تحتها، وفي حالة تعذُّر الوصول إليها كنت أعرّفها عن طريق مصادرها، مبيِّناً ذلك، سواء أكانت موجودةً أم مفقودة.

١١-نظراً لما سبق جاءت هذه الأطروحة دراسةً شاملة لقضايا النّحو والتصريف والأدب واللّغة واللّهجة العربية الحسّانية، الملحونة من الفصحى، واللّسانيات الحديثة، ومستويات الخطاب لدى المحاضرين والخطباء والقضاة والمحامين والصحافة ببلاد شنقيط، والنّحو واللّسانيات المعاصرة.

١٢-قمت باستقراء المادّة العلميّة الغزيرة، التي هي صلب هذه الدّراسة وهيكلها من المخطوطات والوثائق المودَعة بالمعهد الموريتانيّ للبحث العلميّ، وممّا تمّ طبعه، وهو قليل جدّا، وممّا حصلت عليه من شتات المادّة وشذراتها المتناثرة في بطون المكتبات المخطوطة الخاصّة لدى الأسر والأفراد والزّوايا، والمحاظر المنتشرة على نطاق واسع في ربوع الوطن، ثـمّ أفرغتها في مباحث الأطروحة، مع شيء ليس باليسير من المناقشة والتحليل.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الدّراسة لم تُحِط بالتّراث النّحويّ العربيّ ببلاد شنقيط، من حيث حصر المؤلِّفين النّحويّـين ومؤلّفاتهم، خصوصاً في القرن الخامس عشر الهجريّ، ولا ينبغي لها أن تدّعي ذلك، لأسباب كثيرة شكّلتْ جزءاً كبيراً من الصّعوبات العديدة التي واجهتني أثناء البحث، إذ أنّ :

-كثيرا من هذا التراث ضاع وسقط من يد الزّمن للأسف عبر مفازات الصحراء، وحياة التّرحال، وظروف البداوة القاسية، وهو ما سنلحظه في تضاعيف الأطروحة عند محاولة الوقوف على أسماء المؤلّفين النحويّـين، وتحقيق تواريخ وفياتهم، والحديث عن تراثهم النحويّ الثـرّ، وتبيان الموجود منه وأماكن وجوده إن أمكن.

علماً بأنّ الحديث عن هذه الجوانب تَحُفّهُ صعوبات جمّة، منها مثلا أن المجتمع الشنقيطي كان مجتمعا بدوياً، دائب التَّرحال، بحثا عن مظانّ المياه والمراعي لمواشيه التي هي عَصَب حياته، فهذا التراث المجيد حصَّلوه في هذه الحال، وهذه الظروف الصعبة، وكان ذلك مصدر فخرهم وتميّزهم، ممّا جعل المختار بن بونا (ت١٢٢٠هـ) يُعبّر عنه قائلاً[1] :

ونحنُ ركْبٌ من الأشراف مُنتَظِمٌ — أجـــلُّ ذا العـصرِ قدراً دونَ أدْنانا
قد اتّخذنا ظهـورَ العيسِ مدرسـةً — بـهـا نُـبـيّـنُ ديـنَ اللهِ تِـبْـيَـانا.

وهو الذي كان رحمه الله كثير التّرحال في فصول السنة، غير أنّ نشاطه العلميّ مع ذلك ظلّ متواصلا، لم ينقطع، ممّا جعل أحد تلاميذه يقول، وكأنّه عاتب عليه[2] :

١- هذان البيتان من قصيدة له أوردها الدكتور محمد المختار بن اباّه في كتابه : الشّعر والشّعراء في موريتانيا، ص٣٤٢.
٢- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢٨٢.

لكَ اللهُ مِن شيخٍ إذا ما تَبَــــوّأَتْ تـلامـيذُه مـأْوَى لِنَصـْبِ المـدارِسِ
تَيَـمّــمَ مَـيْمـونَ الخَصاصَةِ فاتِــراً عـلى ظَـهْرِ مَـفْـتولِ الذِّراعَيْنِ عانِسِ
يُـفَــزِّعُ نونَ البَحْرِ طـوْراً وتارةً يُهَـدِّمُ جُحْرَ الضَّبِّ في رَأْسِ(مادِسِ).

- زد على ذلك إهمال المصادر العربية غير الشّنقيطية تماما لهذا التّراث الغنيّ الزّاخر، وقلّة وسائل التّدوين لدى الشنقيطيّين ممّا حفّزهم على استظهار العلوم وحفظها في الذاكرة دون الكتابة والتقييد. ذلك كلّه سبّب مشقّة بالغة لمن أراد الوقوف على المؤلّفين ومعرفة تواريخ وفياتهم، وأدّى إلى ضياع كثير من تراثهم النحويّ، لذا لم يسلم جلّ الباحثين الشنقيطيين، ممّن حاولوا تناول هذا الموضوع، من الوقوع في تضارب كثير من المعلومات، أدّى إلى تحريف ملحوظ في أسماء بعض المؤلّفين وأنسابهم، ونسبة مؤلّفاتهم وتواريخ وفياتهم.

من ذلك مثلا :

- ما وقع في بعض المصادر من الوهْم في تحقيق نسب محمّد بن أُبّـه بن أحمد بن عثمان المزمريّ التّواتيّ (ت ١١٦٠هـ)، صاحب نظم (عُـبَـيْد رَبّـه)[1] في النّحو، إذ جَعَله بعض أصحاب هذه المصادر قلاّوياً، من سكّان (توات)، كما جعله بعضهم هو وابن الحاج حمى الله القلاوي، صاحب نظمي الأخضري والرسالة المعروفين في الفقه المالكي شخصاً واحداً، بينما هما شخصان اثنان.
- في بعضها أيضا : السّالك بن البشير العلويّ (ت ق ١٣هـ)، وفي بعضها الآخر: السّالك بن البشير القلاّوي.
- كثيرا ما يذكر أصحابُ هذه المصادر المؤلِّفين دون تواريخ وفياتهم، ولهم معذرة في ذلك إلى حدّ كبير؛ لما ذُكِر من الأسباب .
- قد تُطلق فيها تسميات لعدّة كتب، بينما هي عُنوانات لكتاب واحد. وهو شيء عادة ما يحدث بسبب أوهام النسّاخ، ويفوت على بعض الباحثين. وإن كنت لا أدّعِي لنفسي الإفلات من هذه الأوهام للأسباب المذكورة سالفاً.

١- عُـبَـيْــدُ رَبّه : نظْم لمتن الآجُرُّوميّة في النّحو. وهو نظْم يتناسب مع قدرات المبتدئين لخفّة معلوماته، وسلاسة نظمه، وجودة سبكه. وتبلغ أبياته حوالي(خمسين ومائة بيت،١٥٠ بيتا). وأصل الآجُرُّومِيَّة النثرية لابن آجُرُّوم الصنهاجي. وهذا النظم أوّل متن في النّحو يبدأ به طلاّب العربية في المحاظر الشنقيطية.

وبعض أصحاب[1] هذه المصادر قاموا بوضع قوائم للنّحويين الشنقيطيّين ومؤلّفاتهم النحوية، وبذلوا جهدا كبيرا في سبيل ذلك، وحاول المتأخّر منهم زيادة قوائم مَن سبقوه، بيْدَ أنّها مع ذلك جاءت ناقصة في نواحٍ مهمّة، ولهم العذر في ذلك أيضاً لتشعّب المادّة المدروسة وشحّ مصادرها، وقلّـة ما كُتب عنها إذا ما قورِن بغزارتها، غير أن تكامل الجهود يؤدّي إلى مقاربة مرضيّة بعون الله تعالى.

وقد ضممتُ قوائمَ هؤلاء، وزِدتُّ عليها حتّى جاءت قائمتي من أكمل القوائم، بعون الله تعالى، وأكثرها توثيقاً، حسب علمي. إذ حرَصتُ على ذكر تواريخ الوفيات قدرَ المستطاع، ومَن عجزتُ عن الوقوف على تواريخ وفياتهم ختمتُ بهم المباحث في قوائم خاصّة بغية الاستيعاب والاستقراء.

وعليه أرى أنّي قدّمتُ إسهاماً في خدمة هذا التّراث العظيم، بإلقاء الضوء على غزارته، وقيمته العلميّة، وما يعانيه من إهمال شديد، ويهدّده من ضياعٍ، ممّا ينير الطريق أمام الباحثين الجادّين، ويحفّزهم على القيام بتحقيقه وإخراجه للنّور.

وينبغي هنا التنويه بما يبذله المعهد الموريتاني للبحث العلميّ من جهد طيّب للمحافظة على هذا التراث العظيم، وذلك مع تواضع الوسائل التي بأيدي القائمين عليه، وهو ما يحتّم على الدّولة ضخّ أموال باستمرار في حساب هذا المعهد لأجل التفتيش عن المخطوطات في مظانّ وجودها، وجمعها وصيانتها، وتمكين الباحثين من الاطّلاع عليها، والإفادة منها، لغرض تحقيقها وإخراجها للعلماء والدّارسين وطلاّب العلم.

ز ـ تصميم الأطروحة : راعيت طبيعة المادّة المدروسة وتنوّعها في خطّة الدراسة ليتمّ استيعابها استيعاباً كاملاً، وتوزيعها بطريقة مناسبة حسب الموضوعات والتفريعات، فجاءت في تمهيد، وخمسة أبواب :

– التمهيد : (الإطار الثقافيّ لبلاد شنقيط)، وتكوّن من فصلين اثنين :

–الفصل الأوّل : مفهوم شنقيط، وانتشار اللّغة العربية بصحرائها، ودور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافيّ.

– الفصل الثاني : المحضرة الشنقيطية.

1– من أمثال : المختار بن حامدن في الحياة الثقافية، ص ٦٣، فما بعدها، والخليل النّحوي في المنارة والرّباط، ص ٥٣٥، فما بعدها، وقائمة المخطوطات النّحوية في بلاد شنقيط بالمعهد الموريتاني للبحث العلميّ، المسجّلة تحت أرقام ١٠٢ ـ ٣٥٥٦.

الباب الأوّل : (رحلة النّحو العربيّ إلى بلاد شنقيط)، وشمل ثلاثة فصول :
- الفصل الأوّل : النّحو العربيّ ببلاد شنقيط.
- الفصل الثاني : المصادر المغاربية والمشرقية.
-الفصل الثالث : التقليد والاجتهاد.

الباب الثاني : (حركة التأليف النحويّ ببلاد شنقيط)، تألّف من فصلين اثنين، هما لبّ الرّسالة وهيكلها :
- الفصل الأوّل : النّحاة واللّغويّون
- الفصل الثاني : المباحث والقضايا

الباب الثالث : (النّحو العربيّ والعلوم الشرعية)، اشتمل على فصول ثلاثة :
ـ الفصل الأوّل : النّحو والتفسير والقراءات والحديث
ـ الفصل الثاني : النّحو والفقه والأصول
ـ الفصل الثالث : النّحو واللّغة والمنطق

أمّا الباب الرابع : (الوضع الرّاهن للّغة العربية ببلاد شنقيط)، فجاء مشتملاً على خمسة فصول :
ـ الفصل الأوّل : الوضع الرّاهن للنّحو العربيّ ببلاد شنقيط، ودخول اللّسانيات إليها.
ـ الفصل الثاني :المجال التركيبيّ.
ـ الفصل الثالث : المجال الصرفيّ.
ـ الفصل الرّابع : المجال الصوتيّ.
ـ الفصل الخامس : المجال الدلاليّ.
ـ ثمّ ختمت الرسالة ب (باب خامس : ملحق) : (النّحو واللّسانيات المعاصرة، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ (ملحق)، من ثلاثة فصول، هي :
الفصل الأوّل : النّحو واللّسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ.
الفصل الثاني : اللّسانيّون العرب المعاصرون والنّحو العربيّ ـ المواقف النظرية والمنهجية
الفصل الثالث : النّحو العربيّ بين القديم والحديث

الخاتمـــــــــــــة:

- كما قمتُ بترتيب الفـهــارس على النّحو الآتي :
- فهرستْ الموضوعات في البداية قبل المقدّمة.
- فِهرستْ الآيات القرآنية.
- فِهرستْ الأحاديث والآثار.
- فِهرستْ الشعر وأقوال العرب.
- فهرستْ الأشكال
- فهرست الجداول
- فِهرستْ المصار والمراجع.

ولا حـــول ولا قـــوّة إلاّ بالله العليّ العظـــيم
وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب

د/ يحـفظ عمرو إِنَجِّيهْ محمّد عبد الله
بتاريخ ١٥/ ٠١/ ٢٠١٥م. انواكشوط.

التمهيـد
الإطار الثقافي لبلاد شنقيط

الفصل الأوّل : مفهوم شنقيط، وانتشار اللّغة العربية بصحرائها، ودور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافيّ

الفصل الثاني : المحظرة الشنقيطية

سيناقش هذا التمهيد مفهوم شنقيط، وانتشار اللّغة العربية بصحرائها، ودور المدن الشنقيطية التاريخية، والمحضرة الشنقيطية، في الإشعاع الثقافيّ بالبلاد، في فصلين اثنين.

الفصل الأوّل : مفهوم شنقيط، وانتشار اللّغة العربية بصحرائها، ودور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافيّ

أ- مفهوم شنقيط : أُطلقتْ على الصحراء الموريتانية عدّة تسميات[1]، أبرزها : (بلاد شنقيط)، و(شنقيط) في الأصل مدينة من مدن (آدرار)، الواقع في الوسط الشمالي من موريتانيا الحالية، ثمّ أُطلقت على القطر كلّه، فقيل: (بلاد شنقيط)، فكان ذلك «من باب تسمية الشيء باسم بعضه»[2].

وهذه المدينة من أقدم مدن شنقيط التاريخية، وكان تأسيسها سنة ٦٦٠هـ-١٢٦١م قرب مدينة (آبير)، التي تأسّست سنة ١٦٠هـ-٧٧٦م، ثم أخذت في الاضمحلال، حتّى اندثرت، فصار أهلها إلى مدينة شنقيط الجديدة فعـــمَـــرُوها [3].

ويبدو أنّ إطلاق (بلاد شنقيط) على المساحة التي يقطنها مجتمع البيظان[4]، المتّحد لغة وزِيّا وعادات، الممتدّة من المحيط الأطلسي غربا إلى أزواد وأروان شرقا، ومن حدود السنغال ومالي جنوبا إلى حدود المغرب شمالا - كان ناشئا عن كثرة قدوم الحجّاج من مدينة شنقيط إلى البلاد المقدّسة، ومكانتهم العلمية، فأطلق المشرقيّون اسم المدينة على القطر كلّه، فشاع اسم (الشناقطة)، و(بلاد شنقيط)[5].

وهذا هو المجال الذي كان مسرحا لعمليات الحركة المرابطية، الذي عرف أيضا حلول اللّغة العربية فيه محلّ اللّهجات البربرية منذ القرن الثامن الهجري؛ لذلك فإنّ المجال المدروس يشمل بالإضافة إلى موريتانيا الحالية مناطق أخرى مجاورة تربطها بها وحدة اللّغة والعادات والتقاليد والنسب والتاريخ. و هذه المناطق هي من الشمال :

١- يراجع مثلاً تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ص١٠.

٢- الوسيط في ترجم أدباء شنقيط، ص ٤٢٢.

٣- المصدر نفسه، ص٤٢٥.

٤- البيظان : اسم أطلقه الشناقطة قديما وحديثا على الجنس الأبيض في بلاد شنقيط . والأكثر أن يكون بالظاء المعجمة المشالة، وقد يكون بالضاد المعجمة (البيضان).

٥- الوسيط في ترجم أدباء شنقيط، ص٤٢٦.

«إقليم الساقية الحمراء ووادي الذهب وإقليم تندوف»، ومن الشرق «إقليم أزواد»[1].

ب ــ انتشار اللّغة العربية : أخذت مجموعة من قبائل بني حسّان العربية ــ منذ أن أجلاها ملوك بني مرين[2] من جنوب المغرب في مستهلّ القرن الثامن الهجري ــ في النزوح إلى صحراء شنقيط، وكان دخولهم الصحراء بداية تحوّل في تاريخها، حيث بدؤوا سلسلة من الحروب ضدّ قبائل صنهاجة، تمكّنوا أثناءها من فرض سيطرتهم على الصحراء نهائياً مع حلول القرن التاسع الهجري[3]، ممّا مكّنهم من «أن يُعطوا الصحراء طابعا اجتماعيا، ومع مرور الوقت أصبحت الحسّانية[4] لغة الصحراء»[5].

وبدأ عهد جديد لاح بالحضور العربي، وإحلال العربية محل البربرية[6]. ووقع امتزاج لافت، وانصهار كبير بين العرب القادمين والقبائل المحلّية البيضاء من البربر وصنهاجة، وذلك نتيجة لما حصل من الحروب والاحتكاك[7]، والمصاهرة بين الطرفين، فتولّد عنه تعرُّب شامل للقبائل المحلّية البيضاء قاطبة بدون استثناء[8].

ج ــ دور المدن الشنقيطية التاريخية في الإشعاع الثقافيّ : اعتنى الشناقطة بالثقافة عبر العصور اعتناءً كبيراً، فشيّدوا المدارس العلمية في المدن والأرياف، التي ازدحمت بطلّاب العلم والدارسين لتحصيل العلوم والمعارف. وقد بدأ النشاط العليمي بالصحراء الشنقيطية أوّلاً في المدن التاريخية منذ نشأتها في وقت مبكّر من الفتوحات الإسلامية، والتي اندثر بعضها، وبقي بعضها الآخر شاهدا على إسهامها الكبير في الإشعاع الثقافي عبر العصور، وكانت هذه المدن أهمّ المراكز الثقافية والدينية في الصحراء، مُسهِمة بنصيب وافر من هذا الإشعاع قبل أن ينتقل منها إلى الريف. وقد تأسّس بعضها، وبدأ فيه نشاط علمي قبل العهد المرابطي، بينما تأسّس بعضها الآخر في

١- تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص١٩،١٨.

٢- مارْمُـولْ، قيام دولة بني مرين في إفريقية، ص٣٧٣.

٣- التاريخ السياسي، ص٨٠.

٤- هي اللّهجة العربية الملحونة من الفصحى، والتي يتكلّمها الآن المجتمع العربي قاطبة ببلاد شنقيط.

٥- التاريخ السياسي، ص٨١.

٦- موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٥٠٢.

٧-تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص١٤.

٨-تاريخ موريتانيا عبر العصور، ص١٢٥.

حقبة الدولة المرابطية. وهي :

١- مدينة (ولاتة)، التي تأسّست في القرن الثاني الهجري، كان لها دور كبير في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية عموما، وببلاد شنقيط خصوصا، ما تزال قائمة إلى الآن شاهدة على عطائها المجيد، التليد. يصفها الدكتور حماه الله قائلا : «ولاتة : الحاضرة العتيقة، الواقعة في أقصى (جنوب الشرق الموريتاني الحالي، ضمن ولاية الحوض الشرقي)، تأسّست في القرن الثاني الهجري، وهي من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية في غرب الصحراء والسودان، ثمّ صارت منذ القرن التاسع الهجري دار علم لامثيل لها في البلاد...»[١].

٢- أَوْدغَسْتْ: المدينة المندثرة، وهي: «عاصمة قديمة للصنهاجيّين، وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع في حملته سنة ١١٦هـ ، وفتحها المرابطون سنة ٤٤٦هـ... كان بها جامع ومساجد كثيرة، آهلة، في جميعها المعلّمون للقرآن»[٢] .

٣- كومبي صالح : المدينة المندثرة، الواقعة في شرقي البلاد (٦٠ ميلا جنوبي تنبدغة)، ويرجّح أن تكون «عاصمة دولة غانه القديمة، التي تأسّست في القرن الثاني الميلادي... و-كانت- مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا، أحدها يُجَمِّعون فيه، ولها الأئمّة والمؤذّنون... وفيها فقهاء وحملة علم»[٣].

وكانت فترة هذا النشاط العلمي والديني بهاتين المدينتين المندثرتين في القرن الرابع الهجري[٤].

٤- تيمبكتو : تأسّست مدينة تيمبكتو في أوائل القرن الخامس الهجري، الموافق سنة ١٠٨٠م، وهي تقع شرقي بلاد شنقيط حسب تحديد الإطار الثقافي للبلاد، شمالي دولة مالي الحالية. وكان أكثر ما تزدهر به في ذلك الوقت هو التجارة فقط، غير أنّ أهمّيتها ازدادت يوما بعد يوم، حينما صارت إلى جانب تلك الميزة عاصمة للعلم والعلماء، والمكتبات الزاخرة بالمخطوطات. وهي اليوم مُدرجة في سلّم الماضي السحيق، إذ لم يبقَ منها سوى ذكْر تاريخها المجيد[٥].

١- تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص١٦٤، فما بعدها.

٢- البكري أبو عبيد، المُغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص١٥٨ ـ ١٦٨.

٣- بلاد شنقيط، ص٦٩.

٤- المصدر نفسه، ص٦٦.

٥- تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص١٣٦، والموسوعة الحرّة على الشبكة المعلوماتية.

٥- (تازّخْتْ) : المدينة المندثرة، الواقعة بالقرب من ولاتة، على ميلين جنوب غربها[١]. ولا يُدرى متى تأسّست هذه المدينة، غير أنّ بعض الإشارات تفيد تأسيسها في وقت مبكّر منذ الفتح الإسلامي، حيث اتّجهت بعض المجموعات التي كانت تقطنها قبل تخريبها إلى مدينة (ولاتة)، فشكّلت نسيجا من سكّانها الأقدمين. يقول الدكتور حماه الله عن ذلك، مشيرا إلى علمائها، وهو ما يهمّنا هنا :

«لقد وفد أولاد يونس ـ هم من عرب المعقِل ـ إلى شمال الحوض الشرقي منذ القرن التاسع الهجري، واستقرّوا في الحيّز الغربي من الإقليم، غرب ولاتة، ودخلوا في صراعات مع سكّانها من البيض والسود، ثمّ قاموا بتخريب مدينة (تازّخْتْ) الشهيرة لأسباب لم تذكرها المصادر... وقد خرج من تازّخت مائة رجل من أعيانها، بعضهم من العلماء، محتمين برئيس ولاتة : (اعْلي أسْرِ بن الفاروق المحجوبي)، الذي أمّنهم لدى رئيس أولاد يونس... وكانت قريةَ علم ودين... ولمّا خرّبها أولاد يونس دخل بعض أهلها ولاتة، وصار في عداد المحاجيب»[٢].

بمعنى أنّه كان بها نشاط علمي ملحوظ، حيث وُصفت بأنّها قرية علْمٍ، ودِينٍ، وكان من أعيانها بعض العلماء.

ويذكر صاحب فتح الشكور[٣] عن العالم الولاتيّ، الوافي بن محمد بن شمس الدين القلاّوي (ت١٠٤٠/ ١٠٤٥هـ)، أنّه سكن تازّخْتْ عشرين سنة قبل خرابها، ثمّ أربعين سنة في ولاتة، لم تفته تكبيرة الإحرام. وهذا النصّ أيضا يفيدنا أنّ عطاء المدينة العلمي امتدّ حتّى خرابها المتأخّر زمناً طويلا عن تاريخ تأسيسها.

٦- آزُوكِي المندثرة : الواقعة في «أرض (آركين وتِيذْرة)، التي وُلد فيها، وانطلق منها ابتداء من ١٠٣٧م مؤسّسو الدولة المرابطية، الذين شيّدوا عاصمتهم الأولى (آزوكِي) في جبل (لمتونة) قرب (أطار)، فظلّت عاصمة للمرابطين، وبها قلعتهم المشهورة، حيث قبر قاضي الدولة المرابطية، ومتكلّمها محمد بن الحسن المرادي المتوفّى سنة٤٨٩هـ[٤].

١- حياة موريتانيا الثقافية، ص٢٠٨.

٢- المصدر نفسه، ص١٧١ـ ١٧٣.

٣- البرتلي، فتح الشكور، ص٣٧٩.

٤- تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص٤٣.

٧- (تينيكِي) المندثرة[١]: ممّا يدلّ على مكانتها العلمية الكبيرة قول المختار بن حامدن: « تينيكِي : بنتها قبيلة تجكانت في القرن السادس الهجري، وقامت فيها دولة علم ودين وثروة تزيد على ثلاثة قرون... ومثل المدْلِش الذين كان الغلام فيهم يحفظ المدوّنة قبل بلوغه، ومثل تجكانت في قرية (تينيكِي)، قيل إنّه كانت توجد فيهم ثلاثمائة جارية تحفظ موطأ مالك، فضلا عن غيره من المتون، وفضلا عن الرجال»[٢].

العلاقة العلمية بين مديني ولاتة وتيمبكتو

أرى أنّ تسليط الضوء على هذه العلاقة مهمّ لإثبات أنّ مدينة (تيمبكتو) مدينة شنقيطية بعلمائها ومعارفها، داخلة الإطار الثقافي لبلاد شنقيط. ففي المستهلّ أشير إلى تلك الرحلات المُسجّلة من تيمبكتو إلى ولاتة، وما أحدثته من الاحتكاك المعرفي الكبير بين علماء المدينتين، مع أنّ أسرة الأُقَيْتيّين (أسرة العلماء الكثيرين)، هي أسرة شنقيطية، نازحة من مدينة (وادان) الشنقيطية، زد على ذلك أنّ سكّانَ هذه المدينة العربَ (وهم الأغلبية) من القبائل والأسر الشنقيطية، ما يزال بعضهم محتفظين بأسماء أصولهم، وألقابهم الشنقيطية[٣].

وعليه فإنّه من وجهة نظري لايصحّ التأريخ للنشاط النّحوي ببلاد شنقيط دون عَـــدِّ مدينة (تيمبكتو) من أهمّ مدنها الثقافية. وللتدليل على العلاقة المذكورة نجد مُحقّق فتح الشكور عند الحديث عن حياة الحاج أحمد (ت٩٤٣هـ)، يقول : «جدّ أحمد بابا التيمبكتي لأبيه، وقد ترجم له (نيل الابتهاج ١٣٧، وكفاية المحتاج ١٣٥)، ونقلها عنه السعدي (تاريخ السودان٣٧)، وفيها أنّ صاحب الترجمة أخذ عن أهل (ولاتن)، ممّا قد يعني أنّه درس على علماء (ولاتة) لّما هاجر إليها مع أبيه[٤] وأخويه، وخاله المختار النّحوي[٥] حين احتلّ (سني علي) تيمبكتو سنة ٨٧٣هـ»[٦].

١- «بنتها قبيلة تجكانت في القرن السادس الهجري، وتقع بين شنقيط ووودان في آدرار». تاريخ موريتانيا السياسي، ص ٥٩.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

٣- ككنته وتجكانت مثلا. يراجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٤٥٨.

٤- أبوه : عمر. (لم أقف على تاريخ وفاته)، وأخواه : عبد الله (ت٩٢٩هـ)، ومحمود (ت٩٥٥هـ).

٥- المتوفّى ٩٢٢هـ.

٦- حاشية ٤، من ص ٤٨.

فهذا النصّ معبّر حقّا عن العلاقة العلمية الوثيقة التي كانت قائمة بين علماء المدينتين، التي من الممكن أن نقف على شيء منها غير يسير أثناء ترجمات صاحب فتح الشكور لبعض علمائهما، فمثلا عند حديثه عن حياة عمر (الجدّ الأكبر لأسرة الأُقَيْتِيّين بتيمبكتو) بن محمد أُقَيْت بن عمر بن علي الصنهاجي التيمبكتي[١] يقول :

كان فقيها عالما صالحا.. رحل إلى (ولاتة) لّما رحل إليها فقهاء (سنكري)، من أجل خوفهم من الظالم الفاجر (سني علي)، لّما دخل تيمبكتو في رابع رجب الفرد، أو خامسه عام ثلاثة وسبعين وثمانمائة.. وعمل فيها فسادا عظيما.. رحل بأولاده الثلاثة المباركين : الحاج أحمد[٢]، وهو أكبرهم سنّا، والفقيه عبد الله[٣]، والفقيه محمود[٤]، وهو أصغرهم، وهو يومئذ ابن خمس سنين، ومشى معهم خالهم الفقيه النّحوي المختار[٥].. فأدرك الإمام الزمّوري[٦] رحمه الله تعالى، وأجازه كتاب الشفاء للقاضي عياض[٧]، ثمّ رجع ابنه الفقيه محمود بن عمر من (ولاتة إلى تيمبكتو) سنة خمس وثمانين وثمانمائة، وأمّا والده الفقيه عمر فلم يرجع من ولاتة حتّى توفّي فيها رحمه الله، وكذا ابنه عبد الله[٨].

نصّ مهمّ جداّ لإعطاء صورة واضحة لحجم الاحتكاك العلمي الوثيق، الذي كان قائما بين علماء المدينتين، وقدرِ الاستفادة المتبادلَة بينهما في المجالات المعرفية. وفي هذا المضمار يقول بول مرتي : «وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي سقطت غانة تحت نير رئيس قبائل الصّوصو، وبعد برهة من الزمن، أي في١٢٢٤م، هاجر وُجهاؤها.. إلى (بيرو) الواقعة إلى شمالها...ثمّ جاء تدمير غانة على يد الزعيم صونكاتا سنة(١٢٤٠م)، ممّا جعل (ولاتة) فريدة دون منافس، حيث ورثت حياة ونفوذ غانة القديمة»[٩].

١- لم أقف على تاريخ وفاته.

٢- المتوفّى ٩٤٣ هـ.

٣- المتوفّى ٩٢٩هـ.

٤- المتوفّى ٩٥٥هـ.

٥- المتوفّى ٩٢٢هـ.

٦- عبد الله بن أحمد بن سعيد، كان حيّا سنة ٨٨٨هـ. ينظر فتح الشكور، ص٢٠٠، حاشية المحقّق رقم ٥.

٧- المتوفّى ٥٤٤هـ

٨- فتح الشكور، ص٣١٤، ٣١٥.

٩- في كتابه : القبائل البيضانية، ص٣٠٤.

ويُذكر «أنّ محمّد أقيت[1] الجدّ الأكبر لأسرة أحمد بابا(ت١٠٣٦هـ) كان من أهل (ماسنة). يقول أحمد بابا : ما رحّله عنها إلى بيرو : (ولاتة) إلّا بغض الفلّانيين، وهم متجاورون في سكناها. وقال عنه إنّه متأكّد من عدم مناكحتهم، ولكنّه يخاف ذلك على أولاده لئلاّ يتناسلوا معهم»[2]. ويقول الخليل النّحوي : «وفي القرن التاسع الهجري... استقبلت ولاتة شرفاء وعلماء قادمين من تيمبكتو»[3].

هذا كلّه يؤكّد ما سلف ذكره من أنّ (ولاتة) كانت ملجأ لعلماء تيمبكتو، يقصدونها عند الأزمات، ممّا فسح المجال للتلاقي بين علماء المدينتين على نطاق واسع، وأنّ مدينة تيمبكتو مدينة شنقيطية سكّاناً، وثقافةً، زد على ذلك أنّ أسرة الأُقَيْتيين الصنهاجية، التي انحدر منها هؤلاء العلماء، والقاطنة بتيمبكتو ودانيةُ الأصل، إذ هي من سكّان مدينة (وَادَان) الشنقيطية، حيث تدلّ بعض الوثائق على أنّهم من تجمّع (إيدَوَلْحاج)، سكّان المدينة الأصليّين[4].

وهذا ما يدلّ عليه كلام المؤرّخ المختار بن حامدن : «مدرسة وَدَان... وقد تفرَّع منها مدرستان بدويتان: الأولى في إيدَولْحاجْ الذين نزحوا إلى القِـبْلَـة في القرن العاشر الهجري. الثّانية في إيدَوَلْحاجْ النّازحين إلى الرُّقَيْبَة في عجز القرن الحادي عشر الهجري. كما تفرَّعت منها مدرسة الأُقَـيْـتِـيِّـين في تيمبكتو، الذين رجع منهم إلى وَدَان بَنُو الفقيه محمود[5] بن عمر بن محمّد أُقَيْت : قُضاة وَدَان وأئمّته»[6].

وهذا التحقيق فيما يبدو هو ما جعل الدكتور يحيى بن البراء يقول محقّا عند حديثه عن الفقيه أحمد بابا بن محمد أُقَيْت التيمبكتي : «فقيه جليل القدر، ومدرّس مشهور، من قبيلة (إيدولحاج)، (أهل محمد أُقَيْت) القاطنين بتيمبكتو»[7].

وشهدت الفترة التي تمتدّ من نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن الثامن الهجري

١-لم أقف على من أرّخ لوفاته فيما بحوزتي من المصادر.

٢- الكلام لصاحب تاريخ السودان، ص٣٥، ٣٦، ينسبه لأحمد بابا التيمبكتي. عن محقّق فتح الشكور، ص٦٠، الحاشية ٥.

٣- المنارة والرباط ، ص ٩٩.

٤- من ذلك مثلا وثيقة كتبها أعيان قبيلة (إيدو الحاج) سنة ١٠٧٢هـ. توجد بمكتبة الشريف عبد المؤمن بتشيت.

٥- ت٩٥٥هـ.

٦- حياة موريتانيا الثقافية، ص١٩٨.

٧- كتابه : المجموعة الكبرى الشاملة للفتاوي، ج٢ ، ص٣٣.

زيادة في نشاط التمدّن في البلاد، حيث بُنيت فيها مدن، هي (علاوة على مدينتي ولاتة، وتيمبكتو) أهمّ وأقدم ما بُني في الصحراء من المراكز الثقافية والدينية، وهي : (ودان ـ تأسّست سنة ٥٣٦ هـ)، و(تِشيتْ ـ تأسّست سنة ٥٣٦ هـ)، و(شنقيط ـ تأسّست سنة ٦٦٠ هـ)[١]. وهي، علاوة على مدينتي(ولاتة، وتيمبكتو)، سالفتي الذكر ما تزال حاضرة، وإن كان حضورها متواضعا، إذ شاخ عطاؤها العلمي الإشعاعي بعد ازدهار شامخ عبر التاريخ، وهي الآن جميعاً مصنّفة ضمن المُدن العالمية الأثرية وفاء لها، وتقديرا.

الفصل الثاني : المحظرة الشنقيطية

المحضــــــــرة الشنقيطية : المحضرة : مصطلح شنقيطي بحْت، يقابله في الحواضر العربية الإسلامية مصطلحات : (كتّاب، خلوة، زاوية، مدرسة). وقد عرّفها الشناقطة عدّة تعريفات، منها عند وزارة الشؤون الإسلامية الموريتانية : « المحظرة : هي المؤسّسة التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية، والثقافة العربية منذ تسعة قرون ونيّف، وما زالت تتابع رسالتها» [٢].

وحسب ما جاء في منشورات المدرسة الوطنية للإدارة : « المحظرة : جهاز للتعليم المتكامل.. يتمتّع بوسائل بشرية ومادّية هامّة، كالأساتذة والطلبة والكتب»[٣].

وعند الأستاذ المختار محمد موسى : «المحظرة : مؤسّسة تعليمية تقوم بأدوار جميع المؤسّسات التعليمية، من رياض الأطفال حتّى الجامعة، وترتكز على شيخ واحد يتولّى التدريس، متبرّعا بدروسه حسبة منه لوجه الله تعالى، إلى جانب أنّه يقوم بالسهر على طلاّبه أخلاقيا »[٤].

ويصفها الدكتور محمد بن مولاي بأنّها «ظاهرة متميّزة، اخترعها الشنقيطيون لنشر الإسلام في إفريقيا السوداء، وللمحافظة على إقامة الدين والقيم والتراث الإسلامي

١ـبول مرتي، القبائل البيضانية في الحوض والسّاحل الموريتاني، تعريب محمّد محمود وَدَّادي، ص٣٠٤، والتاريخ السياسي، ص٥٩، وتاريخ موريتانيا، ص ١٦٥، فما بعدها.

٢– وزارة الشؤون الإسلامية، كتاب التهذيب، ص١.

٣– إعداد مجموعة من الأساتذة، انواكشوط، ١٩٨١م، ص٦.

٤– بحث بعنوان : المحاظر الإسلامية في موريتانيا. منشور في مجلّة الجماهيرية العربية للتربية والعلوم والثقافة. العدد٣٢ ديسمبر١٩٨٧م. ص٤٠.

الحضاري في بلادهم. فهي تختلف عن الكتاتيب التي عرفتها البلاد الإسلامية الأخرى»[١].

وإذا كان ابن خلدون يرى التعليم صناعة من الصناعات، لا تكثر وتنمو وتزدهر إلّا حيث العمران والحضارة [٢]، فإنّ الشناقطة قد أبطلوا هذه المقولة، وهم البدو الرحّل، بتشييدهم مؤسّسة المحظرة، التي لا مثيل لها، في حلّهم وترحالهم، محافظين بها منذ نشأتها على استمرار الإشعاع الثقافي العربي الإسلامي، مزدهراً عبر العصور؛ لذلك حُقّ للأستاذ الخليل النّحوي أن يصفها بقوله :

«مؤسّسة من مؤسّسات التربية العربية الإسلامية الأصيلة، تحمل بعض خصائص وسمات النظام التربوي، الذي نشأ وازدهر في أحضان مُدن الثغور وحواضر الخلافة والثقافة، ولكنّها تتميّز بسمات، هي فيها أبين وأبرز، أوهي خالصة لها دون غيرها من المؤسّسات التربوية العتيقة» كما أنّها «جامعة شعبية، بدوية، متنقّلة، تلقينية، فردية التّعليم، طوعية الممارسة»[٣].

والمــــحظـــرة : بالظّاء المشالة هي الاستعمال الشائع بين الشنقيطيّين، وهي من الحظيرة والاحتظار، فالقوم كانوا أهل بادية يستخدمون (الحظيرة) حمايةً لخيامهم ومواشيهم، وسكناً لطلبة العلم لتقيهم شدّة الحرّ وقساوة البرد، وهم عاكفون في العراء لتحصيل شتّى المعارف والفنون. وقد ينطقها بعضهم بالضّاد (المحضرة)، وهي من الحضور أو المحاضرة. ولكلا المصطلحين أنصار يستخدمونه، ويدافعون عنه، ولكلّ أدلّة بيّنة الدلالة[٤].

مقــرّرات الــمــحــظــرة: الموادّ المدرَّسة في المحظرة الشنقيطية هي العلوم الإسلامية جميعها، المعروفة في مراكز العلم بالحواضر الإسلامية، مثل القرآن الكريم حفظا وتجويدا، علومه، العقيدة، الحديث الشريف، علومه، الفقه، أصوله، اللغة، النّحو،

١- التفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط، ص٣٤.

٢- المقدّمة، ص٥٢٠.

٣- المنارة والرباط، ص٥٣.

٤- المصدر نفسه، ص٦١.

التّصريف، فنون البلاغة، علم العروض والقوافي، المنطق، علم الكلام، التصوّف، الأخلاق وآداب السلوك، السِّيَر والتاريخ، علم الأنساب، الحساب، علم الفلك، علم الجغرافيا، الطّبّ...[1].

إذن المحظرة الشنقيطية فعلا «ظاهرة غير مألوفة، إذ كيف تتصوّر جامعة يُدرس فيها بتعمّق وإتقان جميع العلوم الإسلامية التقليدية من علوم القرآن والتجويد والسّيرة النبوية والفقه وأصوله وقواعده، وعلوم اللّغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب. وفي أغلب الأحيان يقوم عالم واحد بتدريس هذه الموادّ على مدى أكثر من اثنتي عشرة ساعة في اليوم الواحد. أمّا الطلبة فإنّهم كما يقول : أحدهم :

تلاميذ شتّى ألّف الدهرُ بينهمْ ... لهمْ هِمَمٌ قُصْوى أجَلُّ من الدهرِ
يبيتونَ لا كِنٌّ لديهم سوى الهَوَا ... ولا من سريرٍ غيرِ أرْمِدةٍ غُبْرِ

يتعاقبون في الصباح على شيخ المحظرة جماعة أو فُرادى لتلقّي دروسه الشّفوية، متنقّلا من مادّة إلى مادّة دون أن يضطرب إلقاؤه نتيجة لاختلاف الفنون التي يُقرئها[2].

وليس لشيخ المحظرة طريقة محدّدة في إلقاء الدروس على طلاّبه، «فتراه يدرّس ماشياً مسرعاً، ومرّة جالسا في بيته، ومرّة في المسجد، ومنهم من يدرّس أثناء الارتحال من جهة إلى أخرى، سواء كان راجلاً أو[3] راكباً[4]. كما أنّه « كثيراً ما يقدّم دروسه وهو يتجوّل في الحيّ، يصل الأرحام أو يرعى ماشيته أو يحضر سقيها أو يطلبها خارج الحيّ، لا يشغله ذلك عن التدريس... وكذلك يعلّمون ويتعلّمون، خاصّة والوقت يستعصي على البرمجة في حالات كثيرة، فيضطرّ الشيخ لأداء عدّة مهامّ في آنٍ واحد، ويساعده في ذلك أنّه يشرح ويفسّر، ويملي غالباً من ذاكرته، وربّما فتح أحدهم الكتاب للتثبّت أو لتحقيق مسألة معيّنة... وعادة ما ينتهي الدرس بدعوتين متبادلتين : يقول الطالب لشيخه : غفر الله لي ولك، ويقول الشيخ للطالب : علّمنِي اللهُ وإيّاك حسْن الأدب»[5].

١- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٣٨، والمنارة والرباط، ص ٥٣، فما بعدها.

٢- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص٤٣٧.

٣- الأفصح العطف ب(أم) بعد سواء، بأن يقال : سواء أكان راجلا أم راكباً.

٤- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٩.

٥- بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص١٧٤.

أو عِلْمَ التُّـقى والأدب. وتتمّ العملية التدريسية بعفوية تامّة، إذ «ليس للشيخ كرسيّ يجلس عليه ساعة التدريس، وليس على الطلبة إلاّ أن يكونوا حوله في هيئة لائقة تمكّنهم من متابعة الدرس، ولا تُخِلّ بوَقار المجلس»[1].

وتسير العملية التربوية في المحظرة الشنقيطية حسب أُسس ومبادئ، من أبرزها:

- التدرُّج في أخذ العلوم، حيث يبدأ الطالب من المتون الصغرَى، ثمّ يتدرّج فيها حتّى يصِل إلى المتون الكبرَى، فمثلاً في تخصّص النّحو يدرس الطالب مختصر ابن آجُرُّوم، أو منظومة عُـبَـيْـدِ رَبِّهِ (نَظْم الآجُرُّومِية)، وملحة الإعراب للحريريّ، وألفية ابن مالك، وتكميل ابن بونا لها معها، أو الكافية لابن مالك[2]. ولامية الأفعال في التصريف له، وتكميل الحسن بن زين عليها[3].
- الاقتصار على دراسة كلّ متْن على حِدة، والتفرّغ له حتّى الانتهاء من استيعابه وإتقانه، ثمّ الانتقال إلى آخر، وهكذا[4].
- يُستحسن لطالب العلم «تقليل الحصّة الدراسية، للطالب الكلمة الفصل في تحديد مقدار الحصّة الدراسية في ضوء قدرته على الحفظ والاستيعاب.. وقد تدخّلت المحضرة في كبريات المتون خاصّة، فاعتمدت لها حصصاً دراسية موزونة، حذّرت الطلبة من تجاوزها، كما هو الشأن في مختصر خليل، فقد تحكّمت المحضرة في دراسته فوزّعته إلى وحدات، تُشكّل الوحدة منها أكبر درس يمكن السماح للطالب بتلقينه في يوم واحد»[5].
- كما أنّ الطالب في طريقة التحصيل «يتتبّع في الدراسة تسلسلاً معيّناً، لا ينبغي أن يخلّ به إذا كان حريصاً على إتقان درسه، فهو يكتب النصّ على اللّوح أوّلا ثمّ يقرؤه على (الشيخ) ليُجيزه، أي ليُصحّح له ما يرِد على لسانه من أخطاء حتّى يحفظه بصيغة سليمة، ثمّ يُقبِل على قراءة النصّ المرّة تلوَ المرّة حتّى يُتقن حفظه، ثمّ يقرؤه على شيخ المحظرة سرْداً من ذاكرته على الأحسن حتّى يتأكّد من سلامة

١- المصدر نفسه، ص١٧٣.

٢- المصدر نفسه، ص١٧١.

٣- سيأتي الحديث عن هذه المتون في محالّها، بمباحث الباب الثاني.

٤- بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص١٧٢.

٥- المصدر نفسه، ص١٧٢.

النصّ، ويضبط حجم الدرس، ثمّ يعود لقراءته مجزّءاً، جملة جملة، أو بيتاً بيتاً، أو شطراً شطراً، و(الشيخ) يفسّر له، ولا يبقى بعد هذه المراحل إلاّ التّكرار لترسيخ المعلومات في الذّهن.. وأهمّ هذه الحلقات حفظ المتن، وحفظ المعاني»[١].

- مرحلة التخرّج والإجازة: أحياناً قد يستعجل الطالب ويغادر المحظرة بعد أن يأخذ ألواناً من معارفها، لا توصله إلى درجة التضلّع، وأخْذِ الإجازات فيها، بينما يوجد مِن بين الطلاّب مَن يحُطّ رحاله بالمحظرة، ويُلقي عصا الترحال بها حتّى يتضلّع في شتّى معارفها وفنونها، ويستحقّ حيازة إجازات شيوخها. يقول الأستاذ الخليل النحوي:

الصنف الأوّل: قوم نهلوا من معارف المحظرة ولم يتعمّقوا فيها، أخذوا من كلّ فنّ بنصيب... انسحبوا من المحظرة وانساقوا إلى الحياة النشطة، حياة الكدّ والتدبير، ولا يتلقّى هؤلاء إجازة، وإنّما يحملون ألقاباً فيها... أمّا الصنف الثاني، فهم قوم تدرّجوا في الدراسة المحظرية صُعوداً إلى درجة التعمّق في دروبها والتخصّص في معارفها أو في بعضها، وهؤلاء هم خرّيجو المحظرة الحقيقيّون، وهم الذين يحسبون عرفياً في عداد المتصدّرين منها، ولهم دون غيرهم يمنح الشيخ الإجازة. ومثل هؤلاء يخرجون من المحظرة مهيّئين لتبوُّؤ مراكز علمية سامية... ومنهم من يتخرّج من المحظرة وهو شيخ محظرة فعلاً، فإذا لفت أحد الطلبة نظر زملائه بكفاءته، وقرّر مغادرة المحظرة لم يجد الطلبة غضاضة في الانسحاب من المحظرة، ومرافقة زميلهم، الذي يصبح شيخاً لهم من ذلك الحين[٢].

وقد اعتنى الشناقطة في أشعارهم بتسجيل هذه الأمجاد المحظرية. يقول الشاعر البحّاثة الأكاديميّ الدكتور سيدي عبد القادر بن الطّفيل مثلاً في قصيدة طويلة يستعرض فيها ذكريات محظرة المرابط ابّاه بن محمّد الأمين اللّمتونيّ العريقة، التي كان يدرس بها أيّام صباه، واصفاً الإشعاع الثقافي بها، وهي نموذج للمحظرة الشنقيطية الجادّة، يقول في مطلعها[٣]:

١ـ المصدر نفسه، ص١٧٤.

٢ـ بلاد شنقيط المنارة والرّباط، ص١٧٨، ١٧٩، والوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢٧٩.

٣- مخطوطة،ضمن مجموعة شعرية ونظمية، لشعراء وعلماء شناقطة، مودَعة بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٩. ص١.

مـنـازلُ للأرض العريـضـةِ زيـنـةٌ من الذهب الإبريز فـوق المنـاحرِ
منازلُ بين الوَنْـجَـتَـيْـنِ[1] وفيهما مساحبُ للألواح حولَ المحـابر
وللعـلـم والطّلاّب فـيهنّ ملتقـىً ومُزدَحمٌ فوقَ الحصَى والحصائـر
تـفَـجّر من أرجائها الـعلمُ صافـيا وبَحّـتْ به عَصْراً أُلوف الحناجـر

والمحاظر الشنقيطية نوعان :

١- المحاظر المتخصّصة، وهي المشتهرة بتحفيظ القرآن العظيم، أو بتدريس بعض الفنون، مثل علوم العربية، أوالفقه وأصوله وقواعده مثلاً.

٢- المحاظر الجامعة، وهي التي يقوم شيخها بتدريس جميع الفنون المحظرية، (لا يردّ لَوْحًا) كما يقول الشنقيطيون[2]، أي لا يرفض تدريس أيّ فنّ من الفنون المحظرية، وذلك لاستعداده العلميّ.

وقد «اشتدّت عناية الزوايا(هم مَن اشتغلوا بطلب المعارف) بالعلم، واستجلبت المتون من بلاد الإسلام، وعني الطلاّب بدرسها، والعلماء بالتعليق عليها واختصارها ومحاذاتها بمصنّفات منثورة أو منظومة..»[3].

ثم علا شأن المحاظر وذاع صيتها بعد سيطرة قبائل بني حسّان العربية على صحراء شنقيط، ورجحان كفّة العربية والتعرّب في القرن الثامن، ومطلع التاسع الهجري، فدوْر بني حسّان في ازدهار هذه العلوم يكمن في تغلّب لهجتهم الحسّانية الملحونة من العربية الفصحى على اللّهجات المحلّية، وفي التعرّب الشامل لسكّان بلاد شنقيط[4].

يقول المختار بن حامدن عن ازدهار الثقافة في هذه الفترة : «شهدت ازدهارا ملحوظا في الثقافة والفكر، فقد عكف أهل الزاوية على دراسة آداب اللّغة العربية والعلوم الشرعية، وخلّفوا لنا تراثا ضخما من المؤلفات والدواوين»[5].

١- هما واديان.

٢- تنظر أمثلة لها في المنارة والرباط، ص٢٧٠، فما بعدها، وتاريخ النّحو العربي، ص٤٣٨.

٣- حياة موريتانيا، الحياة الثقافية، ص ٥، ٦.

٤- التاريخ السياسي، ص٨٠.

٥- المصدر والصفحة نفسهما

وتطوّرت المحاظر بشكل ملحوظ، وازدهرت ازدهارا كبيرا في القرن العاشر الهجري. يقول الخليل النّحوي: «لقد شهدت بلاد شنقيط منذ القرن العاشر الهجري خاصّة نهضة ثقافية شاملة، وانتشرت المحاظر(الجامعات الأهلية) في أرجاء البلاد، وأقبل الناس عليها بشغف، فكان لهم في رحابها رهبانية علم، وجهاد ثقافي كبير، وعطاء ثـرّ : شعرا ونثرا» [1].

ثمَّ بلغ هذا الازدهار أوجه في القرون الأربعة الموالية حتّى أضاء ربوع الصحراء الشنقيطية كلّها، وامتدّ إشعاعه خارجها إلى بعض الحواضر العربية الإسلامية في إفريقيا وآسيا[2]. هذا وقد انتشرت هذه المحاظر وتمدّدت فروعها على نطاق واسع عبر بلاد شنقيط[3].

وقد أنجبت هذه المحاظر كثيرا من العلماء الكبار، الذين كانوا رافدا حيّا للثقافة العربية الإسلامية ببلاد شنقيط، وخارجها ببعض الحواضر الإسلامية في إفريقيا وآسيا، إذ سافر كثير منهم إليها، وأصبحوا بها سفراء للثقافة العربية الإسلامية، أساتذة محاضرين، مؤلّفين في مراكز العلم والثقافة بتلك الحواضر[4]، من أمثال محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي(ت١٣٢٢هـ)، وأحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي(ت١٣٣١هـ) في القاهرة، ومحمد الأمين الشنقيطي، الملقّب آبّه بن اخطور الجكني(ت١٣٩٣هـ) في المملكة العربية السعودية، مثلاً. كما مثّل خرّيجو هذه المحاظر ذاكرة الصحراء الشنقيطية وعبقريّتها أحسن تمثيل، في استظهار العلوم المحظرية وضبطها. وهو ما سيتّضح من مباحث الأبواب الثلاثة الموالية، بعون الله تعالى.

١- المنارة والرباط، ص١١.

٢- المنارة والرباط، ص ٢٦٩ وما بعدها .

٣- قد خصّص المختار بن حامدن لذلك حيّزا كبيرا من كتابه (حياة موريتانيا ـ الحياة الثقافية)، من ص ١٩٧ـ ٣٧٤، إذ قام بحصر أشهرها، مشيرا إلى أماكن توزّعها بين القبائل والمجموعات، وبسط القول في أبرز شيوخها، وكذا فعل الأستاذان : الخليل النّحوي في المنارة والرّباط، ص ٤٢٩، فما بعدها، والدكتور محمد المختار بن أباّه في تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٤٣٧، فما بعدها.

٤- ينظر مثلا المنارة والرباط، ص ٢٦٩، فما بعدها، حيث ذكر مؤلّفه نماذج من هؤلاء العلماء الموسوعيّين.

الباب الأول

رحلة النّحو العربي إلى بلاد شنقيط

تمهيـــــد

أخذ النشاط النّحوي يشقّ طريقه إلى الأندلس والمغرب بشكل ملموس في القرن الثاني الهجري، النشاط الذي بدأ كوفياً، إلى أن أصبح بصريّاً في القرن الثالث، وحصل امتزاج كبير بين الدراسات النّحوية واللّغوية بالأندلس في القرن الرّابع الهجري، ممّا مهّد لنشاطٍ نحويّ بالغِ الأثر في المغرب، وفي القرن الخامس الهجريّ انتقل ثقل الدراسات النحوية، بشكل واضح من المشرق إلى المغرب والأندلس، ثمّ في القرن السابع الهجريّ قدّم إمام النّحويين بالأندلس محمّد بن مالك الجياني (ت٦٧٢هـ) مذهباً نحوياً، متميّزا بسماته وخصائصه، جامعاً بين المذاهب النحوية، ناحياً في أغلب الأحيان مَنحَى أصحاب المذهبين النحويين الكبيرين : البصري والكوفي، ثمّ أصحاب المذهب البغدادي، الجامع بينهما، مازجاً في فكره النحوي بين توجّهات هؤلاء النحويين وتصوّراتهم، مع شيء من التفاوت، والميل الواضح في الغالب العامّ إلى المذهب البصري، ممّا جعل مذهبه النحويّ امتداداً لآراء أصحاب المدرسة البصرية، مع تميّزه بكثير من السمات والخصائص البارزة. ثمّ انتقل هذا المذهب إلى بلاد شنقيط التي احتضنته محاظرها خير احتضان، وتوطّدت معالمه في رحابها، وبين ربوعها[1].

ولا يعلم بالضبط متى دخل النحو بلاد شنقيط. ويرى الأستاذ الخليل النحوي أنّه ربّما يكون دخل إليها في القرن السادس الهجري على يدي تلميذي القاضي عياض(ت٥٤٤هـ) : الشريف عبد المومن، مؤسّس مدينة تشيت سنة (٥٣٦ هـ) والحاج عثمان، مؤسّس مدينة وادان سنة(٥٣٦هـ)، اللّذين قدِما إلى شنقيط من أغمات بالمغرب، حيث يقول : «فلعلّ تلميذي القاضي عياض.. قد جلبا النحو ضمن ما جلبا من علوم اللّغة» [2].

ويبدو لي أنّه من المحتمل أن تكون بدايات دخوله البلاد قبل ذلك على أيدي معلّمِي شنقيط الأوائل : عبد الله بن ياسين(ت٤٥٠هـ)، الذي قدم إليها سنة(٤٣٠هـ)، والإمام الحضرمي(ت٤٨٩ هـ)، وإبراهيم الأموي(ت٥٢٠هـ)، اللّذين قدما إليها سنة(٤٦٥هـ) من أغمات بالمغرب، فهؤلاء فقهاء مدرّسون، وأصحاب حلقات علمية،

١- يراجع الدكتور محمد المختار بن أبّاه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٤.

٢- كتابه : المنارة والرباط، ص٢٠٦.

قدموا إلى البلاد من أجل بثّ العلم، فمن المحتمل جدّا أن يكون النّحو ضمن المعارف التي اهتمّوا ببثّها في المجتمع.

وفي القرن السادس الهجري قدِم يحيى الكامل[1](جدّ المحاجيب) إلى ولاتة، وهو رجل علم وصلاح، وكان قدومه إليها محطّة بارزة في حركة الإشعاع الثقافي. يقول ابن حامد : «وكذلك قدم على ولاتة يحيى الكامل.. فانتشر على يده علم كثيرفي تلك النواحي»[2]. ويؤكّد الخليل النّحوي انتشار الإشعاع العلمي بالبلاد في القرن السادس بقوله : «وفي القرن السادس الهجري أيضا تصدّعت أركان مملكة غانا تحت ضغط أمراء صوصو فهاجر علماؤها إلى ولاتة»[3].

وربّما يكون النّحو دخل البلاد قبل ذلك كلّه، وحلّ بالمدينتين المندثرتين بشرقي صحراء شنقيط :

- أَوْدَغَسْتْ : حيث كانت «عاصمة قديمة للصنهاجيّين، وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة في حملته سنة ١١٦هـ، وفتحها المرابطون سنة ٤٤٦هـ... كان بها جامع ومساجد كثيرة، آهلة، في جميعها المعلّمون للقرآن»[4].

-كُـومْبِي صالح : التي رُجّح أنّها «عاصمة دولة غانه القديمة .. تأسّست في القرن الثاني الميلادي... و(كانت) مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا، أحدها يُجَمِّعون فيه، ولها الأئمّة والمؤذّنون... وفيها فقهاء وحملة علم»[5].

بمعنى أنّ النشاط العلمي والديني بهاتين المدينتين الشنقيطيتين المندثرتين كان مشهوداً في القرن الرابع الهجري[6]، وعليه فلا يستبعد أن يكون النّحو ضمن هذا النشاط، خصوصاً أنّ العلوم الشرعية مرتبطة بالنّحو العربيّ، ارتباط الروح بالجسد، حيثما وُجدت فهو موجود؛ لأنّه علم الآلة الذي لا يستغني عنه غيره من حقول الثقافة العربية الإسلامية.

١-المنارة والرباط، ص ٦٩، وتاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص١٦٩. ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢- الحياة الثقافية، ص٦.

٣- المنارة والرباط، ص ٦٩.

٤-المُغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص١٥٨ ـ ١٦٨.

٥- بلاد شنقيط، ص٦٩.

٦- المصدر نفسه، ص٦٦.

الفصـــل الأوّل : النّحو العربيّ ببلاد شنقيط

تبيّن ممّاسبق قبل قليل اعتمادُ الشنقيطيّين في بدايات حياتهم العلمية على جهود العلماء المغاربة، من أمثال عبد الله بن ياسين، والإمامين : الحضرمي، وإبراهيم الأموي، فكان هؤلاء ـ فيما أرى ـ النواة الأولى للمحظرة الشنقيطية التي ازدهرت فيما بعدُ عبَرَ العصور ازدهارا منقطع النظير، إذ كانوا في المجتمع مدرّسين، مفتين، واعظين. ثم أخذت المتون النحوية تفِد من المغرب والأندلس، ثمّ المشرق. وفيما يلي تبيان ذلك :

المبحث الأوّل : بداية وصول المؤلّفات النحوية إلى شنقيط

ولست هنا بقاصد الخوض كثيرا في الحديث عن متى وصلت هذه المتونُ، وشروحها بلاد شنقيط، ومَن أوصلها؛ لأنّ المصادر التي بأدينا لا تسعفنا كثيرا بمعلومات جادّة عن الموضوع، غير أنّه من المؤكّد وصولها في أوقات مبكّرة، متفاوتة، عن طريق العلماء والقوافل، حيث أقدم متْن عرفته البلاد هو (متن الملحة) للحريري، ثمّ مؤلّفات ابن مالك النحوية، وفريدة السيوطي والآجُرُّومِيَّة[١].

وعليه فممّا يُركن إليه أنّ هذه المتون وصلت البلاد في وقت مبكّر، وأنّ الثقافة العربية الإسلامية عموما، والدراسات النّحوية خصوصا ببلاد شنقيط كانت تعتمد في بدايات نشأتها وتكوُّنها على الروافد المعرفية الوافدة إليها من المغرب والأندلس أوّلا، ثمّ مصر. غير أنّ الحديث عن الدرس النحوي لا نلحظه إلّا في القرن التاسع الهجري، ففيه نجد، كما يقول الأستاذ الخليل النّحوي : «التواصل الذي تجسّده رسالة محمد بن علي اللّمتوني[٢] إلى جلال الدين السيوطي[٣]، وطلبه منه كتابا عن الحروف، ممّا يوحي بأنّ النّحو كان في البلاد في القرن التاسع الهجري»[٤].

وهذا ما تؤكّده ترجمات صاحب فتح الشكور لبعض علماء بلاد شنقيط في المنطقة الشرقية (ولاتة وتيمبكتو)، فعند معرض حديثه مثلا عن حياة أحمد بابا التيمبكتي(ت١٠٣٦هـ)، وذِكْر شيوخِه، ذكَر أنّه قرأ النّحو على عمّه الرجل الصالح،

١– مثلا التاريخ السياسي، ص٨٠، والحياة الثقافية، ص٦،٥.

٢– لم أقف على تاريخ وفاته.

٣– المتوفّى ٩١١هـ.

٤– المنارة والرباط، ص٢٠٦.

أبي بكر بن أحمد بن عمر بن محمّد أُقَيْت (ت٩١١هـ[1])، ووصَفَ الفقيهَ المختارَ النحويّ(ت٩٢٢هـ)، خالَ جدّ أحمد بابا التيمبكتي لأبيه بـ «العالم بكلّ فنّ من فنون العلم»[2]. وعند حديثه عن حياة الحاج أحمد بن عمر بن محمد أُقَيْت الصنهاجي التيمبكتي(ت٩٤٣هـ)، ذكر أنّه كان : «فقيها نحويا، لغوياّ، عروضيا، محصّلا، اعتنى بالعلم طول حياته... وترك نحو سبعمائة مجلّد... وحجّ في عام تسعين وثمانمائة، ولقي جلال الدين[3] السيوطي، والشيخ خالد الأزهري[4] إمام النّحو، وغيرهما، ورجع في فتنة الخارجي (سني علي)»[5] [6].

فهذا النّص يفيد بجلاء أنّ النّشاط النّحويّ بصحراء شنقيط كان موجوداً بقوّة في القرن التاسع الهجريّ، حيث كان تمكّنُ بعض العلماء من النّحو، وظهور تآليفهم فيه شيئاً ملحوظاً. وهو ما يستلزم قبل ذلك بفترة ليست بالقصيرة، وصولُ بعض مؤلّفاته إلى البلاد، حتّى يتمكّن العلماء والدّارسون من هضمها، والقيام بعملية التأليف فيه.

المبحث الثاني : تزايد بوادر النشاط النحويّ ببلاد شنقيط

هذا النشاط النحوي المشار إليه كان في القرن التاسع الهجري، أمّا إذا ما انتقلنا إلى القرن العاشر فإنّنا نجد نشاطا نحويا كبيرا في مدينتي ولاتة وتيمبكتو، يظهر جليا من ترجمات صاحب فتح الشكور لبعض علماء المدينتين. من ذلك مثلا قوله عند حديثه عن حياة عبد الله بن أحمد برّي التيمبكتي(ت ١٠١٠هـ) : « كان فقيها متفنّنا في زمنه، نحويا، لغويا»[7].

وعند حديثه عن حياة محمّد بابا بن محمّد الأمين بن حبيب ابن الفقيه المختار التيمبكتي (ت١٠١٤هـ) يقول: «له من التآليف عدّة : شرح رحمه الله تعالى ألفية السيوطي في النّحو

١- فتح الشكور، ص ٦١.

٢- المصر نفسه ، ص ١٩٩، ٢٠٠.

٣- المتوفّى ٩١١هـ.

٤- المتوفّى ٩٠٥هـ.

٥- «ملك بلاد السودان الذي تميّز عهده المضطرب ـ ٨٦٩ ـ ٨٩٨ ـ بمعارضة فقهاء تيمبكتو الصنهاجيين له، وتنكيله بهم، ممّا أدّى إلى هجرة نخبتهم إلى ولاتة». محقّق فتح الشكور، ص ٤٩، حاشية ٧. نقلاً عن تاريخ السودان، ص ٦٤ ـ ٧١.

٦- فتح الشكور، ص٤٨.

٧- المصدر نفسه، ص٢٨١.

شرحا غريبا مفيدا، سمّاه ب(المنح الحميدة في شرح الفريدة)»[١]. وعند حديثه عن حياة عبد الله الملقّب باند عبد الله بن سيدي أحمد بن محمّد المحجوبي الولاتيّ (ت١٠٣٧هـ) يقول: «كان فقيها نحويا، شرح الآجُرُّومِيَة شرحا حسنا مختصرا... كان حيّا عام سبعة وثلاثين وتسعمائة.. فهو من المعمّرين»[٢].

وعند الحديث عن حياة أحمد بابا التيمبكتي (ت١٠٣٦هـ) يقول: «جدّ واجتهد في بداية أمره في خدمة العلم حتّى فاق جميع معاصريه، ولا يناظره إلاّ أشياخه، وشهدوا له بالعلم.. وسلّم له علماء الأمصار في الفتوى.. وقرأ النّحو على عمّه أبي بكر[٣]، والتفسير والحديث والفقه والأصول، والعربية والبيان وغيرها، على شيخه العلاّمة محمّد بغيع[٤]. و(قال أحمد بابا في ترجمة شيخه هذا): فختمت عليه مختصر خليل بقراءتي، وقراءة غيري ثمانَ مرّات، وختمت عليه الموطّأ قراءة تفهّم، وتسهيل ابن مالك قراء تحقيق مدّة ثلاث سنوات» [٥].

فهذا الإشعاع الثقافيّ النحويّ بمدينتي (ولاتة وتيمبكتو) كان في القرن العاشر الهجري، وهؤلاء العلماء وصفَهم صاحب فتح الشكور بالنحويّين مثل ما رأينا، وبعضهم قدّم لنا إسهاماً نحوياً، تمّ الاطّلاع عليه، ممّا يعني أنّ الدراسة النحوية بالمدينتين في القرن العاشر الهجري كانت نشطة جدّاً. وفي المنطقة الشمالية لم تظهر التآليف النّحوية بشكل واضح إلاّ في القرن الحادي عشر الهجري لدى ثلاثة من كبار علماء مدينتي (تشيت وشنقيط)، هم:

١- الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت١١٠٧هـ) بكتابه: (المِنَن العديدة في إيضاح مسائل الفريدة) للسيوطي (ت٩١١هـ)[٦].

٢- أبو بكر بن الطُّفيل بن أحمد بن محمد مسلم المسلمي التشيتي (ت١١١٦هـ) بنظمه: (قطر الندَى) لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)[٧].

١- ينظر فتح الشكور، ص ١٩٨.

٢- فتح الشكور، ص٢٨٣.

٣- أبو بكر بن أحمد بن عمر، المتوفّى ٩١١هـ.

٤- محمد بن محمود بغيع الونكري (ت١٠٠٢هـ).

٥- فتح الشكور، ص٦٠ ـ ٦٢.

٦- المنارة والرباط، ص٥٩٨.

٧- فتح الشكور، ص١٣٩.

٣ -سيدي محمد بن موسى بن أيجل الزيدي نسبا، التشيتي وطنا (ت١١١٧هـ)[١] بتأليفيه :

- معين الطلاّب على كشف النقاب عن قواعد الإعراب .

- منظومة الأدوات في الجمل النحوية لابن هشام، مع شرحها [٢].

وليس هؤلاء وحدهم مَن ألّفوا في هذا القرن بالقطر الشّنقيطيّ، بل سترى في الفصل الأوّل من الباب الثاني أنّ التآليف النّحوية أخذت في الاتّساع والتّمدّد في هذا القرن بالبلاد، خاصّة في المناطق الشرقية، الشمالية. أمّا النشاط النحوي بالمنطقة الغربية الجنوبية (الكِبْلة) من بلاد شنقيط فيُذكَر أنّ محمد سعيد بن تكدّي اليدالي [٣] : «درس في تافلالت (سجلماسة) بجنوب المغرب خلال القرن العاشر الهجري، وعاد إلى منطقة (الكِبْلَة) من بلاد شنقيط، فنشر النّحو هناك حتّى لقّب النحويّ... وممّا يُذكر أنّ اليدالي قدم بشرح المكّودي[٤] على الألفية، وبالبسْط والتعريف في فنّ التصريف»[٥].

غير أنّه لم يوجد نشاط للتأليف النحويّ بشكل واضح في المنطقة الغربية (منطقة الكِبْلة) إلاّ في منتصف القرن الثاني عشر الهجري على أيدي ثلاثة من العلماء، هم :

١ - المختارانْجُبْنانْ، بن محمّذن، الحَيْبَلِّي، المتوفَّي حوالي(ت١١٦٠هـ)[٦] بكتابه : شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل [٧].

٢ - منيرة الطالب سيدي بن حبيب الله التشمشي، الأتفقي(ت١١٦٢هـ) بكتابه : (حَبَب الدَّلاصَة في ترتيب التوضيح على الخُلاصة) لابن مالك[٨].

١- المنارة والرباط، ص٥٥٨، وفتح الشكور، ص١٩٤.

٢- مخطوط، مودَع تحت رقم ١١٥، بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.

٣- لم أقف على تاريخ وفاته فيما اطّلعت عليه من المصادر.

٤- عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت٨٠٧هـ).

٥- المنارة والرباط، مصدر سابق، ص١١٢.

٦- المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص٣٨، والمختار انجُبْنان بن محمّد الشنقيطيّ، أُسُّ الإسلام.

٧- ورد ذكره في تاريخ النحو، ص ٤٥٠ ، ٤٥١.

٨- سيأتي الحديث عن هذا التأليف في الفصل الأوّل من الباب الثاني. بعون الله.

٣ – محمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي(ت١١٦٦هـ) بكتابيْه [١] :
- رسالة في النّحو على غرار نحو الآجُرُّومية.
- تعليق في الفرْق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلَم الجنس.

الفصل الثاني : المصادر المغاربيـــــــــة، والمشريقة

اهتمّ الدارسون والعلماء الشناقطة بالمتون النّحوية المغاربية، ثمّ المشرقية، اهتماما كبيرا منذ أن وصلت بلادهم، وتأثّروا بها أيّما تأثُّر، فتعدّدت خدمتهم لها، ما بين دارس لها، وناظم، وشارح، ومحاكٍ، مع شيء من التفاوُت ليس باليسير في الاعتناء بها. وفيما يلي تبيان ذلك :

المبحث الأوّل : المـصادر المغــاربـــية

أ– **المصادر المغربية** : وصل المحظرة الشنقيطية في وقت مبكّر من بلاد المغرب عدّة مؤلّفات نحوية، حظيتْ باعتناء العلماء الشناقطة، مع شيء من التفاوت، وهي :

١ – الآجُرُّومِيَّـــــــة : لأبي عبد الله محمد بن محمد آجُرُّوم الصنهاجي، الفاسي (ت٧٢٣هـ)، وهي من المتون النّحوية التي وصلت بلاد شنقيط في قت مبكّر، كما سلف ذكره[٢]. وهي متن صغير الحجم، كثير الفائدة، مزج فيه مؤلّفه بين المذهبين النّحويين الكبيرين : البصريّ والكوفيّ . فمن بصريته مثلا قوله : « الفاعل هو الاسم المرفوع قبله فعله»[٣].

إذ اشترط في الفاعل أن يسند إلى عامل قبله، بمعنى وجوب تأخّره عن عامله، وهذا مذهب بصريّ، أمّا الكوفيون فيجيزون تقديمه عليه، ولا يشترطون تأخّره عنه، واستدلّوا لذلك بقول الشاعر[٤] : (ما للجمال مشْيُها وئيداً ...)، حيث جعلوا (مشيُها)

١– ورد ذكرهما في المنارة والرباط، ص ٥٢٩ ، ٦٠٥، والألفية وتأثيرها، ص١٨. ويوجد (تعليق في الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلَم الجنس) مخطوطاً تحت رقم ١١٦، بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.

٢– حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٣.

٣ـ شرح الآجُرّوميّة للسيّد أحمد زيني دحلان، ص٦٤٣.

٤ـ بعده : (أجندلاً يحملْن أم حديدا). من الرجز نسبه ابن هشام (في المغني بحاشية الشيخ محمّد الأمير ،ج٢، ص١٤٥، للزّبّاء بنت عمرو، ملكة(تدمر)، في قصّة طويلة ذكرها الأمير في حاشيته هذه.

فاعل (وئيدا). ومن كوفيته قوله : «والأمر مجزوم أبدا «[1]. فهذا مذهب كوفي، إذ هو عندهم معرب مجزوم[2]. وهذا المتن هو أوّل ما يبدأ به الدارس لعلم النّحو بالمحظرة الشنقيطية، وقد اعتنى الشنقيطيون بخدمته كثيرا، وتنوّعت أعمالهم عليه، كما سيأتي.

٢- شرح عبد الرحمن المكّودي الفاسي(ت٨٠٧هـ) لألفية ابن مالك، الذي يذكر أنّه أوّل من شرحها بفاس، وانتشرت بسببه، وكان يقرأ كتاب سيبويه بـ «مدينة العطّارين»[3]. وقد قدم به إلى بلاد شنقيط محمد سعيد بن تكدّي اليدالي [4]، الذي درس في تافلالت (سجلماسة) بجنوب المغرب في القرن العاشر الهجري، وعاد إلى منطقة (الكِبْلة) من بلاد شنقيط، فنشر النّحو هناك حتّى لقّب النحويّ[5].

٣- البسط والتعريف بما جُهِل من التصريف، (منظومة عبد الرحمن المكودي في التصريف « ت٨٠٧هـ»)، قدم به محمد سعيد بن تكدّي اليدالي أيضا مع شرح الألفية من المغرب[6].

٤- المجرادية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف، لأبي عبد الله محمّد بن محمّد الفزاري المِجراد السّلاوِي(ت٧٧٨هـ). وهي منظومة معروفة ب(لامية المجرادي)، جمع فيها المؤلّف أنواع الجُمَل والظروف والمجرورات [7].

٥- منظومة السّلطان المَوْلَى عبد الحفيظ[8]، العلوي المغربي(ت١٣٥٦هـ)، لمُغْني اللّبيب، المسمّاة (السّبْك العجيب لِمعاني حروف مُغْنِي اللّبيب)[9]. ولهذا الأمير العالم صلاتٌ وثيقة بعلماء شنقيط، لذا كانت له جهود على بعضٍ من تراثهم

١ـ الآجُرّومية بشرح السيّد أحمد زيني، ص ٣٤. وينظر مزيد من هذا مثلا في ص ٤٠، فما بعدها، ٥١ .

٢ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين، ج٢، ص ٥٢٤.

٣ ـ الصّبّان محمد بن علي، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج١، ص ١٨.

٤ ـ لم أقف على تاريخ وفاته فيما اطّلعت عليه من المصادر.

٥ ـ المنارة والرباط، ص١١٢.

٦ ـ المصدر والصفحة نفسهما.

٧ ـ المجموع الكبير من المتون فيما ذُكِر من الفنون، ص٤٣٤.

٨ ـ ترجمته في الأعلام، ج٣، ص٢٧٧.

٩ ـ وهذا النظم مطبوع بمطبعة فاس عام ١٣٣٠هـ، كما طُبِع مع شرح محمّد لَغظف الشنقيطي عليه بمطبعة بولاق عام ١٣٢٦هـ. يراجع تاريخ النحو، ص٤٢٤، الحاشية ٥. وص٤٢٥، الحاشية٢.

النّحوي، منها مثلا شرحُه لألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا الشنقيطي عليها، الممزوج بها(ت١٢٢٠هـ[١])، وحاشية على اختصار المواهب النّحوية لسيدي محمد بن حبت الشنقيطي(ت١٢٨٨هـ)، طُبِع منها جزآن بفاس[٢].

وقد عبّر الدكتور محمد المختار بن ابّاه عن العلاقة العلمية الوثيقة التي كانت سائدة بين هذا الأمير والعلماء الشناقطة بقوله: «ولقد توثّقت صلته العلمية بالشيوخ الشناقطة، واستحسن طُرُقهم في البحث، وصنيعهم في نظم المسائل النّحوية، فكان عارفاً بأنسابهم ومشاربهم، مميِّزاً لكلّ واحد منهم باسمه ووَسْمِه..»[٣].

وسيأتي حديث مفصّل في الفصل الأوّل من الباب الثاني عن خدمة العلماء الشناقطة المتنوّعة لهذه المتون الوافدة من المغرب. بعون الله تعالى.

ب- **المصادر الأندلسية**: تلقّت المحظرة الشنقيطية التراث النّحوي واللّغوي لشيخ النّحاة محمد بن مالك الطائي الجياني الأندلسي(ت٦٧٢هـ)، بالقبول والرضا، فاحتضنته خير احتضان، وازدهر في ربوعها ازدهارا منقطع النظير، واهتمّ به العلماء والدارسون اهتماما لامثيل له، وتأثّروا به تأثُّراً بالغاً، فهم له ما بين دارس ومعلّق وشارح ومحاكٍ... وفيما يلي إلقاء الضوء على حضور أبرز هذا التراث في المحظرة الشنقيطية، وما أحدثه من التأثير والتأثُّر:

١- **الألفية أو الخلاصة**: عدد أبياتها ألف بيت، من كامل الرجز، وهي أهمّ متن، وأبرزه على الإطلاق في علم النّحو بالمحظرة الشنقيطية، فهي في النّحو مثل مختصر خليل في الفقه المالكي عند الشناقطة، اهتمّ بها الدارسون والعلماء على نطاق واسع، ومن لم يدرسها دراسة فهم وإتقان لا يعدّ من أهل النّحو في الثقافة المحظرية الشنقيطية.

يقول الأستاذ محمّد يحيى بن سيدي أحمد: «لقد كان للخلاصة حضور في أذهان الشناقطة لِانْـغراسها في نفوسهم لمعايشتهم لها الطّويلة، وتذوّقهم لمعانيها، واستعذابهم لجودة سبكها، وكَثرة الأمثلة فيها والشواهد، واستعمال العبارات القابلة لعدّة قراءات

١- صدر منه جزآن، وصَلا إلى حروف الجرّ. يراجع تاريخ النحو، ص٤٢٣.

٢- المنارة والرباط، ص٥٦٠، والألفية وتأثيرها، ص٤٥، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٣- تاريخ النحو، ص٤٢٤.

دلالية وفُهُوم شتّى، استعملوها على كلّ الأصعدة العلمية والأدبية، فضمّنوا أبياتها وأشطارها وفقراتها في نظمهم ونثرهم، بل وكلامهم في لغة التّخاطب بينهم»[1].

فلها فعلا حضور كبير، قويّ، لدى القوم في جميع مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية. وقد تحدّث الدكتور يحيى بن البراء عن ذلك حديثا وافيا في (ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية[2])، والدكتور محمّد المختار بن أُبّاه في (تاريخ النّحو[3])، والأستاذ محمّد يحيى بن سيدي أحمد في (الأزهار الشذِية بأعلام وأخبار المجلِسية[4])، ممّا يُغني عن بسْط الحديث فيه هنا، سوى أمثلةٍ قليلةٍ تُوحِي بذلك. فممّا يُعبّر عن حضورها مثلا في الجانب الثقافي صنيعُ النّابغة القلاّوي(١٢٤٥هـ) في أُرجوزته الطويلة في رثاء شيخه: أحمد بن محمّد العاقل الديماني (١٢٤٤هـ)، التي تبلغ أبياتها حوالي تسعين بيتاً، حيث ضَمَّن أشطارَها الثانية من كلِّ بيت شطراً من ألفية ابن مالك. منها مثلاً [5] :

لـمّا نَعَوْهُ وذَكَـرْتُ فَـضْلَهْ (كَلِي بُكىً بُكَاءَ ذاتِ عَضْـلَهْ) [6].
وبِـتُّ ساهِراً بِـلَـيْلٍ أَلْيَـلِ (مُـرَوَّعِ الـقَلْـبِ قَليلِ الحِيَلِ) [7].
قُلْتُ لِـجَلْدٍ مُضْمَـرٍ أَيَّ جَـزَعْ (فَلا تَكُنْ جَلْداً وتُضْـمِرَ الجَـزَعْ) [8].
وقُـلْتُ لَـمّا قال لِي أَيْـنَ المَفَـرُّ (أَيا ابْـنَ أُمَّ يابْـنَ عَمَّ لامَفَـرُّ) [9].
حَياتُـهُ عـارِضَـةٌ وَصْـفِـيَّهْ (فَـأَلْغِيَـنَّ عارِضَ الوَصْفِيَّهْ)[10].

١- في كتابه : الأزهار الشذية بأعلام وأخبار المجلسية. مخطوط، مودَع تحت رقم (١٠٨) بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة. ص ٦٥.

٢- عبارة عن رسالة تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة، سنة ١٩٨١/ ١٩٨٢م. مخطوط، مودَع بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠١. ص١١٤، فما بعدها .

٣- ص ٤٤٣، فما بعدها.

٤- مرجع سابق، ص ٦٥، فما بعدها .

٥- يراجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص٩٣.

٦- من البيت رقم ١٢ ، من باب المفعول المطلق.

٧- من البيت رقم ٥ ، من باب الإضافة.

٨- من البيت رقم ١٣ ، من باب إعراب الفعل.

٩- من البيت رقم ٢، من باب المنادى المضاف إلى ياء المتكلّم.

١٠- من البيت رقم ٥ ، من باب (ما لا ينصرف).

لَوْ كـان غَـيْرَ الله حَـيٌّ قـد بَقى (لَكانَ أوْلَى مِـن سِـواهُ بالبَقا)[١].
أوْ كـان يُفْـدَى بِكَـذا ما ذَهَـبَا (لوْ كـان مِثْلُ مِلْءِ الأرْض ذَهَبَا)[٢].
لَكِنَّ مِثْلَ الشَّيْخِ عِنْـدَ مَنْ غَبَرْ (مُـلْـتَزَمٌ فيهِ تَقَدُّمُ الخَبَرْ)[٣].
مَن ذا الذي مِـن بعده يقولُ(مَـنْ يَصِلْ إلينا يَسْـتعِنْ بنا يُعَـنْ)[٤].
لم يَبْـقَ للمعروف بعدُ سَرْمـدُ (مـا لِلنّدا يصلُحُ نحوُ أحمدُ)[٥].
مَـن ذا الذي إذا ذَكَرْتَ الخَـبَرا (حـدَّثَ أنبَـأَ كـذاكَ خَبَّرا)[٦].

فهذا النّمط من تضمين أشطارها، وعباراتها، كثيرٌ، شائع في إنتاجهم الثقافي الغزير، المتنوِّع[٧].

ومّما يُعبّر عن حضورها في أمثالهم وأحاديثهم اليومية مثلا ما يَرِد على ألسنتهم كثيراً من أقوالهم[٨] :

وحـذْفُ ما يُعْـلَم جائزٌ ...[٩].
وإن بِشَكْلٍ خِيفَ لَبْسٌ يُجْتَنَبْ ...[١٠].
فَما أُبيحَ افْعَلْ ودَعْ ما لْم يُبَحْ ...[١١].
وعُلْقَةٌ حاصِلَةٌ بِتابِعِ كَعُلْقَةٍ بِنَفْسِ الاِسْمِ الواقِعِ[١٢].

١- من البيت رقم ٤٠ ، من باب جمع التكسير.

٢- من البيت رقم ٤ ، من باب التمييز.

٣- من البيت رقم ٢٠ ، من باب الابتداء.

٤- من البيت رقم ٨، من باب البدل.

٥- من البيت رقم ١٢ ، من باب التّرخيم.

٦- من البيت رقم ٥، من باب (أعلَمَ وأرَى).

٧- يراجع مزيد في ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص١١٤، فما بعدها، وفي الأزهار الشذية، ص٦٥، فما بعدها.

٨- تاريخ النحو، ص٤٤٥.

٩- من البيت رقم ٢٤ من باب المبتدأ والخبر. وهو : وحذفُ ما يُعْلَمُ جائزٌ كما تقولُ زيدٌ بعدَ مَنْ عِندَكُـما .

١٠ - الشطر الأوّل من البيت رقم ٧ من باب النّائب عن الفاعل. والشطر الثاني : وما لِباعَ قد يُرَى لِنحْوِ حَبّ.

١١ - الشطر الثّاني من البيت رقم ٩ ، من باب الاشتغال. والشطر الأوّل : والرّفْعُ في غيرِ الذي مَرَّ رَجَحْ.

١٢ - البيت رقم ١٢، من باب الاشتغال.

كذا لها حضور كبير في مجالات الأدب، والنّقد الاجتماعي، والنُّصح والإرشاد، والإخوانيات والمداعبة، والتّوسّل والدّعاء، والفخر والمدْح والهجاء، والألغاز والأحاجي، والوصف، والتّنَدُّر والتّنكيت، واللّحن والتّلحين، والإفتاء والحُكْم. وقد أتى يحيى بن البراء بأمثلة مُناسِبة من ذلك[1].

وأرى أنّ تدريسها في المحاظر الشنقيطية ساد منذ القرن العاشر الهجري، إذ أخذ أحمد بابا التيمبكتي (ت١٠٣٦هـ)، منها دروسا على شيخه العلاّمة محمّد بن محمود بغيع الونكري (ت ١٠٠٢هـ[2])، وله ثلاثة شروح عليها لم تكمل[3] (سيأتي ذكرها في الباب الثاني بعون الله)، ممّا يوحي بوجودها في المنطقة الشرقية في وقت مبكّر قبل حضورها في المنطقة الغربية، وهذا ما استنتجه يحيى بن البراء[4].

أمّا في المنطقة الغربية فقام محمد سعيد بن تكدّي اليدالي[5]، وهو من علماء القرن العاشر الهجري، بإحضار شرح المكّودي[6] عليها من المغرب، حيث «درس في تافلالت (سجلماسة) بجنوب المغرب خلال القرن العاشر الهجري، وعاد إلى منطقة (الكِبْلة) من بلاد شنقيط فنشر النّحو هناك حتّى لقّب النحويّ»[7].

وكلّ ذلك فعلاً كان في القرن العاشر، لكن هناك فرق بيِّن بين عبارة سيادتها وانتشارها في الوسط الدراسيّ بالمنطقة الشرقية، وعبارة إحضارها إلى المنطقة الغربية.

والشيء المرجّح هو وصولها البلاد في وقت مبكّر، كما أشار المؤرّخ المختار بن حامدن: «وأمّا النّحو فأقدم متن عرفوه فيه هو ملحة الإعراب للحريري، ثم ألفية ابن مالك وكافيته وتسهيله، ولامية الأفعال له، وفريدة السيوطي والآجُرُّومية»[8].

---

١ - الألفية وتأثيرها، ص١٤١.

٢- فتح الشكور، ص٦٠ ـ ٦٢.

٣- المصدر نفسه، ص٧٢.

٤- الألفية وتأثيرها، ص ٣٨.

٥- لم أقف على تاريخ وفاته فيما اطّلعت عليه من المصادر.

٦- عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت٨٠٧هـ).

٧- المنارة والرباط، الخليل النّحوي، ص١١٢.

٨- المصدر نفسه، ص٦٣.

وقد أطبق العلماء والدارسون على قيمتها العلمية، فمن مظاهر اهتمامهم بها أنّ غايتهم القصوى كانت تتمحور حول تبيين مجملها، وتفسير إيجازها، وما استغلق من تراكيبها، كما يقول ابن هشام : « كتاب صغر حجما، وغزر علما، غير أنّه لإفراط الإيجاز قد كاد يعدّ من جملة الألغاز، وقد أُسْعِف طالبيه بمختصر... أحلّ به ألفاظه، وأوضّح معانيه، وأحلّل به تراكيبه، وأنقّح مبانيه، وأعذّب به موارده، وأعقل به شوارده»[1].

وقد وضع الله لها القبول كلّه بين الناس، يقول ابن حمدون : «ويدلّك على خلوصه (ابن مالك) أن الله جعل الإقبال على هذه الألفية، واعتكف الناس عليها في جميع الأقطار»[2].

ولابن مالك رحمه الله مذهبه النّحوي المتميّز بسمات بارزة، أهمّها أنه أوّل من استشهد من النحويّين المتأخّرين بالحديث الشريف على نطاق واسع لتأصيل المسائل النحوية[3]، وأنّه وإن كان بصرياً، أفاد كثيرا من مذاهب النحويين، فيعرضها، مازجاً بينها، مناقشا إيّاها، مختارا منها ما يراه صوابا. وأسباب سيادة الخلاصة في المحاظر الشنقيطية كما يقول الدكتور محمد المختار بن أبّاه : «كونها تلائم حاجة المثقّف الشنقيطي إلى نظْم شامل يسهل حفظه، نظرا لتعذّر وجود وسائل الكتابة وبالخصوص الورق، واستحالة الكتابة ليلاً لعدم توفّر وسائل الإنارة، فكان لابدّ من الاعتماد على الحفظ»[4].

وقد عكف الشنقيطيون على خدمتها وكتبوا عليها كتابات غزيرة، متنوّعة، ما بين تعليقات، وطُرَر، وشروح، وحواشٍ... يأتي الحديث عنها مفصّلا في الفصل الأوّل من الباب الثاني، بعون الله تعالى.

٢- **الكافيـــة** : عدّة أبياتها (ثمانون وسبعمائة وألفان، ٢٧٨٠)، من كامل الرجز، وهي أصل الخلاصة، كما قال رحمه الله في ختام الألفية : (أحْصَى مِنَ الكافيةِ الخُلاصَهْ). وإن كانت الخلاصة اشتملت على جلّ مهمّات النّحو وأغراضه ومقاصده، فإنّ الكافية تزيد بأبواب كاملة، لا توجد بالخلاصة، كأبواب :

١- في كتابه التوضيح على ألفية ابن مالك بحاشية التصريح، لخالد بن عبد الله الأزهري، ج١، ص ١٥.

٢- ابن الحاج في حاشيته على شرح المكودي لألفية ابن مالك، ج١، ص ١٢.

٣-السيوطي، الاقتراح في علوم أصول النحو، ص ٤٦-٥٢، وعبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب، ج١، ص٤، فما بعدها.

٤ - تاريخ النحو، ص٤٤١.

ضمير الفصل، وضمير الشأن، والقسم، والتقاء الساكنين، والتاريخ[1]. يقول في مقدّمتها [2] :

قال ابنُ مالكٍ محمّدٌ وقــــــــدْ نَـوَى إفـــادةً بما فيهِ اجْـتـهَــــدْ
وبعدُ فالنّحوُ صَــلاحُ الأَلْسِنَــــه والنّفسُ إن تُعْــــدَمْ سَنَاهُ في سِنَـهْ
بهِ انكِشــــافُ حُجُبِ المعـــــاني وجَـذْوَةُ المفهـوم ذَا إذْعــــانِ
وهذه أُرجــــوزةٌ مُستَوفيــــه عــنْ أكــثرِ المُصنَّفاتِ مُــــغْنِيَهْ
تكــــونُ للــمبتدئينَ تَـبْـــصِرَهْ وتُـظْفِرُ الذي انتهَى بالتــــذكرهْ
فــلْيَكُن النـاظِـرُ فـيها وَاثِقــــا بِـكَـوْنـِه إذا يُجارَى سَـابِـــــقا
فَمُــعْظَمُ الفَــنِّ فيهـــا مَضْبوطُ والقـــولُ فـي أبوابها مبْسُـــوطُ
وكَمْ بها مِــن شاسِــعٍ تَقَــــرَّبَا ومِــنْ عَـويصٍ انْجَلَى مُــهَـــذَّبَا
ومُــنتَهَى أبياتِها ألفـــانِ مَـــعْ مِـئِـينَ سَبْعٍ وثمــــانينَ تَـــبَعْ.

وقد اعتنى العلماء والدّارسون الشناقطة بها اعتناءً كبيراً، حيث خلّفوا لنا بعضاً من الشروح عليها. يأتي ذكرها في الفصل الأوّل من الباب الثاني، بعون الله تعالى.

٣- التّسهــــيل: يمثّل التّسهيل قمّة النّضج في الفكر النّحوي عند ابن مالك، وعلوّ كعبه في ذا الفنّ. يقول في مستهلّه : «هذا كتاب في النّحو جعلته بحمد الله مستوفيا لأصوله، مستوليا على أبوابه وفصوله، فسمّيته لذلك تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد»[3].

وقد زاد بعض الأبواب على الكافية[4]، كما زاد على ما في الألفية «أكثر من خمسين موضوعا من قواعد النّحو، وأحكام التصريف»[5].

١- حاشية الصبّان على الأشموني، ج٢ ،٢٦٧.
٢- شرح الكافية لابن مالك نفسه، ج١، ص٤٤٣.
٣- ص ٢ من مخطوطة للتسهيل بالمعهد الموريتاني للبحث العلميّ. تحت رقم٤٣.
٤- كـبـابي (حبّذا)، و(مخارج الحروف). يراجع يحيى بن البراء، ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص ٣٢.
٥- مثلا المصدر والصفحة نفسهما.

وهو كتاب جليل القدر، ألّفه للعلماء، جعله أبو حيّان النحوي (ت٧٥٤هـ) في مقدّمة تفسيره : البحر المحيط، مقابلاً في الجودة والحسن لكتاب سيبويه، وأحسنَ ما وضعه المتأخّرون في علم النّحو، حيث يقول : «ويؤخذ ذلك من علم النّحو، وأحسن موضوع فيه، وأجلّه كتاب أبي بشر سيبويه، رحمه الله تعالى، وأحسن ما وضعه المتأخّرون من المختصرات، وأجمعه للأحكام كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمّد بن مالك الجياني الطائي»[١].

وكان اعتناء العلماء الشناقطة به كبيراً. وهو ما سنقف عليه بعون الله تعالى في الفصل الأوّل من الباب الثاني، خصوصاً عند الحديث عن جامع المختار بن بونا (ت١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ) على ألفية ابن مالك.

٤- **لامية الأفعال في التصريف**: عدّة أبياتها (مائة وأربعة عشر بيتا)، من البسيط التامّ، ومع صغر حجمها جمعت كثيرا من فوائد هذا الفنّ، وهي المقرّر الأوّل والأهمّ لمادّة التصريف في المحاظر الشنقيطية، لذا اعتنى بها العلماء والدارسون اعتناء خاصّا، حسب ما يأتي بيانه في الفصل الأوّل من الباب الثاني. بعون الله تعالى.

٥- **تحفة المودود في المقصور والممدود**: منظومة مفيدة، في اللّغة والتصريف، تبلغ عدّة أبياتها سوى المقدّمة (واحدا وستّين ومائة بيت، ١٦١)، من البحر الطويل، كلّ بيت يضمّ أربع كلمات، في كلّ من صدره وعجزه اثنتان، الأولى مقصورة، والثانية ممدودة، متّحدتان في اللّفظ، مختلفتان في المعنى. يقول المؤلّف في مطلع المنظومة :

أَطَعْتَ الهَـوَى فالقلْبُ مِنكَ هَواءُ قَسَا كَصَفاً مُذْ بانَ عنهُ صَفـاءُ[٢].

وسيأتي كلام مفصّل عن خدمة بعض الشناقطة له، في الفصل الأوّل من الباب الثاني، بعون الله تعالى.

٦- **منظومة فيما ورد من الأفعال بالواو والياء** : عدد أبياتها تسعة وثمانون ٨٩ بيتا[٣].

١- البحر المحيط في التفسير، ج١، ص١٤، ١٥.

٢- الشيخ سيدي المختار الكنتي الشنقيطي، فتح الودود شرح المقصور والممدود، ص٢٤.

٣-الألفية وتأثيرها، ص٢٨.

٧- **إكمال الإعلام بمثلّث الكلام** : أرجوزة معروفة ب(مثلّث ابن مالك)، تبلغ عدّة أبياتها خمسة وخمسين وسبعمائة وألفي بيت (٢٧٥٥) [١].

٨- **الإعلام بمثلّث الكلام** : منظومة، عدد أبياتها خمسة عشر وثمانمائة وألفا بيت (٢٨١٥). وقد سمّي ب(المثلّث المنظوم، والمثلّث في اللّغة)[٢].

٩- **ثلاثيات الأفعال**: يتضمّن ما جاء من الأفعال على (فَعَل وأفْعَل) بمعنى واحد[٣].

ونظراً لما سبق يمكن القول إنّ المحظرة الشنقيطية احتضنت مذهب ابن مالك النحوي احتضانا خاصّا، حيث كان لمؤلّفاته النحوية واللّغوية حضورٌ بارزٌ، ومشهود بين الدارسين والعلماء، من أبناء هذه المؤسّسة العلمية الشامخة. وإن كان ابن مالك رحمه الله قد ارتحل إلى المشرق فإنّ تراثه النّحوي قد ورثه المغاربة، الذين استلموا الراية فور سقوطها بالأندلس، مهتمّين به اهتماما لافتا، متميّزا، استظهاراً في الصدور، ودراسة، وتدريسا، ومحاكاة، وتعليقا، وشرْحا...

المبحث الثاني : المصادر المشرقية

نشأ النّحو العربيّ بالعراق منذ منتصف القرن الثاني الهجري، وترعرعت به مذاهبه، وازدهرت عدّة قرون، إلى أن انتقل ثقل دراساته بشكل واضح إلى الأندلس والمغرب في القرن الخامس الهجري . وقد وقع تحت أيدي العلماء والدّارسين الشناقطة بعضٌ من التآليف النّحوية القادمة من بلاد العراق ومصر، كان اهتمامهم بها مُتفاوِتاً إلى حدّ كبير. وفيما يلي توضيح ذلك :

أ- **المصادر العراقية**: لم يفِد الشناقطة من التآليف النحوية العراقية إلاّ عن طريق إفادة المغاربة والأندلسيّين منها، إذ لم تصل أيديهم، ولم يقرؤوها مباشرة عند نشأة النّحو ببلادهم، باستثناء :

١- الألفية وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص٢٨، والحسن بن زين الشنقيطي، الطّرّة ـ توشيح لامية الأفعال لابن مالك، بخياطة وترشيح الشيخ محمّد سالم بن عدّود، ج١، ص٤٩. عن فوات الوفيات، ج٢، ص٤٥٣.

٢- مقدّمة تحقيق طُرّة الحسن بن زين، ص٤٨.

٣- المصدر والصفحة نفسها. عن فوات الوفيات، ج٢، ص٤٥٣، والألفية وتأثيرها، ص٢٨.

١- **ملحة الإعراب:** لأبي محمّد القاسم بن علي، الحريري البصري، صاحب المقامات(ت٥١٦)، وهي أقدم نصّ نحويّ عرفه الشنقيطيّون، كما يقول المختار بن حامدن: «وأمّا النّحو فأقدم متْن عرفوه فيه هو ملحة الإعراب للحريري»[١].

وهي متن متوسّط الحجم، أحد مقرّرات النّحو بالمحظرة الشنقيطية، يدرسونه عادة بعد متن الآجُرُّومية، أو معه.

٢- **(ليس) في كلام العرب:** لابن خالويه أبي عبد الله الحسين بن أحمد(ت٣٧٠هـ). كما وصل المحظرة الشنقيطية من بلاد الشام كتاب(التُّحفة الوَردية في مشكلات الإعراب[٢])، لزين الدين عمر بن الوَردي المتوفّى بحلب سنة (ت٧٤٩هـ).

ب- **المصادر المصرية:** انتقل ثقل الدراسات النحوية من بغداد والأندلس إلى مصر بعد تراجع ازدهارِهما، وانكماشِ العطاء الثقافيّ بهما، إذ «استقطبت مصر مجموعة من علية علماء النّحو، أمثال ابن مالك(ت٦٧٢هـ)، وأبي حيّان(ت٧٥٤هـ)، نشروا معارفهم وكتبهم بها، وبرز من بين أتباعهم مجموعة من أكابر النحويّين، أمثال ابن هشام(ت٧٦١هـ)، والمراديّ(ت٧٤٩هـ)، وابن عقيل(ت٧٦٩هـ)، وجمال الدين الإسنوي(ت٧٧٢هـ)، وابن ناظر الجيش(ت٧٧٨هـ). ثمّ ظهرت من بعدهم طبقة الدماميني(ت٨٢٧هـ)، والسيوطيّ(ت٩١١هـ)، والأشموني(ت، حوالي٩٠٠هـ). وبهؤلاء استكملت مدرسة ابن مالك صورتها النهائية، التي انتقلت فيما بعد إلى الحواضر المغربية، والمحاظر الشنقيطية»[٣].

فتلقّف العلماء والدارسون الشناقطة التراث النحوي لجمال الدين بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ) بشغَف لافتٍ، وحظي بقبولهم ورضاهم، وتأثّروا به تأثُراً بالغاً، فانتشر بين ربوع المحاظر، وازدهر في رحابها ازدهارا كبيرا، فهم له ما بين دارس ومعلّق وشارح وناظم. وقد انتشر هذا التراث أوّلا في شرق البلاد وشمالها طيلة القرنين: (العاشر والحاديً عشر للهجرة). يقول الدكتور محمّذن بن أحمد المحبوب:

١- المجموعة الكبرى، ص٦٣.

٢- ورد ذكر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٧١، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

٣- تاريخ النحو، ص٣٢١. علماً بأنّ هؤلاء الأعلام ورد ذكرهم هنا في هذا المصدر بدون ذكر لتواريخ وفياتهم.

«نودّ الإشارة إلى أنّ الدراسات النحوية قد بدأت في شرق البلاد وشمالها الشرقي خلال القرنين(١٠ و١١هـ)، مع المؤلّفات (البنهشامية)، لتمتدّ إلى جنوب البلاد، وجنوبها الغربي مع المؤلّفات(البنمالكية) خلال القرون (١٢، و١٣، و١٤)»[١].

وفيما يلي إلقاء الضوء على حضور هذا التراث في المحظرة الشنقيطية، وما أحدثه من التأثير والتأثُّر :

١- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: وهو أهمّ كتب ابن هشام النحوية، ومن أروع ما كتب في علم النّحو، صاغ فيه دُرَر هذا العلم، ومقاصده، من القواعد والفروع، بأسلوب رفيع، جزل، عصيّ فهمه على غير العلماء، أبدع فيه وأفاد رحمه الله، وعبّر عن ذلك هو نفسه، إذ قال : «فدونك كتابا تشدّ الرحال فيما دونه، وتقف عنده فحول الرجال ولا يعدونه، وإن كان الوضع في هذا الغرض لم تسنح قريحة بمثاله، ولم تنسج على منواله»[٢].

وله مذهبه النحويّ المتميّز، حيث يعرض مذاهب النحويين، مقارنا بينها، مرجّحا ما يراه صوابا، كقوله مثلا : «كالكلام في اشتقاق اسم، أهو من السّمة، كما يقول الكوفيون، أم هو من السمُوّ كما يقول البصريون، والاحتجاج لكل من الفريقين، وترجيح الراجح من القولين». وقد رجّح هنا مذهب البصريين[٣].

وصف ابن خلدون هذا الكتاب القيّم، ومؤلّفه وصفا لائقا، إذ قال : «ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر، منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها، استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصّلة، وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها، وسمّاه بالمغني في الإعراب، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها، فوقفنا منه على علم جمّ يشهد بعلوّ قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها، وكأنّه ينحو في طريقته منحى نحاة أهل الموصل، الذين اقتفوا أثَر ابن جنّيّ، واتّبعوا مصطلح تعليمه،

١- الدكتور محمّذن بن أحمد المحبوب، النّحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصّص(مقال)، مجلّة المنهل، العدد ٥٤٨، ذي الحجّة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. ص١١٠.

٢- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب بحاشية الأمير الشيخ محمد، ج١، ص ٣.

٣- مغني اللّبيب، بتحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حَمَدَ الله، ص٢٠.

فأتى من ذلك بشيء عجيب دالٍّ على قوّة ملكته واطّلاعه»[1].

واشتمل مغني اللّبيب على ثمانية أبواب، منها :

- تفسير المفردات وذكر أحكامها.
- تفسير الجمل وذكر أحكامها.
- ذكر الظروف والجار والمجرورات وأحكامها.

فهو فعلاً كتاب جليل القدر، للمختصّين والعلماء .

٢- قطر النَّدَى لابن هشام. وهو عبارة عن مقدّمة في النّحو، صغيرة الحجم، كثيرة الفوائد، عرفت في المحظرة الشنقيطية، دراسة وتدريسًا ونظْما.

٣- الفريدة في النحو لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) : يقول السيوطي نفسه في مستهلّها : «هذه الألفية لخّصت فيها ما في ألفية ابن مالك في ستمائة بيت، وزدتها أربعمائة بيت، فيها من القواعد والزوائد ما لا يستغني طالب العلم عنه»[2]. ويمدحها في المقدمة، ويصفها بالحسن قائلا :

فـائقـــــــةٌ ألفـيةَ ابــنِ مــالكِ ... لِـكـوْنها واضحـــــةَ المســـــالكِ
وجَمْعِهـــــا مِنَ الأصـولِ ما خَلَتْ ... عنـــهُ وضَبْـطِ مُرْسَــلاَتٍ أُهْمِـلَتْ
تَـرْتيبُها لَمْ يَحْـوِ غَيْرِي صُنْعَـــــهْ ... مُـقدِّمــاتٌ ثُمَّ كُتْبٌ سَبْـعَـــــــهْ[3].

ومع هذا فهي لم تستطع مزاحمة ألفية ابن مالك لدى الدارسين والعلماء، وفي مستوى القبول والرّضا عندهم، غير أنّها نالت حظّا لا بأس به من العناية بمُدُن (تيمبكتو وولاتة وتشيت) في المنطقتين الشرقية، والشمالية من البلاد.

٤- هَمْع الهَوامع شرح جَمْع الجوامع : لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) [4].

هذه أبرز المتون الوافدة إلى بلاد شنقيط، وقد كانت عمدة الدرس النحوي في المحاظر، حيث اشتدّت عناية الشنقيطيّين بها حفظا وفهما، ممّا جعلها تحدث فيهم كثيرا من التأثّر

١- المقدّمة، سبق ذكرها، ص٥٠٣.

٢- ألفية السيوطي النحوية، ص١.

٣- المصدر نفسه، ص٢.

٤- مطبوع بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مَكرَم، في ستة مجلّدات.

والتأثير، فهم لها ما بين دارس ومعلّق وشارح، وملخّص، وناظم ومحاذٍ، حتّى بلغوا في علم النّحو مبلغا لافتا. كما أنّهم استوردوا مبكّرا بعضا من شروح هذه المتون، خصوصا شروح ألفية ابن مالك، مثل التوضيح لابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، وشرح ابن عقيل بهاء الدين أبي محمّد عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ (ت٧٦٩هـ)، وشرح عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت٨٠٧هـ)، وشرح الأشموني لأبي الحسن علي المصري(ت٩٠٠هـ)، وحاشية التصريح على التوضيح لخالد الأزهري المصريّ(ت٩٠٥هـ)، وحاشية الصبّان على الأشموني لمحمد بن علي الصبّان المصري (ت١٢٠٦هـ).

وسنقف في الفصل الأوّل من الباب الثاني على شيء ليس باليسير من أعمال الشناقطة على هذه المتون، بعون الله تعالى.

الفصل الثالث : التقليد والاجتهاد

التقليد لغة «مأخوذ من القلادة، التي يقلّد شخصٌ غيرَه بها، فكأنّ المقلّد جعل ذلك الحكم الذي قلّد فيه المجتهد كالقلادة في عنق من قلّده، وفي الاصطلاح هو العمل بقول الغير من غير حجّة، أو قبول قول بلاحجّة»[1].

والاجتهاد «في اللّغة مأخوذ من الجهد، وهو المشقّة والطاقة، أي استفراغ الوسع في فعل من الأفعال، ولا يستعمل إلاّ فيما فيه كلفة وجهد»[2]. وفي الاصطلاح هو «استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحق فيه لوم، مع استفراغ الوسع فيه. وهو سبيل مسائل الفروع. ولهذا تسمّى هذه المسائل مسائل الاجتهاد، والناظر فيها مجتهدا.. وقيل هو في الاصطلاح بذل الوسع في نيل حكم عمليّ بطريق الاستنباط»[3].

ولا بدّ للمجتهد من معرفة أصول التخصّص الذي يجتهد فيه، وعلى رأس هذه الأصولِ في مجال اللّغة والتشريع علومُ القرآن والسنّة[4].

١- الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص٣٩١، والشيخ محمّد الخضري، أصول الفقه، ص٣٨٠.

٢- إرشاد الفحول، ص٣٧٠، و الشيخ محمّد الخضري، أصول الفقه، ص٣٦٧.

٣- إرشاد الفحول، ص٣٧٠.

٤- المصدر نفسه، ص٣٧١، فما بعدها.

المبحث الأوّل: التقليد

أشرت سالفا إلى أنّ تراث محمّد بن مالك الأندلسي (ت٦٧٢هـ) النّحوي واللّغوي حطّ رحاله بالمحظرة الشنقيطية، فاحتضنته بين ربوعها، وانتشر في رحابها، وازدهر فيها ازدهارا منقطع النظير، وكان عمدة الدرس، ومحطّ اهتمام العلماء والدارسين بها، علاوة على المتون النّحوية الأخرى التي وصلت البلاد، وعكف النّحاة الشناقطة على خدمتها، دراسة وتدريسا، وتعليقا، وشرحا، ونظْما.

وأشير إلى أنّ آراء شيخ النّحاة سيبويه لم تصل المحضرة الشنقيطية إلاّ عن طريق هذه المتون، وليس عن طريق سجلّه الحافل، المسمّى الكتاب، الذي يعدّ المصدر الأوّل للنّحو العربي عموما، وللنّحو البصري خصوصا، إذ لم نجد له حضورا مباشرا في المحضرة الشنقيطية. كما يشير الدكتور محمد المختار بن أبّاه : «ولكن قد نتساءل هل عرفوا كتابا في النّحو قبل كتب ابن مالك. إنّا لا نرى أثرا يُذكر لكتاب سيبويه»[١].

ومع ذلك فللكتاب في نفوس الشناقطة مكانة رفيعة، فهم يُجلّونه، ويقدّرونه حقّ قدره، حتّى إنّهم قد يستندون إليه في بعض فتاويهم الشرعية. من ذلك مثلا «أنّ بعض المدرّسين للنّحو قرّر في بعض مجالس التدريس أنّ العامل في المُستثنى هو ما قبل (إلاّ)، فعارضته قعيدة بيته قائلة إنّ العامل (إلاّ)، فأثار ذلك حفيظته، وحلف بالطلاق على صحّة ما قرّر في الدرس، فأفتى علماء الحيّ بالطلاق بناء على مذهب سيبويه، وهو أنّ العامل (إلاّ)» [٢].

كما تجلّى مَظهر التقليد والمتابعة عند القوم في تعامل العلماء والدارسين بالمحظرة الشنقيطية مع (الخلاصة)، تعاملا خاصّا، إذ لم يتناولوا مادّتها على أنّها مادّة علمية فحسب، بل أصبح تناول بعض أبياتها أحيانا يشكّل لوناً من ألوان التّرف الفكري، والأدبي، حتّى صار لهم حولها حكايات وأحاديث متداولة، وذلك كلّه في سبيل تذليل ما استغلق منها عن الأفهام، واعتزازهم باستيعابه إلى حدّ النّشوة والافتخار. من ذلك مثلا :

١- كتابه : النحو العربي في المشرق والمغرب، مصدر سابق، ص٤٤٢.

٢- محمّد بن بتّار، حولية جامعة شنقيط العصرية، بحث منشور بعنوان (النّحو في النوادي الشنقيطية)، السنة الأولى ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م. العدد ١. ص١٦٤.

١- كثرة تعليقاتهم على قول ابن مالك : (وشِبهِ ذَيْن) في باب جمع المذكّر السالم[١] :

وارفــعْ بواو وبيا اجْــرُرْ وانصبِ ســــــالِمَ جَمْعِ عـــــامرٍ ومُذْنبِ
وشِبْهِ ذَيْنِ...

أي: شبه (عامر ومذنب)، من كلّ عَلَم جامد، استجمع شروطه، وكلّ صفة له، استجمعت أيضا شروطها[٢]، والتي لم يصرّح بها ابن مالك، مع حاجة الدارسين الملحّة إلى ذلك.

فكتب المختار بن بونا في طرّته[٣] على احمراره، وألفية ابن مالك تعليقا يوضّح هذه الشروط، ومُخرَجاتها، سُمّي لدى الدارسين في المحظرة الشنقيطية بطُرّة (شبه ذيْن)[٤]، وقد صعُب فهمها على غير المتخصّصين. لذلك اهتمّ الشنقيطيون بتوضيح مضمون هذه الطّرّة في شروحهم وتعليقاتهم وأنظامهم. من ذلك مثلا قول محمّد بن سيدي بن محمّد الفاضلي الديماني (ت١٣٠٦هـ) :

نظمْتُ مـن طـــــــرّةِ (شبهِ ذيْنِ) منـظومـــــةً كـالـدّرّ واللُّجَـــيْنِ
نافعـةً قاصِــرَ الأَصــــــــــغرين وذا جـهــــالــــةٍ وشِـبــــــهِ ذيـْـنِ
وشِــبهُ ذيْـنِ مُشْبـــــه المُسَـلَّــم مِــن جـمـع كـلِّ صفةٍ أو عـــــلَمِ
لعـــاقلٍ مـذكّرٍ كالعاشــــــــــقِ والغُمْـرِ لا كـصـاهل وواشــــقِ
وزينبٍ وحـائــضٍ ويُشــــــتَرَطْ في جمــع ذا التّصغيرُ عندَ مَـن فَرَطْ.

إلى آخر الأبيات، التي بلغت (٢٦ بيتا)[٥].

وقول محمّد سالم بن أُلُمَّا اليدالي(ت١٣٨٣هـ) :

مُـــذَكّرٌ وعــــــاقلٌ وخــــالِ خَرِّجْ بها تِسعـــــــاً علـى التّـوالي
هنـــدٌ وشـــــذقمٌ وما كطلحــةْ وحـــائض وصـاهـــل وربْــــعَهْ

١- الألفية وتأثيرها، ص ٣٤، فما بعدها، وتاريخ النحو، ص٤٤٣، فما بعدها.

٢- شرح ابن عقيل، تحقيق إميل يعقوب، ج١، ص٤٢.

٣- تقريب طُرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النّحو، أحمد بن محمّد المامي اليعقوبي، ج١ ، ص٣٠.

٤- تاريخ النحو، ص٤٤٣.

٥- الألفية وتأثيرها، ص٦٨.

كـــذا رُمَيْـــحٌ وجميـــــلٌ وزِد   عُيَيْنــــةً ، تَمّــــتْ بلا تَـــرَدّدِ[1].

٢- قال ابن مالك في باب التّنازع في معرض حديثه عن وجوب الإتيان «بمفعول الفعل المهمل ظاهراً إذا لزِم من إضماره عدمُ مطابقته لما يفسِّره، لكوْنه خبراً في الأصل عمّا لا يُطابق المُفسَّرَ»[2] :

وأَظْهِرْ إنْ يكُـــنْ ضميرٌ خَـــبَرَا   لغـــــيرِ ما يُطابــــقُ المُفَسِّرَا .

وهو بيت من أصعب أبيات الألفية على الإطلاق؛ لذلك شرحه ابن مالك بالأمثلة في البيت الذي يليه :

نَحْـــوُ أظُنُّ ويَظُنّــــاني أخـــاَ   زيـــداً وعمْـــراً أَخَـــوَيْنِ في الرَّخَا.

ومع هذا الشرح فإنّ البيت، وإن كان قد خرجت المسألةُ فيه من باب التّنازع[3] عند البصريّين، بقِي على شيء لا يُستهان به مِن الصعوبة لدى الدارسين، ممّا جعلهم يعتنون كثيرا باستيعاب مضمونه، وما يرمي إليه. لذلك كانوا يُسَمّونه بـ«بـيت الزّامِل، (وهو الحِصانُ) في اللّهْجة العربية الحَسّانية الشّنقيطية. وسبب التّسمية أنّ رجلا ركب حِصانا وقال إنّه يُعطيه لِمَن درَّسَه هذا البيت» [4].

لذا كثُرت تعليقاتهم عليه، منها مثلا قول أحمد بن كَدّاه (ت١٣٣٧هـ) :

وأخـــاً اظْهِرْ عندَ إعـــالِ الأَوّلْ   وأَخَـــوَيْنِ حيثُ لِلثّاني العَمَــلْ
وكـأَظُـــنُّ وتَـظُــنُّني نَبِـــــهْ   أُمـامـــةً نَـبِـهَةً فَـلْـتَـنْـتَـبِـهْ
نَبِهاً اظْهِرْ عنــد إعمــــالِ الأَوَّلْ   نَبِهـــةً إن كان لِلثّاني الـعَـــمَلْ
وكأظُــــــنُّ وتظُـنّــني نَـبِــيلْ   غِـلمـــــانِ زيدٍ نُبلاءَ يانَبِـــيلْ
نَبيلاً اظْهِرْ عنـــدَ إعــــالِ الأَوَّلْ   ونُبَـــلاءَ حينَ لِلثّاني العَمَـــلْ
وكأظُـنُّ ويَظُـنّـــــانيَّ غِـــــرْ   هِـرٌّ ودَعْـــدٌ غِرَّتَـيْنِ فاعْتَبِـــرْ

١- محمّد محفوظ بن أحمد، أنظام الطرّة في الفوائد النحوية على حاشية ألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا، ص٢٥.
٢- شرح ابن عقيل، ج١، ص٢٨٠.
٣- المصدر والصفحة نفسهما.
٤- الألفية وتأثيرها، ص ٣٥.

وغِرّاً اظْهِرْ عندَ إعمالِ الأَوَّلْ ... وغِرَّتَيْنِ حينَ لِلثّاني العمل[1].

٣- قال ابن مالك في باب (أفْعَلَ التّفضيل) :

ورَفْعُهُ الظّاهرَ نَزْرٌ، ومَتَى ... عَاقَبَ فِعْلاً فَكَثيراً ثَبَتَا.

بمعنى أنّ (أفعل التّفضيل) إذا كان لا يصلُح لإحلال فِعْل بمعناه محلّه فلا يَرْفَع إلاّ ضميرا مستترا، نحو: (زيدٌ أذكَى من خالدٍ)، أي هو، ولا يرفع اسما ظاهرا، «إلاّ في لغة ضعيفة»[2].

أمّا إذا صلُح لإحلال فِعْل بمعناه محلّه فإنّه يرفع اسما ظاهرا، وهو حكم مطّرد عند النحويّين «في كلّ موضع وقع فيه (أفعلُ) بعد نفي أوشبهه، وكان مرفوعه أجنبيّا مُفَضّلاً على نفسه»[3].

وقد مثّل النحويّون[4] لهذه المسألة بقولهم: «ما رأيتُ رجلاً أَحْسَنَ في عَيْنِهِ الكُحْلُ منهُ في عَيْنِ زيْدٍ»[5]. وهذا البيت من أبيات الألفية التي حظيت باعتناء الشنقيطيّين؛ لصعوبة فهمه لدى الدارسين. من ذلك مثلاً قول محمّد يحيى بن ابّوه اليعقوبي (ت١٣٤٥هـ) :

وإنّما اشْتُرِطَ كَوْنُ الأجنبِي ... مرفوعَ هذا الوصفِ دونَ السّبَبِي

لأنّ رَفْعَهُ لِلأجنبِيِّ ... يُخْرِجُهُ عن وضعِهِ الأصليِّ[6].

وقول محمّد سالم بن أَلُمَّا (ت١٣٨٣هـ) :

ما إن رأيْتَ رجلاً أحسَنَ في ... عَيْنَيْهِ هذا الكُحْلُ من زيدِ الوفِي

لكنْ أتَى النّفيُ فَوُجِّهَ إلى ... قَيْدِ الزّيادةِ الذي قد حَصَلا

يَدُلُّ لولا النفيُ أنّ الرجُلا ... أحسنُ من زيدٍ إذا ما اكتَحَلا

إلى أن قال :

١- أنظام الطّرّة في الفوائد النحوية، ص٩٥، ٩٦.

٢- حكاها سيبويه. يراجع شرح ابن عقيل، ج٣ ص١٦١.

٣- المصدر والصفحة نفسهما.

٤- مثّل «به سيبويه في الكتاب، باب ما يكون من الأسماء صفةً مفردا، وليس بفاعل ولا صفة تشتبه بالفاعل كالحسن وأشباهه». نقلا عن تقريب الطّرّة، ج٢، ص٤٨٢.

٥- تقريب طُرّة ابن بونا، ج٢ ص٤٨٢.

٦- المصدر والصفحة نفسهما.

في هـذه الصورةِ أفْعَلُ يَحِـــــــلّْ مَـحلّهُ الفعْـلُ على ما قـد نُقِــــلْ
إذْ ما رأيْت رجـــــــلاً في عيْــنِه يَحْسُنُ هـذا الكُحْلُ مِثْلَ حُسنِـــــهِ
في عينِ زيدٍ صـــادقٍ بالاِستِــوا إذا خَـلا مـمّا مِـنَ النّفي حَــوَى.
إلى آخر أبياته التي بلغت (١٥ بيتا) [١].

٤- مِن بديع ما يُذكر مِن طرائف الشنقيطيّين تَضمينُ المختار بن الأمين الفاضلي[٢] معنى بيت ابن مالك هذا في بيتين اثنين، ثانيهما بيت ابن مالك محلّ التعليق، بعث بهما إلى مريم بنت بدّي العلوية[٣]، يسألها فيهما كُحْلاً، فقال :

لايَرْفعُ المُريدُ للأشيـــــــاخِ مِـنْ حاجاتِـهِ إلاّ الــــذي منها بطَـنْ
ورَفْعُـــهُ الظاهرَ نَـزْرٌ ومـتَى عاقَبَ فِعْـــــــلاً فَـــكَثِيراً ثَـــــبَتَا [٤].

وقد سَمّى الشنقيطيّو ن هذا البيت ببيت (الكُحل)، اقتباسا من المثال المذكـور[٥].

٥- قال ابن مالك في باب الإبدال :

وافْتَــــحْ ورُدَّ الهمْزَ ياً فيما أُعِـــلْ لامـــاً، وفي مِثْـــلِ هِـرَاوَةٍ جُعِلْ
واواً...

يقصد أنّ اللّفظ الذي تُبدل فيه المَدّة الزّائدة في الواحد همزةً في حالة وقوعها بعد ألف الجمع، كـ(صحيفة وصحائف). والذي إذا وقع ألِفُ مَفاعِل فيه بين حرفيْن لَيّنيْن قُلِب الثّاني منهما همزةً كـ(نَـيِّـفٍ ونَيَائِف)، و(أنّه إذا اعتلّ لامُ أحدِ هذين النوعيْن فإنّه يُخَفّف بإبدال كسرة الهمزة فتحةً، ثمّ إبدالها ياءً، كـ(قضيّة وقضايا)، وحاوية وحوايا.

فَحَوايا مثلا أصلها : حَوَائِيُ بإبدال الواو الواقعة بعد أَلِف الجمع همزةً، ثمّ حَوَاءَيُ، ثمّ حَواءَا، ثمّ حَوايَا. وأمّا إذا كانت اللاّم في المسألة واواً سالمةً في المفرد فإنّ الهمزة لا تُقْلَب ياءً، بل تُقْلَب واواً، كـ(هِرَاوَةٍ وهَرَاوَى)، إذ الأصل : هَرَائِوُ، ثمّ هَرَاءَوُ، ثمّ هَرَاءَا،

١- أنظام الطّرّة في الفوائد النحوية، ص ١٤٦.
٢- لم أقف على تاريخ وفاته.
٣- لم أقف على تاريخ وفاتها.
٤- تاريخ النحو، ص٤٤٥. مع التنبيه إلى أنّ البيت الثاني هو بيت ابن مالك، سالف الذكر، محلّ الحديث.
٥- الألفية وأثرها، ص٣٥.

ثمّ قُلِبت الهمزة وَاواً فصارت (هَرَاوَى)[1].

فبسبب هذه الصعوبة، التي منشؤها كَثرة الإعلال والإبدال في هذه المسألة سمّى الشنقيطيّون هذا البيت باللّهجة الحسّانية (بيْت الدَّبُّوس) ، أي العصا، أو الهِرَاوَة[2].

ومن طرائفهم تضمينُ الشيخ ِعبد الله بن محمودا الحسني البنعمري[3] هذا المعنى أبياتاً يتحدّث فيها عن إحجامه عن الزّواج من سيّدة رغب فيها، بعد ما وصله تهديدٌ بالضرْب من بعض أقاربها إذا ما أقدم على ذلك، حيث يقول :

خوْفُ الهـــَرَاوَى وإنفاذ الوَعيدِ بها ... مِـن آلِ ليـْلى حَمَاني مِن أَلُـمَّ بـــــها

وقـد حَمَاني مِن مَــرْأَى حَواجِبِــها ... مَرْأَى الدّبابِيسِ في أيْدِي حَواجِـبِها

كيْ لا تُعَمَّلَ فِيمَن كان يُـعْمِلُهـــــا ... إعـمالَ تصريفِـها لِلْمـوعــدِيـنَ بها

فالضّرْبُ منهمْ لِمِثْلِي لا يَليقُ بهـــــمُ ... بـل لا يَليــقُ بنا بل لا يَلـــيقُ بـها.

والتهديد من بعض أقاربها هو الواضح من سياق الأبيات، وليس من طلاّبه، كما ذكر الدكتور يحيى بن البراء، والدكتور محمّد المختار بن ابّاه[4].

وقد عُرِف في المحاظر الشنقيطية أنّ طالب العلم «إذا ركب الفرسَ، واكْتَحَل، وأخذ الهِرَاوَةَ، فقد عَرَف النّحو»[5]. لأنّ ذلك يعني تمكّنه من أبواب : التّنازع، وأفعل التفّضيل، والإبدال، حسب ما سلَف توضيحه. وكان أصحاب هذه المتون كلّهم بصريّين، باستثناء أبي عبد الله آجُرُّوم الصنهاجي (ت٧٢٣هـ)، صاحب الآجُرّومية، فكان بصريّا، كوفيّا، مازجا بين مذهبيهما. وعليه كان النّحاة الشناقطة بصريّين، تلقّوا مذهبهم عن طريق هذه المتون، كما أخذوا ما فيها من مفردات المذهب الكوفي، ومسائله. فكان أغلبهم مقلّدا لنحاة المذهب البصري، ملتزما بآراء أصحابه، وتوجّهاتهم، معجبا بها، مدافعا عنها.

وهو ما يفسّر لنا من وجهة نظري اعتناءهم الكبير بالتعليق على هذه المتون، أواختصارها وتلخيصها، أومحاذاتها، أونظمها، مع التسليم بما فيها، والاقتصار عليه،

١- ملخّص من شرح ابن عقيل، ج٤، ص٥٧٥، ٥٧٦.

٢- الألفية وأثرها، ص٣٥.

٣- لم أقف على تاريخ وفاته.

٤- الألفية وتأثيرها، ص٣٥، وتاريخ النحو، ص٤٤٥.

٥- تاريخ النحو، ص٤٤٤.

دون مناقشته والاعتراض عليه، فهم لذلك نصّيون، يرتبطون في الغالب بالنصوص التي يعلّقون عليها، مكتفين بإيضاح مضامينها، وما ترمي إليه. وسنجد تجلّيات هذا التوجُّه باديةً في ظاهرتي (الطُّرَر والتلخيصات) عند القوم في الفصل الثاني من الباب الثاني، بعون الله.

المبحث الثاني : الاجـــتهاد

يتجلّى الاجتهاد عند النّحاة الشناقطة من وجهة نظري في مظهرين اثنين، أوّلهما: الميل إلى استنباط[1] الأحكام، والتحرُّر من قيود التقليد، وعدمُ الارتباطِ والتقيّدِ بمضامين النصوص المُعلَّق عليها، وثانيهما : اجتهاد في المنهج والطريق، متمثّل في ميل الشرّاح إلى الإكثار من المناقشة والتحليل، والاتّساع في الشروح والحواشي، التي تشيع فيها ظواهر الأنظام والأحاجي والألغاز، والاستدراكات، والمناظرات. وفيما يلي عرض بعض النماذج للتدليل على ما ذُكر :

أ- **الميل إلى الاستنباط**، والتحرُّر من التقليد : من ذلك مثلا :

١- مسألة (صَرْف عُمَر)، التي أحدثت ضجّة مُزَلْزِلة بين الأوساط العلمية بالقاهرة، وكان صاحبها فحْلاً من فحول علماء بلاد شنقيط، وسفرائها العلميّين إلى المشرق العربي، هو محمّد محمود بن التّلاميذ التَّـرْكزيّ الشنقيطيّ (ت١٣٢٢هـ). فقد رآه جمعَ (عمرة)، وعليه فهو علَم منقول، ولا داعي لمنعه من الصّرف، وليس بمعدول عن عامر، حسب ما رأى النّحويّون ودرَجوا عليه منذ أيّام نشأة النّحو العربي إلى يوم إثارة المسألة، ورأى أنّ النّحويّين غلطوا في ذلك، وغَفَلوا عنه. وحجّته في المسألة أنّه وجد مائة بيت للعرب، مصروفاً فيها عُمَر، وأنّ العرب لم تمنعه نظما ولا نثرا،وقال في ذلك من ميميته المشهورة :

كما خَرَقوا لِلْعُرْب ذا المنعَ مُفْتَرىً ... عليهم بلا نثرٍ رَوَوْهُ ولا نَظْمِ
ففي سائر الأمثال إثباتُ صرْفِهِ ... وإبطالُ منْع الصّرْفِ والعَدْل بالفَمِ
وقد غفَلوا عن كَونه جمْعَ عمرة ... له الصّرْفُ قبلَ النّقلِ لِلعَلَمِ الاِسمِ

١- هو استخراج الأحكام بوقدة الذهن. يراجع إرشاد الفحول، ص٣٧٠.

فـدعـواهمُ منْـعٌ وعـدْلٌ مقــــدّرٌ   وعـن عـامـرٍ محــضُ التّقَوُّل بالفَـمِ[1].

وصرّح بأسماء بعض أسلافه من النّحاة الكبار، الذين غفلوا عن كوْن (عمر) مصروفا بقوله :

رددت على عمرو ويحـيى وغيرهم   بصرف وعدل لا بكذْبٍ ولا ظـلمِ

مـقالُهمُ بالمنع والعـدل مفـــترىً   على عُمَرٍ ذي الصّرف رغما على رغمِ

مضى عُمَرٌ بالصرف من عـهد نابت   وعـاد وكلّ العرب في الحلّ والحـرم[2].

كما امتدّ عتَبه إلى كبار النّحاة ببلده شنقيط، الذين قلّدوا أسلافهم من نحاة العربية في القول بعدم صرف (عمر)، فعدّد منهم أعلاما كبارا، من أمثال المختار انجُبنان(ت،حوالي١١٦٠هـ)، والمختار بن بونا(ت١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ)، وعبد الودود بن عبد الله (ت١٢٦٨هـ)، وبُلاّ الشقروي (ت١٢٧٣هـ)، واجدود بن اكتَوَشْنِ العلوي (ت١٢٨٩هـ) ... إلخ. فقال :

ولم يشـعر المختار مُـنشـي احمـراره   لنفع عباد الله من بـحـره الطَّـــمِ

ولا شيخُه انجبْنـانُ من كان عنـــده   له فتـح الرحمن في النّحـو والعـلـم

ولا ابنُ ابنـه عبد الودود الذي غـدا   له نحـوه إرثا مباحا بـلا قســـم

ولا شيخُــه بُلاّ ولا ابـنُ حبيـبنا   ولا حُـرمة الرحمن ذوالعلم والفهـم

ولا شيخُنا البحر الخضـمّ جدودنا   ولا شــيخُه ابّوه في العلم والحلـم

ولا غيرُهم مـن كـلّ أروع جهبَـذٍ   عليم بعـلم النّحـو ذي أدب جــمّ

فكنت بحمـــد الله أوّل مُـرشــــد   إليه أقود الناس باللُّجْـم والخَطْـم

فهذا منه رحمه الله استنباط مثير، واجتهاد لافت في مسألة نحوية درج عليها نحاة العربية عبر العصور منذ نشأة النّحو العربي، لذلك أثارت مناظرة ممتعة، سيأتي الحديث عنها بمناسبة أخرى، مفصّلا أكثر ممّا هنا، بعون الله، في الفصل الثاني من الباب الثاني.

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٣٨٣.

٢- الدكتور محمّذن بن أحمد بن المحبوب، النّحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصّص، ص١٠٦، ١٠٧.

٢- كان أحمد بابا التنبكتي (ت١٠٣٦هـ) يقول بوجوب تخصيص الفاعل بإحدى مسوِّغات الابتداء، ويبدو أنّه تحدّث عن ذلك في كُرّاسيْن، ذكرهما صاحب فتح الشّكور[١]، ولم أقف عليهما، وهما :

ـ غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة.

ـ النكت المستجادة في مساواتها في سرّ الإفادة . ولعلّهما عنوانان لتأليف واحد.

وسار المختار بن بونا (١٢٢٠هـ) على مِنواله في المسألة، إذ قال : (... وخُصِّصَ الفاعلُ فهْو مُلْـتَـزَمْ)[٢]. وهذا استنباط من أحمد بابا التيمبكتي، وترجيح من ابن بونا لاستنباط التيمبكتي (فيما يبدو)، استناداً إلى ما هو ثابت عند النّحويّين في باب المبتدأ من كَوْن المحكوم عليه لا يصحّ إلاّ أن يكون معلوماً في الأغلب[٣]. وقد اعترض مَحَنض بابا بن اعبيْد الدّيماني (ت١٢٧٧هـ) على هذا الاستنباط، مُعدِّلاً شَطْرَ ابن بونا، سالف الذّكر، إذ قال : (وخُصِّصَ الفاعلُ وهْو ما الْـتـُزِمْ) [٤].

كما استدرك اجْدُود عبد الوهّاب بن اكْتَوَشْنِ العلوي (ت١٢٨٩هـ) على أحمد بابا بأنّ ذلك ليس بِمُلتزَم، وقال ناظماً :

وقوْلُ مَن يَستـــوْجِبِ التّخْصِيصَا   بِفـــاعِلٍ ليسَ يُرَى مَنصوصَــــا
وإنْ يَـكُـنْ أحمدُ بابا قـــد جَزَمْبـــِهِ   فـــــما تَخْصِيصُـــهُ بِمُلْتَـــــــزَمْ[٥].

وقد تعمّق الحوار في المسألة بين أتباع المذهبين من العلماء والدارسين، من ذلك مثلا ما جرى بين الشيخين : مَحَنضْ بابا بن اعبيد الديماني(ت١٢٧٧هـ)، و(معِـي) محمّد عالي بن سيدي بن سعيد(ت١٣١٠هـ)، حيث يقول الأخير في كتابه (تنبيه الصغار بشرح الاحمرار) [٦] : « التقيت ذات ليلة مع محنض بابا فقال : أنت كأشياخك

١- ص٧٢.

٢- الشّطر الثّاني من ءاخر بيت من احْمِراره على الألفية، في باب الفاعل. يراجع تقريب الطُّرّة، ج١، ص٢٧١.

٣- الدّكتور عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج١، ص٤٤٢ ، ٤٤٣.

٤-النّحو في النّوادي الشّنقيطية، ص١٦٠.

٥-الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٨٢.

٦- تحقيق امبيريكة بنت محمد محمود، للحصول على الإجازة من جامعة انواكشوط سنة ١٩٩١م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٢٤١. وحقّقت منه أبواب عديدة في رسائل تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مثلاً قام أحمد بن محمّد عبد الله بتحقيق بابي الحال والتمييز، في رسالة تخـرّج من المعهد نفسه. السنة الدراسية ١٩٩٣/ ١٩٩٤م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

في إيجاب تخصيص الفاعل؟ فقلت : نعم، قال : ما تقول في قوله تعالى : (قَالُوا بَلَى قدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ..٩ ، الملك)، قلت : لعلّ تقديم المفعول من المُسوّغات، فلم يُسَلِّم، ولم يَعِب. ولمّا كان بعد ثلاث أتاني، فقال : من غير ترجمة [١] :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِســـان طَروبُ   بُعَيْدَ الشـباب عصْـرَ حَانَ مَشِيــبُ.

فلمّا كان بعد ثلاث أُخَر أتيته فقلت لعلّه موصوف تقديراً، أي مَشيبٌ منك» [٢].

٣- اختار الشيخ محمّد اليدالي (ت١١٦٦هـ) جواز تقدُّم معمول المصدر عليه، حيث يقول : «وأمّا قولهم إنّ المصادر لا تعمل عمل الفعل إلاّ إذا تقدّمت، أمّا إذا تأخّرت فتكـفّ عن العمل، فذلك تحكُّم من جمهور النحويّين غير مَرْضيّ في التعليل»[٣].

٤- ميّز عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاّوي (ت١٢٠٩هـ) في منظومته المسمّاة الرّبّاني[٤] الاسمَ ببعض المُمَيّـزات التي لم تكن متداولة بين النّحويين، إذ قال : (فَـميِّزِ الاسـمَ بِـحِسٍّ ولـــعلْ ...)[٥]. وقال في الشرح : « فميّزِ الاسمَ بحسّ، أي ما يُدرك بإحدى الحواسّ الخمس.. ويُعرف الاسم ب(لعَلّ)، وبها يُعرف اسمية جلّ الضمائر، نحو : لعلّنا ولعلّهم..»[٦].

ممّا يدلّ على تحرّر فكره من حيّز التقليد، وميله إلى الاجتهاد والاستنباط. والجديد في حديثه عن (لعلّ) هو الاستعانة بها على تمييز اسمية جلّ الضمائر، أمّا كونها من حروف الجرّ فمذكور عند القدماء، وأنّ الجرّ بها لغة عُـقَـيْل[٧]. هذا إذا لم يكن مسبوقاً بذلك من غيره من النّحويّين، ولم نقف عليه.

١- مطلع بائية الشاعر الجاهلي علقمة الفحل، أحد أصحاب الطبقة الأولى. يراجع الموسوعة العالمية للشعر العربي، على الشبكة المعلوماتية.

٢ ـ النحو في النوادي الشنقيطية، ص١٦٠.

٣- المصدر نفسه، ص١٥٩.

٤- توجد منه نسختان في مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠٤، ١١٥، وثالثة على (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم٤٧٦. مع شرحه.

٥- المخطوطة، ص٢.

٦- المصدر والصفحة نفسها.

٧ -شرح ابن عقيل، ج١، ص٣٤٢.

٥- من ملامح الاجتهاد عند شيخ النّحاة الشناقطة المختار بن بونا (ت١٢٢٠هـ)، قوله [١] :

وشادِنٍ رَمَى الحَشَى طَرْفُـــــــــهُ بِـــفاتِـــرٍ أضعَفَ مِن حُجَّـــــتِي.

حيث «جعل قوله (حُجَّــــتِي) مرادفا لقولهم (حُجّة نحويّ). ونظير هذا قول العلاّمة الصبّان إنّ الإضافة في قول ابن مالك [٢] : كلامنا لفظٌ ... إلخ، إشارة إلى أنّه من مجتهدي النّحاة» [٣].

٦- للنّحاة رأيان في لفظ (الأجْدَل لِ«لصّقْر»)، من حيث الصرف والمنع، فأغلبهم يراه مصروفا؛ لأنّه ليس بصفة حقيقية، فحقّه أن لا يمنع من الصرف، ومنعه بعضهم من الصرف لِتخيُّل الوصف، المتمثّل في معنى القوّة، المنضاف إلى وزن الفعل[٤]. فاستنتج الشيخ محمّد فال أبّاه بن عبد الله (وهو أحد النّحاة الشناقطة المعاصريين (ما يزال حيّا): «أنّ الأجدل يمكن كونه من الجَدْل بمعنى إحكام الفَتْل، فيكون وصفا حقيقيا»[٥].

وفعلا جاء في لسان العرب «الجَدْل : شدّة الفَتْل، وجَدَلْت الحَبْل أجْدِله جَدْلا إذا شددت فَتْلَه، وفَتَلْته فَتْلا مُحْكَما. ومنه قيل لزمام الناقة : الجديل»[٦].

وهذا منه اسنباط لعلّة حقيقية مانعة من الصرف، مؤيّد لرأي المانعين، وهم الأقلّ.

ب-**اجتهاد في المنهج والطريق** : متمثّل في ميل العلماء إلى الإكثار من نظْم المناقشات والتحاليل المعمّقة للمسائل والتفريعات، والاتّساع في الشروح والحواشي، التي تشيع فيها ظواهر الأحاجي والألغاز، والاستدراكات، والمناظرات. وسيأتي الحديث عن هذه الظواهر مفصّلا بعون الله في الفصل الثاني، من الباب الثاني. وقد مثّل هذا الاتّجاهَ أحسن تمثيل شيخُ نحاة الشناقطة المختار بن بونا(ت١٢٢٠هـ)، والنابهون من تلاميذه من بعده.

١-النحو في النوادي الشنقيطية، ص١٦٢.

٢- البيت الأوّل من باب الكلام وما يتألّف منه، في الخلاصة.

٣- بحث النحو في النوادي الشنقيطية، ص١٦٢.

٤- شرح ابن عقيل، ج٣، ص٣٠٧.

٥- بحث النحو في النوادي الشنقيطية، ص١٦٢.

٦- مادّة (جدل).

فبعد أن تجاوز النحاة الشناقطة مرحلة التقليد والمحاكاة مالوا إلى لوْن من ألوان الاجتهاد في المنهج والطريق حسب رأيي، متمثّل في تتبّعِهم واستقرائهم للمسائل والأحكام في المتون النّحوية، وشروحها، بنَظْم الفوائد والتوضيحات، والاستدراكات، والتحاليل والمناقشات المعمّقة، ممّا نتج عنه فيض غزير من هذا اللّوْن. وفيما يلي عرض أمثلة تفيد ما ذُكر :

١- محمّد سالم بن المختار « أَلُـمَّا » (ت١٣٨٣هـ)[1] له مجموعة أنظام نحوية ولغوية[2]. منها مثلا :

ـ نظمه أوجُه إعراب (كلتا) :

أَعْرِبْ إذا أُضِيـــفَ لِلضـــــمِيرِ	كِـلتا بالأَحــــــرُف على الشّـــهِيرِ
أَعْــرِبْ بِشَكْلٍ فوْقَ ذاكَ الألِــفِ	مُـقَــــدَّراً مَهْما لِغـــــيْرِ تُضِــــفِ
ومطلـقاّ بِذِي الحـــروفِ أعْــرِبَا	فيها إلى كِنــانةٍ قـــــــد نُســـِبَا
ومطــلـقا بالحركات تُـعـــــــرَبُ	فيها إلى لـغـــــــةٍ أخْرَى تُنسَــبُ[3].

٢- محمّدن بن محمّد(مَيْمِّيهْ) بن المحبوب(ت١٣٩٩هـ)[4] له مجموعة أنظام نحوية ولغوية[5]. والناظم رحمه الله يمتاز في هذه المجموعة النظمية بأمانة علمية تامّة، حيث نجده في الغالب ينظم ما هو مُرْتسم في مصادر نظمه حرفياً، مع التصريح بها في الغالب، وهو شيء نادر عند ذوي الأنظام.

ـ منها مثلا قوله في اختلاف النحويين في جازم الفعل عند التّعَرِّي من أداة الجزم :

واجْـزِمْ بِشرْطٍ قُدِّرَ الجــوابُ مِــنْ	نـحْـوِ اسْتَقِمْ تَكُنْ بِجَنَّةٍ قَـمِــــنْ
وقِيلَ بالُمــجابِ ذا مِــن بعْـــدِما	ضُمِّنَ مــعْنَى حرْفِ شَرْطٍ جَــزَمَا

١- مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرية الموريتانية، ص٢٠٨، وأنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ٢٨٦، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص٢١٠.

٢- تحقيق هذه المجموعة النظمية، لسيدي بن أتّاه، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م. مُودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقمي ٢٦/ ٤٦. ص٣١، فما بعدها.

٣- ص٣١، من تحقيق المجموعة.

٤- أنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٨٨.

٥- تحقيق محمّد بن أبّوه، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٧٣. ص٣٢ـ٣٩.

وقِيلَ لا بـــلْ ذا المُجــــــابُ نَابَاَ   عنْــهُ لِذاكَ جـــزَمَ الجَـــــوابـاَ

وقِيـلَ بلْ بِـلامِ أَمْــــــــرِ قُــدّراَ   جُـــــزِمَ والمَشْهورُ ما قد صُــــدِّرَا

فهذا نظم لما جاء في حاشية الصّبّان على الأشموني، إذ قال فيه : «فقيل إنّ لفظ الطّلب ضُمِّن معنى حرف الشرط فجزم... وقيل إنّ الأمر والنهي وباقيها نابت عن الشرط، أي حذف جملة الشرط وأُنِيبت هذه في العمل منابها فجزمت.. إلخ»[1].

٣- المختار بن المحبوب اليدالي (ت١٣٩٢هـ)[2] له مجموعة أنظام نحوية[3]، عدد أبياتها (١٠٧) أبيات، موزّعة على (١٦) وحدة مستقلّة . وهو في هذه المجموعة كثير الإسناد إلى مصادر أنظامه، ممّا أكسبه أمانة علمية جديرة بالتقدير.

ـ منها مثلاً قوله في جمع (نَهَار) :

ولِلنَّهَــــــــارِ كـــان جَمْـــعاً أَنْهُرُ   في قِـلَّـةٍ ولِلْـــــــــــكَثيرِ نُـهُــــرُ

ومـــا لَــهُ جَمْــعٌ بها قــدِ اطّـــــرَدْ   (في اسْمِ مُــــذَكَّرٍ رُباعِيٍّ بِمَـــدْ)[4]

يقصد الناظم من البيتين أنّ (نَهاراً) إذا جُمِع فإنّه يُجمَع جَمْع قلَّةٍ على (أَنْهُر، أي أَفْعُل)، وجَمْع كَثْرَة على (نُهُر، أي فُعُل)، ولا يُجمَع الجَمعَ المُطّرِد لكُلّ اسم مُذكّر رُباعيّ بِمَدٍّ كَقَذَالٍ وأَقْذِلَةٍ على وزن(فَعالٍ وأَفْعِلَةٍ)، وأتى بشطر ابن مالك ليستدلّ به على مُراده[5].

٤- مجموعة أنظام نحوية ولغوية. لعلماء شنقيطيين[6]، وهي مجموعة كبيرة، تبلغ أبياتها حوالي (ستّمائة٦٠٠ بيت تقريبا)، مرتَّبَة حسب أبواب ألفية ابن مالك، مُـتَـتَـبِّـعَـة إيّاها، إمّا بالتوضيح أو الاستدراك، أو التصويب. منها مثلا قول المختار بن بونا الجكنِي(ت١٢٢٠هـ)، في أحكام الجُمَل :

١- مصدر سابق، ج٣، ص٢٣٢.

٢- الألفية وتأثيرها، ص١١٠.

٣- مخطوطة. مودَعة بقسم المخطوطات بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٣. ص٢، فما بعدها.

٤- الشطر الأوّل من البيت رقم ٧، من باب جمع التكسير في الخلاصة.

٥- شرح ابن عقيل، ج٤، ص٤٦٨.

٦- مخطوطة، مودَعة بقسم المخطوطات بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٤. ص١، فما بعدها.

صَلَّى وسلَّمَ على خيرِ الرُّسُـــــــلْ	ثمَّ من َالْمُهِمِّ أحكــامُ الجُمَـــــلْ
ذاتُ ابْتِداَ أوِ اعْتِراضٍ اوْ صِــــلَهْ	لـيسَ لها مَحَــلٌّ اوْ مُفَصِّــــلَهْ
كذَا جوابُ الشرطِ إنْ لمْ يَجْــــزِمِ	ولمْ يَكُــنْ مَعَ كَفا أَوْ قَسَــــمِ
مـا أَتْبَعَتْ كــذَا لِجُمْلَةِ الْخَــــبَرْ	والحــالِ والنَّعْـتِ مَحَلٌّ اسْتَقَـرْ
وما بِفَا جَزَتْ كــــإِنْ أَوْ حُكِيَتْ	أوما لَهُ أُضِيفَ أوْ مــا اتَّبَعَــتْ

...إلخ.

يقصد أنّ الجُمَل التي لا محلّ لها من الإعراب سبعة، وهي : الابتدائية، والمُعترضة، وجملة صلة الموصول، والتّفسيرية، وجملة جواب القسم، وجملة جواب الشرط، غير الجازم مطلقا، أو الجازم ولم تقترن بالفاء، ولا ب(إذا) الفجائية، والتّابعة لِما لا محلّ له من الإعراب. والجُمَل التي لها مَحَلّ من الأعراب سبعة أيضا، وهي : الجملة الواقعة خبرا، والواقعة حالا، والواقعة مفعولا، والمضاف إليها، والواقعة بعد (الفاء أو إذا) جوابا لشرط جازم، والتابعة لمفرد، والتابعة لجملة لها محلّ من الإعراب، و«أنّ الجملة تكون اسمية وفعلية وظرفية، وأنّها تكون كُبرى : وهي الاسمية التي خبرها جملة، نحو : خالد جاء أبوه، وعمرٌو أبوه مسافر، وصُغرى : وهي المبنية على البتدأ، كالجملة المخبر بها في المثالين»[1].

فهذا النشاط من وجهة نظري يمثّل لوْنا من ألوان الترف الفكري، المتجسّد في التعمّق والتحليل والاستيعاب لمسائل النّحو وقضاياه المتشعّبة، لكن على طريقة الشناقطة، بنظْم المسائل، والقضايا العلمية المهمّة عندهم.

ج ـ اجتهاد متمثّل في الاتّساع في الشروح والحواشي : الغرض من هذا العنوان هنا هو الإشارة فقط إلى الجانب الاجتهادي في المنهج، أمّا الحديث عن الاتّساع في الشروح والحواشي، الذي يمثّل مظهرا من مظاهر ازدهار النّحو ببلاد شنقيط فسيأتي الحديث عنه مفصّلا بعون الله تعالى في الفصل الأوّل من الباب الثاني. لذلك سأقتصر على إيراد جزء من مقدّمة كتاب (المواهب النّحوية على الخلاصة والألفاظ البونية) لسيدي محمّد بن أحمد بن حَبَت القلاّوي (ت١٢٨٨هـ)، العالم الجليل[2]. وهو موسوعة في أربعة

١- مغني اللّبيب، ص٣٦٣، فما بعدها.

٢- حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٥٧، وتاريخ النّحو، ص٥٤٠. وهذه الموسوعة مخطوطة في أربعة أجزاء كبيرة. توجد أجزاؤها الثلاثة الأولى بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ٢٨٤٧، ٢٨٤٨، ٣٥٣٠، على التّوالي. كما توجد كاملة على (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقمي ١٧، ١٣٤.

أجزاء كبيرة. يقول فيها، محدّدا دواعي تأليفه إيّاها، مشيرا إلى ما أودع فيها من دُرَر أئمّة الفنّ، وفوائدهم الجمّة :

«ثمّ إنّه لمّا كانت تلك الكتابات ممزوجة بالخلاصة امتزاج الماء بالراح، وامتزاج الأجسام ذوات النفوس بالأرواح، شرعت في الشرح لجميع ما هنالك والإيضاح، ضامّا إلى ذلك من الفوائد ما ينشرح له الصدر أيّ انشراح، ناقلا عليه من كلام الأئمّة ما يتبيّن به المرام، وينكشف عن وجوه خرائد مخدّراته اللّثام، ويروي كلّ غليل نحو ذلك المشرب وظامٍ»[1].

وحدّد مصادر هذه المدوّنة الشاملة قائلا : «إنّني اعتمدت في النقل على التسهيل، وعلى ثلاثة من شروحه، وهي الدماميني، والمساعد، ونتائج التحصيل، وعلى الأشموني، وعلى محشيه الصبّان، وربّما نقلت من حاشية الشُّـمُـنِّي، والرّصّاع، وعلى النُّـكَت للسيوطي، والأشباه والنظائر له أيضا، والارتشاف لأبي حيّان، وشرح الكافية للمؤلّف. فما اعتمدت عليه في النقل هذه الكتب، وربّما نقلت عن غيرها ك(العينيّ)، وخزانة الأدب، والحماسة، والقاموس، والجوهري، وغير ذلك»[2].

فهذا الفيض الغزير من أمّهات مصادر النّحو واللّغة يعبّر بجلاء عن قيمة هذه المدوّنة. وقد اعتنى المؤلّف في هذه الموسوعة النّحوية بدراسة الشواهد الشعرية، مستقصياً وجوه رواياتها المتعدّدة، شارحا ما استغلق من لغتها، رابطا بين الشاهد وسابقه، أولاحقه، أو هما معا[3].

وممّا يعبّر عن قيمة هذه الموسوعة المعرفية، وشمولها لقضايا النّحو واللّغة والأدب قول حفيد مؤلّفها : الشيخ محمد بن حبت القلاوي (ت١٢٩٩هـ) في مقدّمة اختصاره إيّاها : «إنّ تصنيف الوالد رحمه الله تعالى المسمّى ب(المواهب النّحوية على الخلاصة والكتابات البونية)، لا شكّ أنّه في التصانيف غرّة الزمان، في غاية الحسن عند من تداوله من الإخوان، لم يأت مصنّف ممّن سبقه بمثاله، ولم ينسج على منواله... لكنّه في هذا الفنّ من الكتب الطوال، باستجلاب الشوارد، وكثرة العزو للرجال، وبالغوص في مفاوز

١- مقدّمة هذه الموسوعة.

٢- المصدر والصفحة نفسهما.

٣- تاريخ النحو العربي، ص٥٠٢.

مسائل الفنّ لتبيان غوامضها والمشكلات، وربّما طمح به لسان القلم إلى سائر علوم الأدب لأمر اقتضى ذلك في بعض النفحات، فكان ملجأ وموئلا للجلّة أولي الانتباه»[1].

وستكون لي وقفة مع هذين التأليفين الفذّين (موسوعة الوالد، واختصار الحفيد) في الفصل الأوّل من الباب الثاني، بإذن الله تعالى.

١- يوجد هذا الاختصار بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٩٦٦، وبمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقمي ٣٥٩٠، ٨٢١٨، وبمكتبة أهل سيدي عثمان بولاتة تحت رقم ٥٠، وعلى (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٨٩، وبكتبة أهل حدّي بتشيت. تراجع مقدّمة الاختصار.

البـاب الثاني

حركة التأليف النحويّ ببلاد شنقيط

الفصل الأوّل : النّحاة واللّغويّون

الفصل الثانـي : المباحث والقضايا

تمهيـــــد

عُرِف الشناقطة بوَلَعِهم الشديد بعلم النّحو العربي، وكثرة اهتمامهم به، وانشغالهم بالبحث فيه، والتنقيب عن مسائله وقضاياه. كان محمد النابغة القلاّوي(ت١٢٤٥هـ) في نظمه المسمّى (بوطليحية[1]) ينكر كثيراً على من يتصدّى للفتوى، وهو ليس من أهل النّحو، حيث يقول :

وبعـضهم يفتي وهـو جاهـلُ — إعراب بسم الله عنه ذاهـلُ
فليس من أهـل اللّسان الـعربِ — وفي الأصـول مـالـه من أربِ
فمثل هـذا لا يكـون مُرشـدا — لجهله النحوَ ومـمّا أُنشِـدا
عـليك بالنّحو فـإن النّحـوا — لـحنُ الخطاب مـلْكُهُ والفَحْـوى
وكلـمـة ابـن مـالكٍ كـافيَـهْ — إذْ قـال في بيْتـيْن في الكافـيَـهْ [2]
وبعْدُ فالنّحوُ صلاحُ الألسِنَـهْ — والنّفْسُ إن تَعْـدَمْ سَناهُ في سِنَـهْ
بـهِ انكِشافُ حُجُـبِ المـعانِي — وجَـلْوَةُ المَـفْهـوم ذَا إذْعـانِ.

ويقول الشيخ محمّدّو بن حنبل الحسني(ت١٣٠٠هـ) في الحضّ على تعلُّم عِلْم الإعراب، وأنّ مَن يجهله مثل الغُراب :

كُـلُّ فتىً شَـبَّ بلا إعـرابِ — فـهْو عـندِي مـثلُ الغُـرابِ
وإن رأيتَهُ لِخُـودٍ عـاشـقا — فـقل لـها اتّقِي الغُـرابَ النّاعِقَا
وإن مرَرْتَ بعَـروبٍ تستبِـي — تنازِعُ الحـديثَ غيرَ المُـعْـرِبِ
فقل رأيتُ العجبَ العُـجابَا — هـذا غَـزالٌ غـازَلَ الغُـرَابا
ما لِلـغُرابِ وشَذَى الحِسـانِ — شانُ الغُـرابِ جِيَفُ الْغِرْبـانِ
حَـلْيُ الفتى إعـرابُهُ لا مـالُـهُ — ولا تِـجـارُهُ ولا جـمـالُـهُ.

فالذي يجهل علم الإعراب هو عنده كالغِرْبان، التي لاشأن لها بغير الجِيَف. ويقول محمّذن فال بن متّالِي التندغي (ت١٢٨٧هـ) :

١- نظْم بو طليحية على ما اعتُمِد من الكتب والأقوال، تحقيق وشرح الدكتور يحيى بن البراء. مودَع بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١١٧. ص١٢٦، فما بعدها.

٢- هما بيتان من مقدّمة كتابه : الكافية الشّافية. يراجع شرح الكافية الشافية للمؤلّف، ج١، ص٤٤٣.

تعَلّـــُمَ اللّغـةِ شرعــــاً فضّــِلِ   على التّخَـــــلِّي لِعبـادة العَلي
يُؤْخَــــــــــذُ ذا مِنْ قولِهِ وعـــلَّمَا   آدمَ الاَسمـاءَ الـزَمِ التَّعـــلُّمَا[1].

وقد ذكر الدكتور محمد المختار بن اباه أنّ المؤلّفات النّحوية ببلاد شنقيط لم تظهر إلاّ في عهد العالمَيْن : الطالب محمّد بن المختار بن الأعمش (ت١١٠٧هـ) بكتابه : (المِنَن العديدة في إيضاح مسائل الفريدة للسيوطي)، والمختارانْجُبْنانْ بن محمّذن بن الحَيْبَلِّي المتوفَّي حوالي(ت١١٦٠هـ)[2] بكتابه : شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل[3].

فقال : «من أوائل النّحاة في أقطار شنقيط : تحدّث المؤرّخون عن الفقيه المختار النّحوي بن الفقيه اندغ محمد الولاتي (ت٩٢٢هـ)، كما ذكروا محمد بابا بن محمّد الأمين بن حبيب الله (ت١٠١٤هـ)، ولكن لم تظهر المؤلّفات إلّا في عهد ابن الأعمش وانجبنان..»[4].

وقد ذكرت سابقا في (الفصل الأوّل من الباب الأوّل) المختارَ النحويَّ في معرض الحديث عن جهود علماء النّحو في القرن التاسع الهجري ببلاد شنقيط، كما ذكرت محمّد بابا (ت١٠١٤هـ) ضمن النّحويين المؤلّفين في القرن العاشر الهجري بالبلاد، وسيأتي ذكرهما في المبحث الموالي ضمن أربعة من علماء المنطقة الشرقية، هم أوّل مَن ألّف في النّحو العربيّ ببلاد شنقيط.

وفيما يلي بعض تحقيق تحتاجه هذه المسألة، حيث أرى أنّ أوّل مَن ألّف في النّحو ببلاد شنقيط هم أربعة علماء بالمنطقة الشرقية، وليس الغربية، مؤلّفاتهم النّحوية اطّلع على جلّ المفقود منها بعضُ المؤرّخين، ووصفوها ببعض الأوصاف التي تفيد وقوفهم عليها. وهم : عبد الله الملقّب اندعبد الله بن سيدي أحمد المحجوبي الولاتي(ت١٠٣٧هـ)، ومحمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن الفقيه المختار التيمبكتي (ت١٠١٤هـ)، وأحمد بابا التيمبكتي (ت١٠٣٦هـ) [5]، وسيدي أحمد بن اندغ محمد بن أحمد التيمبكتي(ت١٠٤٥هـ). سيأتي الحديث قريبا عن تآليفهم.

١- الأزهار الشّذِية، مرجع سابق، ص٣ من أدب المحظرة. لم أقف على اسم صاحب هذه الأبيات.

٢- أُسُّ الإسلام، ص٢٩.

٣- ورد ذكره في تاريخ النّحو، ص٤٥٠ ، ٤٥١.

٤- تاريخ النحو، ص٤٤٩.

٥- هذه التآليف مثلا في فتح الشكور، ص ٧٢، فما بعدها.

وعليه فمحاولة الدكتور التأريخ لبدايات التأليف في علم النّحو ببلاد شنقيط غير دقيقة، حيث يقول : «وفي أواسط القرن الحادي عشر ألّفت أوائل الكتب النّحوية في هذا القطر، مثل شرح فريدة السيوطي للطالب محمد بن الأعمش العلوي... وفي هذا العهد يظهر كتاب... شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل، للعالم المختار المعروف بانجُبْنانْ»[1].

كما أنّ جعْله تأليف هذين الكتابين في أواسط القرن الحادي عشر هو شيء غير دقيق أيضا؛ لأنّ ابن الأعمش متوفّى سنة (١١٠٧هـ)، وانجُبْنانْ حوالي[2] (١١٦٠هـ). فالثاني عاش نصف قرن بعد وفاة الأوّل.

وإن سلّمنا جدلا باحتمال تأليف ابن الأعمش كتابه هذا قبل وفاته بنصف قرن، فمِن غير الممكن أن نّسلِّم بكَوْن انجُبْنان ألّف كتابه المذكور(شافي الغليل) في هذا التاريخ (أواسط القرن الحادي عشر)؛ لأنّه سيكون بيْن وفاته وتاريخ تأليف الكتاب حوالي قرْن من الزّمن.

وقد ترك لنا العلماء النّحاة ببلاد شنقيط تراثا نحويا غزيرا، متنوّعا، يدلّ دلالة قاطعة على قوّة إسهام الشناقطة في استمرار ازدهار الدراسات النّحوية. وهذا الباب هو صُلب هذه الدراسة وهيكلها؛ لذلك كثرت مباحثه، واتّسعت مسائله، وقضاياه.

الفصل الأوّل : النّحاة واللّغــــــويّــون

خطا النّحو العربي ببلاد شنقيط خطوات عدّة، من النّشأة، إلى النّضج والاكتمال، إلى الازدهار والاتّساع، وصولاً إلى مرحلة المراجعة والتحقيق. فهذه المحطّات الأربع هي موضوع هذا الفصل. وسأقوم في كلّ طور منها بعرض نماذج من تآليف أبرز النّحاة الشناقطة، للوقوف على القيمة العلمية لها، ثمّ أسرد قوائم بأسماء بقية المؤلّفين وتآليفهم النحوية (باستثناء الطور الرابع) دون تحليلها، اكتفاءً بتحليل تلك النماذج؛ وذلك لأنّ الوقوف على حجم الإنتاج النحويّ ببلاد شنقيط غرض أساسٌ في هذه الأطروحة.

١- كتابه : تاريخ النحو، ص٤٥٠،٤٤٩.

٢- أُسّرُ الإسلام، ص٢٩.

المبحث الأوّل : مرحلة البدايات والنّشأة
(من القرن الخامس إلى نهاية القرن العاشر الهجريّ)

أ- كانت بدايات النّشأة فيما أرى على أيدي المعلّمين الأوائل لبلاد شنقيط، القادمين من المغرب، من أمثال :

- عبد الله بن ياسين (ت٤٥٠أو٤٥١هـ)[١]، الذي سلف ذكر أنّه قدم إلى صحراء شنقيط سنة (٤٣٠هـ) بصحبة الأمير الصنهاجي يحيي بن إبراهيم الكَدالي (ت٤٤٧هـ)، وفور وصوله قام بتكوين رباط نهض بأدوار التعليم والإصلاح والتربية والجهاد حتّى استشهد في إحدى[٢] الملاحم الجهادية.
- الإمام الحضرميّ أبي بكر محمد بن الحسن(ت٤٨٩هـ)، صاحب كتاب(الإشارة في تدبير الإمارة) ،الذي قدم صحراء شنقيط صحبة الأمير أبي بكر بن عمراللّمتوني(ت٤٦٨هـ) أثناء عودته الأخيرة سنة٤٦٥هـ من منتصف الطريق بين مرّاكش وأغمات إلى الصحراء [٣]. وهو معلّم الدولة المرابطية ببلاد شنقيط، وقاضيها ومتكلّمها الثاني بعد ابن ياسين.
- إبراهيم الأمويّ (ت٥٠٠هـ)، الذي اصطحبه الأمير اللّمتوني أبوبكر بن عمر، صحبة الإمام الحضرميّ أثناء مروره سالف الذكر ب(أغْمات وأريكة) [٤]، فكان قاضيا، معلّما في مجلس الأمير.

وعليه أرى أنّه من الممكن التّـأريخ لاِنطلاق النشاط النّحوي في صحراء شنقيط، وتحديد مساره بشكل فعلي، بالرباط الذي أسّسه عبد الله بن ياسين بعد قدومه إلى البلاد سنة ٤٣٠هـ، إذ كانت حلقاته العلمية والإفتائية نواة حيّة في تاريخ نشأة المحظرة الشنقيطية، ثمّ بقدوم المعلّمين الآخَرَين : الحضرمي والأموي. ثمّ أخذت المحاظر بعد هؤلاء في التكوّن والانتشار السريع في الحواضر والبوادي على السواء. ثمّ شهدت فترة

١- تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص٢١٥، ٢١٧، والأعلام، ج٤، ص١٤٤.

٢- هي ملحمة برغواطة في المغرب، وذلك سنة (٤٥٠ أو٤٥١هـ.)، وقبره جنوب الرباط. يراجع تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص٢١٧، الأعلام، ج٤، ص١٤٤.

٣- التاريخ السياسي، ص٥١.

٤- المنارة والرباط، ص٦٥.

سيطرة بني حسّان على الصحراء الشنقيطية في القرن الثامن الهجري ازدهارا ملحوظا في الثقافة والفكر[1]. فمن الممكن جدّا أن يكون النّحو ضمن هذا النشاط المعرفي، باعتباره الآلة المعتبرة لدى المسلمين، المؤدّية لفهم الكتاب والسنّة، التي لا تنفكّ عن نشاطهم الفكريّ، المعرفيّ.

ب-الطّوْر الذي كانت المحظرة الشنقيطية فيه تستند في تعلُّم النّحو، وتعليمه، استنادا واضحا إلى إنتاج النّحويين في المغرب والأندلس، ثمّ المشرق، حيث توجّه الدارسون في المحظرة إلى دراسة هذا الإنتاج وهضمه وتدريسه من المؤلّفات النّحوية الوافدة من هذه الأقطار، أبرزها مثلا متن الآجُرُّومِيَة لابن آجرّوم الصنهاجي(ت٧٢٣هـ)، وملحة الإعراب للحريري البصري(ت٥١٦هـ)، وكافية ابن مالك(ت٧٦٩هـ)، وتسهيله، وألفيته في النّحو، ولاميته في التصريف، ثمّ ألفية السيوطي(ت٩١٥هـ)، ومُغني اللّبيب، وقطر النّدَى لابن هشام(ت٧٦١هـ)، والبسْط والتعريف بما جهل من التصريف : (منظومة عبد الرحمن المكّودي في التصريف ت٨٠٧هـ»)، وشرح المكّودي على ألفية ابن مالك.

والكتابان الأخيران قدِم بهما محمّد سعيد بن تكدّي اليدالي[2] من (تافلالتْ) بالمغرب، وهو من علماء القرن العاشر الهجري. ففي هذه المرحلة اقتصر الدارسون والمعلّمون إلى حدّ كبير على فهم هذه المتون واستيعابها أثناء العملية التدريسية، مع شيء من التفاوت البيّن في الاهتمام بها، إذ حظِيَ مَتْنا الملحة والآجُرّومية بالاهتمام الأوّل لدى الدارسين المبتدئين، ثمّ ألفية ابن مالك، ولاميته عند المختصّين، دون منافسة من أيّ متْن آخر لهما إلى يومنا هذا، ثمّ جاءت بقية المتون والشروح الأخرى في سُلّم الاهتمام، مع شيء من التفاوت بينها أيضا لدَى القوم.

وقد بدأ نشاط التأليف في النّحو ــ كما أشير سالفاً ــ على أيدي أربعة من علماء القرن العاشر الهجري، كلّهم من المنطقة الشرقية (ولاتة، تيمبكتو)، هم :

١- عبد الله الملقّب اند عبد الله بن سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله، الفقيه النحوي، المحجوبي الولاتي(ت١٠٣٧هـ)، وهو جدّ لسلسلة من الأحفاد العلماء، وبيته من

١- التاريخ السياسي، ص٨٢، ٨٣.

٢- لم أقف على تحديد تاريخ وفاته فيما اطّلعت عليه من المصادر، سوى أنّه عاش في القرن العاشر الهجري.

أبرز بيوت العلم بولاتة. وأوّل من ألّف في النّحو ببلاد شنقيط، إذ أنّـه «كان حيّا عام سبعة وثلاثين وتسعمائة(٩٣٧هـ)، فهو من المعمّرين»[١].

فعمره لهذا يزيد على قرن من الزمان ،وقد عاش في الثلث الأوّل من القرن العاشر، ممّا يجعلنا (حسب ما بأيدينا من المصادر) نقطع بكونه أوّل مؤلِّف نحويّ في القطر الشنقيطي لقدم مولده، وإن شاركه بعض المؤلّفين النحويين في تاريخ الوفاة[٢]، إذ ألّف شرحاً على متن الآجُرّومية، قال عنه صاحب فتح الشكور: «وكان فقيها نحويا، شرح الآجُرّومية شرحا حسنا مختصرا»[٣].

وهو إلى حدّ الآن مفقود، غير أنّ وصفه بالحسن يوحي بوجوده في فترة ما، والاطّلاع عليه. وعليه فلا مطعن على وجوده بسبب فَقْده؛ لأنّ ما هو مفقود اليوم من التراث النحوي ببلاد شنقيط أكثر ممّا هو موجود، ولا يمكن التشكيك فيه بسبب ذلك.

٢- محمد بابا بن محمد الأمين[٤] بن حبيب بن الفقيه المختار التيمبكتي (ت١٠١٤هـ).
يقول صاحب فتح الشكور: «له من التآليف عدّة : شرح رحمه الله تعالى ألفية السيوطي في النّحو شرحا غريبا مفيدا، سمّاه ب(المنح الحميدة في شرح الفريدة)»[٥].
وفي المعهد الموريتاني للبحث العلمي يوجد مخطوط بهذا العنوان نفسه منسوب لأحمد بابا التيمبكتي(ت١٠٣٦هـ)، مسجّل على (الميكروفلم، رقم٥٦). والراجح فيما يبدو أن يكون لمحمد بابا، وليس لأحمد بابا، وذلك لتسجيله باسم الأوّل في العديد من المكتبات العالمية[٦]؛ ولأنّ صاحب فتح الشكور ذكره في تآليف محمّد بابا، ولم يذكره في تآليف أحمد بابا [٧]. وهو متوافر الآن في بعض المكتبات الوطنية والعالمية، كما ذُكر.

١- فتح الشكور، ص٢٨٣.

٢- مثل محمد بابا بن محمد الأمين التيمبكتي ت ١٠١٤هـ، وأحمد بابا التيمبكتي ت ١٠٣٦هـ.

٣-المصدر والصفحة نفسها.

٤- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في فتح الشكور، ص١٩٦، ١٩٨.

٥- فتح الشكور، ص ١٩٨.

٦- توجد له نسخ مخطوطة، واحدة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٤٧٦، وثانية بالخزانة العمرية بباريس تحت رقم ١٦٠ - ١، ٥٤٦٧، وثالثة بمكتبة أهل حبت بشنقيط تحت رقم ٤٨٨، ورابعة بمكتبة أهل الكتاب تحت رقم ٣٣. عن محقّق فتح الشكور، ص١٩٨، الحاشية ١. نقلا عن ولد محمد يحيى، الفهرست، ص ٢٠٥، ٣٥٢.

٧- فتح الشكور، ص ١٩٨.

٣- أحمد بابا التيمبكتي الفقيه بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن أُقَيْت بن عمر الصنهاجي(ت١٠٣٦هـ)، علاّمة عصره في فنون الثقافة العربية الإسلامية، نقله السعديون سنة ١٠٠٢هـ إلى مرّاكش لعدم اعترافه بسيطرتهم على تيمبكتو، وأفرج عنه سنة ١٠٠٤هـ، فجلس للتدريس حوالي إحدى عشرة سنة بجامع الشرفاء بمرّاكش، وأقبل عليه العلماء، وطلبة العلم ينهلون من علمه الثرّ[١]. ترك من التآليف النّحوية :

أ - الفتوح القيّومية في شرح الآجُرّومية[٢].

ب- النكت الوافية بشرح الألفية. لم يكمل.

ج - النكت الزكية. لم يكمل.

د - تعليق على أوائل الألفية.

هـ- غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة (كُرّاس).

و - النكت المستجادة في مساواتهما (الفاعل والمبتدأ) في سرّ الإفادة (كُرّاس). وأغلب الظنّ أنّهما عنوانان لتأليف واحد.

ز - التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس(الشافعي). يريد بألفاظه في العربية. وهو كُرّاس في ورقات[٣].

٤- سيدي أحمد بن اندغ محمد بن أحمد التيمبكتي(ت١٠٤٥هـ)، نحويّ، لغويّ ، فقيه، قاضٍ، له حظّ في الأصول والبلاغة، الذي ربّما يكون قد عاش جزءا من حياته العلمية في النصف الثاني من القرن العاشر. له : (الفتوح القيّومية في شرح الآجُرّومية[٤]). وقد وصفه صاحب فتح الشكور بقوله : «له شرح حسن على الآجُرّومية، سمّاه : (الفتوح القيّومية)، فيه فوائد مهمّة وفروع وتتمّات يتشوّف لها عالي الهمّة، يدلّ على وسع باعه في العربية وكثرة اطّلاعه على دقائقها»[٥].

١- ترجمته ومؤلّفاته في فتح الشكور، ص٦٠، فما بعدها.

٢-يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت أرقام : ١٩٢٧، ١٩٢٨، ٢٠٠٨.

٣- تراجع هذه التّآليف مثلا في فتح الشكور، ص ٧٢، فما بعدها.

٤- توجد منه نسخة بخطوطات مركز أحمد بابا التيمبكتي تحت رقم ٣٦٨٦.

٥- ص ٧٧.

وعليه يتبيّن لنا عدم صحّة ما ذهب إليه الدكتور المختار بن أبّاه في حديثه عن أوّل مَن ألّف في النّحو ببلاد شنقيط.

المبــحث الثــاني : مرحلة التأسيس والنُّضْج

(في القرنين : الحادي عشر والثاني عشر للهجرة)

أخذت حركة التأليف في هذين القرنين في الاتّساع والتمدّد، ومالت إلى التأسيس لنشاط نحويّ كبير في البلاد، يتّسم بالنّضْج والاكتمال، فترعرع في أحضان المحاظر، واتّسع نشاطه وتمدّد بين ربوعها. ومن أبرز أصحاب هذه المرحلة :

٥- المختارانْجُبْنانْ بن محمّذن الحَيْبَلِّي(ت/ حوالي ١١٦٠هـ[١])، وهو من شيوخ المختار بن بونا الجكني (ت١٢٢٠ أو١٢٣٠هـ). له :

- شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل[٢]. وهو شرح لألفية ابن مالك، لخّص فيه بعضاً من شروحها وشروح التسهيل. تحدّث الدكتور محمد المختار بن ابّاه عن قيمته العلمية ومصادره، ومنهجه، قائلاً : «وأهمّية هذا الكتاب تكمن في كوْنه جمع في مجلّد واحد مضمون أُمّهات كُتُب مدرسة ابن مالك، فلخّص في شرحه للخلاصة توضيح ابن هشام، وتصريح خالد الأزهري، ونصوص الأشموني وتنبيهاته، التي كانت مرجعه الأوّل، وآراء ابن الدّماميني في شرح التّسهيل، ورُبّما نقل من مساعد ابن عقيل. وقد كانت نقوله محكمة، متكاملة وشاملة...»[٣].

فمن هذا يتبيّن لنا أنّه ذوقيمة عالية، اكتسبها من اعتماده على مصادر معتبرة من أمّهات النّحو، مُلَخِّصاً مادّته منها بمهارة كبيرة. لذلك حُقّ للدكتور محمد المختار بن ابّاه أن يقول : «وهذا الكتاب يحتاج إلى تحقيق ونشر، نظرا لأهمّيته التاريخية وقيمته العلمية، فمن الغريب أن يظلّ مجهولا إلى الآن، وأن يبقى مؤلّفه مغمورا، مغموص الحقّ، بالرغم ممّا يتميّز به من إحكام في المنهج، وصحّة في المعارف»[٤].

١- أُسّ الإسلام، ص٢٩.

٢- ورد ذكره في تاريخ النحو، ص ٤٥٠ ، ٤٥١.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- المصدر نفسه، ص٤٥٢.

لذلك فتّشت عنه كثيراً، لعلّي أحظَى بالاطّلاع عليه، غير أنّي لم أوفّق في ذلك؛ لأنّه غير متوافر في الساحة حقيقةً.

وقال الدكتور يحيى بن البراء : «(شافي الغليل شرح التسهيل)، لسيدي بن انجُبْنان الحيبلي (ت ق ١٢ هـ)»[١]. وقال الأستاذ الخليل النحوي :«سيدي بن انجُبنان الألفغي (ق ١٢هـ) : (شافي الغليل في شرح التسهيل) لابن مالك»[٢].

فكلاهما يقصد من نصّه فيما يبدو المختار انجُبْنان، سالف الذكر، وأنّ له شرحا على تسهيل ابن مالك بهذا العنوان. وهذا حقيقة غير صحيح، بل تأليفه بعنوان : (شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل). وهو عبارة عن شرح لألفية ابن مالك، لخّص فيه بعضاً من شروحها وشروح التسهيل، كما سلف ذكره، وليس شرحا للتسهيل. وهو واضح أيضاً من نصّ الدكتور محمد المختار بن ابّاه، المنقول سالفا. إذ سلِم من هذا الوهْم.

٦- محمد بن أُبّـــه بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمري نسبا، التّواتي منشأ ودارا، (ت١١٦٠هـ)، عدّه صاحب فتح الشكور من شيوخ الحاج أبي بكر بن الفقيه الطالب محمّد بن الطالب عمر البرتلي الولاتيّ (ت١١٧٩هـ). إذ قال عند الحديث عن حياته : «وقرأ بنافع على السيّد عمر بن أحمد بن محمّد بن ابّوه الإيديلبي (ت١١٥٢هـ)، وقرأ الرسالة على شيخنا سيدي الطالب الأمين بن الطالب الحبيب (ت١١٦٦هـ)، وألفية ابن مالك على شيخ أشياخنا سيدي منيرة بن حبيب الله التشمشاوي (ت١١٦٢هـ)، ولامية الأفعال على سيدي محمّد بن أبّـــه (ت١١٦٠هـ) »[٣].

ولهذا العالم متْن في النّحو مهمّ جدّا، وهو نظْم الآجُرّومية[٤]، لعبد الله محمد بن محمد آجُرُّوم الصنهاجي، الفاسي (ت٧٢٣هـ)، عُرِف بالمحظرة الشنقيطية بنظم (عُبَـيْدِ رَبِّــهِ)، وربّما يكون قد تمّ نظْمه ببلاد شنقيط؛ وذلك لِعيش مؤلّفه بها حقبةً من

١- الألفية وتأثيرها، ص٤٢.

٢- المنارة والرباط، ص٦١٧..

٣- فتح الشكور،ص١٤٣، ١٤٤.

٤- يسمّى ببلاد شنقيط (عُـبَـيْـد ربِّــه)، باسم مؤلّفه مصغّراً.

الزمان بعد أن وصلها قادما من إقليم اتوات، حسب ما في فتح الشكور. وهؤلاء العلماء المذكورون قبل ابن أُبَّــه كلّهم من بلاد شنقيط، ولاتيّون، باستثناء منيرة، فهو من منطقة التّرارزة (القِبْلة)، قدِم إلى ولاتة.

وقد رأى الدكتور جمال بن الحسن، والدكتور عبد الودود بن عبد الله، محقّقا فتح الشكور، أنّ أغلب الباحثين الشنقيطيين وقعوا في وهْم كبير لدى حديثهم عن تحقيق نسَب ابنِ أُبّـــه هذا ونسبته، إذ جعلوه من علماء شنقيط، بل حدّد بعضهم أسرته الشنقيطية من وجهة نظره، فمثلا ابن حامدن في كتابه (الحياة الثقافية، ص٦٥) جعله قلّاويا من ذرية الحاج الأمين بن المختار القلّاوي التّواتي، وتبِعه في ذلك الدكتور يحيى بن البراء في (الألفية وتأثيرها، ص٤٣)، كما جعله الخليلُ النّحويّ في (المنارة والرباط، ص٦٢٠) هو وعبدَ الله بن الحاج حمى الله القلاّوي (صاحب نظمي الأخضري والرسالة في الفقه المالكيّ) شخصاً واحداً، وكذا فعل الحاج بن فحفُو في شرحه لنظْم الآجُرّومية : (دليل الطلاّب، ص٩، طبعة دار يوسف بن تاشفين)، ولم ينتبه لهذا الوهم محقّق هذا الشرح: سيدنا عالي بن الشنبكي (بالمدرسة العليا للتعليم ٨٤/ ٨٥، انواكشوط)،كما وقع فيه زائد الأذان في شرحه لنظْم الآجُرّومية : (مصباح الساري، طبعة جدّة،١٤١٤هـ) [1].

هذا ما نـبّه إليه هذان الباحثان الكبيران، وهما في الحقيقة لم يقدّما في هذا التنبيه دليلاً حاسماً في مسألة كهذه شاعت وذاعت بين العلماء والدارسين بالقطر الشنقيطي، سوى أنّ الرجل من إقليم (اتْـواتْ) بالجزائر، وأنّه مزمريّ نسبا، تواتيّ منشأ ودارا. وهذا لا يكفي، فكان عليهما البحثُ عن دليل مُقنِع، يصحّ الركون إليه، فربّما يُقال لهما : إنّه من المعروف البدهيّ أنّ الأسر والقبائل الشنقيطية البَيْضانية، المتّفقة في الزِّيّ والعادات والتقاليد واللّهجة الحسّانية، الملحونة من العربية، منتشرةٌ من بلاد شنقيط غرباً، إلى بلاد النيْجر شرقاً، مروراً بشمال مالي، وجنوب الجزائر، فربّما يكون الرجل من إحدى هذه الأسر أو القبائل.

وعلى كلّ حالٍ فهذا التذبذب في نسَب العلماء ونِسْبتهم في الأقاليم المتجاورة أمْرٌ لا مفرّ منه أحياناً؛ لأنّ تداخل الرحلات بين علماء هذه الأقاليم كان أمراً شائعاً، فصاحبنا انتقل من إقليم اتوات إلى بلاد شنقيط، خصوصاً مدينة ولاتة في الحوض الشرقيّ،

١ – المحقّقان : أستاذان في جامعة انواكشوط سابقاً. وذلك في تحقيقهما لفتح الشكور، ص١٤٤، الحاشية رقم ٥.

التي أخذ عنه بها بعض علمائها، حسبما ذكر صاحب فتح الشكور[1]، كما أخذ هو عن بعض علماء اتوات، وأخذ عنه بعضهم قبل رحيله عنها إلى بلاد شنقيط. يقول محقّقا فتح الشكور : « أخذ بها (اتوات) عن محمّد الصالح بن المقداد، وعن عمر بن محمد المصطفى بن سيدي أحمد الرّقّادي(ت١١٥٧هـ) شيخ الزاوية الكنتية في اتوات، وعن سيدي أحمد التوجيّ الصوفيّ. أخذ عنه صاحب الترجمة (الحاج أبو بكر البرتلي الولاتيّ الشنقيطي/ ت١١٧٩هـ)، وأحمد بن صالح بن الوافي الأرواني، ومن التواتيّين ابنه ضيف الله بن محمّد بن أبّه، وعبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي»[2].

علماً بأنّ أغلب هؤلاء العلماء المذكورين هم أبناء أسر شنقيطية (رقّاديّة، كنتيّة، أروانيّة، ولاتيّة)، سكن بعضهم إقليم اتوات، أو زاره. وممّا يجعل من المحتمل أن يكون صاحبنا (ابن أبّـــــه) شنقيطيّاً هو كثرة الشناقطة القاطنين بهذا الإقليم، أو الزائرين إيّاه، كما سبقت الإشارة، وأنّ هذا الاسم (أُبّـــه) من الأسماء الشنقيطية، الشائعة بالقطر، وكذا العلاقةُ العلمية الوثيقة بين هذا الإقليم وبلاد شنقيط، وتداخلُ رحلات العلماء بينهما.

فعلاوةً على ما سلف ذكره رأيتُ صاحب فتح الشّكور ذكر علماء آخرين قدموا من (اتوات) إلى بلاد شنقيط، واستقرّوا بها، حتّى ماتوا ودُفنوا. من ذلك مثلا قوله: « الطّالب سيدي أحمد التّواتي (ت١١٣٨هـ)... من بني التّسابيت (إقليم في منطقة اتوات) الشّهير بالتّواتي... توفّي بتشيت»[3].

وقوله : «سيدي أبو القاسم التّواتي (ت٩٢٢/ ٩٣٥هـ).. وكان إمام المسجد الجامع في تيمبكتو... ودُفِن في المقبرة الجديدة... وقيل إنّ معه هناك خمسين رجلاً، تَواتِيِّين، أمثاله في الصّلاح»[4].

وعدد أبيات هذا النظم (عُـبَـيْد رَبِّــه) تسعة وأربعون ومائة ١٤٩ بيتاً، من الرّجز الكامل، وهو سهل الحفظ، قريب المعنى، وكان كما أراد ناظمه فعلا بقوله :

١- ص ١٤٤.

٢- ص١٤٤، الحاشة رقم ٥.

٣- ص٨٣ ، ٨٤.

٤- ص ١٣٢، ١٢٣.

وبعد فالقصـــــد بذا المنظـــــــوم تسهيـــلُ منثور ابــن آجــــــرّومِ
لمن أراد حفظـــــــه وعسُــــــرا علــيه أن يحفـــــظ ما قـــد نثرا.

وقد اهتمّ به الدارسون بالمحظرة الشنقيطية اهتماما خاصّا، فهو (علاوة على متن الآجُرّومية النثريّ)، أوّل ما يبدأ به دارسو النّحو بالمحظرة الشنقيطية. وهو مطبوع متداول.

٧- منيرة الطالب سيدي بن حبيب الله التشمشي، الأتفقي(ت١١٦٢هـ). ذكر صاحب فتح الشكور أنّه : «كان أستاذا فاضلا جليلا نحويا لغويا أديبا، له حظّ في القراءة والفقه والأصول وغير ذلك، حسن الخلق جميل العشرة، شاعرا ناثرا» [١].

وهو من المنطقة الغربية (الكِبْلة)، انتقل منها إلى المنطقة الشرقية (ولاتة). وله شرح على ألفية ابن مالك، سمّاه: (حبَب الدّلاَصَة في ترتيب التوضيح على الخلاصة[٢]). وهو عبارة عن تنسيق توضيح ابن هشام، مع مسائل ألفية ابن مالك، وترتيبه عليها، وصفه صاحب فتح الشكور بقوله : «شرح حسن مفيد رتّب فيه توضيح ابن هشام على الخلاصة»[٣].

وقد استنتج الدكتور يحيى بن البراء (فيما يبدو) مِن حديث صاحب فتح الشكور عن الشيخ منيرة، وعن شرحِه على ألفية ابن مالك، ومن رحلته إلى ولاتة استنتاجاً غير صحيح فيما أرى، إذ قال : «لعلّ هذا الرجل أكبر نحويّ نشر علم النّحو في المنطقة الشرقية... ومن خلال استقراء تراجم فتح الشكور أمكننا ردُّ أكثرِ دارسي النّحو والمتخصّصين فيه من أهل المنطقة الشرقية إلى هذا الرّجل»[٤].

والدّليل على عدم صحّة هذا الاستنتاج هو :

- أنّ هذا الاستقراء الذي ذكر أنّه مكّنه مِن ردّ أكثرِ دارسي النّحو والمتخصّصين فيه من أهل المنطقة الشرقية إلى الشيخ منيرة لم يتجاوز ثلاثة أشخاص(حسب علمي)،

١- ص٢٢٩.

٢- الـحَبَـب بفتح الحاء : تنضُّد الأسنان، وطرائق ريقها. والحِبَب بكسرها : ما جرى على الأسنان من الماء. لسان العرب، مادّة (حبب). والدَّليص والدَّلِص والدِّلاص والدَّلاص : اللّيِّن، الأملس، وذهَبٌ له بريق. لسان العرب مادّة (دلص).

٣- ص٢٢٩.

٤- الألفية وتأثيرها، ص٩١.

صرّح صاحب فتح الشكور بأسمائهم، وأنّهم قرؤوا الألفية عليه، وإن احتمل أسلوبه غيرهم، وهم :

١- الحاج أبو بكر بن الطالب محمّد بن الطالب عمر البرتلي (ت١١٧٩هـ).

٢- أحمد بن سيدي عثمان بن مولود القلاّوي (ت١١٧٩هـ) .

٣- الإمام عمر بن محمّد بن أبي بكر الولاتي (ت١٢٠١هـ) .

ثمّ قال صاحب فتح الشكور معقّباً : «وغيرهم، وقد انتفعوا به..»[١].

فهذه القلّة لا تصلح لأن تُسمّى استقراءً في الموضوع، خصوصاً إذا ما نظرنا بعين الإنصاف إلى كثرة علماء ولاتة وتيمبكتو، وقوّة النّشاط النحويّ بهاتين المدينتين تدريساً وتأليفاً منذ القرن التّاسع الهجريّ قبل ظهور الشيخ منيرة بزمن طويل.

- زد على ذلك أنّ هؤلاء قد درسوا النّحو في ولاتة على شيوخ آخرين قبل قراءتهم الألفية على منيرة، إذ جاء في فتح الشكور في معرض حديثه عن حياة الحاج أبي بكر بن الفقيه الطالب محمّد : «قرأ النّحو أوّلا على الفقيه النحوي سيدي عمر بن بابا الولاتي (ت١١٤٥هـ)، ثمّ قرأ ألفية ابن مالك على الشيخ العالم الأديب سيدي منيرة ..»[٢].

وعند حديثه عن حياة أحمد بن سيدي عثمان بن مولود قال : «وقرأ ألفية ابن مالك على شيخ أشياخنا سيدي منيرة... ولامية الأفعال على سيدي محمّد بن أُبّـــه (ت١١٦٠هـ)، برع في التصريف..»[٣].

- ما أسلفت في المبحث الذي قبل هذا من أنّ النشاط النحوي في مدينتي ولاتة وتينبكتو كان قائما منذ وقت مبكّر قبل أن يولد الشيخ منيرة، حيث كان مشهوداً منذ القرن التاسع الهجري، وكان كبيرا في القرن العاشر، واتّسم بالنّضج والاكتمال والاتّساع والتّمدّد في القرن الحادي عشر الهجري في المنطقتين : الشرقية والشمالية من البلاد.

١- ص ١٢٩.

٢- ص ١٢٩.

٣- ص١٤٤.

- ممّا يُبطل هذا الاستنتاج أيضاً قول أحمد بابا التيمبكتي(ت١٠٣٦هـ) عند حديثه عن سرد المتون التي درس على شيخه محمد بن محمود الونكري (ت١٠٠٢هـ) : «وختمت عليه... تسهيل ابن مالك قراءة تحقيق مدّة ثلاث سنوات»[١].

علماً بأنّ وفاة التّيمبكتيّ سبقت وفاة منيرة بستّ وعشرين ومائة سنة (١٢٦)، مع التنبيه إلى ما سلف ذكره في المبحث الذي قبل هذا من أنّ لأحمد بابا التيمبكتي(ت١٠٣٧هـ) نفسه على خلاصة ابن مالك ثلاثة شروح، أو تعاليق لم تكمل.

- وعليه فلايُستنتج من مُجمَل كلام صاحب فتح الشكور سوى أنّ الرّجل كان يُدرّس الخلاصة بولاتة، وأنّ أشخاصاً من أهلها كانوا يدرسونها عليه فقط، ممّا يُعطينا عدم صحّة ذلك الاستنتاج، وبُعده عن الصّواب. وقد حصل الأستاذ عبد الفتّاح بن آبّـــــه الشنقيطيّ على (الماجستير) من كلّية الدعوة الإسلامية بليبيا سنة ١٩٩٩م، بتحقيقه كتاب : (حَبَب الدّلاَصَة على الخلاصة) هذا، من باب الكلام إلى باب الفاعل.

٨- محمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي(ت١١٦٦هـ)، عالم، شاعر، متصوّف. له من التآليف النحوية [٢] :

أ - رسالة في النّحو على غرار نحو الآجُرّومية .

ب - الذّهب الإبريز على كتاب الله العزيز (تفسير فيه إعراب وتصريف)[٣]. سيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني، من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

ج - تعليق في الفرْق بين الجمْع واسم الجمْع واسم الجنس وعلَم الجنس[٤]، في ورقات قليلة، تبلغ ستّ عشرة ١٦ صفحة، مخطوط، تتبّع المادّة فيه واستقصاها، مستوعبا، مناقشا، محلّلاً. يقول في مقدّمته : «هذا تعليق على الفرق بين الجمع واسم الجمع، واسم الجنس وعلم الجنس، فإنّه عسُر على كثير من أهل العصر.

١- فتح الشكور، ص٦٠ - ٦٢.

٢- تُرْجِم له، وذُكِرت هذه التآليف في المنارة والرباط، ص٦٠٥، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

٣- توجد منه أجزاء بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام : ١٠٤٦،١٧١٧،٢١٤٩،٣٠٤٢،١٤٦، ١٥٠،١٥١،.

٤- مودَع بمخطوطات المعهد الاتّحادي، بانواكشوط، تحت رقم ١١٦.

قال القرافي : الفرق بينها عسير، من نفائس المباحث، ومشكلات المطالب... الجمع ما وُضع للآحاد المجتمعة، دالاّ عليها دلالة تكرير الواحد بالعطْف، كرجال، فإنّك تقول : رجل ورجل، فيوافق رجالا في دلالته على المعنى، وهذا ممّا له واحد في لفظه أو لا واحد له، ولكن جاء على وزن خاصّ بالجمع، كأبابيل وعباديد، كأنّه جمع عبديد أو عبدود، ولم يكن خاصّا بالجمع، ولكنّه غالب فيه، كأعراب وشعوب.. إلخ»[1].

وعرّف اسم الجمع قائلا : «وأمّا اسم الجمع فهو الموضوع لمجموع الآحاد، دالاّ عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مُسَمّاه، وهو نوعان : الأوّل : ما خالف أوزان الجمع المذكورة، نحو قوم ورهْط وذَوْد وإبل، ممّا لا واحد له من لفظه، ورَكْب وصَحْب وطيْر وأشياء وقصباء ورَجْلة، ممّا له واحد من لفظه.. والقسم الثاني : ما وافق الجموع، ولكنّه خالفها في التذكير، والنسبة إليها؛ لأنّ الجمع لا يذكّر ولا ينسب إليه، بل إلى مفرده، إلاّ إذا أهْـمِل مفرده كعباديد، وأمّا إن ذُكر الجمع، أو نُسب إليه دون قُبح فهو اسم جمع.. إلخ»[2].

وعرّف اسم الجنس بقوله : «فهو الموضوع للحقيقة الذهنية بلا اعتبار قيْد ولا فردية، فخرج بالأوّل علَم الجنس، كأُسامة، فإنّه يعتبر فيه قيْد الحضور في الذهن، وبالثاني الجمعَ واسمَ الجمع لدلالتهما على الإفراد، ودخل علَم الجنس لأنّه تُعتبر أفراده. واسم الجنس نوعان : إفراديّ، وهو الذي يطلق على القليل والكثير، كماءٍ وعسلٍ.. وجمْعيّ، لا يطلق إلاّ على أكثر من اثنين. ولذا لا ينتفي القليل بنفيه كتمْر، فلا تنفى التمرة والتمرتان بنفْي التمر؛ لأنّ التاء في التمرة للتنصيص على الوحدة. والجمعيّ أنواع... إلخ»[3].

وعرّف علّم الجنس قائلا : «وأمّا علَم الجنس : فهو الموضوع للحقيقة الجنسية الذهنية باعتبار حضورها في الذهن، الذي هو نوع تشخُّص لها، مع قطْع النظر عن أفرادها، كأسامة فيصدق على كلّ أسد... إلخ»[4].

١- الصفحة الأولى من المخطوطة.

٢- الصفحة ٢، ٣ من المخطوطة.

٣- الصفحة ٤، ٥ من المخطوطة.

٤- الصفحة ٦، من المخطوطة.

ثمّ أخذ في تعميق مباحث هذه الموضوعات كلّها، بمناقشتها مناقشة مستفيضة، وتحليلها تحليلا موسّعا، مُكثراً من الأمثلة، معلّلاً لما يصل إليه من الأحكام، مستندا إلى الأدلّة والبراهين، مستعرضا أقوال العلماء وآراءهم، في أسلوب رفيع مُحكَم، ممّا يفيد علوّ كعْب هذا العالم في ذا الفنّ.

٩- عبد الله بن الفقيه الطالب أحمد بن الحاج حمى الله القلاّوي، صاحب نظمي الأخضري والرسالة المشهورين في الفقه المالكي، وغيرهما من المؤلّفات المفيدة(ت١٢٠٩هـ)، من أبرز أعلام الثقافة الشنقيطية، متفنّن في علوم العربية والفقه وأصول الدين، شاعر مجيد. له من التآليف النحوية[١] :

أ- شرح على الألفية .

ب - شرح على الكافية[٢] .

ج - نظم مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب.[٣]. ورد في فتح الشكور : «نظمٌ جمع فيه كثيرا من أحكام مغني اللّبيب»[٤].

د - قصيدة رملية في النّحو.

هـ- مقدمة في النحو للمبتدئين، سمّاها (الاستعانة).

و - منظومة في إعراب منصوبات القرآن.

ز - نظم في النّحو مع شرحه[٥].

ح - نظْم في الحذف، يبلغ عدد أبياته مائة ١٠٠ بيت.

ط - تعليق على الشواهد النحوية[٦].

١- تُرْجِم له، وذُكِرت هذه التآليف في فتح الشّكور، ص٣٠٢، ٣٠٥، والوسيط، ص٩١، والمنارة والرباط، ص٥٨١، وتاريخ النحو، ص٤٦٧.

٢- ذُكِرت في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥، والمنارة والرباط، ص٥٨١، وتاريخ النحو العربي، ص٥٣٩.

٣- ذُكِر في فتح الشكور، ص٣٠٥، والمنارة والرباط، ص٥٨٢، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

٤- ص٣٠٤.

٥- يوجد على(ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٧٩٦.

٦- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥، والمنارة والرباط، ص٥٨١، وتاريخ النحو، ص٥٣٩.

ي - الرَّبّاني : (أرجوزة في النّحو)، تربو على مائة ١٠٠ بيت، حاذَى فيها ترتيب ألفية ابن مالك، ومزجَها بأشطارها، وشَحَنها بأبياتها وألفاظها[١]. فبدأ بالحديث عن الكلام وعلامات الأسماء والأفعال، والمعرب والمبنيّ، وعلامات الإعراب، والنكرة والمعرفة، والموصول، ثمّ تحدّث عن المبتدأ ونواسخه، والفاعل ونائبه، ثمّ المفاعيل، والاستثناء والحال والتمييز، ثمّ إعمال المصادر وأسماء الفاعلين والمفعولين، ثمّ التوابع والنداء والعدد، مع عقده فصلا للقواعد الكلّية الشاملة للمسائل والجزئيات. وله عليه شرح موجز[٢]، ممزوج بعبارات النظم. يقول في مستهلّه :

«(دونكَ) أي خذْ (في) علم (الإعراب) كتابا صغيراً مناسبا للمبتدئين، يكون لهم (ربّانياً)، به إلى المُطَوَّلات يُهتَدَى كتربية الصبيّ بصغار الآنية حتّى تكون فيه قوّة... ومَن طلب الكلّ فاته البعض، ومَن تصدّر قبل أوانه فقد تعرّض لهوانه، والاثم على مناوله لتكليفه من العمل ما لا يُطيق، وهو منافٍ لما قال تعالى : ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبّانِيِّينَ﴾[آل عمران : ٧٩]. أي بصغار العلم قبل كِباره، أي بجزئيات العلم قبل كلّياته، أو ما وضح من مسائله قبل ما دقّ منها.. وأقتصر على هذا القدر للرفق بالمتعلّم ذي البداية، أي للمبتدئين؛ لأنّ كثرة الأحكام تُشوّش الذِّهن وتورث المَلَل والكسَل»[٣].

ثمّ تحدّث عن المصادر التي استقى منها نظمه، قائلاً : «(ضمّنته) أي جمعت فيه ما احتوى عليه التأليف المسمّى (المفيد) لوالدنا أحمد بن الحاج.. (و) ضمّنته (النُّـقاية) للشيخ الإمام السيوطي»[٤].

وللزّين بن الإمام بن سيدي محمّد القلاّوي (وُلِد١٣٤٠هـ-١٩٢٠م) شرح عليه، سمّاه (نيل الأماني شرح الربّاني[٥]). يقول في مستهلّه :

١- توجد منه نسختان في مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠٤، ١١٥، وثالثة على (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم٤٧٦. حقّقه محمد الأمين بن عبدي في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٤٨.

٢- مرجع سبق ذكره، مخطوط، مودَع تحت رقم ١١٠. بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.

٣- ص١، ٢، من مخطوط شرح المؤلّف على نظمه الربّاني.

٤- المرجع نفسه، ص١.

٥-قام أيْدَه بن محمّد الإمام بتحقيقه من(باب الكلام إلى باب الفاعل) في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م. وتحقيقه مودَع تحت رقم ٤٩، بقسم الرسائل بالمعهد.

يقول عـبد الله بـــعد حــــــــمدهِ ... مـصلّـيا عـــلى النـبيّ عـبــــــدهِ
دونَـــــــــكَ في الإعراب ربّانيا ... أرجـــــــــوه أن يُوسِّـــط الذكـيّا
ضمّنته المفـيد والنُّـــــــــــقايهْ ... بالجِـــــــدّ منهما لـــــذِي البدايهْ[1]

ويقول في أبواب الكلام والاسم والفعل :

كلامـــنا الحسَنُ فيهِ الـوقــــــــفُ ... إمّـــا اسمٌ أو فعــلٌ وإمّا حــــرفُ
فـميِّزِ الاســـمَ بِـحِسٍّ ولــــعـلْ ... (والجـرّ والتـوينِ والنّـــــدا وألْ)[2]
أمــــارَةُ المُــــضي تاءُ سَــــكنَتْ ... لِامــــرَأَةٍ وتا ضَمـيرٍ حُــــــرِّكَتْ
ومِـزْ مضــــــارِعاً بسينٍ وأَحَــــدْ ... هِـجاءِ نَيْتٍ وتَشــارَكاَ بِقــــــــدْ
مـــثالُهُ يخــشَى ويـدعــو يــرمي ... (والألِـفَ انـوِ فيـه غـيرَ الجـــــزم)[3].
وحَـــرْفُهُ يُضَــــــــمُّ وهـو خامـسُ ... وافْتَـحْهُ وهـــو رابعٌ أو ســــادسُ
واشْـــتَرَكَ الأمرُ مـــعَ المضــارِعِ ... في نـــوني التـوكيدِ عندَ السامــــعِ[4].

والرّبّاني : نظم رائق، جامع كثيرا من أمّهات النّحو ومسائله، مع رقّة في الأسلوب، ودقّة في التعبير، وجودة في السبْك، ولا غروَ فصَاحِبُه رحمه الله، عالم كبير، فقيه، لغوي، نظّامة، ماهرٌ معروف. مع ميْل مؤلّفه الواضح إلى الإيجاز الشديد في بعض الأحيان. وهو حقيقة تأليف ممتاز، ضمّنه مؤلّفه كثيرا من مسائل النّحو وقضاياه، مع وَجازته واختصاره، ممّا يفيد علوّ كعبه في هذا الفنّ.

١٠-الطـــالب محمـــد بـــن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، صاحب فتح الشكور (ت١٢١٩هـ)، عالم كبير، مؤرّخ، ضابط، ثبْت. له من التآليف النّحوية[5] :

أ- شرح الآجُرّومية الصغير .

١- ص١، فما بعدها من المخطوطة، بشرح المؤلّف نفسه.

٢- الشطر الثاني من الألفية، البيت رقم ٣، من باب الكلام.

٣- الشطر الثاني من الألفية، البيت رقم٣٦، من باب المعرب والمبنيّ.

٤- ص٢، فما بعدها من المخطوطة، بشرح المؤلّف نفسه.

٥- ترجمته وتآليفه في المنارة والرّباط، ص٥٧٩، ومقدّمة تحقيق فتح الشكور، للأستاذين : أحمد جمال بن الحسن، وعبد الودود بن عبد الله. ص٢٠.

ب -شرح الآجُرّومية الوسط .

ج - شرح الآجُرّومية الكبير.

د -مختصر المواهب السّنِية والمِنَح الربّانية في شرح الآجُرّومية.

هـ - فتح الربّ الرؤوف في شرح (قصيدة معاني الحروف) لعبد الله بن الطالب أبي بكر بن علي الولاتي (ت١١٢٢هـ)[١].

وهو شرح لذي القصيدة التي نظمها صاحبها في معاني حروف الجرّ، وختمها بالموضوعات التي يطّرد فيها حذف حرف الجرّ، وقد عدّها ثلاثة عشر موضعا، حجْمه حوالي ستّ ورقات من متوسّط الورق، سطور الصفحة منه تزيد على الثلاثين سطرا. وقد اطّلعت عليه فوجدته شرحا قيّما، جلّه مأخوذ من مغني اللبيب لابن هشام، إمّا حرفيا وإمّا تلخيصا، غير أنّه كان أميناً في توثيق نقوله عنه، كماهو الحال مع بقية مصادره الثانوية، كالأشموني وابن عقيل مثلا. وأهمّ سمات منهجه فيه أنّه :

- يناقش آراء النّحويين مُمحّصاً، محلّلاً. من ذلك مثلا قوله في بعض معاني الباء: «وهذه الباء التي مثّلها الأشموني في التعليل في هذه الآية، وهي قوله تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ﴾[١٦٠، النّساء]، للشّبَه باءُ السببية، ويؤيّد كونها للسببية قوله في ذي الجلالين[٢]: فَبظلم، أي بسبب ظلم، ولعلّ ما في الأشموني سبق قلم من الناقلين؛ لأنّه أتى به في أمثلة المعاني التي ذكرها ابن مالك، مع أنّ ابن مالك لم يذكره في نصّه»[٣].

- قد يكتفي بنقل اختلاف العلماء، وذكْر آرائهم، من مصادره كما هي دون الإدلاء برأي، كما ورد في حديثه مثلا عن أحد معاني(عن)، حيث قال : «المعنى الأوّل المجاوزة، وهي الأصل فيها، ولم يذكر البصريون سواه، نحو : سافرت عن البلد، ورميت عن القوس، وهي أي المجاوزة كما قال الرضيّ [٤] : بُعْدُ الشيءِ عن المجرور بها بواسطة مصدر الفعل المُعَدّى بها.. أي بُعْد السّهم عن القوس بسبب الرمي في نحو قولك : رميت عن القوس. قال في التصريح : والمثال الأوّل (يعني سافرت عن البلد) متّفق

١- مخطوط بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١١٣.

٢- تفسير الجلالين. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ١٩٨١م. ج١، ص٩٢.

٣- ص٣ من المخطوط. مرجع سابق.

٤- رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت٦٨٦هـ).

عليه، والثاني (وهو رميت عن القوس) مختلف فيه. قال ابن مالك هي فيه للاستعانة بمعنى الباء؛ لأنّهم يقولون : رميت بالقوس، وعن القوس، حكاهما الفرّاء[1] وفيه ردّ على الحريري[2] في إنكاره أن يقال ذلك إلاّ إذا كانت القوس هي المرمية» [3].

– قد ينقل حرفيا من مصادره، مع التصريح بذلك في الغالب، كقوله مثلا عن أحد معاني الباء أيضاً : «الإلصاق، قيل : وهو معنى لا يفارقها، ولهذا اقتصر عليه سيبويه. قال في المغني : والإلصاق حقيقي، نحو أمسكت بزيد، أي قبضت على شيء من جسمه... ولو قلت : أمسكته احتمل ذلك، وأن تكون منعته من التصرّف، ومجازيّ، نحو : مررت بزيد، أي ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد»[4].

فهذا النصّ كلّه منقول حرفياً من المغني[5]. وزيادة في التوثيق غالبا ما يذكر عبارة (انتهى) في خاتمة نقوله.

– أحيانا ينقل النصّ حرفيا مع ترك التصريح ببعض المصادر المنقول منها، كقوله مثلا : «التبعيض أثبته الأصمعي والفارسي وابن مالك، قيل : والكوفيون، وجعلوا منه قوله تعالى : ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَاعِبَادُ اللهِ﴾[٦، الإنسان]. أي منها، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ..﴾[٦،المائدة]. قال في التصريح[6]. ومنه[7] :

شرِبْنَ بماء البحرِ ثُمّ ترفَّعتْ متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهُنَّ نَئِيجُ»[8].

فهونقل حرفي من المغني[9].

---

١ – أبو زكريّا الفرّاء (ت٢٠٧هـ).

٢ – أبو محمّد القاسم بن علي، الحريري البصري، صاحب المقامات(ت٥١٦).

٣ – ص٨، من المصدر نفسه. وللوقوف على مصادره التي لخّص منها هذا النصّ يُراجع مغني اللّبيب، ص ١٥٤.

٤ – ص٣، من الصدر نفسه.

٥ – ص١١٠.

٦ –حاشية التصريح على التوضيح، ج٢، ص٢.

٧ – من الطويل لأبي ذُؤيب الهُذَلي، يصف سحباً. يراجع في مغني اللّبيب، ص ١١٤، وشرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، بحاشية الشيخ ياسين بن زين الدين العليمي الحمصي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج٢، ص٢.

٨ –ص٣، من المخطوط.

٩ – ص ١١٤.

- قد يلخّص معنى الحرف منها دون التصريح بذلك، كقوله مثلا عن أحد معاني الباء أيضا : «التعويض : ويسمّى باء المقابلة، وهي الداخلة على الأعواض والأثمان كبعتك هذا الثوب بهذا.. بدخول الباء على الثمن، أو معنًى، نحو : كافأت إحسانه بضعف... ومنه : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ..٣٢، النّحل﴾ »[1].

فهذا تلخيص من المغني[2]، والأمثلة منقولة منه.

- شواهده : استدلاله بالقرآن العظيم فائض جدّا ومتّسع، فصفحاته مليئة بالأساليب القرآنية، ثمّ القراءات، والرواية والاستشهاد عن علماء النّحو واللّغة بواسطة مصادره التي ينقل منها، واستدلاله بالشعر كثير أيضا، غير أنّه أتى ضمن الرواية عن العلماء. وما سبق من النقول يدلّ على بعض ذلك.

- من استدلاله بالقراءة قوله في أحد معاني (على) : «موافقة الباء، كقوله تعالى : ﴿حَقيقٌ علَى أن لَّا أقولَ علَى اللهِ إلاَّ الحقَّ﴾[١٠٥،الأعراف]. أي بأن لا أقول... وبذلك قرأ أُبيّ رضي الله عنه، وهي قراءة [3] السبعة، إلاّ نافعا» [4].

يتبادر إلى الذهن من كلام المؤلّف أنّ أُبيّا مثل السبعة قرأ بمدّ (على) حرف جرّ، وهذا وهْم كبير، فقراءة العشرة سوى نافع بمدّ (على)، مع تخفيف الياء، على أنّها حرف جرّ، وهي قراءة صحيحة، متواترة، وقراءة أُبيّ ب(الباء) بدل (على)، قراءة شاذّة[5]. والنصّ واضح في مغني اللّبيب[6]، غير أنّ المؤلّف وقع في هذا الوهْم أثناء التلخيص، أو كان واعيا للمعنى بيْد أنّ أسلوب التلخيص جاء ركيكا.

وفيما يلي أُورد مزيداً من أصحاب هذه المرحلة، دون التعرّض لمناقشة تآليفهم، اكتفاءً بما سبق :

١-المصد والصفحة نفسهما.

٢-ص١١٣.

٣- قراءة نافع بفتح الياء المشدّدة بدخول حرف الجرّ على ياء المتكلّم، ووافقه الحسن البصريّ، وباقو القرّاء قرؤوا (على) بمدّ الألف، حرف جرّ، داخلاً على(أنْ)، وعلى هذا تكون بمعنى الباء، أي حقيق بقول الحقّ. ينظر الإتحاف، ص ٢٨٦.

٤ - ص٥، من المخطوط. وينظر مغني اللّبيب، فالنصّ منقول عنه، ص ١٥١.

٥- البحر المحيط ،ج٥، ص١٢٨.

٦- ص ١٥١ منه.

١١-الطّالب بركة اليونسي (ق ١١هـ)، له : شرح ألفية ابن مالك[١].

١٢- الطالب محمّد بن المختار بن الأعمش (ت١١٠٧هـ) ،عالم مدينة شنقيط الكبير، ومفتيها الشهير. له من التآليف[٢] :

أ- المنن العديدة في إيضاح مسائل الفريدة للسيوطي (ت٩١١هـ) [٣].

ب - نظم مغني اللّبيب لابن هشام.

١٣- أبو بكر بن الطفيل بن أحمد بن محمد مسلم المَسلمِي التشيتي (ت١١١٦هـ)، نحوي، فقيه، متفنّن، جيّد الشعر، حسن النظم. له [٤] :

- نظْم قَطْر النَّدَى لابن هشام. جاء في فتح الشكور : «نظمَ قَطْر النّدى... نظما بديعا حسنا في نحو أربعمائة بيت»[٥]. وشرَحَه الشريف محمّد بن الإمام التشيتي(ت١٢٠٨هـ) شرحا متوسّطا[٦]، ووصفه صاحب فتح الشكور[٧] بالمفيد.

١٤- سيدي محمد بن موسى بن أيْجلْ الزيدي نسبا، التشيتي وطنا(ت١١١٧هـ) عالم، نحوي، لغوي، شاعر، ناثر. له [٨] :

أ- معين الطلاّب على كشف النّـقاب عن قواعد الإعراب، مع شرحه. جاء في فتح الشكور[٩] : «وله في النّحو أوراقه المشهورة، التي انتفع الطلبة بها، المسمّاة (كشْف النّـقاب عن قواعد الإعراب، وشرحها)»[١٠].

١- المصدر : مقابلة شفهية مع الأستاذ محمّد الأغظف بن الدّاه بن أ يْدَه الولاتي، في مكتبه بوزارة التعليم الأساسي، انواكشوط ٢٠١٢م.

٢- حياة موريتانيا، ص٦٥، والمنارة والرباط، ٥٢٧، وتاريخ النحو، ص٤٤٩.

٣-توجد له نسخة على (ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٢١٩.

٤- توجد منه نسخة على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٧٢.

٥- ص١٣٩.

٦- الآن يحقّقه الدكتور حماه الله بن مايابى بانواكشوط.

٧- ص٢٤٩.

٨- تُرْجِم له، وذُكر هذان التأليفان في فتتح الشكور، ١٩٤، والمنارة والرباط، ص٥٥٨.

٩- ص١٩٤.

١٠- توجد منه نسخة على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٢٦.

ب - منظومة الأدوات في الجمل النّحوية لابن هشام، مع شرحها[1].

١٥- عبد الله بن الطالب أبي بكر بن علي بن الشيخ المحجوبي الولاتي (ت١١٢٢هـ)، نحوي، فقيه، قاضٍ، بصير بالأحكام والوثائق. له [2] :

- قصيدة لامية نحو (ثلاثين بيتا) في معاني حروف الجرّ. وقد استوفى فيها ما أتى به الأشموني أبو الحسن علي المصري(ت٩٠٠هـ) من معانيها في شرحه على ألفية ابن مالك. وشرحها صاحب فتح الشكور بشرح سمّاه (فتْح الربّ الرؤوف في شرح قصيدة معاني الحروف)، ووصفه بقوله : «وشرحتها شرحا حسناً مفيداً» [3].

وقد مرّ بنا ليس ببعيد عرض مفصّل لهذا الشرح.

١٦-أحمد بن أحمد الديماني (ت صدر القرن ١٢هـ) . له [4] : مجموعة أنظام في النّحو.

١٧- محمّد بن علي بن الطالب أبي بكر بن علي بن الشيخ المحجوبي الولاتي (ت١١٣٧هـ)، له [5] : شرح الفريدة في النّحو للسيوطي.

١٨- الطّالب محمّد بن الطّالب اعْمر الخطّاط الولاتي (ت١١٦٥هـ) ، له [6] : قصيدة في نقل الهمز ووصله.

١٩-الإمام عُمر مّمُّو بن محمّد بن أبي بكر بن اندعبد الله المحجوبي الولاتي(ت١٢٠١هـ)، له[7]:

أ - المِنحة الرّبّانية. وهي أرجوزة في النّحو تبلغ أبياتها(٢٦٧ بيتاً).

ب-شرح على (المِنحة الربانية)، سمّاه (المفاتيح الرحمانية على المِنحة الربّانية). ذكر صاحب فتح الشكور[8] أنّه شرح شافٍ، مفيد، نقَل فيه نقولاً عديدة من بعض أمّهات كتب النّحو.

١- توجد نسخة مخطوطة من هذا الشرح عند الدكتور أبي عليـبة، الأستاذ بجامعة انواكشوط.

٢- تُرْجِم له، وذُكِر هذا النظم في فتح الشكور، ص٢٨٦، ٢٨٨، والمنارة والرباط، ص٦١٩.

٣-فتح الشكور، ص ٢٨٦.

٤- تُرْجِم له، وذُكِرت هذه المجموعة في المنارة والرباط، ص ٥٣٩.

٥- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص٦٥، والمنارة والرباط، ص٥٥٨، وتاريخ النحو، ص٥٤٠. وتراجع حياته في فتح الشكور، ص٢١٨.

٦- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في فتح الشكور، ص٢٢٩ ، ٢٣٣، والمنارة والرباط، ص٥٧٨.

٧- فتح الشكور، ص٣٣٧،٣٢٩، وفهرس مخطوطات النّعمة وولاتة، بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص٢٨٤.

٨- ص٣٣٧.

٢٠- بَـوْبَه بن أحمد مولود الزعيمي (ت١٢٠٨هـ)، له [١] : شرح سمّاه : هِبة اللّطيف شرح : البسط والتعريف بما جُهِل من التصريف «منظومة عبد الرحمن المكّودي في التصريف»[٢].

٢١- الشّريف محمّد بن الإمام أحمد التّشِيتِي (ت١٢٠٨هـ)، له من التآليف [٣] :

أ- شرح على (البسط والتعريف بما جُهِل من التّصريف (منظومة عبد الرحمن المكّودِي في التصريف) [٤].

ب-شرح متوسّط على نظم (قطْر النّدَى) لأبي بكر بن الطفيل المسلمي (ت١١١٦هـ)، وصفه صاحب فتح الشكور (٥) بالمفيد.

ج- قصيدة في المشهور بالضّمّ والفتح من مضارع (فَعَل).

٢٢-الطالب أحمد بن محمّد رارَة التنواجيوي (ت١٢١٠هـ)، متفنّن في علوم العربية والقراءات. له [٦] : شرح ألفية ابن مالك.

٢٣- أحمد الجِيّد بن الطّالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي(ت١٢١٨هـ) ، له من التآليف[٧] :

أ- بزوغ الهلال على لامية الأفعال لابن مالك[٨]. لسيدي عثمان بن عمر بن عثمان اليونسي الولاتي (ت١٢٣٧هـ)[٩] شرح عليه، سمّاه : (فتْح الرّبّ الجلال على بزوغ الهلال بتنزيل لامية الفعال)[١٠].

١- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٥١.

٢- توجد منه نُسخ بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت أرقام: ٩٧٣، ١٧٤٩، ٣٥٨٨.

٣- ورد ذكر هذه التآليف في فتح الشكور، ص٢٤٩، والمنارة والرباط، ص٥٥٩، وتاريخ النحو، ص٥٤١، ٥٤٢.

٤- وقع بعض المترجمين له من الباحثين الشنقيطيّين في شيء من الوهْم، إذ نسبوا (منظومة البسط والتعريف في التصريف) (التي قام بشرحها) للمجرادي، بينما هي للمكّودِي، أمّا المجرادي فله (لامية في الجُمل، تُسَمّى لامية المجرادي). هذا التّنبيه سبقني إليه مُحقّقا فتح الشكور، ص٢٤٩، حاشية ٥. والمصادر التي ورد فيها هذا الوهْم، منها مثلا : فتح الشكور، ص٢٤٩، والمنارة والرباط، ص ٥٥٩، وحياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٨.

٥- ص٢٤٩.

٦-تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في فتح الشكور، ص١١٧، ١٢٠، وحياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والمنارة والرباط، ص٥٧٧.

٧- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في حياة موريتانيا الثّقافية، ص٦٤، والمنارة والرباط، ص٥٤٠.

٨- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٢٥٠.

٩- يراجع فتح الشكور، ص٣٤٠، والمنارة والرباط، ص٥٥٧.

١٠- توجد منه نسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١١٤٦.

ب - فتح الأقفال على لامية الأفعال لابن مالك.

ج -شرح الآجُرّومية [1].

د - تقرير المعنى والمثال لقرّاء لامية الأفعال[2].

٢٤- الطالب محمّد بن الشيخ العابد (ت١٢١٩هـ) . له[3] :

أ- شرح الآجُرّومية.

ب - قصيدة في معاني حروف الجرّ.

٢٥-الطّالب عبد الله بن الحاج محمّد الرقيق العلّوشي(ت ١٢٢٠هـ). له[4] : شرح الفريدة في النّحو.

فكما هو واضح من هذه العنوانات فإنّ الإنتاج النحويّ في هذه المرحلة عند القوم اقتصر في غالبه على الشروح والتعليقات، والتلخيصات، والأنظام لبعض المتون الوافدة.

ويصدق على هذا الطور ماعبّر عنه الدكتورمحمد المختار بن ابّاه إلى حدٍّ كبير أثناء حديثه عن بعض جهود علماء النّحو بالمحظرة الشنقيطية بقوله : «لقد قام علماء المحاظر بصناعة تحويلية، انتزعوا أصولها الأولى من كتب ابن مالك، ثم استمدّوا فروعها من أدوات ابن هشام، وأعادوا إليها تنبيهات الأشموني، وتخريجات ابن الدماميني، فصنعوا من هذا المزيج مجموعة هائلة من القطع المتنوّعة، قدّموها بضاعة منظومة في دروسهم الشفوية، حتّى استطاعوا بذلك خلق ثقافة نحوية»[5].

المبحث الثالث : مرحلة الازدهار واتّساع الحواشي والاجتهاد

(في القرنين : الثالث عشر والرابع عشر للهجرة)

في هذه المرحلة ظهر عند النّحويين إطلاق العِنان للاجتهاد وحرّية التفكير، فكان من مظاهر ذلك أن ازدهرت البحوث النّحوية باتّساع الحواشي، وتمدّدِها، وظهور

١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٥٦٢٩.

٢- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٩٠.

٣- تُرْجِم له، وذُكِر هذان التأليفان في المنارة والرّباط، ص ٦١٩.

٤- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في المنارة والرباط، ص٥٧٨، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٥- تاريخ النحو العربي، ص٤٣٨.

الشروح الموسوعية، خاصّة على مؤلّفات ابن مالك النّحوية باهتمام بادٍ، وعناية أكبر، وإن نال غيرَها من المتون حظٌّ لا بأس به من الشروح والحواشي، لكن بعناية أقلّ. وسيكون الحديث في هذا الطورعن الموضوعات الآتية :

أ- المختار بن سعيد، المعروف بابن بونا الجكني (ت١٢٢٠ أو١٢٣٠ هـ)، وجهوده النّحوية.

ب – المؤلّفون والمدرّسون النابهون من طلبة ابن بونا، وتلاميذهم.

ج – توَجُّه نحويّ مُوَازٍ للخطّ البونيّ.

أوّلا- (٢٦) المختار بن سعيد، المعروف بابن بونا الجكني (ت١٢٢٠ أو١٢٣٠هـ)، وجهوده النّحوية : يمكن التأريخ لتطوّر الدراسات النّحوية في البلاد حقيقة بظهورجهود العلاّمة المختار بن بونا، أبرز أصحاب هذه الطبقة، والعلماء النّابهين من طلبته وتلاميذهم. والمختار عالم جليل، نحويّ متبحّر، لغوي، أصولي، مدرّس لعلوم العربية، ثاقب الذهن، جيّد النظر. يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي مشيدا بمكانته العلمية : «وكان من أجَلّ قبائل الزوايا في العلم قبيلة إدَيْقُبْ، خصوصا في علم العربية، فاستجلبوه إليهم، ليأخذوا عنه علم النّحو والكلام، وكان لا يجارى فيهما... تاج العلماء، الذي طوّق بِحُليّ علمه كلّ عاطل، ووردت هِيمُ الرجال زلاله فصدر عنه كلّهم، وهو ناهل، ولا يوجد عالم بعده إلّا وله عليه الفضل الجزيل بما استفاد من مصنّفاته، وتلقّى من مُسنداته»[1].

ويقول الدكتور محمد المختار بن ابّاه : «جمع ابن بونا في محظرته المتميّزة كلّ ما وجد من شروح كتب ابن مالك... والتفّ حوله فريق من نبهاء الطلبة الذين كانوا له خير عون على تحقيق مشروعه النّحوي. لقد درس على ابن بونا جمع غفير، كان المتصدّرون للتدريس منهم يُعدّون بالعشرات...»[2].

وذلك بأعماله النّحوية القيّمة، خاصّة عمله الممتاز، الذي خلّل به ألفية ابن مالك، وسمّاه (الاحمرار)، الذي جمع فيه ما لم يرد في خلاصة ابن مالك من كتابيْه : الكافية

١- الوسيط، ص ٢٧٧، ٢٧٩. وتراجع ترجمته، وهذه التآليف أيضا في فتح الشكور، ص٢٥٤، فما بعدها، وحياة موريتانيا، ص٦٧، فما بعدها، والمنارة والرباط، ص٦٠٨، فما بعدها، وتاريخ النحو، ص٤٥٢.

٢- تاريخ النحو، ص٤٥٥.

والتسهيل. والحاشية المسمّاة (الطُّـرّة)، التي وضعَها شرحاً(لألفية ابن مالك، والاحمرار الممزوج بها، المذكور آنفاً). وهما عملان جليلان أصبحا عمدة المقرّرات الدراسية النّحوية في المحاظر الشنقيطية إلى الآن دون منازع. وصار ابن بونا بهذا العمل المتميّز صاحب أكبر مذهب نحويّ ببلاد شنقيط، لذا كثرت الشروح، واتّسع نطاقها على عمله هذا، واهتمّ به الشنقيطيون اهتماما منقطع النظير، كما كثرت المؤلّفات النّحوية المستقلّة بشكل لافتٍ، التي يتبيّن فيها للدارس قدر كبير من التميّز ليس باليسير لدى القوم، ومَدى نُضج النّشاط النّحوي واستقلاله عندهم.

ومن أبرز شيوخه المختار انجُبْنان، صاحب كتاب (شافي الغليل)، سالف الذكر. يقول الدكتور محمد المختار بن ابّاه، متسائلا : «هل اطّلع العلاّمة المختار بن بونا على هذا الكتاب (شافي الغليل)، وما هو مدى تأثُّره به، في جامعه؟ ولعلّنا نجد جزءا من الجواب عند العلاّمة محمد محمود بن التلاميذ التركزي، الذي يقول في ميميته المشهورة :

ولم يشعرِ المختارُ مُنـــــشي احمـرارهِ ... لســـقْي عباد الله مـن نحوهِ الظمي

ولا شيخُـهُ انجُبْنانُ مَن كان عنــده ... له فتـح الرحمن في النّحو والعـــــلم.

إذ تقرّر أنّ انجبنان من أشياخ المختار بن بونا»[1].

وقد استغرب ابن ابّاه عدم عزو ابن بونا في تآليفه النّحوية لشيخه انجُبْنان، حيث يقول : «كما نستغرب أيضا أنّ ابن بونا، الذي نعتقد أنّه من تلاميذه لم يصرّح بالعزو له»[2].

وفي الحقيقة لا أرى وجهاً للاستغراب؛ لأنّه من المحتمل أن يكون ابن بونا قد اطّلع على المصادر التي رجع إليها انـجُبْنانْ، وفي هذه الحال فلا يحسن به أن يجعل بينه وبينها واسطة، بل المنهج العلميّ أن يأخذ منها مباشرة دون المرور بشيخه انـجُبْنانْ أو غيره.

وأبرز تآليف ابن بونا النّحوية :

١- المصدر نفسه، ص٤٥٠.

٢- المصدر نفسه، ص٤٥٢.

أ- سُلّم الطّالبين إلى قواعد النحويين[1]. ولِلتّاه المختار (ت١٤٠٩هـ) بن يحظيه بن عبد الودود طُرَّةٌ عليه [2]. كما شرحه أيضا محمّد عبد الله بن البشير المالكي (ت١٣٧٥هـ)[3].

ب - المقدّمة في النّحو (إرشاد الصّغار وشذورالنُّضَار) [4].

د - امْلَيْويحة[5]. اسم أُطلِق على الطُّرّة المشهورة، الآتية بعد قليل، الشارحة لاحمرارِ المؤلِّف الآتي ذكره، مجرّدةً من زيادات المدرّسين النابهين من طلاّب ابن بونا وتلاميذهم. وقد طُبعت بمصر سنة ١٣٣٠هـ.

هـ - الأحاجِي[6].

و- نظْم إعراب الجُمل وشبهها من الظروف وحروف الجرّ[7]. لمحمّد بن عبد الله بن إبراهيم العلوي (ت١٢٥٠هـ) (وهو أحد تلاميذ صاحب النظم) تعليقٌ عليه[8]، كما شرحه زياد بن حامدتّو الديماني (ت١٢٤٨هـ) [9].

ز- التذكير والتأنيث من طرّة ابن بونا[10].

غير أنّ أبرز مؤلّفاته أثران اثنان، هما :

ح - الاحمرار (الجامع بين التسهيل والخلاصة) : هوعبارة عن (ثمانية وسبعين وألف ١٠٧٨ بيتاً تقريبا) نظمها من التسهيل، ووشّح بها ألفية ابن مالك، مميّزا الزيادة المتمثّلة في الاحمرار عن الخلاصة بالحمرة. يقول أحمد بن الأمين

١-يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٠٣.

٢- حقّقه محمّد محمود ولد محمّد محفوظ في رسالة خَتْم دروس (الماستر) بجامعة انواكشوط سنة ٢٠١٠- ٢٠١١م.

٣-حياة موريتانيا : الحياة الثقافية، ص٦٧.

٤- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٣٣٠.

٥- توجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٣٠٤٨، ٣٠٨٥.

٦- يوجد بمخطوطات مكتبة الأستاذ هارون بن الشيخ سيديا / بوتلميت.

٧-حقّـقه محمّد الأمين بن محمّد المصطفى. توجد منه نسخة بقسم الرسائل بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، تحت رقم ٢٣١٣.

٨- حقّق في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م.

٩-حُقّق هذا الشرح في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، توجد منه نسخة بقسم الرسائل بالمعهد .

١٠-يوجد مخطوطا بمكتبة أهل محمّد سالم بن المحبوب، بانواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ٣٠٤.

الشنقيطي، مشيدا بهذا الأثر الخالد، مشيرا إلى ما فيه من الزيادات على ألفية ابن مالك : «وكان المختار رحمه الله مكبّا على تحرير العلوم، ومن أنفع ما ألّف نظمه الذي سمّاه بالأحمرار، عقد فيه من تسهيل ابن مالك ما لم يذكره في الألفية، ومزجه بها مزجا جيّدا، يدلّ على مهارة تامّة، وفيه أبواب كثيرة تُركت منها، كالقسم وجوابه، والتسمية بلفظ (كائن ما كان)، وتتميم الكلام، والإلحاق، ومخارج الحروف والهجاء، وغير ذلك من الفصول الكثيرة» [1].

نصّ معبّر حقّا عن قيمة هذا التأليف الفذّ.

- وأهمّ المصادر التي استقاه منها تسهيلُ ابن مالك، وهو المصدر الأوّل والأهمّ، ثمّ كافيتُه، التي نقل منها حرفيّا في باب الاستثناء قوله :

ونحوُ ما في دارِ زيدٍ رجُلُ   إلاّ أبوكَ صالحٌ يُحتَمَلُ.

- وشرح الدماميني على التسهيل. يقول ابن الأمين الشنقيطي : «ولمّا أراد نظم التسهيل لم يجد شرحا له يستعين به، فذكر له الدماميني عند محمّذن بن بابانا العلوي[2]، فقصده، وقال :

أتيتكم ياقضاة العلم والدينِ   وليسَ لي غرضٌ سوى الدماميني
عن كلِّ حِبٍّ بِهِ قد كنتُ ذاكَلَفٍ   وكادَ زائدةٌ قد كادَ يُسْلِينِي
كأنّكم وهْيَ للتحقيق ترتفعوا   على ظُنون فؤادٍ ذات تحسين

فقال محمّذن المذكور : أعطوه له على قبح أبياته»[3]. ذوق نقديّ سليم.

- وفريدة السيوطي(ت٩١١هـ)، التي نقل منها أبيات الموصول الحرفي نصّاً، التي مطلعها :

موصولُنا الحرفيُّ ما أُوِّل مع   صِلتِهِ بِمصدرٍ حيثُ وَقَعْ.

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢٨١.

٢- لم أقف على تاريخ وفاته.

٣- المصدر نفسه، ص٢٨١.

ط -الطُّـرّة : الطُّرَّة لغةً كما في لسان العرب[1] : «كُفّة الثوب، وهي جانبه الذي لا هُدْب له». واصطلاحاً : «هي عبارة عن مجموعة من الحواشي، وضُعت في جمل مختصرة، تتكرّر فيها مصطلحات تشير إلى مواضيع الإطلاق والتقييد، ومَحالّ الوفاق والخلاف، وتبيّن الاستعمالات الشاذّة والنادرة والمؤوّلة، وشواهدها. وهذه الطُّرّة يمكن أن نشبّهها بعقبات الحواجز التي توضع عن قصد في ميادين السباق، واجتيازُها يستدعي تمرّسا في مقاصد النّحاة، وتمرُّناً على البحث في تذييل صعوباتها»[2].

إذن هي مجموعة من الحواشي في شكل شرح وجيز، مُقتَضَب، مركّز، على نمط الشبكات العنكبوتية، يُؤدِّي إلى حلّ ما استغلق من ألفاظ النصّ وتراكيبه، باستخدام رموز، أو إشارات أو منحنيات، تربط المتْن المشروح بالطُّرّة الشارحة. وقد وضَعَها ابن بونا رحمه الله شرحا لألفية ابن مالك، واحمراره هو عليها. وهي طرّة مفيدة، غير أنّ الاستفادة منها تستعصي على غير المتخصّصين؛ لذا كثرت التعليقات والشروح على هذين العمَلَيْن، ممّا يدلّ على قيمتهما العلمية.

وأهمّ مصادرها، التي اسْتُقِيَت منها شروح التسهيل، خاصّة شرح ابن مالك نفسه، وشرح الدماميني عليه، وشروح الألفية، كشرح الأشموني، ثمّ توضيح ابن هشام[3].

وعليه ف(الاحمرارُ والطُّرّة) من أجَلّ نشاط ابن بونا، وعُمدة فِكْره، وإنتاجه العلميّ على تراث ابن مالك النّحوي ببلاد شنقيط في هذين القرنين. وهو ما عبّر عنه أحمد بن الأمين الشنقيطي في إشادته بالمؤلّف وأثريْه الخالدين هذين بقوله : «ويكفيه أنّه هو الذي نشر النّحو بعد دفنه، وكفى الناس مشقّات مُؤنه، وكانوا لا يتجاوزون قبله ما في الألفية وشروحها، مع عدم معرفة الخطّة التي يمكن للطالب أن يخزّن في ذهنه بها ما يكون قريب التناول عند الحاجة إلى ذلك، حتّى نظم لهم ما تخلّف عن الألفية، ممّا تضمّنه التسهيل، وألصق كلّ شذرة بما يناسبها، وضمّ إلى ذلك طُرّته المفيدة، وأتى على

١- مادّة (طرر).

٢- تاريخ النحو، ص٤٥٨.

٣- الإسهام الشنقيطي في درس أصول النحو، التعليق على جامع ابن بونا وشروحه نموذجا، لمحمد بن محمد يحيى بن الدوَه. بحث لنيل شهادة الماستر في الآداب، جامعة شنقيط العصرية، السنة الدراسية ٢٠٠٧/٢٠٠٨م. ص٤١.

كلّ مسألة بالشواهد من كلام العرب»[1].

ولأهمّية الطُّرّة عند العلماء والدارسين الشناقطة - حيث أصبحت المقرّر الأوّل في الدراسات النّحوية دون منازع في المحظرة الشنقيطية -انبرى العلماء لتذليل ما استغلق منها، وتوضيح رموزها، وحلّ أقفالها، وهو ما مثّل غزارة نظْم مسائلها، وتدفُّق شروحها، والتعاليق عليها. يقول الدكتور محمّد المختار بن ابّاه : «وخلاصة القول إنّ جامع المختار أصبح في بلاد شنقيط كلّها المرجع الأساسي في التدريس، والمنطلق المعتمد في البحوث النحوية، فصارت كلّ الدراسات تدور حوله، تفسّر غوامض ألفاظه، وتبيّن دقائق معانيه، وتخصّص عمومه، وتقيّد إطلاقه، وتشرح شواهده، من الحديث والشعر، حتّى نشأ عن هذه الحركة مجموعة من المصنّفات، تفرّعت كلّها من بحر الجامع البوني»[2].

ونظراً لما سبق أرى أنّ (الطُّرّة) تتميّز بسمتين بارزتين، تستحقّان الوقوف عندهما :

الأولى : استيعابها لكثير من بحوث النّحو ومسائله وقضاياه، الواردة في كتب ابن مالك، وشروحها، في أسلوب موجز، مركّز، وهو ما يفسّر سرّ ما أشرت إليه سالفا من كثرة التعاليق، والشروح عليها، واهتمام العلماء بتبيين مواطن الإطلاق والتقييد فيها، وإجلاء مضامينها، وما ترمي إليه إيحاءاتُها ورموزُها، حسب ما سيأتي عرضه من أعمال تلاميذ ابن بونا الناهين على هذا الأثر القيّم، بعون الله تعالى.

ثانيتهما: غزارة شواهدها، من القرآن الكريم والقراءات، والأحاديث الشريفة والآثار، والشعر، حيث بلغت شواهدها من الأساليب القرآنية حوالي (ستّة وتسعين وألف ١٠٩٦)، ومن الأحاديث والآثار حوالي(واحد وأربعين ومائة ١٤١)، ومن الشعر والأراجيز حوالي (خمسة وتسعين وألفين ٢٠٩٥[3]). وغزارة الاستدلال بهذه الأساليب من أبرز أسرار تميُّز (الطُّرّة)، وحضورها في المحظرة الشنقيطية. كما أنّ استدلال ابن بونا بهذا الكمّ المعتبر من الأحاديث والآثار يوحي بتأثُّره بمذهب شيخ النّحاة ابن مالك، الذي يعدّ أوّل من توسّع في الاستدلال بالأحاديث النّبوية على نطاق واسع. وفيما يلي عرض نموذج من الطّرّة، للتدليل به على ما ذكر.

١- الوسيط، ص ٢٧٧.

٢-تاريخ النحو، ص٤٥٩.

٣-تقريب الطُّرّة على ألفية ابن مالك، للأستاذ أحمد بن محمد المامي اليعقوبي، ج٢، ص٨٢٤ - ٨٤٣.

قال ابن مالك في باب جمع المذكّر السالم، وما ألحق به :

وارْفعْ بــواوٍ وبيــا اجرُرْ وانصِبِ ... ســالِمَ جَمْعِ عامرٍ ومُــــــذْنِبِ

وشِبْهِ ذَيْنِ وبـــــهِ عِـشْرونا ... وبـــــابُهُ أُلْحِــقَ والأهـــلونا.

فقال ابن بونا :

(وارفع بواو) نيابة عن الضمّة، (وبيا اجرر) نيابة عن الكسرة، (وانصب) نيابة عن الفتحة، (سالم جمع عامر ومذنب)، ويسمّى هذا الجمع جمع المذكّر السالم، لسلامة بناء واحده، والمجموع على حدّ المثنّى؛ لأنّ كلاّ منهما يعرب بحرف علّة، بعده نون تسقط للإضافة، (وشبه ذين) من كلّ عَلَم أوصِفة أو مُصَغّر لمذكّر عاقل خالٍ من تاء التأنيث، ويشترط في العَلَم الخُلُوّ من التركيب على التفصيل السابق، ومن الإعراب بحرفين، وفي الصفة قبولُ التاء، أو الدلالة على التفضيل. وشذّ قوله [1] :

مِنَّــا الذي هو مــا إنْ طُرَّ شـاربُهُ ... والعانِســـــونَ ومِنَّا المُرْدُ والشِّيَبُ.

وقوله [2] :

فـــما وجَـــدَتْ نِســاءُ بني تميم ... حــلائلَ أَسْوَدِينَ وأَحْمَـــــــرينَا.

ويستثنى ممّا فيه هاء التأنيث ما كانَ عَلَماً من الثلاثي المُعوّض من فائه أو لامه هاءُ التأنيث، كعِدَة وزِنَة وهِبَة، مالم يُكَسّر قبل العَلَمِية تكسيراً يُعْرب بالحركات، كشَفَة، أو يعتلّ ثانيه، كدِيَة...إلخ[3].

هكذا على هذا المنوال جالَ المؤلِّف، وصالَ في المسألة، محلّلاً، مناقشاً، مُكثراً من الشواهد الشعرية أكثرَ شيء، مُستغرقاً بحثُه فيها وحدَها عدّةَ صفحاتٍ. وقد اقتصرت على نموذج قصير من هذا النصّ الطويل، المفيد، خشية الإطالة ؛ للتدليل به فقط على ما ذُكِر من سمات تتميّز بها هذه (الطّرّة)، من ضغط المعلومات، وتركيزها، مع استيعاب المسائل والتفريعات، وصعوبة النصّ واستغلاقه على الأفهام، وغزارة الشواهد، وتنوّع الاستدلال، ولأنّ صاحبها يعدّ شيخ المراحل النحّوية ببلاد شنقيط، وأستاذها دون

١- من بحر البسيط، لأبي قيس بن رفاعة اليهودي. يراجع مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، الشاهد رقم ٥٦٦.

٢- للحكيم بن عيّاش في هجاء مضر، من الوافر. يراجع شرح الأشموني، ج١، ص١٨.

٣- تقريب الطُّرّة، ج١، ص٣٠، فما بعدها.

منازع، فكلّ نحويّ شنقيطي جاء بعده تلميذ له، وعالة على ما ارتسمه، واختطّه في هذه (الطّرّة) الفذّة، فطفقوا جميعا في خدمتها، ما بين معلّق، وشارح لخفاياها، وما استغلق من رموزها، وناظم لقضاياها، وما توزّع من شتات مسائلها.

وهذا ما عبّر عنه النصّ الموالي : «الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة، المعروف ب(طُرَّة ابن بونا)، الذي عكف عليه الطلبة في هذه الأزمُن، واشتغلت به الفِكَر والأفهام، وصار الناس فيه ما بين شارح ومختصِر ومُقتصِر، ومُبيِّن لنُكَته، وما بين مُشتغل به، حفظا وتدريسا»[1].

وأرى أنّ إقبال الشناقطة الكبير على (احمرار) ابن بونا، الذي اتّسمت مادّته بالتركيز والاكتناز، والاستعصاء على الأفهام، ربّما يعود إلى عدم توافرِ (كافية ابن مالك) في الساحة الشنقيطية، حيث هي مصدرُ الخلاصة، وأوسع منها وأشمل، وتتّسم بسهولة النظْم وسلاسته، وممّا يدعم هذا فيما أرى تأخُّر شروح القوم عليها عن فترة ابن بونا. وعليه فلو كانت متوافرة لديهم لأَخذها مَن أراد التوسُّع عن الخلاصة، كما اقتصر على الخلاصة مَن أراد عدم التوسُّع.

وقد عمل النابهون من طلبة ابن بونا، وتلاميذهم على تشييد مشروعه النّحوي، وتطويره، وكانوا في ذلك فريقين: فريقا اشتغل بالتأليف، أو التأليف والتدريس معا، وفريقا أكبّ على التدريس واشتغل به. وذلك في منطقة (الكِبْلَة = الجنوب الغربيّ)، ثمّ في الشمال، وفي الوسط، أمّا في شرق البلاد فقد كان للنّحاة مذهب موازٍ لما انتهجه ابن بونا، وتلاميذه في دراسة النّحو. سيأتي الحديث عنه فيما بعدُ. بعون الله تعالى.

ثانــيًا – المؤلّفون والمدرّسون النابهون من طلبة ابن بونا وتلاميذهم :

أ-المؤلّفون : مَن اشتهروا بالتأليف، أو التأليف والتدريس معا، في هذه المرحلة مِن النّحاة الشناقطة كثيرون جدّاً،من أبرزهم :

٢٧- عبد الودود بن عبد الله بن محمّذن بن انْجُبْنانْ الحيبلّي(ت١٢٦٨هـ)، نحوي لامع متميّز، يقول عنه أحمد بن الأمين الشنقيطي : «نحويّ شهير، انفرد به من غير نكير، وأوضح للناس أسراره، وأعلى مناره.. وبرّز فيه، وبلغ مبلغا لم يبلغه غيره في

١- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص٤٥٩. مخطوطة.

عصره.. ماترك.. عويصة في النّحو إلّا نظمها أسلس نظْم وأتقنه»[1].

وتحدّث عنه الدكتور محمد المختار بن ابّاه قائلاً : «انتشر صيته وعلمه، وانتظمت حوله محظرة مشهورة، وشاعت أنظامه وقصائده ومؤلّفاته، وكان كلّ نشاطه مرتكزا على علوم اللّغة والنّحو»[2].

وهو حفيد المختار انجُبْنان، صاحب كتاب (شافي الغليل)، الذي سبق الحديث عنه، وتلميذ بُلاّ بن الفاضل الشقروي الحسني(ت١٢٧٣هـ[3])، وأوّل نحويّ مؤلِّف كبير، خدم طُرّة ابن بونا خدمة متميّزة، معمّقا منهجه في الدراسات النّحوية. له من التآليف النحوية [4] :

أ- نظْم في تصريف الأفعال .

ب - قصيدة في المصادر العربية.

ج-كثير من الأنظام الضابطة للمسائل النّحوية.

د- رَوْض الحَـرُون على مقابل الأصحّ من طُرّة ابن بون[5]. هو أهمّ تآليفه، التي أودعها فكره النّحوي، وصفه أحمد بن الأمين الشنقيطي بقوله : «صغير الحجم، إلاّ أنّه كبير الفائدة، ولا يستغني عنه نحويّ»[6].

وأشاد الدكتور محمّذن بن المحبوب به، وبمؤلِّفه، موضّحا مضمونه، قائلا : « الذي راضَ الجيل النّحوي الأوّل، فقد تمكّن من ناصية اللّغة والنّحو، وأحاط بنماذج ابن بونا ليتجاوزها، ممحّصا طُرّته، متتبّعا أقواله بدقّة، وقد أوضح ذلك ضمن كتابه النحوي الفريد في بابه، والذي أسماه (روْض الحَـرُون من طُرّة ابن بون)، وهو كاسمه فعلا، فقد سعى خلاله إلى رياضة كلّ صعب، ممتنِع، حَرون، من طُرّة الشيخ المختار، وقد تتبّع في هذا الكتاب طُرّة الرجل بشيء من الدقّة والصرامة النحوية، متعقّبا عبارات (الترجيح،

١- الوسيط، ص٣٧٤، والمنارة والرباط، ص٦٢٠.

٢- تاريخ النحو العربي، ص٤٧٣.

٣- الوسيط، ص٣٣٩.

٤- الوسيط، ص٣٧٣، والمنارة والرباط، ص٦٢٠.

٥-توجد منه نسخ بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام (٥٩٨، ناقصة البداية والنهاية)،(٢٥٩٤،ناقصة النهاية)، (٣٠٢٦،ناقصة، غير منطمسة)، ونسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٣٥١١.

٦- الوسيط، ص ٣٧٤.

والأصحّ، والأظهر، والمطلق، والمؤوّل)، فبيّن مقابل كلّ هذه التخريجات»[1].

وكذلك نجده أيضاً معقِّباً على (عبارات المشهور)، وغيرها.

وهذا ما تحدّث عنه المؤلّف نفسه في مقدّمة هذا الكتاب القيّم، مُبيِّنا جانبا من منهجه، قائلا : «فلمّا كان تقييد الشيخ االمختار بن بونا على الألفية وعلى توشيحه إيّاها ظاهر الإفادة والمزّية، وبه اشتغال أهل هذه الجهة الغربية، إلاّ أنّ فيه إطلاقات وتأويلات تركها سُدىً، وتصحيحات واحتمالات، وتخريجات لايُدرى مقابلها أبدا، سألني بعض أهل العصر تأليفا، يُبيّن لُغَـزَه ويفتح عويصه ورمزه، حتّى شرح الله صدري لما ندبني إليه»[2].

وقد اعتمد في تأليفه على جملة من أمّهات المصادر النحوية، ذكرها بقوله : «اعتمدت في هذا الكتاب شرح الدماميني، وشرح ابن عقيل التسهيلَ (المساعد)، وشرح الشيخ خالد الأزهري لتوضيح ابن هشام، وإن نقلت من غير هؤلاء عرّفته باسمه أو كنيته أو لقبه أونسبته»[3].

مشيرا للدماميني ب(د)، وللمساعد ب(ع)، ولخالد الأزهري ب(خ). وقد استغرب الدكتور محمد المختار بن ابّاه[4]، مُحِقّا عدمَ عزْو المؤلِّف هنا لكتاب جدّه المختار انجُبْنان : (شافي الغليل)، الذي سبق عنه الحديث، مع أنّ مصادر تأليفيهما واحدة. وكما ذكرت سابقاً، فلا وجهَ للاستغراب عندما نعرف أنّ الرجل رجعَ إلى المصادر التي أخذ منها جدّه، فالخلل المنهجيّ هو الأخذ من المراجع الثانوية، وترك المصادر الأولى، خصوصاً أنّه صرّح بالرجوع إليها، وأخْذ مادّته منها.

وفيما يلي عرض نماذج من رَوْض الحَـرُون، تفيد علوّ كعب مؤلّفه في هذا الفنّ، ومدى سعة اطّلاعه، واستيعابه المسائل، وكثرة استعراضه آراء النّحاة ومذاهبهم، التي يستند إليها استنادا واضحا أثناء تمحيصه عبارات الشيخ ابن بونا. فمثلا عند قول ابن بونا معلّقا في طُرّته على نصّ ابن مالك : (ألْ حرف تعريف : «صدر البيت الأوّل، من

---

١ – النحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصّص، مجلّة المنهل، جدّة، العدد ٥٤٧، شوال ١٤١٨هـ. ص١٣٦.

٢ – الصفحة الأولى من المخطوطة.

٣– ص١، المخطوطة.

٤– تاريخ النحو، ص٤٥٢.

باب المعرّف بألْ) : «وفاقا للخليل وسيبويه، وليست الهمزة زائدة خلافا لسيبويه»[١].

علّق الشيخ عبد الودود على هذا الإطلاق بقوله :

«قال ابن مالك لا خلاف بين الخليل وسيبويه أنّ ألْ مُعرِّفة، وإنّما الخلاف بينهما في الهمزة أزائدة أم أصلية؟ وقال الموضِّح : والمشهور عن النحويّين أنّ المعرِّف ألْ عند الخليل، واللّام وحدها عند سيبويه. ونقل ابن عصفور الأوّل عن ابن كيسان، والثاني عن بقية النحويّين، ونقله بعضهم عن الأخفش»[٢].

ثمّ تحدّث عن ما في المسألة من المذاهب، فقال :

«واعلم أنّ في المسألة أربعة أقوال، أريد أن أذكرها مع حججها تكميلا للفائدة، أحدها أنّ المعرِّف ألْ، والألف أصلية، وحجّة هذا القول فتح الهمزة، وأنّهم يقولون: الأَحمر بنقل حركة همزة أحمر إلى اللاّم قبلها، فيُثبتونها مع تحريك ما بعدها، ويُثبتونها في القسم والنداء، نحو: ألله لأفعلنَّ بقطع الهمزة، ويا ألله بإثبات الألفين، ويُثبتونها إذا تذكّرُوا مَا هي فيه كالكتاب، فيقولون : ألْ، كما يقولون : قدْ، ويُثبتونها مسهّلة في نحو: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾[الأنعام : ١٤٤]. الثاني من المذاهب أنّ المعرِّف ألْ، والألف زائدة، وحجّة هذا القول سقوطها في الدرج، أي الوصل، وأمّا فتحها عند صاحب هذا القول فلأنّها خالفت القياس بدخولها في الحرف، وأمّا ثبوتها مع الحركة فلأنّ الحركة عارضة فلا يعتدّ بها...»[٣].

وهكذا على هذا النّحو من التحليل والمناقشة ذكر القولين الآخريْن، مُستنداً على أقوال العلماء، ومذاهبهم.

وعند قول ابن مالك في باب المبتدأ والخبر : (وأخبروا بظرفٍ أو بحرف جرّ. البيت رقم ١١)، علّق ابن بونا قائلا : «إذ هو(متعلّقهما) الخبر حقيقة على الأصحّ». فقال عبد الودود، مستدركا على عبارة (الأصحّ[٤]) : «مقابله قول الكوفيّين وابنيْ طاهر وخروف، إنّه لا تقدير، لكن اختلفوا، فقال ابنا طاهر وخروف : الناصب لهما المبتدأ، وزعما أنّه

١-تقريب الطُّرّة، مصدر سابق، ج١، ص١٢٩.

٢- ص ٥، من المخطوطة.

٣- ص٥، ٦، من المخطوطة.

٤- ص٦، من المخطوطة.

يرفع الخبر إذا كان عينه، نحو زيد أخوك، وينصبه إذا كان غيره، نحو زيد عندك، وقال الكوفيّون : الناصب لهما معنوي، وهو كوْنهما مخالفين للمبتدأ، قاله خالد الأزهري»[1].

وفي مستهلّ باب المفعول المطلق قال ابن بونا في ناصبه : « بمثله، أو فعل تامّ، أو ناقص على الأظهر»[2]. فعلّق عبد الودود على عبارة (الأظهر)، قائلا : «لم يذكر (دَ) ولا (عَ) ولا (خَ) قولا بنصب الفعل الناقص المصدر، لكن ذكر السيوطي أنّ السيرافي وطائفة أجازوا ذلك، نحو كان زيدٌ قائما كَوْناً»[3].

هكذا يسير الشيخ عبد الودود في تتبّعه عبارات الشيخ ابن بونا على هذه الوتيرة من الدقّة والتمحيص والصرامة، مُستندا في ذلك على أقوال كبار النّحاة وآرائهم.

٢٨- سيدي محمّد بن أحمد بن حَبَت القلاّوي (ت١٢٨٨هـ)، عالم ، جليل[4]، صاحب مكتبة كبرى بمدينة شنقيط، له من المؤلّفات النحوية :

أ- منظومة في أحكام التقاء الساكنين. شرحها محمد يحيى بن سليمة اليونسي الولاتي(ت١٣٥٤هـ)[5].

ب-المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية. وهو موسوعة في أربعة أجزاء كبيرة، مخطوطة[6]، شارحة لألفية بن مالك، واحمرار ابن بونا عليها، تمثّلُ فيما أرى ذروة تطوُّر النّحو العربي، وقمّة ازدهاره ببلاد شنقيط، لم تنل حظّها، وتُـقَـدّر حقّ قدرها من الباحثين، والدارسين الشناقطة، حيث اعتنوا بتآليف وأشادوا بها، بينها وبين هذه الموسوعة الممتازة بون شاسع، لايسمح بالموازنة. وهو وإن كان في الأصل شرحا للخلاصة والاحمرار، فإنّه حقيقةً شرْحٌ وافٍ للطُّرّة، وإن كان بطريقة غير مباشرة؛ لأنّ مصادرها ملخّصة فيه، علاوة على استناده إلى غيرها من المصادر، حسب ما يأتي بعد قليل.

١- تقريب الطُّرّة، ج١، ص١٤٢.

٢- المصدر والجزء نفسهما، ص٢٩٣.

٣- ص١٦، من المخطوطة.

٤- حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٥٧، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٥- يوجد هذا الشرح على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٣٠٥ .

٦- وهي مخطوطة في أربعة أجزاء كبيرة، توجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ٢٨٤٧، ٢٨٤٨، ٣٥٣٠، ٢٧٩٣، على التّوالي. كما يوجد كاملا على (مكرو فلم) المعهد نفسه، تحت رقمي ١٧ ، ١٣٤ .

يقول المؤلّف في مقدّمة هذه المدوّنة الرائعة، محدّدا دواعي تأليفه إيّاها، مشيرا إلى ما أودع فيها من دُرَر أئمّة الفنّ، وفوائدهم الجمّة : « ثمّ إنّه لّما كانت تلك الكتابات مُمتزِجة بالخلاصة امتزاج الماء بالراح، أوامتزاج الأجسام ذوات الحواسّ بالأرواح، شرعت في الشرح لجميع ما هنالك والإيضاح، ضامّا إلى ذلك من الفوائد ما ينشرح له الصدر أيّ انشراح، ناقلا عليه من كلام الأئمّة ما يتبيّن به المرام، وينكشف عن وجوه خرائد مخدّراته اللّثام، ويروي كلّ غليلٍ نحو ذلك المشرب، وظامٍ»[1].

وحدّد مصادره قائلا : « إنّني اعتمدت في النقل على التسهيل، وعلى ثلاثة من شروحه، وهي الدماميني، والمساعد، ونتائج التحصيل[2]، وعلى الأشموني، وعلى محشيه الصبّان، وربّما نقلت من حاشية الشُّـمُـنِّي[3]، والرّصّاع[4]، وعلى النُّـكَت للسيوطي، والأشباه والنظائر له أيضا، والارتشاف لأبي حيّان، وشرح الكافية للمؤلّف. فما اعتمدت عليه في النقل هذه الكتب، وربّما نقلت عن غيرها كـ(العينيّ[5])، وخزانة الأدب، والحماسة، والقاموس، والجوهري، وغير ذلك»[6].

فهذا الفيض الغزير من المصادر النحوية واللّغوية الموسوعية الأصيلة، يعبّر بجلاء عن القيمة العلمية لهذه المدوّنة، وعلوّ كعب مؤلّفها في هذا الفنّ، كما أنّه يكشف عن سرِّ موسوعيتها، واتّساع حواشيها، حيث أتاحت هذه المصادر المتنوّعة الموسوعية للمؤلّف أخْذَ سيْل غزير من النقول الممتازة، الغنية، المتلوِّنة.

ثمّ تحدّث عن فضل علم النّحو وشرفه، ذاكراً طبقات النحويّين واللغويّين، مؤرّخا لهم، من الخليل بن أحمد الفراهدي (ت١٧٥هـ)، إلى عصر أبي حيّان النحوي الأندلسي (ت٧٤٥هـ) [7].

١- ج١، ص٢،١، من المخطوطة.

٢- لأبي عبد الله محمّد المرابط الدلائي المغربي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري. وهو موسوعة ضخمة، نادرة النوع، في اتّساعها وشمولها، إذ أُخِذت من شروح التسهيل، وغيرها من المصادر النحوية المهمّة، رَبَتْ في مجملها على أكثر من مئة وسبعين مرجعا. يراجع تاريخ النحو العربي، ص٤٠٨.

٣- هو أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن محمد، ت٨٧٢هـ. له : حاشية الشّـمُـنِّي على شرح الدماميني، على مغني اللّبيب لابن هشام.

٤- هو أبو عبد الله الرصّاع محمد بن قاسم الأنصاري التونسي، ت٨٩٤هـ. له : الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللّبيب.

٥- هو أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي، ت٨٥٥هـ. من تآليفه النحوية : المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، المعروف بالشواهد الكبرى. وفرائد القلائد مختصر شرح شواهد الألفية، المعروف بالشواهد الصغرى.

٦- المصدر نفسه، ص٣.

٧- ص٧،٦، من المخطوطة.

وطريقته في الشرح أن يبدأ بعرض أبيات الألفية والاحمرار، معقّبا عليها تعقيبا مختصَرا، مناسبا للطلاّب والدارسين، ثمّ يأخذ في الشرح الموسّع، والاستقصاء والتتبُّع، والتحليل والمناقشة، واستعراض الآراء والمذاهب، مُلبّياً بذلك حاجات العلماء والباحثين، مُوازناً، مرجّحاً بين الآراء والتوجُّهات، مُعتـنِـياً بدراسة الشواهد الشعرية، مستقصيا وجوه رواياتها المتعدّدة، شارحا ماستغلق من لغاتها، رابطا بين مناسباتها.

فهو تأليف قلّ نظيره، وأجودُ ما أنتجته القرائح ببلاد شنقيط، لحواشيه الغنية، ومناقشاته الضافية، وتحاليله الشاملة. وهذا الاتّساع، والتنوُّع في البحوث يوحي بهما قوله: «وإنّما تكلّمنا على مدلول الاسم وقسيميه على اصطلاح البيانيّين والنحويّين والمنطقيّين»[1].

وهو رحمه الله أمين، كثيرُ التوثيق، والضبطِ، وإسنادِ النقول إلى أصحابها. ونظراً لما سبق فهذا التأليف مدوّنة شاملة لقضايا النّحو واللّغة والأدب والتاريخ، جدير باعتناء العلماء والباحثين المحقّقين لإخراجه. ومن المستغرب بحقّ أن يبقى إلى الآن بعيداً عن الأضواء، واهتمام الباحثين!!.

وممّا يعبّر عن قيمة هذه الموسوعة المعرفية، وشمولها لقضايا النّحو واللّغة والأدب قولُ حفيد مؤلّفها : الشيخ محمد بن حبت القلاوي (ت١٢٩٩هـ) في مقدّمة اختصاره إيّاها : «إنّ تصنيف الوالد رحمه الله تعالى المسمّى ب(المواهب النحوية على الخلاصة والكتابات البونية)، لا شكّ أنّه في التصانيف غرّة الزمان في غاية الحسن عند من تداوله من الإخوان، لم يأت مصنّف ممّن سبقه بمثاله، ولم ينسج على منواله، وهو المستعمل في بلادنا : بواديها والحضر، لتفسير الخلاصة ونظْم ابن بونا معها، وما وضع عليها من الطُّرَر، لكنّه في هذا الفنّ من الكتب الطوال، باستجلاب الشوارد، وكثرة العزو للرجال، وبالغوص في مفاوز مسائل الفنّ لتبيان غوامضها والمشكلات، وربّما طمح به لسان القلم إلى سائر علوم الأدب لأمر اقتضى ذلك في بعض النفحات، فكان ملجأ وموئلا للجلّة أولي الانتهاء»[2].

١- المصدر نفسه، ص٤٠

٢- يوجد هذا الاختصار بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٩٦٦، وبمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقمي ٨٢١٨،٣٥٩٠، وعلى (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٨٩.

وأُورِد فيما يلي نموْذجا من هذا الشرح الفذّ عند قول ابن مالك [1] :

وفي اخْتيـــارٍ لا يجيءُ المنفـــصِلْ إذا تـــأتّى أن يجـــــيءَ المتّصلْ.

إذ قال :

قال الصّبّان : مفهوم قوله : (في اختيار) أنّه في حال الضرورة يجيء المنفصل، مع إمكان المتّصل، وهو صحيح على قول الجمهور إنّ الضرورة ما وقع في الشعر، وإن كان للشاعر عنه مندوحة، أمّا على قول الناظم : إنّها ما ليس للشاعر عنه مندوحة فمشكل.. والمعنى إذا تأتّى فيكون ذكر الشرط ضائعا؛ لأنّه عند عدم التأتّي لا يكون في الاختيار. كذا قال بعضهم. وإنّما منع مجيء المنفصل مع تأتّي مجيء المتّصل؛ لأنّ الغرض من وضع المضمرات الاختصار، والمتّصل أخصر من المنفصل، نحو قمت وأكرمتك، لا يقال فيهما : قام أنا، ولا أكرمت إيّاك؛ لأنّ التاء أخصر من (أنا)، والكاف أخصر من (إيّاك). فصل في الأماكن التي يجب فيها انفصال الضمير. (ويُفصل الضمير العاملُ فيه مُبتدَا)، كما إذا كان فاعلا سادّا مَسدّ الخبر، نحو أقائمٌ أنت، كما سيأتي. وعبارته في التسهيل : أو رفع صفة جرت على غير صاحبه. وهو أصوب من قوله : (يُفصل العامل فيه مُبتدَا)؛ لأنّ المبتدأ قد يعمل في الضمير، ولا يتعيّن فصله، كما إذا كان مفعولا له، ومضافا، أو غير ذلك. ومِن فَصْل الضميرِ خبَـر عن (كأنّ) :

فكأنّها هيَ يـــومَ غِبِّ كَلالِهـــا أو أسْفـــــــعُ الخدّيْن شَاةُ إرَانِ[2].

(هي) خبر كأنّها، يصف ناقة، إذ ما بعد كلالها وتعبها نفسها قبل الكلال في النشاط والقوّة، أو كأنّها أسفع الخدّين... وهو يسمّى شاةً، والإِرَان، بالكسرة نشاط، وهو مِن أَرِن كفرِح. وشاة بدل من أسفع. وقال قوم : هي كناية عن سفينة، شبّهت الناقة بها في السرعة. والبيت من قصيدة لبيد[3].

وهكذا سارَ عرضُ المسألة، ومناقشتها، وما تمّ نقله هنا هو جزء قليل جدّاً ممّا كتبه المؤلِّف في شرح هذه المسألة، وذلك خشية الإطالة، إذ توسّع في التحليل والمناقشة،

١- البيت رقم ١٢، من باب النكرة والمعرفة.

٢- من البحر الكامل، من قصيدة للشاعر لبيد، كما ذكر المؤلّف. يشبّه الشاعر ناقته بالسفينة في الضخامة، والثورِ الوحشيّ في الخفّة والسرعة. يراجع مختار الشعر الجاهلي، مصطفى السّقا، ج٢، ص٤٣٨.

٣- ج١، ص١٣٥، ١٣٦، من المخطوطة.

وأفاض في العرض، مُكثراً من الأدلّة والشواهد، مُستدعياً آراء العلماء، ومذاهبهم من أمّهات مصادرهم الأصيلة.

٢٩- اختصار مواهب سيدي محمد بن حَبَتْ (ت١٢٨٨هـ) النحوية، للشيخ محمد بن حبت القلاوي (ت١٢٩٩هـ). وقد طُبع منه جزآن طباعة حجرية بفاس، مع حاشية للسلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ (ت١٣٥٦هـ). وهو اختصار وافٍ، شامل لكثير من أمّهات النّحو ومسائله، مع الاعتناء بكثرة المناقشات والتحليلات، لذلك فهو من أوْفى الاختصارات وأنفعها. وقد بيّن في مقدّمته منهجَه، وجهودَه، وما أضاف فيه من الزيادات، حيث قال :

فلأجل ما ذُكر أشار عليّ باختصاره بعضُ ذوي البصائر ظانّا مِن سِتر الله علَيّ أنّ لي قابلية في خوْض لُجَج تلك الزواخر، فلم أجد بُدّاً من إسعافه بمطلوبه، فجريت على مِنهاج مَرامه وأسلوبه، فشرعت في الاختصار، متكفّلاً فيه بإيضاح النّظْمَيْن وطُرَرهما، خصوصا محامل الإطلاقات والأشهرية ممّا سواهما، فيما اشتملت عليه من أنواع الخلافات، ومحالّ الشواهد من الآيات والأبيات، وأذكر غالباً طرفا من توجيهاته والتعليلات، وأزيد تاراتٍ من الأمثلة للإيضاح والكشف عن حقيقة المسألة، وأذكر مسائل فيه من الأحكام جلَبها اقتضاءُ المقام.. عن فوائد لا تحصى ونُكتٍ وذخائر لا تستقصى، وربّما ترك المصدر في بعض المواضع ما يحتاج للتبيين مِن تلك الطُّرَر فأثبتّه ونبّهت عليه، وقد آتي به غير منبِّه عليه، لإمكان أن يكون مسطوراً في نسخة غير التي بيدي، فجعلته في المتن، مقتصراً على العزو لمن نسبَ إليه، فجاء مختَصراً، مصحوبا بالإفصاح وبما أمكن من الإيضاح[١].

وفيما يلي أُورِد نموذجاً مختصراً من هذا الاختصار، في باب إعراب المثنّى :

«المثنّى وما ألحق به يرفع بالألف، ويجرّ وينصب بالياء المفتوح ما قبلها. تنبيهان : الأوّل : في المثنّى وما ألحق به لغة أخرى، وهي لزوم الألف رفعا ونصبا وجرّا، وهي لغة بني الحارث بن كعب.. وأنكرها المبرّد(ت٢٨٦هـ)، وهو محجوج بنقل الأمّة، فقال الشاعر [٢] :

١- طبعة فاس الحجرية، ص٥.

٢- من الطويل، للشاعر المُتلـمِّس. ينظر في طُرّة ابن بونا مع تقريبها، ج١، ص ٢٧.

فأطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجـــاعِ ولوْ رَأى   مَسَاغًـــــا لِنَابَاهُ الشُّجـــاعُ لَصَمَّما.

وجُعِل منه ﴿إِنَّ هذَانِ لَساحِرَانِ﴾[٦٣،طه]، و(لا وِتْرانِ في ليلةٍ)[1]. الثاني : لو سُمِّي بالمثنّى، ففي إعرابه وجهان : إعرابـه قبل التسمية، والثاني يُجعَل ك(عمران) فيلزم الألف، ويمنع الصرف. وقيّده ابن مالك في التسهيل بأن لا يجاوز سبعة أحرف، فإن جاوزها.. لم يجز إعرابه بالحركات»[2].

فهذا نموذج ممتاز للاختصارات الممتازة، التي تُفيد الدارسين والعلماء على السواء، وتعتني كثيرا أثناء التلخيص بالتحليل والمناقشة، وعرض أقوال العلماء وآرائهم. ومن الأمثلة الدالّة أيضا على هذا تلخيصه كلام الشارح عن بيت ابن مالك في جمع المذكّر السالم وصفته :

وارفعْ بواوٍ وبيـــا اجْـرُرْ وانصبِ   ســـالِمَ جمْعِ عـــــامِرٍ ومُذنبِ

وشِبْهِ ذَيْنِ...

إذ قال : «تنبيهاتٌ : الأوّل : أجاز الكوفيون أن يجمع نحو(طلحة) هذا الجمع، الثاني : يُستثنى ممّا فيه التاء ما جُعِل عَلَمًا على الثلاثيّ المعوَّض من فائه تاء التأنيث، نحو : عِدَة، أو من لامه، نحو: ثُبَة، فإنّه يجوز جمعه هذا الجمع. الثالث : يقوم مقام الصفةِ التصغيرُ، نحو : رُجَيْل، يقال فيه : رُجَيْلونَ . الرابع : لم يشترط الكوفيون الشرط الأخير، مستدلّين بقوله [3] :

مِنّـــا الذي هـــو ما إنْ طـرَّ شاربُه   والعـــــانِسونَ ومنّا المُرْدُ والشِّيَبُ.

ف(عانس) من الصفات المشتركة التي لا تقبل التاء عند قصد التأنيث؛ لأنّها تقع للمذكّر والمؤنّث بلفظ واحد. ولا حجّة لهم في البيت لشذوذه»[4].

والنموذج الموالي يفيد أيضا جودة هذا التلخيص وحسنه. فعند قول ابن مالك :

١- من حديث قيس بن طَلْق، رواه أبو داود في سننه، تحقيق صدقي محمّد جميل، ج١، ص ٣٣٧، رقم(١٤٣٩). والترمذي في سننه، تصحيح صدقي محمّد جميل، ج٢، ص١٥، رقم(٤٦٩). والنسائي في سننه، ضبط صدقي جميل العطّار، ج٣، ص ٢٨، رقم ١٦٧٥.

٢- ص١ من المخطوط.

٣- من البسيط. وهو لأبي قيس دثار بن رفاعة اليهودي. ينظر معني اللّبيب، البيت رقم ٥٦٦، ص٣٠٠. و طرّة ابن بونا، مع تقريبها، ج١، ص٣٠.

٤- ص١ من المخطوط.

... في كُنْتُهُ الخُلفُ انتـــــمى

كـــــــذاك خلتنيهِ واتِّصَـــــالاَ أختـــــارُ غيرِي اختـارَ الانفصـالاَ.

يقول : «وفي هاء (كنته) وبابه الخلف الآتي ذكره.. وكذلك في هاء (خِلتَنِيهِ) وما أشبهه من كلّ ثاني ضميرين، أوّلها أخصّ، وغير مرفوع، والعامل فيهما ناسخ الابتداء، و(الانفصالَ) أختار في البابين؛ لأنّه الأصل. ومن الاتّصال في باب(كان) قوله عليه السلام : (إنْ يَكُنْهُ فلَن تُسَلَّط عليه ، وإلاّ يكُنْهُ فلا خيرَ لكَ في قتله)[1]. وقول الشاعر[2]:

فإنْ لاّ تكُنْهـــا أو تكُنْـــــه فإنّـــه أخـوها غَـــــذَّتْــــه أمُّـهُ بِلِبانِها.

وأمّا الاتّـــــصال في باب (خال) فلمشابهة خِلتَنيهِ وظنَنْتُكَه لأعطيتكَه، وهوظاهر، ومنه قوله[3] :

بُلّــــغْتُ صُنـــعَ امرئٍ بَرٍّ إِخَالُكَهُ إذْ لمْ تزَلْ لاِكْتِســـابِ الحمدِ مُبْتَدِراً.

وأمّا (غيري) : سيبويه والأكثر فإنّه اختار الانفصال فيهما؛ لأنّ الضمير في البابين خبر في الأصل، وحقّ الخبر الانفصال، وكلاهما مسموع... وما اختار الناظم هنا هو مُختار الرُّمّانيّ وابن الطّرَاوَة»[4].

قد اختصرت التلخيص اختصاراً، خشية الإطالة، غير أنّ ما تمّ نقله يفيد بجلاء نضجه، وجودته، وتميُّزه.

٣٠- محمد عالي بن سيدي بن سعيد معي الألفغي الديماني (ت١٣١٠هـ)، عالم كبير، شيخ محظرة نحوية، من تلاميذ عبد الودود بن عبد الله بن انجُبْنانْ (ت١٢٦٨هـ)، وابن عمّه. الذي كان معجباً به، حيث يقول في مقدّمة تنبيهه الآتي : « إنّه الحبر الذي ليس في منقوله غمز، والبحر الذي ليس في منقوده لَمْز»[5].

كما كان الشيخ عبد الودود يشعر بنبوغ التلميذ وذكائه، ممّا جعله يهتمّ بتوجيه

١- أخرجه الخمسة إلاّ النسائي عن ابن عمر.

٢- من الطويل، لأبي الأسود الدُّؤَلي. ينظر في طرّة ابن بونا، مع تقريبها، ج١، ص٦٣.

٣- من البسيط، ولم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في منحة الجليل بشرح ابن عقيل، ص٥٤، وطرّة ابن بونا بالتقريب، ج١، ص٦٤.

٤- ص٨، من المخطوط.

٥- مقدّمة تنبيه الصغار الآتي.

الأحاجي والألغاز إليه، وهي شهادة علمية، وتزكية مهمّة من أستاذ لتلميذه. من ذلك مثلا قوله [١] :

قـل للّذي كان بالتصريف مشتغـلاً   لم يخـــلُ مِن درسهِ يومـاً وتَكْــــرَارِ
ما وزْنُ نكْتَلْ وآرام وأثْــفِـيَّـــةٍ   وأيْنُـــــــقٍ وعَرِيبٍ ثمّ دَيَّـــــارِ [٢].

ويقول فيه أحد تلاميذه، مشيداً بمكانته العلمية، المتميّزة [٣] :

لِ(مَعِـــي) الهمامِ اللَّوْذَعِي الأَلْمَعِي   سِــــرْ واجْمَعَنَّ علومهُ في مَجْمَــــعِ
لا تَطْمَحَن عيْناك عنه لغـــــــيرهِ   وأنَسْ بكلِّ حديثـهِ وتَسَـــــــمَّعِ
وكُنِ الوعاءَ لما يفوهُ (مَعِي) بـــــهِ   لا تَفْلُتَنكَ كلمة مِن في مَــــــعِي.

والشيخ مَعِي ممّن جمعوا من الشناقطة بين التدريس والتأليف، فمن أبرز تآليفه النحوية:

أ-المُنْيَة على (عُبَيْد ربّه) [٤].

ب- تنبيه الصغار على الاحمرار لابن بونا[٥]. هو أهمّ تآليفه، وضعه شرحا لجامع

١- تاريخ النحو العربي، ص٥٠٧.

٢- نَـكْـتَـلْ : من قوله تعالى (فأرْسِلْ مَعَنَا أَخانَا نَـكْـتَـلْ ... ٦٣، يوسف) ، وزنها : نَـفْـتَـعِـلْ. بكسر العين؛ لأنّه من الكيل، أصله : نَـكْـتَـيِـلُ، فقلبت الياء ألفا لتحرّكها، وانفتاح ما قبلها، ثمّ حذفت الألف لوقوعها قبل سكون اللاّم بعد الجزم، فصارت نَـكْـتَـلْ. وقد غلط ابن السكّيت في وزنه، عندما سأله أبو عثمان المازني، بحضرة المتوكّل. و(آرَام) : وزنها : أعْـفَال؛ لأنّها مقلوب أرْآم، وهي جمع رِئْم، بالكسر، أي الخالص من الظباء، أو ولد الظبْي. و(أُثْـفِـيَّـة) : وزنها : أُفْعُولَة، أو فُـعْلُوية. في لسان العرب : «يقال : أثَّـفَـيْتُ القدر، أي جعلت لها الأثافيّ، وثَـفَّـيْتها إذا وضعتها عليها.. قال الزمخشري : الأُثْـفِـيّة : وجهان، تكون فُـعْلُويةً وأُفْعُولَةً. تقول : أَثَّـفْـتُ القدرَ وثَـفَّـيْتُها، وتَـأَثَّـفَت القدر». و(أَيْـنُـق) : وزنها أَيْـفُل، وقيل : أعْـفُـل. قال ابن جنّي : ذهب سيبويه في قولهم : أينق مذهبين، أحدهما أن تكون عين أينق قلبت إلى ما قبل الفاء في التقدير، فصارت أونق، والآخر أن تكون العين حذفت، ثمّ عوّضت الياء منها قبل الفاء، فمثالها على هذا القول أيـفـل، وعلى القول الأوّل أعـفـل. وهي جمع ناقة. و(عَرِيب) : وزنه : فعيل. ولا يستعمل إلاّ في النفي. و(دَيَّـار) : وزنه : فَيْعَال؛ لأنّه من دار يدور. وأصله دَيْـوَار، حيث وقعت الواو بعد ياء ساكنة، قبلها فتحة، فقلبت ياء، وأدغمت. ولا تستعمل إلاّ في النفي وشبهه. تاج العروس، لسان العرب، موادّ : (نوق، أثـف، رأم، كيل، عرب، دور).

٣- تاريخ النحو العربي، مصدر سابق، ص٥٠٧. لم أقف على اسم قائل هذه الأبيات.

٤- يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٨١١.

٥- تحقيق امبيريكة بنت محمد محمود، للحصول على الإجازة من جامعة انواكشوط سنة ١٩٩١م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٢٤١. وحُقّقت منه أبواب عديدة في رسائل تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مثلاً قام أحمد بن محمّد عبد الله بتحقيق بابي الحال والتمييز، في رسالة تخرّج من المعهد نفسه. السنة الدراسية ١٩٩٣/ ١٩٩٤م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

المختار بن بونا، تحدّث في مقدّمته عن بصريّته في المذهب، ذاكراً قدامى النّحاة الذين اعتمد عليهم في شرحه، من أمثال ابن هشام (ت٧٦١هـ)، وابن عقيل(ت٧٦٩هـ)، والشاطبي(ت٧٩٠هـ)، والمكّودي(ت٨٠٧هـ)، وابن الدماميني(ت٨٢٧هـ)، والأشموني (ت٩٠٠هـ)، وخالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، والصّبّان (ت١٢٠٦هـ)، والخضري، مكثرا فيه من عرض الأمثلة والآراء والمذاهب النحوية، والاستدلال بالقرآن الكريم، والحديث، وأساليب العرب، من شعر ونثر، وأمثلة للنّحاة. وفيما يلي عرض نماذج من هذا الشرح للتدليل بها على ماذكر.

- قال المختار بن بونا في طُرّته عند حديثه عن الحال: «وتذكّر وتؤنّث لفظا ومعنى...»[1]. فقال (مَعِي)، معلّقا، مقتصراً على الأشطار الأُوَل من شواهد ابن بونا الشعرية: «قال الشاعر: (على حالةٍ لو أنّ بالقوم حاتِماً ... [2]. قال: إذا أعجبَتْكَ الدهرَ حالٌ مِن امرئٍ ...[3]. وقال: فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها ...[4]). قال ابن هشام[5]: والحال تذكّر وتؤنّث، كما في هذا البيت، وهو فضلة، دالّة على هيئة صاحبها، نحو جاء زيد ضاحكاً، ف(ضاحكا) فضلة دالّة على الهيئة التي جاء عليها زيد. وخرج بالفضلة العمدة، نحو زيد ضاحك، وبدالّة على هيئة الصاحب، سائر المنصوبات، إلاّ المصدر النوعي، وبصاحبها، رجع القهقرى، فإنّه يدلّ على هيئة الرجوع، لا على هيئة الصاحب، ولا يقدح في جعله فضلة عدم الاستغناء عنه في بعض المواضع؛ لأنّه عارض، كما لايقدح في العمدة عروض الاستغناء عنها...»[6].

١- تقريب الطُّرّة، ج١، ص٣٣٦.

٢- تمامه: (على جودهِ لَضَنَّ بالماءِ حاتِمُ). وهو من البحر الطويل، للفرزدق. يراجع تقريب الطرّة، ج١، ص٣٣٦. عن ديوان المتنبّي، ص٦٠٣.

٣- تمامه: (فَدَعْهُ وواكِلْ أمْرَهُ واللّيالِـيَا). وهو من البحر الطويل، لم يعرف قائله. يراجع تقريب الطرّة، ج١، ص٣١٩.

٤- تمامه: (كما تَلَـوَّنُ في أثوابها الغُولُ). وهو من البحر البسيط، لكعب بن زهير، من قصيدته المشهورة، التي مطلعها: بانتْ سعادُ فقلبِي اليومَ متْبولُ مُتَـيّـمٌ إثْرَها لم يُـفْدَ مَكبولُ. يراجع المصدر نفسه، ص٣٣٧.

٥- ابن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ. يراجع توضيحه على ألفية ابن مالك، ج٢، ص٢٩٣. وشرحه على قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص٣٢٧.

٦- تحقيق بابي الحال والتمييز من التنبيه، ص١٤، فما بعدها.

- الشيخ مَعِي كثيرا ما يعرض المذاهب والآراء دون الاعتناء بمناقشتها، أو الترجيح بينها، غير أنّه يستعرضها بأمانة، ناسباً إيّاها لأصحابها. من ذلك مثلا قوله في مبحث دلالات الحال : «ودلالته على ترتيب، نحو : ادخلوا رجلا رجلاً. وفي نصب الثاني من المكرّر خلاف، قال أبوحيّان[1] : الذي أختاره أنّ كليهما منصوب بالعامل السابق؛ لأنّ مجموعهما هو الحال، لا أحدهما. وقال لو ذهب ذاهب إلى أنّ النصب بالعطف على تقدير حرف الفاء، أي رجلا فرجلاً، ونحو ذلك لكان وجها حسناً عاريا عن التكلّف، قال في الجمع[2] : وهو المختار عندي لظهورها في بعض التراكيب، كحديث (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قبلكم باعاً فباعاً [3]). وذهب ابن جنّي[4] إلى أنّه في مواضع الصفة للأوّل، وتقديره (باعا ذاباعٍ)، وقال الزجّاج [5] : الثاني تأكيد للأوّل؛ لأنّ التكرار للتأكيد ثابت في كلامهم»[6].

وهكذا يسير على هذه الوتيرة من الإكثار من عرض الأمثلة والاستقصاء والتتبّع، في أسلوب سهل، منساب.

٣١- الحسن بن زين بن سِيدي اسْليمان القناني (ت١٣١٥هـ)، العالم النحوي، الّلغوي الكبير، شيخ الصرفيّين الشناقطة، تخرّج على يد الشيخ عبد الودود بن انجُبْنان الألفغي (ت١٢٦٨هـ)، كما تخرّج على يديه هو النحويُّ الكبيرُ يحظيه بن عبد الودود (ت١٣٥٨هـ). وهو نظّامة ، حادّ الذهن، بعيد الغور[7]، وشيخ محظرة على مدى أربعين سنة. وقد اعتنى بعلم الصرف حتّى بلغ فيه مبلغا بعيدا. وسبب ذلك: « أنّه خرج في رفقة عام جدب، يريدون الميرة، فنزلوا على قرية من القُرى، فسألهم أهلها : هل هم من طلاّب العلم؟ فقالوا : نعم، فقالوا : أيّ علم تدرسون؟

١- أبوحيّان النحوي الأندلسي، صاحب تفسير البحر المحيط. ت٧٤٥هـ.

٢- أي جمع الجوامع في النحو، للسيوطي.

٣- أخرجه الحاكم في المستدرك، من رواية أبي هريرة : (باعا فباعا، وذراعا فذراعا، وشبرا بشبر). وهو على شرط مسلم. يراجع مستدرك الحاكم. ج١، ص٣٧.

٤- عثمان بن جنّي، ت٣٩٢هـ.

٥- أبو إسحاق الزجّاج، ت٣١١هـ.

٦- تحقيق بابي الحال والتمييز، ص١٦.

٧- الوسيط، ص٣٧٨.

فذكروا أنّهم كانوا يدرسون الألفية، فلم يمتحنوهم في النّحو؛ لأنّه من العلوم السهلة، وإنّما سألوهم سؤالا في التصريف، فسألهم شخص عن وزن (ارْعَوَى) فلم يعرفوه، فرفع الحسن من وقته ذلك، وتخصّص في دراسة التصريف،ثمّ ألّف طُرّته، فلمّا بلغ في نظْمه قوله :

عنِ الأحَـمّ والاَلْـمـَى نَحّ بُـنـْيـةَ ذا ... والعيبَ واللّوْنَ معنـــــاهُ بِهِ انعَزَلا
وعن مَـداهُ ارْعَوَى كاحْوَوَّ خارِجَةٌ ... وارْقَدَّ وازْوَرَّ عنْ مَعنـــــاتهِ انفصَلا.

يقال : إنّه انطفأت الجمرة التي كانت في قلبه من امتحان أولئك القوم؛ لأنّه أجاب سؤالهم»[1].

وله من التآليف النّحوية [2] :

أ- الجمْع واسمه[3].

ب- نظم اسم الجنس واسم الجمع [4].

ج - تعليق على نظم المعاني السبعة[5].

د - احمرار(لامية الأفعال لابن مالك). وهو عبارة عن نظْم جمعه من كتب التصريف، ومعاجم اللّغة، خلّل به اللّامية، مُستدرِكاً به على عمل ابن مالك فيها، مميَّزاً بالحمرة عن أبيات متْن اللاّمية، متمِّماً به ما أهمله مؤلّفها من «معاني الأوزان.. فأدمج كلّ قاعدة، أومعنى في مكانه الأصليّ من اللاّمية، فتحدّث فيها عن مستثنيات الأفعال المجرّدة والمزيدة، ومعانيها، واسم المصدر غير الميميّ، ثمّ المثلّث من المفعل، والمضموم منه، ثمّ الباقي من صيغ آلة العمل، ثمّ خاتمة النظْم. وقد بلغت أبياته (واحداً وسبعين ٧١ بيتا) على نسق اللاّمية بحراً ورويا»[6].

---

١ – تحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري لطُرّة الحسن بن زين، ج١، ص ١٠٩.

٢– الوسيط، ص٣٧٧، وحياة موريتانيا، ص٦٨.

٣– يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٣٩٥.

٤– يوجد مخطوطا بمكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣٠٣.

٥– يوجد مخطوطا بمكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣٠٥.

٦– تحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري لطُرّة الحسن بن زين، ج١، ص ١١٠، فما بعدها.

وقد استدرك الحضرمي في فتح الأقفال[1] على ابن مالك شواذّ مضارع (فعِل) بكسر العين، و(فعَل) بفتح العين، فنظمها في ثمانية أبيات، مُخلِّلاً بها أبيات ابن مالك، فقام الحسن بن زين بدمجها في عمله على اللاّمية في موضعها(٢)، كما أضاف الحاج بن الحسن بن زين، المعروف بِـ(حَـيّ) «بيتين في صياغة المفعل من غير الثلاثيّ»، فأصبحت أبيات اللاّمية، مع زياداتها (خمسة وتسعين ومائة بيت ١٩٥)، لابن مالك منها (أربعة عشر ومائة بيت ١١٤)، وللحضرمي (ثمانية ٨ أبيات)، وللحسن بن زين(واحد وسبعون ٧١ بيتا)، ولِـحَـيّ بن الحسن (بيتان)[3].

ومن ضمن احمرار بن زين رحمه الله زيادة فصل مستقلّ على متْن اللاّمية، في اسم المصدر غير الميميّ، يتكوّن من ثمانية أبيات، جامعا إيّاه من كتب اللّغة والنّحو(٤).

هـ- توشيح (لامية الأفعال لابن مالك)، المعروف، ب(الطُّرّة[5]). وهي عبارة عن حاشية موجزة، مركّزة، يرمي منها ابن زين إلى توضيح غوامض لامية الأفعال، واحمراره هو عليها، وما استغلق منها. وهو نمط من الشروح ذائع وشائع في المحظرة الشنقيطية، سبق حديث عنه مفصّل عند الكلام عن طُرَّة المختار بن بونا على الألفية، في الترجمة رقم١، من هذا الطوْر.

تحدّث الأستاذ عبد الحميد الأنصاري، محقّق طُرَّة الحسن بن زين بدقّة وتفصيل عن المصادر التي استقى منها بن زين مادّة عمله على لامية الأفعال، فذكر أنّه لم يصرّح بمراجعه[6]، سوى كتاب (تحفة الأطفال بحلّ عقد لامية الأفعال[7]) للشيخ سيديا

١- فتح الأقفال وحلّ الإشكال بشرح لامية الأفعال، المشهور بالشرح الكبير، لجمال الدين محمّد بن عمر الحضرمي، المعروف ب(بَحْرَق)، ص٣٢، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٧.

٢- طّرّة الحسن بن زين على اللاّمية، بتحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري، مصدر سابق، ج١ ،٢١٧، ٢٢٤، ٢٤٣، ٢٥٨، ٢٧٢.

٣- المصدر نفسه، ص٤٨٦.

٤- المصدر نفسه، ص٤٥٧.

٥- المصدر نفسه، ج١، ص ١١٠.

٦- المصدر نفسه، ص١١٢، فما بعدها.

٧- ورد ذكره في حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٦٣. توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١١٥٣، ٢٥٣٠، ومركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقمي ١١٣٦، ٣٠٥٨. وقد حُقّق بالمدرسة العليا للأساتذة ٨٣/ ١٩٨٤م.

الكبير(ت١٢٨٤هـ)، حيث يقول في ختام نظْمه :

فيهِ اقْـتـفَـيْتُ أبا الأنوار سيّدَنا   سِيدِيَّ قُطْبَ الرَّحَا بَدْر الدُّجَى المَثَلَا.

ورأى محقّاً أنّ جلّ عمله في الاحمرار والطُّرّة مأخوذ حرفياً من شرح (فتح الأقفال) للحضرميّ على لامية الأفعال، مصوغ بأسلوب موجز، مركّز. هذا إجمالا، أمّا تفصيلا فقد قسم الأستاذ عبد الحميد مصادر بن زين في عمله على اللاّمية، من حيث طريقة الأخذ إلى قسمين :

الأوّل : اطّلع عليه، ونقل منه مباشرة، وهو :

- فتْح الأقفال للحضرمي على اللاّمية، إذ نقل منه جلّ عمله على اللاّمية « نظْماً وشرحا، تكميلا وتوضيحا، ولم يخرج عنه حتّى في نطاق الأمثلة، فأكثر من (تسعة وتسعين (في) المائة) من أمثلته منقولة عنه... وبالجملة لم يأت بشيء خارج فتْح الأقفال، غير الشواهد الشعرية، التي أفادها من بعض معاجم اللّغة، ودواوين الشعر الجاهلي، مع أنّه لم يصرّح بالنقل عنه إلاّ في أحد عشر موضعا»[٨].
- القاموس المحيط للفيروز آبادي، أفاد منه فيما يزيد على ثلاثة وعشرين موضعا، نقل بعضها مباشرة عنه بدون واسطة.
- شرح الدماميني على تسهيل ابن مالك نقل عنه في موضعين اثنين.
- المصباح المنير للفيومي نقل عنه في موضعين اثنين.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، نقل عنه في موضع واحد.

القسم الثاني:أفاد منه بواسطة الحضرمي، إذ هو موجود حرفيا في فتح الأقفال له، وهو:

- القاموس المحيط للفيروز آبادي، حيث نقل عنه فيما يزيد عن ثلاثة وعشرين موضعا، جلّها من طريق الحضرمي في فتح الأقفال.
- شرح التسهيل لابن مالك، فنقوله عنه من طريق فتح الأقفال، وذلك في خمسة مواضع.

٨- تحقيق عبد الحميد الأنصاري طُرَّة الحسن ولد زين، ج١، ص١١٢ـ ١١٤.

- شرح بدر الدين ابن الناظم على لامية الأفعال، أفاد منه في أكثر من خمسة مواضع، عن طريق فتح الأقفال.

- الصحاح للجوهري، أفاد منه في أربعة مواضع، عن طريق فتح الأقفال.

- ألفية ابن مالك، نقل عنها في موضع واحد، عن طريق فتح الأقفال [1].

ونبّه الأستاذ عبد الحميد الأنصاري على اهتمام ابن زين بشرح ما ورد في لامية الأفعال من غريب اللّغة المهجورة، الواردة في الألفاظ والأوزان، غير المستعملة اليوم، فعمل على شرحها، وضبط مبانيها. من هذا الغريب مثلا قول ابن مالك :

زَهْزَقْتُ هَلْقَمْتُ رَهْمَسْتُ اكْـــــوَأَلَّ   تَرَهْـشَفْتُ اجْفَأَظَّ اسْلَهَمَّ قَطْرَنَ الجَمَلاَ.

كما قام بإحصاء دقيق لشواهد بن زين في الطُّرّة، فنبّه على أنّها متنوّعة، وزادت الشعرية منها على (مائة وعشرين شاهدا)، (أربعة منها تقريبا مأخوذة من الحضرمي على اللاّمية، والباقي من جمعه)، وبلغت شواهده من القرآن الكريم

(مائة وثمانية شواهد)، كما استشهد بالقراءات الشاذّة، وكان ينبّه على شذوذها، ومن الحديث الشريف (أحد عشر شاهدا)، ومن آثار الصحابة والتابعين (سبعة آثار)، ومن أمثال العرب كذلك أيضا (سبعة شواهد)، وبقول فقهيّ واحد [2].

وهذان العَمَلان (الاحمرار والطُّرّة) من أجلّ نشاط ابن زَيْن العلميّ، وعمدة فكره في المجال الصرفي، عمِلهما من أجل خدمة (لامية الأفعال) لابن مالك. وهما أهمّ مقرّرات مادّة التصريف على الإطلاق في المحظرة الشنقيطية، بل بَقِيا دون منافس منذ تأليفهما. وعمل ابن زين هذا على اللاّمية ما يزال بحاجة ماسّة إلى من يحقّق شروحه المخطوطة بالمكتبات الشنقيطية؛ وذلك لما يتّسم به هذا العمل من الصعوبة والاستغلاق على أفهام الدارسين، بسبب أسلوب الطُّرّة الموجز، المركّز. وللتدليل على ذلك نورد النموذج الآتي، المزوج من الاحمرار والطّرَّة :

بعد قول ابن مالك في اللاّمية :

بِفَعْلَل الفعْلُ ذو التجـــريدِ أو فَعُلَا   ياتي ومَكْسُـــــورَ عيْنٍ أو على فَعَـلاَ.

١- المصدر نفسه، ج١، ص ١١٣، ١١٤.

٢- المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٠، فما بعدها.

تَضْعيفُ ثانٍ أوْ أنَّ الياءَ آخـــــرُهُ أوْ عَيْنُهُ كالْوُقُــــــــــوعِ قَلَّمَا نُقِلَا.

تضعيف ثانٍ، قلّما نُقِل عن العرب، كلَبُبْتَ لَبابَةً، بالفتح، لانظير له، فأنت لَبيب ومَلْبوب : ذو لُبٍّ، وجاء كفرِح. ودَمُمْت دمامةً فأنت دَميم، أي حقير، ويثلّث مفتوحه، كصَدّ. وفَكُكْت فَكَّةً : حمقت، وضَبُبَتِ الأرضُ. وعَزُزَتِ الناقةُ : ضاق إحليلها، كأعزّتْ فهي عَزوز، ومُعِزٌّ. أو أنّ الياء آخره متصرّفا، لا كَرَمُوَ في التعجّب، كنَهُوَ بالإعلال، لأصالة اللّام فيه، فهو نَهِــيٌّ، جمعه أَنْهِيَاء، أو نَهٍ، بالفتح، وبالكسر، للإتباع، جمعه نَهون : كامل النُّهْيَة. أو عينه كهَيُؤَ بالتصحيح، تنبيهاً على الأصل : حَسُنَت هيئته، ق : ويثلّث. لا فاؤه، كيَمُنَ يُمْناً، فهو أيمن، وكـعُنِي، فهو ميمون. ولا الواو مطلقا، كـوَضُؤَ، وطالَ، وسَرُوَ، ق : ويثلّث : شَرُف. كالوُقوع، أي وقوعه، أي تعدّيه، بتضمين، كـ(رَحُبَكُمُ الدُّخُول في طاعة الكرماني[1])، و(إنّ بُسْراً قد طَـلُعَ اليمنَ[2])، أي وَسِعَكُمْ، وبَلَغَهُ. وهو من المعاني كما تُرشد إليه الكاف[3].

وهكذا يسير على هذه الوتيرة، من الاقتضاب والإيجاز، رحمه الله. ممّا جعل فهم الطُّرَّة مستعصيا على طلّاب العلم، والدارسين، وحتّى على كثير من المتخصّصين، وهو ما أدّى بالعلماء الشناقطة إلى الإكثار من التعليقات والشروح عليها.

٣٢- الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين (ت١٣٢٠هـ)، له في النّحو[4] :

- تبيين ما يعنون من الألفية وابن بون[5]. وهو شرح لألفية ابن مالك، واحمرار ابن بونا الممزوج بها. وهو شرح قيّم، يصفه الدكتور محمد المختار بن ابّاه، مشيداً بقيمته العلمية، قائلا : «والكتاب بديع في صنيعه، جامع بين بيان المشكل وتوضيح الغامض،

١- كلام قاله نصر بن سَيَّار لأتباع الكرماني من اليمانية، حين وقع بينها وبين النّزارية اختلاف بخراسان سنة ١٢٦هـ، وأظهر الكرمانيّ الخلاف لنصر بن سيّار.. وقتل نصرُ بنُ سيّار الكرمانيَ سنة ١٢٩هـ، وصلبه. يراجع لسان العرب، والقاموس المحيط، مادّة (رحب).

٢- هذا من أثر مرويّ عن عليّ كرّم الله وجهه، قاله حين أرسل معاوية بُسْـرَ بن أرطاة إلى اليمن لقتال شيعة علي، فقال: « نُبِّئت أنّ بُسْراً قد طَلع اليمنَ». يراجع البداية والنهاية،ابن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي، ج٤، ص٣٣٤. طَلُع بالضمّ في هذا الأثر ذكرها بعض النحويين، منهم الحسن بن زين، أمّا المعاجم العربية فتذكرها بالفتح (طلَع) . يراجع اللّسان، مادّة (طلع).

٣- طُرّة الحسن بن زين، بتحقيق عبد الحميد الأنصاري، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٠ - ١٦٠.

٤- حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٦٩، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٥- مخطوط، تحت رقم ١١٤، بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة.

واستعراض أقوال الأئمّـة، وشرح الشواهد، وإيراد المناسبة التي قيلت فيها، فكان كتاب نحو ولغة وأدب»[1].

وفيما يلي أورد جزءاً من نموذج، من مبحث (كي) الناصبة للمضارع، لنقف منه على قيمة هذا الشرح، وسمات منهج الشارح فيه. يقول الشيخ محمد تقيّ الله :

وأمّا (كيْ) فيشترط في نصبها للمضارع أن تكون مصدرية، كما في الآية السابقة، وهي (لِكَيْلَا تَاسَوْا ... ٢٣، الحديد)، فإنّ (كي) فيها مصدرية، وهي الناصبة للفعل بعدها بنفسها، فإن لم تكن مصدرية، بأن كانت جارّة، وهي التي بمنزلة لام التعليل معنى وعملا، فليس النصب بها نفسها، بل هو ب(أنْ) مضمرة بعدها غالبا، نحو جئت كي أتعلّم، ف(كي) حرف، و(أتعلّم) منصوب ب(أن) محذوفة، أي لأنْ أتعلّم، ومن غير الغالب قوله [2] :

فقالتْ أكُلَّ النّاسِ أصبحتَ مانحـاً   لســـــانَكَ كيْما أَنْ تَــغَـرَّ وتَخْدَعَا.

الشاهد في (كَيْما أنْ تغرَّ) حيث أظهرت (أنْ) الناصبة بعد كي الجارّة، وهو قليل، ومنهم من جعله خاصّاً بالضرورة، وقد مرّ الكلام على البيت في صدر حروف الجرّ. وتتعيّن كي الأولى، وهي المصدرية إذا وقعت بعد اللاّم على رأي سيبويه والجمهور، نحو ﴿لِكَيْلَا تَاسَوْا..﴾[الحديد : ٢٣]. لئلاّ يدخل الجارّ على الجارّ، ومطلقا على رأي الكوفيّين، أي فإنّهم يرون أنّ (كي) ناصبة مطلقا، تقدّمها اللاّم أم لا. ورُدّ بقولهم : إذا سألوا عن علّة الشيء : كَـيْـمَـهْ، بحذف ألف (ما) الاستفهامية، وإلحاق هاء السكت، وألفها لا يحذف إلاّ إذا جُرّت...إلخ [3].

ما تمّ نقله حوالي ربع مبحث (كيْ)، إذ هو مبحث طويل جدّاً، ونقلت هذا الجزء منه على طوله لنقف منه على بعضٍ من ملامح هذا الشرح الممتاز، إذ الشارح رحمه الله أطلق العنان لقلمه في المناقشة والتحليل، والاستقصاء والتتبّع، مركّزا على دراسة الشواهد الشعرية، فيذكر البحر، والمناسبة، التي قيلت فيها، ومَن القائل، إن أمكن، والإعراب، ناسبا الأقوال والآراء إلى أصحابها، ممّا يوحي بأمانة علمية ليست باليسيرة، في كتاب فذّ

١- تاريخ النحو العربي، ص٥١٠.

٢- من بحر الطويل، وهو لجميل. يراجع في مغني اللّبيب، الشاهد رقم ٣٣٣. عن ديوان الشاعر، ص١٢٥.

٣- مخطوطة : (تبيين ما يعنون من الألفية وابن بون)، ص٢٢٥.

فيما يبدو، مكتوب بأسلوب سلس، رفيع. لذلك أصاب الدكتور محمد المختار بن ابّاه عند ما قال : «لم يزل مع الأسف مخطوطا، مع أنّه جدير بالاهتمام، فعسى أن يُرسل إليه من يقوم بتحقيقه ونشره»[١].

٣٣- محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي(ت١٣٢٣هـ)، فقيه كبير نظّامة، من تلاميذ مَـعِـي، محمد عالي بن سيدي بن سعيد (ت١٣١٠هـ)، والحسن بن زين (ت١٣١٥هـ)[٢]. له من التآليف النّحوية [٣] :

أ- طُرّة على الألفية.

ب-شرح نظْم الآجُرّومية (عُبَيْد ربّه)[٤].

ج – العين الثرّة في مهمّ لغات الطرّة)[٥]. ركّز فيه المؤلّف على شرح ما استغلق من لغات طّرّة ابن بونا على الخلاصة والاحمرار، خصوصا الربع الأخير منها. يقول في مقدّمته : «أمّا بعد فإنّ طرّة المختار بن بونا في النّحو كادت على فرط اختصارها تحيط بما في جميع كتبه، طوالها وقصارها، فلذلك نكص كلّ غوّاص عن خوض بحارها، وأحجم كلّ جانٍ عن قطف ثمارها، وكان من أصعب ما اشتملت عليه من اللّغة من باب التأنيث إلى آخرها... فلمّا كانت هكذا جمعت تلك اللّغة إلاّ نادرا» [٦].

د- إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النّحو من الأخبار والآثار. تأليف نادر النوع بالمحظرة الشنقيطية، حيث لم يهتمّ العلماء كثيرا بإفراد شواهد النّحو من

١- تاريخ النّحو العربي، ص٥١٠،

٢- تاريخ النحو العربي، ص٥٢١، ومحمد مولود ولد أحمد فال اليعقوبي، إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النّحو من الأخبار والآثار، تحقيق عبد الله ولد خيّار، ص٢٥.

٣- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢٢٠، والمنارة والرّباط، ص٥٢٨، وتاريخ النحو العربي، ص٥٤٢، ومقدّمة تحقيق كتاب المؤلّف (إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النّحو من الأخبار والآثار)، ص٢٣، فما بعدها.

٤- توجد منه نسختان، إحداهما بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٩٥، وأخرى بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية تحت رقم١٣٦. وقد حقّق في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودَع بمخطوطات المعهد تحت رقم ١٩.

٥- حقّقه محمّد عبد الله بن محمّد سالم في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية (السنة الدراسية ١٩٩٨م/ ١٩٩٩م)، مودع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٢.

٦- المصدر نفسه، ص٢٠.

الأحاديث الشريفة، والآثار بالتأليف، فقام محمد مولود بالتقاط هذه الشواهد، وجمعها من الكتب النّحوية في أسلوب مقتضب، مركّز في بعض الأحيان، على نَـمَط الطُّرَر الشائعة في المحظرة الشنقيطية. وسيأتي في نهاية هذا المبحث ذكر تأليف آخر من هذا اللّون لمحمد بن الغزالي الشقروي(ت١٣٦٢هـ). وقد تحدّث الشيخ محمد مولود عن سبب قيامه بهذا العمل، قائلا :

«إلّا إنّي رأيت إقبال الناس على شواهد النّحو من الشعر ضبطا وشرحا، وتركهم غيره، فشقّ عليّ ذلك الترك في القرآن والحديث، واعترتني لهما غيرة، فهممت بهما، ووعدت بعض الإخوان بذلك وعْدا... فأتيت بما تيسّر لي في الأحاديث، وجرَّ الكلامُ فيها إلى الكلام في الآثار، التي هي كلام الصحابة، وعلى غيرها من النثر. وفي ذلك فائدتان : تمييز الحديث، حتّى لا يبقى ريب، فربّما حسب الطالب غير الحديث حديثا، أو ظنّ الحديث غيره، وربّما تردّد في شاهد، هل قرآن، أو خبر، أو غيرهما، وأخذته حيرة. الثانية : شرح ما يُحتاج له من ذلك»[1].

وفيما يلي أورد نموذجا، نتبيّن منه سمات منهج المؤلّف في كتابه، حيث يقول في باب الكلام :

أ- باب الكلام : (ما بين دفّتي المصحف)[2] إلخ. ذكره كتب النّحو. (أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد : ألا كُلُّ شيءٍ. إلخ) [3]. قال الصبّان[4] : الظاهر من إيراد العلماء هذا الشطر أنّه الواقع في الحديث. قلت : ولم يذكر البخاري[5]، والترمذي[6] في الشمائل غيرَه. ويفيده قول عثمان[7] رضي الله عنه، لمّا سمع ما بعده : (كذَب لبيد، نعيمُ الجنّةِ لا يزول)، حتّى سمع قوله بعده : (نعيمك في الدنيا غرور، وحسرة).

١- إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار، ص٣١.

٢- هذا الأثر ينسب لعائشة رضي الله عنها، وهو بتمامه (ما بين دفّتي المصحف كلام الله). ولم أقف عليه إلاّ في كتب النّحو. يراجع مثلا تقريب الطّرَّة، ج١، ص٥، وإنارة الأفكار والأبصار، ص٣١.

٣- من بيت لبيد : (ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ   وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ). يراجع في مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق مصطفى السّقا. ج٢، ص٤٨٣.

٤- محمد بن علي الصبّان، ت٧٩٢هـ.

٥- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صاحب الصحيح، ت٢٥٦هـ.

٦- محمد بن عيسى، صاحب السنن، ت٢٧٩هـ.

٧- توفّي رضي الله عنه سنة ٣٥هـ.

البيت، عرف أنّ قصده نعيم الدنيا، فقال : صدق. ورواية البخاري : أصدق، إلخ. والترمذي : إن أصدق، إلخ. (نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها) [1]. كذا رواه النووي في الأربعين، ورواه السيوطي في خصائصه : سمع مقالتي فبلّغها فوعاها، إلخ. والشعراني [2] في يواقيته : رحم الله امرأً، إلخ.. ما روى النووي[3]، والحديث رواه ابن ماجه [4]، وغيره ... و(نضّر) بشدّ الضاد، وقد تخفّف، من النضارة، وهي الحُسْن...إلخ» [5]

هذا جزء قليل من نصّ طويل في المسألة، أكثر فيه المؤلّف من استعراض شواهد الأحاديث، والآثار، وتبيين ما فيها من اللّغات، مع ذكر المراجع والمصادر، محلّلاً، مناقشاً، وهو يكفي لإبراز سمات منهج المؤلِّف في هذا التأليف. حيث يلحظ أنّه :

- يبدأ بوضع عنوانات للأبواب النّحوية، ثمّ ذكْر الشواهد، والتعليق عليها.

- غالباً ما يقتصر على جزء أو جملة من الشاهد، ويختم التعليق عليه أحيانا بإعراب بعض الكلمات، وشرح بعضها لغويّا.

- عدم الاعتناء كثيرا بتنقيح الشواهد، ممّا أدّى إلى إيراد بعض الأحاديث الضعيفة دون التنبيه إلى ذلك، وعدم إسنادها أحياناً إلى مصادرها الحقيقية من كتب الحديث، والاكتفاء بإسنادها إلى المصادر النّحوية. غير أنّ ذلك ربّما يعود إلى شُحّ مصادر الحديث بالبلاد آنذاك. وهو ما عبّر عنه المؤلّف نفسه بقوله : «والحديث شواهده يسيرة، وشروحه هنا نزيرة»[6].

ب - المدرّسون النابهون من طلبة ابن بونا، وتلاميذهم : غلب على أنشطتهم النّحوية التدريسُ، فتخرّج على أيديهم أجيال من العلماء المؤلّفين والمدرّسين، وعُرف بعضهم بغزارة الأنظام الضابطة للمسائل النحوية، لتسهيل حفظها واستيعابها

١- رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبّان، عن ابن مسعود، في الجامع الصغير، ج٢، ص١٨٧.

٢- عبد الوهّاب بن أحمد الشعراني، صاحب البحر المورود وكشف الغمّة. ت٩٧٤.

٣- شيخ الإسلام الحافظ، محيي الدين أبو زكريّاء يحيى بن شرف النوويّ. ت٦٧٦هـ.

٤- أبو عبد الله، صاحب السنن، ت٣٧٣هـ.

٥- إنارة الأفكار والأبصار، ص٣٥ - ٣٩.

٦- المصدر نفسه، ص ٣١.

على الدارسين. من أبرز هؤلاء :

٣٤-حرمة بن عبد الجليل العلوي (ت١٢٤٣هـ)، من أقدم تلاميذ الشيخ ابن بونا (ت١٢٢٠ أو١٢٣٠هـ). يقول عنه صاحب فتح الشكور : « مهر في علم الكلام والنّحو والمنطق، وله حفظ تامّ في الفقه والحديث والتفسير والحساب، وكان رحمه الله شاعرا مجيدا، أخذ عن المختار بن بونا الجكني، وهو من أوّل تلاميذه» [١].

ويقول عنه صاحب الوسيط : «علاّمة عصره، وأعجوبة دهره، جدّ واجتهد حتّى ظفر بمناه.. ويحكى عنه من الاجتهاد في طلب العلم، وتحمّل المشاقّ والصبر شيء عجيب.. ومن أشهر مشايخه المختار بن بونا، وكان عليه اعتماده من كلّ طلبته، ولم يحمل عنه أحد من علمه ما حمل»[٢].

ويذكر أنّه ساعد شيخه ابن بونا في نظم احمراره من التسهيل، يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي : «وكان يساعده في نظم التسهيل، حتّى قيل إنّه قال : لو أخذت ما يخصّني لم يبق منه ما يسمّى به»[٣].

وممّا يدلّ على أنّ اشتغاله كان منصبّا على التدريس قول ابن الأمين أيضاً : «وكان حرمة هذا رحمه الله من عجائب الدهر، ولمّا تضلّع من ابن بونا جلس لإفادة الناس، وضربت إليه أكباد الإبل، وانتفع به خلق كبير.. وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم، أمّا النّحو فاشتهر به بعد ابن بونا»[٤].

وقد مرّ يوما بربْعٍ خالٍ، فعنّت له ذكرياتُ طلب العلم فيه على شيخه ابن بونا، فقال[٥] :

دِمَنٌ دَعَتْـــكَ إلى القريضِ فإن تُجِبْ ... فلِمثلِها يُهــــدَى القريضُ ويُنــدَبُ
وإذا سَكَتَّ عن الجواب لِشــــــرَّةٍ ... فاضتْ فــــذاكَ من الإجابةِ أصْوَبُ
أمّا النسيب فلا يسوغُــــــكَ ذكرهُ ... عصْرُ التعــــــلُّم والمشايخِ يَــعذُبُ

١- فتح الشكور، ص١٧٠.

٢- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢٤.

٣- المصدر نفسه، ص٢٥.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

٥- المصدر والصفحة نفسها.

كنّا مـــــع البـــونيّ في عرصاتها هـــالاتِ بدرٍ لم يَشـــــــبها غَيْهَبُ
فيها تجـــمّع سيبـــــويهِ ويوسفٌ والكاتـــبيّ والأشعـــريّ وأشهبُ
شاقــتْـــكَ أطـلال بَلِين لهم ومـا شـــاقتكَ سُعدَى إذْ نأتْـكَ وزينبُ.

٣٥- ابن عبْدَم الديماني، محمد بن عبد الله بن الأمين(ت١٢٨٦هـ)، النّحوي الكبير، «الشهير، الذي شاع ذكره وذاع، وانتشر في تلك الأصقاع»[١]. وقد أخذ عن بلاّ الشقراوي (ت١٢٧٣هـ)، وأفاد من عبد الودود بن عبد الله (ت١٢٦٨هـ)، وهو من العلماء الكبار المدرّسين، تخرّج على يديه «علماء تابعوا منهجه وتقاليده»[٢].

وترك العديد من الأنظام الضابطة لكثير من المسائل النّحوية. من ذلك مثلا قوله في نوني التوكيد [٣]:

إن تُسنِد الفعـــــــــلَ لِواوٍ أو لِيا ولامُـــــــهُ إحـداهـــما فَأوْلِـــــيا
كلُّاً من الحـــــــرفيْن حَرْفاً وصِلِ بالنون عيْنَ الفعلِ والأمـــــرُ جلي
أمّا لدى اتّـفاق لامٍ والضـــــميرْ لفظاً فلا إشكالَ والأمرُ شـــــهيرْ
وعنـــد ما يختـــــلفانِ فاتِ بشـــــكلَةٍ لِمُـــضـــمرٍ تـــواتِ
كارْمُـــنَّ ياقـــومُ بضـــــــمّ الميم وارْمـــــِنَّ ياهـنـدُ بكــــسر الميمِ.

وغيرها كثير[٤]، كما أنّ له أيضاً تعليقاً على ألفية ابن مالك[٥].

٣٦- محمد محمود بن التلاميد التركزي الشّنقيطيّ (ت١٣٢٢هـ)، علاّمة جليل، لغويّ نحويّ، أحد سفراء العلم الشناقطة الموسوعيين إلى المشرق، ومصر خصوصاً، إذ كان بها مدرّسا، مؤلّفا، التفّ حوله العلماء والدارسون ينهلون من علمه الغزير. وقد ذكر أحمد بن الأمين في الوسيط أنّه لازم إجْدُودْ (عبد الوهّاب) بن اكْتَوَشْنِي بن السيّد العلوي(ت١٢٨٩هـ)، وتخرّج على يديه قبل رحيله إلى المشرق[٦]. له من

١- المصدر نفسه، ص٢٣٨.
٢- تاريخ النحوي العربي، ص٤٩٤، ٤٩٥.
٣- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢٣٨.
٤- تاريخ النحوي العربي، ص٤٩٦. وحاشية الصبّان على الأشموني، ج١، ص١١٤.
٥- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، وأنظام الطّرّة في الفوائد النّحوية، ص٢٧٧، والمنارة والرباط، ص٥٣٧.
٦- الوسيط، ص٣٨١، والأعلام، ج٧، ص٨٩.

التآليف النّحوية :

أ- كشف الغطاء عن الاسم وأخويه[1].

ب - تأليف في مسألة صرف(عُمَر). الذي قال به، وأثار به نقاشا حادّاً في القاهرة، إذ رآه جمعَ (عمرَة)، وعليه فهو علَم منقول ، ولا داعي لمنعه من الصّرف، وليس بمعدول عن عامر، حسب ما رأى النّحويّون ودرَجوا عليه منذ أيّام سيبويه إلى يوم إثارة المسألة، ورأى أنّ النّحويّين غلطوا في ذلك، وغَفَلوا عنه[2]. وسيأتي حديث مفصّل عن هذه المسألة بعون الله في الفصل الثاني من هذا الباب، عند الكلام عن المناظرات النّحوية.

ج - رسالة نحوية، انتصر فيها لقول الإمام مالك في كتاب الأيْمان والنذور بالموطّأ: (وعليه هدْيُ بَدَنةٍ أو بقرة أو شاة، إن لم يجد إلاّ هي). وذلك لأنّ السيّد أحمد البرزنجي بمصر كان يُلحّن الإمام مالكاً في قوله : (إلاّ هي)، إذ رأى ذلك لَحْناً. وقد ردّ التركْزي الشنقيطيّ على البرزنجي ردّاً مطوّلاً، رأى فيه أنّ (يجد)، فعْل لازمٌ بمعنى (يستغني)، و(إلاّ هي) مبتدأ، حُذِف خبره، وجواب الشرط محذوف أيضا، وتقدير الكلام : فهي عليه، و (عليه) المتقدّم هو خبر (إلاّ هي[3]).

٣٧- أحمد بن الأمين الشنقيطي(ت١٣٣١هـ)، مؤلّف كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) [4]، عالم جليل، أحد سفراء شنقيط في مراكز العلم بالمشرق العربي، عالي الكعب في علوم العربية وآدابها، أخذ قبل رحيله إلى المشرق (سنة١٣١٥هـ) عن العلاّمة يحظيه بن عبد الودود (ت١٣٥٨هـ)، وهو مدرّس متميّز، ومؤلّف كبير.

أبرز ما ترك من التآليف النّحوية واللّغوية [5] :

أ- شرح «ليس» في كلام العرب: لابن خالويه أبي عبد الله الحسين بن أحمد(ت٣٧٠هـ)، طبع بالقاهرة سنة (١٣٢٧هـ).

١- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية تحت رقم ١٢٥.

٢- الوسيط، ص٣٨٣.

٣- الوسيط ، ص٣٨٢.

٤- حياته في الأعلام، ج١، ص١٠١.

٥- ورد ذكر تآليفه النّحوية في الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ٣٨٣، والمنارة والرباط، ص٢٧٢، وتاريخ النحو العربي، ص٥٢.

ب – الدُّرَر في مَنْع (عُمَر). طبع في القاهرة سنة ١٣٢١. سيأتي حديث عنه مفصّل بعون الله في الفصل الثاني من هذا الباب، عند الكلام عن الماظرات النّحوية.

ج– شرح المقصور والممدود لابن مالك (تصريف ولغة)[١].

د – شرح على (هَمْع الهَوامع شرح جَمْع الجوامع) لجلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)[٢]،سمّاه (الُّدرَر اللّوامع على همْع الهوامِع شرح جَمْع الجوامع)، وهوعبارة عن إكمال شواهد هَمْع الهوامع، وشَرْحِها. يقول ابن الأمين في مقدّمته عن دواعي تأليفه إيّاه:

«إنّ الحافظ جلال الدّين السّيوطيّ خَدَم لغة العرب خِدمةً قَصر عنها معاصروه، ولم يفتْه فيها سابقوه، وقد ألّف فيها كُتُباً كثيرة، منها ما خَصّ به أُصولها، ومنها ما خصّ به فروعها، وقلّما ما غاصَ في لُجَّة إلاّ استخرج ما فيها من الدُّرّ، وإن فاتَتْه نُكْتَة في كتاب فَما ذاك إلاّ لأنّه أدرجها في غيره من كُتبه. ومِن أجْمع ما أَلَّف، وأنفعِ ما صنَّف (هَمْع الهَوامِع على جَمْع الجَوامِع)، لولا بَترُه لشواهده، فإنّه كَثيراً ما يأتي بشطرِ بيْت، أو بكلمة أو كلمتين منه، وكان الشاهد فيما بقِي، وإنّما فعَل ذلك اتِّكالاً على الحفظ؛ لما يُعلم في أهلِ زمانه من سيَلان الأذهان، والحرص على العلم، ولأنّه أَلَّف كتابه هذا للعلماء، ولم يُؤَلِّفه لصغار الطّلبة، فندبَنِي من حَرَّكَتْه محبّتُه لنشرِ الكتب المفيدة إلى تذييله بما يُوَضِّح شواهده، وربّما أتيت ببحث اقْتَصَره أو تَرَكَه اعتماداً على ما مَرَّ بيانه، مع نسبة الشّاهد إلى قائله»[٣].

– شرح الإعلام بمثلّث الكلام لابن مالك. عدد أبياته خمسةَ عشرَ وثمانُمائة وألفَا بيتٍ ٢٨١٥. وقد سمّي ب(المثلّث المنظوم، والمثلّث في اللّغة)[٤].

٣٨– أحمد بن كدّاه الكمليلي(ت١٣٤٠هـ)، عالم كبير، مدرّس ماهر، من أبرز تلاميذ الشيخ يحظيه بن عبد الودود (ت١٣٥٨هـ)، ترك كثيرا من الأنظام النّحوية،

١– النحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصّص، مجلّة المنهل، العدد ٥٤٨، ذي الحجّة ١٤١٨هـ، ص١٠٨.

٢– مطبوع بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مَكرَم، في ستة مجلّدات، بمطبعة مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، بيروت.

٣– الدّرَر اللّوامع، ج١، ص٦٩.

٤– مقدّمة تحقيق الأستاذ عبد الحميد بن محمّد الأنصاري، لطرّة الحسن ولد زين على لامية الأفعال لابن مالك، ج١، ص٥٨.

الضابطة للمسائل النحوية[1]. وأنظامه هذه تسمّى (المحبوك)، عبارة عن (كُنّاش) في النحو، عُرف ب(الكدّاهية)، وهي مجموعة من الأنظام النحوية، جمعها من إنتاجه، وإنتاج بعض معاصريه، من أمثال : عبد الودود بن عبد الله بن انْجُبْنَانْ الألفغي(ت١٢٨٦هـ)، والحسن بن زين (ت١٣١٤هـ)، ومحمّد فال (بَـبّها) بن محمّذن بن أحمد العاقل الديماني(ت١٣٣٤هـ)[2].

ومجموعته النظمية كثيرة جدّاً[3]، أكتفي منها بالنموذج الآتي :

ويُعـــــرَفُ الاسمُ بعَـوْدِ مُضْمَـرِ	لـهُ كـ« مـا أجـمـلَ أُمَّ مَـعْـمَـــرِ »
كـــــذا إذا أبْدِلَ منـهُ اسْمٌ صَرِيحْ	ككيْفَ أنتَ أَسَقِيـمٌ أمْ صَحِيـــحْ؟
كـــــذاكَ الاِخـبارُ بـهِ إن باشَـرَا	فِعْـلاًكَكيفَ كان سَيْرُ مَن سَـــرَى؟
كـــذاكَ أيضاً أن تـكونَ زِنَـتُـــهْ	قـد وافقَتْ ما ثَبَتَتْ إسْمِيّتُـــهْ
كـــذاك إن وافَـــقَـهُ في المــعنَى	مِـن غيـرِ مـا مُعارِضٍ قـــد عَـنّا
فــقد بمـعْنَى حَسْبُ جَـا وَشْكَـانَا	كَـــمِثْـلِ سَـكْـرانَ أَتَـى وِزَانَا
وعَكْـــسُ الاِسْنَادِ ووَضْعُ الاَحْرُفِ	عـــارِضْ بِذَيْنِ وَاوَ مَـعْ وَمِــنْ تَفِي[4].

٣٩-يحظيه بن عبد الودود بن أوبك الجكني(ت١٣٥٨هـ). نحويّ كبير، فقيه شهير، مدرّس متميّز، تخرّج على أيدي عدد من العلماء الأجلاّء، من أبرزهم المختار بن أَلُمـــّا اليدالي(ت١٣٠٨هـ)، والحسن بن زين القناني(ت١٣١٥هـ)، وأحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي(ت١٣٣٩هـ)، وغيرهم[5]. وهو صاحب محظرة كبيرة، ذات عطاء عريض، ومجد تليد، تأسّست سنة ١٢٨٧هـ، تقريبا، فتقاطر عليها طلاّب العلم من كلّ حدب وصوب، ينهلون من معين علوم شيخها الثرّة، خصوصا علوم اللّغة العربية، فتخرّخ على يديه أجيال من العلماء

١- المنارة والرباط، ص٥٤٣، وتاريخ النحو، ص٥٤٢، وأنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٧٥.

٢-هذه المجموعة النظمية مودَعة بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٩٣.

٣- يراجع بعضها مثلاً في تاريخ النحو العربي، ص٥٣٠.

٤- المصدر نفسه، ص٨.

٥- نظْم ابن عبدم (ت١٢٨٦هـ)، في حياة يحظيه، بشرح الأستاذ محمّد يحيى بن سيدي أحمد. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٤٩٢. ص١، فما بعدها. وأنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٧٨.

المؤلّفين والمدرّسين، وأصحاب المحاظر الكبيرة[1] من أمثال أحمد بن الأمين الشنقيطيّ(ت١٣٣١هـ)، وأحمد بن كَدّاه الكمليلي(ت١٣٤٠هـ)، ومَمَّ بن أحمد الجكني (ت١٣٦٢هـ)، ومحمّد سالم بن ألُمّا (ت١٣٨٣هـ)، ومحمّذن بن محمد المحبوب (ت١٣٩٩هـ)، ومحمد حامد بن آلاء الحسني(ت١٣٧٨هـ)، ومحمّد عالي بن عبد الودود المباركي (ت١٤٠١هـ)، والتّاه المختار (ت١٤٠٩هـ) بن محمّد عالي بن عبد الودود، الذي تسلّم إدارة محظرة أبيه بعد وفاته.

وشيخُ يحظيه الحسنُ بن زين كان عُمدتَه في النّحو والصّرف، كما كان بن زين معجبا بتلميذه، مطّلعا على نبوغه، وفطنته ودقّة تأمّله، وغزارة علمه، وسرعة استحضاره للمسائل، ممّا جعله يسند إليه جلّ الألغاز والعويصات من مسائل النّحو والصرف، التي ترده من طلاّب المحظرة، ومن خارجها، ويكلّفه بالمشاركة في تدريس طلاّبه[2].

وكان للعلاّمة يحظيه منهج خاصّ في الدراسة والتدريس بمحظرته، يتّسم بالتتبّع، والاستقصاء أثناء دراسة النصوص، والتوسّع، والغوص في أعماق شروح الخلاصة، والحرص على استظهار المعلومات وترسيخها في الأذهان[3]. ولم يترك الشيخ يحظيه مؤلّفات؛ نظراً لاشتغاله بالتدريس فيما يبدو، سوى :

أ-تحريرات لمسائل من احمرار ابن بونا، وهي ربّما تكون تعليقاته المسجّلة على حواشي طُرّة ابن بونا، التي سمّيتْ الطُّرّة معها ب(أمّ الحواشي[4]). و(أمّ الحواشي) هي ما سجّله الشيخ يحظيه والعلماء النّابهون من تلاميذه من التعاليق والتحقيقات والفوائد المهمّة على حواشي طرّة ابن بونا.

ب-مجموعة أنظام نحوية كبيرة[5]، جمعها من أنظامه الخاصّه، وأنظام بعض النحويّين، من أمثال : المختار بن ألُمَّا اليدالي (ت١٣٠٨هـ)، والحسن بن زين القناني(ت١٣١٤هـ)، وأحمد بن كَدَّاهْ الكمليلي(ت١٣٣٧هـ)، ومَمُّ

١- نظْم ابن عبدم في حياة يحظيه، ص٢١، فما بعدها.

٢- المصدر نفسه، ص٢٥، فما بعدها.

٣- تاريخ النحو العربي، ص٥٢٤، وتحقيق نظم ابن عبدم في حياة يحظيه بن عبد الودود، ص٤٠.

٤- توجد على(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٥٠.

٥- مخطوطة، مودَعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢١٩١.

أحمد بن محمود الجكني(ت١٣٦٢هـ)، ومحمّدٌّ حامد بن عبد اللّه بن آلاَ الحسني(ت١٣٧٩هـ)، وغيرهم. وقد جعل هذه المجموعة في (كُنّاش)، عُرف في المحظرة الشّنقيطية ب (إقراء يحظيه).

فمن أنظامه النّحوية مثلاً قوله في تأخير العطف :

وقـــدّرن تأخــــيره أو احــــذفِ   لخـــبرٍ مِـــن قبـــــــــلهِ لتقتفي
وإن على المنصوب منصوبٌ عطف   تـأخـيراً أوعطفا أجـزْ في المنعطف.

وقوله :

قـول ابن مــالكٍ إمــــــــام الملّــهْ   أفعِلَـــةٌ أفْعُـــلٌ ثـمّ فِـعْـلَـهْ
ثــمّـــتَ أفْعالٌ جــــمـــوعُ قِـلَّهْ   ثُـمَّـتَ ذا المعــطوفُ ليس جُمــــلهْ
وقـــــولُ شاعــرٍ أخي تَـهْـيامِ   فإن تكـنْ سوابـــقُ الحـــــــــمامِ
ساقـــتْـــهـم للبــلد الحـــرامِ   فبالسـلام ثُــــمَّــــتَ الســـلامِ[1].

كما ترى فأنظامه، رائعة، رائقة، تتّسم بالسلاسة، والخفّة.

ومن أبرز النّابهين من تلاميذ الشيخ يحظيه، علاوةً على ما سلف ذكره :

٤٠-مَـمُّو أحمد محمود بن أحمدو بن عبد الحميد، الموسانِّي الجكني(ت١٣٦٢هـ)، عالم كبير، واسع الاطّلاع، من أبرز تلاميذ الشيخ يحظيه بن عبد الودود (ت١٣٥٨هـ). يقول عنه الدكتور محمد المختار بن ابّاه : «مكث في مدرسة الأستاذ يحظيه عشرين سنة، فاسْتوعب مقرّراتها، وأغنى بحوثها ودراساتها، وقيّد شواردها بأنظامه البديعة، ثمّ تصدّر للإقراء في حياة أستاذه، وتخرّج على يده علماء مرموقون»[2].

وقد ترك مجموعة أنظام نحوية، كثيرة مفيدة[3]، منها مثلا قوله :

هلِ المَحلُّ في أوائلِ السُّــــــــوَرْ   رفْعٌ أوانـتِصـــــابٌ أو محــلُّ جَــرْ
بِخَبَرٍ ومُـــــبْـتَــدَا رَفعٌ يُــــؤَمْ   والنّصْبُ باِقْرَأْ وانجِرارٌ بالقَسَـــــمْ
وقِـيلَ لا مَحَلَّ والبنــاءُ حَــــلْ   إذْ لم يـكـــــنْ لـها ولافيهاعَــمَلْ

١- إقراء يحظيه، مصدر سبق ذكره، ص١٤.

٢- تاريخ النحو العربي، ص٥٣٢.

٣- أنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٩١، وإقراء يحظيه بن عبد الودود، مثلا ص١٥، ٢١، ٢٦، ٣٢.

وهْـــيَ إذنْ لِـشَبَهِ ا لإهْمــالِ قـد ساقــها مـثـلاً اِبْـنُ مالِ.كِ[١].

- وله طرّة على المقصور والممدود لابن مالك[٢].

٤١- محمّد حامد، الملقّب(الشيخ بابا) بن عبد الله بن ربيعة، المشهور ب(آلآَء) الحسني الأعمري(ت١٣٧٨هـ)، أستاذ مدرّس، ترك مجموعة أنظام نحوية[٣]. أبياتها حوالي (ستّين٦٠ بيتا) من الرجز، مقسّمة إلى وحدات، كلّ وحدة منها تعالج موضوعا معيّنا، له علاقة وثيقة بمعالجات ابن مالك في ألفيته، مُتَتَبِّعة ترتيب أبوابها، وابن بونا في جامعه، بل أغلبها كان توضيحا لِما استغلق من طرّة ابن بونا واحمراره على ألفية ابن مالك، أو تصويبا لبعض مسائلها، أو استدراكاً عليهما. وقد أسلفتُ نماذج منها في الباب الأوّل عند الكلام عن تأثير ألفية ابن مالك في النّحاة الشناقطة، وأعمالهم عليها. وفيما يلي نماذج أخرى غير التي سلف ذكرها :

- منها مثلاًحديثه عن بعض جوانب التنوين :

وعنــه أيضاً أنّما لايَنصَــــــــرِفْ يُنوَى له تــــنوينُ الاِســـمِ الْمُنصرِفْ

دلّ له الرّجوعُ في الشـــــــعر إليهْ فَحَكموا لِـذَا المـــــــــقـدّرِ لَـدَيْـهْ

في كَ«جَوَارٍ» حُكْمُهُمْ لِما ظَـــــــهَرْ فَـــحَـذَفـوا الياءَ لهُ رفْعاً وجَـــرْ

تَوَهُّـماً أن ساكــــــنانِ التـــــــقَيَاَ تنــوِنــــهُ المَــنويُّ فــــــيـهِ معَ يَا

فكان في تنوينـهِ المعـــــــــروفِ تَعـويضُـهمْ مِن يائِـهِ المحـــــذوفِ[٤].

٤٢- محمد سالم بن المختار (ألُــّا) اليدالي(ت١٣٨٣هـ)، العالم النّحوي الكبير، الأستاذ المدرّس الشهير[٥]، الذي يقول فيه تلميذه محمّد بن ألفغ عبد الله الأبهمي[٦] :

في النّحو والفقه شيخي لا نظيـرَلـه وكـــــــلُّ قَـرْمٍ إلى إقْـرائِـهِ قَــرِمُ

١- تاريخ النّحو، ص٥٣٣، وأنظام الطُّرّة في الفوائد النّحوية، ص٨٤.

٢- توجد بالمعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٠٠٤.

٣- تحقيق أنظامه النحوية لفاطمة بنت يَسْلَم، في رسالة تخرُّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة ٢٠٠٦/ ٢٠٠٧م. ص١، فما بعدها. مودَعة بقسم البحوث بالمعهد، تحت رقم ٢٩.

٤- مجموعة أنظامه المحقّقة، ص٣٣، ٣٤، ٤٠.

٥- المنارة والرباط، ص٥٨٩، وتاريخ النحو العربي، ص٥٤١، وأنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٨٦.

٦- لم أقف على تاريخ وفاته.

فإنْ أتتْ طُـرَّةُ المـختارِ يُقـــــرئُها   حتّى يـرى الحاضرون النارَ تضْطرِمُ
(وإن أتاهُ خـليلٌ يـومَ مســـــألـــةٍ   يقـولُ لا غـائبٌ مالِـي ولا حَـــرِمُ[1].

ترك من التآليف النحوية :

أ- نَـظْـماً وطُرّة، على نَـظْم مَحَنْض بابا بن اعبيد الديماني(«ت١٢٧٧هـ» محفوظات الجموع)، سمّاهما (المجموع على محفوظات الجموع).

ب - شافي الزائر في حصر الضمائر[2].

ج - كشف الحجاب على طرّة الإعراب[3].

د - النقلة المعلّة في تبيين الكلام والكَلِم والكلمة.

هـ - مجموعة أنظام نحوية[4]. بلغت أبياتها (أربعة وثلاثين ومئتي ٢٣٤بيت)، مُصنّفة إلى(اثنتين وستّين٦٢) وحدة، كلّ واحدة منها تعالج موضوعا محدّداً، مُعلِّقة على كثير من الأبواب النّحوية بالخلاصة، مُحافظة على عرض المسائل حسب ترتيب أبوابها. منها مثلاً قوله في باب سنين :

بـــابُ سِـنـينَ حَدُّهُ اللَّذْ عُـــلِما   إن أنت قـد نَـظَرْتَهُ يَخْـرُجُ مـا
كَـزَيْـنَـــبٍ وثَـمْرَةٍ وَعِــــدَةِ   وَكَـيَدٍ واسْمٍ وبنتٍ شَـفَـــــةِ
لِكَـثْـــرَةِ الحُرُوفِ والـــتـــمامِ   والحذْفُ أيْ لِلـــفاءِ لا لِـلاّمِ
وعَدَمُ التـعويضِ أيْ تَعْـويضُ ما   لَمْ يَكُ هاءً أوكَتَكْسيرِالسّما
شَـــذَّتْ إِوَزَّةٌ أَضَـاةٌ وَلِـــــدَهْ   أبٌ كـذا ابنٌ ظُبَـةٌ وواحِدَهْ
لم تدخـــلِ الشـذوذُ وهْيَ بنتُ   ورَتِّبَنْ جَمـــــــيعَ مـا بيَّنتُ[5].

١- البيت الأخير لزهير بن أبي سُلمى. ينظر مختار الشعر الجاهلي، مصدر سابق، ج١، ص٢٦٠.

٢- يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣٠١.

٣- يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٢٩٨.

٤- حققها سيدي ولد التّاه في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة(٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م). يوجد بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقمي ٢٦،٤٦. وعددها (٢٣٤ بيتا) .

٥- مجموعة أنظامه، ص٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٩.

٤٣- المختار بن المحبوب (ت١٣٩٢هـ)، النحوي[١]. ترك مجموعة أنظام نحوية[٢]، أبياتها (١٠٧ سبعة ومائة بيت)، مشتملة على (ستّ عشرة ١٦) وحدة مستقلّة، اهتمّت بالتتبّع والتعليق على بعض من موضوعات ألفية ابن مالك، وما استغلق من طرّة ابن بونا، واحمراره على الخلاصة. وقد أسلفت منها نماذج في الباب الأوّل عند الحديث عن تأثُّر الشناقطة بألفية ابن مالك، واعتنائهم بها. منها مثلاً :

- نظْنه ما في لفظ (سَحَر) من الأوجه النّحوية [٣] :

وسَحَرَ امْنَعْ إن يَكنْ مُجَرّدا ... ظرْفاً لِماعُيِّن في وقْتٍ غَدَا

لِلْعُرْفِ والعدْلِ كَرُزْ بِيَوْم ... عُرُوبَةٍ سَحَرَ غِرَّ القَوْم

ووَجْهُ مَعْرفتِهِ إنْ عُلِمَا ... تَصْيِيرُهُ لِلْوقْتِ هذا عَلَمَا

وعَدْلُهُ عن سَحَرٍ مُحَلَّى ... بِأَلْ لَدَى جَماهِرٍ أجِلاّ

لأنّ الاَصلَ فيهِ مَهْمَا تُرِدِ ... بِهِ الذي عُيِّنَ مِن وقْتٍ قَدِ

ذِكْرُكَهُ مُعرّفاً بألْ وأَلْ ... عنهُ بِذَا المَقالِ ذُوالنِّطْقِ عَدَلْ

وهي تبلغ عشرين بيتاً، اكتفيت بهذا القدر منها للتمثيل فقط.

٤٤- محمّدن بن محمّد (ميْمِّيه) بن المحبوب(ت١٣٩٩هـ)، نحويّ مدرّس. خلّف لنا مجموعة من الأنظام النّحوية واللّغوية [٤]، بلغت أبياتها (أربعة وعشرين ومائتي٢٢٤ بيت) من الرجز، موزّعة على (اثنتين وستّين٦٢) وحدة، كلّ وحدة منها تتحدّث عن موضوع معيّن، يلامس معالجات ابن مالك في ألفيته، وابن بونا في جامعه، مع شيء ليس باليسير من المناقشة والتحليل. منها مثلا :

- نظْمه بعضاً من أحكام الظرْف :

وباحْتواءِ الظرْفِ معْ تحَيُّزْ ... مَظْروفِهِ الظّرْفَ الحقِيقي مَيِّزْ

١- المجموعة الكبرى، ج٢، ص٢٩٦.

٢- مودَعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة. تحت رقم ١٠٣.

٣- المجموعة النظمية، سبق ذكرها، ص٧.

٤- حقّقها محمّد بن ابّوه في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية (سنة٢٠٠١/ ٢٠٠٢م). توجد بقسم الرسائل في المعهد، تحت رقم ٧٣.

وفـــاقِدُ الأمْـــرَيْنِ ذَيْنِ أوْأَحَـــدْ ذَيْنِ بِهِ الظرْفُ المَـجـــــازِيُّ يُحَدْ
فَـــذَا كَإنّ في العلـــوم المُنْفَعَـــهْ ومَنْ تَكُنْ في صَدْرِهِ فَفِي سَعَـــــهْ
وإنْ تُرِدْ مِـثالَ ذلكَ فَـقُـــــــلْ بِطَيْبَةَ الغَـرّاءِ خاتَـمُ الرّسُــــــلْ
أَبَانَ ذا الصـّـــبّانُ فاسْـتَبِـــانَا فـانظُرْ لهُ إنْ شِئْـتَهُ الصَّـــــــبّانَا[1].

-وقوله في بعض شروط (لا) العاطفة، وفي لُزوم عَوْدِ الخافض مع الضمير المعطوف:

واشْتَرَطوا في عَـطْفِ«لا»شَـرْطَـيْنِ على الـــذِي في الـنّصّ مَـرْوِيَـيْنِ
تَـــــــــغايُـرٌ في المُتَعـاطِفَيْنِ ونَـفْيُ عاطِــفٍ بِـــــدونِ مَيْنِ
وإنْ يَكُ المعطــوفُ مُـضمــراً فلا خَفاءَ في لُزومِ عَوْدٍ مُسْجَـــــــلا[2].

أنظامه رقيقة، بها عذوبة بادية.

٤٥- محمد عالي بن عبد الودود المباركي (ت١٤٠١هـ)، العلاّمة النحوي، تخرّج على يدي يحظيه بن عبد الودود (ت١٣٥٨هـ)، وهو شيخ محظرة تليدة، خلفه عليها ابنه العلاّمة محمد سالم بن عدّود (ت١٤٣٠هـ)، ما تزال إلى الآن موروودة من طلاّب العلم، تُخرّج صفوف العلماء والباحثين. والشيخ محمّد عالي من العلماء المدرّسين، الذين اشتغلوا بالتدريس عن التأليف. يقول الدكتور محمد المختار بن ابّاه عن شيخه محمّد عالي : «الذي كان المجلّي في ميدان التدريس والآداب والشعر، وقد تخرّج على يده كثير من مئات التلاميذ، وكان يحظيه يفخر بتلميذه هذا الذي بلغ رتبة الاجتهاد في حياة شيخه»[3].

من أنظامه الضابطة للمسائل النّحوية قوله في إعراب (أوْلَى له) :

أوْلَى له مُبـــتدأ جـــاء عــــلى فَعْـلَى بإلْـحاقٍ وقيــــــــل أفْعَلَى
وهو على ذيْن مــــن الأعـــلام لذاك لا يُصـــرف في الكــــــلام
وقد أتـــى أُوْلاةُ غيرَ منـــصرفْ فَـدَلَّ أنّهُ في الاعـــلام عُـــــرِفْ

١- حاشية الصّبّان على الأشموني، ج٢، ص٢٨٦، عند قول ابن مالك (وزِيدَ والظّرْفيةَ اسْتَبِنْ بِبَا...)، بيت الخلاصة رقم١٠، من باب حروف الجرّ.

٢- المجموعة المحقّـقة، ص٤٠،٣٥،٣٤،٢٨.

٣- تاريخ النحو العربي، ص٥٢٤.

أو هو من أسماء الافعـــــال يُعدّ   واللاّم تبيينٌ لمـــــن لهُ يُعَـــدّ
ونشرُ ذا يفــــوحُ مِـــن تلقاءِ   كتاب إعــرابِ أبي البـــقاءِ[1].

وكنتُ قد ذكرت أنّ التوجُّه النّحوي عند المختار بن ابونا، الذي انتهجه في جامعه، قد وصل ذروة تطوُّره وازدهاره على يد ابن حبت (ت١٢٨٨هـ) في موسوعته الفذّة (المواهب)، حيث وصل فيه إلى أبعد ما يمكن من تعميق البحوث النحوية، واستيعاب المسائل واستقصائها، إذ هو تأليف متفرّد في مجاله، لم يُنتج العلماء الشناقطة مثيلا له إلى وقتنا هذا. وأذكر هنا أنّ الخطّ البوني قد بلغ أوْجه، وذروة ازدهاره برصْد الظواهر النحوية، وجمْع المسائل وضبطها نظْماً، والتفنُّن في ذلك، على يد العلاّمة يحظيه بن عبد الودود، والنّابهين من تلاميذه، حيث واصلوا جميعا نهْج ابن بونا، وارتقوا به إلى أبعد ما يمكن، فخلّفوا لنا تراثا ضخما من الأنظام الضابطة للمسائل النحوية، يدلّ على مذهب نحويّ، اختطّوا معالمه، له سماته وخصائصه البارزة.

ثـــالثاـ توَجُّـــه نحـــويّ، مُـــوَازٍ للخـط البـُونِـــيّ : يوجد ببلاد شنقيط خطٌّ نحويٌّ آخرُ مُوازٍ لما ارتسمه المختار ابن بونا، واختطّه في الدراسات النّحوية، وعمّقه تلاميذه النابهون من بعده، منطلقاً هذا الخطُّ من مؤلّفات ابن مالك(ت٦٧٢هـ) مباشرة، ومؤلّفاتِ ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، وغيرهم، مؤسِّساً لتوجُّهٍ نحويّ، له خصائصه وسماته، لا نجد فيه ذلك الاستقصاء، المرصَّع بالأنظام الغزيرة، الضابطة لمباحث النّحو ومسائله. وأغلب أصحاب هذا التوجُّه من المنطقة الشرقية. وفيما يلي عرض نماذجَ من إنتاج أبرز هؤلاء :

٤٦-الشيخ سيدي المختار الكُنتِي(ت١٢٢٦هـ). العالم الجليل، الشاعر الوليّ، العابد، الزاهد، كان مؤلِّفاً عَلَماً صالحاً[2]. جاء في فتح الشكور : «القطب الربّاني، الوليّ الصالح، ذو البركات الشهيرات، وشيخ الأشياخ السادات... وله تآليف كثيرة»[3].

١- المصدر نفسه، ص٥٢٥.

٢- تُرْجِم له، وذُكِر هذان التأليفان في فتح الشكور، ص٢٧٢، والوسيط، ص٣٦١، والمنارة والرباط، ص٥١٧،٥٦١.

٣- ص٢٧٢.

وهو من علماء المنطقة الشرقية. من تآليفه النّحوية، اللّغوية :

أ- ألفية في العربية[1].

ب- فتْح الودود شرح المقصور والممدود [2] لابن مالك. وهذا الشرح من الحواشي الضافية، المتّسعة، يُكثر فيه المؤلّف من التحليل والمناقشة والاستطراد. عبّر الشارح نفسه عن ذلك قائلا :

«زاد بهاءً وبهجةً على كلّ شارح، جيء به على المقصور والممدود، إذ جاريت مصنِّفه، وطاولتُه في جميع المسالك، حتّى غطّى بحري نَهْرَه، واجتاح ثمري زَهْرَه، إلاّ أنّ دهْري لا يوازي دَهْرَه، إذ له رتبة السابق. فأبرزت مخدّرات عرائسه، والتقطت من قاموس بحره يواقيت نفائسه، وهذّبتُ ما فيه من دسائسه (الإشارات الخفية)، وأجهزت على كلّ ما أثخنه من فرائسه، فأربيْت على كلّ شارح... فحبّرت كتابه بآي التنزيل تحبيراً، وطرّزته بغرائب اللّغات تنويرا، فجئت منه بالمواعظ الهائلة، والغُرَر السائلة.. وبحكايات الأمجاد، وروايات الأجواد، وبنفائس الأعراب، وغرائب الإعراب، ونُبَذ من الآداب والأدباء...»[3].

وفيما يلي أُورد نموذجاً من هذا الشرح الممتاز. يقول ابن مالك في مطلع المقصور :

أَطَعْتَ الهَوَى فالقلْبُ مِنكَ هَواءُ   قَسَا كَصَفاً مُذْ بانَ عنهُ صَفاءُ.

أورد الشيخ الكنتيّ على شرح هذا البيت (ثـمانياً وعشرين ٢٨ صفحةً)، أُورِد منها سطوراً فقط ملخّصة. يقول الشارح :

قوله : أطعت الهوى، فيه نوع من البديع، يقال له التجريد، وهو أن يجرّد الإنسان من نفسه شخصاً يخاطبه، والطواعية الانقياد والإذعان معنى. فإن قيل الهوى معنى، والمعنى لا يتأتّى منه الخطاب حتّى يستحقّ الطواعية والانقياد، فالجواب أنّ الأكوان كلّها مرتّبة على أربعة أنواع : الحسّ، والمعنى، والعَرَض، والجوهر. ثمّ الحسّ على أربعة أقسام : كثيف كجسم الإنسان، وجرم الأرض، وأنواع الناميات، وخفيف، كالهوى، ومخلخل كالماء والنار، وشفّاف كالسماء والزُّجاج. والأجسام مُنفعِلة للمعاني، ولذلك

١- توجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٨٣٦١.

٢- يوجد على (ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم١١٣٣، وهو مطبوع بتحقيق مأمون محمّد أحمد.

٣- ص٢٧٢.

صار الجسم تابعا للقلب، أي للمعنى الحاصل.. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (ألا إنّ في الجسم مُضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب)[١]. وقال الله تعالى : ﴿فإنّها لا تَعْمَى الأبْصارُ ولَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ التِي في الصُّدُورِ﴾[.. ٤٦، الحجّ]، ومعناه أنّ العمى المضرّ ليس هو عمى الأبصار المتعلّقات بالمحسوسات، وإنّما هو عمى البصائر المتعلّقات بالمعاني والمعنويات، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى خلق الأكوان كلّها دفعةً، ثمّ رتّبها على حكمته في الأزل...إلخ[٢].

ما نقلته على طوله في كلمة (أطعت) وحدها، وهو يكفي لإيقافنا على ملامح هذا الشرح وسماته البارزة، فتبيّن أنّه يبدأ بالشرح اللّغوي للمفردات، للوصول إلى المعنى، ثمّ التحليل الموسّع، والنقاش الشامل، والكثير من التتبّع والاستفصاء، وتقليب الموضوع الواحد، والتّنقّل فيه من محطّة إلى أخرى، والإكثار من الاستدلال بشواهد القرآن والحديث والآثار، وأساليب العرب، الشعرية والنثرية. فهو إذن موسوعة شاملة لقضايا اللّغة والأدب، والسيرة والتاريخ والقصَص، والتربية والتوجيه. يُعدّ هذا الشرح موسوعة، جليلة القدر، مفيدة إلى حدّ كبير، غير أنّه من اللّافت للنّظر أنّ بها كثيراً ممّا يحتاج إلى تحقيق.

٤٧- المروانيّ بن الطالب عبد الله النّفّاع بن أحمد، الولاتي (ت١٢٢٩هـ)[٣]، ترك في النّحو:

أ - شرحاً بعنوان(تكميل المراد على لامية عمر المجراد)[٤]. ويقصد ب(لامية عمر): المجرادية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف، لأبي عبد الله محمّد بن محمّد الفزاري المِجراد السّلاوِي(ت٧٧٨هـ)،وهي منظومة معروفة ب(لامية المجرادي)، جمع فيها مؤلّفها أنواع الجُمَل، والظروف والمجرورات[٥].

١- حديث صحيح، رواه الشيخان وغيرهما، من حديث النعمان بن بشير، أوّله (الحلال بيّن والحرام بيّن ...). يراجع فتح الباري على صحيح البخاري، ج١، ص١٢٦.

٢- فتح الودود شرح المقصور والممدود، ص٢٤ - ٤٣.

٣- المنارة والرباط، ص٦١٣.

٤- ورد ذكره في مقدّمة (فتْح الربّ الرؤوف على المجرادية في أحكام الجُمل والمجرورات والظروف). لعثمان بن عمر اليونسي (ت١٣٣٧هـ.

٥- بحث (الجملة العربية) للدكتور محمّذن بن أحمد بن المحبوب، ص١٧. نقلاً من المجموع الكبير من المتون فيما ذُكِر من الفنون. دار الفكر. ص٤٣٤.

ب – المنح في شرح ألفية ابن مالك[1]. أهمّ سمات منهجه فيه :

– أنّه حدّد مصادره التي جمعه منها، في قوله : «وجمعته من شرح الدرْفَن[2] بن الفقيه محمّد، وشرح الأشموني، وشرح المرادي[3] وبعض الشواهد من غير عزو لأحد ما»[4].

وهو شرح تعليميّ، رام المؤلّف فيه سبيل التوسّط بين الإيجاز والإطناب، أسلوبه سهل مباشر، يتناسب مع قدرات طلبة النّحو المتوسّطين، اقتصر فيه على ما يوحي به المتن ويقتضيه، بعيدا عن الخوض في المسائل الجدلية، مع عدم إهماله إكمال ما رآه من نقْص بسبب ضيق النظم عن استيعاب بعض الأحكام. من ذلك مثلا تعليقه على قول الناظم في شروط إعراب الأسماء الستّة :

وشرط ذا الإعــراب أن يُضفْن لا   لليا كجــا أخو أبيك ذا اعتِلا :

«أي شرط هذا الإعراب بالأحرف الثلاثة في الكلمات الستّ إضافتهنّ، وأن يكون المضاف إليه غير ياء المتكلّم.. قوله : أن يضفن : احترز به من غير المضافة فتعرب بالحركات.. واحترز بقوله : لا لليا ممّا أضيف إلى ياء المتكلّم فإنّه يعرب بحركة مقدّرة على ما قبل الياء منع من ظهورها اشتغال محلّ الإعراب بالكسرة المناسبة للياء، نحو قوله تعالى : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ.. ٣٤، القصص)، وبقي على المؤلّف شرطان : كونها مفردة ومكبّرة، فلو كانت مثنّاة تعرب إعراب التثنية.. ولو كانت مجموعة أعربت إعراب الجمع، ولو كانت مصغّرة أعربت بحركات ظاهرة، نحو هذا أُبيُّك وأُخيُّك»[5].

– اهتمّ فيه بعرض أقوال العلماء، وعزو الآراء والمذاهب إلى أصحابها، كقوله مثلا عند قول ابن مالك :

... وما أشبهَهُ في كنتُه الخُلفُ انتَمَى

كــذاك خِلتنِيهِ واتِّصــالا   أختارُ غيــرِي اختــارَ الانفِصالا

١– يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٤٧٦.

٢– النحويّ ابن الفقيه محمد بن محمد أنظمت السوقي الأقدزي منشأ ووطناً (أكدز : المدينة المعروفة في النيجر)، (كان حيّا سنة ١١١١هـ). فله شرح على ألفية ابن مالك. ورد ذكره في فتح الشكور، ص١٧٥.

٣– الحسن بن القاسم المرادي، يقصد شرحه على ألفية ابن مالك.

٤– ص١ من المخطوطة.

٥– المصدر نفسه، ص ٩.

«يعني أنَا ابنُ مالك مع الرمّاني[1] وابن الطراوة[2] أختار الاتّصال في باب(كنته)، و(خلتنيه)، كقوله عليه الصلاة والسلام : (إن يَكنْهُ فلنْ تُسلّطَ عليه، وإلاّ يَكنْهُ فلا خيرَ لكَ في قتلهِ)[3]. غيري : وهو سيبويه، والأكثر اختار الانفصال فيهما، أي كنته وخلتنيه، كقول الشاعر في (كان) :

لئن كان إيّاه لقد حـــــال بعدَنا عنِ العهـــــد، والإنسانُ قد يتغيّرُ»[4].

– كبير الاهتمام بالاستشهاد بالقرآن الكريم، وكذا الأحاديث الشريفة، مثل مذهب الناظم[5].

– أكثر من الاستشهاد بالشعر، مع تصريحه بعدم عزوه، مثل قوله : «ومعاني بعض الشواهد من غير عزو لأحدٍ ما»[6].

وهودقيق التحليل، كثير المناقشة أثناء الاستدلال به، ذاكراً لغة المفردات، ومحلّ الاستتشهاد، من ذلك مثلا قوله :

يعني أن باب سنين قد يرد حال كونه مثل حين، الإعراب يكون بالحركات الظاهرة على النون منوّنة مع لزوم الياء، ولا تحذف النون للإضافة، نحو هذه سنينٌ... ومنه قول الشاعر[7] :

دَعَـــــانِي مِن نجـــــدٍ فإنّ سنينَهُ لَعِبْنَ بنـــا شِيبًا وشَـيّبْنَنَا مُـــــرْدا.

يخاطب خليله، ومن عادتهم خطاب الواحد بصغة التثنية. عن نجدٍ : أي من ذكر نجد، وهو اسم لبلاد أعلاها تهامة وأسفلها العراق والشام. والشاهد في(سنينه) لأنّه أعرب بالحركة على النّون، ولم يحذف للإضافة... يعني أن إجراء سنين وبابه مجرى حينٍ

١- أبو الحسن علي بن عيسى، السّامرّائي، المتوفّى٣٨٤هـ.

٢- أبو الحسين سليمان بن محمّد، المتوفّى ٥٢٨هـ.

٣- أخرجه الخمسة إلاّ النسائي عن ابن عمر.

٤- ص٢١ من المصدر نفسه. هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة المخزومي. ينظر الأشموني بحاشية الصبّان، ج١، ص ١٣٠، والتوضيح بحاشية التصريح، ج١، ص١٠٧.

٥- المخطوطة، ص ٩، ١٢، ٢١.

٦- المصدر نفسه، ص ١.

٧- الصمّة بن عبد الله، أحد شعراء العصر الأمويّ. ينظر الأشموني بحاشية الصبّان، ج١، ص٩٧، والتوضيح بحاشية التصريح، ج١، ص٧٧.

يطّرد عند قوم، بل جَمْعُ المذكّر السالم وما ألحق به يجري مجرى حينٍ عند قوم، ومنه قوله[1]:

رُبّ حيّ عَرَنْدَس ذي طَلاَل   لا يَزالونَ ضاربينَ القِبـــــابا.

العرندس : الشديد، وطَلاَل : الحالة الحسنة، القباب : جمع قُبّة، وهي التي تتّخذ من الأديم والخشب واللبن. والشاهد في (ضاربين) حيث أعرب بالحركة على النّون، ولم تحذف نونه للإضافة[2].

إنّه شرح جيّد، متوسّط، وافٍ، بأسلوب سهل، سلس، يستحقّ العناية لإخراجه لطلاّب النّحو ذوي القدرات المتوسّطة.

٤٨- انبويَه اعْمَر بن الإمام محمد عبد الله المحجوبي الولاتي (ت ١٢٦٠هـ). العالم، النّحوي، اللّغوي، الأصولي، الزاهد. له [3] :

أ- منظومة العَقِيلة البَهِية في النّحو وشرحها.

ب - جمانة الإعراب في معاني الحروف(نظم الباب الأول من مغني اللّبيب لابن هشام، مع شرحه)[4].

ج - شرح الفريدة للسيوطي، سمّاه (الغنيمة العتيدة في حلّ ألفاظ الفريدة)، لم يكمله[5] .

د - عمدة السالك على ألفية ابن مالك [6]. قال عنه صاحب منح الربّ الغفور : «جمع فيه من كلام الأشموني والهبة (هبة اللّطيف : شرح البسط والتعريف على منظومة المكّودي في التصريف) ما يشفي الغليل مع وجازة واختصار»[7].

وقد اطّلعت عليه فوجدته مع وجازته شرحاً جيّداً. ومن أهمّ سمات منهجه فيه أنّه :

١- ورد ذكره في االأشموني بحاشية الصبّان، ج١، ص٩٧، والتوضيح بحاشية التصريح، ج١، ص٧٧.

٢- ص ١٢، من المخطوط. وللمزيد ينظر ص ٢١.

٣- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والمنارة والرباط، ص٥٤٦، وتاريخ النحو العربي، ص٥٣٩.

٤-يوجد بكتبة أهل الطالب بوبكر بولاتة تحت رقم ٣٩٢.

٥- ورد ذكره في المنارة والرباط، ص٥٤٧، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٦-يوجد منه نسخ : إحداها على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٢٨، وأخريان بمركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقمي ٥٠٣، ٣٥٥٦.

٧- ص ١٢٦.

- شرح مختصر، موجز، بيْد أنّه مع هذه الوجازة أجاد فيه وأفاد، يوضّح المتن توضيحا شافيا، شاملا مضامينه ومراميه، لا يتوسّع عنها كثيرا. من ذلك مثلا ما سجّله من شرح التنوين عند قول الناظم :

بالجــــرّ والتنوين والنـــــدا وألْ ومُسندٍ لِلاســــــم تمييزٌ حصلْ.

«وهو نون يلفظ بها في الآخر لغير توكيد. وأنواعه أربعة : تنوين التمكين الدالّ على تمكين الاسم من بابه كزيد ورجل. وتنوين التنكير اللّاحق لبعض المبنيّات للدلالة على التنكير، كتنوين سيبويه.. وتنوين التعويض، وهو إمّا عن حرف كتنوين جوارٍ وغواشٍ، أو عن مفرد ككلّ وبعض، أوعن جملة كتنوين (إذٍ) المعوّض عن مضافها الجملة نحو: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾[٨٤، الواقعة]، وتنوين المقابلة، كتنوين مسلماتٍ، المقابل للنّون في المسلمين»[١].

أسلوبه سهْل، سلس، مع إيجاز غير مُخلّ، ممّا يدلّ على أنّه كتاب تعليميّ، أُعِدّ منهجاً لتدريس طلاّب الألفية.

- غالبا ما ينبّه إلى آراء النّحويين واصطلاحاتهم، كقوله مثلاً في باب الضمائر عند قول الناظم : (كأنتَ وهْوَ سمّ بالضمير) :

«والمضمر في اصطلاح البصريين، وكناية ومكنيّا عند الكوفيين»[٢]. وكتعليقه على قول الناظم :

... فــي كُنـتُـهُ الخُلفُ انتَــــــــمَى

كـــــــــذاك خلتنيهِ واتِّصالا أختـــــــارُ غيري اختارَ الانفصالا.

«غيري : وهو سيبويه، والأكثر اختار الانفصال في البابين...»[٣].

وكما ذكر عند قول الناظم في باب الضمائر: (وقد يُبيحُ الغيبُ فيه وَصْلا) :

«بشرط اختلاف لفظهما، كحكاية الكسائيّ : (العرب هم أحسنُ الناسِ وجوهاً وأنضرهموها) «[٤].

١- ص ٣، من المخطوط.

٢- ص١٧، من المصدر نفسه.

٣- ص١٩، من المصدر نفسه.

٤- ص ٢٠، من المصدر نفسه. وقد ورد في طرّة ابن بونا بتقريبها، ج١، ص ٣٦٢ : بلفظ (قريش ... بدل العرب).

وممّا يؤخذ عليه رحمه الله عدم اعتنائه بمناقشة هذه الآراء، والترجيح بينها، كتعليقه مثلاً(علاوة على ما سبق)، عند قول الناظم في الترتيب بين الاسم واللّقب : (وإنْ يَكُونَا مُفرديْنِ فأضِفْ حَتْماً) :

« إن لم تمتنع الإضافة، نحو : هذا سعيدُ كُرْزٍ، على تأويل الأوّل بالمسمّى، والثاني بالاسم. وأجاز الكوفيون الإتباع على البدل، أو البيان والقطع بوجهيه»[1].

– الرواية والاستشهاد عنده : امتاز هذا الشرح عن كثير من الشروح الموجزة بميزة بارزة، هي غزارة شواهده، وتنوّعها، من الأساليب القرآنية، والآثار، وأشعار العرب، ونثرهم، فهو عند الاستدلال بالشواهد يخرج عن الاختصار والإيجاز إلى التوسّع في التوضيح والشرح، من ذلك مثلا ما سجّله على قول الناظم :

(... وكِلْمةٌ بها كلامٌ قد يُؤمْ

بالجرّ....)

أي يقصد. قال تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[١٠١، المؤمنون]، إشارة إلى (رَبِّ ارْجِعُونِ... ١٠٠، المؤمنون). وقال عليه السلام : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد[2] :

ألا كلّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطـــــلُ وكلُّ نعيمٍ لا محـــــالةَ زائــــــلُ .

بالجرّ : وهي كسرة يحدثها عامله في آخر الاسم، فخرج الفعل، نحو[3] :

واللهِ ما ليلي بِنَامَ صـــــــاحِبُهْ ولا مُخـــــــالِطِ اللّيَانِ جانِبُـهْ.

ويشمل المجاورة، وهو مسموع في النعت والتوكيد، فالنعت : (هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ)[4]. وقوله [5] :

١– ص٢٢، من المخطوط.

٢– في مختار الشعر الجاهلي، ج٢، ص٤٨٣.

٣– ورد ذكْره في الدرَر اللّوامع على هَمْع الهوامع شرح جمع الجوامع، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، ج١، ص٧٦. وفي العيني على الأشموني، ج٣، ص٢٧ : منسوب إلى القناني.

٤– قول سائر لبعض العرب. يراجع إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النّحو من الأخبار والآثار، ص ٨٦.

٥– من الطويل، لامرئ القيس من معلّقته المعروفة (قفا نبكِ ...) . أبان : اسم جبل، الأفانين : الأنواع ، والوَدْق : المطر، والبِجاد : الكساء المخطّط، والتّزميل : التّلفيف. أي يشبّه الجبل والتفافه في غيوم المطر بكبير قوم متلفّف في كساء مخطّط. ينظر شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٥٤.

كأنّ أبانا في أفانينِ وَدْقِهِ كبيرُ أُناسٍ في بجادٍ مُزَمّلِ.

والتوكيد كقوله[1] :

ياصاحِ بلِّغ ذوي الزوجاتِ كلّهـــمُ أنْ ليسَ وصلٌ إذا انحلّت عُرَى الذّنَبِ.

والتّوهّم كقوله[2] :

بدا ليَ أنّي لستُ مــــدركَ ما مضىَ ولا ســـــــابقٍ شيئا إذا كان جائيا.

وقوله [3] :

أحقّا عبادَ الله أن لستُ صــــاعدا ولا هــــــــــابطٍ إلاّ عليَّ رَقيبُ[4].

إنّه تحليل نادر في كثير من الشروح بهذا المكان، خصوصاً المختصر منها. وبه يتبيّن لنا حسن هذا الشرح وجودته.

٤٩ـ الشيخ سيديا الكبير المختار بن الهيبة[5] الوليّ الصالح، العالم الجليل (ت١٢٨٤هـ). ترك من التآليف النّحوية واللّغوية :

أ- شرح المقصور والممدود لابن مالك[6].

ب- النفحة القيّومية بتفسير الآجُرّومية[7]. وهو شرح تعليميّ، توسّط فيه مؤلّفه بين الإيجاز والإطناب، مكتفيا ببسط مضمون المتن، وما يرمي إليه، مُعْرِضاً عن المناقشات المُعمّقة، التي تخرجه عن مستوى المبتدئين. ومن أهمّ سمات منهجه فيه :

١- من البسيط، لأبي غريب الأعرابي. قال ابن هشام في المغني، ص٦٤٦، الشاهد رقم ١١٦٠ : (قال الفرّء : أنشدنيه أبو الجرّاح بخفض كلِّهم...). وأبو الجرّاح العقيلي هو أحد الأعراب الذين أخذ عنهم الكسائي العربية ، وشايعوه ضدّ سيبويه في المسألة الزنبورية المعروفة.

٢- من الطويل، لزهير بن أبي سلمى. ينظر مختار الشعر الجاهلي، ج١، ص ٢٨٢.

٣-ورد ذِكره في الأشموني بحاشية الصّبّان، ج٢، ص٢٤١، غير منسوب، بصحبة بيت آخر، وهو :
ولا سالكٍ وَحْدِي ولا في جماعةٍ مِنَ النّاس إلاّ قِيـلَ : أنتَ مَريبُ.
وقد أوردهما الشارح للتدليل بهما على جواز الإعراب على التوهُّم، وذلك في قوله (سالكٍ)، حيث ورد مجرورا، معطوفاً على خبر(ليس) : صاعداً. على توهُّم جرّ خبرها بالباء، وهو شيء كثير.

٤-ص٢٢٣، فما بعدها، من المخطوط.

٥- ترجم له أحمد بن الأمين في الوسيط، ص٢٤٠، وابن حامدن في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥ .

٦-ذكره الدكتور محمد المختار ولد اباه في كتابه : تاريخ النحو العربي، ص٤٨٣.

٧- توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢١٠٧، ١٣٨٩، ومركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٣٥٦٩. وقد حقّق بالمدرسة العليا للأساتذة ٨٧/ ١٩٨٨.

- دقّة التحليل، مع الاعتناء بكثرة التبسيط والتوضيح، كقوله مثلا :

الكلام في اصطلاح النّحويين عبارة عمّا اجتمعت فيه هذه القيود الأربعة المشار إليها بقوله : هو اللّفظ، أي الصوت المنقطع من اللسان، المشتمل على بعض الحروف الهجائية، واحترز باللفظ من الخطّ والإشارة وحديث النفس، وما يفهم من حال الشيء، وإن كان يطلق عليه الكلام لغة، كقول عائشة رضي الله عنها : (ما بين دفّتي المصحف كلام الله)[1] ولقول الشاعر[2] :

إذا كلّمتني بالعيون الفواتر ... رددتُ عليها بالدموع البوادرِ.

وكقوله [3] :

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما ... جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلا.

وكقوله [4] :

شكا إليّ جملي طول السَّرى ... مَهْلا رُوَيْدا فكِلانا مُبْتَلى .

المركّب : من كلمتين فأكثر تركيبا إسناديا كقام زيد، ومنه أنّ الكلمة الواحدة في قوّة كلمتين كقم وأقوم ويازيد فإنّها في قوّة قم أنت وأقوم أنا وادعوا زيدا، وكذلك نَعَمْ وبلى لكونها في قوّة جملة الجواب...[5].

- كما أنّه لايهتمّ كثيرا بالتعرّض لمناقشة الآراء سوى بعض الإماءات المقتضبة، كقوله مثلا : «وما قبل (إنْ) من أدوات الجزم حروف لا تقتضي إلاّ فعلا واحدا، وما بعدها تقتضي فعلين، أوّلها يسمّى شرطا، والآخر جوابا وجزاء، وهي أسماء ما عدا (إنْ) اتّفاقا، و(إذما) على الأصحّ» [6].

١- لم أقف على هذا الأثر إلاّ في كتب النحو، كما في إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحويين من الأخبار والآثار، ص٣٥، وتقريب طرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك، للأستاذ أحمد بن محمّد المامي اليعقوبي. انواكشوط : ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. ج١، ص٥.

٢- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته .ينظر تقريب الطرّة، ج١، ص٥. والبيت من الطويل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى ما يفهم من حال الشيء.

٣- لم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في المصدر والصفحة نفسها. وهو من البحر الكامل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى حديث النفس.

٤- ورد في لسان العرب، مادّة (شكا) دون عزو. كما ورد في تقريب الطرّة، ج١، ص١٥٩ دون نسبة أيضا.

٥- ص ٢،١، من المخطوط.

٦- المخطوطة، ص٨.

- كثير الاستدلال بالقرآن الكريم، وآثار الصحابة، والشعر، مقدّما الاستشهاد بالذكر الحكيم عند تعدّد الشواهد، وقد رأينا في النصّ السابق ما يفيد غزارة شواهده، وممّا يدلّ عليه أيضا قوله في نواصب المضارع : « فالنواصب عشرة، وهي (أنْ) في نحو : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾[الزمر : ٥٦]، و(لنْ) نحو : ﴿لَنْ يَّنالَ اللهَ لُحُومُهَا﴾[الحجّ : ٣٧]. و(إذنْ)، نحو : (إذنْ أُكرمَك) جوابا لمن قال : آتيك غدا، وشرط عملها التّصدّر واستقبال منصوبها، واتّصاله بها. وجاز فصله بالقسم، كقوله [1] :

إذنْ واللهِ نَرْميَهم بِحَرْبٍ   تُشيبَ الطّفلَ مِن قبلِ المَشيبِ .

وكذا الظرف والمجرور والنداء والدعاء ومفعول معمولها عند بعضهم»[2] .

- هو بصريّ المذهب، يظهر ذلك جليّا من حديثه عن فعل الأمر عند قول صاحب المتن : «والأمر مجزوم أبدا». وهذا من صاحب المتن مذهب كوفيّ؛ إذ هو عندهم معرب مجزوم[3]، بينما هو عند البصريين مبنيّ مثل ما ذكر الشارح معلّقا على هذا النصّ بقوله: «أي مبنيّ على ما يجزم به مضارعه من سكون أو حذف كاضربْ وقمْ وادعُ وارمِ واخشَ وافعلا وافعلوا وافعلي»[4].

وبهذا يتبيّن لنا أنّه شرح مناسب للمبتدئين، بوجازته، وضغط معلوماته بلا إخلال، مع سلاسة الأسلوب وسهولته.

جـ-تحفة الأطفال بحلّ لامية الأفعال[5]. ومصادر المؤلّف التي استقى منها هذا الشرح متعدّدة، أهمّها(فتح الأقفال) للحضرميّ على لامية الأفعال لابن مالك، فجلّ ما فيه مأخوذ منه، وإن لم يصرّح بذلك، مع أنّه قد ينبّه على هذا الأخذ. كقوله مثلا عند ذكر ابن مالك شواذّ الفعل الثلاثيّ (فعَل مفتوح العين،

١- حسّان بن ثابت، في ديوانه، ص٣٠. تحقيق د – أحمد الفاضل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م. بيروت : دار الفكر اللبناني. والبيت من الوافر.

٢- ص٨، من المخطوط.

٣- تفصيله في الإنصاف، ج٢، ص٥٢٤.

٤- ص٨، من المخطوط.

٥- ورد ذكره في حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٦٣. توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١١٥٣، ٢٥٣٠، ومركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقمي ١١٣٦، ٣٠٥٨. وقد حُقّق بالمدرسة العليا للأساتذة ٨٣/ ١٩٨٤م.

المضعّف اللّازم) : «وقد بقي على الناظم من هذا الضرب ثمانية أفعال... وقد نظمها صاحب فتح الأقفال»[1].

كما ينقل من القاموس المحيط، ثمّ الصّحاح للجوهريّ. وهو شرح قيّم، من سمات منهجه فيه علاوة على ما سبق أنّه :

- يتتبّع المتن بالشرح والتحليل، والمناقشة والاستطراد بالأمثلة المستفيضة، مع ذكر لغة الشواهد والأمثلة، متناولاً كلّ مسألة على حِدة، غير مازجٍ معها غيرها حتّى يُشبعها كلاما. كقوله مثلا عند بيت الناظم :

بفَعْلَلَ الفعلُ ذو التجريدِ أو فعُلا   ياتي ومكسورَ عينٍ أو على فعَلا :

«أي الفعل المجرّد من الزوائد يأتي في حال كونه رباعيا على وزن فعْلَل، وثلاثيا على وزن فعُل بضمّ العين، فمثال الأوّل لازما : حَشْرَج عند الموت : غرغر وتردّد نفسه.. وعرْبَد : ساء خلقه على نديمه.. ومثاله متعدّيا : قَرْطَبه : صرعه. وقَرْضَبه : قطعه، ومنه سمّي السيف قِرضابا... وقد يصاغ من اسم رباعي لعمل مسمّاه كقمْطرت الكتب اتّخذت لها قِمَطْرا، وقَنبلت الخيل وجحفلتها : جعلتها قنابل وجحافل، أو لمحاكاته كعقَرَب الصِدْغ : لواه كعَقْرَب.. أو لجعله في شيء كفَلْفَلَ الطعام، وعَصْفَرَ الثوب، أولإصابة كعَرْقَبَه : أصاب عرقوبه.. أو لإصابة به.. كعَرْجَنه : أصابه بالعرجون، أولإظهاه كعَسْلَج الشجر : أخرج عسالجه وبراعمه، والعسلوج : ما لانَ واخضرّ من قضبان الشجر، والبرعم : الزرع قبل أن يتفتّح، أو لسترٍ به، كقَرْمَد البناء : طلاه بالقَرمد بالفتح، أي الجصّ..»[2].

هذا جزء فقط ممّا ذكره في شرح هذا البيت، يوضّح طريقته في التحليل والشرح. وهو أيضاً شرح منهجيّ، تعليميّ.

٥٠- ميلود بن المختار خي بن عبد الله بن يعقوب الديماني، كان حياّ سنة (١٢٨٩هـ)، له في النّحو[3] :

١- ص٥، فما بعدها، من المخطوط.

٢- ص ١،٢، من المخطوط.

٣- المجموعة الكبرى، مصدر سابق، ص٣٠١، ومعجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم في ولاية اترارزة، إعداد محمد بن أحمد بن بابا، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدراسية ٩٠ - ١٩٩١م، ص١٧٣. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم١١١.

أ- شرح ألفية ابن مالك.

ب-شرح على ملحة الإعراب للحريري[1]. وهو شرح صغير الحجم، تبلغ صفحاته (أربعا وأربعين)، أسلوبه جيّد، سلِس، منساب، خالٍ من الإطناب، واضح أنّه كتاب تعليمي، أريد له أن يكون ملائما لطلاّب المحظرة المبتدئين. وهو ما عبّر عنه بقوله : «فما ذكره الناظم إجمال، هذا تفصيله باختصار؛ لأنّ في هذا شروطا تركنا ذكرها خشية الإطالة» [2]. وهو ما يتّضح من تعليقه على قول الناظم في بناء الأمر :

والأمـــر مبنيّ على السكـــــونِ مثالـــــه احـــذرْ صَفْقةَ المغْبونِ.

حيث يقول : «يعني أن الأمر مبنيّ على السكون، وذلك إذا كان مضارعه يجزم بالسكون فهو مبنيّ على السكون أبدا على ما يجزم به مضارعه من سكون أو حذف حرف، نحو يضرب، الأمر منه اضربْ، ونحو لم يرمِ ولم يخشَ ولم يدعُ بحذف حروف العلة من آخرها للجزم، الأمر منها ارمِ واخشَ وادعُ، ونحو ليقوموا وليقوما ولم تقومي بحذف نون الرفع فيها للجزم، الأمر منها قوموا وقوما وقومي»[3].

وللمؤلّف شخصية بارزة في هذا الشرح، إذ نجده أحيانا يناقش صاحب المتن، وقد يصوّب رأيا غير رأيه، كما في تعليقه مثلا على بيت المتن :

وتلحقُ النونُ ما قد تثنّي من المفارد لجبْرِ الوهْنِ.

«المفارد جمع مفرد، أخبر أن سبب إلحاق النون للمثنّى جبر الوهن، أي الضعف الحاصل له بإزالة التنوين والحركات. هذا قول، والأصحّ أنّها لرفع توهّم الإضافة في نحو : جاءني خليلان موسى وعيسى، ولرفع توهّم الإفراد»[4].

- يكثر من عرض الأمثلة المعبّرة أثناء مناقشة المسائل النحوية، كما في قوله مثلا : «كم تأتي استفهامية وخبرية، معناها التكثير والتعظيم، وتجرّ بالإضافة على الأصحّ، لا بـ(مِنْ) مقدّرة،، ويأتي تمييزها مفردا، نحو : كم مالٍ أفدتم، وجمعا نحو : كم إماءٍ ملكت

١- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٣٠٩.

٢- ص١٥، من المخطوط.

٣- ص٤ من المخطوطة. وتنظر ص ٢٥ منها.

٤- المصدر نفسه، ص ١٠.

وأعبدٍ، وربّما نُصِب تمييزها حملا على الاستفهامية كقوله[1] :

كم عمّةً لك يا جـــــريرُ وخالــة   فَدْعـــاءَ قد حلبَتْ عليَّ عِشـــارِي.

على رواية النصب. و قد يجرّ مفصولا بظرف، كقوله[2] :

كمْ دونَ ميّةَ مَوْمَاةٍ يُهالُ بهـــــا   إذا تَيمّمَهـــا الخِرّيتُ ذو الجَلَـــدِ[3].

– وهو كثير الاعتناء بعرض الآراء ومناقشتها، والترجيح بين المذاهب، دون التصريح بنسبة الآراء لأصحابها، مع التنبيه على أنّه بصريّ المذهب كصاحب المتن، وإن لم يصرّح بذلك، إلاّ أنّه يتّضح من مناقشاته المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين وتصويبه آراء البصريين، كقوله مثلا : «المبتدأ هو الاسم المرفوع المجرّد من العوامل اللّفظية.. فإن ابتدأت النطق بالاسم فارفعه بالابتداء على الأصحّ أيضا»[4].

فما ذكره عن المبتدإ مذهب بصريّ[5].

– قد يصرّح بنسبة الآراء المذهبية لأصحابها، كقوله مثلا : «وزعم بعض الكوفيين أنّ (لَيَسْجُنُنّهُ){يوسف : ٣٥}، فاعل (بدا) في قوله تعالى : (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ)، مؤوّل بالسجن. وفهم منه أنّ الفاعل لايتقدّم، وهو الأصحّ. واحتجّ الكوفيون على جواز تقديمه بقوله : ما لِلْجِمالِ مَشْيُها وَئِيداً... [6] وهو مؤوّل بأنّ (مشيُها) مبتدأ، حذف خبره، أي يوجد.. فإن لم يوجد الفاعل في اللّفظ فهو ضمير مقدّر، كما قدّر عند البصريين في قوله : ثُمَّ بَدَا لَهُمْ... الآية، أي بَدَا لَهُمْ هُو..»[7].

١– البيت للفرزدق في ديوانه، تحقيق عمر فاروق الطّبّاع، ص٣٥٩. والفدْع : اعوجاج في رسغ اليد أو القدم من كثرة الحلب أو الرعي. والعشار : جمع عشراء، وهي الناقة التي بلغ حملها الشهر العاشر. اللّسان مادّة (فدع)،(عشر).

٢– من البحر البسيط. وورد ذكره دون نسبة في حاشية الصّبّان، ج٤، ص٥٩، وتحقيق محمّد محيي الدين للإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيين،ج١، ص٣٠٠. ومَوماة : المفازة، وهي تمييز. ويُهال : أي يفزع منها. وتيـمّـمها : قصدها. والخِرّيت بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء بعدها تاء فوقية : الماهر الحاذق في الطريق.

٣– المخطوط، ص١٤. ينظر مزيد في ص ١٥، ١٦، ١٨ منه.

٤– المصدر نفسه،ص١٤. ينظر مزيد في ص١٦، ١٨، ٢٢.

٥– الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١، ص ٤٤.

٦– تمامه : (أجندلاً يحملْن أم حديدا). من الرجز، نسبه ابن هشام في المغني، بحاشية الشيخ محمّد الأمير، ج٢، ص١٤، للزّبّاء بنت عمرو، ملكة تدمر في قصّة طويلة، ذكرها الأمير في حاشيته هذه.

٧– ص١٦، من المخطوط.

ومشيُها : عند البصريين مبتدأ، خبره محذوف، أي مشيُها يكون وئيداً، أو يوجد وئيداً، وعند الكوفيين فاعلُ (وئيدا) متقدّم عليه، و(وئيدا) حال من الجمال. وقد اختار ابن هشام[٨] مذهب البصريين[٩]. ومن هذا يتبيّن لنا نضج مناقشاته المسائل النحوية، ودقّة تلخيصه الآراء المذهبية.

٥١- الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين (ت١٣٢٨هـ)، العلاّمة، الوليّ الصالح الربّاني[١٠]. يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي عنه : «العلاّمة الوحيد، له معرفة بعلوم الشرائع، من الحديث، والتفسير والفقه، وغير ذلك.. وكان هذا الشيخ فاضلا كريما، لا يوجد أحد أحسن منه أخلاقا»[١١]

وهو شيخ مجاهد، من أبرز أعيان شنقيط، درس على والده في الحوض الشرقيّ، ثم اتّخذ السمارة في إقليم الصحراء مقرّاً له. له من التآليف النحوية[١٢] :

أ- تأليف في بيان الأوزان الصّرفية التي يبنى فعل الأمر منها على حرف واحد.

ب- منظومة في أوزان الفعل وتصريفه.

ج - هداية المبتدئين(أرجوزة في النّحو). طبع بالمغرب.

د - مفيد الرجال والنّساء فيما يجوز من الإبدال .

هـ- إبراز اللّآلئ المكنونة في الأسامي المضمرة. طبع في المغرب.

و- منظومة في أوزان أفعال من اللّفيف المفروق.

وقد أحصى الصرفيون عشرين فعلا من أفعال اللّفيف المفروق، الذي يبنى الأمر منه على حرف واحد، هو عينه، نظَمَ ابن مالك منها عشرة في أبيات عشرة، ونظم الشيخ ماء العينين العشرة الباقية في عشرة أبيات أيضا. وذكر الأستاذ عبد الحميد الأنصاري في تحقيقه لطُرّة الحسن بن زين هاتين المنظومتين مُنقّحتين في شكل ملحق في نهاية هذا

٨- مغني اللّبيب، ص٥٤٧. تحقيق مازن المبارك، دار الفكر.

٩- تفصيل ذلك في الأشموني بحاشية الصّبّان، ج٢، ص٤٣.

١٠- المنارة والرباط، ص٥٦٤، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

١١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٣٦٥.

١٢- تُرْجِم له، وذُكِرت هذه التآليف في كتاب : (الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي)، ج١، ص١٤٤،١٤٣، والمنارة والرباط، ص٥٦٤، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

التحقيق[1]. ومنظومة الشيخ ماء العينين هي :

أسْرِعْ إلى الخيرِ وأْمُـرْ مَنْ تُحِبُّ وقُلْ ... حِ يا أُخَيَّ حِياهُ حُوهُ حِي حِينَا
ولا تكُنْ خادِشاً وانْبُذْ لِمَـنْ لَفَـظَا ... ذِ ذَا الْمَتَاعَ ذِياهُ ذُوهُ ذِي ذِينَـا
واقْصدْ إلَهَكَ في الذِي أَهَمَّ وقُـلْ ... خِ يـا أُخَيَّ خِياهُ خُوهُ خِي خِينَا
ومَنْ رمَى الصّيْدَ والعـدُوَّ قُلتَ لَـهْ ... رِ مَـا رَمَـيْتَ رِياهُ رُوهُ رِي رِينَا
واجْمَعْ بشِعْرِكَ وانْبُذْ بالشريعةِ قُـلْ ... زِ يـاأُخَـيَّ زِياهُ زُوهُ زِي زِينَـا
وأَعْطِ موسَى لِموسَى قُلْ لَهُ عَجِلاَ ... سِ الرَّأْسَ وَيْكَ سِياهُ سُوهُ سِي سِينَا
ومَنْ يَصِلْكَ ومَعْرُوفا يُرِيدُ فقُـلْ ... صِ الحُبَّ عُرْفاً صِياهُ صُوهُ صِي صِينَا
وقُلْ لِمَنْ بالغِنَا جَهْراً يُصَوِّتُـهُ ... غِ بالإلَـهِ غِيَاهُ غُوهُ غِي غِينَا
وارْبِطْ لِسُوءٍ وقُلْ لِمَنْ يَجِيءُ بِـهِ ... كِ السُوءَ عَنّا كِياهُ كُوهُ كِي كِينَا
وإِنْ تَـزِدْ لِكَمالِ العِزِّ مُرْتَفِعاً ... هِـ كالسَّحَابِ هِياهُ هُوهُ هِي هِينَا.

٥٢- محمد يحيى الفقيه بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الولاتي(ت١٣٣٠هـ)، عالم جليل، حجّ بيت الله الحرام، وفي طريقه كانت له حوارات مع بعض العلماء، وألّف كتابا عن هذه الرحلة[2]، له من التآليف النّحوية :

أ- شرح الآجرّومية[3].

ب- نظم الآجرّوية، مع شرحه[4].

ج - نظم مباحث الحروف من مغني اللّبيب لابن هشام[5].

د - نظم اختصار الألفيتين مع شرحه[6].

١- ج٢، ص٦٩٠، وما بعدها.

٢- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥، والمنارة والرّباط، ص٦٠٥.

٣- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٣٧١.

٤- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٣٩٦.

٥- ذُكِر في المنارة والرباط، ص٦٠٥، وتاريخ النّحو، ص٥٤١.

٦- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١٢٢٠.

هـ- منظومة في التصريف، مع شرحها[1].

و- منظومة في علوم العربية[2].

ح- المواهب التليدة على الفريدة للسيوطي[3]. وهو شرح متوسّط الحجم، يميل إلى الإيجاز، غالبا ما اقتصر فيه المؤلّف على تفكيك ألفاظ المَتْن وتوضيحها، دون الخوض والتعمّق في التحليل والمناقشة. من ذلك مثلا شرحه قول الناظم في بناء الأفعال :

... والمـاضـي بُـنِـي والأمـرُ والثالثُ مُعْرَبٌ إنِ
يَعْـرَ مِنَ الإنـاثِ والتوكيدِ إنْ باشَرَهُ...

حيث يقول : «وكذا فعل الأمر فإنّه مبنيّ على ما يُجزم به المضارع المقتَضَب منه من سكون، نحو : قمْ، أو حذف، نحو : اخشَ. والقسم الثالث من أقسام الفعل، وهو المضارع معرب ، أي مستحقّ للإعراب بشرطيْن، أشار إليهما بقوله : إنْ يَعْرَ، أي يتجرّد من نون الإناث، ولا يكون إلاّ مباشرا له، فإن لم يَعْرَ منه، نحو : [يَتَرَبَّصْنَ...] {٢٢٨،البقرة}، فإنّه يبنى على السكون حينئذٍ، ومن نون التوكيد خفيفة كانت أو ثقيلة فإنه يبنى حينئذٍ على الفتح إن باشر، أي المضارع لنون التوكيد بأن لم يفصل بينه مع المضارع واو الجماعة ولا ياء المؤنّثة المخاطبة، ولا ألف التثنية، وإلاّ أعرب بالنون المحذوفة. مثال ما استوفى الشروط قوله تعالى : [لَـيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ] {٣٢، يوسف}»[4].

يقصد ما استوفى شروط البناء في حالة اتّصال نون التوكيد به.

وكما في شرح قول الناظم في اتّصال الضمائر وانفصالها :

... فـإنْ تُقَدِّمَ الأخَـصْ أَجِزْ وفي كـان وظَنَّ الفصلُ خَصْ.

«فإن تقدّم الضمير الأخصّ، أي الأعلى رتبة أجز الوجهين : الفصل والوصل،

١- توجد منه نسخ بمركز مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو تحت أرقام ٣٩١٠، ٨٤٤٦، ٨٤٧٤، كما يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٨٥.

٢- توجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١٠٠٨.

٣- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٧٣.

٤- ص٧، من المخطوطة.

نحو : أعطيتك إيّاه أو أعطيتكه، والوصل أرجح عند ابن مالك. وفي باب ظنّ وباب كان الفصل لثاني الضميرين المنصوب الكائن خبرا في الأصل نصّ، أي ظهر ووجب عند سيبويه لوجوب الفصل قبل الناسخ فكذلك بعده، نحو خلتُك إيّاه وكنت إيّاه، وكقوله[1] :

ليس إيّـــــــــــايَ وإيّـــــاكِ ولا نَخْـــــــــــشَى رَقِيـــــــبَا[2].

فمن هذه النصوص نجده كما سلف ذكره يقتصر على تفكيك النصّ، وتوضيح مايرمي إليه، دون اللّجوء إلى التحليل والمناقشة في الغالب. غير أنّه قد يناقش المسألة علاوة على تفكيك مفردات النصّ، ويحلّلها تحليلا جيّدا، مُكثرا من الاستدلال بالشواهد، كما في شرحه مثلا قول الناظم في مسألة الفاعل الذي يُغني عن الخبر ويسدّ مَسدّه :

ومنـــــــهُ وصـــفٌ رافعٌ لِما كفَى يَـسْبِـــــــــــــقه مُسْتفهِمٌ أو ما نَفَى
لِكوْنهِ قام مـــقامَ الفعــــــــلِ لا تُخْبِرْ لـهُ ومُفْرَداً قـــــد جُعِـــــلا
فإن يُطابقْ فلِما بعدُ خَبَــــــــــرْ في مفردٍ ونحــوِهِ الأمــــرانِ قَـــرْ.

ومنه، أي من المبتدأ وصْفٌ رافعٌ لِما كفَى، أي رافعٌ لِفاعِل كَفَى، أي أغْنَى عن الخبر لِتمام الفائدة به، يسبقه، أي الوصف مُسْتَفْهِم، أي أداة استفهام، نحو : أقائم زيدٌ، أو يسبقه ما نَفَى، أي أداة نفي، نحو : ما قائم زيدٌ لِكونه، أي الوصف المستند على استفهام أو نفي قام مقام الفعل في الاكتفاء به مع فاعله، أي تمام الفائدة بهما. لا تُخْبِرْ له : أي لا تأتِ له بخبر بعد فاعله؛ لأنّه مُغْنٍ عنه. ومُفرداً قد جُعِلا : أي جُعِل الوصف الكائنُ مبتدأ، الرافعُ فاعلا أغنى عن الخبرَ مفرداً ولو كان فاعله مثنّى أو مجموعا، كقوله [3] :

خليلَيَّ مــــا وافٍ بعَهْـــــدِيَ أنتُما إذا لم تَكُونا لِي علَى مَــــــنْ أُقاطِعُ.

١- لم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في منحة الجليل بتحقيق محمد محيي الدين، ص٥٤.

٢- ص١٦، من المخطوط.

٣- من الطويل، ولم أقف له على قائل. ورد ذكره في منحة الجليل، بشرح ابن عقيل، ج١، ص٩٨، وطرّة ابن بونا مع التقريب، ج١، ص١٣٦.

وقوله[1] :

غـيْـرُ لاهٍ عِـــــداكَ فاطَّرِحِ اللـهوَ ولا تغْتَـرِرْ بِعـــــــــارِضٍ سِلْـــمِ.

وقوله [2] :

أَقاطِنٌ قـــومُ سَلْمَى أم نوَوْا ظَعَنَـا إنْ يَظْعَنُـوا فَعَجِيبٌ عيْشُ مَنْ قَطَنَا.

وقوله[3] :

أمُنْجِزٌ أنتـــــــمُ وعْداً وَثِقـتُ بـهِ أم اقْـتَـفَـيْـتُـمْ جميعاً نَهْجَ عُرْقــوبِ[4].

يُلحظ من هذا العرض أنّ المؤلّف يقوم أثناء الشرح بمزج كلامه بكلام الناظم، وأنّه كثير الاستدلال بالأساليب القرآنية، والشعرية دون عزوٍ. ويمكن أن يوصف الشرح بأنّه تعليمي، سلِس الأسلوب، يتّسم بالإيجاز والاقتضاب.

٥٣- عثمان بن عمر بن سيدي عثمان بن عمر بن الأمين بن غانم بن المختار اليونسي الولاتي(ت١٣٣٧هـ[5]). له شرح على المجرادية، لأبي عبد الله محمّد بن محمّد الفزاري المِجراد السّلاوِي(ت٧٧٨هـ)[6] سمّاه : (فتح الرّبّ الرؤوف على المجرادية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف)[7].

يقول اليونسي في مقدّمة هذا الشرح، مبيّنا مصادره : «هذا تعليق لطيف وضعته على تأليف الأستاذ النحويّ اللّغوي، رحمه الله تعالى، المعروف ب(المجرادية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف)، رجاءً لنفع الطالبين، وتيسيراً للمبتدئين، ملتقطاً له من شرح شيخنا سراج الأدباء، وتاج الجلّة الكرماء، فريد عصره، ووحيد دهره : المرواني

١- من الخفيف، ولم أقف له على قائل. ورد ذكره في طرّة ابن بونا، ج١، ص١٣٦، وابن عقيل، بتحقيق محمّد محيي الدين، ص٩٦.

٢- من البسيط، ولم أقف على قائله. ورد ذكره في طرّة ابن بون، مع تقريبها، ج١ ، ص١٣٥.

٣- من البسيط، ولم أقف له على قائل. ورد ذكره في منحة الجليل، بتحقيق محمد محيي الدين، ص٩٨، وطرّة ابن بونا، مع تقريبها، ج١، ص١٣٥.

٤- ص ٢٥، من المخطوط.

٥- المنارة والرباط، ص٥٨٣، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص١٦٢.

٦- بحث (الجملة العربية)، للدكتور محمّذن ولد أحمد ولد المحبوب، ص١٧. نقلاً عن المجموع الكبير من المتون فيما ذُكِر من الفنون. دار الفكر. ص٤٣٤.

٧- توجد منه نسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤٧٧٣، كما توجد له أخرى بحوزة الأستاذ محمّد الأغظف بن الدّاه الولاتي. بانواكشوط. وقد اطّلعت عليها.

بن الفقيه النزيه، النحوي اللغوي النّبيه، عبد الله النّفّاع بن أحمد (ت١٢٢٩هـ)، المسمّى ب(تكميل المراد على لامية عمر المجراد) وغيره، وسمّيته (فتح الربّ الرؤوف على المجرادية في أحكام الجمل والمجرورات والظروف)»[١].

وهو شرح مُقتصِد بين الإيجاز والإطناب. من أهمّ سماته المنهجية :

- استدلال المؤلّف كثراً بالأساليب القرآنية، والعربية، مقتصراً على تبيين ما يتضمّنه المتن ويرمي إليه، مُزورّاً عن الاستطرادات المطوّلة، مازجا الشرح بالمتن. من ذلك مثلا قوله :

فصل في بيان الجملة، واللّفظ المركّب من فعل واسم، نحو: جاء زيد، أو من اسمين... وتسمّى.. كلاما لوجود الفائدة، وجملة لوجود التركيب الاسنادي. ثمّ صرّح بمفهوم (إن أفادت) فقال : وإلاّ، أي وإن لم تفد إفادة تامّة يحسن سكوت المتكلّم عليها، نحو : إن قام زيد فتسمّى جملة فقط... وسواء كان متصرّفا كما مثّلنا، أو جامدا كقوله تعالى : [نِعْمَ الْعَبْدُ] {٤٤، سورة ص}، وسواء كان تامّا كما مثّلنا.. أو ناقصا، نحو: كان زيد قائما.. وسواء كان مبنيا للفاعل كما مثّلنا.. أو مبنيا للمفعول كقوله تعالى: [قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ]{١٠، سورة والذّاريات}. وإن لم يكن الفعل صدرها، بل كان الاسم صدرها بأن بدأت باسم فتسمّى جملة اسمية، سواء كان الاسم صريحا كزيد قائم، والفتى العُلى، أو مؤوّلا كقوله تعالى : [وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ]{١٨٤، سورة البقرة}، أي صومُكم خيرٌ لكم، أو وصفا رافعا لُمكتفىً به عن الخبر، نحو : أقائم الزيدانِ، أو اسم فعل، نحو[٢] : هيهات العقيقُ..[٣].

وقد نقلت هذا النصّ على طوله لأُدلّل به على ما ذكرت. ثمّ أخذ في شرح أنواع الجمل على هذا النسق، غير حائدٍ عنه غالباً.

- يستدلّ بالقراءة لحكم نحوي، دون التوسّع في مناقشتها، من ذلك مثلا حديثه عن جملة الموصول : «كقولك أتى الذي قد خاف ممّا ضربته، فجملة (خاف) لا محلّ لها؛ لأنّها صلة الموصول... والموصول وحده له محلّ بحسب ما يقتضيه العامّ بدليل ظهور الإعراب في نفس الموصول، نحو قوله تعالى : (لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيَّهُمْ أَشَدُّ... ٦٩،

١- الورقة الأولى من المخطوط.

٢- هذه الجملة ربّما تكون من بيت من الطويل لجرير. وهو : (فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومَنْ بهْ وهيهاتَ خِلٌّ بالعقيقِ نُواصِلُهْ). ورد ذكره في التصريح على التوضيح، ج٢، ص ١٩٩.

٣- ص ٥، ٦، من المخطوط.

مريم) في قراءة[1] النصب»[2].

- أحيانا يأتي بأقوال العلماء وآرائهم، دون مناقشة أو ترجيح، كحديثه مثلا عن الجُمَل التي لا محلّ لها من الإعراب : وقال أبو إسحاق الزجّاج[3] وأبو محمّد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيْـه[4] : إنّ الجملة.. محلّها الجرّ، أي في موضع جرّ ب(حتّى) إذا وقعت من بعد.. حتّى الابتدائية، كقول جرير[5] :

فما زالت القنا تمّحي بمـــــــاء الآّ   بدجلة حتّى ماء دجلة أشكــــــــاه[6].

وكما في تحليله المفصّل عن الجملة التفسيرية : «فجملة الاستفهام الصوري،وهي: [هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ]{٣ ، الأنبياء}، مفسِّرة ل(النّجْوَى)[7]، فلا محلّ لها من الإعراب.. و(هل) هنا للنفي بمعنى(ما)، ولذلك دخلت (إلاّ) بعدها. ف(الذين ظلموا) مبتدأ مؤخّر، و(أسرّوا النجوى) خبرمقدّم، وقيل: (الذين ظلموا) فاعل (أسرّوا)، والواو حرف دالّ على الجملة، لا ضمير. وهي لغة ركيكة، قليلة. وقيل : إنّ جملة الاستفهام الصوري بدل من (النجوى) فيكون محلّها نصبا على أنّ ما فيه معنى القول يعمل في الجملة، وهو رأي الكوفيين، وهو إبدال جملة من مفرد»[8].

تحليل يفيد حسن الشرح وجودته. وهذه اللّغة التي وصفها رحمه الله بالركاكة، يصفها النحويون عادة بالقليلة، ويعبّرون عنها بلغة (أكلوني البراغيثُ)، وهي مذهب طائفة من العرب، هم (بنو الحارث)، ويعبّر عنها ابن مالك بلغة (يتعاقبون فيكم ملائكة...)[9].

١- هي قراءة شاذّة منسوبة لطلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهُراء أستاذ الفرّاء، وزائدة عن الأعمش، والحركة حركة إعراب على مذهب الخليل ويونس. أمّا الرفع فهو قراءة الجمهور المتواترة، والحركة حركة بناء على مذهب سيبويه. ينظر تفصيل ذلك في البحر المحيط في التفسير، ج٧، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

٢- ص١٠، من المخطوط.

٣- إبراهيم بن السريّ بن سهل، العالم النحوي اللّغوي (ت٣١١هـ). يراجع الأعلام، ج١، ص٤٠.

٤- عالم لغوي، تُوفّي ببغداد سنة ٣٤٧ هـ.

٥- لم أقف عليه في مصادر شعره.

٦- ص ١٠، من المخطوط.

٧- الأصل : (وأَسَرُّوا النَّجْوَى الذِينّ ظَلَموا هلْ هذا إلاّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ... من الآية ٣ من سورة الأنبياء).

٨- ص١٢، من المخطوط.

٩- حديث شريف. يراجع في صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، باب فضل صلاة العصر، ج٢، ص ٢٢١. كما يراجع التفصيل النحوي للمسألة في شرح ابن عقيل على الألفية، وحاشية المحقّق محيي الدين، ص ٢٣٢، فما بعدها.

- يعتني كثيرا بتسجيل الفوائد والتتـمّات، كقوله مثلا : «وإلاّ فتسمّى جملة فقَطُّ. فائدة : في قَطُّ خمس لغات : أوّلها وأفصحها فتح القاف وضمّ الطاء مشدّدة، والثانية فتح القاف وتشديد الطاء مكسورة على أصل التقاء الساكنين، والثالثة إتباع القاف للطّاء في الضمّ، والرابعة تخفيف الطاء مع الضمّ، والخامسة تخفيف الطاء مع السكون»[1].

وكقوله في نهاية حديثه عن جملة الموصول الاسميّ : «تـتمـّة : الموصول الحرفي ستّة: أن تُفتح الهمزة وتُشَدّد النون، نحو: يُعجبني أنّ زيدا قائم، أي قيام زيد، وأن تُفتح الهمزة وتُسَكّن النون، نحو : يعجبني أن تقوم، أي قيامك، و(لو) كقوله تعالى : (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ...١٠٢، سورة النساء)، أي غفلتكم، و(كي)، نحو : جِئْ كي أُكرِمك، أي لإكرامك، و(ما)، نحو : يُعجبني ما صنعت، أي صنعك، و(الذي) على قول..»[2].

وبهذا يظهر أنّه شرح تعليمي، موجّه لطلاب المحاظر، وذلك من أسلوبه المركّز، الواضح السلِس.

٥٤- عبد القادر بن محمّد بن محمّد سالم المجلسي(ت١٣٣٧هـ). له في النّحو [3] :

أ- شرح على ألفية ابن مالك. توفي قبل الانتهاء منه.

ب- المشرب الظلال لشرح لامية الأفعال[4]. ويتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة أنّه شرح ل(لامية ابن مالك) فقط، غير أنّه شرح لها ولاحمرار الحسن بن زين(ت١٣١٥هـ) عليها. وهو شرح كبير، تبلغ صفحاته (سبعين ٧٠ صفحة)، من الورق الكبير، وتصل سطور الصفحة منه إلى حوالي (أربعين ٤٠ سطرا). من سمات منهجه فيه أنّه :

- شرح ضافٍ، شامل كثيرا من أمّهات التصريف ومسائله، بأسلوب سلِس، مُنساب، دقيق التعبير. كما في شرحه مثلا بيت اللّامية : بفعللَ الفعلُ ذو التجريدِ أو فعُلا ياتي ومكسورَ عينٍ أو على فَعَلا.

١- ص ٥ ، ٦، من المصدر نفسه.

٢- ص١١، من المصدر نفسه.

٣- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٥٨٢، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص١٥٠.

٤- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٢١٩.

«أي الفعل المجرّد يأتي رباعيا على وزن فعلَل، وثلاثيا على وزن فعُل بضمّ العين، أو فعِل بكسرها، أو فعَل بفتحها. فالفعل مبتدأ، وذو التجريد نعته، و(يأتي) خبره، وبفعللَ في موضع الحال المتقدّمة من فاعل (يأتي) المستتر، وكذا قوله : أو مكسور عين، أو على فعَلا، حالان منه»[1].

ثمّ أخذ في مناقشة كثير من المسائل الصرفية المتعلّقة بهذه الأفعال.

- ممّا يفيد جودة هذا الشرح وحسنه تعليقُه القيّم على بيت الحسن بن زين، الذي يُعدّ من أبيات الأحمرار الصعبة :

تضـــــغيفُ ثانٍ أو أنّ الياءَ آخرُهُ   أو عينُهُ كالوقـــــــوعِ قلّما نُقِلا :

تضعيف : مبتدأ. وقلّما نُقلا : خبره. يعني أنّ تضغيف الثاني من الأوزان، وهو (فعُل) المضموم قلّ ما نُقل منه عن العرب. فحكى الجوهري عن يونس : لبُبْت يارجل صرت لبيبا. قال : وهو نادر، لا نظير له في المضاعف، وزاد في القاموس، في حرف الكاف : فكُكت ككرُمت.. والفكّة : الحمق في استرخاء. وفي حرف الميم : دمَّ يدُمّ دمامة بمعنى : قبُح... أو أنّ الياء آخره : يعني أنه لم يرد فعُل المضموم متصرّفا يائي اللّام إلاّ قليلا، كقولهم : نهُو الرجل غير مهموز، أي صار عاقلا ذا نهية، وهي العقل، وجمعها النُّهى. والواو في (نهُو) : أصلها ياء، وإنّما قلبت واوا لانضمام ما قبلها. واحترز ب(متصرّف) من(قَضُوَ، ورَمُوَ)، وهو بمعنى : ما أقضاه وما أرماه، فإنّه مطّرد في باب التعجّب. وقوله: أو عينه : يعني أنّ فعُل المضموم لم يرد يائي العين إلاّ قولهم : هيُؤ الرجل إذا حسنت هيئته... وقوله كالوقوع : أل، خلف عن الضمير... يعني أنّ وقوع فعُل المضموم، أي تعدّيه بتضمينٍ قليلٌ، ك(رَحُبكم الدخول في طاعة الكرماني، وإنّ سراقة طلُع اليمن، أي وسِعكم، وبلَغه)[2].

فقد شرح هذا البيت شرحاً جيّداً، سالماً من الركاكة التي قد يقع فيها بعضُ طُرَره.

- ينقل كثيرا عن المعاجم اللّغوية، كالقاموس المحيط والصّحاح للجوهريّ، وعن علماء اللّغة، كيونس والخليل، مع عمق التحليل والمناقشة، وكثرة الاستطراد، كما أنّه كثير الملحوظات والتنبيهات والاستدراكات أثناء الشرح، كما رأينا في النصّ.

١- ص٤، من المخطوط.

٢- ص ٤، ٥، من المخطوط.

ولأجل تبيين كلّ ما له علاقة بالمتن كثيرا ما يذكر لغة الأمثلة، التي تحتاج إلى توضيح، مع الاستدلال لها بالشواهد، كما يتعرّض لإعراب ما استغلق من المتن لحلّه وتسهيله على الدارسين. وشواهده غزيرة، في طليعتها القرآن العظيم، والشعر العربي، وأقوال العرب[1]، ممّا جعله شرحا ذا قيمة كبيرة.

٥٥-محمد يحيى بن سليمة اليونسي(ت١٣٥٤هـ)، عالم جليل، مجتهد، غزير التأليف، كثير اختصار المصنّفات. ترك من المؤلّفات النحوية [2]:

أ- قصيدة في التصريف مع شرحها[3].

ب- الأجوبة المقنعة على الأسئلة العربية.

ج - بهجة الأخيار على ألفية الاحمار[4].

د - منظومة حسن التفسير في النّحو.

هـ - شرح ألفية ابن مالك واحمرارها لابن بونا[5]. وهذا ربّما يكون هو نفسه : (بهجة الأخيار على ألفية الاحمار)، سالف الذكر. ومع هذا فاليونسيّ يبقى من أصحاب التوجّه الموازي للخطّ البوني، وهو ما يوحي به أغلب تآليفه.

وـ شرح منظومة سيدي محمّد بن حَبَت القلاّوي(ت١٢٨٨هـ) في أحكام التقاء الساكنين[6].

زـ منظومة نحو شهرين مع شرحها المطوّل[7].

ح - منظومة نحو شهرين مع شرحها الموجز[8].

١- مثلا أمثلة لذلك في ص ١٠، فما بعدها من المخطوط.

٢- يراجع حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥، والمنارة والرّباط، ص٦٠١.

٣- توجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٥١٣٩.

٤- يوجد منه نسخ بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت أرقام ٤٩٤، ٤٩٦٣، ٦١٤٢.

٥- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤٧٧٠.

٦- يوجدعلى(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٣٠٥.

٧- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقمي ١٣٢٠، ٤٢٣٠.

٨- يوجد بمركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤١٧٢.

ط – نزهة الألباب في شرح تحفة الأحباب[1].

ي – نظم قواعد النّحو مع شرحه.

ك – الفوائد الزّكية على نظم متمّمة الآجُرّومية (النّظم والشّرح له)[2].

ل – شرح منظومة عُبَيْد ربّه للآجُرّومية[3].

م – نظم الآجُرّومية[4].

كان رحمه الله ميّالا إلى الاجتهاد في تصانيفه المتنوّعة، المفيدة في العلوم العربية، الإسلامية، ففي النّحو مثلا يقول في منظومته المسمّاة[5] (قـرّة العيْنيْن على نحو الشهرين)، عند حديثه عن علامات الأسماء :

فالاسم يعرف بحسٍّ وبألْ   والخفضِ والتنوينِ والنّدا وعَلْ.

فالجديد عنده في هذا البيت هو زيادته علامتين، رآهما من علامات الأسماء، لا وجود لذكرهما عند أسلافه من نحاة العربية، أولاهما : (الحسّ)، أي إدراك بعض الأسماء بالحوّاس. وثانيتهما (عَلَّ). يقول الدكتور محمّد المختار بن ابّاه معلّقا : «ثـمّ أورد (عَلَّ) من علاماته، وهذا أيضا جديد في منهج النّحاة؛ لأنّهم يكتفون غالبا بعموم الإسناد»[6].

وفي الحقيقة هاتان العلامتان سبقه إلى ذكرهما ابن الحاج حمى الله القلاّوي (ت١٢٠٩هـ)، كما مرّ بنا في قوله ب(نظْم الرّبّاني) :

فَمَيِّزالاسمَ بِحِسٍّ ولعلّ ...

إلاّ إذا كان اليونسيّ لم يطّلع على قوله هذا، مع أنّ التشابُـه الحاصل بين نظْميهما يوحي بغير ذلك، فيما أرى.

١- يوجد بمركز أحمد با با بتيمبكتو تحت رقم ٦١٤٠.

٢- يوجد بمركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقمي ١٨٤٤، ٤٦٩٦.

٣- يوجد بمخطوطات مزكز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقمي ٢٨٣١ ، ٤١٩٠.

٤- يوجد بمخطوطات مركز أحد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٣٩٧١.

٥- له (منظومة نحو شهرين)، مع شرحها المطوّل. يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقمي ١٣٢٠، ٤٢٣٠. و(منظومة نحو شهرين) مع شرحها الموجز، يوجد بمركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤١٧٢.

٦- تاريخ النحو العربي، مصدر سابق، ص٤٩٢.

٥٦ - أحمد فال بن محمدّو(آدّو) بن الأمين[١] الجكني(ت١٣٥٤هـ)، له :

- شرح على ملحة الإعراب للحريري[٢]. وهو شرح مفيد، متوسّط الحجم، تبلغ صفحاته المحقّقة(مائة وأربعين ١٤٠) صفحة، كتبه فيها يبدو للمتعلّمين المتوسّطين. يقول في مقدّمته : «وبعد فهذا شرح مفيد وضعته على ملحة الإعراب»[٣]. ركّز فيه كثيرا على تبيين دلالة المفردات، لغة وتصريفا. كقوله مثلا عند قول الناظم في باب الكلام :

حدّ الكـــــلام ما أفـاد المُستمِعْ ... نحــو سعَى زيدٌ وعــمرٌو متّبِــعْ
ونَوعُهُ الــــذي عليهِ يُبْـــنَى ... اســمٌ وفِعْلٌ ثُمّ حـرفُ مَعــنَى

«حدّ الكلام : الحدُّ الجامع لأفراد الشيء المحدود، المانع من دخول غيره فيه... والكلام : هو اللّفظ المركّب للقصد. وفسّر حدّ الكلام بقوله : ما أفاد المستمع إفادة تامّة بحيث لا يكون منتظرا لكلام آخر، وواحده كلمة، وجمعها كلِم. وقد تطلق الكلمة على أكثر من واحدة مجازا عند أهل اللّغة، كقوله تعالى : (كلاَّ إنّها كَلِمَةٌ هوَ قائِلُها... ١٠١، المؤمنون) إشارة إلى قوله تعالى : (رَبِّ ارْجِعُونِ...١٠٠، المؤمنون). وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد[٤] :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلاَ اللهَ باطِلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ[٥].

نحو سعى زيدٌ : هذا مثال الكلام المركّب من فعل واسم، والمركّب من اسمين، نحو عمرو مُتَّبِع. ونوعه : النوع الجزء من الجنس؛ لأنّ الكلام اسم جنس. وقوله : نوعه: جميع أنواعه؛ لأنّه مفرد مضاف يعمّ كلّ نوع. الذي عليه يُبنَى : يصنع، بُنِي الشيءُ بُنىً وبُنْياناً وبناءً وبِنْيَةً وبِنايَةً، جمعُهُ أبنِيَةٌ : صنَعه. اسم وفعل ثمّ حرف مَعْنىً : يعني أنّ الكلام لا يوجد منه شيء مركّب إلاّ من هذه الكلمات الثلاث، قال ابن مالك : ...

١- ترجم له مُحقّق شرحه هذا في مُستهلّ القسم الدّراسي من التّحقيق.

٢-حقّقه أحمد ولد شامخ في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدراسية(٢٠٠٥/٢٠٠٦هـ)، يوجد تحت رقم ١٢ بقسم الرسائل بالمعهد.

٣- ص١٧، من التحقيق.

٤- الحديث من رواية أبي هريرة، في صحيح البخاري، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من إنشاد الشعر والرجز. ج١٢، ص١٧١.

٥- من الطويل. ينظر في مختار الشعر الجاهلي، ج٢، ص٤٨٣.

واسمٌ وفعلٌ ثمَّ حرفُ مَعْنَى»[1].

فهذا يفيد أنّه تصنيف من الشروح التعليمية، التي تميل إلى الإيجاز في المناقشة والتحليل، اكتفاءً بإيضاح مضامين المتن.

٥٧-سيدي عيسى بن محمد المختار بن أهل أحمادو الولاتي(ت١٣٦٠ أو١٣٧٠هـ)، له[2] شرح على نظْم الآجُرّومية : (عُـبَـيْـدِ رَبّـه). طبع بمراجعة عبد الكريم إقبال. وهو شرح مهمّ للمبتدئين في مادّة النّحو لجودته وحسنه. من سمات منهجه فيه :

- أنّه متوسّط الحجم، يبسط القول فيه قدر ما يحتاج طالب النّحو المبتدئ، من توضيح مقتضى المتن، وما يرمي إليه ولو ضمنا، مُزْوَرّا فيه عن الإيجاز المقتضب والمناقشة المطوّلة. من ذلك مثلا شرحه قول الناظم :

أقسامــــــه التي عليـــــها يُبنى اســـــم وفعـــل ثمّ حرف معنَى.

يعني أنّ أقسام الكلام المبنيّ عليها ثلاثة، اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، قدّم الاسم لشرفه؛ لأنّه يُسند ويُسند إليه. وحدّه : ما دلّ على معنى في نفسه، ولم يقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. وحكمه : الإعراب إلاّ ما شابه الحرف شَبَها يُقَرّبه منه، كالضمائر بنيت لشبهها للحرف في الوضع؛ لأنّ الحرف وضع على حرف واحد أو حريفين أو ثلاثة قليلا، وكذلك الضمائر. وكأسماء الاستفهام وأسماء الشرط بنيت لشَبهها للحرف في المعنى. وك(إذْ) و(إذا) و(حيث) والموصولات لشبَهها للحرف في الافتقار الأصليّ. وكأسماء الإشارة لشبَهها للحرف في المعنى، لكن لم تضع له العرب حرفا، ومن حقّهم أن يضعوه له. وأقسامه، أي : الاسم ثلاثة، إمّا ظاهر أو مضمر أو مبهم، وهو اسم الإشارة. وأتبعه بالفعل لتوسّطه بين الاسم والحرف، ولكونه يُسند ولا يُسند إليه، أي يخبر به ولا يخبر عنه. والفعل حدّه : ما دلّ على معنى في نفسه واقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. وحكمه: البناء، وإعراب المضارع لشبهه بالاسم في الإبهام والتخصيص وقبول لام الابتداء إذا اتصلت به نون التوكيد أو نون الإناث فيرجع لبنائه...إلخ[3].

١- ص٢٣، من التحقيق.

٢- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥، والألفية وتأثيرها، ص٤٣. والشرح مطبوع، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ ، الدار البيضاء.

٣- المصدر نفسه، ص١٠.

- قد يتوسّع في الشرح ويذكر مسائل لا يتضمّنها المتن، كقوله مثلا عند قول الناظم :

الفاعلَ ارفعْ وهو ما قد أُسنِدا   إليه فعلٌ قبلَه قد وُجِدا.

يعني أنّ الفاعل مرفوع.. سواء كان إسناد الفعل حقيقة لوقوعه منه، نحو: قام زيد، أو[1] مجازا لقيامه به، نحو: علِم زيد. ويتنزّل منزلة الفعل ما هو في تأويله، وهو عشرة : اسم الفعل، نحو : هَيْهاْتَ العَقِيقُ، واسم الفاعل، نحو: زيد ضارب أبوه عمرا. وأمثلة المبالغة، قال ابن مالك[2]:

فعّـــــالٌ أو مِفْعال أو فَعـــولُ   فـــي كثرةٍ عن فاعـــلٍ بديـــلُ

فَيَسْـتحِـــقّ مالـــــه مِنْ عَمَـل   وفـــي فَعِيل قَـــلَّ ذا وفَعِـــــل.

نحو: زيد ضَرّاب ومِضْراب وضَروب وضَريب وضَرِب. والصفة المشبّهة، نحو: زيد حسَن وجهه. والمنسوب إليه، نحو: جاء رجل قرشيّ أبوه، أي : منسوب إلى قريش. واسم التفضيل، نحو: ما رأيت رجلا أحسنَ في عينه الكحلُ منه في عين زيد، فاسم التفضيل (أحسن) و(الكُحْل) فاعله. والمصدر، كقوله [3]:

ألاَ إنّ ظُلْمَ نفسِــــــه المرءُ بيّـنٌ   إذا لم يَصُنْها عن هَوىً يَقْلِب العَقْـلا.

واسم المصدر، نحو: عجبت مِن عطاء الدنانيرِ زيدٌ. ف(المرء) فاعل، (ظلم) مصدر مضاف لمفعوله. والظرف وعديله، المعتمدان على نفي أو استفهام، نحو: أعندك زيد أو في الدارمحمّد. والاسم الموضوع للفعل، نحو إيّاك أنت وزيد أن تخرجا؛ لأنّـه موضوع موضع احْذَر [4].

- لايهتمّ كثيرا بالتعرّض للخلافات النحوية، ولا الوقوف عند الآراء، سوى بعض الإشارات المقتضبة، التي قد يستدعيها توضيح بعض ما قد يرد في المتن. من ذلك مثلا قوله عن (فعل الأمر) عند قول الناظم :

فالماضي مفتوح الأخِيرِ أبدا   والأمربالجزم لدى البعضِ ارْتَدَى :

١- الأفصح العطف ب(أم) بعد (سواء). ولم ينبّه مُراجع الشرح على ذلك. ينظر مغني اللّبيب، ص٥٣. مبحث (أمْ).

٢- البيتان : (الخامس والسادس) من باب إعمال اسم الفاعل، من الخلاصة.

٣- ورد ذكره في التوضيح بشرح التصريح، ج٢، ص٦٣، وطرّة ابن بونا، بتقريبها، ج٢، ص ٤٤١.

٤- ص٣٤ من الشرح.

«يعني أنّ الأمر مجزوم عند بعض النحاة، وعبارة الجزم تدلّ على أنّه معرب، وذلك رديء، أي ضعيف، والمشهور أنّه مبنيّ على ما يُجزَم به مضارعه من سكون إن كان صحيحا، أو حذف إن كان معتلاّ»[1].

يقصد(ببعض النّحاة) الكوفيين، فهذا مذهبهم[2]. فالناظم نَظَمَ نَثرَ الآجُرّومية كما هو :

(والأمر بالجزم أبدا)، وقد ذكرت سالفا عند الحديث عن متْن الآجُرُّومية، في النقطة(ب) أنّ صاحبها يمزج بين المذهبين : البصريّ والكوفيّ. وقد وصف الشارح هنا مذهب الكوفيين بالرداءة، وهو في الحقيقة تجاوز، إذ لا ينبغي وصف مذهب بها؛ لأنّه مذهب مقصود عند أصحابه، مختار بالأدلّة. وبصرية الشارح واضحة، جلية.

- شواهده القرآنية غزيرة، فصفحاته مملوءة بالاستدلال بها، كما استشهد بالشعر دون عزوٍ له في الغالب، وأورد بعض الأنظام النحوية، فبلغت شواهده الشعرية حوالي(٤٦) بيتا، والأنظام النحوية(٢٨) بيتا. وبهذا يمكن أن يقال : إنّه شرح قيّم، مناسب لطلبة النّحو المبتدئين، شامل كثيرا من مقاصد النّحو ومسائله، بأسلوب سلِس، واضح.

وقد استغربتُ من وصف عبد الكريم إقبال للمغاربة في تقديمه لهذا الشرح، الذي قام بإخراجه مشكورا، بأنّهم مُقلّون في التأليف النّحوي، إذ قال : «ومن جهة ثانية ليُعلم جهد المغاربة المتأخّرين في هذا العلم المفتاح، وأنّهم أهل التصنيف، وإن كانوا مقلّين»[3].

كلام غير صحيح على الإطلاق، بل جانب الصواب، ويبدو على صاحبه أنّــه لم يكن مطّلعاً على جهود المغاربة، وما تركوه من كنوز ثرّة في هذا العلم، فضلا عن غيره من العلوم الأخرى، خذ مثلا جهود الشناقطة في علم النّحو، فستجد أنّني ترجمت ترجماتٍ موجزةً في دراستي هذه (لِاثنين وستّين ومائتــيْ ٢٦٢ عالِمٍ نحويٍّ)، مؤلِّف، أحصيت لهم من التآليف النحوية (واحداً وخمسين وأربعمائة٤٥١)، مِن ضمنها كثير من الموسوعات. مع العلم أنّني لم أتمكّن من حصر المؤلّفين جميعهم، ومؤلّفاتهم النحوية.

١- المصدر نفسه، ص٢٦.

٢- الإنصاف في مسائل الخلاف، ج٢، ص٥٢٤.

٣- ص٣، من تقديمه لهذا الشرح. الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩، الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة.

وعليه فإنّني أقول لأخينا هذا : فهل تستطيع أن تذكر لي قطرا واحدا صغيرا بحجم القطر الشنقيطيّ من غير المغاربة استطاع الاقتراب من إنتاج هذا الكمّ الثرّ من التراث النحويّ؟. إنّه فقط عدمُ الاطّلاع على جهود المغاربة في هذا الميدان، والحكم المتسرّع المبنيّ على عدم الاستقراء والتتبّع !! هذا ناهيك عن إنتاجهم الغزير في بقية فروع الثقافة العربية الإسلامية، المدروسة في المحظرة الشنقيطية.

٥٨ـ محمد المختار بن أحمد بن امبالّة التشيتي (ت١٣٦٤هـ[١])، فقيه، لغويّ. له شرح (عُبَيْد ربّه[٢])، وهو شرح قيّم للغاية، يسترسل فيه أثناء تحليل المسائل ومناقشتها باتّساع وشمول، مع غزارة في الاستدلال بالشعر، كما يستشهد بالأساليب القرآنية، وآثار الصحابة، ويورد الأنظام النحوية. من أمثلة ذلك شرحه مثلا بيت الناظم :

إنّ الكلام عندنا فلْتَستمعْ   لفظٌ مُرَكّب مفيدٌ قد وُضِعْ.

يعني أنّ الكلام عند أهل النحو، وأرجَعَ الضمير على نفسه معهم؛ لأنّه مشارك لهم في معرفته، لفظ مستعمل، واللفظ في اللّغة هو الطرح، تقول : أكلت التمرة، ولفظت النواة، أي طرحتها، وفي الاصطلاح هو : الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية، والصوت هو مايقع بين القارع والمقروع. واحترز به من الخطّ، كقوله : (ما بين دفّتي المصحف كلام الله)[٣]، والإشارة، كقول الشاعر[٤]:

إذا كلّمتني بالعيون الفواتر   رددتُ عليها بالدموع البوادر.

وقال الآخر [٥]:

أشـارتْ بطرف العـين خِيفةَ أهلِها   إشـارةَ محـزونٍ ولم تتـكلَّـمِ
فأيْقَنتُ أنَّ الطرفَ قد قـال مرحباً   وأهـلاً وسهلاً بالحبيب المُتيَّمِ

١- تُرْجِم له في الألفية وتأثيرها، ص٤٣، والمنارة والرباط، ص٥٩٨.

٢- حقّقه محمّد بن مولاي (ليس الدكتور محمّد بن مولاي المعروف)، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، (السنة الدراسية ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م)، مودَع تحت رقم ١٩ بقسم الرسائل بالمعهد.

٣- وهو منسوب إلى عائشة رضي الله عنها، ولم أقف عليه إلاّ في كتب النحو، كما في إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحويين من الأخبار والآثار، ص٣٥، وطرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك، مع تقريبها، ج١، ص٥.

٤- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته مع التقريب، ج١، ص٥. وهو من الطويل.

٥- هو يزيد بن معاوية (ت٦٤هـ)، حسبما ورد في الموسوعة العالمية للشعر العربي على شبكة (الأنترنت). والبيتان من قصيدة له ذُكِرت في الموسوعة نفسها، رقم : ٦٤٩٩٢.

ومن لسان الحال، كقوله[1]:

شكا إليّ جملي طـــــــول السَّرى   مَهْلا رُوَيْدا فكِـــــــــلانا مُبْتَلى .

وقوله[2]:

امْتَلأَ الحوضُ فـقـــــــال قَطْنِي   مَهْـــلاً رُوَيْداً قـــــد مَلأْتَ بطْنِي

ومن حديث النفس، كقوله[3]:

إنّ الكلام لفي الفــؤاد وإنّــــــما   جُعل اللسانُ على الفـــــؤاد دليلا.

وخرج بقولنا (مُستعمَل الألفاظ) المهمَل كديز.. فلا يُسمّى شيء من هذه المحترزات كلاما. قوله : مركَّب، أي ما تركَّب من كلمتين فأكثر، إمّا من اسمين كزيد قائم، أو من اسم وفعل كقام زيد، واحترز به من المفرد فقط فلا يُسمّى كلاما. قوله : مفيد، أي مُتضمِّن فائدة يحسن السكوت عليها كجاء زيد للجاهل بمجيئه. واحترزمن المعلوم عند المخاطب كالسماء فوقنا والأرض تحتنا، ومن المتوقّف على غيره كجملة الشروط دون الجزاء، نحو : إن قام زيد، ومن المركّب الإضافي كغلام زيد، وعبد الله بن عمر، والمزجي كمَعْدي كرب، وبعلبك، والإسنادي لمجعول عَلَما كبَرَقَ نَحْرُهُ، وتأبّطَ شَرّا...إلخ[4].

تحليل غاية في الجودة والحسن.

- يتّسم أسلوبه بالسلاسة والوضوح والدقّة في التعبير، كشرحه مثلا مصطلحي الخفض والتنوين في بيت الناظم :

فالاِســـــــم بالخفض وبالتنوين أوْ   دخــــولِ ألْ يُعرَفُ فاقْفوا ما قَفَوْا.

حيث يقول :

يعني أنّ الاسم، يتميّز عن قسميه بالخفض، والمراد به الكسرة التي يجلبها عامل

١- ورد في لسان العرب، مادّة (شكا) دون عزو، كما ورد في طرّة ابن بونا مع التقريب، ج١، ص١٥٩، دون نسبة أيضا.

٢- رجز، لم أقف على قائله. ينظر في طُرّة ابن بونا، ج١، ص٦٨.

٣- من الكامل، وهو للأخطل، أحد شعراء الدولة الأموية. وقد ورد ذكره في طرّة ابن بونا مع التقريب، ج١، ص٥، وشرح المفصَّل لابن يعيش، ج١، ص٢١.

٤- ص١٧،١٦، من التحقيق.

الجرّ في آخر الاسم، سواء كان الخفض بالحرف، أو بالإضافة[1]، أوالتبعية، وقد جُمعت في (البسملة)، فلفظ (اسم) مجرور بالحرف، واسم الجلالة مجرور بالإضافة، و(الرحمن الرحيم) مجروران بالتبعية، ويدخل فيه الجرّ بالمجاورة، كقوله في الفريدة[2] :

مَن أثبتَ الجرّ على المجاورهْ   في النعت والتوكيد فاقْفُ ناصِرَهْ.

كقوله [3] :

كأنّ أبانا في أفانينِ وَدْقِهِ   كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مزمّلِ.

فجرّ (مُزَمَّل) بمجاورة(بِجادٍ)، وهي نعت ل(كبيرُ). ومنه الجرّ بالتوهّم، كقوله [4]:

بدالِي أنِّي لستُ مُدْركَ ما مضَى   ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائياَ.

فجرّ(سابق) لتوهُّم أنّها عطف على خبر (ليس)، الذي أصله يجرّ بالباء... وأنواعه أربعة...[5].

وقد نقلت هذا النصّ على طوله لأدلِّل به على حسن الشرح وجودته، فهو فعلا شرح جيّد للغاية، خلَّله مؤلّفه أثناء المناقشة بشيء غير يسير من مسائل النّحو وطرائفه، قد لا يتوافر في بعض الشروح المُطوَّلة.

٥٩- محمدّو سالم بن عبد الله بن الشين الدكوجي (ت٨ ـ١٣٨٧هـ)، لغويّ كبير، شاعر، مدرّس، متميّز، مؤلّف قدير، كان مدرّساً لعلوم العربية بمحظرة أهل بيّه العريقة بضواحي مدينة تمبْدغة في الحوض الشرقي، فتخرّج على يديه بها ثمّ بمدينة تمبدغة علماءُ كبار، من أبرزهم العلاّمة الدكتور الشيخ عبد الله بن بيّه المسّوميّ، النّحويّ، اللّغويّ، الأصوليّ، المفكّر الإسلاميّ، ذو العطاء العالميّ، شيخ المحظرة المذكورة آنفاً، ورئيس (المركز العالميّ للتّجديد والتّرشيد. ما يزال حيّاً)، ثَمّ استقرّ بابن الشّين المطافُ بمدينة تمبدغة، التي توفّي بها. ترك هذا العلاّمة اللّغويّ كثيرا

١- الأفصح العطف ب(أمْ) بعد (سواء) .

٢- يقصد فريدة السيوطي في النحو. والبيت مذكور فيها بعد باب الإضافة تحت عنوان (خاتمة)، ص ٤٣ من المتن.

٣- من البحر الطويل. أبانا : جبل. والأفانين : الأنواع والضروب. والوَدْق : المطر. والبجاد : كساء مخطّط. والمزّمَّل : الملفَّف بالثياب. أي : كأنّ جَبَلا في بدايات المطر سيّد قوم متلفّف بكساء مخطّط. ينظر مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق مصطفى السّقا. ج١، ص٣٣.

٤- من الطويل، لزُهير بن أبي سلمى. ينظر في مختار الشعر الجاهلي، ج١، ص٢٨٢.

٥- ص٢٠،١٩.

من التآليف في اللّغة العربية، أبرزها [١]:

أ- استدراك على لامية الأفعال لابن مالك، وعلى زيادة الحسن بن زين عليها (ت١٣١٥هـ)[٢].

ب- قصيدة فيما يقال بالواو والياء، مثل (طاح يطوح، يطيح) مع شرحها[٣].

ج - قصيدة في الأوزان التي على (فعلان) بتثليث الفاء، مع شرحها[٤].

د - قصيدة في الجموع التي جاءت على(فَعلان وفُعلان) بفتح الفاء وضمها ، مع شرحها[٥].

هـ- منظومة في أوزان الجموع التي أهمل ابن بونا.

و - منظومة مع شرحها في المشهور من المضارع الحلقي.

ز - ألفية في القلب اللّغوي (الاشتقاق الكبير)[٦].

ح - أنظام نحوية عديدة [٧].

٦٠- عبد الحيّ بن محمد بن التّابْ الأنتابي (ت١٤٠٤هـ). له من التآليف النحوية[٨]:

أ- نظم في الجمل.

ب- شرح نظْم الآجُرّومية (عُبَيْد ربّه[٩]). وهو شرح متّسع، ضافٍ، قيّم. من سمات منهجه :

١- حياة موريتانيا الثقافية، ص٢٩، ٦٠، ٦٨، والشعر والشعراء في موريتانيا، ص٧٨. والمؤلّفين الموريتانيين ومؤلّفاتهم، ص٣٠٥.

٢- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٢٥٥ .

٣- يوجد على(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٢٩٢ .

٤- توجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٢٥٦، ومركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٢٧٦.

٥- يوجد بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢٧١٥، ٢٧١٦، وعلى(مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم ١٢٥٤ .

٦- محمد السالم بن الشين حياته وآثاره، إعداد محمد سالم بن عبد الحي، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة١٩٩٩م، ص١٥ . مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم١٣٦.

٧- المصدر نفسه، ص٣٥.

٨- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في المجموعة الكبرى الشاملة، ص١٤٣ .

٩- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٤٠ .

– أنّه يستفيض كثيرا في المناقشة والتحليل والاستطراد، مع غزارة الاستدلال بالقرآن العظيم، والشعر دون عزو، وأحيانا بالقراءات، وآثار الصحابة[١]. وهو ما يُلحظ من الأمثلة الموالية :

يعني أنّ الكلام في اصطلاح النحويّين عبارة عمّا اجتمعت فيه هذه القيود المشار إليها بقوله : لفظ إلخ. قوله لفظ : أي صوت يشتمل على بعض الحروف، ملفوظ به كزيد، أو مقدّر كالضمير المستتر. وقوله مركّب : أي من كلمتين فأكثر تركيبا إسناديا، ومنه : قم وقمت ويازيد فإنّها في قوّة كلمتين.. وكذلك بلى ونَعَم لكونهما في قوّة جملة الجواب. واحترز بهذا القيد من المفرد والمركّب تركيب الإضافة، والمركّب تركيب مزج، وهو كلّ اسمين نزل ثانيهما ممّا قبله منزلة تاء التأنيث ممّا قبلها، كبعلبك وحضرموت، وحكمه أن يعرب الجزء الأخير منه إعراب ما لا ينصرف إلاّ أن يكون مختوما ب(ويْهِ) فيُبنى حينئذ على الكسر، أمّا البناء فلأنّ (ويْه) اسم صوت، وأمّا الكسر فللتقاء الساكنين.. وأخرج بقوله (لفظ) الخطّ والإشارة وحديث النفس، وما يفهم من حال الشيء، وإن كان يطلق عليها كلام لغة، كقول عائشة رضي الله عنها : (ما بين دفّتي المصحف كلام الله) [٢] .

وقال :

إذا كلّمتني بالعيـــون الفـــواتر ردتّ عليها بالدمـــوع البوادري [٣].

وقال :

شكا إليّ جمـــلي طـــول السَّرى صـــبراً جميــــلاً فـــكلانا مُبْتلَى [٤].

قوله مفيد : أي إفادة يحسن السكوت عليها بحيث لا يصير السامع منتظرا كلاما آخر، احترازا من غير المفيد.. ومن المفيد فائدة لا يحسن السكوت عليها، نحو: إن قام زيد[٥].

١– مثلا ص ٦،٢٥، من المخطوط.

٢– سبق ذكره.

٣– سبق ذكره.

٤– سلف ذكره.

٥– ص٥، ٦، من المخطوط.

نقلت هذا النصّ على طوله لأدلّل به على ما ذكرت من السمات التي يمتاز بها هذا الشرح، فالاستطراد، وكثرة المناقشة والتحليل شيء مستفيض بين صفحاته، والسمَة الغالبة عليه.

- يهتمّ كثيرا بذكر الآراء والمذاهب النحوية، كقوله مثلا في إعراب المركّب تركيب مزج كبعلبك وحضرموت : «وقال الجرمي[1] : أختارأن يُعرب غيرَ منصرف، وقال أبوحيّان: القياس البناء لِاختلاط لاسم بالصوت وصيرورتهما اسما واحدا »[2].

وهو مولع باستعراض الآراء، والموازنة والتصويب. كقوله مثلا :

«وقال الرؤاسي[3] من الكوفيين: فصحاء العرب ينصبون ب(أنْ)، ودونهم قوم يرفعون، ودونهم قوم يجزمون بها. ومِن رفْع الفعل بعدها :

أن تقرآن على أسماءَ ويْحَكما   منّي السلام وأن لا تُشعِرا أحدا[4].

وقال الكوفيون هي مخفّفة من الثقيلة، وتأتي زائدة، نحو : (فَلَمَّآ أَن جَآءَ الْبَشِيرُ... ٩٦، يوسف)، وتأتي مفسِّرة، نحو: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ... ٢٧، المؤمنون)»[5].

فممّا سبق يتبيّن لنا قيمة هذا الشرح، وتميُّزه حقيقةً.

وفيما يلي أُرد قائمة ببقية النّحويين واللّغويين من ذوي الاتّجاهين، من أصحاب هذه المرحلة، مع سرْد مؤلّفاتهم النّحوية، دون التعرّض في الغالب لمناقشتها، اكتفاءً بما سبق :

٦١- سيدي عثمان بن أعمر بن سيداتي اليونسي الولاتي (ت١٢٢٧هـ) : له [6] :

أ- شرح الآجُرّومية المطوّل.

ب - شرح الآجُرومية الموجز.

١- هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي(ت٢٢٥هـ).

٢- المصدر والصفحة نفسهما.

٣- هو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي، النحوي الكوفي، أستاذ الكسائي والفرّاء (ت ١٩٠ هـ). تنظر ترجمته في الأعلام، ج١، ص٨٩٧.

٤- من البسيط، وقد ورد ذكره في التوضيح بشرح التصريح، ج٢، ص ٢٣٢. دون عزو، وجاء فيه : « فإنّ الأولى والثانية مصدريتان، غير مخفّفتين من الثقيلة، وقد أهملت الأولى وأعملت الثانية». كما ذكره ابن هشام في المغني رقم ٣٥ دون عزو.

٥- ص ٢٦، من المخطوط.

٦- ترجم له، وذكرت هذه التآليف في فتح الشكور، ص٣٤٠، وحياة موريتانيا الثّقافية، ص٦٤، والمنارة والرّباط، ص٥٥٧، والمؤلّفين الموريتانيين ومؤلّفاتهم، ص٧٢.

ج - فتْح الربّ الجلال على بزوغ الهلال بتنزيل لامية الأفعال، ل(أحمد الجيّد البرتلي الولاتي/ ت١٢١٨هـ) [١].

٦٢- المأمون بن محمّد اليعقوبيّ(ت١٢٣٨هـ[٢]). له : شرح ألفية ابن مالك[٣].

٦٣- الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكُنتِي(ت١٢٤١هـ)، عالم جليل. له[٤] : كتاب أسماء الأفعال.

٦٤- مولود بن أحمد الجواد بن محمد بن عبد الله بن أحمد اليعقوبي(١٢٤٣هـ) : عالم، شاعر، له ديوان شعر. أخذ عن المختار بن بونا(ت١٢٢٠أو١٢٣٠هـ)، وخاصمه مع محمد حبيب الله المجيدري(ت١٢٠٦هـ)، حيث كان المجيدري يتزعّم مدرسة سلفية تدعو إلى التبصّر في المذهب الفقهي، والعودة إلى الكتاب والسنة، بينما كان أستاذهما ابن بونا يرفض ذلك ويدعو إلى التمسّك بالعقيدة الأشعرية، والمذهب الفقهي في البلاد كما هو[٥]. له :

أ- طُرّة على الألفية[٦].

ب- سقاية المعتل من عين مُطلق ثلاثيّ الفعل[٧].

٦٥- زياد بن حامدتّو الديماني(ت١٢٤٨هـ). له[٨] : شرح إعراب الجمل لابن بونا.

٦٦- سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت١٢٥٠هـ)، له[٩] :

١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١١٤٦.

٢- ترجمته في الوسيط، ص٢١٧، والشّعر والشّعراء في موريتانيا، الدكتور محمد المختار بن ابّاه. ص٧٣، والمنارة والرباط، ص٥٢٢.

٣- ورد ذكره في السّلفية وأعلامها في موريتانيا، ص٢٦٣.

٤- المنارة والرباط، ص٥٦٢، ٦١٨، والمجموعة الكبرى، ص١٢١، والمؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص٨٩. لم أقف على من ذكر له هذا التأليف سوى صاحبي المصدر الأخير.

٥- ترجمته في الوسيط، ص١٩٠، والمنارة والرباط، ص٥٣٢، والشعر والشعراء في موريتانيا، ص٧٣.

٦- ورد ذِكْرها في الألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمجموعة الكبرى، ص٣٠١. وكلاهما للدكتور يحيى بن البراء.

٧- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٥٣١.

٨- تُرْجِم له في المنارة والرباط، ص٦١٧، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص٩٠. وقد حُقّق هذا الشرح في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد.

٩- تُرْجِم له، وذُكِرت هذه التآليف في الوسيط، ص٨٣، والمنارة والرباط، ص٥٥٨.

أ- سواطع الجُمان في ذكر المعاني من الأوزان(منظومة في تصريف الأفعال). مطبوع، عدد أبياته(١١٢ بيتا)، من الرجز الكامل. ولمحمّد محمود بن عبد الفتّاح الأبييري(ت١٢٩٧هـ) طُرَّةٌ عليه. وقد حدّد مصادره التي استقاه منها، وأهمّها بعض كتب ابن مالك، وشروحها في التصريف، إذ قال فيه :

حرّرته متّبعـــــا للأكـــــــرم محمّـــــدِ بـــن مالك والحضرمِي
وربّمـــــا أتيتُ بالشــــوارد من الدمـــــامينيّ والمســـــاعـدِ.

يقصد بالحضرميّ شرحه (بَحْرَق) على لامية الأفعال لابن مالك، وبالدمامينيّ والمساعد شرحيهما على تسهيل ابن مالك.

ب – نجْم الحَيران (شرح سواطع الجمان) . يقول محمّد بن الأمين الشنقيطي (ت١٣٣١هـ) في الوسيط [١] : «ومن آثاره الحميدة : نجم سواطع الجمان، وشرحه (نجم الحيران)... ما ترك شاذّةً ولا فاذّةً في نظمه هذا وشرحه إلاّ جمعها، وهو في الأفعال، جمع ما في التسهيل، ولامية الأفعال.. وقد احتوى على أكثر ممّا في شرح بَحْرَقْ اليماني»[٢].

٦٧– أَحْمَيْتِيّ، أحمد بن الطالب محمود بن اعمر إدوعيشي (ت١٢٥٧هـ)، له [٣] :

أ- شرح الآجُرّومية.

ب – المواهب السَّنِية في شرح الألفية لابن مالك.

ج – شرح الفريدة في النحو للسيوطي [٤].

٦٨– الشيخ محمّد سيدينا بن أحمد محمود مَحَّمْ بن بابا الأبييري(ت١٢٥٠هـ)، له(٥) :

أ- شرح احمرار المختار بن بونا.

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٨٣.

٢- يقول الأستاذ عبد الحميد محقّق طرّة الحسن بن زين على لامية الأفعال عن هذا الشرح : «وهو شرح نفيس للغاية، عندي منه نسخة مخطوطة، تقع في ١٣٢ صفحة، في كلّ صفحة ٢٧ سطرا... نسخها المؤلّف بخطّ مغربي واضح، وفرغ من نسخها ضحوة يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان ١٢٣٨».

٣- تُرْجِم له في الحياة الثقافية، ص٣٧، والمنارة والرّباط، ص٥٤٥.

٤- ذُكِرت في حياة موريتانيا، ص٦٥، والمنارة والرباط، ص٥٤٥.

٥- المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص١٢٧، والمنارة والرباط، ص٦١٩.

ب – شرح ألفية ابن مالك.

٦٩– أحمد بن الشريف المختار بن محمد التشيتي (ت١٢٦١هـ) ، له [١] :

– شرح على الربّانِي. (هو نظم في النّحو لعبد الله بن الحاج حمى الله القلاّوي. ت١٢٠٩هـ).

٧٠– محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي(ت١٢٦٣هـ)، له [٢] :

أ– مختصر المواهب السَّنِيَة والمِنَح الرّبّانية في شرح الآجُرّومية[٣].

ب – نظم في التصريف[٤].

٧١– محمّدعبد الله بن عبد الله سيدي أحمد بن محمّد بن أبي كَفّ(ت١٢٦٩هـ)، له[٥]: منحة المالك إلى ألفية ابن مالك [٦].

٧٢– إِدْيَـيْجَه بن عبد الله الكِمليلِي(ت١٢٧٠هـ)، عالم، شاعر، له [٧] : سقاية الظمآن في أبنية الفعل.

٧٣– أحمد الصغير التشيتي(ت١٢٧٢هـ)، عالم، نظّامة، له [٨] : منظومة طويلة في النّحو.

٧٤– محمد بن الطُّلْبَة بن محمّد الأمين بن المختار اليعقوبي(ت١٢٧٢هـ)، لغوي، شاعر، عالم بارز، بيته من أبرز بيوت العلم والقضاء، له [٩] : تسهيل التسهيل لابن مالك (شرح على تسهيل ابن مالك).

١– حياة موريتانيا، ص٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٤١، وتاريخ النحو، ص٥٤٢.

٢– فهرس مخطوطات النّعمة وولاتة، بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص٢٥٤.

٣– يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكر بولاتة تحت رقمي٤٠٨،٤٠٧.

٤– يوجد بمكتبة الفقيه محمّد بن حَمَى اللهُ بتشيت.

٥– أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، منح الرّبّ الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تحقيق الدكتور الهادي المبروك الدّالي. ص١٠١، وفهرس مخطوطات النّعمة وولاتة، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص٢٨٤.

٦– يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكّر بولاتة، تحت رقم ٤٢٠.

٧– الوسيط، ص٣٦٨، والمنارة والرباط، ص٦١٦.

٨– حياة موريتانيا، ص٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٤٢.

٩– تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في المنارة والرباط، ص٥٢٦، ٦٢٢، والوسيط، ص٩٤، والشعر والشعراء في موريتانيا، ص٧٤.

٧٥- بُلاّ بن مَكْبَد بن أبي الفاضل البوحسني الشقروي (ت١٢٧٣هـ)، عالم مشهور، نحويّ كبير، أخذ عن المختار بن بونا الجكني (ت١٢٢٠/ ١٢٣٠ هـ)، كما كان أستاذا لعبد الودود بن عبد الله الحيبلي (ت١٢٦٨هـ). يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي: « كان بُلاّ هذا عالما مشهورا، ونحويّا كبيرا، وهو ممّن تخرّجوا على المختار بن بونا الجكني، وتخرّج عليه هو عبد الودود، النحويّ المشهور»[1].

ولم أجد له سوى بيت واحد، ذكره ابن الأمين[2]، قاله في قوم ضربوه. وهو :

لا يُــؤْلِمُ الضّرْبُ مِمَّنْ لا يُمَيِّـز لِلــزْ   زَّيْدُونَ يَدعـــونَ والهنداتُ يَدْعونَا.

يقصد أنّ واو (يدعون) الأولى لجماعة الذكور، وهو فاعل، ونونها علامة رفع الفعل، بينما واو (يدعون) الثانية حرف علّة، ولام الفعل، ونونها للنسوة، وهي فاعل. ممّا يعني أنّه كان من النحويّين المدرّسين.

٧٦ - أحمد بن محمّذن بن البخاري اللّمتوني(ت١٢٧٥هـ)، له [3] : ألفية في النّحو مع شرحها.

٧٧- أحمد بن المعمّر التندغي(ت١٢٧٥هـ)، له من التآليف النحوية [4] :

أ- ألفية في النّحو.

ب - نظم الصّفة المُشبَّهة.

ج - أنظام نحوية.

٧٨- سيدي أحمـــد بن محمد بن أحمد، المكنّى أباكفّ المحجوبي الولاتي (١٢٧٥هـ)، له من التآليف [5] :

أ- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك [6].

ب - تبيين المقاصد على تسهيل الفوائد .

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٣٣٩.

٢ - المصدر والصفحة نفسهما.

٣- المنارة والرباط، ص٦١٦، والألفية وتأثيرها، ص١٨.

٤- حياة موريتانيا، ص٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٤٥.

٥- منح الربّ الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور، ص١٢٩، والمجموعة الكبرى، ص١٧٤.

٦- يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكر بولاتة تحت رقم ٤٢٢.

جـ نظم في التصريف[1]. يظهر مِن كلام محقّق منح الربّ الغفور أنّه نظْم قيّم، حيث يقول : «ومنظومته في التصريف التي بلغت في الحسن مبلغا.. والذي نفسي بيده لولا خشية الوقوع في الكذب لأقسمت بأن لا جامعة لعلم التصريف مثلها»[2].

هكذا عبارته!! فهي حقيقة عبارة غير مستقيمة المعنى، إذ لو حلف على ذلك لكان كاذباً، فوقع في ذمّ التأليف من حيث يريد مدحه.

٧٩- مريم بنت الأمين الحسنية (ت١٢٧٦هـ)، لها [3] : شرح الكافية لابن مالك.

٨٠- زين بن الأمين اليدالي(ت١٢٨٠هـ)، له[4] : الطّرّة الحمراء على جامع ابن بونا.

٨١- كَبْد بن سيدي محمّد الجملي(ت١٢٨٠هـ)، له [5] : نخبة الإعراب.

لم أقف على من ذكر له هذا التأليف سوى المختار بن حامدن، وهيومسكي كما في الحاشية. وأغلب المصادر الشنقيطية تنسب هذا العنوان لابنه محمّد المختار بن كَبْد الجَمْلي(ت١٢٨٥هـ)، حسبما هو مبيّن عند ترجمته الآتية قريباً. وبما أنّ التأليف مفقود إلى حدّ الآن فليس بالإمكان الجزم، هل لكلّ منهما تأليف بهذا العنوان، أو هو تأليف واحد لأحدهما، ونُسب للآخر وَهْماً؟.

٨٢- مَحَنْضْ بن محمّد(مَيْنِينْ) بن الأمين الديماني(ت١٢٨٠هـ)[6]. له : (إكْسِير التيسير)، وهو عبارة عن طُرّة على نظم الجموع ل(مَحَنْضْ بابا بن اعْبَيْدْ الديماني (ت١٢٨٧هـ)[7].

٨٣- الشيخ محمّد الملقّب «بايْ» بن الشيخ سيدي اعْمَر الكُنتِي(ت١٢٨١هـ)، له [8] :

١- يوجد بمكتبة أهل الطالب بوبكر بولاتة تحت رقم ٤٢٤.

٢- الدكتور الهادي الدّالي، ص١٦٦، حاشية ١. تراجع ترجمته في المصدر والصفحة نفسها.

٣- تُرْجِم لها، وذُكِر هذا الشرح في المنارة والرباط، ص٦٢٤، والألفية وتأثيرها، ص٤٢.

٤- المنارة والرباط، ص٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٥- المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص١٦٦.

٦- المنارة والرباط، ص٦٢٤، والألفية وتأثيرها، ص١٨.

٧- توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٨٦٢، ٢٣١١، ٢٧١٨.

٨- محمّد سالم بن أحمد، الشِّرْكة والقِراض والكِراء والإجارة والجُعْل من نوازل الشيخ بايْ الكُنتي، بحث لنيل الإجازة من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٨ - ١٩٩٩م. ص٤، فما بعدها، وحياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥، والمنارة والرباط، ص٥٧٦.

أ- شرح الآجُرّومية.

ب - شرح الجامع لابن بونا.

ج - وقاية المتكلّم من اللّحْن[1].

٨٤- الشيخ محمد المامي المباركي اليعقوبي(ت١٢٨٢هـ)، عالم كبير، شاعر، له [2]:

أ- الأجمّ (نحو، بيان، أصول، منطق).

ب - الأقرن(نحو، بيان، أصول، منطق). ربّما يكونان عنوانين لتأليف واحد.

ج - نظم الحروف النحوية والكلمات المبنية مع طرّة عليه[3].

د - نظم المشهور من الأفعال بالضمّ والكسر[4].

هـ- منظومة الياقوت (لغة وتصريف).

و - الزُّبْدة في معاني الحروف.

ز - تكيمل الزُّبْدة في معاني الحروف.

ح - نظْم في النحو[5].

٨٥- محمّد عثمان بن محمّدبن المختاربن أغْشمْمت الأحمدي المدلشي(ت١٢٨٥هـ[6]).

له : نظم إعراب : (لا إلهَ إلّا الله) [7].

٨٦- محمّد المختار بن كَبْد الجَمْلي(ت١٢٨٥هـ)، له [8] :

أ- شرح لامية الأفعال.

ب - نخبة الإعراب.

١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١١٤٢.

٢- حياة موريتانيا، ص٦٨، والمنارة والرباط، ص٥٧٤، وتاريخ النّحو، ص٥٤١، والألفية وتأثيرها، ص١٩.

٣- يوجد مخطوطا بمكتبة أهل محمّد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٢٩٦.

٤- توجد منه نسختان بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠١٥، ٢٠١٠.

٥- توجد منه نسختان بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٢٧٦، ١٣٧٣.

٦- الوسيط، ص٣٥٨، والمنارة والرباط، ص٥٩٣.

٧- توجد منه نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٠٨، ١٧٨٠، ٢٣٨٣.

٨-المنارة والرباط، ص٥٩٩، والمؤلّفون ومؤلّفاتهم، ص٢١٨.

٨٧ - مَحَنْضْ بابا بن اعْبَيْدْ الديماني(ت١٢٨٧هـ)، عالم جليل وقاضٍ، وشيخ محظرة كبيرة دامت ستّين ٦٠ سنة. له[1] :

أ- طُرّة على الألفية.

ب - مِنْـيَـة المتـمنّي في نظم قواعد المُغني (نظْـمٌ للقواعد الإحدى عشرة، التي ذيّل بها ابن هشام كتابه مغني اللّبيب. يقع في نحو مائتي بيت، وله تعليق عليه[2].

ج - سقاية الظمآن في أبنية الأفعال ومعانيها. يقع في نحو تسعين بيتا، وله تعليق عليه.

د - نظم إعراب الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب[3].

هـ - نظم في محفوظات جموع التكسير: يقع في نحو مائة بيت. للشيخ محمد سالم بن ألُـمّا(ت١٣٨٣هـ) شرح عليه. ولِمَحَنْضْ بن مَيْنِينْ الديماني (ت١٢٨٠هـ) طُرّة عليه، سمّاها : (إكسير التيسير)، كما مرّ بنا [4].

٨٨- إجْدُودْ (عبد الوهّاب) بن اكْتَوَشْنِي بن السيّد العلوي(ت١٢٨٩هـ)، نحوي، شاعر، فقيه، له [5]:

أ- نظم أدوات النّحو.

ب - الحلقيّ من الأفعال.

ج - جامع المعاني (منظومة في التصريف مع شرحها) [6].

٨٩ - محمد امبارك بن حبيب الله بن الأمين اللّمتوني(ت١٢٩٣هـ)، عالم كبير، مؤلّف، له [7] : شرح ألفية ابن مالك.

١- حياة موريتانيا الثّقافية، ص٦٤، والوسيط، ص٢٣٦، والمنارة والرباط، ص٦٠٧.

٢- مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٩٢٩ . وقد حقّقه الدكتور محمّذن بن أحمد بن المحبوب في رسالة تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة سنة(١٩٨٥/ ١٩٨٦م).

٣- يقع في نحو مائة بيت. يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط/ بوحديدة تحت رقم ٣٠٦.

٤- توجد منها نُسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٨٦٢، ٢٣١١، ٢٧١٨.

٥- الوسيط، ص٨١، والمنارة والرباط، ص٥٣٨.

٦- يوجد بمركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٥٣٥٩.

٧- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في الألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص٢٣٩.

٩٠- محمد محمود بن عبد الفتّاح الأبييري(ت١٢٩٧هـ)، له من التآليف النحوية [١] :

أ- نزهة الطّلاّب في حلّ تراكيب ملحة الإعراب للحريري في النّحو.

ب - الغيث الهتون على طرّة ابن بون (شرح جامع ابن بونا)[٢].

ج - نظْم سلّم الإعراب لمبتغي الرّقيّ إلى الصواب[٣].

د - فتح الوهّاب على سلّم الإعراب[٤].

هـ - النّضال الميمون على لام (إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). ذلك من قوله تعالى : (وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ..٥٦، والذّاريّات) [٥].

و- طرّة على سواطع الجُمان في التصريف(منظومة في تصريف الأفعال لسيدي محمد بن سيدي عبدالله العلوي ت١٢٥٠هـ).

ز- سواطع الجُمان في ذكْر المعاني والأوزان (نظْم في التصريف).

ح - أكاسير التيسير لمحفوظات جمْع التكسير(شرح لنظْم مَحَنْضْ بابا بن اعْبَيْدْ الديْماني (ت١٢٨٧هـ) لمحفوظات جموع التكسير)[٦].

٩١- الشّيخ محمّد محفوظ بن الشّيخ أحمد تاج العارفين. له [٧] : شرح ألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا.

٩٢- السالك بن البشير بن عُمار العلوي (ت ق١٣هـ)، له [٨] : شرح على احمرار ابن بونا. في بعض نُسَخه زيادة (ثلاثين ٣٠ بيتا) في جمع التكسير لا توجد في غيرها [٩].

١- المنارة والرباط، ص٥٩٧، ٦٢٣، والألفية وتأثيرها، ص١٩، ٤٥.

٢- يوجد بمكتبة هارون بن الشيخ سيديا/ بوتلميت.

٣- يوجد مخطوطا بمكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٢٩٠.

٤- يوجد بمكتبة هارون بن الشيخ سيديا / بوتلميت.

٥- يوجد بمكتبة هارون بن الشيخ سيديا/ بوتلميت.

٦- التأليفان الأخيران تفرّد بذكرهما حسب ما اطّلعت عليه عبد الرحمن بن يوسف في تحقيقه (إيضاح الأنقال اختصار ترجمان المقال على منح الفعال) لمحمّد محمود بن عبد الفتّاح الأبـيـيـريّ، ص١١.

٧- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٧٦، وتاريخ النحو، ص٥٤٠. ولم أقف على تاريخ وفاة هذا الشّارح.

٨- المنارة والرباط، ص٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٩- المجموعة الكبرى، ج٢، ص٩٤.

٩٣- محمّد عبد الله بن انْـبُويَ بن الإمام المحجوبي(ت ق ١٣ هـ[١]). له : شرح الأجزل المنقضّ[٢].

٩٤- الغلام بن حَبَت القلاّوي (ت آخرالقرن ١٣ هـ) ، له [٣] : منظومة في تصريف الأفعال.

٩٥- العَمّ بن أحمدُّو فال بن أحمد بن عَمّ، الملقّب لِعْمَيْمْ، العلوي (ت ق١٣هـ)، له [٤] : احمرار مع شرح على (لامية الأفعال) [٥].

٩٦- اعْلِ بن جُدّو الجمّاني(ت ق ١٣ هـ)، له[٦] : مقدّمة الإعراب في النّحو.

٩٧- عثمان بن الطالب الأمين البوفايدي (ت ق١٣هـ) له [٧] : شرح الألفية.

٩٨ - الإمام بن سيدي المُتّقِي بن إمام الهُدى(ت ق١٣هـ) ، له [٨] : شرح الألفية.

٩٩- الشيخ محمّـدّو بن حنبل الحسني (١٣٠٢هـ)، له [٩] : نظم المعرب في النّحو.

١٠٠- محمّد بن محمّد سالم بن محمّد سعيد المجلسي (ت١٣٠٢هـ)[١٠]. له : (الرّيّان في تفسير القرآن). اهتمّ فيه بالإعراب. سيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني من الباب الثالث.

١٠١- محمّذن بن سيدي أحمد المالكي التندغي (ت١٣٠٤هـ)، شاعر، [١١] ، له : منظومة في التصريف، منها :

إذا أتـــــــــاك مَفْعَل مِن نصَــرا   سيـــــــان كان موضـعا أو مصـدرا

١- فهرس مخطوطات النعمة وولاتة، ص٧٧، ٢٤١، ٣١٤، والمنارة والرباط، ص٥٩١.

٢- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١١٣٣.

٣- المنارة والرباط، ص٦٢٠، والألفية وتأثيرها، ص١٩.

٤- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٨٨٠.

٥- المنارة والرباط، ص٥٨٤، وحياة موريتانيا، ص٦٨.

٦- المؤلّفون ومؤلّفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص٣٢.

٧- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في المنارة والرباط، ص٦٢٠، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٨- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٦١٦.

٩- المنارة والرباط، ص٥٧١، ٥٧٢، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

١٠- المنارة والرباط، ص٥٩٥، التفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط، ص٣٠٧، والحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص٩٩.

١١- المنارة والرباط، ص٦٠٦، ومعجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم في ولاية اترارزة، ص١٥٢.

ففتْـــــــــــحُ عينِه مقيسٌ مُنجَل   من غير تفصيـــــل كمثـل المَدْخَل
وقـلَّ كسرُ العينِ للأســـــــــماء   وجـــاء للـفرْق بـلا امــــتراء .

١٠٢- المختار بن أُلُـماّ اليدالي(ت١٣٠٨هـ)، نحوي كبير، شيخ محظرة [١]، له : مصباح الظّلام في شرح الكلمة والكلِم والكلام[٢].

١٠٣- المختار بن بَيْدَحْ الديماني (ت١٣٠٩هـ). له [٣] : منظومة في وزن الفعل المزيد.

١٠٤- بابا بن محمّذن بن أحمدي الحاجي(ت١٣١٥هـ)، له[٤] : مقدّمة في مبائ النّحو.

١٠٥- بابا بن محمّذن بن حَمْدِي الحاجي(ت١٣١٥هـ)، له [٥] :

أ- فتح المالك شرح ألفية ابن مالك.

ب - شرح (لامية الأفعال)[٦].

١٠٦- عبد الودود بن حَمية الأبييري (ت١٣١٦هـ)، له [٧] : شرح على (لامية الأفعال) (مقدّمة المقال في لامية الأفعال) [٨]. وقد ذكر له المختار بن حامدن [٩] شرحين للامية الأفعال.

١٠٧- أحمد بن محمّد ابّاتْ بن الطّالب أحمد جدُّو بن الطّالب عبد الله النّزاري (ت١٣١٨هـ) ، له [١٠] :

١- الوسيط، ص٢٣٩.

٢- يوجد بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٤٩٨.

٣- الألفية وتأثيرها، ص١٩، والمنارة والرباط، ص٦٠٩.

٤- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والمنارة والرباط، ص٥٤٨، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٥- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والمنارة والرباط، ص٥٤٨، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٦- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم٦٢٢.

٧- محمّد صفيّ الله بن محمّد محفوظ، المنهج التفسيري عند الشناقطة ــ عبد الودود بن حمية نموذجاً. رسالة تخرُّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. ٢٠١٠هـ٢٠١١م.ص٤٧ ـ٦١، والتفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط، ص٤٢٨، فما بعدها.

٨- يوجد على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٠٢٠.

٩- المؤلّفون ومؤلّفاتهم في موريتانيا، ص١٦٣.

١٠- تحقيق المختار بن السّيـدِي (نُقْلة في عدم اعتبار الشّرط في النّكاح) لأحمد بن ابّاتْ، لنيل الإجازة من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية١٩٩١/ ١٩٩٢م. ص٣، وما بعدها، والمنارة والرباط، ص٥٣٨، وتاريخ النحو، ص٥٤٠. والمؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص٨،٩.

أ- نظم أدوات النّحو .

ب - نظْم في الحلقيّ من الأفعال[1].

١٠٨-الحارث بن محنض الشقروي(ت١٣١٩هـ)، له [2] : اختصار المواهب لابن حبت القلاّوي(ت١٢٨٨هـ).

١٠٩-محمد الأمين بن الربّاني بن محمد المختار القلاّوي (ت١٣٢٠هـ)، له [3] : نثر الدرّ اللّطيف في مُهِمّات النّحو والتصريف.

١١٠-أحمد بن زياد الديماني (ت١٣٢٢هـ)، له [4] : حاشية على جامع ابن بونا.

١١١-أحمد سالم بن سيدي محمد الأبهمي(١٣٢٢هـ)، له [5] : تعليق على أجزاء من جامع ابن بونا.

١١٢- عبد الرحمن بن الشيخ بن متالي التندغي (ت١٣٢٢هـ)، له [6] : الزرقاء : شرح تبصرة ابن بونا واحمراره.

١١٣- ابن كنان الكنتي (ت١٣٢٣هـ)، له[7] :

أ- فتح العزيز على نظم الوجيز.

ب - شرح منظومة ابن أبّه للآجُرّومية.

١١٤-محمد بن أحمد الصغير بن امبوجة التشيتي (١٣٢٣هـ[8])، عالم، نظّامة، له :

أ- تعليق على الآجُرّومية.

ب - المصباح في العربية.

١- يوجد بمكتبة أسرة المؤلّف بالرشيد/ تكانتْ.

٢- المنارة والرباط، ص٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٣- المنارة والرباط، ص٥٨٧، والألفية وتأثيرها، ص١٩.

٤- الألفية وتأثيرها، ص٤٥، والمنارة والرباط، ص٦١٥.

٥- المنارة والرباط، ص٦١٥، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٦- المنارة والرباط، ص٥٨٢، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص١٤٦.

٧- مخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٢٧٢٥.

٨- تُرْجِم له وذُكِر هذا الشّرح في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٥، والمنارة والرّباط، ص ٥٨٤.

ج - نظم أدوات مغني اللّبيب وشرحه[1].

١١٥- الشّيخ محمّدّو بن أحمذيه الحسني (ت١٣٢٣هـ) ، له[2] : طُرّة على الألفية.

١١٦- عبد الله بن محمّد بن حبّلّ التمكلاوي (ت١٣٢٦هـ) ، له [3] :

- نظْم مغني اللّبيب . يقول الدكتور محمّذن ولد أحمد المحبوب [4] : « الذي نظم المغني نظما رائعا».

١١٧- أحمد بن أمينو بن الفرّاء بن المازري التندغي (ت١٣٢٧هـ)، له [5] :

أ- شرح ألفية ابن مالك.

ب - نظم الصفة الشبّهة.

ج - أنظام في النّحو.

١١٧- محمد العاقب بن مايابى الجكني(ت١٣٢٧هـ)، عالم جليل، إخوته علماء كلّهم، هاجر في فترة الاحتلال الفرنسي للبلاد واستقرّ بالمغرب بعد أدائه فريضة الحج، وتُوُفِّي بفاس. له [6] : منظومة في إعراب الجمل مع شرحها.

١١٨- عبد الله بن إرَبِّيهْ الديماني (ت١٣٢٨هـ)، له [7] :

أ- تحفة الأطفال في تصريف الأفعال.

ب - منظومة في النّحو (المعين للطلاّب في نوعي التمييز والإعراب)[8].

١١٩- أحمدّو بن المختار بن الأمين المالكي التندغي (ت١٣٢٨هـ). له [9] : شرح على

١- ذُكِر في الألفية وتأثيرها، ص٤٣.

٢- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٥٦٩.

٣- النحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصّص، ص١١٠.

٤- المصدر والصفحة نفسهما.

٥- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٥٣٩.

٦- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في المنارة والرباط، ص٥٧٣، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

٧- المنارة والرباط، ص٥٨٠، وتاريخ النحو، ص٥٤٢، والألفية وتأثيره، ص١٩.

٨- يوجد على(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٣٨.

٩- المؤلّفون ومؤلّفاتهم في موريتانيا، ص٢٩.

ألفية السيوطي، سمّاه (مفتاح مقفل المعاني). يقول في مقدّمته : «لمّا تفضّل الله بما تفضّل به عليّ طالعت الأرجوزة، ووقفت على بابها، فإذا هي معطَّلَة الجيد بين أترابها ، بحسب ما هي عليه من فخر مبانيها ، وتهذيب معانيها، أردت أن أضع عليها شرحا وجيزا تزهو به على كلّ عزيز..».

١٢٠-الشيخ أحمد بن اتفاغة التاكنيتي(ت١٣٣٠هـ)، له[١] : رسالة في التصريف.

١٢١- محمّد فال (بَبَّها) بن محمّذن بن أحمد العاقل الديماني(ت ١٣٣٤هـ)، له [٢] :

أ- تحفة الأطفال في توكيد الأفعال بالنون.

ب - (دُمية المحراب في المهمّ من التصريف والإعراب). هو تأليف في إعراب القرآن وتصريفه، في مجلّد كبير مخطوط، يتألّف من جزأين، الأوّل في الإعراب، والثاني في التصريف[٣]. سيأتي الحديث عنه في الفصل االثاني من الباب الثالث.

ج - مختصر في النّحو.

د - العديد من الأنظام النّحوية.

١٢٢- محمّد بن أتفغَ عبد الله بن محمّذن بن ألفَ الديماني(ت١٣٣٥هـ)، له [٤] :

أ- إبراز الدّفين على باب (سنين[٥]). هو شرح لنظم شيخه محمّد سالم بن ألُمّا (ت١٣٨٣هـ) لباب (سنين) من ألفية ابن مالك. هكذا ورد في بعض المصادر[٦]، مع لفت الانتباه إلى بقاء الشيخ حيّا بعد تلميذه بما يقرب من نصف قرن.

ب - كشف الحجاب عن طرّة الإعراب[٧].

ج - أنظام في النّحو.

١- كتاب ابن حامدن واتشومسكي في المؤلّفين الموريتانيّين ومؤلّفاتهم، ص٨٣.

٢- المنارة والرباط، ص٥٩٣، وحياة موريتانيا، ص٦٩، وتاريخ النحو، ص٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص١٩.

٣-على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٧٣، وأخرى بمخطوطات المعهد نفسه تحت رقم ٢٥٥٠.

٤- المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٧٢.

٥- يوجد مخطوطا بمكتبة أهل محمّد سالم بن المحبوب بانواكشوط، تحت رقم ٣٠٠.

٦- المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٧٢.

٧- يوجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط، تحت رقم ٢٩٧.

١٢٣- محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني (ت١٣٣٥هـ)، له [١] : شرح الاحمرار لابن بونا.

١٢٤- محمّد الأمين بن أبي المعالي اليعقوبي (ت١٣٣٦هـ)، شاعر، فقيه، له[٢] :

أ- نظْم ل(رَوْض الحَرون من طرّة ابن بون). لعبد الودود بن عبد اللّٰه الحيبلي (ت١٢٦٨هـ)[٣].

ب - أنظام في النّحو والصرف[٤].

ج - نظْم الفعل الثلاثي.

١٢٥- الشيخ حبيب الله بن حُرْمة التاكنيتي (ت١٣٣٧هـ)، له [٥] :

أ- حاشية على ألفية ابن مالك.

ب - رسالة في التصريف.

١٢٦- الشيخ النّعمة بن الشيخ ماء العينين (ت١٣٣٩هـ)، له [٦] :

أ- تعليق على ألفية ابن مالك.

ب - نور الغسق في الاسم هل هو مرتجل أو مشتقّ.

١٢٧- عبد الله العتيق بن محمّد بن ذي الخلال بن حبيب الله اليعقوبي (ت١٣٣٩هـ)، له [٧] :

- شرح على المقصور والممدود لابن مالك، سمّاه : (تيسير الورود إلى تحفة المودود لابن مالك) [٨].

١- المنارة والرباط، ص٥٨٦، والألفية وتأثيرها، ص٤٥، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٢- المجموعة الكبرى، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٩.

٣- يوجد بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١١٨.

٤- مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١١٩.

٥- المنارة والرباط، ص٥٦٠، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٦- المنارة والرباط، ص٦١٩، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٧- حياته في مقدّمة تحقيق كتابه (تيسير الورود إلى تحفة المودود لابن مالك)، إعداد محمّد معمّر بن محمّد عبد الرحمن، لنيل شهادة المتريز من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية ٩٦/ ١٩٩٧م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم٩٧. ص٤، فما بعدها.

٨- المصدر السابق. والنصّ المحقّق هنا ستّة وسبعون بيتا فقط. ويوجد مخطوطاً في المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٥٢٨.

١٢٨- الشريف بن سيدي أحمد بن الصّبّار المجلسي(ت١٣٤٠هـ)، له [١] :

أ- طُرَّة على لامية الأفعال لابن مالك.

ب - قصيدة في المشهور بالضّمّ أو الكسر من مضارع فعَل مفتوح العين.

١٢٩- امْحَمّد بن أحمد يُـورَه الديماني(ت١٣٤٠هـ)، الفقيه، الشاعر، المؤرّخ، له[٢]: منظومة في الإبدال[٣].

١٣٠- محمّد عبد الله بن دحّود المجلسي(ت١٣٤٤هـ)، له [٤] : أنظام في النّحو.

١٣١- سيديا بن بابا الأبييري (ت١٣٤٥هـ)، له [٥] :

أ- تأليف في أسماء الأفعال.

ب - حاشية على طرّة الحسن بن زين على لامية الأفعال.

١٣٢- محمّذن فال بن أحمدّ فال التندغي(١٣٤٥هـ)، له [٦] : منظومة في النّحو والتّصريف.

١٣٣- محمد الخضر بن حبيب الله التشمشي اليعقوبي(١٣٤٦هـ)، له [٧] : الفرد في الأدوات النحوية.

١٣٤- محمّد بن الصّفيّ بن أحمدّو بن محمّد بن حبيب بن محمد التندغي (١٣٤٧هـ)، له [٨]: شرح على جامع ابن بونا.

١٣٥- أحمد بن محمّد الحاجي(ت١٣٥١هـ)، له [٩]:

١- حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٥٨.

٢- الشعر والشعراء في موريتانيا، ص٧٤، ومكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرة الموريتانية، ص٢٣٨، وأنظام الطُّرّة في الفوائد النّحوية، ص٢٩٠.

٣- توجد بمخطوطات مكتبة أهل محمد سالم بن المحبوب بانواكشوط تحت رقم ٣١٢.

٤- أنظام الطُّرّة في الفوائد النّوية، ص٢٨٦.

٥- المؤلّفون ومؤلّفاتهم في موريتانيا، ص٦٦.

٦- المنارة والرباط، ص٦٠٦، والألفية وتأثيرها، ص١٩، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

٧- المؤلّفون ومؤلّفاتهم في موريتانيا، ص١٨٦.

٨- المنارة والرباط، ص٦٢١، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٩- حياة موريتانيا، ص٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٤٣، وتاريخ النحو، ص٥٤١، والألفية وتأثيرها، ص١٩.

أ- منظومة عون الطالبين في النّحو[1].

ب - المفيد في النّحو، أو التمييز في النّحو(منظومة)[2].

١٣٦- محمد المختار بن محمد يحيى الولاتي(ت١٣٥٢هـ)، له [3]: نظم الآجُرّومية.

١٣٧- أحمدين بن محمّد الكمليلي(ت١٣٥٣هـ)، له [4]: رسالة في التصريف.

١٣٨- الشيخ محمّد أحمد بن الربّاني التندغي(ت١٣٥٣هـ)، شاعر، نظّامة، له [5]: نظْم في طبقات النّحويّين.

١٣٩- البشير بن عبد الله بن امباركِي اليدمسيّ (ت١٣٥٤هـ)، له [6]:

أ- تعليق على الألفية. وقد اطّلعت عليه، فوجدته تعليقا خفيفا، تعليميّا، معدّاً للطلاّب، وإلقاء الدروس.

ب - تعليق على لامية الأفعال.

ج - شرح المقصور والممدود لابن مالك.

د - كشْف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار. وهو تأليف قيّم، تحدّث فيه المؤلّف عن الحذف النّحويّ في الذكر الحكيم، ذاكراً في مقدّمته أسباب تأليفه إيّاه، وعملَه فيه[7]. سيأتي حديث عنه مفصّل في الفصل الثاني، من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

١- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢١١٥، ٣٥٥٣.

٢- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٨٧٥. ولمحمّد اغْرَيْبيـظْ بن المختار الحاجي(ت ق ١٤هـ) تعليق عليه.

٣- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في المنارة والرّباط، ص٥٩٩.

٤- المنارة والرباط، ص٥٤٥، وحياة موريتانيا، ص٦٨، وتاريخ النحو، ص٥٤٢.

٥- المنارة والرباط، ص٥٦٩، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

٦- القسم الدراسي من تحقيق كتابه (كشف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار)، للأستاذ أحمد بن محمّد فال بن إدودو، في رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم درمان بالسودان سنة ١٤٢٩هـ٢٠٠٩م. ص٩٨، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص٧٣، وحياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٥١٦، ٥٥٠.

٧- الجزء المحقّق من كشف الأستار، ص١٣٠.

١٤٠- المرواني بن أحمادو الداودي الجعفري(ت١٣٦٨هـ)، له [١]: شرح لامية الأفعال لابن مالك.

١٤١- أبوبكر بن أحمدّو بابا بن عبد الله التّندغي(ت١٣٥٨هـ)، له [٢]: احمرار، مع شرحه على لامية الأفعال لابن مالك.

١٤٢- زين بن محمّذن بن اجّمد بن إدومو اليدالي (ت ـ١٣٥٨هـ) : نظّامة، فقيه، له من المؤلّفات [٣] :

أ- شرح على ألفية ابن مالك.

ب - نظم (إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعرب والقراءات في القرآن)[٤] لأبي البقاء العكبري(ت٦١٦هـ). سيأتي حديث عنه مفصّل في الفصل الثاني من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

١٤٣- أحمد بن اجّمد اليدالي(ت١٣٥٨هـ)، له [٥] :

أ- مجموعة أنظام، ضَبطَ فيها كثيرا من مسائل النّحو والتصريف [٦].

ب - منظومة في التصريف وزنا ومعنى [٧].

- له في عين مضارع (هبّ) :

كسـرُ يَهِـبّ السـيفُ يَـهْتزّ ألمْ والعـينُ في النومِ وفي الريحِ تُضَـم

١- تُرْجِم له، وذُكِر هذا الشرح في حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٦١٣.

٢- حياة موريتانيا، ص٦٨، والمنارة والرباط، ص٥٣٨.

٣- حياة موريتانيا، ص٤٣، والمنارة والرباط، ص٥٥٣، وتحقيق خطري بن حامد ل(نَظْم زين العابدين بن اجّمد لكتاب مُفْهِمات الأقران في مُبهَمات القرآن لجلال الدين السيوطي)، في رسالة تخرُّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٥/ ١٩٩٦م. ص١، فما بعدها.

٤- الآن يشتغل على تحقيقه ثلاثة باحثين موريتانيين، مُوزّعينه بينهم، للحصول به على درجة الدكتوراه من جامعة مولاي إسماعيل بمكناس / المغرب.

٥- المنارة والرباط، ص٥٣٩، والألفية وتأثيرها، ص١٨، وأنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٧٥.

٦- مجموعة نظمية وشعرية، لعلماء وشعراء شناقطة. مودَعة بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم١٠٩. ص١٨.

٧- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٨٧.

١٤٤– الشّبيه بن ابّوه اليعقوبي الموسوي(ت١٣٥٩هـ)، له[١]: شرح (نظْم الآجُرّومية): (عُبَيْد ربّه).

١٤٥–الشيخ سداتي بن الشيخ ماء العينين(ت١٣٦٠هـ)، له[٢]:

ـ (معين الإخوان شرح سقاية الظمآن في تصريف الأفعال). لمولود اليعقوبي .

١٤٦– الشيخ محمد العربي بن زين الجمّاني(ت١٣٦٠هـ)، له[٣]: شرح الجامع لابن بونا : (كشف الأستار على ألفية ابن مالك والاحمرار).

١٤٧– سيدي محمد (الراجل) بن الدّاه بن دادّاه الأبييري(ت١٣٦٠هـ) ، له[٤]: طُرَّة على ألفية ابن مالك.

١٤٨– محمد عالي بن أحمذو بن زياد الديماني(١٣٦١هـ)، له[٥]: نظْم فيما جاء من كلام العرب على (فعلَ وأفْعَلَ) متساويين في المعنى والتعدية.

١٤٩– الشيخ محمّد سيدينا بن أحمد محمود الأبييري(ت١٣٦١هـ)، له[٦]: شرح ألفية ابن مالك.

١٥٠– بارِكَ اللّه سِن محمّذن بن مَحَنْضْ بابا بن اعْبَيْدْ الديماني (ت١٣٦٢هـ)، له [٧]: تقييدات في النّحو، منها زيادة على مقدّمة ابن بونا.

١٥١– عبد الرزّاق بن سيدي محمد الديماني(١٣٦٢هـ)، له [٨]: حاشية على طُرّة ابن بونا.

١– المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص٧٦.

٢– المنارة والرباط، ص٥٦٢، وتاريخ النحو، ص٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص١٨.

٣– المنارة والرباط، ص٦١٩، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٤– تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٠٥، ١٠٦، والمنارة والرباط، ص٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٥– المجموعة الكبرى، ج٢، ص٢١٨.

٦– تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٦١٩.

٧– المنارة والرباط، ص٥٤٨، والألفية وتأثيرها، ص١٩، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص٧٠.

٨– المنارة والرباط، ص٦٢٠، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

١٥٢- عبد الودود بن الحضرمي المجلسي (ت١٣٦٢هـ)، له[١]: منظومة في تصريف الأفعال.

١٥٣- محمد بن الغزالي الشقروي الحسني (١٣٦٢هـ)، له [٢]: (عَـقْـل الشواهد على شرح الشواهد من الحديث). وسبق في مستهلّ هذا المبحث ذكر تأليف آخر من هذا اللّون بعنوان: (إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النّحو من الأخبار والآثار) لمحمد مولود اليعقوبي (ت١٣٢٣هـ).

١٥٤- أحمدّو بن المحمود بن نافع اليعقوبي (ت١٣٦٣هـ)، له[٣]: شرح نظْم الآجُرّومية: (عُبَيْد ربّه).

١٥٥- الشيخ سيديا بن الشيخ أحمد بن اسليمان الديماني، الملقّب (ديديا) (ت١٣٦٣هـ)، الذي يقول الخليل النّحوي عنه: «هاجر إلى السّوس، وهو من رجالات العلوم، فإنّه علاّمة جليل، مُحَصِّل، أديب، مُشارك في المنقول والمعقول، وله مساجلات مع علماء وأدباء السّوس»[٤].

له: تعليق على ألفية ابن مالك[٥].

١٥٦- الشيخ محمد حبيب الله بن ما يابى الجكني (ت١٣٦٤هـ بالقاهرة)، عالم جليل، له من التآليف النّحوية [٦]:

أ- شرح (عُبَيْد ربّه).

ب - شرح الكافية لابن مالك[٧].

ج - حاشية على البهجة المرضية في النّحو.

د - شرح سواطع الجُمان في التصريف لسيدي محمد بن سيدي عبد الله العلوي (١٢٥٠هـ).

١- المنارة والرباط، ص٥٨٣.

٢- حياة موريتانيا، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٩٣، وتاريخ النحو، ص٥٤٢.

٣- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في فهارس مخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، ج٣، تحت رقم ٤١٧٠.

٤- المنارة والرّباط، ص٢٨٢.

٥- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التعليق في حياة موريتانيا، ص٦٤، والألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرّباط، ص٥٦٣.

٦- حياة موريتانيا،، والمنارة والرباط، ص ٥٧٠.

٧- ذُكِر في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٦، والألفية وتأثيرها، ص٤٢، والمنارة والرباط، ص٥٧٠، ٥٧١.

هـ- شرح على (التُّحفة الوَردية في مشكلات الإعراب[1]) لزين الدين عمر بن الوَردي (ت٧٤٩هـ، في حلب).

و - شرح الفريدة للسيوطي [2].

١٥٧- سيدي بن خليل السّمسْدِي (ت١٣٦٥هـ)، له [3]:

أ- رسالة في الإعراب.

ب - نظم النكرة والمعرفة.

١٥٨- محمد محمود بن أحمدّو الواثق التندغي(١٣٦٨هـ) : نحوي، فقيه، شيخ محظرة، له [4]:

أ- تعليق على ألفية ابن مالك .

ب - نظم في مشاهير أوزان الفعل الثلاثي.

١٥٩ـ محمّدّو بن عبد الله الجكني، القناني وطناً(١٣٦٩هـ)، له [5]:

أ- حاشية على الجامع لابن بونا.

ب - احمرار وتعليق على لامية الأفعال لابن مالك .

١٦٠- عبد القادر (قارِّي) بن عبد الله بن محمّد بن محمّد سالم المجلسي (ت١٣٧٠هـ)، له [6]:

- شرح الجامع البوني وألفية ابن مالك، سمّاه (قُرّة العيْنيْن على شرح النّظْمَيْن).

١٦١- أحمد فال بن محمد بن سيدي أحمد الجكني(ت بمكّة ١٣٧١هـ)، له [7]: منظومة في التصريف.

١- ورد ذكر هذا الشرح في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٧١، وتاريخ النحو العربي، ص٥٤١.

٢- ورد ذكره في حياة موريتانيا، والمنارة والرباط، ص ٥٧٠.

٣- المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم في موريتانيا، ص٦٨، والمنارة والرباط، ص٥٥٦.

٤- حياة موريتانيا الثقافية، ص ٦٤، والمنارة والرباط، ص٥٩٦، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٥- حياة موريتانيا، ص٦٨، والمنارة والرباط، ص٥٩٢.

٦- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٤٧، ١٤٨.

٧- حياة موريتانيا، ص٦٨، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

١٦٢- محمد عبد الله بن البشير المالكي(ت١٣٧٥هـ)، له [١].

أ- شرح سلّم الطالبين في قواعد النحويين لابن بونا .

ب - مكتوب في الصفة المشبّهة باسم الفاعل.

١٦٣ـ ماء العينين بن العتيق بن محمد فاضل بن مامين (ت١٣٧٦هـ) ،[٢]، له : سُلّم الإعراب مع شرحه[٣].

١٦٤- محمد الأمجد بن محمد الأمين بن أبي المعالي اليعقوبي(ت١٣٧٦هـ)، له [٤]: مجموعة أنظام نحوية [٥].

١٦٥- محمّد مختار بن محمّد الأمين بن محمّد مختار بن أحمد بن حبيب الله اليعقوبي (ت١٣٧٧هـ)، له [٦] :

- شرح نظم الآجُرّومية (عُبَيْد ربّه).

١٦٦- عبد الرحمن بن حدّامة بن محمّذن بن عبّاس المالكي(ت١٣٧٧هـ)، له[٧] : شرح على ألفية ابن مالك.

١٦٧- أحمد محمود بن أحمدّو بن محمد (يدادّه) بن محمّذن الحسني(ت١٣٨٢هـ)، له[٨]: شرح نظم (عُـبَـيْـد ربّــه).

١٦٨- محمد عبد الصمد المالكي(ت١٣٨٢هـ)، له [٩]: شرح على ألفية ابن مالك.

١٦٩ـ البو بن عبدي بن الجيّد (ت١٣٨٣هـ)، له [١٠]: منظومة مشتهرات الضمّ، مع

١- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٧، والمنارة والرباط، ص٥٩١.

٢- المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٦٨.

٣- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٠٥٦.

٤- المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٧٨.

٥- مخطوطة ضمن مجموعة أنظام نحوية وشعرية، تحت رقم ١٠٩، بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.

٦- معجم المؤلّفين في القطر الشنقيطي، ص١٤١.

٧- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٦١٩.

٨- المنارة والرباط، ص٥٤٤، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص٥٩.

٩- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص٤٤، والمنارة والرباط، ص٦٢٢.

١٠- المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص٣٣.

شرحها. غير كامل.

١٧٠- محمد عبد الله بن عبد القادر المجلسي(ت١٣٨٦هـ)، له [١]: تعليق على الجامع لابن بونا.

١٧١- الشيخ محمد عبد الله بن أحمذي الحسني (ت١٣٩٠هـ)، له [٢]: المُفصّل والمُقَسَّم في شرح نظْم القَسَم من احمرار ابن بونا.

١٧٢- محمد الأمين بن محمد بن بارِيكْ العلُّوشي الولاتي(ت١٣٩١هـ)، له [٣]: عقد اللآلئ المشرق بنظم درر بحرق [٤].

١٧٣- أحمدّو بن محمدّن بن حبيب اليدمسي(ت١٣٩٢هـ)، له [٥] :

أ- منظومة في النحو والتصريف [٦].

ب - نظم في التصريف [٧].

ج - منظومة في كلمات معربة من ثماني لغات.

١٧٤-حمّودي بن المرابط النّاصري(ت١٣٩٢هـ)، له [٨]: مفيد الطّلاّب (نحو).

١٧٥-سيدي محمد بن عبد الرزّاق الأبهمي(ت١٣٩٣هـ)، له [٩] :

أ- شرح لأوّل جامع ابن بونا إلى باب الابتداء.

ب - بحث في « لو».

١- المنارة والرباط، ص٦٢٢، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٢- المؤلّفون ومؤلّفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص٨٩، والمنارة والرباط، ص٥٧٣.

٣- تحقيق محمّدّن فال بن محمدي فال لنظْم القاضي محمدّن بن محمّذن فال بن أحمدّو فال في (مصطلح الحديث وتاريخ الروّاة)، في رسالة تخرُّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩. ص١١.

٤- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤٦٥٧.

٥- المنارة والرباط، ص٥٣٩، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٦- يوجد على(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٣٥.

٧- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٤٤٨، وعلى (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم ٥٤٤.

٨- المؤلّفون ومؤلّفاتهم، ص٥٨.

٩- المنارة والرباط، ص٦١٧، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

١٧٦- الشيخ محمد الأمين (آبّه) بن اخطور الجكني(ت١٣٩٣هـ)، العلاّمة، الموسوعيّ، المتميّز، المفسّر، اللّغوي الأصولي،حجّ بيت الله الحرام سنة ١٣٦٨هـ، واستقرّ بالمملكة العرية السعودية، واشتغل فيها بالتدريس والتأليف، وصدر عن حلقاته العلماءُ والمدرّسون[١]. له من المؤلّفات :

أ- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (مطبوع). وهو تفسير من أهمّ كتب التفسير وأنضجها، قلّ نظيره، فهو دائرة معارف، شاملة لجوانب التفسير، ممّا جعله كتاب تفسير، وفقه، وأصول، ولغة، وأدب، ونحو، وقراءات. سيأتي حديث عنه في الفصل الثاني من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

ب - شرح اللاّمية واحمرارها للحسن بن زين (ت١٣١٥هـ).

١٧٧ـ محمد بن محمد المامي بن عبد الله اليعقوبي(ت١٣٩٣هـ) : عالم، نحويّ، شاعر، له [٢] : طرّة على نظم (عُبَيْد ربّه) [٣].

١٧٨ - محمدّو بن المختار السالم بن عبد الله بن عباس الأبييري(ت١٣٩٣هـ)، له [٤]: تفصيل الضمائر[٥].

١٧٩ـ عبد اللّه بن سيدي محمّد بن دادّاه الأبييري (ت١٣٩٤هـ) ، له [٦] :

أ- طُرَّة على لامية الأفعال لابن مالك.

ب - نظم المضعّف من (فعِل) بكسر العين.

١٨٠ـ أبو الخير بن عبد الله بن مرزوق بن الحلّة الأرواني(ت١٣٩٧هـ)، له [٧]:

---

١ - حياة موريتانيا، ص٦٨،٤٣، والمنارة والرباط، ص٥١٧، ومكانة أصول الفقة في الثقافة المحظرية الموريتانية، ص٢٥٦، والتفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط، ص٣٩٣، فما بعدها.

٢- معجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم في ولاية اترارزة، إعداد محمد بن أحمد بن بابا، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ٩٠/ ١٩٩١م.ص١١٦. مودَع بقسم البحوث بالمعهد تحت رقم١١١.

٣- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٤٨.

٤- المجموعة الكبرى، ج٢، ص٢٠٢.

٥- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٩٤١.

٦- المؤلّفون ومؤلّفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ١٥٧، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص١٥٥.

٧- تحقيق محمّد سالم ولد أحمد، للشِّرْكة والقِراض والكِراء والإجارة والجُعْل من نوازل الشيخ بايْ الكُنتـيّ، ص٦.

- فتح الكريم على منظومة محمد يحيى بن سليم (ت١٣٥٤هـ) [١].

١٨١- محمد محمود بن سيدي أحمد بن الهادي التمّدكي اللّمتوني(ت١٣٩٧هـ). له[٢]:
شوارق الأنوار على ما عقده المختار[٣].

وهو شرح على احمرار ابن بونا، يقول في مقدّمته: « فقد طلب منّي بعض مدرّسي النّحو أن أضع له شرحا على نظم العالم، العلاّمة، محيي علم المعقول، المختار بن بونا، مجرَّدا عن نظْم ابن مالك، فأحجمت عن ذلك زمناً طويلا لعلمي بجهلي وقصور باعي، وصعوبة تلك المسالك، ثمّ طلب منّي بعضٌ آخر ذلك فأجبته طالبا من الله تعالى العون»[٤].

وتحدّث المؤلّف في المستهلّ عن واضعي النّحو، وطبقات النحاة منذ النشأة، إلى ابن مالك، ذاكراً مصادر تأليفه، التي استقاه منها، مقسّما إيّاها إلى قسمين، قسم أخذ منه بلا واسطة، وقسم آخر أخذ منه بواسطة، ثمّ تكلّم عن « شيء ممّا ذكره الأئمّة في فضل النّحو ترغيبا لطالبيه»[٥].

وطريقته في الشرح أن يذكر جملة من ألفية ابن مالك، مرتّبا عليها ما يقابلها من احمرار ابن بونا، ثمّ يبدأ بالشرح، الذي يقتصر فيه على التبيين والتوضيح، دون الخوض كثيرا في المناقشة والتحليل. كقوله مثلا: «بالجرّ والتنوينِ والنّدَا وأَلْ.. البيت[٦]: (وهو لعين أو لمعنى على عين[٧])، أي ذات بلا قيد، نحو زيد ورجل، أو يدلّ على معنى، وهو ما يدلّ على غير ذات بلا قيد، نحو قراءة وفهْم، وفي كلّ منهما إمّا أن يكون اسما أو صفة. فصفة العين هي ما تدلّ على قيد زائد في الذات، نحو قائم، وصفة المعنى تدلّ على قيد في غير الذات، كجَلِيّ وخفِيّ. وفي الاسم عشر لغات... إلخ»[٨].

١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٤١٩.

٢- المنارة والرباط، ص٥٩٧، وتاريخ النحو، ص٥٤٠.

٣- مودَع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١١٢.

٤- ص١، من المخطوطة.

٥- ص٣، من المخطوطة.

٦- الشطر الأوّل من البيت الثالث، من باب الكلام وما يتألّف منه، في ألفية ابن مالك.

٧- ما بين القوسين صدر بيت من احمرار ابن بونا. ص٣، من المخطوطة، ج١، ص٧، من تقريب طرّة ابن بونا.

٨- ص٤، من المخطوطة.

١٨٢- الحاج محمود با(ت١٣٩٨هـ)، عالم بولاري، أسّس (جمعية دراسة القرآن الكريم)، ثمّ (مدرسة الفلاح)، التي انتشرت فروعها في العديد من الدول الإفريقية، وكان له دور بارز في نشر علوم العربية والدراسات الإسلامية[1]. له: شرح الآجُرّومية.

١٨٣- محمّدن بن محمّد (مَيْمِّيهْ) بن المحبوب(ت١٣٩٩هـ). له [2] : مجموعة أنظام نحوية ولغوية.

١٨٤- الحاج البشير بن عبد الحيّ، الرقيبيّ داراً (ت أواخر ق١٣، أو أوائل ق١٤هـ)، له[3]: طُرّة على الألفية.

١٨٥- باباحَسَن بن مولاي عبد الله الشريف النعمي(ت صدر ق ١٤ هـ)، له[4]: ألفية في النّحو.

١٨٦- محمد البوصيري بن سيدي المختار الجكني(ت ق ١٤هـ)، له [5] : شرح على نظم (عُبَيْد ربّه).

١٨٧- ابن حنبل بن البشير اليدمسي(ت ق ١٤هـ)، له [6] : تعليق على الألفية.

١٨٨- محمد اغْرَيْبظْ بن المختار الحاجي(ت ق ١٤هـ)، له [7] :

أ- نظم في إعراب الجمل.

ب - تعليق على المفيد في النّحو (نظم لأحمد بن محمد الحاجي (ت١٣٥١هـ)).

١٨٩- محمد الأمين بن الشيخ محمّد عبد الله بن أحمد الجكني(ت١٤٠٠هـ)، له [8] :

١- المنارة والرباط، ص ٥١١، ٦١٦، والألفية وتأثيرها، ص٤٣.

٢- أنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٨٨، ومقدّمة تحقيق مجموعة المؤلّف النّظمية هذه، ص١، فما بعدها. حيث حقّقها محمّد بن ابّوه في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدراسية ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م. مودَعة بقسم البحوث بالمعهد ٧٣.

٣- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والمنارة والرباط، ص٥٥١، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٤- المنارة والرباط، ص٦١٦.

٥- الألفية وتأثيرها، ص٤٣، والمنارة والرباط، ص٥٨٨.

٦- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في المنارة والرباط، ص٥٣٧، والألفية وتأثيرها، ص٤٤.

٧- المنارة والرباط، ص٦٢٤.

٨- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٦، والألفية وتأثيرها، ص٢٠، والمنارة والرباط، ص٥٨٧، ٥٨٨، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص١٨٢، ١٨٣، وتاريخ النحو، ص٥٤١.

أ- النظم الزّاهي في النّحو. شرحه الإمام مالك بن أحمد الأفرم الجكني [1].

ب - ياقوتة الإعراب (نظم).

١٩١- محمدِّن (القاضي) بن محمّذن فال بن أحمدّو فال(ت١٤٠٠هـ/ بعلب آدرس)، له [2]:

أ- كم الخبرية [3].

ب- شرح الجامع لابن بونا[4].

ج- نظْم في النّحو مع شرحه، (محاذيا فيه أبواب النّحو على ترتيب ألفية ابن مالك)[5].

١٩٢- محمد بن أبي بكر الكيهيدي (ت ١٤٠١هـ)، له [6]: نظم الآجُرّومية.

١٩٣- المختار السالم بن علي بن حبيب الله بن المصطف التندغي(ت ١٤٠٢هـ)، لغوي، فقيه، له [7]:

أ- شرح احمرار ابن بونا.

ب - رسالة في مسائل الفعل .

ج - نثر في النحو للمبتدئين.

د - نثر في النحو للمنتهين.

١٩٤- السادات بن محمد محمود بن حين الجكني(ت١٤٠٧هـ)، له[8]: مُعِين المبتدئين ومُذكّر المُنتهين[9].

١- حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٦. ولم أقف على تاريخ وفاة هذا الشّارح.

٢- تحقيق كتابه (مصطلح الحديث وتاريخ الروّاة) لمحمدّن فال بن حمدي، ص١٣، فما بعدها، والمنارة والرباط، ص٦٢٣، والألفية وتأثيرها، ص٤٥، والمجموعة الكبرى، ص٢٠٥، وتاريخ النحو، ص٥٤٢.

٣- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٨١.

٤- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٧٠٠.

٥- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام: ١٨٢،١٧٢٣،٣٣٦٨.

٦- تُرْجِم له، وذُكِر هذا التأليف في الألفية وتأثيرها، ص٤٣، والمنارة والرّباط،ص٦٢٠.

٧- المنارة والرباط، ص٦٠٩ - ٦١٢، والألفية وتأثيرها، ص٢٠،٤٥، والمجموعة الكبرى، ج٢، ص٢٩٢ - ٢٥٤.

٨- القسم الدراسي من تحقيق صَدّافة بن محمد الأمين لهذا التأليف في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وهو مودَع بقسم البحوث بالمعهد تحت رقم ١٥.

٩- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٤٢٠.

١٩٥- محمّذن الشفيع بن محمّد (مَيْمّيهْ) بن محبوبي اليدالي(ت١٤٠٧هـ) : لغوي وفقيه، له [١]:

أ- نبراس الهداة في النّحو(نظم مغني اللّبيب لابن هشام). عدد أبياته ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ بيت [٢].

ب - أجوبة في النّحو[٣].

ج - مكتوب في معاني «لو» النّحوية واللّغوية.

١٩٦-حمّود بن متّار القلاّوي (ت١٤٠٨هـ)[٤] له :

أ- تعليق على لامية الأفعال، وطُرّتها للحسن بن زين (ت١٣١٥هـ)[٥].

ب - نظم في مبادئ النّحو[٦].

١٩٧- محمد يحيى بن محمّد المامي(ت١٤٠٨هـ)، له [٧] :

أ- فتح الباب عن إيضاح الإعراب [٨].

ب - كشف النقاب عن معاني الحروف[٩].

ج - سقاية الظمآن[١٠].

د - نظم الجمل[١١].

١- تحقيق عائشة بنت أحمد للجزء الأوّل من نظْم الشمائل لمحمّذن الشفيع بن محمّد (ميْمّيه) بن المحبوب، في رسالة تخرُّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٧ـ ١٩٩٨م. ص٧، فما بعدها، والألفية وتأثيرها، ص٤٣، والمجموعة الكبرى، ص٢٧٦.

٢- على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٩٧١.

٣- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢٩٥٣.

٤- مصطلح الحديث وتاريخ الرواة، ص١١.

٥- على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم١٨٣٠.

٦- يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٨٣١.

٧- معجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم في ولاية اترارزة، ص١٤٩.

٨- حقّقته مريم بنت محمد المامي في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وهو مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ٤٣. كما توجد نسخة مخطوطة لأصله قبل التحقيق بمخطوطات المعهد نفسه، تحت رقم٢٨٤١.

٩- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، تحت رقمي ٢٤٤، ٢٨٤. وقد قامت المامية بنت محمد بتحقيق الجزء الثاني منه في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم ٢٨.

١٠- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، تحت رقم ١١٩١.

١١- يوجد بمخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، تحت رقم٢٨٤٤.

١٩٨ – التّاه المختار بن يحظيه بن عبد الودود (ت١٤٠٩ هـ)، عالم مدرّس، نجل العلاّمة يحظيه(ت١٣٥٨ هـ)، وخليفته على محظرته، له[١] :

أ- طُرَّة على (سُلَّم الطّالبين إلى قواعد النحويّين) للمختار بن بونا (ت١٢٢٠ هـ[٢].

ب – أنظام مفيدة.

١٩٩ –أحمد بن محمّد بن الطالب بن اعْل العلوي (ت١٤١٧هـ)، الفقيه الشاعر النحويّ، النّظّامة الشهير[٣]. ترك في النّحو :

أ- شرْحاً لنظْم الآجُرّومية، المسمّى (عُـبَـيْد رَبِّـهِ)، سمّاه : تحفة الطلاّب القاصدين للإعراب[٤]. يقول في مقدّمته، مع شيء من تواضع العلماء : «أمّا بعد، فإنّي قد طلب منّي بعض الإخوان أن أضع شرحا لنظْم الآجُرّومية فتهيّأت لإجابته.. مستعينا بالله، ومتّكلا عليه، مع علمي بعدم الأهلية... وبعد، فيقول العبد الفقير.. إلخ» [٥].

ب – العديد من الأنظام الضابطة للمسائل النّحوية. أُورِد منها مايلي :

– يقول في أنواع الطلب :

والأمرُ والنهْـــــــــيُ والاستفهامُ والعرضُ والتحضيضُ تِي أقســـامُ
طلب الدعاء والتــمـــــــــنِّي لا زَيْدَ فخُذْ نظْماً لها مُكَـــــــــمِّـلا.

– المواضع التي حذفت فيها الواو، الواقعة في نهاية الكلمة في القرآن، دون داعٍ نحويٍّ :

وحذفوا الواو قُبَــــــيْل الجازم في خمســــة ولم يكــن بلازم
في قَمَرٍ يَدْعُ[٦] وفي الإســــــراءِ[٧] ويَمْحُ[٨] في الشــورى بلا امتراءِ

---

١ – أنظام الطرّة في الفوائد النحوية، ص ٢٧٩.

٢ – حقّقها محمّد محمود بن محمّد محفوظ في بحث لإنهاء دروس الماستر بجامعة انواكشوط ٢٠١٠ / ٢٠١١م.

٣ – ترجمته في بحث لابنه : السالك بن أحمد، عن حياته، بعنوان : (جمع وتحقيق فتاوي وفوائد فقهية للعلاّمة أحمد بن محمد بن الطالب بن اعل العلوي). وهو رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م.

٤ – حقّقه محمّد بن إدودو، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة١٩٩٨/ ١٩٩٩. مودَع في قسم الرسائل بالمعهد، تحت رقم١٦.

٥- الصفحة الأولى من التحقيق.

٦- من الآية رقم ٦، سورة القمر : (يومَ يَدْعُ الدَّاعِ ي).

٧- الآية رقم ١١، سورة الإسراء : (وَيَدْعُ الإنسانُ بالشرِّ دُعاءَهُ بالخير).

٨- من الآية ٢٢، سورة الشورى : (ويَمْحُ اللهُ الباطلَ ويُحِقُّ الحقَّ بِكَلِمَاتِهِ).

كذاك صـــالحُ [١] قُبَيْل المؤمنـــينْ   سَنَـــدْعُ [٢] بالعلَق مثل ذا تَبِـــينْ.

- دخول الغاية وعدم دخولها مع إلى وحتّى :

وفي دخول الغاية الأصــــــــحُّ لا   تَدْخُــــــــل معْ إلى وحتّى تَدْخُلا [٣].

أنظامه فيما يبدو سلسة، رقيقة.

٢٠٠- الحاج بن السالك بن فحفو المسّوميّ (ما زال حيّاً). له فقيه كبير، نحويّ شهير، صاحب محضرة عريقة في تكانت، بوسط البلاد، موروودة من طلاّب العلم. له من التآليف النحوية [٤]:

أ- شرْح نظْم الآجُرّومية، المسمّى (عُـبَـيْد رَبِّـهِ)، سمّاه (دليل الطّلاّب على ما قصدوا من ظاهر الإعراب)[٥].

ب- شرْح ألفية ابن مالك، سمّاه (تنوير الحوالك على ألفية ابن مالك)[٦].

ج- شرح المقصور والممدود. (الإمارات، أبوظبي : مكتبة الصّفا، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ٢٠٠٥م).

٢٠١ـ عمّويه الطالب عمر بن احْمدنا الله الطلابيّ (مازال حيّا)له : فتح القيّوم شرْح نظم آجُرّوم [٧].

٢٠٢- الشيخ محمّد بن محفوظ الشنقيطي(ما زال حيّا)، له شرح على المقصور والممدود لابن مالك. حقّقه الأستاذ عبد الحميد بن محمّد الأنصاري[٨].

وفيما يلي ثبت بأسماء نحويّين آخرين لم أتمكّن من الوقوف على تواريخ وفياتهم، أو

١- من الآية ٤، سورة التحريم : (وصَالحُ المؤمنينَ).

٢- من الآية ١٩، سورة العلق : (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ).

٣- مزيد في بحث (جمع وتحقيق فتاوي وفوائد فقهية)، مرجع سابق، ص٨٤، فما بعدها.

٤- حياته، وتآليفه النحوية في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٤، والألفية وتأثيرها، ص٤٣، ٤٤، والمنارة والرباط، ص٥٥٢.

٥- طُبع بمطبعة دار يوسف بن تاشفين، تحقيق سيدنا عالي بن الشنبكي، بالمدرسة العليا للتعليم العالي، السنة الدراسية ٨٤/ ١٩٨٥م. انواكشوط.

٦- حصل محمّد أحيد بن الحسين على الإجازة من جامعة انواكشوط، سنة ١٩٨٤م، بحقيق جزء منه، مودَع بقسم الرسائل بالجامعة تحت رقم ٨٠١٩٢٢.

٧- مطبوع بتحقيق يسلم محمد بويا.

٨- مقدّمة تحقيق عبد الحميد بن محمّد الأنصاري، لطُرّة الحسن بن زين على لامية الأفعال، لابن مالك. ج١، ص٥٠.

تحديد عصورهم، مع ما أمكن من الوقوف عليه من مؤلّفاتهم النحوية :

٢٠٣- أبو بكر بن إنالبش[١]. له : منظومة في التصريف.

٢٠٤- أبو بكر بن محمد بن الحسين[٢]. له : قصيدة في المقصور والممدود.

٢٠٥- أحمد بن الحسين الحاجي[٣]. له : نَظْم في التصريف.

٢٠٦- أحمد الديماني. له[٤] : سعد السعود شرح المقصور والممدود.

٢٠٧- أحمد بن محمد الأمين الحنشي[٥]. له : نظْم في ضبط الأسماء والأفعال.

٢٠٨- أحمد بن موسى بن محمد الفوتي. له[٦] : إعراب قوله تعالى : (رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي..١٠،المنافقون).

٢٠٩- الإمام بن البشير العلوي. له[٧] : شرح على احمرار ابن بونا.

٢١٠- الأمين بن الغزالي الشقروي الحسني[٨] . له : شرح شواهد احمرار ابن بونا.

٢١١- ابن عمر بن سيدي المُصْطَفْ التندغي، له[٩] : تأليف في النّحو.

٢١٢ - ابن الفقيه، له[١٠]: شرح على الخلاصة.

٢١٣- الحاج فودَى سُولا سِيسِي.[١١] له :

أ - شرح لامية الأفعال.

ب - تأليف على حلّ ألفاظ الملحة.

١- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٢٣٠١.

٢- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٣٢٧٩.

٣- توجد منه نسختان على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، إحداهما تحت رقم ١٠٨١. والأخرى تحت رقم٢٠٥٨.

٤- توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة حمى الله بتشيت، تحت رقم ٢٠٦.

٥- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ١٢١٥.

٦- أربع صفحات، يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٦١١٥..

٧- تاريخ النحو، ص٥٤٠.

٨- المنارة والرباط، ص٥٤٦، وتاريخ النحو، ص٥٤٠، والألفية وتأثيرها، ص٤٥.

٩- المنارة والرباط، ص٥٣٧.

١٠- مخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية/ انواكشوط، تحت رقم٢٨.

١١- توجدهذه التآليف الثلاثة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام : ١٦٣٦،١٦٣٥،١٦٣٤.

ج – تأليف في مبادئ الصرف.

٢١٤– حبيب الله بن محمد محمود اليعقوبي البارِكِي، له[١]: شرح لامية الأفعال.

٢١٥– سعيد بن أبّـه، له[٢]: شرح القصيدة اللّغزية في المسائل النّحوية.

٢١٦– سيدي بن سيدي أحمد بابا.[٣] له :

أ– شرح آجُرّوم. التزم فيه إعراب الأبيات.

ب – نَظْم إعراب الجُمل.

٢١٧– سيدي بن الشيخ بن حَبَتْ القلاّوي[٤] له :

أ– تقريب المعاني في النّحو.

ب – منثورة القلاّوي على منظومة الحبر الشّيرازي.

٢١٨– سيدي بابا بن محمد الأمين حبيب الله[٥]. له : المِنَح الحميدة في شرح الفريدة.

٢١٩– سيدي محمد بن حبيب الله الجكني، له[٦] : نَظْم الآجُرّومية باللّهجة الحسّانية.

٢٢٠– سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي[٧] . له : شرح احمرار ابن بونا.

٢٢١– سعيد بن يعقوب المِكْلاتي[٨] . له : شرح لامية الأفعال.

٢٢٢– الشيخ أحمد التيجاني الفوتي[٩]. له: المنهاج للمحتاج في عقد ما نَظَمه الصنهاجيّ (شرح الآجُرّومية). وقد ورد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم (١٤٨٧) العنوانُ نفسُه، سوى إبدال لفظة (نَظْمه) بلفظة (نَثره)، منسوباً لمحمّد بن أبي بكر بن عثمان القاضي الفوتي. وعليه فهل هما عنوانان، لكلّ

١– معجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم في ولاية اترارزة، ص٦٦.

٢– يوجد مخطوطاً بمدينة شنقيط، ص٥٠٨، بخطّ المؤلّف، في ثماني ورقات.

٣– يوجد التأليفان على(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي(١٥٥٨،١٥٥٢).

٤ – المؤلّفون ومؤلّفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص٦٨.

٥– مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقمي٤٢٩، ١٥٦٣.

٦– المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم لابن حامدن واتشومسكي، ص٧٤، والمنارة والرباط، ص٥٥٨.

٧– المنارة والرباط، ص٦١٧.

٨– توجد منه نسخة على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم١٤٦٣.

٩– توجد منه نسخة على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٥١٩.

واحد عنوانُه، أم هما تأليف واحد لأحَد المذكورَيْن؟. مع التنبيه إلى أنّ العنوان الأوّل لا يستقيم، إذ كأنّ المعنى يصير(في نظم ما نظمه)، والمنظوم لا يُنظَم، زد على ذلك أنّ الآجُرّومية للصنهاجي نثْر، لا نظْم.

٢٢٣- الشيخ علي بن مبارك الرّوَدَاني الإدريسي[1]. له :

أ- حاشية (فتح الصّمد) على شرحٍ لمحمّد الأغظف بن أحمد مولود الوَسْري[2] وضَعه على نَظْم (السبْك العجِيب لمعاني حروف مُغني اللّبيب)[3] للأمير السلطان عبد الحفيظ العلوي المغربي (ت١٣٥٦هـ).

ب -كشف الأستار على ألفية ابن مالك والاحمرار.

٢٢٤ـ ضابط بن محمد الأمين العلوي[4]، له : قصيدة في ضبط الحروف.

٢٢٥- الطالب أحمد بن الدّيدّه الجمّاني، له[5]:

أ- أوضح المسالك على يائية ابن مالك في التصريف.

ب - السِّراج المنير على بحرق الكبير.

ج - مفيد الطّلاّب في معرفة التمييز والإعراب.

٢٢٦- عبد المُهيمن بن محمد الأمين الحضرمي، له[6]: فتح الأقفال وضرب الأمثال بشرح لامية الأفعال.

٢٢٧- علي بن إبراهيم بن علي، له[7]: تأليف في المقصور والممدود.

١٢٨- محمّد بن أحمد. له[8]: شرح المقصور والممدود.

١- حياة موريتانيا،ص٦٨،٦٦، والمنارة والرباط، ص٥٧١،٥٤٥، وتاريخ النحو، ص٥٤٢..

٢- النحو العربي، ص٤٢٤. وحياة موريتانيا الثقافية، ص٦٦، وتاريخ النحو، ص٤٢٤، ٥٤١.

٣ - طبعته الأولى١٣٢٥هـ بولاق، القاهرة، في مجلّدين.

٤ - توجد منه نسخة في مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٧٦٨١.

٥ - المؤلّفون ومؤلّفاتهم، ص١٤١، ومخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، رقم٧١.

٦ - مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام: ١٠١٧، ١٧٧٨، ٢٦١١.

٧ - مخطوطات أحمد بابا بتينمبكتو، رقم ٤٠٠٠.

٨ - توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة أهل بوعسرية، بتشيت.

٢٢٩–محمد الهاشمي بن أحمد سعيد الفوتي. له[١]: الهبات اللّطيفة في الكلمات : الاسمية والفعلية والحرفية.

٢٣٠–محمد بن أحمد بن يعلَى الحسني[٢]. له : الدُّرّة النحوية في شرح الآجُرّومية.

٢٣١– محمد بن بابا الملقّب بأشدّكن. له[٣]:

أ– منظومة في اللّغة العربية والنّحو.

ب– منظومة في أسباب البناء على الحركة.

٢٣٢–محمد بن بابا بن محمد عثمان. له [٤]: منظومة في الألغاز النحوية.

٢٣٣– محمد بن بوكم الكمليلي ، له[٥]: مقدّمة في النحو.

٢٣٤– محمد إبراهيم بن محمد المصطفى، المعروف بحَمَتَّفْ[٦]. له : قصيدة في النحو.

٢٣٥– محمد الأمين بن اخْليفة له[٧]:

أ– شرح مقدّمة ابن بونا في النّحو.

ب– شرح المفيد في النّحو.

٢٣٦– محمد الأمين بن المختار الكنتي ، له[٨]: نَظْم مَتْن الآجُرّومية.

٢٣٧–محمد الحبيب بن المنير الشنقيطي[٩]. له : شرح لامية الأفعال.

٢٣٨– محمد زين العابدين بن محمد بن علي بن أحمد[١٠]. له: إفادة الطّالبين ومُقنع القاصدين.

١– توجد منه نسخة على(مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم١٥٢٦.

٢– توجد منه نسخة من عشر ورقات بمكتبة الفقيه محمد بن حمى الله \ تشيت.

٣– مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت أرقام ١٨٧٨، ١٩٨٩،٨٥٢٥.

٤– يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٥٣٢٧. وتُرجم لمؤلّفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها،ج٤، المودعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٥– مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ٥٩١.

٦– يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٤٢٢٧. وتُرجم لمؤلّفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها، ج٣، المودَع بالعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٧ – مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ٢٧٤٢، ٢٣٧٧.

٨ – توجد منه نسخة في مخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٨٤١٤.

٩ – مخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٣٢٩٣.

١٠ – مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٢٤٩٥.

٢٣٩-محمد السّالك بن خَيّ بن محمد بن عمار التنواجيوي[١]. له : نظم قطْر النّدَى وبلّ الصّدَى مع شرحه.

٢٤٠- محمد سالم بن عبد الله بن الحبيب اليونسي[٢]. له: مُثلّثات الأفعال في علم التصريف.

٢٤١- محمد عبد الله بن أحمد بن أبي الأعراف. له[٣]:

أ- مناظرة في علم التصريف.

ب-حفظ الموجود وطلب المفقود من تحرير ما تضمّنته تحفة المودود (تعليق). يقصد : تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك، وهي القصيدة الهمزية المعروفة، التي مطلعها :

أَطَعْتَ الهَوَى فالقَلْبُ مِنكَ هَـــواءُ قَسَـــا كَصَفــاً مُذْ بانَ عَنْهُ صَفاءُ.

٢٤٢- محمد بن علي الشريف السوقي[٤]. له : فتح الأقفال على لامية الأفعال.

٢٤٣- محمد بن ماغَه بن محمد المصطفى[٥]. له : شرح على نَظْم قطْر النّدَى.

٢٤٤- محمد بن محمد الأمين بن حبيب الله[٦]. له :

أ- المِنَح الحميدة شرح الفريدة.

ب - نظْم في المصدر الميمي، الوارد على وزن المَفعل.

٢٤٥-محمد بن محمد بن عمر الماسني[٧]. له : شرح قصيدة ابن مقرع [٨] في النّحو.

---

١ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقمي٤٦٣٩،١٣٤٩.

٢- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٤٦١٨. وتُرجم لمؤلّفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها، ج٤،ص٨٢، المودعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٣ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو٥٢١١، و(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم١٠٨٧.

٤- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٦٢٩٢.

٥ - يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٤١٧٣. وتُرجم لمؤلّفه في فهارس هذه المخطوطات نفسها،ج٣، المودَعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٦- المنارة والرباط، ص٦٢٢، ومكتبة هارون بن الشيخ سيديا / بوتلميت.

٧- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٣١٢٩.

٨- لم أقف على معلومات عنه.

٢٤٦-محمد بن محمد فال بن ابْنُو[١]. له : تقريب البعيد من منظومة عُبَيْد (شرح منظومة عُبَيْد ربّه).

٢٤٧-محمّد لَـقْظَـفْ بن أحمد مولود الوَسْري الشنقيطي[٢]. له شرح على منظومة السّلطان المَوْلَى عبد الحفيظ[٣]، العلوي المغربي(ت١٣٥٦هـ) لمُغْني اللّبيب، المسمّاة (السّبْك العجيب لِمعاني حروف مُغْنِي اللّبيب)[٤]. وللشيخ علي بن مبارك الرّوداني الإدريسي[٥] حاشية على هذا الشرح[٦].

٢٤٨-محمد مختار بن محمد الأمين اليعقوبي[٧]. له : شرح نَظْم الآجُرّومية (عُبَيْد رَبّهِ).

٢٤٩-محمد مولود بن التّاهْ، له[٨]: نظْم في التصريف .

٢٥٠-محمد يعقوب بن أحمد مولود بن الطالب محمد المهاجري الزعيمي، له[٩]: (شرح البسط والتعريف بها جُهل من التصريف) لعبد الرحمن المَكّودي(ت٨٠٧هـ).

٢٥١-محمد ينجح بن بَدّي، له[١٠]: مسائل نحوية.

٢٥٢- محمد بن المختار[١١]. له : نَظْم مَتْن الآجُرّومية.

٢٥٣- المختار بن الدعكوري، له[١٢] : منحة الجبّار في شرح الاحمرار.

١- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم٣٥٥٦.

٢- لم أقف على تاريخ وفاته. غير أنّه ربّـما يكون من علماء القرن الرابع عشر الهجري؛ لأنّه قام بشرح منظومة السلطان عبد الحفيظ، الذي تُوُفِّي سنة ١٣٥٦هـ. يراجع تاريخ النحو العربي، ص٤٢٤، وقد تُرْجِم له أيضا في حياة موريتانيا الثقافية، ص٦٦. وقد ورد فيهما ذكر هذا الشرح.

٣- ترجمته في الأعلام، ج٣، ص٢٧٧.

٤- وهذا النظم مطبوع بمطبعة فاس عام ١٣٣٠هـ، كما طُبِع مع شرح محمّد الأغظف الشنقيطي عليه بمطبعة بولاق عام ١٣٢٦هـ. يراجع تاريخ النحو، ص٤٢٤ ، الحاشية٥، وص٤٢٥، الحاشية٢.

٥- لم أقف على تاريخ وفاته. يراجع المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم، ص٧٢.

٦- طُبعت معه بمطبعة بولاق بالقاهرة سنة١٣٢٥هـ في جزئين. يراجع المؤلّفون الموريتانيون، ص٧٢.

٧- المنارة والرباط، ص٦٢٣.

٨ - مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم٢٨٢٦.

٩- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو ، رقم ٤٩٦٥.

١٠ - توجد منها نسخة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم١٨٨٧ .

١١- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقمي ٦٢٢٤، ٨٤١٢.

١٢- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم ٢٨٥٠.

٢٥٤- المختار المحمدي بن سيدي بن هيبه[١]. له :

- شرح تحفة الأطفال بحلّ عقد لامية الأفعال، للشيخ سيديا الكبير بن المختاربن الهيبة (ت١٢٨٤هـ).

٢٥٥- المختار بن علي الكنتي ، له[٢]: تسهيل حفظ الحذف في النّحو.

٢٥٦- موسى بن عبد الله بن جبريل[٣]. له : الشافي الكامل على الجامع الشّامل.

٢٥٧- نوح بن الطّاهر بن أبي بكر بن موسى الفلاّنِي[٤]. له : شرح لامية الأفعال.

٢٥٨- هارون سيسي. له[٥] :

أ- شرح ملحة الإعراب.

ب - شرح نَظْم الآجُرّومية.

٢٥٩ - يحيى بن الشيخ محمد الحاجي[٦]. له : شرح ملحة الإعراب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مركز ثِقلِ الدراسة النّحوية انتقل من المنطقة الشرقية إلى (الكِـبْلَة) المنطقة الغربية الجنوبية، في القرن الثالث عشر الهجري، وذلك بازدهار الدراسة النّحوية على يد شيخ النّحاة ببلاد شنقيط بها، المختار بن بونا (ت١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ)، وجهود العلماء النّابهين من طلبته وتلاميذهم. يقول الدكتور يحيى بن البراء مُحِقّا في معرض حديثه عن بدايات الاعتناء بمتن ألفية ابن مالك في منطقة (الكِبْلة) : « أمّا في القرن الثالث عشر فقد خبت نارها في المنطقة الشرقية، وازداد نشاطها والاهتمام بها في المنطقة الغربية، خاصّة مع ميلاد المدرسة البونية وتشعّبها..»[٧].

١- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٥١٣.

٢- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم١٨٦٠.

٣- مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم ٣٤٥٤.

٤ - مخطوطات أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقم٣١٢٦.

٥- يوجد شرح الملحة على (مكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم١٦٣٩، كما توجد نسخة من شرح نظْم الآجُرّومية، على(مكرو فلم) المعهد نفسه، تحت رقم١٦٤٣.

٦ - يوجد على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٧٩١.

٧- الألفية وتأثيرها، ص ٤١.

المبحث الرابع : مرحلة المراجعة للتراث النّحوي وتحقيقه
(في القرن الخامس عشر الهجري)

في هذه الحقبة انصبّ عمَل بعض العلماء والباحثين الشناقطة في الدراسات النحوية على مراجعة التراث وتحقيقه، ونفض الغبار عنه، وتنقيحه وإخراجه في ثوب حسن يليق به، لحفْظه وتأمينه، وتسهيله على الطلبة والدارسين؛ لأنّ أغلبه للأسف ما زال مخطوطا، معرَّضا للضياع، والسقوط من يد الزمن. وهو توجُّه ما زال محدودا، لصعوبة التعامل مع المخطوطات، وقلّة الإمكانات، وفَقْد المؤسّسات المهتمّة بالتراث. ومع هذه الصعوبات فقد انبرى بعض الباحثين المتمكّنين لمراجعة بعض أمّهات هذا التراث، وأهمّها حضورا في المحضرة الشنقيطية، مثل طُرّة ابن بونا على الاحمرار والألفية، وطُرّة الحسن بن زين على الاحمرار واللّامية مثلاً، وشواهد هذين الكتابين، باعتبارهما أهمّ مقرّرات مادّتي النّحو والتصريف في المحاظر الشنقيطية، على الإطلاق.

لذلك سأتناول في هذا المبحث أربعة أعمال، أراها أحسن ما كُتب في مراجعة هذا التراث المجيد، هي :

- تحقيق الطُّرّة على (الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشْو والخصاصة).
- تحقيق توشيح الحسن بن زين على الاحمرار ولامية الأفعال، المعروف ب(الطُرّة).
- جمْع أنظام الطُّرّة في الفوائد النّحوية لعدد من العلماء الشناقطة.
- تسجيل التّكرار بشرح الاحمرار.

أ- تحقيق الأستاذ الفاضل، الباحث الكبير، أحمد بن محمّد المامي اليعقوبي، للطُّرّة على (الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشْو والخصاصة). و(الجامع بين التسهيل والخلاصة) ــ كما سبق توضيحه ــ عبارة عن ألفية نظمها المختار بن بونا من التسهيل، وخلّل بها ألفية ابن مالك، مميّزا إيّاها بالحمرة عن الخلاصة، لذلك سُمّيت ب(الاحمرار)، وسمّيت الخلاصة ب(الاكحلال)؛ لأنّها تكتب بالحبر الأسود، ثمّ قام بوضع حاشية على الألفيتين، سمّاها (الطُّرّة)، فغلبت تسميتها على العملَين. وسمّى المحقّق عمله (تقريب طُرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النّحو).

وقد تحدّثتُ في مستهلّ المبحث المنصرم عن قيمة هذين العملين في المحظرة الشنقيطية، واهتمام العلماء والدارسين بهما إلى يومنا هذا، وعن استعصاء الاستفادة منهما على طلاّب العلم، حتّى قيّض الله لهذا العمل الفذّ هذا الباحث العالم، فقام بإخراجه إلى النور سنة ٢٠٠٥م، مشكورا، وهو الآن متوافر في المكتبات الشنقيطية. وهو عمل صعب، يحتاج إنجازه إلى فريق من الباحثين المتخصّصين، المتمرّسين، لصعوبة التعامل مع المخطوطات، المكتوبة بنظام الطُّرَر، المتمثّل في الحواشي المقتضبة في الغالب، المربوطة بالمتن عن طريق الرموز والأرقام والمنحنيات، ممّا يفتح الباب واسعا أثناء الإخراج للوقوع في الأخطاء والأوهام.

وقدعمل المحقّق على إخراج عمله في أحسن ثوب، فاهتمّ بإخراج الشواهد من الآيات والأحاديث والآثار، والأرجاز والشعر، والتعليق على الشواهد الشعرية على غزارتها تعليقا مناسبا، من حيث الحديثُ عن القائل والمناسبة، والبحر واللّغة، وذِكْر محلّ الشاهد، مع الاقتصار على محلّ الاستدلال به، الذي أورد ابن بونا الشاهد من أجله، ولو كان غيره استشهد به لغير ذلك. كما اعتنى بالتعريف بالأعلام والقبائل والمجموعات. وقد وضع فهارس شاملة لهذه الموضوعات كلّها.

كما أثار كثيرا من المسائل النحوية، إمّا بالحديث عن الجوانب الخلافية، التي طواها ابن بونا، فلم يذكرها، وإمّا بإيضاح معنى رآه غامضا، أو بإعراب يؤدّي إلى معنى زائد، أو بذكر نوادر، أو وجوه نحوية، مع الميل إلى ما يراه ابن بونا من وجوه الخلاف. ومن ميزات هذا التحقيق حسب رأيي، اقتصار المحقّق على الضروري من الأمور أثناء تعليقاته في الحواشي على بعض ما يرد في المتن، دون إثقال هذه الحواشي بكثرة التحليلات والمناقشات. وعليه تمّ إخراج الطُّرّة إخراجا حسنا، يليق بمكانتها العلمية، ويروي ظمأ الدارسين والعلماء، حسب ما أراد المؤلّف.

وفيما يلي أورد نماذج من تعليقاته على الشواهد الشعرية، لأدلّل بها على ما ذكِر :

١ – «مطلع قصيدة من الوافر، لعنترة بن شدّاد العبسي، في هجاء عمارة بن زياد – أشعار الشعراء الستّة ٤٨٥. وهو والشاهد رقم ١٧٧٨، من قصيدة واحدة. المذروان : طرفا الأليتين، يقال : جاء ينفض مذرويه، أي باغياً، مهدّدا. الشاهد فيه فصل اسم الإشارة عن هاء التنبيه بضمير الرفع المنفصل في (ها أناذا).

٢- لعبد الله بن الزعبري، من قصيدة من الرمل، قالها يوم أُحُد قبل إسلامه. شرح الشواهد للسيوطي ٣٢٣. المغني ٣٦٦. ابن عقيل٢٢٣. المساعد١٩٢. المدى : الغاية والمنتهى. القَبَل، بفتحتين : الطريق الواضح. الشاهد في (ذلك) حيث ورد للمثنّى، وهي في الأصل للمفرد، وذلك قليل.

٣- لامرئ القيس بن حجر، من قصيدة من الطويل، يذكر فيها سفره إلى بلاد الروم، مطلعها:

سـمـا لكَ شوقٌ بعدَ ما كان أقصَرَا   وحلّتْ سُلَيْمَى بطْــنَ قَوٍّ فَعــرْعَرا.

أشعار الشعراء الستّة ٦٢. المكرعات : النخلات، المغروسات على الماء. الصفا والمشقر: قطران بناحية اليمامة. الشاهد فيه (اللاّئي) حيث وردت بالياء في جمع التي»[1].

ومع هذا الجهد الكبير الذي بذله المحقّق في سبيل إنجاح مشروعه، وإخراجه في أحسن ثوب (وقد وُفّق في ذلك إلى حدّ كبير) فإنّ الطُّرّة ما تزال بحاجة ماسّة إلى دراسة علمية كبيرة، تأخذ في الحسبان اختلاف النُّسَخ، وما بينها من تعليقات وفروق وإيضاحات، ودراسة هذه الفروق، مع التركيز على الدواعي التي أدّت إليها، والظروف التي قيلت فيها، مع أنّ المحقّق مشكوراً كان له جهد طيّب في الموضوع.

ب - تحقيق الأستاذ عبد الحميد بن محمّد الأنصاري الشنقيطي، لتوشيح لامية الأفعال لابن مالك، المعروف، ب(الطُّرّة) للحسن بن زين (ت١٣١٥هـ). وللحسن بن زين على لامية الأفعال (حسب ما سلف توضيحه) عملان اثنان، هما :

١- الاحمرار : وهو عبارة عن نظْم جمعه من كتب التصريف ومعاجم اللّغة، خلّل به اللّامية، مُستدرِكاً به على عمل ابن مالك فيها، مميَّزاً بالحمرة عن أبيات متْن اللّامية، متمِّماً به ما أهمله مؤلّفها، وقد بلغت أبياته (واحداً وسبعين ٧١ بيتا) على نسق اللّامية، بحراً ورويا[2].

٢- الطُّرّة : وهي عبارة عن حاشية موجزة، مركّزة، يرمي منها ابن زين إلى توضيح غوامض (لامية الأفعال، واحمراره) هو عليها، وما استغلق منها. وهو نمط من الشروح شائع في المحظرة الشنقيطية، حسب ما سبق تبيانه[3].

١- تقريب طُرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك، ج١، ص٩١، ٩٣، ١٠٢.

٢- تحقيق الأستاذ عبد الحميد الأنصاري لطُرّة الحسن ولد زين، مصدر سابق، ج١، ص ١١٠، فما بعدها.

٣- المصدر نفسه، ج١، ص١٢١.

وطُرّة ابن زين أهمّ مقرّرات مادّة التصريف في المحظرة الشنقيطية، والمقرّر الأوّل، إن لم تكن المقرّر الوحيد. كما هو الحال مع طُرّة المختار بن بونا على ألفية ابن مالك، والاحمرار، في النّحو. ولصعوبة فهْم الطُّرّة على الدارسين قام العلّامة محمد سالم بن عدّود(ت١٤٣٠هـ) بعمل عليها، سمّاه (خياطة وترشيحا)، وهو عبارة عن حلّ ألغاز التوشيح (الطُّرّة)، وإيصال « الألفاظ بالمعاني، والمعاني بالألفاظ»[١].

ثمّ قام المحقّق الكبير عبد الحميد الأنصاري الشنقيطي بتحقيق هذه الطُّرّة تحقيقا ممتازاً (سنة٢٠٠٨م)، قلّ نظيره حقيقة، سمّاه (قرّة العين على توشيح ولد زين)، وهو متوافر الآن في المكتبات الشنقيطية. وقد أشاد المحقّق بما بذله من الجهد في هذا العمل، وحُقّ له ذلك، إذ قال : «لقد قمت بعمل لم أُسبَق إليه في هذا الكتاب، وذلك لأهمّيته كمقرّر محظري أساسي ووحيد في البلد، ثمّ لشدّة وعورة فهْمه، ونبوّ ألفاظه، ودقّة معانيه. فاشتغلت به مدّة غير قصيرة من العمل الجادّ، الذي لم يعرف التعطّل، ولا الكلال؛ لأقدّمه زُبدة صافية لطلبة المحاظر، الذين أَعْمَتْهم المخطوطات المتشابكة»[٢].

ومن أبرز جهوده في هذا العمل الفذّ، أنّه ركّز على تبويب كلّ محتويات الكتاب، وتقسيمها إلى فصول محدّدة، وتوضيح مقاصد الشرح، وتخريج الآيات والأحاديث والآثار، وشرح الشواهد الشعرية شرحا مفصّلا، من حيث ضبطها في الحواشي، وذكْر القائل، والمناسبة ما أمكن، والبحر، وتبيين محلّ الاستدلال، كما عمل على إضافة حواشٍ لغوية ضافية، الغرض منها إثراء المادّة اللّغوية بضبطها، أو الاستدلال لها، والترجمة للأعلام والقبائل والمجموعات، الواردة في الكتاب، ووضع فهارس شاملة لهذه الموضوعات كلّها.

وإضافة الحواشي الموجودة في طُرّة محظرة (تنجغماجك)، و(بلْغربانْ)، وترصيع الحواشي أحيانا بالعديد من الأنظام، «تقيّد وزْنا، أو تضبط معنى»، والإتيان في نهاية الكتاب بجداول توضّح المادّة، وتسهّلها على الطّلاّب، وتذييل الكتاب بما لم يرد فيه من مخزون التراث الصرفي، كما قام بتذييله بملحق يتضمّن أمثلة بَحْرَقْ في شرحه على لامية الأفعال، المسمّى (فتح الأقفال، المشهور بالشرح الكبير)؛ لإفادة الدارسين[٣].

١- المصدر نفسه، ج١، ص ١١٠.

٢- المصدر نفسه، ص ١٢٧.

٣- المصدر نفسه، ص ١٢٨، ١٢٩.

وعليه أرى أنّ هذا التحقيق متميّز، جدير بالتقدير، بحواشيه الضافية، وتعاليقه الغنية الممتعة، ممّا جعل الكتاب كتابَ تصريف ولغة وأدب، أكثر المحقّق في حواشيه من الاستقصاء والتتبّع والمناقشة والتحليل. وعليه فقد أبدع هذا المحقّق الكبير، بإتحافه المحظرة الشنقيطية بهذا العمل الممتاز، الذي أثبت فيه أنّه عالم بحّاثة، متمكّن من أدوات التحقيق الفنّية، البحثية.

ج - جمع أنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية لعدد من العلماء الشناقطة : هذا عنوان عمَلٍ مُهمّ، قام به باحث كبير، متمكّن، هو الأستاذ محمّد محفوظ بن أحمد. فقد ذكرتُ في المَبحث الذي قبل هذا أنّ ظاهرة الأنظام النحوية، التي سيأتي الحديث عنها بتوسّع في الفصل الموالي ازدهرت ازدهارا كبيرا، لا مثيل له على أيدي العلماء الناهين من طلاّب المختار بن بونا (١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ)، وتلاميذهم، إذ تتبّعوا مسائل أبيات احمرار ابن بونا، وألفية ابن مالك، فرصّعوهما بكمّ غزير من الأنظام، إمّا تفسيرا وتوضيحا، وإمّا استدراكا وتتميما، فشكّلت إضافاتٍ وفوائد جمّة، وملحقاتٍ وحواشيَ ضافية ممتعة.

والطُّرّة هنا كما سلف ذكره هي الحواشي الشارحة لألفية ابن مالك والاحمرار عليها. وقد أشار الباحث إلى الحاجة الماسّة إلى هذا العمل، وصنيعه فيه، فقال : «ولمّا كان التركيز منصبّا على نَصّيْ نظْم ابن مالك، وتذييل ابن بونا، وكلّ ما يوضّح معانيهما ويُعمِّق فهمهما، فقد حذفنا بضعةَ أنظام قليلة تتعلّق بمسائلِ أجنبية، مرتبطة فقط ببعض حواشي (الطُّرّة)، وفي مقابل ذلك أثبتنا بعض أنظام الطُّرّة القليلة المقتطفة من كتب أخرى قديمة، نظراً لأهمّيتها في توضيح المعنى أو زيادة الفائدة»[1].

ثمّ قام محمّد محفوظ مشكوراً بجمْع هذه المادّة الضخمة من الأنظام، وحصْر ما أمكنه تتبُّعه منها، واستقصاؤه، وترتيبها ترتيبا رائعا مع الألفية والاحمرار، جاعلا إيّاهما في المتْن، مميّزا بينهما بلون الخطّ، وشكله، واضعا الأنظام في الحاشية تحت الخطّ، مستخدما الأرقام في الإحالات. واستطاع الباحث أن يجمع من هذه الأنظام ما غطّى به أبيات الألفية والاحمرار من بدايتهما حتّى النهاية، فبذلك أفاد وأجاد، إذ أتى بعمل جليل لم يسبق إليه، كما قال :

١- أنظام الطرّة في الفوائد النحوية لعدد من العلماء الموريتانية، ص٣.

«ونظرا للطابع التعليمي لعملِنا هذا فقد حرصنا على جمع وتصحيح التعليقات المنظومة التي أدرجها الموريتانيون في الطُّرّة، مع نصّ نظْم ابن مالك، ونصّ توشيح ابن بونا، وذلك لاستكمال المادّة النظمية، التي هي أساس المنهج التربوي التعليمي في المحظرة، وهو أمر نحسب أنّه مضاعف الأهمّية، إذ لم نقف على أيّ مجهود بُذل فيه من قبل، ونأمل بالتالي أن يقود إلى جمع وتحقيق.. هذه الأنظام، وإعطائها قيمتها العلمية والتعليمية الكبيرة ... فقد بذلت الوسع في سبيل جمع تلك الأنظام.. الموزونة من النُّسَخ المختلفة التي حصلت عليها، وفي البحث عن تحقيق أسماء أصحابها، ثمّ التعريف بهم ما أمكن ذلك»[1].

وتحدّث الباحث عن دواعي عمله هذا، والحاجة الملحّة إليه، فقال : «وإذا كانت (الطّرّة) قد أمنت من الضياع بسبب كثرة نُسَخها، وانتشارها، وفوزها أخيراً ببعض أيادي المحقّقين، فإنّها ما تزال بحاجة إلى جهود علمية ودراسات توثيقية، ليس بسبب اختلاف النسَخ والتباين الكبير في حجم ونوع التعليقات عليها، والإضافات الملحقة بها فحسب، ولكن أيضا بسبب الظروف التي اكتنفت إنتاج تلك التعليقات والإضافات، وظروف إدراجها في الكتاب، التي تختلف من نسخة إلى أخرى»[2].

وفيما يلي أورد نموذجا لإيضاح ما ذُكِر. قال ابن مالك في نهاية المعرب والمبنيّ، وابن بونا في احمراره المزوج بالخلاصة في الموضع نفسه، مع صنيع الباحث في الأنظام النحوية بالحاشية[3] :

مِن نون تَوكيـــدٍ مُباشرٍ (١) ومن ... نونْ إناثٍ (٢) كَيَرُعْـــنَ مَن فُتِنْ

وكـــــلُّ حـرفٍ مستحقٌّ للبنا ... والأصــــــلُ في المبنيِّ أن يُسّـكّنا

ومنـه ذو فتْــــحٍ وذوكسْرٍ وضَمّْ ... كأيـــنَ أمسِ حيثُ والساكنُ كمْ.

حــرِّكْ مِــنَ اجْلِ وَحْدَةٍ والساكنِ ... والشَّـــبَهِ المَبْنــــــيِّ والتمَكُّنِ

وافْتَـحْ لخِفّـــــــةٍ ولِلأَصْلِ كذَا ... فرْقٌ وإتباعٌ فَراعِ المَأخَـــــــــــذَا

واكْسِرْ لِذِي الثلاثِ واضْمُمْ واكْسِرا ... للحَمْــــلِ والساكِنِ مِن حيثُ يُرَى

١- المصدر نفسه، ص٣، ٢٧٥، فما بعدها.

٢- المصدر نفسه، ص ٢.

٣- المصدر نفسه، ص ١٩، ٢٠.

تَناسُبٌ واضْمُمْ لِخُلْفِ المُعْــــــرَبِ وكَوْنــــــــهِ كالواوِ فاعْلَمْ تُصِبِ(٣).

١ – ابّاه بن ابُّوه (مايزال حيّا) :

ما اتّصلَتْ في اللّفظْ والتقـــــدير نُــــونُ لَتُبْلَــوُنَّ يا سَمــِـيرِي

ولا يَصُدُّنَّـــــــــكَ في التقدير مـا اتّصَـلَتْ بـــــــهِ بلا نكِـــيرِ.

٢ – ولبعضهم :

نونُ الإناثِ ما بها قِد اتّصَــــــلْ فنَجْلُ طلْــــــــــحَةَ بِناءَهُ حَظَـلْ

ومعْهُ نجْلُ درسْتَـــــــــــــوَيْهِ كذا السُّهَيْلِي هكــــــــذا لَدَيْـــهِ.

– أحمد بن كدَّاهْ (ت١٣٣٧هـ) :

لم تُكْسَرِ الكافُ ولا واوُ القَسَــــمْ إذْ ليسَ جــــــــرٌّ بها بِمُلْتَــزَمْ

فالكافُ عنـدَ العُرْب تُظْهَر سُـــمَا والــــــواوُ للعطْف وغيره انتَمَى.

٣ – ابّاهْ يحظِيهْ بن عبد الودود (ت١٣٥٨هـ) :

إبْداءُ مــــا ناسَبَ لا الإثبــــاتُ لِثابتِ الأحكــــــــام توجيهاتُ.

فعلى هذا النسَق الواضح المفيد يسير الأستاذ الباحث محمّد محفوظ من بداية الألفية والاحمرار حتّى نهايتها، مُغطّياً بهذه التعليقات والاستدراكات النظْمية أبياتها. فرشَّح بذلك من جديد خلاصة ابن مالك، واحمرار ابن بونا عليها، وقدّمها في ثوْبٍ جديد حسَنٍ، مُفيد للدارسين والعلماء. فهو لم يُسبق إلى هذا التطريز الرائع، والترصيع الفريد من نوعه في المحظرة الشنقيطية، كما قال.

د- تسجيل التّكرار بشرح احمرار[١] الشيخ المختار بن بونا الجكني الشنقيطي (ت١٢٢٠أو١٢٣٠هـ). للعلاّمة محمّد فال(ابـّاهْ) بن عبد الله العلوي الشنقيطي، شيخ محظرة النَّبَّاغية المشهورة(ما يزال حيّا). يقول في مقدّمته : «وكنت كتبت هذا التعليق في حال استعجال واشتغال بالٍ، ثمّ أعدت النظر فيه»[٢].

١- مطبوع في ثلاثة أجزاء.

٢- تسجيل التكرار، ج١، ص١.

وكتاب (تسجيل التكرار) موزّع على كثير من الأبواب والفصول، مرتّبةً حسب ترتيب ألفية ابن مالك، واحمرار ابن بونا، وهو شرح متوسّط الحجم، خالٍ من الحشْو، مُزوَرٌّ عن الإطالة والإطناب المُملّين، دقيق التعبير، سلِس الأسلوب، أكثـرَ فيه المؤلِّف من المناقشة والتحليل، واستعراض آراء العلماء ومذاهبهم النحوية، قديما وحديثا في المشرق والمغرب، واعتنى فيه بتوضيح الإشكالات والمُستَغلَقات، وتقييد الإطلاقات، وتخصيص العموميات، فهو لذلك شرْحٌ ذوقيمة كبيرة لدى الدارسين والباحثين، «يروم شرحَ احمرار ابن بونا، متتبّعا أبياته.. بشيء من الدقّة والتفصيل، يرمي من ورائه إلى تقييد المطلق، وتوضيح الغامض، ورصد المقيس المسموع، والتنبيه على المطّرد المستعمل، غيرِ مُهمِلِ الإشارة إلى النادر من اللّغات والشاذّ من الاستعمالات»[١].

وفيما يلي أورِد بعض النماذج للوقوف على منهجية مؤلّفه :

المراجعة والتمـحيـص : نجده يعتني كثيرا بمُراجعة آراء شيخ النحاة ببلاد شنقيط المختار بن بونا في الاحمرار والطُّرّة وتمحيصها، مُصوّبا، مُرجّحاً. من ذلك مثلاً :

- تعليقه على قوله في الاحمرار، مُمحِّصا، محقِّقاً[٢] :

لا بُدّ أنْ يُشـــــــارك المفضولُ في فضْلِهِ الفاضِـــــــلَ ذَا المَنقولُ :

« وفي بعض النُّسخ (وعليها قَرأْنا على بعض الشيوخ) روايةَ بيتِ الناظم هكذا :

لا بُدَّ أن يُشـــــــارِكَ المَفْضُولَا في فَضْلــــــــهِ الفاضِلُ ع المَقُولاَ.

.. ولا يخفى أنّ ما في النّسخة الأُولى أَوْلى»[٣]. إذ « لأنّ المعهود والأليق أن يكون المفضولُ هو الذي يُشارك الفاضلَ؛ لأنّه أولى منه بالفضل، لا العكس كما في النسخة الثانية»[٤].

- وكتعليقه على قول ابن بونا في الاحمرار[٥]

١- محمّد بن محمّد يحيى بن الدّوه، الإسهام الشنقيطي في درس أصول النّحو، بحث مقدّم لنيل شهادة الماستر في الآداب، من جامعة شنقيط العصرية، سنة ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م. ص٩٧، ٩٨.

٢- البيت الثاني من الاحمرار، الوارد بعد البيت الثالث من باب (أفعل التفضيل)، في الخلاصة.

٣- تسجيل التكرار، ج٢، ص٣٦٣.

٤- الإسهام الشنقيطي في درس أصول النحو، ص٩٨.

٥- البيت الرابع من الاحمرار، الوارد بعد البيت الرابع من باب النعت في الخلاصة. يراجع تقريب الطُّرّة، ج٢، ص٤٧٨.

وإنْ يــــكُ المُنَكَّرُ المُضـــــافُ لَهْ   مِنَ الجَوامِـــــــــدِ فَطِبقاً اجْعَلَهْ :

« وفي بعض النسخ روينا عن بعض الشيوخ البيتَ هكذا»[1] :

مُنَكَّـــــــرٌ لهُ أُضيفَ طَابَقَـــــا   مَوْصُـــوفَهُ وأَفْـــرَدُوهُ مُشتَـــقَـا .

– الشارح حادّ الذهن، كثير الاستيعاب، والإحاطة بالتراث النحوي الشنقيطي. من ذلك مثلا تعليقه على قول ابن بونا في الاحمرار [2] :

كَـثِّـــرْ بِـــرُبَّ وبــهـــا يُقَـــلَّـــلُ   وحَيْـــرَمَا كَـــرُبَّـــمَـا تُسْتَعْمَلُ :

«وفي نسخة بدلَ البيت»[3] :

كَثِّـرْ بـــِرُبّ قَلِّلَنْ قلِيـــــــــلَا   كَـربّ مَن أتَى هنا ثَقِيـــــــــــلَا.

– قد يستدرك على بعض أبيات احمرار ابن بونا، مُشيراً إلى أنّ ما في الطُّرّة الشارحة لها فيه ما يكفي عن ذكرها. من ذلك مثلا تعليقه على قول ابن بونا في الاحمرار[4] :

وزِدْ في الاَخبـــــــارِ على الماهيَهْ   إنْ وُجدَتْ في المُبْتَدَا جَلِيَّهْ :

«هذا البيت ساقط من بعض النسخ، ومؤخّر عن المسوِّغات في بعضها، ويُغني عنه تمثيله في الطرّة، لتمام الفائدة بمتعلّق الخبر بالآية : (بَلْ أَنتُم قَوْمٌ تُفْتَنُونَ.. ٤٩، النمل). يعني أنّه إذا فُهمت ما هية المبتدأ حال كوْنها جلية فيه لم يصحّ الإخبار عنه بها، إلاّ مع زيادة متعلّق تتمّ به الفائدة، كالصفة في الآية المذكورة آنفا»[5].

استـدراك وتصحيح :

– قد يستدرك على ابن بونا، مصحّحاً، مستعينا بأقوال العلماء وآرائهم. من ذلك مثلا أنّ ابن بونا عند قوله في الموصول الحرفيّ[6] :

وذَاكَ أَنْ والــوَصْــلُ فِعْلٌ صُـرِّفَا   وكَــيْ بـمَــا ضـارَعَ لِــلاَّمِ قَــفَـا.

١- تسجيل التكرار، ج٢، ص٣٦٥.

٢- البيت الثاني من الاحمرار، الوارد بعد البيت رقم ١٧، من باب حروف الجرّ، في الخلاصة. يراجع تقريب الطُّرّة، ج١، ص٣٨٤.

٣- تسجيل التكرار، ج٢، ص٢٢٩.

٤- ورد هذا البيت بعد قول ابن مالك في باب المبتدأ والخبر، في الخلاصة : (والخبرُ الجزءُ المُتِـمُّ الفائدهْ كاللهُ بَرٌّ والأيادِي شاهدهْ).

٥- تسجيل التكرار، ج١، ص١٢٣.

٦- البيت الثاني من الموصول الحرفيّ، في الاحمرار.

قال في الطُّرّة، متحدّثا عن صلة الموصول الحرفيّ: «ماضيا كان، أو مضارعا اتّفاقا»[1].
فعلّق الشارح على هذا الاتّفاق الوارد في الطّرّة قائلا: «وقوله في الطّرّة (ماضيا كان، أو مضارعا اتّفاقا)، أمّا بالمضارع فمُجمع عليه، وأمّا حكاية الاتّفاق بالماضي ففيها نظر؛ لأنّ ابن طاهر[2] مخالف فيها، مدّعيا أنّ الموصولة بالماضي ليست الموصولة بالمضارع؛ لأنّ (أنْ) الناصبة تُخلِّص المضارع للاستقبال فلا تدخل على غيره، كالسين وسوف، ولأنّها لو كانت الناصبة لحكم على موضعه بالنصب كما حكم على موضع الماضي بالجزم بعد (إنْ) الشرطية»[3].

- قال ابن بونا في (باب أفعال المقاربة) في كوْن الفعلِ الواقعِ خبراً يَرفع ضميرَ الاسم، ونُدُورِ رَفْعِهِ السببيَّ، أي الاسمَ الظاهرَ المتّصل به الضمير الذي يعود إلى الاسم[4]:

وارْفعْ ضميرَ الاسمِ حتْماً بالخبرْ ... ورفْعُهُ ذا سببيَّةٍ نَدَرْ.

وقال في الطُّرّة: «ورفعه ذا سببيّةٍ ندَر في عسَى، مؤوّل في غيرها»[5].

فرأى الشارح أنّ النّدور في (عسَى)، وعدمَ السماع في غيرها، فقال مستدركاً: «قلتُ: ففي قول الطُّرّة (ندر في عسى خاصّةً) نظر، فظاهرها النُّدور في عسَى، وعدم السماع في غيرها، وليس كذلك كما علمتَ...»[6].

- قد يذكر ابن بونا الإجماع في مسألة ما، فيتعقّبه الشارح، مبيّناً أنّه ليس بإجماع. قال ابن بونا في باب الظرف[7]:

ولم يُضَف شهرٌ لدَى الجميعِ ... إلاّ لِذي القرآن والرّبيعِ.

فعلّق الشارح قائلا: «وكوْن لفظ (شهر) لا يضاف إلاّ لأحد هذه الثلاثة صرّح به

١- تقريب الطّرّة، ج١، ص٩٣.

٢- أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي الأثري، ت٥٠٧هـ.

٣- تسجيل التكرار، ج١، ص٨٩.

٤- أوّل بيت من الاحمرار، في باب أفعال المقاربة.

٥- تقريب الطّرّة، ج١، ص٢٠٠.

٦- تسجيل التكرار، ج١، ص١٧٦.

٧- البيت ما قبل الأخير من الاحمرار، في باب الظرف، الوارد قبل البيت الأخير من باب الظرف، في الخلاصة.

ابن عصفور[١]، وهو المشهور بين الناس، كما في شرح ناظر الجيش[٢]، لكن مقتضى كلام المصنّف (ابن مالك) جواز إضافة (شهر) إلى جميع الشهور، وهو قول أكثر النحويّين»[٣].

وللأمانة ينبغي التنبيه إلى أنّ ابن بونا رحمه الله أشار في الطُّرّة إلى عدم الإجماع في المسألة، إذ قال : «إلاّ لذي القرآن رمضان، والربيع الأوّل، أو الثاني ورجب، قيل وذي القعد، وقيل في الجميع»[٤].

- قد يستدرك الشارح على ابن بونا توجيها نحويا، لايرى تعليله وجيها، ثمّ يذكر ما يراه صوابا. قال ابن بونا في الفصل بالضمير[٥] :

وافْصِلْ إذا أَوْلَيْتَهُ منصوبَا باللّام مَقرُوناً به وُجوبَا.

وقال في الطُّرّة شارحاً : «نحو إن كان زيد لهو القائـمَ، إذ لا يمكن جعله مبتدأ لِنصْب ما بعده، ولابدّ لدخول اللّام عليه»[٦]. فعلّق الشارح قائلا : «لكنّه يتوقّف على جواز إبدال المضمر من الظاهر، وسيأتي قوله : (لم يُبْدَلْ المُضْمَرُ مِمَّا أُضْمِرا ولا مِنَ الظّاهرِ[٧])، فالصواب في تعليل تعيُّن الفصلية في المثال أن يُقال : لامتناع الابتدائية لنصب مابعده، والتوكيد؛ لأنّ الضمير لا يُؤكِّد الظاهر.. والصواب في المثال : إن كنتَ لأنت القائـمَ»[٨].

- وقال ابن بونا في الفصل بالضمير أيضا[٩] :

أو تاليـــــــــاً لِمُظْهرٍ قد نُصِبَـا وبِابْتِدَا عـــن بعضهمْ قــد أُعرِبَا.

وأضاف في الطُّرّة : «كظننت زيداً هو القائـمَ؛ لامتناع الابتدائية والبدلية؛ لنصب ما

١- أبو الحسن الإشبيلي، ت٦٦٩هـ.

٢- محبّ الدين محمّد بن يوسف ناظر الجيش، ت٧٧٨هـ. / صاحب شرح التسهيل، المسمّى : تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد.

٣- تسجيل التكرار، ج٢، ص١٠٥.

٤- تقريب طّرّة ابن بونا، ج١، ص٣١٧.

٥- البيت السادس من فصْل ضمير الفصْل، من الاحمرار. في باب النكرة والمعرفة، من ألفية ابن مالك.

٦- تقريب الطّرّة، ج١، ص٧٨.

٧- البيت الأوّل من الاحمرار بباب البدل. يراجع تسجيل التكرار، ج٢، ص٤٤٤.

٨- تسجيل التكرار، ج١، ص٦٨.

٩- البيت السابع من فصْل ضمير الفصْل، من الاحمرار. في باب النكرة والمعرفة، من ألفية ابن مالك.

قبله وما بعده»[1]. فعلّق الشارح مستدركا : «لم تظهر فائدة اشتراط النصب.. لأنّه لا يجوز إبداله من الظاهر ولا توكيده، نُصِب أم لا.. وأمّا إن تَـلا مضمرا فلا تتعيّن فصليته لجواز تأكيده به»[2].

- يهتمّ كثيرا بِفَكّ رموز كلام ابن بونا، وتفسير ما استغلق منه. قال ابن بونا في باب العدد [3] :

ولا يُضـــاف ما كَـاثْـنَـيْ عشرَا وكـــلُّ ما أُضِيفَ لـــن يُفَسَّرَا.

وأضاف في الطُّرّة : «وكلّ ما أضيف من غيرهما إلى مستحقّ العدد لن يُفسَّر بالتمييز لِـتعيـينهما»[4]. فعلّق الشارح قائلا : «وقول الناظم (وكلّ ما أضيف لن يُفسّرا)، يعني أنّ كلّ ما أضيف من العدد إلى مستحقّ المعدود لن يُفَسَّر بالتمييز لاستغنائه عنه؛ لأنّك إذا قلت : عِشروكَ، فقد خاطبت من يعرف العشرين المنسوبة إليه، ولا تقول : عِشرو زيد، إلاّ لمن يعرف زيدا وعشريه، كما أنّك لا تقول : غلام زيد، إلاّ لمن يعرف الغلام وزيدا.. يعني أنّ الإضافة على معنى العهد... أقول : وقد يُجاب بأنَّ كوْن الإضافة للعهد.. يقتضي العهد في جنس المعدود، فظهر وجه الاستغناء بالإضافة حينئذ عن ذكر التمييز»[5].

- والشارح يـتمتّع بأمانة عالية، ليست باليسيرة، إذ يُسنِد الأقوال والآراء إلى أصحابها، مُصرِّحا بالمؤلِّفين ومؤلّفاتهم، وهو ما يندر عند كثير من المؤلِّفين، مستقصيا أقوال العلماء ومذاهبهم، مُوازنا بينها، مع كثير من التمحيص والدقّة والصرامة والفحْص، كما أثْـرَى شواهدَ جامع المختار بن بونا الغزيرة جدّا بكثير من الشواهد الشعرية المُستلّة من كتب التراث. ممّا جعَل هذا الكتاب دُرّة ثمينة يحتاجها الباحثون والدارسون بإلحاح، إذ هو مراجعة شاملة، دقيقة للتراث النحوي ببلاد شنقيط خصوصا، وببلاد المشرق والمغرب عموما.

١- تقريب الطّرّة، ج١، ص٧٨.

٢- تسجيل التكرار، ج١، ص٦٩.

٣- البيت رقم ١٣، من الاحمرار، الوارد بعد قول ابن مالك في الخلاصة في باب العدد : (وبابه الفاعلَ من لفظ العددْ بحالَتيْه قبلَ واوٍ يُعْـتمَـدْ).

٤- تقريب الطّرّة، ج٢، ص٦٧٣.

٥- تسجيل التكرار، ج٣، ص١٦٣.

– والنصّ التّالي يعبّر تعبيرا صادقاً عن ما ذكـرْت. قال المختار بن بونا في باب عطف النسق [1] :

بالزّيــــدِ الاَخفَشُ الكَبيرُ يَحْكــــمُ   لِلفــــاءِ والــــواوِ وذَاك أَسْلَـمُ.

فعلّق الشارح قائلاً :

يعني أنّ الأخفش الكبير يحكم على الفاء والواو بالزيادة، كقول الشاعر [2] :

وقائلةٍ خَـــولانُ فانكِـــحْ فَتاتَهم   وأُكْــــرُومةُ الحيّين خِلــوٌ كما هِيَا.

وكقوله تعالى : [فَإيّايَ فَارْهَبُونِ]{٤٠، البقرة}. والزائدة هي الداخلة على الفعل؛ لأنّ (إيّايَ) منصوب على الاشتغال، وهي (أي الفاء) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وما لا يعمل لا يُفسِّر عاملا في باب الاشتغال. وقوله [3] :

أَرَواحٌ مُـــــوَدِّع أمْ بُكـــــــورُ   أنتَ فـــــــانظرْ لأيِّ ذاكَ تَصيرُ.

وقيّد الأعلمُ والفرّاء وجماعة جواز الزيادة في خبر المبتدأ بكونه أمراً كما في البيتين، أو نهياً، نحو (زيداً فلا تضربْه)، وقال ابن برهان : تزاد عند أصحابنا جميعا، يعني البصريّين، كقوله [4] :

لا تجْزَعِي إنْ مُنْفِسٌ أهْلَكْـــــــتُهُ   وإذا هَلَكْتُ فعنـــدَ ذلكَ فاجْـزَعِي.

والمنقول عن سيبويه : أنّه لا تثبت زيادة الفاء أصلا، أمّا زيادة الواو فكقوله [5] :

ولقد رَمقْـــــتُكَ في المجالسِ كلّها   فــــــإذا وأنتَ تُعينُ مَن يَبغيِني.

وقول الآخر [6] :

فَما بالُ مَنْ أسْعَـــــى لِأجْبرَ كَسْرَهُ   حِفاظــاً ويَنوِي مِن سفاهتِهِ كَسْرِي.

قال الدّماميني : ويمكن أن تكون الواو في هذه عاطفة، والمعطوف عليه مقدّر، حذف

١– البيت الرابع من الاحمرار، الوارد بعد بيت ابن مالك في باب عطف النسق، في الخلاصة : (والفاءُ للترتيب باتّصالِ وثمّ للترتيب بانفصالِ). يراجع تقريب الطّرّة، ج٢، ص٥١٣.

٢– من الطويل، من شواهد سيبويه الخمسين، المجهولة القائل. يراجع مغني اللّبيب، ص١٧٢. رقم ٢٩٧.

٣– من الخفيف، لعديّ بن زيد العبادي. يراجع مغني اللّبيب، ص١٧٢. رقم ٢٩٨.

٤– من الكامل، للنمر بن تولب. يراجع المغني، ص١٧٢، رقم ٢٩٩.

٥– من الكامل، لم أقف على قائله. يراجع مغني اللّبيب، ص٣٥١، رقم ٦٧٦.

٦– من الطويل، لابن الذّئبة ربيعة بن عبد ياليل، وقيل لوعلة بن الحارث. يراجع مغني اللّبيب، ص٣٥١، رقم ٦٧٥.

للدلالة عليه، أي (فما بالُ مَن أسعى لجبره مراقبةً لحاله يهملِ أمري وينوي، إلخ)، وحمل على الزيادة الواو في قوله تعالى : [حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا] {٧٣، الزمر}، بدليل الآية الأخرى، وقيل عاطفة، والزائدةُ الواوُ في : [وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا] {٧٣، الزمر}، وقيل هما عاطفتان، والجواب محذوف، أي كان كَيْتَ وكَيْتَ، وقيل الواوُ حالية، والمعنى : جاؤوها حال فتْح أبوابها إكراما عن أن يقفوا حتّى تفتح، وكذا البحث في قوله تعالى : [فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّـهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ]{١٠٤،١٠٣، الصّافّات}، فإحدى الواوين زائدة، وقيل للحال، وقيل عاطفتان، والجواب محذوف...إلخ[1].

فهذا التحليل الشامل والمناقشة المستفيضة، والتتبّع والاستقصاء، والتمحيص لأقوال العلماء ومذاهبهم، من سمات هذا الكتاب القيّم، وهو ما دعاني لنقْل هذا النصّ على طوله ــ وما نقلته جزء فقط من نصّ طويل في المسألة ــ لأدلّل به على ما ذكرت ممّا يتمتّع به من الجودة والحُسْن في موضوع مراجعة التراث النحوي وتمحيصه ببلاد شنقيط في هذه الحقبة.

الفصل الثاني : المباحث والقضايا

يناقش هذا الموضوع مجموعة من الظّواهر النحوية، التي شاعت في المحظرة الشنقيطية على نطاق واسع، حتّى أصبح بعضها سمة من سماتها البارزة، الخالصة لها، وهي : ظواهر الأنظام، والطُّرّر، والملخّصات، والألغاز، والأحاجي، والمناظرات، والطُّرَف، والاستدراكات، ووَضْع القواعد النحوية الشاملة للمسائل والجزئيات، والأصول الاستدلالية التي يُحتجّ بها ويُستدلّ على إثبات الأحكام الجزئية، والمسائل الفرعية، كما يناقش مصادر النّحو العربيّ بالبلاد. وفيما يلي توضيح ذلك.

أوّلاً – المباحث

المبحث الأوّل : ظاهرة الأنظام والطُّرَر والمُلَخَّصات النّحوية

من السّمات البارزة للمحظرة الشنقيطية بروز ظاهرة الأنظام والطّرر والملخّصات على نطاق واسع، والتي من أهمّ أسبابها، فيما أرى، أمران اثنان :

١- تسجيل التكرار، ج٢، ص٤١٨ – ٤٢٠..

أوّلهـــا : الاهتمام الكبير لدى الشنقيطيين بحفظ النصوص، واستظهارها عن ظهر قلب، فالنصّ المدروس لابدّ من حفظه قبل شرْح الشيخ، أو بعد شرحه مباشرة على الأقلّ، وهو شيء معروف لديهم وشائع، لا يعرفون غيره، فكلّ ما يكتبونه في الألواح ويمحونه منها فهو بالضرورة محفوظ عندهم في الصدور، فعلمهم محمول في صدورهم حيثما ارتحلوا وحلّوا، فهو من سمات تميُّزهم وخصوصيتهم إلى يومنا هذا، وإن كان بشكل أقلّ من السابق، لذلك يقولون باللّهجة العربية الملحونة (الحسّانية) : (أَلِّ مامْعاهْ النصْ يَـبْقَى يِطَّمَّصْ، أو يِتْبَعْرَصْ)، أي الذي لا يحفظ النّصّ فهو مُرتبِك، والرؤية لديه ليست بواضحة كالأعمى. وممّا يحفظونه في هذا :

«كَتْبٌ إجازةٌ وحِفْظُ الرّسْـــــم ... قـــراءَةٌ تدريسٌ أخْـــذُ العلم
ومَن يُقدِّم رُتبـــةً عن المَحـــلْ ... من المــــراتب المَرَامَ لم يَنَــــلْ»[1].

ولأجل تسهيل الحفظ شاعت عندهم هذه الظاهرة وأحبّوها، وهم في ذلك مُقلِّدون لأستاذهم الكبير، شيخ النحويّين، محمّد بن مالك الأندلسي، إذ كانت جهودهم امتدادا لمذهبه النحوي، حيث احتضنوا كلّ ما كتبه في لغة الضّاد، من نحو وصرف ولغة، متأثّرين به، مُكثِرين عليه من الشروح، والحواشي، والطُّرَر، والتعليقات، والاستدراكات، كما سَلَف، فألفيته وكافيته في النحو، ولاميته في التصريف، والمقصور والممدود والمُثَلّثات له في اللّغة، كلّها أنظام، وغيرها من أنظامه التعليمية، وهي أهمّ مُقَرَّرات اللّغة العربية في المحظرة الشنقيطية دون منازع.

علما بأنّ ظاهرة حفظ النصوص واستظهارها في الصدور قديمة في الثقافة العربية الإسلامية، معروفة فيها، فممّا يُنسب للإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) رحمه الله قوله :

عِلْمي معي أينَما يَمّمْتُ أحْمِلُـــهُ ... في باطنِ الصّدْرِ لا في جَوْفِ صُندوقِ
إن كنتُ في البيتِ كان العلمُ فيه معي ... أوكنتُ في السوقِ كان العلمُ في السوق.

فكثيراً ما تمثَّل الشنقيطيون هذين البيتين، واستأنسوا بهما في الموضوع. ويُذكر أنّ كتب أبي محمّد ابن حزم(ت٤٥٦هـ) أُحرِقت، فقال :

فإن تحرقوا القِرْطاس لا تَحْرقوا الذي ... تَضَمَّنَهُ القِرْطاسُ إذْ هوَ في صَدْرِي .

١- من محفوظات الدكتور سيدي عبد القادر، الشاعر النحويّ، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. بتاريخ١٣/ ٠٦/ ٢٠١٤م.

وهو أحد علماء الأندلس، الذين هم قدوة الشنقيطيين، ومثلهم الأعلى في العلم والمعرفة[1].

ثانيهـــما : قلّة المصادر وندرتها في البلد، حيث كانوا يجلبون ما استطاعوا جلبه منها من المملكة المغربية ومصر، على وجه الخصوص بمشقّة بالغة، وأسعار باهظة، لذلك كانت أمّهات الكتب(مع قلّتها) لا تتوافر إلاّ عند الخاصّة من العلماء، فيذكر أنّ العالم الشنقيطي الأصولي سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي(ت١٢٣٣هـ) أُهدِيت له(وهو عائد من مصر) فرسٌ من عتاق الخيول المصرية، المعروفة بالكُحَيْلاتْ، وعندما سئل عنها ببلاده شنقيط قال : جعلتها حَطَّاباً (شرح مختصر خليل في الفقه المالكي [2]). أي جعل فرسه العتيقة التي حاجته إليها ماسّة لتحمله إلى بلده النائي، ثمناً لهذا الكتاب. فكان ذلك من الأسباب الرئيسة لبروز هذه الظواهر وشيوعها لدى القوم بشكل بارز.

وقد أسلفت نماذجَ من ظاهرة النظْم في مواضع متعدّدة لغرض التمثيل، غير أنّي أردت الحديث هنا عن أصلها بشكل أعمق ضمن الكلام عن الخصائص والسمات النحوية البارزة، التي امتازت بها المحظرة الشنقيطية بوضوح، دون غيرها من مراكز العلم والتربية في الحواضر العربية الإسلامية.

أوّلاً : **ظاهـــرة الأنظام** : وهي أبرز الظواهر وأكثرها شيوعا في الأوساط المحظرية، إذ كان اهتمامهم بها على نطاق واسع، سواء أكانت أنظاما لكتب وافدة، أم أنظاما محلّية مستقلّة. وقد سجّل الدكتور محمد المختار بن ابّاه كلمة طيّبة عن هذه الظاهرة عند النحويين ببلاد شنقيط، إذ قال :

«لقد قام علماء المحاظر بصناعة تحويلية، انتزعوا أصولها الأولى من كتب ابن مالك، ثم استمدّوا فروعها من أدوات ابن هشام، وأعادوا إليها تنبيهات الأشموني، وتخريجات ابن الدماميني، فصنعوا من هذا المزيج مجموعة هائلة من القطع المتنوّعة، قدّموها بضاعة منظومة في دروسهم الشفوية، حتى استطاعوا بذلك خلق ثقافة نحوية نزلت عن طور الاختصاص العلمي إلى مستوى الأدب الشعبي، فصارت تمارس لذاتها، ويتذوّقها الناس في المجالس، وإن كانت قد ابتعدت عن أهداف النحو الأساسية بسبب استقلالها

١- الوسيط، ص٣٨.

٢- المنارة والرباط، ص٢٧٥. ينظر مزيد في ص ٢٧٤.

عن الدراسة اللغوية عموما، فأضحت تغذّي نوعا من الترف الفكري»[1].

وفيما يلي أُورِد بعض الأمثلة، علاوة على ما سلف ذكره :

١- أرسل سيدي أحمد بن سيدي محمد بن موسى بن أيجل الزيدي (ت١١٧١هـ) بيتين اثنين لِعمر بن بابا بن عمر بن علي بن اندعبد الله بن سيدي أحمد الولاتي (ت١١٤٥هـ) يسأله فيهما عن مصادر (أَنى وأيـانَ وآنَ)، وهما :

ألاَ ياإمـامَ النّحـوِ قُـطـــبَ زمانِهِ ... ومَنْ أنتَ ذو ذِهْنٍ صَقيلٍ وذوفَهْـم

فَهَـــلْ لأَنَى أَيَانَ آنَ مـــصــادِرٌ ... تَبـدَّتْ لكمْ أنوارُها عن ذَوِي العِلْمِ

فأجابه بالأبيات الآتية :

أيا سائلاً مستفـهماً عـــن مصــادرٍ ... لآنَ أيانَ مـــعْ أَنى فُـزْتَ بـالغــنم

فَرِدْ لُجَّةَ القامـــوسِ وِرْداً تَجِدْ بها ... مصــادِرَ للفعليْنِ إن كُنتَ ذا كــرم

فـآنَ لـهُ أَيْـنٌ فَـــــــقطْ وأَنَى لهُ ... أَنيً وإنًى مِـنْ بعـــدِ إنْيٍ بـلا وَهْـــم

وشكلُكَ ذالَ الذِّهْـــنِ بالضّمّ غفلةٌ ... وحــقُّكَ لا أنيً قَصَدتَ أخا الحـلم

فَذِهْنٌ بـكسرِ الذالِ خُـــذْهُ تَبـرُّعاً ... ولِي فَـادعُ بالغُـفران والحسن للخَتْمِ[2].

وهي إجابة توحي بتمكّنه من فنّ التصريف.

٢- سيدي محمّد بن سيدي عبد الله العلوي(ت١٢٥٠هـ)، له[3] : سواطع الجمان في ذكر المعاني من الأوزان: (منظومة في تصريف الأفعال). وهو مطبوع في نحو سبع صفحات، عدد أبياته (اثنا عشر ومائة ١١٢ بيتاً) من الرجز. وقد ألحقه الأستاذ عبد الحميد، محقّق طرّة الحسن بن زين بتحقيقه للطّرّة، مصحَّحا تصحيحا دقيقا، وعلّق قائلا : «هذا كتاب شنقيطي في علم الصرف ألّفه سيدي محمّد... ناظما لما جاء في لا مية الأفعال من تصريف الأفعال... اعتمد فيه على الحضرمي[4]

١- تاريخ النحو العربي، ص٤٣٨.

٢- فتح الشكور، ص٣٢٦.

٣- الوسيط، ص٨٣، والمنارة والرباط، ص٥٥٨.

٤- يقصد فتح الأقفال شرح (لامية الأفعال لابن مالك) للحضرمي، وتسهيل ابن مالك .

والتسهيل، ولم يزد عليهما شيئا، واقتصر على ما يتعلّق بالأفعال»[1].

وقد تحدّث المؤلّف في المقدّمة عن موضوع نظمه ومصادره، قائلا :

فهـــــاك نظماً فيه ما أَهَـــــــمَّا ... منه مُـــــــــــبَيِّنا لِما ادْلَـــهَمَّا

حرّرتُه مُتَّبِـــــعا للأكــــــــرَمِ ... محمّـدِ بنِ مـــــالكٍ والحضْـرَمِي

وربّمـــا أتيت بالشـــــــواردِ ... مـن الدمــــــامينيِّ والمــــساعدِ[2].

وربّماغرفت مـــــن مـــعـــــينِ ... قاموسِ بـحرِ الدُّرِّ مجدِ الـــدينِ

سمّيته ســـواطـــع الجمـــانِ ... فـي ذكْرِ الأوزانِ وفي المعــــــاني[3].

وقد جعل نظمه في بابين اثنين بعد المقدّمة : الأوّل من أربعة فصول، خصّصه لأبنية الأفعال المجرّدة ومعانيها وتصاريفها، ووجوه عين المضارع من الثلاثيّ، والثاني، من فصلين، لأبنية الأفعال المزيد فيها ومعانيها، وحركة صدر المضارع، وعيْن غير الثلاثي منه، وكيفية صَوْغ فعل الأمر. وهو نظم سلِس الأسلوب، سهْل المعنى، دقيق التعبير. منه قوله مثلا في اشتراك أوزان الثلاثي، واتّصال تاء الضمير، أو نونه بها :

واشْتَرَكَ الأوزانُ في فِعْـــلٍ وقـدْ ... يَشْــــتَرِكانِ اثنانِ مـــنها كَبَرُدْ

وانْـقُـــــــلْ لِفائِهِـنَّ شَكْـلَ عَيْنِ ... مُعَـــلَّةٍ مِنْ قَبْـــلِ تا أَوْ نُـــونِ

ما لَمْ يكُنْ فَتحاً فَعَوِّضْ وانْقُــــلاَ ... مُجانِســــــاً ونَقْلُ ذا قـــــدْ حُظِلاَ.

وقد شرحه بشرح أسماه : (نجم الحيران شرح سواطع الجمان). ذكرالأستاذ عبد الحميد محقّق طرّة ابن زين أنّ بحوزته نسخة مخطوطة منه، ووصفه بأنّه « نفيس للغاية... في١٣٢ صفحة»[4].

٣- عبد الودود بن عبد الله بن محمّذن بن انْجُبنانْ الحيبلّي(ت١٢٦٨هـ)، بارع في النظم[5]، ترك كثيرا من الأنظام الضابطة للمسائل النحوية .منها مثلا قوله في

١- تحقيق الطرّة، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٧٩.

٢- شرحان من شروح تسهيل ابن مالك. فشرح الدماميني لبدر الدين محمد بن أبي بكر، المصري، المعروف بالدماميني. وشرح المساعد لابن عقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري.

٣- تحقيق الطرّة، ج٢، ص٦٨٣.

٤- تحقيق طرّة بن زين، ج٢، ص٦٧٩.

٥- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٣٧٤.

عامل الظرف :

وجـــــاز جرّ فاعــلِ في خـَمْسِ ... مـسائِلٍ أتتْ بــدونِ لَـبْـــــــسِ
يُجَـرُّ باللاّمِ كَـهَيْــــهاتَ لـــــِمَا ... ومِنْ كَمِثْلِ (مِن بَـشِيرٍ)[1] فَاعْلَـــمَا
وجــاز أنْ يُجَرَّ بالبـاءِ كـــــــما ... في قولهِ جلَّ (كَفَــــى)[2] فَلْتَعْلَـمَا
واجْرُرْهُ بالمصــــــدر إنْ أُضِيفَــا ... إلـيـهِ واسْـمـهِ ولا تَـــحِــــيفَا[3].

٤- بَبَّها محمّد فال بن محمّذن العاقلي(ت١٣٣٤هـ)[4]، له العديد من الأنظام النحوية، منها مثلا ما نظَمَه مِن «ضَبْط ما يكون به الجواب عن(كَمْ، ومَتى) الاستفهاميتين»[5]:

ما كالشِّتا وجُمَادَى والخَـــريفِ أَتَى ... لِكَمْ جواباً كما أتى جوابَ مَـــتَى
وما كَدَهْرٍ وحِينَ لا يُجابُ بـــــــهِ ... ومــا كَخَمْسِ لُـيَـيْلاتٍ لِكَمْ ثَبَـتَا
أمّـا مَتَى فَبِما كالأرْبِـــــــعاءِ أَتَى ... جَوابُها وكَشَهْرٍ إنْ أُضِـــيفَ أَتَى
وليسَ كُـــلُّ فتىً يَدْرِي حَقيقةَ ذَا ... إنَّ التَّنَـاوَةَ[6] تُطْفِي فَهْــمَ كُلِّ فتَى.

٥- محمد الأمين بن أبي المعالي اليعقوبي(ت١٣٣٦هـ)[7]، له العديد من الأنظام، منها مثلا:

-نظْمه (رَوْض الحَرُونْ مِن طُرّة ابن بونْ) لعبد الودود بن عبد الله الحيبلي (ت١٢٦٨هـ). يقول في مقدّمته (رجز)[8] :

وبعدُ فا لقصدُ نِظــــــامُ الرَّوْضِ ... أرجو بهِ شَرابَ عَذْبِ الحـــوْضِ
رَوْضُ الحَـرُونِ كاسْمِهِ قـد راضَا ... مِــنْ طُـــرّةٍ ما اعْتَرَضَ اعْـتِراضَا[9].

١- يقصد قوله تعالى : (مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ). من الآية ٢١، المائدة.

٢- يقصد قوله تعالى : (وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً). من الآية ٣، سورة الأحزاب مثلا.

٣- مجموعة أنظامه في معجم المؤلّفين الموريتانيين في القطر الشنقيطي، لسيدي محمّد بن محمّد عبد الله بن بَـزَيْد. ص٩٠، فما بعدها.

٤- المنارة والرباط، ص٥٩٣، وحياة موريتانيا، ص٦٩، وتاريخ النحو، ص٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص١٩.

٥- تاريخ النحو، ص٥٣٦.

٦- هي ترْكُ المذاكرة. اللّسان، مادّة (تنـو).

٧- المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٧٩.

٨- مجموعة شعرية ونظمية، مخطوطة بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية، ص٢.

٩- المخطوطة الشعرية والنظمية، ص٢.

وهو نظم جيّد السبك، سلِس الأسلوب ، سهل المعنى، كثير التفصيل، وذلك مع ضيق النظم. خذ على سبيل التمثيل نموذجا من نظمه في باب الكلام وما يتألف منه :

وقوله القولُ على الأصـــحِّ مـــا　　دلَّ على معـــنىً بِوجـــــــهٍ عُلِما
قـابَلَه قـــــولانِ للأعْـــــلام　　فمِنهما مُـــــرادِفُ الـــــكلام
وفيـه للتّركيب قـــــولٌ ذَهَبـــوا　　أَفـــــــــادَ أوْلا ذلكَ المُركَّــبُ

وخذ نموذجا آخر من مسائل الفاعل، حيث يرى البصريون وجوب ورود الفاعل بعد الفِعْل وشبهه، بينما يرى الكوفيون عدم وجوب ذلك :

وكَوْنُه مِـن بعد فِعــــــلٍ لم يَجِـبْ　　لِلْكـــوفي والبصريُّ مِنْ ذاكَ عَجِـبْ
والكوفي قـــد أيَّـــدَه تَأْيـيــــداَ　　مـا لِلْـــجمالِ مشْـــيُـهاَ وَئِــيداَ[1]
ومَشْـــيُها قبْـــلَ وَئِـــيـــداً أوَّلاَ　　مَــنْ أوّلـــوا إن كــانَ مِــمّا بـدَلا
(وبـــــدَلُ المُضَمَّـــنِ الهمْـــزَ يَــلِي[2]　　هَـــمْــزاً) بــه مَــرَدُّ ذاكَ الـبـدلِ
ومـشيُها مبـــــتـــدأٌ والخبـــــرُ　　(يُوجَدُ) مِـنْ قبلِ وَئِـيداً قَـــدَّرُوا.

مناقشة علمية، تنمّ عن مقدرة نحوية عالية، وبراعة في النظم.

- كما أنّ له العديد من الأنظام النحوية الجيّدة، التي تعالج كثيرا من مسائل النحو والصرف[3]، توحي بأنّه نظّامة متميِّز، مولَع بالنظم.

٦- أحمد بن اجّمد اليدالي(ت١٣٥٨هـ)، ترك كثيراً [4] من الأنظام النحوية الضابطة للمسائل النحوية، منها مثلا نظْمه في الأمور التي يجتمع فيها التمييز مع الحال، والأمور التي يفترقان فيها. قال :

إجتمــــــــعَ التمـييزُ والحالُ معا　　في خمســـة مـــــنَ الأمور فاسْمَعا
اسمانِ فـضـــــــلتانِ منصــوبانِ　　في النُّـــكْرِ للإبهـــامِ رافـــعانِ

١- صدر بيت من الشعر، وعجزه : (أَجَندَلاً يَحْمِلْنَ أم حديداَ). من الرجز، نسبه ابن هشام في المغني بحاشية الأمير، ج٢، ص١٤٥ للزبّاء بنت عمر .

٢- من البيت رقم٧، من باب البدل في الخلاصة.

٣- مخطوطة شعرية ونظمية، ص٣.

٤- المنارة والرباط، ص٥٣٩، والألفية وتأثيرها، ص١٨، وأنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٢٧٥.

واختــــــلفا في سبـــــعـــة فالحالُ	يجيء جمـــــــــلـةً وذا محـــــــالُ
في غيره والحــــــــالُ للـــــهيئاتِ	يُـبـيـــــنُ والتميـــــيزُ لـلذواتِ
والحالُ قـــــد يُلفَى عليه يَقِـــفُ	مـــعنىَ كلامهـــــمْ كما سيـعرفُ
في قول شاعر حَكـــــيم ولبـــيب	فإنّما المَيْـت الذي عاش كـــــئيب
والحالُ قـــد يجيءُ ذا تـعــــــــدُّدِ	بــعـكـس تمـــــــــييز بلا تردُّدِ
وجائزٌ تقـدُّم الحــــال عـــــلى	عـامـلـه إن يُصْــرَفـنْ وذاك لا
يجـوز في التمييز في الصــحـــيح	كـما في الاشمـوني والـتـــوضيح
والاشـــتــقاق غالبٌ في الحـــال	وحَــــــــدُّهُ أيضـا بذاك حـالُ
وعامـــل الحال بها قــد أُكِّـــدا	وذاك في الأشــــمـــوني بادٍ بـــــدَا[1].

٧- محمد الأمجد بن محمد الأمين بن أبي المعالي اليعقوبي(ت١٣٧٦هـ)، ترك[2] أنظاما عديدة في المسائل النحوية، بعض منها موَجَّه إلى صغار الطلّاب، منها مثلا :

- نظمُه مرفوعاتِ الأسماء، التي نظَمَها لابنه وتلميذه محمّد مختار(ت١٤١٥هـ) :

مبتـدأ وخـبَرٌ والفـــــــــاعلُ	ونائبٌ لايَشْغُـلَنْك شـــــــاغلُ
اسمٌ لِـكــــــانَ خــــبرٌ لِأنّـا	فـلْتَـكُ بيْنَ الخــــــــلق مُطمَئِنّا
(وتابِعُ المَرفــــــوعِ ماعنْهُ عَــدَلْ	نعتٌ وتوْكيدٌ وعطْــــــفٌ وبدَلْ) .

- ومنها أيضا في باب الإشارة :

تلكَ إشارةٌ لِجَمـعٍ يُوجَـــــــــد	مُـــذَكّـرًا كَ(تـلـكَ عادٌ جَحَدُوا)
لِعاقلٍ منــه وما لا يَعْقِـــــــــلُ	كَ(تلكَ الأيَّامُ ، وتلكَ الرّسُـــــلُ)[3].

- ومنها :

والـــــــــواوُ قد يأْتِي لِما لا يُعـقـلُ	مـــــشـالُهُ (ياأيُّها النّمْلُ ادْخُــلُوا)[4].

١- مجموعة شعرية ونظمية، مخطوطة، ص٣.

٢- المجموعة الكبرى، ج٢، ص١٧٨.

٣- الآيات على التوالي هنا : هود : ٥٩، آل عمران : ١٤٠، البقرة : ٢٥٢.

٤- ١٨، النّمل. مجموعة شعرية ونظمية، مخطوطة بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، ص٥.

وأنظامه تتّسم بالجودة والحسن.

٨- مجموعة أنظام نحوية ولغوية لعلماء شنقيطيين[١]. وهي مجموعة كبيرة، تبلغ أبياتها حوالي (ستّمائة ٦٠٠ بيت تقريبا)، مُرتّبة حسب أبواب ألفية ابن مالك، مُتَتَبِّعة إيّاها إمّا بالتوضيح وإمّا بالاستدراك، وإمّا بالتصويب. ولست هنا بقاصدٍ حصْر الأنظام النحوية عند الشنقيطين؛ لأنّ ذلك شيء مُتعذِّر لِغزارتها، وإنّما غرَضي إعطاء أمثلة معبّرة عن وَلَع القوم الشديد بظاهرة النظْم، التي صارت عندهم من أبرز السمات والمميّزات، التي اختصّوا بها وعُرِفوا .

ثانياً : ظاهرة الطُّرَر النّحوية : الطُّرّر جمع طُّرّة، كما سلف ذكره في الفصل الذي قبل هذا عند الحديث عن طُرّة ابن بونا على الخلاصة، وهي اصطلاحا في الثقافة الشنقيطية عبارة عن حاشية غالبا ما تكون موجزة، غير مترابطة الأطراف، مركّزة، مقتضبة أحيانا، متّسعة، وافية الشرح أحيانا أُخَر، تربطها بالمتن المشروح رموزٌ وأسهُم ومُنْحَنَياتٌ مُوجّهة، وكثيرا ما تكون مغلقة، يصعب فهمها على الدارسين، غير المختصّين. وقديما التجأ إليها الشنقيطيون بسبب قلّة المراجع وشحّ الورق. وقد أسلفت نماذج منها في الفصل الأوّل من هذا الباب. وفيما يلي أُحَلّل نموذجين اثنين منها :

١- محنض بابا بن اعْبَيْدْ الديماني (ت١٢٨٧هـ)، له : طرّة على ألفية ابن مالك[٢]، أهمّ سمات منهجه فيها :

- أنّها حاشية مقتضبة في بعض المواضع، بيْدَ أنّها مع ذلك وافية بالغرض الذي يرمي إليه الناظم. كتعليقه مثلاً على قول الناظم :

نكرةٌ قابل ألْ مُؤثّرا أو واقع موقع ماقد ذُكِرا :

«فيه التعريف كدار وفرس، فخرج ب(التأثير) : ما تدخله ألْ من الأعلام. (للمح): أصله كعبّاس وحارث. و(واقع) : في المعنى. ك(ذي) بمعنى صاحب، و(مَنْ) و(ما) في مررت بمَنْ مُعْجِب، وما مُعْجِب لك؛ لأنها في ذلك بمعنى إنسان وشيء، وكذلك إن

١- مجموعة أنظام نحوية ولغوية، مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية.

٢- توجد منها نسخ بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ٢٤٥، ١٢٥٣، ٣٥٩٠. وقد حُقّق منها (باب النعت إلى باب التأنيث) في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودَعة تحت رقم ١٤، بقسم الرسائل.

كانتا للشرط أو الاستفهام»[1].

ويوضّح هذا التعليق سمة بارزة من سمات الطُّرّة، وهي عدم الترابط والانسجام أحيانا بين جمل الحواشي وأساليبها.

- والاقتضاب الذي أشرت إليه فيها ليس بالسمة الغالبة عليها، بل قد تكون متّسعة، وتكون متوسّطة بين الإيجاز والإطناب، مع الشمول والدقّة في التعبير، وحشد الأمثلة المتلاحقة لإيضاح المسألة، وكشف غوامضها، كتعليقه مثلا على بيت الناظم :

وفي اختيار لا يجيء المنفصِلْ إذا تأتّى أن يجيءَ المتّصلْ :

«فنحو قمت وأكرمتك لا يقال فيهما : قام أنا، ولا أكرمت إيّاك، بخلاف ما لم يمكن اتّصاله للضرورة، كقوله[2]:

بالباعث الوارثِ الأمواتَ قد ضَمِنتْ إيّــاهــم الأرضُ في دهر الدهارير.

أولأنّه مبتدأ كأنا مؤمن، أو خبر كالقائم أنت،أو تابع كجاء زيد وأنت، أو محصور، نحو(أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ) : [٢٣، الإسراء]. وقوله[3] :

أنا الـــذائدُ الحامي الذِمارَ وإنّما يُدافع عن أحســابهِمْ أنا أو مثلي.

أوعامله مؤخّر، نحو(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)[الفاتحة : ٤]، أو نداء كيا إيّاك، أومصدر مضاف لمفعوله، نحو: ظفرت بنصرك أنا، أولفاعله الظاهر، كعجبت من حبّ زيدٍ إيّاك»[4].

- واستدلالاته غزيرة، متعدّدة، من القرآن العظيم والأحاديث الشريفة، والشعر العربي. من ذلك مثلا شرحه قول الناظم :

وصــل أو افصلْ هاءَ سَلْنيهِ ومــا أشبهــه في كنتُه الخلفُ انتمَى

كــذاك خِلــتَنــيــه واتِّــصــالا أختارُ غيـــري اختارَ الانـفـصالا :

«من كلّ ثاني ضميرين أوّلهما أخصّ، وغير مرفوع، وعاملهما غير ناسخ، فإن كان فعلا رجح الوصل، نحو: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ) : [البقرة : ١٣٧]، ومن فصله حديث :

١- ص١٩، من المخطوط.

٢- من البسيط. للفرزدق. وقد ورد ذكره في ابن عقيل، ص ٥٣.

٣- من الطويل، من قصيدة للفرزدق. ينظر في مغني اللّبيب، ص ٣٠٤، الشاهد رقم ٥٧٤، وطرّة ابن بونا مع تقريبها، ج١، ص ٦١.

٤- ص٢٠ من المخطوط.

(إنّ الله ملّككم إيّاهم، ولو شاء لملّكهم إيّاكم[1]). وإن كان اسما فالعكس إن كان أوّلُ الضميرين مجروراً لاختلاف محلّ الضميرين، كعجبت من حبِّي إيّاك، وقوله [2] :

لئن كـــــان حبُّكِ لي كــــــاذبا   لقد كان حُبِّيكِ حقّا يقينا.

في البابين، ومنه : (إن يكُنْهُ فلنْ تُسلَّط عليه، وإلاّ يكنْهُ فلاخيرَلك في قتْله[3]).

وقوله [4] :

بُلِّغْت صنـــــعَ امرئ بَرٍّ إخالُكَه   إذ لم تزلْ لاِكتســــاب الحمد مُبْتدِرا .

ومنه قوله[5] :

لئن كان إيّاه لقد حـــــال بعدنا   عـــــن العهد والإنسانُ قد يتغيّرُ.

وقوله[6] :

أخي حسبتك إيّـــــاه وقد مُلِئتْ   أرجاء صدرِك بالأضْغان والإحْـنِ»[7].

إنّها فعلا مناقشة مركّزة، شاملة لجوانب الموضوع، بأسلوب تعليمي، سهل، منساب، خالٍ من الحشو والإطناب. غير أنّه ممّا يُؤخذ على المؤلّف هنا عدم تعريجه على مذاهب النحويين، وتعدّد آرائهم في هذه المسائل، مع إشارات ابن مالك في النظم إلى ذالك. وربّما يعذر في ذلك لضيق الطُّرّة، ولأنّها موجّهة في الغالب للمتعلّمين المبتدئين.

٢- محمد بن محمد المامي بن عبد الله اليعقوبي(ت١٣٩٣هـ)، له : طُرَّة على نظم (عُبَيْد ربِّـه[8]). وهي من أحسن ما اطّلعت عليه من الطّرر، وأجوده . من سمات منهجه فيها :

١- لم أقف عليه بلفظه هذا. غير أنّ البخاري أورد في صحيحه، في كتاب العتق حديثا بهذا المعنى. ج٥، ص٤٨٠.

٢- من المتقارب. لم أقف على قائله، وقد ورد ذكره في التوضيح بحاشية التصريح، ج١، ص١٠٧، والطرّة بتقريبها، ج١، ص ٦٢.

٣- أخرجه الخمسة إلاّ النسائي عن ابن عمر.

٤- لم أقف على قائله، وهو من البسيط. وقد ورد ذكره في ابن عقيل بتحقيق محمّد محيي الدين، ص ٥٤، وطرّة ابن بونا بتقريبها، ج١، ص٦٤.

٥- لعمر بن أبي ربيعة. وقد ورد ذكره في في الأشموني بحاشية الصبّان، ج١، ١٣٠، والتوضيح بحاشية التصريح، ج١، ص١٠٧.

٦- لم أقف على قائله، وهو من البسيط، ورد ذكره في التوضيح بحاشية التصريح، ج١، ص١٠٧، وشرح ابن عقيل، ص ٦٤، والطرّة، ج١، ص٥٤.

٧- ص٢٠، من المخطوط. ينظر مزيد من هذا التحليل الشامل، وحشد الأمثلة للتّبيين والإيضاح ص٢١، فما بعدها من المصدر نفسه.

٨- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٤٨.

- أنّها وافية بالمعنى، واضحة الأسلوب، دقيقة التعبير، شاملة كثيرا من مسائل النّحو وأمّهاته، كثيرة الشواهد القرآنية، والشعرية دون عزو لها، وآثار الصحابة. كقوله مثلا : «باب الكلام وما يتألّف منه : وهو لغة القول، وما كان مكتفيا بنفسه كالخطّ والإشارة، وما يفهم من حال الشيء، وحديث النفس، قالت عائشة رضي الله عنها : (ما بين دفّتي المصحف كلام الله)[1]. وقال [2] :

إذا كلّمتني بالعيون الفواتـــــر ... رددتّ عليها بالدموع البـــوادر.

وقال [3] :

إذا حدّثتك النـــفس أنّك قادر ... على ما حوتْ أيدي الرجال فكذِّبِ.

وقوله[4] :

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّمـــا ... جُعل اللســان على الفؤاد دليلا.

وقال [5] :

شكـــا إليّ جملي طولَ السَّرى ... صـــبرا جميلا فكـــلانا مبتلَى.

واصطلاحا هو الذي أشار إليه بقوله : إنّ الكلام..» [6].

- يهتمّ كثيرا بتوضيح المسائل، لغة واصطلاحا، كقوله مثلا(علاوة على ما سبق) : «وأقلّ ما يتألّف الكلام من اسمين، أومن اسم وفعل، كـ(هيهات العقيقُ[7])، و(استقم أنت). اللّفظ لغة : الرمي والترك، ومنه لفظت الدابة الحشيش إذا تركته، ولفظت

١- لم أقف على هذا الأثر إلاّ في كتب النحو، كما في إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحويين من الأخبار والآثار، ص٣٣، وتقريب طرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك، ج١، ص٥.

٢- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته. يراجع تقريب الطرّة، ج١، ص٥. والبيت من الطويل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى ما يفهم من حال الشيء.

٣- لم أقف على قائله. وقد ورد ذكره في طُرّة ابن بونا، مع تقريبها، ج١، ص٥، والمكتبة الإسلامية الشاملة، على شبكة (الأنترنت). وهو من البحر الكامل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى حديث النفس.

٤- لم أقف على قائله، وقد ذكره ابن بونا في طرّته. يراجع تقريب الطرّة، ج١، ص٥. والبيت من الطويل، ومحلّ الاستدلال به استعماله بمعنى ما يفهم من حال الشيء.

٥- ورد ذكره في لسان العرب، مادّة (شكا) دون عزو. كما ورد في تقريب الطرّة، ج١، ص١٥٩، دون نسبة أيضا.

٦- ص١، من المخطوط.

٧- هذه الجملة متكوّنة من اسم فعل واسم. وهي من بيت من الشعر لجرير. ينظر كاملاً في ص : ١٢٢.

الرحى الدقيق إذا ألغته خارجها. واصطلاحا : صوت يشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا أو تقديرا»[1].

- أحياناً يستأنس بالأنظام النحوية، التي تساعد الطلاّب على حفظ المسائل، وضبطها، كقوله مثلا: « التنوين مصدر نوّنت الكلمة إذا أدخلتها نونا، واصطلاحا نون ساكنة تلحق الأواخر لفظا، لا خطّا لغير توكيد.

أقسامُ تنوينهم عشرٌ عليك بها   فإنّ تحصيلها من خير ما حُرِزا
مكِّنْ وقابِلْ وعوِّضْ والمُنَكَّرَ زِدْ   ورَنِّم الطُّرَّ غالِ واحْكِ ما هُمِزا [2].

- قد يتعرّض للخلافات النحوية، والآراء المذهبية بإشارات مقتضبة، كقوله مثلا عند قول الناظم : (والأمر بالجزم لدى البعض ارتدى) : « أي والأمر مبنيّ على ما يجزم به مضارعه من سكون، أو حذف، خلافا لمن جزمه بلام الأمر محذوفة، بدليل ظهورها في قوله [3] :

لِتقمْ أنت يابن خير قريش   كي لِتقضي حوائج المسلمينا [4].

فهذه إشارة مقتضبة إلى المذهب الكوفي في هذه المسألة، أمّا المذهب البصريّ[5] فهو ما اختاره، وشرح به المتن، ممّا يدلّ على بصْرية مذهبه. هذا وقد أشرت إلى العديد من الطُّرّر عند الحديث عن المؤلِّفين وآثارهم، في الفصل الأوّل من هذا الباب.

ثالثاً : ظاهرة المُلَخَّصات النحوية : ظاهرة تلخيص المتون واختصارها قديمة في الثقافة العربية الإسلامية، فقد تحدّث عنها ابن خلدون في مقدّمته، واصفا إيّاها بالفساد في العملية التعليمية، والإخلال بتحصيل المَلَكات المطلوبة، حيث قال :

ذهب كثير من المتأخّرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولَعون بها، ويدوّنون منها برنامجا مختصرا في كلّ علم يشتمل على حصر مسائله وأدلّتها، باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفنّ. فصار ذلك مخلاًّ بالبلاغة

١- ص١، من المخطوط.

٢- المصدر نفسه، ص٢.

٣- ورد ذكره في الإنصاف، ج٢، ص٥٢٥ دون عزو. ومن شواهد المغني أيضا، رقم ٣٧٩ ، دون عزو أيضا.

٤- ص٦، من المخطوط.

٥- الإنصاف، ج٢، ص ٥٢٤.

وعسيرا على الفهم، وربّما عمدوا إلى الكتب الأمّهات المطوّلة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ... وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل. ثمّ فيه شُغل كبيرعلى المتعلّم بتتبّع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها؛ لأنّ ألفاظ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظّ صالح من الوقت، ثمّ بعد ذلك كلّه فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات، إذا تمّ على سداده، ولم تعقبه آفة، فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطوّلة لكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامّة[1].

وقد نقلت النصّ على طوله لأهمّيته، إذ هو مُعبِّر جدّا تعبيرا صادقا عمّا نحن بصدده. ومع هذه السلبيات العديدة التي ذكرها ابن خلدون للتلخيص فقد أولع به الشنقيطيون وَلَعا شديدا حتّى صار لوناً من ألوان الثقافة المحظرية عندهم، غير أنّ الشيء الذي ألجأهم إلى هذه الظاهرة هو ما أسلفته في مستهلّ هذا الفصل من الأسباب، وليس اختيارا وتفضيلا للظاهرة، فيما أرى. والتلخيص متجسّد في الطُّرَر بشكل جليّ كما تبيّن عند الحديث عنها.

وتلخيص التآليف عندهم جاء على نَمَطَيْن اثنين، هما :

- إنشاء تآليف ملخّصة من مصادر متعدّدة.
- اختصار تآليف سالفة.

وقد أشار ابن خلدون إلى مذاهب النحويين المتأخّرين في التلخيص والاختصار بقوله : «وجاء المتأخّرون بمذاهبهم في الاختصار، فاختصروا كثيرا من ذلك الطول، مع استيعابهم لجميع ما نقل، كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله، أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلّمين، كما فعله الزمخشري في المفصّل وابن الحاجب في المقدّمة له. وربّما نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك في الأرجوزتين : الكبرى والصّغرى، وابن معطي في الأرجوزة الألفية» [2]. وفيما يلي أعرّج على هذا اللّون عند الشناقطة :

١- المقدّمة، ص٦٨٣.

٢- المصدر نفسه، ص٧٠٢.

أ- إنشاء تآليف ملخّصة من مصادر متعدّدة : هذا نمط كان شائعا في بدايات حركة التأليف، وقبل نضجها عند المؤلّفين الشناقطة فيما أرى، وهو ما عبّر عنه الشيخ محمّد اليدالي(ت١١٦٦هـ) في مقدّمة تفسيره (الذهب الإبريز «اهتمّ فيه بالبحوث النحوية») بقوله : «ومَن رأى خللا في هذا الكتاب فليراجع الأمّهات المنقول منها، لا تَصَرُّفَ لي فيه إلاّ محضَ نقلِ كلامهم وجمعه؛ لأنّ دأبي التقاط دُرَر العبارات من حياض العلماء، وأخذ غزير الإشارات من حياض الحكماء، فهو لسانهم وبيانهم، لا بياني... سبكت كلام بعضهم ببعض ولفّقته»[١].

وصادقٌ عليه أيضا وصفُ صاحبِ (منح الربّ الغفور لشرح ألفية ابن مالك، المسمّى(عمدة السالك على ألفية ابن مالك) لاِنْــبُويَـه اعْمَرْ بن الإمام محمد عبد الله المحجوبي(ت ١٢٦٠هـ)، الذي يقول فيه : «جمع فيه من كلام الأشموني والهبة (هبة اللّطيف : شرح البَسْط والتعريف على منظومة المكّودي في التصريف) ما يشفي الغليل مع وجازة واختصار»[٢]. فهو من هذا القبيل.

وقد يصرّح أحدهم بالمصادر التي جمع منها تأليفه ولخّصه، كما صنع محمد فال (ببّها) بن محمذن بن أحمد العاقل الديماني(ت ١٣٣٤هـ) مثلا في كتابه(دُمية المحراب في المهمّ من التصريف والإعراب) : «وكان اعتمادي في القسم الأوّل منه على مغني اللّبيب لابن هشام، والبيضاوي[٣]، والجمَل : حاشية الجلالين، وضياء التأويل [٤]، وغيرها من كتب النحو والتفسير. أمّا القسم الثاني منه فجلّ اعتمادي فيه على كتب اللّغة، كالجوهري والقاموس والمصباح... والزاهي لابن الأنباري[٥]، وغيرها من كتب التصريف واللّغة»[٦].

ب – اختصار تآليف سالفة : وهذا مسلَك شائع، ذائع في المحظرة الشنقيطية، معدودٌ فيها خصلةً محمودةً، لا كما رأينا عند ابن خلدون في نصّه سالف الذكر، الذي رآه خصلة

١- ص ٣، ٤.

٢ - ص ١٢٦.

٣- في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٤- لعثمان الفوتيّ النيجريّ (ت ١٢٤٥ هـ).

٥- الأنسب : الأنباريّ، نسبة إلى الأنبار.

٦- المخطوطة، ص ١.

مذمومة؛ لأنّ المحظرة الشنقيطية لها خصوصيتها، التي أشرت إليها آنفا، والتي تُـميِّزها عن غيرها، كما يقول الأستاذ محمّد بن بُتّار :

«إذا كنّا قد لاحظنا في بعض المدارس النحوية الشنقيطية نوعا من التحرُّر والاستنباط في القضايا النحوية، فإنّ أكثر المدارس كانت تعتمد على طريقة الجمع والتلخيص والتقريب لتمكين الطالب من حفظ أكبر قدر ممكن من المادّة النحوية ليكون علمه معه، لا بين قِمَطْرٍ، ولا في بطن صندوق، ولمحظرة الشيخ يحظيه بن عبد الودود (ت١٣٥٨هـ) الحظّ الأوفر من هذا السلوك التربوي النافع، ومهما اختلفت الطُّرُق التي سلك الشناقطة إلى هذا المقصد النبيل بين مُسْهِب وموجِز فإنّهم لم يخرجوا في كلّ ذلك عن منهج سلفهم من حُذّاق المذهب البصري...»[١].

نصٌّ يعبّر تعبيرا دقيقا عمّا أسلفت من وَلَع الشنقيطيين الشديد بهذه الظاهرة، وتعلُّقهم بها في ميداني التدريس والتأليف، حتّى تميَّز بعضهم بها، وعُرف. وقد قدّمت في تضاعيف هذا الفصل عند الحديث عن ظاهرتي (الأنظام والطُّرَر) الجهودَ الكبيرة لبعض العلماء الشناقطة، في هاتين الظّاهرتين، في العديد من مؤلّفاتهم المذكورة سالفا. وممّن سلك أيضا من الشناقطة نهْج اختصار التآليف، الحارث بن محَنْض الشقروي(ت١٣١٩هـ)، باختصاره (موسوعة المواهب) لسيدي محمّد بن حبت القلاّوي(ت١٢٨٨هـ)، ومحمد يحيى الفقيه بن محمد المختار الولاتي(ت١٣٣٠هـ)، بنظْمه (اختصار الألفيتين : ألفية ابن مالك وألفية احمرار ابن بونا). وله عليه شرح[٢].

ومحمد يحيى بن سليمة اليونسي(ت١٣٥٤هـ) المشهور باختصاراته الممتازة، التي سلف ذكرها في الفصل الذي قبل هذا.

ومن أجود هذه الاختصاراتِ وأحسنها على الإطلاق اختصارُ[٣] الشيخ محمد بن حبت(ت١٢٩٩هـ)، لكتاب (المواهب النّحوية)، لوالده: سيدي محمد بن حَبَتْ(ت١٢٨٨هـ)، وهو اختصار وافٍ، شامل لكثير من أمّهات النّحو ومسائله،

١- في بحث له منشور في حولية جامعة شنقيط العصرية، السنة الأولى، العدد١٤٢٩هـ٢٠٠٨م. انواكشوط، ص١٦٦.

٢- يوجد بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ١٢٢٠.

٣- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٩٦٦، وبمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو، تحت رقمي ٣٥٩٠، ٨٢١٨، وعلى (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلميّ، تحت رقم ٢٨٩.

مع الاعتناء بكثرة المناقشة والتحليل، وليس من الاختصارات المقتضبة، المخلّة. وقد أسلفت حديثا عن هذا التلخيص الممتاز في المبحث الثالث، من الفصل الذي قبل هذا.

المبحث الثاني : ظاهرة الألغاز والأحاجِي والمناظرات والطُّرَف النحوية

هذا المبحث يناقش هذه الموضوعات الثلاثة :

أوّلاً : ظاهِرة الألْغاز والأحاجِي : اعتنى النحويون الشنقيطيون اعتناء خاصّا بظاهرة الألغاز النحوية، إذ وجدوها مادّة خِصْبة لشَحْذ الهِمَم، والتدريب الذهني، والتَّرَف المَعْرِفي، والتفوُّق العلمي، وتثبيت المعلومات وترسيخها في الذاكرة، فكان العلماء والدارسون على السواء يعشقون هذا النشاط النحوي ويتبارون فيه، فهم فيه مُبْدِعون، وفُرْسان مُتميِّزون.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا اللّوْن قديمٌ قِدَم الثقافة العربية الإسلامية، فعلماء المغرب الأقصى مثلاـ وهم الأساتذة الأوائل للمحظرة الشنقيطية في بداية نشأتها – قد سبقوا إلى هذا اللّون المهمّ عند الشنقيطيين من ألوان النّشاط النحوي. فقد ذكر عبد الرحمن المكّودي الفاسي(ت٨٠٧هـ) في شرحه على ألفية ابن مالك[١] النّصَّ الآتي، مُلْغِزاً عند شرحه قولَ ابن مالك : (والهاءُ وقْفاً كَلِمَهْ ولَمْ تَرَهْ) : «وقد اجْتمع في هذا اللّفظ، أعني (كَلِمَهْ) ثلاثة أحرف، وهي كاف التشبيه، ولام الجرّ، وهاء السكت، واسم، وهو (ما) الاستفهامية، وقد ألْغزت هذا اللّفظ في رجز، وهو :

ياقارِئاً ألفيــــة ابـن مـــــالـكِ	وسالِكـــاً في أحســـنِ المســالكِ
في أيّ بيت جـــاء مـن كلامـــهِ	لفظٌ بـــديعُ الشكـــــلِ في انتِظامِهِ
حـروفـه أربــــعةٌ تُضـَـــــمُّ	وإن تشـــأْ فَقلْ ثـلاثٌ واسْــمُ
وهْــو إذا نظـرْتَ فيـــه أجْمَــع	مُركَّـــبٌ مِـن كـلماتٍ أرْبــــع
وصار بالتركيـب بـعدُ (كَلِـــمَهْ)	وقـد ذكرتُ لفظَـه لِتَـفْـــهَـمَـهْ.

وقد نسب الأستاذ محمّد محفوظ بن أحمد[٢] هذه الأبيات لابن غازي أبي عبد الله سيدي بن أحمد بن محمّد المكناسي، نزيل فاس(ت٩١٩هـ)، بَيْدَ أنّ الصحيح هو نسبتها

١– ضبط إبراهيم شمس الدين. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٧هـ١٩٩٦م، ص٣٣١.

٢– في كتابه : أنظام الطّرّة في الفوائد النحوية بحواشي ألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا، ص٢٣٩.

للمكّودي؛ لأنّه نسبها في كتابه لنفسه، وهو أمر حاسمٌ كلَّ مَقال. وقد أجاب ابّاه بن ابّوه محمّد يحظيه بن محمّد عالي المجلسي الشنقيطي (مولود سنة١٣٦٦هـ) هذا اللّغْز ببيت جامع بديع، حيث قال :

في آخرِ التّصريفِ جاءَ فَاعْلَمَـــــهْ   في قولِهِ : والهَاءُ وَقْفاً « كَلِمَهْ »[1].

غير أنّ الشيء الذي تميّز به الشنقيطيون وبرزوا فيه هو إكثارُهم مِنْ هذا اللّون، وجَعْله أساسا من أساسات الثقافة المحظرية عندهم، إذ عَشقوه وأبْدعوا فيه، حتّى صار سلُوكا شائعا لديْهم بين العلماء والدارسين على السواء، ذائعا، فائضا في تعليقاتهم، وأثناءَ تدريسهم، وفي حواراتهم ومراسلاتهم. وهو ما تُعبّر عنه مراسلاتهم اللّغزية الفائضة ل(أهل فاس) في العديد من مجالات الثقافة العربية الإسلامية. فقد ذكر الأستاذ الخليل النحوي في كتابه (المنارة والرّباط[2]) كثيرا من هذه المراسات، يوحي بالمكانة الرفيعة لأهل فاس عند علماء شنقيط، ومَدى مَتانة العلاقة العلمية التي كانت سائدة بين علماء البلدين.

وفيما يلي تقديم عَرْض يُفيد عشق الشنقيطيين لهذه الظاهرة، وتميُّزهم فيها :

١- ألغز محمّد فال (بَبَّها) بن محمّذن بن أحمد العاقل (ت١٣٣٤هـ) بألفاظ من القرآن الكريم، فقال :

أيَا مُحْكِمَ التّصريف والنّحوِ عَـجِّـلِ   جَـــواباً لِأَشْــيَـا في الكتاب الْمُنَـزَّلِ
مَا عِلَّتَا «سيناءَ[3]» في منْـعِ صَرْفِــها   وَوَزْنُ «ضِئاءَ» في قــراءةِ قُـنْــــبُلِ[4]
وشَكلٌ لِحَرْفٍ جاء في الذِّكرِ مُبْتَـدَا   بِذَا أعْرَبَـتْـهُ الْمُـــــلَّاحُ في كلِّ مَحْفَلِ
وما مُبْتَدًا قد جاء ذو القَـيْـدِ بَــعْدَهُ   ولا فَصْلَ يُلْـــفَى في الكتابِ الْمُنَزَّلِ
ولم يُسْــنَدِ الثّــانِـي لِلاَوَّلِ منـــهما   فَــعَجِّـلْ جـواباً لِي ولكنْ تَأَمَّــــلِ .

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- ص٢٧٥، فما بعدها.

٣- من الآية ٢٠، سورة المؤمنون. وقرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بالهمزة وكسر السّين (سِيـنَـاءَ)، والباقون بالهمزة وفتح السّين(سَيْـنَاءَ). يراجع إتحاف فضلاء البشر، ص٤٠٢.

٤- ضِئَاءَ : يونس : ٥. الأنبياء : ٤٨. القصص : ٧١. وقنبل : أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن المخزومي، توفّي سنة٢٩١هـ. يراجع تعليل القراءتيْن في إتحاف فضلاء البشر، ص٣٠٩.

فأجابه الشيخ محمّدُّو بن حنبل الحسنِي (ت١٣٠٢هـ) قائلاً :

أَمُلْتَمِساً رَجْعَ الجوابِ المُعَجَّلِ ... بِعُجْمَةٍ وَضْعِ مَنْعُ سيناءَ عَلِّلِ
وعُجْمَةُ تَعْرِيفٍ بِزَيْدٍ وإِنْ تَقُلْ ... سُهَا بُقْعَةٍ فالأَمْرُ حينئِذٍ جَلِي
تَعارُضُ قَلْبٍ في قراءَةِ قُنْبُلٍ ... وشِدَّةُ إبدالٍ فَالأَوّلَ فَضِّلِ
إذِ القَلْبُ أَوْلَى لِلشُّيوعِ وأَنّهُ ... تَبَوَّأَ في المهموزِ أكرَمَ مَنزِلِ
ضَعِ العَيْنَ منهُ مَوْضِعَ اللاّمِ واكْسُهَا ... بِلامِ الدُّعَا شِبْهاً فَبِالهمْزِ أَبْدِلِ
وَزِنْهُ فَلاعَ وابْتَدِئْ باسمِ سورةٍ ... على شَكْلِ حَرْفِ الخطِّ للمصحفِ الجَلِي
ومِمّا سيُتْلَى قَدِّرَن خَبراً لَه ... وذاكَ أخِيرُ خَتْمِ لُغزِكَ واسْأَلِ[1].

وقد ذكر بعضُ المُعربين غيرَ ما ذكره الشيخ ابن حنبل مِن بعض عِلَل منع صرف (سيناء)، إذ ذكروا أنّ عِلَل المنع هي : التّأنيث والصّفة في قراءة فتح السّين، والعَلَمية والتّأنيث المعنوي في قراءة كسر السّين. يقول أبو محمّد مَكّي القيسيّ :

«وحُجّة مَن فتح أنّه بناه على (فَعْلاء)، فالهمزة للتّأنيث، فلم يصرفه للتّأنيث والصّفة. وحُجّة مَن كسر السّين أنّه على (فِعْلاء) جعل الهمزة بدلا من ياء، وليست للتّأنيث، إذ ليس في كلام العرب (فِعْلاءُ) بكسر الأوّل، إنّما يأتي هذا المثال في الأسماء المُلحقة ب(سِرْدَاح)، نحو(عِلْبَاء)... وإنّما لم يُصرف؛ لأنّه معرفة، اسم بُقْعَةٍ، فلم يُصرف للتّعريف والتّأنيث، فهو بمنزلة امرأة سمّيتها ب(جعفر)»[2].

ويقول شهاب الدين البنّا : «واختُلِف في(طُورِسينَاءَ).. بكسرالسّين.. ومنع صرفه قيل للتّأنيث المعنويّ والعلمية؛ لأنّه اسم بُقْعة بعينها، وقيل للعجمة معها.. والباقون بالفتح، والهمزة لغة أكثر العرب، ومُنع الصّرف حينئذٍ لألف التّأنيث اللاّزمة، فوزنه فَعْلاءُ كصَفْراء»[3].

١- الشعر التعليمي في موريتانيا من خلال الألغاز في القرآن الكريم، ابن حنبل، والنّهَا، وابن العاقل نموذجاً، إعداد فاطمة بنت بابا. بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٤٨. ص٤١، ٤٢.

٢- في كتابه : الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج٢، ص١٢٦، ١٢٧.

٣- في كتابه : إتحاف فضلاء البشر، ص٤٠٢.

أمّا إجابته رحمه الله عن وزن (ضِئَاء) في رواية قنبُل فكانت دقيقةً، مفصّلةً[1].

وبعد هذه الإجابة، في القصيدة نفسها وجّه ابن حَنبَل أسئلةً إلى بَبَّها، حيث قال :

ولكن أجبْ عن وجْهِ الأُولى لِنـافع　　وعـــن صرْفـهِ نَصْباً ثـمودَ لِتَـعْتَلي

وعنْ كِـلْـمَةٍ إنْ تـولِـها فَتْــحَ أوَّلٍ　　فـآخِـرُ تالـيـها لـــــهُ الفتْحُ يَنجَلي

وتُـكْسَرُ إنْ تُـكْـسَـرْ فأولاهما إذنْ　　يَصِـــحُّ الـغِـنَى عنــها بغيرِ تأمُّـلِ.

وقد ذكر مَكِّي القيسي ملَخّصاً دقيقا عن صرْف (ثمود) ومنْعه، إذ قال : «وحُجّة مَن صَرف أنّه جعل (ثمودا) اسما مذكّراً للأب أو لِلحيّ، فلا عِلَّة تمنع من صرفه... وحُجّة من لم يصرف أنّه جعله اسماً للقبيلة، فمنعه من الصرف لوجود علّتين فيه، وهما التّعريف والتّأنيث»[2].

ولم أقف على جواب مِن «بَـبَّـها» لهذه الأسئلة، سوى أنّه كتب قصيدة على نسَق أبياتها بحراً ورَوِياً، ضَمَّنَها أسئلة أخرى، بها ما يدلّ على أنّها مُوَجّهة إلى ابن حنبل، إذ قال :

ومَنْ رامَها حاشَى الإمام ابنَ حَنـبلٍ　　ومَن كابْنِ إحداها الإمام ابن حـنـبَـلِ[3].

وقد كتب الشيخ عبد الله بن محمّذن بن محمودا الحسني، الملقّب النَّـهَا(ت١٣٢٣هـ) قصيدةً أجاب فيها أسئلة بَبّها في القصيدة المذكورة. فقال في مستهلّها :

تَدَلَّيْتُ مِنْ أعْلَى إلى غيرِ أسْــفَـــــلِ　　أغـوصُ المَعـــاني للجواب المُعَجَّـلِ

فــــأبديتُ ما أخفَيْتَــــهُ متأمّــلاً　　خبــايا حـلاهُ « بُــعْـدَما مُتَأَمّـــلِ»[4]

«فَلَكِـنّا[5]» شكلُ النونِ مبتدا أصلهُ　　«ولَكِنْ أَنا» في سورة الكهف فاعقلِ

١- الكشف عن وجوه القراءات وعِلَلها، ج١ ص٥١٢.

٢- في الكشف، ج١، ص٥٣٣.

٣- بحث (النّحو في النّوادي الشنقيطية)، مصدر سابق، ص١٥٥، ١٥٦. نقلا عن قصائد الألغاز في مكتبة المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم٢٦٧٧.

٤- هذا عجز بيت من معلّقة امرئ القيس، هو : (قعدتُّ له وصحْـبَتِيي بين حامر　وبين العذيب بُعْدَما مُتَأَمّل). الديوان، القاهرة : الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م، ص٢٤.

٥- من الآية ٣٨، سورة الكهف.

كما كتب إجابة نثريةً على أسئلة ابن حَنبَل، سالفة الذّكر، التي وجَّهَها إلى بَبَّها[1].

٢- قال مُّو أحمد محمود بن أحمدو بن عبد الحميد الجكني(ت١٣٦٢هـ) مُلْغِزاً (في الرّجز) :

يامَنْ بِنُــــورِ فَهْمِهِ تُجْلَى السُّـدَفْ ما اسمٌ لَدَى جُلِّ النُّحاةِ ماانصَرَفْ
وفيهِ تَنْويـنٌ عـليهِ يَظْـهَــــــرُ وفيـه تنويـنٌ لــهُ مُقــــــــدَّرُ
كلاهــما مُصَحَّح فيه يَــــــفِـي - سبـحان عـالِمِ الجَلِي والخَــــــفِي -
لِمَ تُسْـلِنِي عنْ ذِكْــرِه نُـــوَارِي إذا بَدَتْ فـي نِسْوَةٍ جِــــــــوارِي.

وأجاب نفسَه بقوله :

تنوينُ الاسم الظّاهرِ الذي تَصِــفْ مُعوَّضٌ عن لامِـهِ الذي حُــذِفْ
وهْو لَدَى الأخفشِ لاحرْفَ يُـرامْ إذْ صارالاسمُ كالكلامِ والسّـــلامْ
و ذاكَ في الاِسمِ غيرِ المُنصَـــــرِفْ يُقدّرُ التـنوينُ فيـهِ إذْ عُــــــرِفْ
رُجوعُـــــهُ إليـهِ في الضـــــــرورهْ وذا لَـهُ شَـواهِدٌ مَشـــــــــهورَهْ
فَـــلامُ ذاكَ الاِســـمِ في المُـقدَّرِ نفي مُعَوّضاً لِنـونٍ مُـــــــظْهَرِ
مِـثالُ ذاكَ عنــــدهمْ دَوَانِـــــي لَم يَنصَرِفْ وفيـهِ تَنْوينـــــــانِ.

كما أجابه بِشكْل أوضح ابَّاه بن ابُّوه محمّد يحظيه بن محمّد عالي بن نِعْم العبد المجلسي(مولودسنة١٣٦٦هـ)، ملتزما بالبحر والروي :

جوابُ ذا فيهِ أتَى بِأَلْطَـــــــفِ إشـــارةٍ في حُسنِ أُسـلوبٍ تَفِي
وهْـو جـوارٍ وكــــذا دَوَانِـــــي فَفِيهِما قــــــد جاء تـنـويـنَانِ
تنوينُ تعـويضٍ بِذَيْنِ يَظْهَـــــرُ تنــــــوينُ صَرْفٍ فيهما يُقَـدّرُ
عند الضرورةِ لِصَــــــرْفِ ذَيْنِ إليــــه يَرْجِـــعَانِ دونَ مَيْــنِ.

وقد نظم محمّد بن ألفغ عبد الله الأبهمي(ت١٣٣٥هـ) مذاهب النحويين[2] في تنوين هذا النوع من الأسماء بقوله في البسيط :

١- الشعر التعليمي في موريتانيا من خلال الألغاز في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص٤٢، ٤٣.

٢- مذاهب النحويّين في تنوين مثل(جوارٍ) في حاشية الصّبّان، مصدر سابق، ج١، ص٣٨.

تنـوينُ ما كَجَـوَارٍ عـندَ أكثرِهــمْ ... وعـندَ عَمْرو أتى مِنْ لامِهِ عِـوَضَا

فـإنْ فَرَضْنا امْتِنَاعَ الصـرْفِ فيهِ وذَا ... مُرَجَّــح قبلَهُ الإعْلالُ قـد عَرَضـا

لِلْتِقَا الساكنَيْنِ الياءُ زالَ ولِلتّخْفِـيفِ ... إنْ يُـعْكَـسِ الأمـرُ الذِي فُــــرِضا

قال المُبرّدُ مِــنْ شَكْـلٍ وذاكَ أتَــى ... بِـفَقْدِ موسَى لِذا التنـوينِ مُعْـتَرِضا

وقال الاخفشُ صرْفٌ وهو مُنْتَقِضٌ ... إنّ الصحيح الذي مِن قبلِ ذَيْنِ مَضَى[1].

٣- ألغز أحمد بن اجَّمَدْ اليدالي (ت١٣٥٤هـ) في الاسم الذي يكون اسم جمْعٍ إذا جُرِّد من التاء، مثل (بقَر، وكَلِم)، ويكون مفردا معها (بقرة، وكلمة)، فقال :

حاجيتكمْ أيُّ كلام إن يَـــــزِدْ ... يَنقُصْ وإن يَنقُـــــصْ فزَيدُهُ يَرِدْ؟

وخاطبه أحد[2] أقرانه بالأبيات الآتية، ملغزاً في كلمة (يرجون) في أسلوبين، أحدهما خاصّ بجماعة الرجال، والآخر خاصّ بجماعة النساء، في قوله تعالى :

[وَقَالَ الذينَ لَايَرْجُونَ لِقَآءَنَا]{٢١، الفرقان}، وقوله تعالى : [والقَواعِدُ مِنَ النِّسَآءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً]{٥٨، النّور} :

ما لفْظَةٌ للحرف جاءت حـــاويهْ ... (و) أَخَـــوَيْـــهِ ثمّ جـاءت خاليَهْ

من حرفها واللّفظُ لفظٌ واحـــدُ ... وأخـواه ثابتان مــــا هيَـــهْ

وقد أتتْ في مُحـــكم الـــذكر إذا ... ولْتُعـربِ الأولى بعـــكس الثانيــهْ

وقل لمنْ يرجو إصــــــابةً لها ... ليست عن الأبيـــات هذِي نائيهْ.

فردّ عليه قائلا :

يَرجـــــونَ مِن بعـــد الذين ... واللّاتِــي قبلَها من النســاء جائيَهْ.

- وقال مُلغِزاً في فِعْلٍ يستوي الأمر والماضي في لفظه :

أيا(بروق حَــجاهُ) ذات إيــماض ... بيِّن لنا ما استوَى في الأمرِ والمـاضي

لفـظاً فأهلُ الفُهُوم ليستَ اعْيُنُهمْ ... عـمّا أفـادَ ســواهـمْ ذاتَ إغْمـاضِ.

فأجابه محمّدن بن المحبوب :

١- أنظام الطُّرَّة في الفوائد النحوية، ص ١٥، ١٦، ومعجم المؤلّفين في القطر الشنقيطي، ص١٥٨.

٢- المصدر والصفحة نفسهما.

إن تُدْغِمِ الأمرَ في كَوَدّ مُنفتحـــــــاً   منه الأخيرُ يكنْ في النطقِ كالمــاضِي
وهكــــذا كَتولّوا والمـضــارعُ لا   تَمْنَعْهُ أيضـــا إذا يقضي به القاضِـي.

٤- قال اِبن غازي أبو عبد الله سيدي بن أحمد بن محمّد المكناسي، نزيل فاس (ت٩١٩هـ)، مُلْغِزاً :

حاجَيتُكُمْ مَعْشَرَ جَمْـــــعِ النّبَـلا   المُـعْـرِبيـنَ مُفــــرداً وجُمَـــلا
ما ألْفُ بيتٍ دون شـــطْرٍ نُصِبَتْ   بِـوَتِدٍ مِنـــــــها رَقيتُـمْ في العُلاَ.

فأجابه عالِم شنقيطي، هو ابّاه بن ابّوه محمّد يحظيه المجلسي(مولودسنة١٣٦٦هـ) بقوله :

ألْفيةُ ابنِ مــــالِك الحبْرالأَجَــلْ   هي الجــواب ما عَدا الشطرَ الأوّلْ
نَصْبُ مَـحَلِّها ب»قــالَ» قد ظَهَرْ   وكــــــوْنُ «قـال» وَتِـداً فيـهِ نَظَرْ.

٥- قال محمّد بن أبي مَدْيَن [١]، مُلْغِزاً :

أبِنْ لِيَ ياشَيْخي عـن اسمِ مُعــرَّفٍ   بحرفٍ وذاك الحرفُ كالاِسمِ في اللّفظِ
وقد أوجبوا حذفاً لِذا الحرفِ فَلْتُجِب   بِنَظْمٍ فـإنَّ النّظمَ أيسَرُ لِلْحـــــفظِ.

فأجابهُ محمّدن بن محمّد بن المحبوب (ت١٣٩٩هـ) [٢] :

رأيـتُكَ يا مَـنْ قد غـدا شيخَ شيخهِ   وأحـظاهُ بالفـهمِ المُسدَّدِ مَن يُخْـطِي
إلى لفظِ ألْ ذِي الوَصْلِ في رأْيِ مَنْ بها   يَـعرفُ ذاتَ الوصلِ أو مـاتَ باللّحْظِ.

٦- وقال مُلغِزاً في ألفاظ خاصّة بالإناث كمُرضِع وحامِل وحائض، تلحق التاءُ الفعلَ العامِلَ فيها وجوبا إن كانت فاعلا، وتُحذف منها إن كانت خبراً، مثل : حضرت المرضع والحامل والحائض، وهي مُرضِع أوحامل أو حائض :

أيا مَـــنْ بِعِلْم النـحوِ نيطَتْ حمائلُه   وحلّـــــتْ مَحلَّ الطّبْع مـنهُ مسائلُهْ
أُحاجيكَ ما اسمٌ إنْ أتى وهْو فاعِل   يُؤنَّـث بتا التّأْنيث لا شـكَّ عامِلُــهْ
ومـهما يكنْ بـالاِبتداء ارتـفاعُـــــهُ   فَمَـــــحلُّهُ ذي التّاءِ حـتْما تُزايِلُـهْ.

١- لم أقف على تاريخ وفاته.

٢- أنظام محمّدّن بن المحبوب، تحقيق محمّد بن ابّوه، ص٢٤ ، ٢٥، ٢٧، ٣٣

- وقال مُلْغِزاً في لَفظَين، أيهما رُفِعَ نُصِبَ الآخر كما في قول ابن مالك في باب الحال :

(...ونَدَرْ نحوُ سعيدٌ مُسْتقِرّاً في هجَرْ)، فإذا رُفِعَ شبه الجملة (في هجر) على أنّه خبر المبتدأ نُصِبَ (مستقرّاً) على الحال، وإذا رُفِعَ (مُستقِرٌّ) على أنّه خبر المبتدأ نُصِبَ شبه الجملة على الحال، فقال :

قلْ للنُّحاةِ إذا مررْتَ بجمعهــــــمْ إنِّي رأيتُ مِنْ أغربِ المسمــــــــوعِ

لفـظيْنِ أيّهــا رفعــــــــتمْ جِئْتمُ بســواهُ منصـوباً بذا المـرفـــــوع.

ومنه قوله تعالى : [وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا]{١٣٩،الأنعام}، على القراءتين في(خالِصَة) : قراءة الرفع المتواترة، وقراء النّصب الشّاذّة[1]، وقوله تعالى: [وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ]{٦٧،الزمر}، على القراءتين في (مطويّاتٌ) : قراءة الرفع المتواترة، وقراءة النصب الشّاذّة[2].

- وقال مُلْغِزاً في جملة حالية في القرآن الكريم مربوطة بواويْن، كما في قوله تعالى : [وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ] {٥، الصّف} :

أيَا مَنْ حَــلَّ في عِلْمِ اللِّســـــانِ مَـحَلاًّ دونَهُ يعيى المــــــــساني

أَبِنْ لي جمـلَةً بِمَـحَلِّ حــــــالٍ حَوَتْ واوَيْنِ رَبْطــــــاً في القرآنِ.

فقوله تعالى : (وقد تعلمون) جملة حالية احتوت واوَيْن : الواو في صدرها، والواو الواقعة ضميرا. هذا ما أراد الشيخ تقريره، بَيْدَ أنّه من الممكن أن يقال إنّ الربْط هنا حصل بواو، وضمير، واو الحال في صدر الجملة، وضمير الجماعة الواقع فاعلاً. ولا يصحّ الرّبط بواوين؛ لأنّ واو الحال لا تدخل على مثلها. لذلك قال ابن مالك في الخلاصة:

وجملةُ الحال ســـوى ما قُدّمـــا بواوٍ أو بِمُضْــــــمرٍ أو بهــــما.

- وقال مُلْغِزاً في اسم ظاهر الرفع مع إضافته إلى ياء المتكلّم، كما في لفظة (أَخْوَفُنِي)، وفي أَلِف انقَلَبت عن ياء المتكلّم المجرور بالإضافة، كما في لفظة (ياأسَفَا)، أصلها (يا

١- فقراءة الرفع لِلقرَّاء العشرة، وقراءة النّصب شاذّة لابن عبّاس والأعرج وقتادة وابن جبير. ينظر البحر المحيط، ج٤، ص٦٦٠.

٢- قراءة الرفع للقرّاء العشرة، وقراءة النصب شاذّة للجحدري وعيسى. ينظر البحر المحيط، ج٩، ص٢٢١.

أَسَفِي)، فقال :

أُحاجِي مِنَ اهلِ النّحوِ كلّ مُبرّز   لهُ أذْعَنوا مَثْنَى ثُلاثَ ومَرْبَعا
بإظهار رفعِ اسمٍ لِيا مُتكلِّم   أُضِيفَ بلا منعٍ لَدَى كلِّ مَنْ وَعَى
وعنْ ألفٍ قد جاء في الجرّ مُضمَراً   فيَا أسَفى إن لمْ أجِدْ فيهِ مقْنعا.

فأجابه تلميذه المصطفى بن مِنِينْ[1] :

وأَخْوَفُنِي يا شيْخُ قولُ نبيِّنا   بِسِرِّ الذِي أضْمَرْتهُ قد تقنّعا.

يُشير إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم في حديث الدجّال الطّويل : (غيرُ الدجّال أخْوَفُنِي عليكم[2])، ف(أَخْوَفُ) اسم بقِي ظاهر الرفع، مع إضافته إلى ياء المتكلّم، والداعي لهذا الإشكال عند صاحب اللّغز فيما يبدو هو أنّ الاسم المفرد المذكّر، صحيح الآخر يُكسر آخره إذا أضيف إلى ياء المتكلّم، كما قال ابن مالك :

آخرَ ما أُضيفَ لِليا اكسِرْ إذا   لم يَكُ مُعتلاًّ كَرامٍ وقَذَى
أو يَكُ كابنيْنِ وزَيْدِينَ ...

غير أنّ اتّصال الاسم هنا بِنون الوقاية هو السّبب في بقائه ظاهرَ الرفع، كما هو الحال في (أفعل) التعجّب، الذي هو اسم عند الكوفيين[3]، حيث يُقال : (ما أَفْقَرَني إلى عفو الله)، فلم يظهر عليه الكسر لوجود نون الوقاية[4]؛ لأنّ المشابهة بين الألفاظ جائزة وواردة، كما يقول ابن هشام : «والثّالث : وهو ما أُعْطِي حُكم الشيء لمشابهته له لفظا ومعنى، نحو اسم التفضيل وأفعل في التعجّب، فإنّهم منعوا أفعل التفضيل أن يرفع الظاهر لشبهه ب(أفعل) في التعجّب وزنا وأصلا وإفادة للمبالغة، وأجازوا تصغير أفعل في التعجّب لشبهه بأفعل التفضيل فيما ذكرنا»[5].

١- لم أقف على تاريخ وفاته.

٢- رواه مسلم من حديث النّوّاس بن سمعان. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، الحديث ١١٠، ج١٨، ص٢٧٨.

٣- الإنصاف في مسائل الخلاف، ص١٢٦، فما بعدها.

٤- شرح ابن عقيل، ج١، ص٦٥.

٥- مغني اللّبيب، ص٦٤٥.

وأمّا اللّغز الثاني فلم يُجِب عنه التّلميذ؛ لأنّ الشيخ أجاب عنه أثناء إلغازه بطريقة لطيفة، إذ قال : (فيا أسَفا إن لم أجدْ فيهِ مقْنعا)، ففيه إجابة بديعة على سؤاله، فالأصل : يا أسَفي، غير أنّ الياء انقَلَبت ألِفا. وهذا هو المراد بقول ابن مالك :

واجْعَلْ مُنادىً صَحَّ إنْ يُضَفْ لِيا   كَعَبْدِ عَبْدِي عبْدَ عبْدَا عَبْدِيَا.

٧- قال مّحمّو أحمد محمود بن أحمدو الجكني (ت١٣٦٢هـ)، مُلغِزاً لمحمّدن ابن المحبوب، في جملة لم يبقَ منها سوى حرف واحد، فأجاب لغزه بأنّ المقصود هو : فعْل الأمر مِن (وَأى) وهو: (إِ)، فيُقالُ في إسناده لضمير المفرد و المفردة و الجماعة : إِ فَضْلُ، إِي هندُ، أُو زيْدونَ، فلم يَبْقَ منه في هذه التصاريف جميعها سوى عينه، التي تَغيّرت حركتها بتغيُّرِ المخاطَب، فقال :

أيا مَنْ طَمَى في النحوِ مَوْجُ عُبَابِهِ   ومَنْ مِثْلُهُ يُجْنَى عزيزُ لُبابِهِ
أبِنْ جملةً محذوفةً غيرَ شكلةٍ   وعَجِّلْ بها يَشْفِي الجَوَى مِنْ جوابِهِ .

فأجابه ابن المحبوب :

إذا ما أمَرْتَ الفضلَ بالوَأْيِ أو بِهِ   أمرتَ جميعَ القوم أو فَرْتَنَى بِهِ
وكُنتَ لِفِعْلِ الْوَأْيِ غيرَ مُؤَكِّدٍ   فَنَقْلُكَ شَكْلَ الهمزِ عَيْنُ جوابِهِ.

كما ألْغزَ في المسألة نفسها المختار بن المحبوب(ت١٣٩٢هـ)، فقال :

أيا مَنْ حَوَى مَعنَى الخلاصةِ والْتَقَط   فَوائِدَ نَحْوٍ قبلَهُ لَسْنَ تُلْتَقَطْ
فَما جُملةٌ فِعليَةٌ حُذِفَتْ   ولمْ يُبَقَّ إذنْ منها سوَى شَكلَةٍ فقَطْ .

هذه أمثلة فقط، تفيد شيوع هذه الظاهرة في المحظرة الشنقيطية، وتعلُّق القوم بها.

ثانياً : ظاهرة المُناظَرات النّحوية : عُرِف الشّنقيطيّون بِوَلَعِهم الشّديد بهذه الظّاهرة مُنذُ أنِ ازدهرت الدّراسات النّحوية لَدَيهم، حتّى صارت تُمثّل عندهم لوْناً من ألوان التّرف االمعرفيّ والأدبي، وذلك لأنّ طبيعتهم البدوية الحادّة في النّقاش، والاحتكاك الدّائم بين الدارسين في المسائل العلمية، والرّغبة الجامحة في تحقيق المسائل وتنقيحها، ولو باستعراض القدرات المعرفية، كلّ ذلك وغيره ساعد على شيوع هذه الظّاهرة في بحوثهم النّحوية. ولا أدّعي أنّها ظاهرة شنقيطية بحتة؛ لأنّ هذا التّراث عند القوم جزء لا يتجزّأ من الثّقافة العربية الإسلامية، وجميع ما فيه امتداد لها، وتفرُّع عن أصولها،

بَيْدَ أنّها أخذت عند الشّنقيطيّين مَنْحىً له سماتٌ ومُمَيِّزات خاصّة فيما أرى، كالاتّساع والتّمدّد، والاستعراض القويّ للقدرات المعرفية. من ذلك مثلاً :

- مسألة (صَرْف عُمَر)، وهي كما سلف مسألةٌ شنقيطية خالصة، أحدثت ضجّة مُزَلْزِلة بين الأوساط العلمية بالقاهرة، وكان صاحباها فحليْن من فحول علماء بلاد شنقيط، وسفرائها العلميّين إلى المشرق العربي. أوّلهما : محمّد محمود بن التلاميذ التّركزيّ الشنقيطيّ(ت١٣٢٢هـ)، وهو كما يقول صاحب الأعْلام : «علاّمة عصره في اللّغة والأدب، شاعر... وُلد في شنقيط(موريتانيا)، وانتقل إلى المشرق فأقام بمصر، ورحل إلى مكّة فاتّصل بأميرها الشريف عبد الله[1] فأكرمه لِعلمه»[2].

ويقول أحمد بن الأمين الشّنقيطي عن علاقة ابن التّلاميذ بهذا الأمير : «فأكرمه واختصّه، ولبث عنده زماناً، وكان يُعجبه ويُحرّش بينه وبين علماء مكّة»[3].

وقد دارت معارك علمية عديدة بينه وبين بعض العلماء[4] في المدينة ومكّة والقاهرة، عبّرت عمّا يتمتّع به ابن التلاميذ من المقدرة العلمية والجرأة والشجاعة.

ولْنَعُد إلى مسألة (صرْف عُمَر)، الذي قال به، وأثار به نقاشا حادّاً، إذ رآه جمعَ (عمرَة)، وعليه فهو علَم منقول، ولا داعي لمنعه من الصّرف، وليس بمعدول عن عامر، حسب ما رأى النّحويّون ودرَجوا عليه منذ أيّام سيبويه إلى يوم إثارة المسألة، ورأى أنّ النّحويّين غلطوا في ذلك، وغَفَلوا عنه. ودليله في المسألة، كما يقول ابن الأمين: «أنّه وجد مائة بيت للعرب مصروف فيها عُمَر.. وأنّ العرب لم تمنعه نظما ولا نثرا، وقال في ذلك :

كما خَرَقوا لِلْعُرْب ذا المنعَ مُفْتَرىً ... عليهم بلا نثرٍ رَوَوْهُ ولا نَظْمِ
ففي سائر الأمثال إثباتُ صرْفهِ ... وإبطالُ منْع الصّرْفِ والعَدْل بالفَمِ
وقد غفَلوا عن كَونه جمْعَ عمرة ... له الصّرْفُ قبلَ النّقلِ لِلعَلَمِ الإسمِ

١- لم أقف على تاريخ وفاته.

٢- الأعلام، ج٧، ص ٨٩.

٣- الوسيط، ص٣٨١.

٤- كعبد الجليل براده الحجازي، والسيّد علي ظاهر الوتري، والسيّد أحمد البرزنجي، والشيخ الدّراجي المغربي شيخ المالكية بالحجاز مثلا. يراجع الوسيط، ص٣٨١، فما بعدها.

فـــدعـواهمُ منْـــعٌ وعـدْلٌ مقـــدّرٌ وعـــن عـــامرٍ محضُ التّقَوُّل بالفَمِ [1].

ثانيهـــا : أحمد بن الأمين الشنقيطي(ت١٣٣١هـ)، الذي يقول عنه الزِّركلي : «عالم بالأدب، من أهل شنقيط، نزل بالقاهرة، وتُوفّي بها»[2].

فهو عالم جليل، من علماء اللّغة والأدب، كان معاصرا لابن التلاميذ في القاهرة، ولم يتجرّأ أحد على الرّدّ عليه في مسألة(صرف عُمَر)، والدّفاع عن النّحويّين فيها عبر العصور سواه في مناظرة حادّة، ممتعة، فكتب رسالة في هذا الردّ بعنوان : (الدّرَر في منع عُمَر[3]). وقد ظهرت شخصيته الشنقيطية الحادّة هو الآخر في النّقاش والمناظرة، فأدار الفحلان الشنقيطيان دفّتي هذه المناظرة المُمتعة بالقاهرة. يقول ابن الأمين في مُسْتَهلّ رُدُوده :

«أمّا قوله إنّه وجد مائة بيت فهذا على تقدير صحّته لا يُثبِت صرْفَه؛ لأنّ النّحاة جعلوا معتمدهم في ذلك سماع العرب، يمنعونه نثرا. وأجابوا عن ذلك بأنّ الأبيات ضرورة. وقد بيّنت في الرسالة التي تقدّم ذكرها أنّ الضرورة ما وقع في الشعر، لاما لا محيد عنه للشّاعر... وأمّا قوله إنّ النّحاة غَفَلوا عن كونه جمع (عمرَة) فهذا غير صحيح، كما بيّنت في الرّسالة المذكورة. وقد نقلت كلام ابن مالك بلفظه في عمدته[4]، وكلام عبد القادر البغدادي[5]، وابن الحاجب[6] في شرح المفصّل.. فدعواه الغفلة لا تتأتّى»[7].

ثمّ استرسل رحمه الله في ردود قاسية، مناقشا، محلّلا :

«وقال ابن عصفور[8] في المُقْرّب : وإذا كان فُعَل عَلَمًا فإن كان له أصل في النّكرات فاقْضِ عليه بأنّه مصروف، غير معدول، نحو لُبَد.. لأنّه يقال : مالٌ لُبَد، إلاّ أن يقوم دليل سمعي على عدله، يمنع صرفه، نحوعُمَر، فهو معدول عن عامر، وليس منقولا

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٣٨٣.

٢- الأعلام، ج١، ص١٠١.

٣- طُبعت بالقاهرة سنة ١٣٣١هـ. يراجع الوسيط، ص٩.

٤- كتابه : عمدة الحافظ وعدّة اللاّفظ. كتاب مختصر في النحو.

٥- في كتبابه : خزانة الأدب.

٦- جمال الدين بن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، وشرح المفصّل لابن يعيش. ومتن المفصّل للزّمخشري.

٧- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٣٨٣، فما بعدها.

٨- تُوفّي ٦٦٩هـ. والمقـرّب كتاب نحو.

عن عُمَر (جمع عمرَة). وإن لم يكن له أصل في النّكرات، نحو : قُثَم فاقض عليه بأنّه ممنوع من الصّرف، معدول، إلاّ أن يقوم دليل بصرفه على أنّه ليس بمعدول، نحو : أُدَد. فهل يُصدّق على ابن عصفور هذا قوله في ميميته :

وقد غَفَلوا عن كَوْنه جمـــعَ عمرَة لهُ الصّرفُ قبلَ النّقلِ للعَلَمِ الإسـمِ[1].

إنّه تحاملٌ عريض ــ لم أنقله بكماله ــ وقاسٍ منه، رحمه الله على هذا العلاّمة الحجّة، الذي يصفه الدكتور أحمد حسن الزّيّات (وهو أحد الشخصيات العلمية ذات الوزن الثّقيل في القاهرة) في طرَف من حديثه عنه، يبدو منه إعجابه به، وذلك قوله : «شموس الطّبع، حادّ البادرة، قويّ العارضة، يجادل عن نفسه بالجواب الحاضر، والدليل المفحم، واللّسان السّليط... كان لا ينفكّ يتحدّى رجال اللّغة بالمسائل الدقيقة، والنوادر الغريبة، مستعينا على جهلهم بعلمه، وعلى نسيانهم بحفظه، حتّى هابوا جانبه، وكرهوا لقاءه، وأصبحت سيرته في مصر سلسلة من الخصومات الأدبية، سجّلها بالشعر اللاّذع، والنّثر القارض»[2].

وقد عقّب الأستاذ الخليل النّحوي على هذه المسألة تعقيبا صادقا، مُعَبِّراً، إذ قال :

ولكنّ المقام يقتضي التنبيه إلى نقطتين : أولاهما أنّ الشّنقيطي(ابن التّلاميذ)، وإن سلّمنا بأنّه أخطأ في زعمه، قد جمع بدعواه هذه فضيلتي العلم والجرأة، والشجاعة النّادرة. فإذا استحقّ طه حسين تقدير من يخالفونه لجرأته في وضع نقطة استفهام أمام صحّة الشعر العربي الموروث، فإنّ ابن التلاميذ أهل لمثل هذا التقدير، خصوصا أنّه سبق طه حسين إلى إثارة عاصفة جدل حول الموروث. وإذا استحقّ صاحبنا العتب فيما سعى إليه فلا جرم أن يكون أحد علَمين اثنين شقّا عصا الجماعة العلمية في مصر، فنقم النّاس منهما ذلك دون أن ينكروا لهما فضيلة العلم والأدب. الملاحظة الثّانية...هي أنّ مانعي عُمَر من الصّرف وجدوا سندا قويّا في(شنقيط)، التي لعبت دور المحرّك، سلبا وإيجابا في السّاحة الثقافية المصرية، فلعلّ الشيخ الشنقيطي الآخر(أحمد بن الأمين) كان الأندى

١- الوسيط، ص٣٨٤، فما بعدها.

٢- المنارة والرباط، ص٢٧١. نقلا عن مقال منشور في جريدة (الشعب) الموريتانية ٢٦٤٨، بتاريخ ١٨/ ٠٦/ ١٩٨٦م. لمحمد الحافظ بن أحمد.

صوتا في الدفاع عن سيبويه وأترابه[1].

ملحوظات جديرة بالتقدير حقيقة؛ لأنّها تحمل في طيّاتها شيئا ليس باليسير من تقدير جهود ابن التّلاميذ الكبيرة في البحث العلمي.

١- تَوَقُّفٌ استفهاميّ في مسألة صرفية إثْرَ حكايةٍ شعرية أحدثَ مناظرةً ممتعةً، جادتْ قرائحُ بعضِ الأدباء فيها بأدب غزير. وذلك ما وقع بين الأديبين : سيدي محمّد بن الشيخ سيديا(ت١٢٨٥هـ)، وابن مُحَمْدِي محمّد بن سيدي عبد الله العلوي(ت١٢٧٢هـ). وكان من شأن ذلك أنّ أديباً[2]من تلاميذ الشيخ سيديا الكبير حكى يوما قصيدة لابن شيخه المذكور بحضرة ابن مُحمْدِي، فتوقّف ابن مُحمْدِي في جمْع(حَرْفٍ على حِرَفٍ)، مستفهماً، ولم يُنكِر، فقام ذلك الأديب بوِشاية بين الأديـبين، مُلمِّحاً فيها لابن شيخه أنّ ابن محمدي لحّنه، فوجّه ابن سيديا قصيدة إلى ابن محمدي، يقول فيها :

يا مُـنكِراً جَمْعَنا حَــــرْفاً على حِرَفٍ	لِـتَـتَّـئِدْ لا تـكُنْ لِلْمُرْتَمى هَـــــدَفَا
إنكارُ مَن ليس يَدْري اشْدُدْ بِهِ غَرراً	إذ هوَ مِـن جُرُفِ الألحـانِ فوْقَ شَفَا
يَنْهَارُ مِــن هَذَرٍ والصَّــمْتُ يُـثْـبِتُهُ	والفـرُّ قـبلَ اللَّحاقِ لِلـجَبانِ شِــفَا
لوْ خُضْتَ لُجّةَ قامــوسٍ وجَدْتَ به	دُرّاً جَلاَ جَلْوُهُ مِصباح الدُّجى السُّدَفَا
حَرْفُ الكُدَى لا سِواهُ جمْعُهُ حِـرَفٌ	وِزَانُــهُ عِـنَـبٌ والجمــعُ قدعُرِفَا
ثـانِيــــهِ طَـلٌّ ولم يُجْمَـعْ عـلى فِعَلٍ	فَـعْلٌ سِـوَى ذَيْنِ قـد كانا بِهِ اتّصَـفَا
والعِـلْمُ ذو كَثْرَةٍ في الصُّحفِ مُنتشِرٌ	وأنتَ ياخِـلُّ لم تَسـتَكْمِلِ الصُّحُـفَا.

ولمّا وصلت ابن مُحْمدِي هذه القصيدة استغرب؛ لأنّه لم يُنكر، بل استفهم فقط، فأملى قصيدة طويلة جوابية، منها :

إعْـــلَـمْ أَياخِلُّ أنّي لسْتُ حاسدَكمْ	وأنّ مِـنِّي لكمْ مَـحْضُ الوِدادِ صَـفَا
لا تَسْمَعَنْ ما وَشَى بعضُ الوُشاةِ به	واسْمَعْ مَـقالي فَليسَ الأمرُما وُصِفَا
إذْ قد حَكَى البيتَ راوِيهِ على حِرَفٍ	فَـقُـلْـتُ مـستفهماً لامُـنكِراً حِرَفَا

١- المنارة والرّباط، ص٢٧١، ٢٧٢.

٢- لم أقف على اسمه.

وهـل سمعتمْ بِحَرْفٍ جمعُـهُ حِـرَفٌ ... قـد كان ذا عنْ قياسِ الجَمْع مُنْحَرِفَا
مـا كان من شيمــتِي نُكْرٌ على أحدٍ ... يأْبَـى لِـيَ النُّـكْـرَ طَبْعٌ مـنهُ قد أَنِفَا
ولا مُجَـافاةُ أربابِ الجَـفَا شُـــــغُلِي ... مِثْلِي إذا ما جَفَا حِلْفُ الجَفَا صَـــدَفَا
وإنْ أتَى صائلاً ذو الضَّعْفِ يوعِـدُني ... فـاللهُ يَـعْصِمُني مِن صَوْلَةِ الضُّـعَفَـا
قـد سَـرَّهُ جَــرْيُـهُ في القَفْرِ مُنفـرداً ... فظَنَّ سُرْعَـتَـهُ فيــــــهِ وقـد دَلِـفَا
أقْصِرْ بطَرْفِكَ لا تَـطْمَحْ إليَّ بـــــهِ ... فَشَأْنُ مَنْ ليسَ يَدْرِي الجَرْيَ أن يَقِفَا
ومَـنْ يَخُضْ لُجَّةَ القاموسِ ليسَ لَــهُ ... فُلْكٌ تَـقِيـهِ مِـنَ الألحانِ قـــد تَلِفَا
أَهْدَى إلَيَّ مِنَ الأشعارِ مُضْحِكَــــةً ... لِلْـخَلْقِ أوْدَعَـــهَا مِـنْ لَحْنِهِ كِسَـفَا
إذْ صَيَّــرَ الهـمْزَ هَمْزَ القَطْعِ مُتَّصِـلاً ... وقـــال جلْـوَى وجلْواً ثُمَّ ما أَلِـــفَا
والشِّعرُ صعْبٌ عَزيزٌ ليسَ يُدْرِكُـــهُ ... سـوَى ذَكِـيٍّ حَـديدِ الفَهْمِ قد ثَقِـفَا

ولمّا وصلت هذه القصيدةُ الشيخَ سيدي محمّد تَدافَعَ تلاميذُ[1] أبيه للرّدّ عليها، والدّفاع عن ابن شيخهم، بَيْدَ أنّ ابن مُحمْدِي تجاهلَهم، ولم يردّ إلاّ على الشيخ أحمد بن اسْليمان(ت١٣٠٠هـ) الديماني منهم؛ لِكَوْنه رآه كُفؤاً مُناسباً[2]. ويُلحَظ أنّ موضوع المناظرة كان حول جمع (حَرْفٍ على حِرَفٍ)، بَيْدَ أنّ الاستدراكات على مسائل أُخرى أخذت في التّوارُد من المُناظِريْن، كاستدراك ابن مُحَمْدِي مثلاً على سيدي محمّد جعْله همزةَ القطع همزةَ وصلٍ، وهي الواردة في (أشْدُد)، إذ هي للقطع. غير أنّه يُمكن الاعتذار عنه؛ لأنّ الضرورة تُبيح ذلك، كما استدرك عليه جعْله (جَلْواً) مصدراً لِ(جَلاَ)، حيث مصدرها القياسي، المشهور(جلاء)[3].

وفي حقيقة الأمر(جَلْوٌ) مصدر له أيضا، مذكور في المعاجم. جاء في لسان العرب: «جَلا الصَّيْقَلُ السّيفَ والمِرآةَ ونحوهما جَلْواً وجِلاءً صَقَلَهما.. وجَلا عَيْنَهُ بالكُحْل جَلْواً وجَلاءً ..ويُقال : جَلَوْتُ بَصَرِي بالكُحْل جَلْواً، وجَلَوْتُ عنِّي همِّي جَلْواً إذا أذهبته»[4].

١- لم تذكر المصادر التي بأيدي أسماءَهم، سوى ابن سليمان الديماني، الذي صُرِّح به في المتن.
٢- الوسيط، ص٦٠ - ٦٢. ولم أقف على شيء من هذه الرّدود.
٣- الوسيط، ص٢٤٥.
٤- مادّة (جَلاَ).

٢- مُناظرة بين سيدي عبد الله بن أحمد دامَ، الشّاعر الكبير (كان حيّاً في أواسط ق١٣هـ)، ومُحَمّْ بن أحمد، الرّجل النّاسك الصّالح (كان حيّاً في أواسط ق١٣هـ). وكلاهما من قبيلة إدَابْلَحْسَنْ. وذلك أنّ قبيلتهما جَرَت بينها وبين قبيلة أخرى حرب[١]، فقَتَلت قبيلتُهما رجليْن من تلك القبيلة، فتحمّل مُحَمّْ عن قبيلته لتلك القبيلة خمس دِيات مغلّظة، فقال سيدي عبد الله في ذلك أبياتا يُلمَح فيها بغض التّهكّم :

أيا شَيخَنا الأستـــــاذَ أنت إمامُنا   وكنـت لنـا عند الخُطوبِ مَـلاذَا
حَمَـــلتَ رَعــــاكَ اللهُ ما لا نُطيقُهُ   وهـــل حَمَلَتْ (تَيْزَكَّ) قبلَكَ هـــذا
مَضَــــوْا يُسْقِطونَ المُدَّ ثُمَّ تَبَدَّلوا   بِهِ عُكَّـةً إذ يَحْضُرونَ جِـــــذَاذَا
فَذِي دِيَّةٌ مِنْ غيْرِ عَقْــــلٍ ولا دَمٍ   وتـانِ قَـضــــاءٌ واثنتانِ لِمـــاذَا.

فقال له مُحَمّْ : إنّ إتيان (لِماذا) في عجز الكلام خطأ؛ لأنّ محلّها عادةً صدرُ الكلام. فردّ عليه قائلا :

هيَ العُرْبُ تأتي مِـن وُجـوهٍ كـثيرةٍ   يَـــتِـيهُ بها بـعضُ النُّحاةِ الأكابـرِ
لِذلك أضْحَى بعضُ أشياخ مَعْشَرِي   يقــولون (ماذا) لا تُرَى في الأواخر
وألْــفٌ لِماذا في النّوادِرِ كُــــرِّرَتْ   وهل تجـهَل الأشيـاخُ ما في النّوادر.

يقول أحمد بن الأمين، معلّقا على مضمون هذه الأبيات : «يُشير إلى قصّة الأعرابي، الذي سأل بعض الأمراء، فقال له : ما يُجبر كسرَك؟ فقال : ألْفٌ وألْفٌ وألْفٌ، فقال الأمير : ألْفٌ لِماذا، وألْفٌ لِماذا، وألْفٌ لِماذا؟ فذكَر الأعرابيّ لِكُلّ ألْفٍ وَجهاً يَصرفها فيه. وهي في أمالي أبي عليّ القالي[٢]. وكتاب (الأمالي) يُعْرف عند أهل الصّحراء بالنّوادر. قالوا : فقال الشّيخ : أبْعَدَه اللهُ، فكان ذلك سبب جولاته»[٣].

٣- مناظرة بين سيدي عبد الله بن أحمد دامَ المذكور سالفاً، وإِدْيَيْجَ بن عبد الله الكمليليّ (كان حيّاً في أواسط/ ق ١٣ هـ)، العالم الكبير، اللّغويّ، النّحويّ الشهير[٤]. وذلك

١- لم أقف على تحديد اسمها.

٢- إسماعيل بن القاسم، المُتوفّى ٣٥٦هـ. يراجع الأعلام، ج١، ص٣٢١.

٣- الوسيط، ص٢٨٧، ٢٨٨.

٤- المصدر نفسه، ص٣٦٨.

أنّ هذا الأخير كان يهجو التّجانيّة[1] وكان الأوّل مِمّن يُناصرونها. فقال سيدي عبد الله في ذلك، مخاطباً إِدْيَيْجَ :

صاح لا تَسْــــــعَ أن تَلُمَّ بناد   يَتعاطَــــونَ غِيبَةَ العُبّـــــــادِ
إنّ نُكْراً نكيرُ مَنْ ليسَ يَــــــدْري   وقَمِينٌ بالعُـــزْلِ تَــــرْكُ الجِلادِ
وإذا لم يكــنْ لــــديْكَ نصيبٌ   فَـــلْيُزَكِّ المَـــلِيُّ ذو الأذْوادِ

فَغَلّطَه إِدْيَيْجَ في موضعين اثنتين، هما : جعْلُه اسم (إنّ) نكرةً في قوله : (إنّ نُكْراً نكيرُ مَنْ ليس يَدري)، وهذا لا ينبغي. وجَعْلُه (ذوالأذْوَادِ) (التي وردت على وزن جمْع القلّة، والتي هي جمعٌ للذّود ، الذي يُطلق على الثلاث إلى العشر)، وصْفاً لـ(المَليّ)، وهذا لا يتناسب؛ إذ قال : (فَلْيُزَكِّ المَلِيُّ ذوالأذْوادِ). هذا هو وجهُ اعتراضه. إلاّ أنّ ما قاله فيه نظر، كما يقول أحمد بن الأمين في تعليقه على هذا الاعتراض :

«وذلك غير صواب ؛ لأنّ الأعشى ميمون، من الطّبقة الأولى من الجاهليّين قد نكّره، قال»[2] :

إنّ محـــــــلاًّ وإنّ مُرْتَحَـــــلاً   وإنّ في السّـــفرِ ما مَضَى مَهَـــــلاَ.

والحاصل أنّ مْن عنده أذواد لا يُقالُ له مليء ، وهذا غير سديد؛ لأنّ الذّوْد قيل فيه : إنّه من الثّلاث إلى العشرين، وقيل إلى الثّلاثين، فإذا جمعنا ثلاثين عشر مرّات صار مليّاً؛ ولأنّ جمع القلّة قد يرد للكثرة، قال تعالى : [وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ]{٢٧ ، لقمان}، ولا يُقال إنّ أقلاماً هنا للقلّة معنىً»[3].

هذه نماذج فقط من مناظرات عريضة للقوم ببلاد شنقيط، أثْرَوْا بها كثيراً من مسائل النّحو، وقضاياه، مثّلت عندهم جانباً من الترف العلميّ، وطرفاً من استعراض القدرات المعرفية في هذا الفنّ.

ثالثاً : ظاهرة الطُّــرَف النحــوية : يُقصد بها عرض المسائل النّحوية في أسلوب مُسْتَطْرَف، مُسْتَـمْـلَـح، مُسْتَعذَب، يحمل في طيّاته إجاباتٍ مُفْحِمةً، وبديهةً حاضرةً،

١- أصحاب الطريقة الصّوفية التيجانية.

٢- هذا مطلع قصيدة يمدح بها سلامة ذا فائـش. يراجع مختار الشعر الجاهلي، ج٢، ص٢٣٨.

٣- في الوسيط، ص٢٨٩.

لافِتةً. وقد شاعت هذه الظاهرة لدَى العلماء والدّارسين الشنقيطيّين في نوادِيهم النحوية، ومُذاكراتهم التدريسية بشكلٍ ملحوظ، وشكّلت عندهم لَوْناً من ألوان التّرف الأدبي والمعرفي، وأظهروا فيها براعاتٍ نادرةً، وإن كانت ظاهرةً قديمةً في الثّقافة العربية. فقد ذكر ابن هشام : «أنّ ابن الأخضر[1] سُئل بحضرة ابن الأبرش[2] عن وجه النّصب في قول النّابغة [3] :

أتاني أَبَيْتَ اللّعْـــــنَ أنّكَ لُمـتَـنِـي وتـلـكَ التي تَـسْـتـكُّ منها المَسامعُ
مَقَالَةَ أَنْ قد قُلْتَ : ســــوفَ أنالُهُ وذلـك مِـن تِلقاءِ مِثْـلِكَ رائِـــــعُ.
فقال [4] : .... ولا تَصْحَبِ الأرْدَى فَتُرْدَى مع الرّدَى.

فقيلَ له : الجواب؟ فقال ابنُ الأبرش : (قد أجاب)، يريد أنّه لَمَّا أُضيفَ إلى المبنيّ اكتسب منه البناء، فهو مفتوح لا منصوب، ومحلّه الرّفع بدلاً مِن (أنّك لُمْتَنِي)، وقد رُوِي بالرّفع. وهذا الجواب عندي غير جيّد؛ لعدم إبهام المضاف»[5].

كظرف الزّمان المبهم المضاف، نحو(حين) مثلاً. ومع غموض هذه الإجابة فإنّ سرعة البديهة فيها أكسبتها من الطرافة المُمتِعة ما لا يخفى، كما أفادت حدّة ذهن صاحبها. وفيما يلي أورد أمثلة من هذا اللّون عند الشناقطة :

١- كان الحسن بن زين القُناني(ت١٣١٥هـ) يوما مع بعضٍ من طلبة العلم، يقرؤون شرح الدّماميني على تسهيل ابن مالك عند إضافة ظرف الزّمان المبهم، في باب الإضافة، فاسْتَوْقفهم كلام منسوب لابن هشام : «قال ابن هشام : سألني سائل من أين تهُبّ الصَّبَا، فأنشدتُّه :

ألم تعْلَـمِي ياعمـــــــرَكِ الله أنّنِـي كريـمٌ عـلى حـينَ الكرامُ قـــليلُ

١- علي بن عبد الرّحمن الإشبيلي، العالم الأديب(ت٥١٤هـ).

٢- خلف بن الشنتريني، الأديب النحوي(ت٥٣٢هـ).

٣- من قصيدة له يعتذر فيها للنّعمان، مطلعها : (عَفَا ذُو حُساً مِنْ فَرْتَنَى فَالفَوارِعُ فَجَنْبَا أَرِيكٍ فَالتِّلاعُ الدّوافِعُ). يراجع مختار الشّعر الجاهلي، ج١، ص١٥٥، ١٥٧.

٤- هو عدي بن زيد العبادي. وصدر البيت : (إذا كنت في قومٍ فَصاحبْ خيارَهُمْ). يراجع مغني اللّبيب، ص٤٨٩، حاشية رقم ٤. تحقيق مازن المبارك، دار الفكر.

٥- في مغني اللّبيب، ص٤٨٩.

وأنِّيَ لا أُخْزَى إذا قيلَ مُمْلِقٌ سَخِيٌّ وأُخْزَى أن يُقالَ بخيلُ[1].

ولم يُوضّح ابن هشام أكثر من هذا، وبقِي الكلام مُسْتغلقاً عليهم، ولم يَبِن لهم المعنى، فقال لهم بن زين : «والله لقد فهِمت مُرادَ ابن هشام، فقالوا له بيّنه لنا، فقال لهم: يُشير إلى قول الشّاعر[2] :

إذا قلتُ هذا حينَ أسلُو يُهَيِّجُني نسيمُ الصَّبَا مِن حيثُ يَطَّلِعُ الفجْرُ.

فقوله : (حين الكرامُ قليلٌ) مُماثلٌ لقوله : (مِن حيثُ يَطَّلِعُ الفجرُ)؛ إذ كلٌّ مِن (حين وحيث) ظرفٌ مضاف إلى جملة»[3].

يبدو أنّ ولد زين كان مطّلعاً على مادّة مغني اللّبيب جيّداً ، فالمسألة فيه هكذا: «فإن كان المضاف إليه فعلا معرباً، أو جملة اسمية ، فقال البصريّون : يجب الإعراب ، والصّحيح جواز البناء... وقال :»[4].

ذاكراً الشعر.

٢- شَهِد محمّد عالي بن عبد الودود (ت١٤٠١هـ) يوماً جنازةً، فأنشد بيت الشّاعر: الهادي بن محمْدِي بن عبد اللّه العلويّ(ت١٣١٩هـ)[5] :

لا بُدَّ أنْ سيَقُولُ يوماً قائلٌ في عَدِّهِ مَنْ ماتَ ماتَ الهادِي.

برفع(سيقول)، فتطاول عليه أحد[6] الحاضرين، قائلاً : (أنْ سيقولَ) بالنّصب، فقال الشيخ ببديهةٍ حاضرةٍ ، وبَراعةٍ مُسْكِتة[7] : [عَلِمَ أَن سَيَكونُ مِنكُم مَّرْضَى] {٣٠، المزّمّل}. ومن المعروف عند النّحويّين أنّه يجب رفع فِعْل العِلْم، ونحوه ممّا يُفيد اليقين[8] إذا وقَع بعد(أَنْ)، وهي عندئذٍ المُخفّفة مِن (أنَّ).

١- البيتان لمبشّر بن الهذيل، أو لمويلك بن المذحجي. يراجع مغني اللّبيب، ص٤٨٨، والحاشية، رقم ٩. ولم أقف على اسم صاحب هذا السؤال.

٢- أبو صخر الهذلي عبد الله بن سلمة، ص٤٨٨.

٣- الوسيط، ص٣٧٧، ٣٧٤.

٤- مغني اللّبيب، ص٤٨٨.

٥- ترجم له صاحب الوسيط، ص٧٢.

٦- لم أقف على اسمه.

٧- بحث (النّحو العربي في النوادي الشنقيطية)، ص١٧٦.

٨- مغني اللّبيب، ص٤٢ ،

وقد علّق الأستاذ محمّد بن بُتّار على هذه المسألة بقوله : « بقِي أن نُنَبّه هنا على أنّ ما اطّلعنا عليه من كتب النّحو يُعبّر في هذا الباب بِفِعْل العِلْم، حيث تكون (أَنْ) بعده مخفّفة من(أنّ)، لا ناصبة للمضارع. لكنّني وقفت على بيت للنّابغة الجعدي[1] وقع فيه الرّفع بعد (لابُدَّ) كما في بيت الهادي. وهو قوله :

ثُـمَّـتَ لابُـدَّ أنْ سَـيَجْمَـعُـكُـــــمْ   واللّـــهِ جَـهْـراً شهادةً قَـسَـــــــــما[2].

هذا ما قاله الأستاذ الفاضل في بحثه القيّم. وأُشير إلى أنّ الشيء الأتّمّ الذي ذكره النّحويّون في هذه المسألة هو أنّ (أنْ) تقع بعد فِعْل اليقين، أو ما نُزِّل منزلته، وليس فقط فِعْل(العِلْم) وحده. وهذا فائض في كتب النّحو، قال ابن عقيل في شرحه للخلاصة: «وأشار بقوله : (لا بعدَ عِلْمٍ) إلى أنّه إن وقعت (أنْ) بعد عِلْم ونحوه، ممّا يدلُّ على اليقين، وجب رفع الفعل بعدها..»[3].

وقال ابن هشام : «الوجه الثّاني أن تكون مخفّفة من الثّقيلة فتقع بعد فعْل اليقين، أو ما نُزِّل منزلته»[4]. وقال أيضا : «وليس من ذلك(أي (أنْ) النّاصبة للمضارع) قوله[5]:

ولا تَدْفِـنَـنّي في الـفَـــــلاة فإنّـنـي   أخـــافُ إذا مـا مُـتُّ أن لاّ أَذوقُـها.

كما زعم بعضهم؛ لأنّ الخوف هنا يقين، ف(أنْ) مخفّفة من الثّقيلة»[6].

لذلك قال المختار بن بونا[7] : «وأجاز سيبويه إجراءها بعد الخوف مجراها بعد العِلْم لِتيَقُّن المخوف منه، كخِفْت أنْ لاّ تفعلُ، وقوله[8] :

إذا مُـتُّ فـادْفِـنِّي لدى جَنبِ كَرْمَـةٍ   تُــرَوِّي عـظامي في المَماتِ عُروقُـها
ولا تَدْفِنَـنِّي في الـفَـــلاةِ فـإنّـنِي   أخـافُ إذا مـا مُـتُّ أنْ لاّ أذوقُـها.

١- أبو زيد محمّد بن أبي الخطّاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق الدّكتور محمّد علي الهاشمي، ج٢، ص٧٧٣.

٢- في بحثه : (النّحو العربي في النوادي الشنقيطية)، ص١٧٦.

٣- تحقيق يوسف، طبعة دار الفكر١٤١٩هـ١٩٩٨م، ج٤ ، ٣٣٥.

٤- مغني اللّبيب، ص٤٢.

٥- هو الشّاعر أبو محجن الثّقفي عمر بن حبيب. مغني اللّبيب، ص٤٢.

٦- مغني اللّبيب، ص ٤٢.

٧- تقريب الطُّرّة، ج٢، ص٦٠٦.

٨- سبق قبل قليل أنّ الشّاعر هو أبو محجن الثّقفي عمر بن حبيب.

وخشيت أنْ لاّ تقومُ»[1].

وعليه فإنّ(لابُدَّ) في بيت النّابغة الجعدي، سالف الذكر تدلُّ على اليقين بشكل واضح، وتدخل في تحديد النّحويّين لهذه المسألة. ويُلحَظ أنّ الأستاذ الفاضل كان دقيقا في تعبيره عند ما قال: «على ما اطّلعنا عليه من كتب النّحو».

وهذه أمانة علمية طيّبة؛ لأنّ ابن بونا في طَرَف من طُرّة هذه المسألة أشار إلى ماذكره الأستاذ، فقال: «لا بعد فِعْل (عِلْم) خالص على الأصحّ لوجوب كونها حينئذٍ مخفّفة من أنّ الثّقيلة»[2].

غير أنّه توسّع في المسألة فيما بعد.

٣- نازع الشيخَ محمّد عالي يوماً أحدُ زملائه من طلبة العلم في كتاب، فتحاكما إلى الشيخ يحظيه بن عبد الودود الجكني (ت١٣٥٨هـ)، فـلُوحِظ أنّ الصّفحة الأولى من الكتاب مكتوب عليها «بخطّ محمّد عالي: أعطاه لي شيخنا يحظيه بن عبد الودود»، فانتقده زميله في إدخال اللاّم على أحد مفعولي أعطى، فقال محمّد عالي مخاطباً شيخه يحظيه:

أَحَجّاجُ لا تُعْطِ العصاةَ مُناهُمُ ... ولا اللّهُ يُعطِي للعصاة مُناها.

وهو بيت لليلى الأخيلية[3]، أنشده ابن هشام في مغني اللّبيب[4]، شاهدا على دخول اللاّم على أحد مفعولي أعطى[5].

وهي إجابة فيها من الظّرافة والرّوعة ما لا يخفى. ومع ذلك يبقى دخول اللاّم على أحد مفعولي أعطى مسألة شاذّة، كما قال ابن هشام: «وهو شاذّ، لقوّة العامل»[6].

١- مغني اللّبيب، ص٤٢. وقد اعترض الدّماميني هنا: «إن كان خوفه يقيناً فلماذا قال البيت الذي قبله». يراجع حاشية محقّق المغني مازن المبارك، رقم ٧، من ص٤٢. وهو اعتراض ليس بالوارد فيما أرى؛ لأنّ الخوف هنا في حكم المُتيَقّن.

٢- تقريب الطُّرّة، ج٢، ص٦٠٦.

٣- الشّاعرة الكبيرة، بنت عبد الله، معشوقة توبة بن الحميّر، توفّيت حوالي٨٠هـ. يراجع مغني اللّبيب، ص٢٢١. والبيت رقم ٣٩٨.

٤- ص٢٢١.

٥- حولية جامعة شنقيط العصرية، بحث: (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٧٦، ١٧٧.

٦- مغني اللّبيب، ص٢٢١.

٤- تقدّم شابّان لخِطبة فتاة شنقيطية، أحدهما أقرب لها نسباً من الآخر، وهو مُعدم، والآخر ذو مال، فقالت لأهلها مُجيبةً، حاكيةً بيتَ ألفية ابن مالك[١] :

وقــدِّمِ الأخَصَّ في اتِّصـــــــالِ   وقَدِّمَنْ ما شِئْتَ في انفِصــــــالِ[٢].

٥- جرَى حوارٌ بين طالبين من طلبة المحظرة في مسألة وجوب إبراز الضّمير منفصلاً بعد إضمار عامله، فقال أحدهما: هذا مُختصّ بضمير النّصب، فردّ عليه الآخَر قائلاً[٣] :

وإنْ أنتَ لم ينفَعْـكَ عِلْمُكَ فانتَسِبْ   لعلَّكَ تَهْدِيكَ القُـــــرونُ الأوائِلُ[٤].

وهي إجابة بديعة، مُسكِتة. ويبدو أنّهما طالبان نبيهان؛ إذ كان الأوّل منهما يُشير إلى الضّمير (إيَّاكَ) في أسلوب التّحذير، الذي عَنَاه ابن مالك في الخلاصة[٥] بقوله :

إيّـاكَ والشّــــرَّ ونَـحــــوَهُ نَصَبْ   مُـحَـــــذِّرٌ بِهَا اسْتِــتارُهُ وَجَبْ

ودونَ عطْفٍ ذا لإِيّـا انْسِبْ ومـــا   سِــــــواهُ سَـتْـرُ فِـعْلِهِ لن يَلْزَما.

بينما كان الآخرُ يَعنِي وجوبَ فصْلِ الضّمير، وإبرازه دون تحديد بعد حذف العامل، مُشيراً إلى قول ابن بونا في الاحمرار[٦] عند مبحث الضّمائر في بَاب النّكرة والمعرفة :

ويُـفْـصَـلُ العـاملُ فيــــــهِ مُبْتَدا   أوِ ابْـتِـدَا أو حَـــــرْفُ نَفْيٍ أو نِدَا

أو تِـلْــوُ إمّـا،واوُ مَعْ ومُضْمَـــــرُ   ومـا يُـرَى مـن بـعـدِهِ ومَصْـــــدَرُ

أُضِـيفَ والـذِي معَ اللاّمِ جُعِــــلْ   أو إنّمـا ومـا بِـمَـتْـبوعٍ فُصِــــــلْ.

وقولِهِ في باب الاشتغال[٧] :

ورُبّـمـا رَفَـعَـــــــــهُ ما أُضْمِرَا   مُـوافِـقـــــــاً مَـعْنىً لِما قد أُظْهِرَا.

وقد استشهد ابن بونا بالبيت الشّعريّ (الذي استدلّ به الطّالب) في هذين

١- البيت رقم ١٥، من باب النّكرة والمعرفة.
٢- الألفية وأثرها، ص١٥٠. ولم أقف على أسماء الشّابين والفتاة.
٣- البيت للبيد. يراجع مختار الشّعر الجاهليّ، ج٢، ص٤٨٢.
٤- حولية جامعة شنقيط العصرية، بحث (النّحو في الّوادي الشّنقيطية)، ص١٧٧، ١٧٨.
٥- البيتان الأوّلان من باب التحذير والإغراء.
٦- تقريب الطُّرّة، ج١، ص٥٩.
٧- تقريب الطُّرّة، ج١، ص٢٧٨.

الموضعين. إلاّ أنّه (مع طَرافة الإجابة وحُسْنها) خرج عن أسلوب التّحذير، الذي يُمَثَّل له ب(إيَّاكَ)، وعليه فيكون الصّواب مع الأوّل إذا كان المقصود أسلوبَ هذا الباب.

٦- نزل العَمّ بن أحمدُّو فال بن أحمد بن عَمّ، الملقّب لِعْمَيْمْ (ت ق ١٣هـ) يوماً بقرية فرنسية مُعَدّة للتجارة مع العرب، وأغلب ما يُباع فيها العِلْك (الصّمغ العربي)، يقالُ لها(دَكَانه) على شاطئ نهر، يُسمّى(أَبْجَكْ)، وكان من عادة سكّان هذه القرية أنّهم يَعْتنون كثيرا بإكرام بائع العِلك، ويُهملون غيره من الضيوف، ولا يلتفتون إليهم. فقال العمّ في ذلك مشبّها إهماله في هذه القرية بواو عمرو، وهمز الوَصل في وصْل الكلام:

أمَــا والْيَـعْمَـلاتِ مِنَ الْمطـايا ومَكْـنـونِ المَحـاسنِ مِنْ حَذام
لَـمِـنْ رَيْـبِ الـزّمــانِ ومُعْتَدَاهُ مُـقامِـي في (دَكانَ) بلا مُقام
كأنّـي في المَـحافِـلِ واوُ عَمْرٍو وهمْزُ الوصْـلِ في دَرَجِ الكَـلامِ [1].

شعر به رقّة وعُذُوبَة، وسلاسة حسَنة.

٧- قام محمّد يحيى بن الشيخ الحسين(ت١٤٠٨هـ) في إحدى محاضراته بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بعطف اسم ظاهر على ضمير مخفوض بدون إعادة الخافض، فنبّهه أحد الطلبة استناداً إلى قول ابن مالك في الخلاصة [2]:

وعَـوْدُ خافِضٍ لَدَى عَطْفٍ على ضَميرِ خَفْضٍ لازِماً قد جُعِلا.

فأجابه محمّد يحيى إجابةً بديعةً، إذ قال: (اذْهَبْ فَما بِكَ والأَيّام مِنْ عَجَبِ[3])، وهو شاهد للمسألة يذكره النّحويّون عند بيت الخلاصة الموالي للسّابق:

وليس عِندِي لازِماً إذ قد أَتَـى في النّظْـمِ والنّثْرِ الصّحيحِ مُثْبَتَا[4].

١- الوسيط، ص٨٦.

٢- البيت رقم٢٠.

٣- هذا الشّطر الثّاني من قول الشّاعر: (فاليوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجونَا وتَشْتُمُنَا فاذْهَبْ فَما بِكَ والأيّام مِنْ عَجَبِ). وهو من شواهد سيبويه، التي لم يُذكر لها قائل. يراجع شرح ابن عقيل، تحقيق يوسف الشّيخ، ج٣، ص٢١٤، حاشية المحقّق، رقم ٢٩٨، وتقريب الطُّرّة، ج٢، ص٥٢٧، حاشية المحقّق، رقم ٧.

٤- حولية جامعة شنقيط العصرية، ص١٧٧.

٨- قدِمت سيّدةٌ شنقيطية على قاض[1]، تشكو إليه زوجها، طالِبَة طلاقَها منه، فقال لها القاضي : ما اسمُكِ؟ قالت : فُلانةُ بنتُ الواقفِ، فقال لها : اذهبِي فأنتِ مرفوعةٌ، فقد رَفعَكِ ابن مالك في باب الفاعل؛ إذ قال[2] :

وقد يُبيحُ الفصْـــــلُ تَرْكَ التّاءِ في   نحوُ أتَى القاضيَ بِنتُ الواقِفِ[3].

٩- عُرِف مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي، اللّغويّ الكبير (ت١٢٤٣هـ) بسرعة البديهة، وحُسن الجواب، فمن ذلك مثلا : أنّه خرج يوماً في آخر ليلة من شهر رمضان مع قوم[4] ينظرون الهلال، فذَكَر مثلاً عربيّاً، كثُر وُروده على ألسنة الناس عند انقضاء شهرِ رمضان : (يارُبَّ صائِمِهِ لنْ يَصومَهُ، ويارُبَّ قائِمِهِ لنْ يَقومَهُ)، فقال أحد القوم : (مَن هذا الذي لم يبلغ حروف الجرّ في الألفية)، يُشير إلى البيت[5] :

واخْصُصْ بِمُذْ ومُنْذُ وقْتـاً وبِرُبّْ   مُـنَـكّراً والتّــــــاءُ للّـهِ ورَبّْ.

فقال مولود :(مَن ذاالذي لم يتجاوز حروف الجرّ إلى ما بعدها). يُشير إلى بيت الخلاصة في باب الإضافة[6] :

وإنْ يُشـــــابِهِ المُضافُ يَفْـعَـلُ   وَصْـفــــاً فَعَنْ تَـنكيرِهِ لا يُعْزَلُ.

والمقصود بمشابهته (يَفْعُل) كوْنه وصفاً دالاًّ على الحال أو الاستقبال[7]. وهذا المَثل العربيّ، استدلّ به ابن هشام في مغني اللّبيب على وُرُود (رُبّ) للتكثير كثيراً، إذ قال: «وسُمع أعرابيّ يقول بعد انقضاء رمضان : يارُبَّ صائِمِهِ لنْ يَصومَهُ، ويارُبَّ قائِمِهِ لنْ يَقومَهُ»[8].

١- لم أقف على اسم السّيّدة، ولا القاضي.

٢- البيت رقم ٨ .

٣- تاريخ النّحو العربي، ص٤٤٦.

٤- لم أقف على معلوما ت عنهم.

٥- رقم ٤.

٦- رقم ٤.

٧- الوسيط، ص١٩١، ١٩٢.

٨- ص١٤٢.

١٠- وكان يوماً في مجلس فسمِع رجلاً[١] يقولُ : (هذا لا يَمكن) بفتح حرف المضارعة، فقال : (هو لا يَمكن، لا يُمْكِنُ)، ففَتح حرف المضاعة أوّلاً على الحكاية، وضمّه ثانياً لِتصحيح الغلط.

١١- وشبيه بهذا أيضا أنّه سمِع آخر[٢] يقول: (هذا يَزْرِي بالمروءة) بفتح حرف المضارعة، فقال له : (يَزري بالمروءة، يُزْري بالُمروءَةِ)، ففتح حرف المضارعة أوّلاً على الحكاية، وضمَّه ثانياً لتصحيح الخطأ. وهذا الأسلوب البديع منه، رحمه الله، في تصحيح الأخطاء جاء على وجْه التّبكيت لألئك النّفر[٣].

١٢- من عادة طلبة المحظرة الشّنقيطية في العُطَل الأسبوعية القيام بزيارات للأُسَر المجاورة، لأخذ قسط من الرّاحة، وتجديد نشاطهم، وعلى هذه الأُسَر القيام بواجب الضّيافة، والإكرام دون مَنٍّ. وكان من شأن امرأة حسنية[٤] أَنّها أضَافـَتْ فِـتْـيةً من طلبة العلم يوما من الأيّام، فقدّمت لهم لَبَناً، فشربوا، فقال أحدهم، معلّقاً، حاكياً قول ابن مالك في الخلاصة: (وامْنَعْ هنا إقاعَ ذاتِ الطّلَبِ)، مُلَمِّحاً بذلك إلى أنَّ اللّبَن ممزوج بالماء، مُشيراً إلى ما يرمِي إليه ابن مالك من أنّ الجملة الطّلبية يمتنع وقوعها صفةً للنّكرة، وإن جاء ما ظاهره ذلك فإنّه يُخَرَّج على إضمار القول. كما في بيت الألفية، الذي استدلّ الطّالب بشطره الأوّل[٥] :

وامْنَعْ هنَا إيقــــــاعَ ذاتِ الطّلَبِ   وإنْ أَتَتْ فالقــــوْلَ أضْمِرْ تُصِبِ.

وشاهد المسألة عند النّحويّين قول الشّاعر[٦] :

حتَّى إذا جَنَّ الظَّــــــلامُ واخْتَلَطْ   جاؤوا بِمَـذْقٍ هلْ رَأَيْتَ الذّيبَ قَطّْ.

والمَذْقُ هنا : اللّبَن المَمزوج بالماء. أي جاؤوني بِمَذْقٍ مَقولٍ فيهِ هل رأيت الذِّئْبَ

١- لم أقف على اسمه.

٢- لم أقف على اسمه.

٣- الوسيط، ص١٩٠، ١٩١.

٤- لم أقف على ترجمة المرأة، ولا القاضي.

٥- رقم ٧، من باب النّعت.

٦- هذا بيت من الرّجز مجهول القائل، وقيل منسوب للعجّاج. ورد ذكره في معني اللّبيب، ص٢٤٧، الشّاهد رقم ٤٤٧. تراجع حاشية المحقّق، رقم ٤. وهو من شواهد ابن عقيل، ج٣، ص١٧١، وتقريب الطُّرّة، ج٢، ص٤٩١.

قَطّ[1]. بمعنى أَتَوْني بِلَبَنٍ ممزوج بماء كثير، حتّى قَلَّ بياضه، وصارَ لونُهُ يُشْبِه لَوْنَ الذِّئْب. وهذا المعنى هو ما قصَدَ الطّالب، فردَّت عليه السّيِّدة المُضيفة ببديهةٍ حاضرة : «ليس الأمر كما تظنُّ، وإنّما هو رِسْلُ خُلَيْفاتٍ هذا يومها من الشُّرْب، ولم تصدر من المَعاطن إلاّ قبل قليل، فخجل الفتى من قولته، ومن اتّهامه الكاذب لِرَبّة المنزل أنّها مَذَقَت لهم الحليب، كما فوجِئَ بأنّها أدركت ما يُريد أن يُخفيه عليها بإنشاده لِبيت الخلاصة، مُشيراً إلى شاهد البيت المعروف»[2].

وهي إجابة طريفة، تفيد ذكاء هذه السّيّدة، ومستواها العلميّ الرّفيع في النّحو والأدب.

المبحث الثالث : ظاهرة الاستدراكات النحوية

كان للعلماء والدّارسين الشّنقيطيّين وَلَعٌ كبير بالاستراكات النّحوية، في بحوثهم ومناقشاتهم، حيث استدركوا على بعض النّحويّين من غير الشّنقيطيّين، كما استدرك بعضهم على بعض. وكانت صدورهم رَحْبةً، متّسعة (مع طبْعهم الحادّ في النقاش) لقَبول الاعتراضات والنّـقد؛ لأنّ الوصول إلى الحقيقة كان ضالّتهم المنشودة، التي هانَ في سبيلها كلُّ غالٍ ونَفيسٍ لديهم. يقول حُرْمَة ولد عبد الجليل (ت١٢٤٣هـ) :

ما في الجِدال من التّكذيبِ مُغْتَفَرْ شأْنُ المُجادِلِ تأْنيبٌ وتكذيبْ
رُكْنُ المَوَدّةِ منّا لا تُزَعْزِعُهُ عَواصِفُ القوْلِ تَكْذِيبٌ وتأْنِيبْ[3].

وفيما يلي إلقاء الضّوء على ذلك :

أوّلاً : استدراك النّحاة الشّنقيطيّن على غيرهم :

١- من أهمّ كُتُب أحمد بن الأمين الشنقيطيّ(ت١٣٣١هـ) شرحٌ وضعَه على كتاب السّيوطيّ(ت٩١١هـ) في النّحو : (هَمْع الهَوامِع على جَمْع الجَوامِع)، سمّاه (الدُّرَر اللّوامِع على هَمْع الهَوامِع[4]). ويظهر جليّاً إعجاب ابن الأمين بعمل السّيوطيّ في الهمْع، ومع ذلك فكانت له بعضُ الاستدراكات والملحوظات عليه، منها مثلا :

١- المصدر والصّفحة نفسها.

٢- تاريخ النّحو العربيّ، ص٤٤٦.

٣- بحث : (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٧٠. عن ديوان الشاعر، ص٦٧.

٤- الدّرَر اللّوامع، ج١، ص٦٩.

– استدلَّ السيوطيّ على جواز إضافة(كلّ) في حالة التّوكيد بها، إلى الأسماء الظّاهرة المُماثلة للمؤكَّدِ، بقول الشّاعر[1] :

أنتَ الجَـــــوادُ الذي تُرْجَى نوافلُهُ   وأبْعـــــدُ النّاسِ كُلِّ النّاس مِن عارِ.

فاعترض عليه ابن الأمين، موضّحاً أنّ (كلاًّ) عند النحويين لا يُؤكّد بها إلاّ إذا كانت مضافة إلى ضمير المؤكَّد، أمّا في هذا البيت فلا حُجّة فيها؛ لأنّها نعت، وليست بتوكيد؛ لذلك أُضيفت إلى الاسم الظّاهر[2]. وما ذكره السيوطي حقيقةً مذكور في كُتب بعض النّحويّين، يقول ابن بونا في طُرّته : «وقد يُستغنى بمثل الظّاهر المؤكَّد بكلٍّ عن الإضافة إلى ضميره، وخُرِّج عليه قوله ..»[3].

وذكر الشّاهد محلّ الاستدلال.

ويقول ابن هشام في مغنيه : «وتجب إضافتها إلى اسم مضمر، راجع إلى المؤكَّد .. قال ابن مالك : وقد يَخْلُفُه الظّاهر، كقوله[4] :

كمْ قد ذكرْتُكِ لو أُجْزَى بذكركـــــمْ   يا أشبهَ النّاسِ كـــــلِّ النّاسِ بالقمرِ.

وخالفه أبوحيّان[5] وزعم أنّ (كلّ) في البيت نعتٌ.. وليست توكيداً. وليس قوله بشيء؛ لأنّ التي يُنعت بها دالّة على الكمال، لا على عموم الأفراد»[6].

فما ذكره السيوطيّ في الشّاهد هو اختيار ابن مالك، وابن هشام، أمّا ما رآه ابن الأمين صواباً فهو اختيار أبي حيّان النّحويّ.

٢– استدلّ السيوطي[7] ببيت امرئ القيس[8] :

قِفا نَبْكِ مِن ذِكْـــرَى حَبيبٍ ومَنزِلِ   بِسقْطِ اللِّـوَى بيْنَ الدّخولِ فَحَوْمَلِ.

١– الفرزدق، البيت في ديوانه، ص٢٨٦. نقلاً عن حاشية صاحب تقريب الطُّرّة، رقم ٦، من ص٤٩٩.

٢– تاريخ النّحو، ص٥٢٧.

٣– ج٢، ص٤٩٩.

٤– الشّاعر كُثير عزّة، في ديوانه، ج٢، ص١٩٦. نقلاً عن حاشية محقّق مغني اللّبيب : مازن المبارك، رقم ٤، من ص١٩٨.

٥– النحوي الأندلسي، المتوفّى ٧٥٤هـ.

٦– ص١٩٨.

٧– تاريخ النّحو، ص٥٢٨. نقلاً عن الدّرَر اللّوامع، ج٢، ص١٧٠.

٨– وهو مطلع قصيدته المشهورة. يراجع شرح الزّوزني للمعلّقات السّبع، ص٧.

على أنّ الفاء قد ترد بمعنى (إلى). يقصد: ما بين الدّخول إلى حَوْمَلِ!!

وذكر ابن الأمين أنّ السّيوطي استدلّ أيضاً بقول الشّاعر:

يا أَحْسَنَ النّاسِ ما قَرْناً إلى قَـــدَمِ ولا حِبـــــالَ مُحِبٍّ واصلٍ تَصِلُ [١].

على عكس ما ذكَرَ في البيت السّابق. ثمّ قال مُستدرِكاً عليه: «والأصلُ ما بين قرْنٍ، فحذف(بيْن) وأقام (قَرْناً) مقامها. هذه عبارة المغني. ومنه تعلم أنّ في الهمْع سَقْطاً، والأصلُ ما بين قَرْنٍ إلى قَدَمٍ»[٢].

يقصد ابن الأمين باستدراكه هذا على السّيوطي أنّه لم يُحقِّق جيّداً مضمونَ كلام ابن هشام في المُغني أثناء تلخيصه إيّاه. وفي الحقيقة بالعودة إلى كلام المغني الذي قام السيوطي بتلخيصه نجد شيئاً ممّا أراد ابن الأمين استدراكه. حيث يقول ابن هشام: «وقيل: تقع الفاء تارةً بمعنى ثمّ... وتارةً بمعنى الواو، كقوله: (بينَ الدّخولِ فَحَوْمَلِ)... وقال بعض البغداديّين: الأصلُ (مابيْن) فحذف (ما) دون (بيْن)، كما عكَس ذلك مَن قال: (يا أحْسَنَ النّاسِ ما قَرْناً إلى قَدَمِ)، أصلُه (ما بيْن قَرْنٍ)، فحذف (بيْن)، وأقام (قرناً) مقامها»[٣].

فكلام ابن هشام هنا، الذي قام السيوطي بتلخيصه لا يوجد فيه وُرود للفاء بمعنى (إلى) في بيت امرئ القيس. ومع أنّ استدراك ابن الأمين هنا كان مُقتضَباً، إلاّ أنّ نصّ ابن هشام بتمامه كما رأينا يُوضّح ذلك. ومع هذه الاستدراكات فإنّ ابن الأمين يبقى مُجِلاًّ لِجهود الإمام السيوطيّ، كما يقول الدكتور المختار بن ابّاه: «ويبرز كتاب الدُّرَر اللّوامع في طليعة الكتب التي جمعت بين اللّغة والنّحو والأدب، مُظهِراً لما لمؤلّفه من قَدَم راسخة في هذه العلوم، ومن عناية وتقدير لجهود الإمام السّيوطيّ في خدمة اللّغة العربية»[٤].

٣- ذَكَر النحويّون من معاني لام الجرّ الزّيادةَ لإفادة التوكيد، فتأتي معترضةً بين الفعل المتعدِّي ومفعوله. فاستدلّ ابن هشام في المغني[٥] لذلك بقول الشّاعر[٦]:

١- ورد ذكره في مغني اللّبيب، ص١٦٧، رقم ٢٩٢.

٢- الدُّرَر اللّوامع، ج٢، ص١٧٠. نقلاً عن تاريخ النحو، ص٥٢٨.

٣- ص١٦٨.

٤- تاريخ النحو، ص٥٢٨.

٥- ص٢١٩.

٦- هو ابن ميّادة (الرّماح بن أبرد)، يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. تراجع حاشية الأمير على المغني، ج١، ص١٨٠.

ومَلكْتَ ما بيْن العــــراقِ ويـثرِبٍ   مُـلْـكاً أجـارَ لِمُسْلم ومُعاهِــــــدِ.

فَنبّهَ[١] الشيخ الشّنقيطيّ الدَّنَبْجَة بن مُعاوية التّندغي[٢] إلى أنّ ما دخلت عليه اللاّم هنا ليس هو المفعول به، بل المفعول به مذكور في البيت الموالي للسّابق، وهو :

مالَيْهُما ودَمَيْهُما مِن بعـد مــا   غَشِيَ الضَّعيفَ حُسامُ سيْفِ المارِدِ[٣].

وهو استدراك واضح لم يَلْحَظه مَن ذكر البيت الثّاني من شُرّاح المغني[٤]، فأحرى مَن اقتصر على البيت الأوّل، فشيخ النّحويّين ببلاد شنقيط المختار بن بونا على جلالة قدره لم ينتبه لذلك أيضاً في طُرّته[٥]. ولعلّ مَن ذهب إلى هذا من النحويين يريد أنّ ما دخلت عليه اللّام مفعول ثانٍ عُدِّي إليه الفعل بحرف الجرّ، والمفعول الأوّل الواقع في البيت الثاني واضح لا يحتاج للوقوف عنده. وعليه فلا وجه لاستدراك الشنقيطيّ.

وقد علّق الأستاذ محمّد بن بُتّار تعليقا معبّراً عن بعض أوهام النحويّين قائلاً : «وهذه ظاهرة ملحوظة في تعامل النّحاة مع الشواهد الشّعرية، إذ يقتصرون على البيت المقصود للاستشهاد، ولا يعتبرون ما معه من أبيات، وهو ما قد يؤدّي إلى مثل هذه الغفلات، فمن ذلك إنشادهم في باب التّرخيم قول الشّاعر [٦] :

يـا أرْط إنَّـكَ فاعــــلٌ ما قُـلـتَـهُ   والمــــرءُ يَـسْـتحيـي إذا لم يَصْدُقِ.

بِلَفظ (إنّ) النّاسخة، مع كاف الخطاب. والرّواية الصّحيحة : (إنْ تَكُ) ب(إنْ) الشرطية، ومضارع (كان)، وجواب الشّرط قوله في البيت الموالي [٧] :

فافْعلْ كما فعَلَ ابنُ دارةَ سالِــــمٌ   ثـــمّ امْـشِ هَوْنَكَ سادِراً لا تَـتَّـقِ[٨].

١- بحث : (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٦٨.

٢- لم أقف على من ترجم له.

٣- ورد ذكره في حاشية الأمير على المغني، ج١، ص١٨٠.

٤- كالشيخ محمد الأمير مثلاً في حاشيته عليه، ج١، ص١٨٠.

٥- ج١، ص٣٧٥.

٦- ورد ذكره في طُرّة ابن بونا مع التّقريب، ج٢، ص ٥٦٥، في الباب نفسه. وهو لزميل بن الحارث، من قصيدة يخاطب فيها أرطأة بن سهيل. وأرطأة في البيت مرخّم، حذفت منه التّاء، ثمّ الألف. وهو شيء جائز عند سيبويه فيما يزيد على ثلاثة أحرف. يراجع المصدر نفسه، ص٥٦٤، مع حاشية المحقّق، رقم ١، من ص٥٦٥.

٧- الأغاني، ج١٨، ص٣٨.

٨- بحث : (النحو في النّوادي الشنقيطية)، مصدر سابق، ص١٦٩.

وهي حقيقة ملحوظة في محلّها. بيْدَ أنّه إذا صحّ هذا الاستدراك فلا وجْه لإبقاء (فاعل) مرفوعاً، بل يجب نصبه على أنّه خبر (كان)، وهذا ما لم ينبّه إليه المُستدرِك.

٤- سأل أحد العلماء[١] الشّاعرَ أبا الطّيّب المتنبي(ت٣٥٤هـ) عن عدد الجموع التي وردت على وزن (فِعْلَى) بكسر فسكون، فأجابه على البديهة : (ظِرْبَى وحِجْلَى)، فقال ذلك العالم : ففتّشت الكتب ثلاث ليالٍ فلم أقف على غيرهما. فقال اجْدُود عبد الوهّاب بنَ اكْتَوَشْنِ العلوي الشّنقيطي(ت١٢٨٩هـ) : إنّه وجد ثالثاً لهما على هذا الوزن، وهو (مِعْزَى) ، فقال ناظماً :

وثالثُ اللّفظَيْنِ لفظٌ يُعْزَى ... إلى الدّماميني[٢] وهْو مِعْزَى.

وهو مذكور في الشّعر العربي، قال سيبويه : «وزعموا أنّ ناساً يذكرون (مِعزَى)... يقولون :

ومِعْزًى هَدِباً يَعْلو ... قِرَانَ الأرضِ سُودَانَا [٣].

ومنه أيضاً ما أورده امرؤ القيس[٤] :

ألاَ إلاّ تكنْ إبِلٌ فَمِعْزَى ... كأنّ قُرُونَ جِلّتِها الْعِصِيُّ.

وقول آخر[٥] :

بِتْنا بِحسَّانٍ[٦] ومِعْزَاهُ تَئِطْ ... ما زِلتُ أسْعَى بينهمْ وأخْتَبِطْ

حتّى إذا جنَّ الظّلامُ واخْتَلَطْ ... جاؤوا بِمَذْقٍ هلْ رأيتَ الذّيبَ قطّ.

٥- حَظِيت ألفية ابن مالك بإجلال كبير من العلماء والدّارسين الشّنقيطيّين، فكانت استدراكاتهم على أبياتها، وملحوظاتهم عليها، في شكل إكمالٍ وتَتْميم لما رأوه من

١- في هذه المسألة الوسيط، ص٨٢. ولم أقف على اسم هذا العالم.

٢- بدر الدّين محمّد بن أبي بكر بن عمر، المعروف بابن الدّماميني (ت٨٢٧هـ).

٣- الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج٣، ص٢١٩. وهذا البيت في الكتاب، ولسان العرب، مادّة (قَرن) دون عزو.

٤- الكتاب، ج٣، ص٢١٩. هذا البيت مطلع خمسة أبيات قالها الشّاعر في وصْف المِعْزَى. ورد ذكرها في مختار الشّعر الجاهليّ، ج١، ص١٠٦.

٥- هذا الرّجز مجهول القائل، وقيل منسوب للعجّاج. وقد ورد ذكر البيت الثاني في المراجع النحوية، في باب النّعت. منها مثلاً مُغْني اللّبيب، ص٢٤٧، الشّاهد رقم ٤٤٧. تراجع حاشية المحقّق، رقم ٤. وشرح ابن عقيل، ج٣، ص١٧١. تحقيق يوسف الشّيخ، وتقريب الطُّرّة، ج٢، ص٤٩١.

٦- اسم قرية.

نقصٍ. من ذلك مثلاً :

- قال ابن مالك في مستهلّ باب الإشارة :

بِذَا لِمفـردٍ مذكّــــرٍ أشِــــرْ   بِـــذِي وذِهْ تِي تا على الأنثى اقْتَصِرْ.

فقال أحمد بن كدّاهْ الكمليليّ(ت١٣٣٧هـ) مُتَمِّماً :

أشِرْ بِـــذي ذاتُ وذِهْ وبِـذِهِ   وذِهِ تِي تا تِهْ تِهِ وبِتِــــهِ

لِمُــفْردٍ مؤنّثٍ وأشِـرِ   بِذائِـهِ وذاءِ للـمـــذكَّرِ

وذاؤُهُ وذا وكُــلٌّ قَـد قُـرِي   في (ذاؤُهُ الدّفْترُ خَــيرُ دَفْـتَرِ)[1].

- قال ابن مالك في باب الأسماء الموصولة [2] :

أيٌّ كما وأُعربتْ مــالم تُضَفْ   وصــدرُ وصْلِها ضميرٌ انحــذفْ.

فقال أحدهم[3]، مُعدّلاً :

أيٌّ كـــما وبُنِيَتْ متى تُضَـفْ   وصدرُ وصْلها ضمــيرٌ انْحذَفْ.

وكان التعديل فعلاً أسهل على غير المتخصّصين.

- يقول ابن مالك في موضوع إعمال (القَوْل) عَمَلَ (ظَنَّ وأخواتها)، في ختام بابها :

بغيرِ ظَرْفٍ أو كظَرْفٍ أوعَمَــلْ   وإنْ ببعْـضِ ذي فَصَلْتَ يُحْتَمَلْ

وأُجْرِيَ القوْلُ كَظَنٍّ مُـطلَقـا   عنــدَ سُلَيْمٍ نحْوُ : قُلْ ذا مُشْفِقا.

فقال أحدهم [4]، مستدركاً :

بغيرِ ظَرْفٍ أو كَظَرْفٍ أوْ عَمَــلْ   ومَنْ حَكَــى معَ الشّروطِ يُحْتَمَلْ

نَعَــمْ ولا تُـلْغِ ولا تُعَلّقَـا   وكُــلُّ قَيْدٍ عن سُلَيْـمٍ أُطْلِقا.

- يقول ابن مالك في باب النّائب عن الفاعل :

والثــانيَ التّـاليَ تَا المُطاوَعَـهْ   كالأوّلِ اجْعَلْــهُ بـلا مُنـازَعَهْ.

١- أنظام الطّرّة في الفوائد النحوية، ص٣٨.

٢- البيت رقم ١٢.

٣- لم أقف على اسمه. تراجع أنظام الطّرّة في الفوائد النحوية، ص٤٦.

٤- لم أقف على اسمه. يراجع أنظام الطُّرّة في الفوائد النّحوية، ص٨٣.

فقال أحدهم[1]، مُستدركاً :

والثـــانِيَ التّـــالِيَ تَا الزّيـــادَهْ　　كالأوّلِ اجْعَـــلْ إنْ تَكُنْ مُعْتـادَهْ.

- قال ابن مالك في باب الاشتغال :

وإن تلا المعطـــوفُ فِعْـــلاً مُخْبَرا　　بهِ عنِ اســـــمٍ فاعْطِفَنْ مُخَيَّـرَا.

فقال أحدهم[2]، مُستدركاً :

وإن تَـــلا العطفُ وشِبهُـــهُ الخبَرْ　　فِعْلاً بِلا فصْـــلٍ تَرَدَّدَ النَّظَـرْ.

- قال ابن مالك في باب الاشتغال :

والرّفعُ في غيرِ الذِي مَرَّ رَجَـــحْ　　فَـــما أُبيحَ افْعَـــلْ ودَعْ ما لمْ يُبَحْ.

فقال المختار ابن بونا(ت١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ)، مُستدركاً [3] :

والرّفعُ في غيرِ الذِي مَرَّ رَجَـــحْ　　ولْيُعْـــطَ مرفوعاً كَـما قدِ اتَّضَحْ.

- قال ابن مالك في مُستهلّ باب الحال :

الحالُ وصْفٌ فَضْـــلَـــةٌ مُنتصِبُ　　مُـفْهِمُ في حـــــالٍ كَـفَرْداً أذْهَبُ.

فرَأَى سيدي بن المختار العاقليّ (ت١٣٦٢هـ) أنّ ابن مالك قام في هذا البيت بذِكْر حُكْم الحال في قوله: (مُنتصِبُ) قبل إنهاء الحدّ (التّعريف)، وهو شيء حسب ما يرى سيدي!! مخالف لما هو ثابتٌ ومُقرّرعند المَناطِقة مِن ضرورة أسبقية الحَدّ على الحُكْم، وذلك انطلاقا مِن قاعدتهم (الحُكْم على الشّيء فَرْعٌ عن تَصَوُّره) [4]. فقال سيدي مُعترِضاً :

وعندهمْ من جملةِ المَـــــردودِ　　أن تَدْخُـــلَ الأحكامُ في الحدودِ [5]

معْ جَعْلِها منـــها لِـــدَوْرٍ لازِمِ　　إلاّ فَـــلاَ كَمِثـــلِ قوْلِ النّاظِـــمِ :

١- لم أقف على اسمه. يراجع أنظام الطُّرّة في الفوائد النّحوية، ص٨٨.

٢- لم أقف على اسمه. يراجع أنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية، ص٩١.

٣- الألفية وأثرها، ص٣٦.

٤- محمّد محفوظ بن الشّيخ بن فَحْفو، رفع الأعلام على سُلّم الأخضري، وتوشيح عبد السّلام في عِلْم المنطق، بآخره المَقولات العشر. ص ٣١، ٦٨.

٥- هذا البيت من سُلَّم الأخضري في عِلْم المنطق. يراجع المصدر السّابق، ص٦٦.

الحـــالُ وَصْـــفٌ فضلَةٌ مُنتصِبُ   مُفْهِـــمُ في حـالٍ كَفَرْداً أذْهَـبُ [1].

وهو استدراك حسب رأيي، رُبّما يكون مقبولاً إذا كان على الجانب المنهجيّ فقط؛ لأنّ النّحو العربي نشأ نشأةً عربية خالصةً في رحاب القرآن العظيم، وترعرع في أحضانه من أجل خدمته والدّفاع عنه، دون تأثُّرٍ يُذكر بالمنطق. وعليه فليس من المناسب إقحام مفاهيم المنطق، وأحكامه في البحوث النّحوية؛ لأنّه لاتأثير له عليه، ولاسلطان، يُذكر.

ثانياً : استدراك النّحاة الشنقيطيين على بعضهم :

١- قال محمّد محمود بن التّلاميذ (ت١٣٢٢هـ [2]) :

لَطيفةُ طَيِّ الكَشْحِ خَمْصَـــانةُ الحِشَا   رَوادفُها مَلأَى من اللّحْـمِ والشّحْمِ.

فاعترض أحمد بن الأمين(١٣٣١هـ) على إخباره بالمفرد (مَلأَى) عن المبتدأ (روادف)، وهى جمع، وذلك شيء حسب ما يرى لا يجوز، إلاّ إذا كان المفرد المُخْبَر به على وزن (فَعيل)، كما في قوله : [وَالْمَلَآئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]{٤، التحريم}. وفي الحقيقة أسلوب ابن التّلاميذ متّكئ على أسلوب قرآنيّ فصيح، لاغبار عليه.

يقول الأستاذ محمّد بن بُتّار: «والحقّ في هذا مع الشّيخ محمّد محمود؛ لأنّ جمع الكثرة يُخبر عنه بالواحد المؤنّث، بل هو أولى من المطابقة... والعجب من الشّيخ الشنقيطيّ كيف يُنكر (رَوادِفُها مَلأى)، [وَلَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى]{النّجم : ١٨} [3].

فللّه درّ ابن بُتّـار، ما أبدعَه من تعقيب، وما أطْرفَه، وأظرفه. ومنه أيضا قوله تعالى: [وَلِلَّهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى] [الأعراف : ١٨٠]. وإن كان جمع قلّة. وقوله تعالى : [وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى]{١٨،طه}، وقوله : [لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى]{٢٣، طه}. والوصف والخبر في هذا سواء. يقول العكبري في إعراب آيتي طَه هاتيْن :

«و(أُخْرَى) على تأنيث الجمع، ولو قال (أُخَر) لكان على اللّفظ... و(الكُبْرَى) صفةٌ لِ(آيات)، وحكمها حكم (مآرب)، ولو قال (الكُبَر) لجاز»[4].

١- الألفية وأثرها، ص٣٦.

٢- الوسيط، ص٣٨٣.

٣- بحث (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٧٣.

٤- التّبيان في إعراب القرآن، ج٢، ص٨٨٨، ٨٨٩.

يقصد: المَجاز في الأساليب التّعبيرية، خارج القرآن العظيم. ويقول أبو حيّان النّحوي: «وتكون (الكُبْرَى) صفة لآياتنا على حدّ (الأسماء الحُسنى)، و(مآربُ أُخْرَى)، يجريان مثل هذا الجمع مَجرى الواحدة المؤنّثة» [١].

٢- قال أيضاً محمّد محمود بن التّلاميذ(ت١٣٢٢هـ) :

ياعُجْمَ بَرْزَنْجَ[٢] آذيْتمْ أبا حَسَـــنٍ   إيذا أبي الجَهْـــلِ عَمْرٍو أو أبي لَهَبِ.

فاستدرك عليه أحمد بن الأمين(ت١٣٣١هـ) إدخال (أل) على (أبي جهل)؛ لأنّه عَلَم. إذ قال : « إنّ أبا جهْل في الأصل لقب لعَمْرو بن هشام، فصار عَلَماً له، ولَمْح الأصل في الأعلام، كالعبّاس والحارث والفَضْل بابه السّماع» [٣].

ومن الممكن أن يجاب عن ابن التلاميذ بأنّه استأنف لأبي جهل لقباً جديداً من نفسه، كما استُؤنِف له اللّقب الأوّل حين وقف في وجه الدعوة الإسلامية[٤]. وقد كثر استعمال(عبد الله بن عبّاس)، و(عبد الله بن العبّاس)، بأل، وبدون أل، وقيل : (قضية ولا أبا حسن لها)، وكنية عليّ رضي الله عنه (أبو الحسن).

٣- يقول الأحول عبد الله الشّاعر الحسني (ت١٢٥٠هـ)، واصِفاً خيالاً :

أهْلاً بهِ من مُلِمٍّ صَـــوْبَنَا قَـذَفَـتْ   بيدَا لِـبِيدٍ وأَصْحـــاراً لأصْحـارِ.

فاستدرك عليه أحمد بن الأمين(ت١٣٣١هـ) جَمْعَه (صحراء) على (أصحار). فقال: « فإنّ صحراء لا تُجمع على أصْحارٍ، وإنّما تُجمع على صَحْراوات، وعلى صَحَارَى، وصَحارِي. وإنّما اغترّ ببيت الأنصاري [٥] :

مَن كان في نفسهِ حَوْجـاءُ يَطْلُـبُها   مِنِّي فـإنِّي لهُ رَهْنٌ بإِصْحـــــارِ.

فإنّ(إصْحار) هنا مكسور الهمزة، مصدر (أصْحَر)، أي برز إلى الصّحراء»[٦].

١- البحر المحيط، ج٧، ص٣٢٥، ٣٢٦.

٢- يُشير إلى السّيّد أحمد البَرْزَنْجِي، الذي كان مُعاصراً لابن التّلاميذ في القاهرة، وكان ابن التّلاميذ يُشَنِّع عليه في بعض الأمور. يُراجع الوسيط، ص٣٨٢.

٣- الوسيط، ص٣٩٠.

٤- كنية أطلقها عليه الوليدُ بن المغيرة، وقيل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ظهور الإسلام. يراجع الموقع : www. Wiki/ Ar.wikipedia.org

٥- هو قيس بن رفاعة. يراجع لسان العرب، مادّة (حوج).

٦- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٣٠٥.

٤- قال الشّاعر اللّغويّ الكبير محمّد بن الطُّلْبَة اليعقوبي (ت١٢٧٢هـ) في مطلع قصيدته العينية [١] :

عَلامَ الأسَـــــى إن لمْ نُلِمَّ ونَجْزَع   ونَبْكِ على أطـــــلالِ رَأْسِ الذُّرَيِّع.

فاعترض مَحَنضْ بابا بن اعْبَيْد الدّيماني(ت١٢٧٧هـ) على قوله: (عَلامَ الأسَى)، بدعوى أنّ (ما) الاستفهامية المجرورة لا تدخل إلاّ على الفعل. والحقّ[٢] في هذا مع الشّاعر، فهذا الأسلوب، وإن كان قليلاً جائز، فصيح، وله ما يَشهد له من لسان العرب. من ذلك مثلاً قوله تعالى : [فِيمَ أنتَ مِن ذِكْرَيهاَ]{٤٣، والنّازعات}. وقد ذكر ابن هشام هذه الآية عند حديثه عن (ما) الاستفهامية[٣]. ومنه أيضا قول المتنبّي [٤] :

إلامَ طَماعِيَـةُ الـعــــــــاذِلِ   ولا رَأْيَ في الحـُبِّ للـــــــعاقِـلِ.

وقول الكُميت [٥] :

وتِلكَ وُلاّةُ السّوءِ قد طالَ مُكْـثُهـمْ   فَـحَتّــــامَ حَـتّامَ العَـنَاءُ المُطَــوَّلُ .

وقول آخر [٦] :

عَلامَ قَـتْـلُ مُسلم تَعمّـــــــــداً   مُـــــذْ سنةٌ وخَمِسُــونَ عَــــدَدا.

وقول بعض الأعراب[٧] في ذمّ سؤال النّاس :

عَلامَ سُؤالُ النّاسِ والرّزقُ واسـعٌ   وأنت صحيحٌ لم تَخُنكَ الأصابِــعُ.

١- ديوان الشاعر، تحقيق محمد عبد الله بن الشيباني بن ابّوه، ص٢٤٦.

٢- بحث : (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٧٠، ١٧١.

٣- مغني اللّبيب، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، ص٢٩٥.

٤- مطلع قصيدة طويلة، يمدح فيها سيف الدّولة. يراجع ديوان الشّاعر، ج٢، ص٧٣٧.

٥- الكميت بن زيد الأسدي. والبيت في قصيدة طويلة من السّبع الهاشميات. يُراجع مغني اللّبيب، بحاشية الأمير، ج٢، ص ٣.

٦- ورد ذكر هذا البيت في لسان العرب، مادّة (خمس) دون نسبة. وقد استدلّ به صاحب اللسان على جواز كسر ميم (خمسون).

٧-هكذا وَرَدَ دون تسمية القائل في الاستذكار لابن عبد البرّ أبي عمر يوسف بن عبد الله النّمري القرطبي، تعليق سالم محمد عَطَا، ومحمد علي معوَّض. ج٨، ص٦١١.

٥- كان بُلاّ بن مَكبَدْ بن أبي الفاضل الشّقرويّ(ت١٢٧٣هـ) يوماً يشرح درساً في باب الاستثناء، فلمّا مرّ ببيت المختار بن بونا (ت١٢٢٠هـ) من الاحمرار[١] :

وكـلُّ ما اسـتُـثْـنِيَ مهْما يُجْعــــلُ مِـن بـيْـنِ شيئيْنِ فالأوْلَى الأوَّلُ.

قال : «هذا البيت أنا الذي نظمته للشّيخ»، (يقصد أستاذه ابنَ بونا) فقال له عبد الودود بن عبد الله بن انجَبْنانْ الحَيْبَلّي (ت١٢٦٥هـ)، وهو ممّن أخذوا عن بُلاّ، معترضاً: « فَلِمَ لَمْ تقل إذنْ : مَهْما يُجْعَلْ بالجزم»؟[٢].

وقد ورد رفعُ المضارع بعد (مهما) في بيت آخر مِن احمرار ابن بونا في باب الحال، وهو قوله [٣] :

وليسَ للجملةِ مَهْــمَا تُـكْــتَـشَفُ بـها الحـقيــقةُ مَحَــلٌّ يُـعْــرَفُ[٤].

٦- مرَّ أُبَـدَّ محمّد بن محمود العلويّ (ت١٣٢٩هـ) يوماً على طُلاّب محظرة الحسين بن الأمانة الجَكني[٥]، فأحَسَّ منهم سلوكاً غير مؤدَّب، فقال : «أوّل ما ستقرؤون الأدبُ». فبادَروه قائلين : (الأدبَ) بالنّصب، فأكملَ قائلاً : «ولم يكنْ ذا أدَبٍ مَنْ يَنصِبُ» [٦].

والحقّ في هذا مع العلوي، حيثُ الرّفعُ هو الأكثر والأفصح، على أن يكون خبر مبتدأ، هو: (أوّلُ)، وتكون (ما) موصولة، أي : أوّلُ الذي ستقرؤونه الأدبُ، مع جواز النّصب فيه، وفي مثله من الأساليب[٧] على جعْل (ما) مصدرية، وحذفِ الخبر، ونصب (الأدب) بالمصدر المؤوّل، أي : أوّلُ قراءتكم الأدبَ موجودٌ أو معروفٌ. مع التنبيه إلى أنّ تقدير النصب في (الأدب) يـبْعُد فيما أرى، إذ لو كانت أوّليةُ قراءتهم الأدبَ موجودةً، أو معروفةً لديهم لما صدر منهم ما صدر من سوء الأدب.

١- هو البيت الحادي عشر من احمرار باب الاستثناء.

٢- بحث (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٧١.

٣- وهو البيت الحادي عشر من احمرار باب الحال.

٤- بحث (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٧٢.

٥- لم أقف على تاريخ وفاته.

٦- بحث (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص ١٧٣، ١٧٤.

٧- هذا النّوع من الأساليب في النّحو الوافي، ج١، ص٥٠٧، فما بعدها.

وهذا الأسلوب معروف في لسان العرب، كما في قول ناهض بن ثومة الكلابي العبّاسي (ت٢٢٠هـ) :

سَلامُ اللّـهِ يامالِ بْـــــــنَ زَيْـدٍ عليْكَ وخَيْرُ ما أُهْــــدِي السَّلامَا[1].

بنصب (السّلام). ومثله ما جاء في لسان العرب «واللَّطَعُ بالتّحريك : بياضٌ في باطن الشَّفَة، وأكْثَـرُ ما يَعْتَرِي ذلك السُّودانَ» [2].

بنصب (السّودان). وقد علّق ابن السّيّد الْبَطَلْيوسيّ أبو محمّد عبد اللّه(ت٥٢١هـ) في كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكُـتَّاب) لابن قُتيْبة الدّينوريّ أبي محمّد عبد اللّه(ت٢٧٦هـ) على نصب لفط (السُّودان)، مرجّحاً وجه الرّفع، فقال : «وقع في النُّسَخ (السُّودانَ) بالنّصب، والوجه رفع (السُّودانُ) على خبر المبتدأ، والنّصب بعيد، وليس يَصحّ إلاّ على أن يكون (أَكْثرُ) مبتدأ، محذوفاً الخبرَ، أي : وأَكثَرُ اعْتِراءِ ذلك السّودانَ معروفٌ، أو موجودٌ» [3].

وأرى أنّ النصب في هذا أسهل من الأوّل، ولعلّه أبْيَن من الرَفع لقوّة المصدرية فيه، وضعف الموصولية، لاستعماله (ما) التي هي في الأكثر لغير العاقل، ولو أراد الموصولية لقال : (وأَكْثـرُ مَن يعتريهم)، بخلاف (أوّل ما ستقرؤون الأدبُ)، فإنّ الرّفع فيه أبْيَنُ جدّاً من النصب لقوّة الموصولية، كما أسلفت. وهو على كلّ حال قول مَن لا يُحتجّ بكلامه في العربية، والنّصب في (السُّودانَ) ربّما يكون وقع خطأً من النّاسخ.

ثالثاً : أمدرسة أم مذهب؟ : شاع استخدام مصطلح (مدرسة)، بمعنى ما يتمّ التميّز به من السمات والخصائص، عند بعض الباحثين الشناقطة في المجال النحويّ، من أمثال الدكتور محمد المختار بن أبّاه في كتابه: (تاريخ النّحو العربيّ في المشرق والمغرب)، والأستاذ يحيى بن البراء في كتابه : (ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية). فمن عنوانات ابن أبّاه ببعض الحواضر العربية : (شيوخ مدرسة الكوفة، في طريق المدرسة المالكية، مدرسة ابن مالك النحوية، مدرسة ابن مالك في الزوايا المغربية).

١- موسوعة الحديث على شبكة (إسلام ويب).

٢- مادّة (لطع).

٣- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، ص١٤٣، طبعة دار الجيل. ويُراجع بحث : (النّحو في النّوادي الشّنقيطية)، ص١٧٤.

وببلاد شنقيط : (مدرسة ابن مالك في المحاظر الشنقيطية، خصائص المدرسة النحوية الشنقيطية، مدرسة ولاتة النحوية... إلخ). وهكذا سرد العديد من عنواناتٍ كهذه.

ومن عنوانات يحيى بن البراء : (المدرسة النصّية، المدرسة المتعمّقة)، وجعل تحتهما مدارس عديدة، قائلاً : «إنّ المدارس التي سنتحدّث عنها في هذا الباب ليست بكلّ هذا الإطلاق والتعميم، وإنّما هي فقط تلك التي اشتهرت شهرة نحوية، وتميّزت شيئا ما عن مثيلاتها في إنشاء البرامج النحوية، والتعامل مع نصوصه المعروفة والمعتمدة في البلاد»[1].

وحسب ما فهمتُ فهو يقصد مجموعة السمات والخصائص مثل ابن أبّاه، أمّا إذا كان يعني بالمدرسة المؤسّسةَ التعليميةَ، التي يتلقّى فيها الطلّاب العلمَ(مثلما فعل العلّامة المختار بن حامدن الشنقيطيّ في كتابه : حياة موريتانيا الثقافية)، فلا إشكال ولا اعتراض، فقد عُرِف في الثقافة العربية قديماً : المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، والمدرسة الصلاحية، وغيرها. أمّا إذا كان المقصودُ مجموعة السمات والخصائص فيكون مِن اللّافت للانتباه أنّهما لم يكتفيا بمدرسة واحدة على الأقلّ لبلاد شنقيط (كما فعل الدكتور شوقي ضيف وغيره ممّن حاولوا إعطاءَ كلّ قطر عربيّ تقريباً مدرسةً نحويةً)، بل جعلا لكلّ عالم بارز من علمائها مدرسة نحوية!! وهذه مبالغة كبيرة حقيقةً، علماً بأنّ مصطلح (المدرسة النحوية) مصطلح ليس بالقديم في الثقافة العربية؛ لذلك فهو محلّ اختلاف كبير بين الباحثين المعاصرين، فمنهم مَن أجازه، ومنهم مَن رفضه بشدّة، وجعله تقليداً أعمى، لا مُسوِّغ له، وأنّ المستخدَم في التراث العربيّ هو مصطلح (المذهب). وفيما يلي تبيان ذلك :

أوّلاً- المُجيزون : أكثَرَ بعضُ الباحثين المعاصرين من استخدام مصطلح (مدرسة نحوية)، وألّف بعضهم تحت هذا المصطلح، متوسّعين في ذلك، محاولين رَسْمَ معالم لهذه المدارس ببعض الدول، أو الحواضر العربية. من هؤلاء مثلاً الدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية)[2]، والدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (المدارس النحوية)[3]،

١- ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، ص٨٩.

٢- القاهرة : دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٦٨م.

٣- الأردن، أربد : دار الأمل، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

والدكتور عبد العال سالم مكرم في كتابه (المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجريين)[1]. فالدكتور شوقي ضيف مثلاً في تأليفه يتحدّث عن خمس مدارس، هي: مدرسة بصرية، مدرسة كوفية، مدرسة بغدادية، مدرسة أندلسية، مدرسة مصرية. مستهلّا حديثه عنها بقوله : «ولعلّ هذه أوّل مرّة تُبحث فيها المدارس النحوية بحثاً جامعا، وهو بحث يرسم في إجمالٍ الجهودَ الخصبةَ لكلّ مدرسة، وكلّ شخصية نابهة فيها»[2].

هكذا سار على هذا المنوال عند حديثه عن كلّ مدرسة، محاولاً إبراز بعض السمات والخصائص التي تتميّز بها عن غيرها، مع إقراره بأنّ الأصول هي أصول بصرية، وأنّ للبصريّين فضل التأصيل والتفريع في مسائل النّحو وقضاياه، وأنّ الجميع عالة عليهم في ذلك، بغضّ النظر عمّا أتى به اللّاحقون من اختلاف في بعض الفروع، أو المصطلحات، أو بسْطٍ أو قبْضٍ في بعض الأصول. وهذا ما انطلق منه الرافضون لفكرة (مدارس نحوية).

ثانياً- الرّافضون: الرافضون لفكرة (مدارس نحوية) في الثقافة العربية حاضرون أيضاً بقوّة في السّاحة الثقافية، من أبرزهم مثلاً الدكتور إبراهيم السّامرّائيّ في كتابه (المدارس النحوية أسطورة وواقع)[3]، الذي يقول في مستهلّه :

هذا كتاب لطيف، موجز، كنت أهمّ منذ زمان بعيد أن أضعه؛ وذلك لأنّي رأيت المعاصرين قد غلوا في إطلاق مصطلح (المدرسة) في الكلام على الاختلاف بين البصريّين والكوفيّين. لقد بدا لي أنّ الاختلاف بين البصريّين والكوفيّين كالاختلاف بين بصريّ وبصريّ، وبين كوفيّ وكوفيّ في بعض الأحيان. لقد وافق جماعةٌ من البصريّين الكوفيّين في بعض مسائلهم، كما وافق غير واحد من الكوفيّين البصريّين فيما ذهبوا إليه. ثمّ إنّ موادّ الاختلاف تتّصل بالفروع من الدرس النحويّ، وأنّ موادّ كثيرة ممّا اختلفوا فيه لا تتّصل بالنحو، بل هي فوائد لغوية تتّصل بأصول اللّغة، وبالاشتقاق، وباستعمال الكلمة في أسلوب ما. فقد عقدتُ النيّة أن أقوم به، فكان هذا الموجز الذي وقفته على

١- بيروت : مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٠م. ٢ج.

٢- المدارس النحوية، ص٦.

٣- عَـمّان : دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٩٨٧م.

هذه المسألة من الخلاف النحويّ القديم، الذي لم يكن شيئاً كبيرا يُخوّلنا أن نقول : (المدارس النحوية)[١].

ثمّ استرسل موضّحاً، مناقشاً، نافياً وجود مصطلح (مدرسة) في الفكر النحويّ عند القدماء[٢].

وهذا ما أميل إليه بقوّة؛ لذلك أرى أنّه ليس من المنهج العلميّ السليم استخدامُ مصلح (المدرسة) في الفكر النحويّ، في غير (المدرسة البصرية)، التي وضع مؤسّسوها أصول النّحو، وأصّلوا قواعده، وفرّعوا مسائله وجزئياته، بفترة من الزمان قبل أن تظهر مذاهب نحوية أخرى[٣]، ما تميّزَ به إنتاجُ أصحابها لا يعدو كونَه اختلافاتٍ، أو خلافاً في بعض المسائل، والفروع والمصطلحات، أوتلوُّناً ببعض السمات والخصائص، وعليه فالمصطلح الأنسب فيما أرى هو استخدام (المذهب) في النّحو العربيّ، لا(المدرسة). أمّا محاولة إعطاء كلّ دولة، أو كلّ عالِم مُبرَّز (مدرسة نحوية) فهذا ضرْب من الغلوّ، وبُعْد عن المنهج العلميّ الرّصين.

شكل(١) : شجرة أبرز النّحاة واللّغويّين الشناقطة

اند عبد الله المحجوبي/ كان حيّاً ٩٣٧هـ
أحمد الولي بن أبي بكر المحجوبي ت١٠٩٥هـ
الحاج الحسن بن أغبيدي الزيدي ت١١٢٣هـ
سيد محمد بن سيدي عثمان ت١١٣٢هـ
سيدي عبد الله بن رازكه ت ١١٤٤هـ
سيدي عمر بن بابا علي الولاتي ت١١٤٥هـ

١- المصدر نفسه، ص٧.

٢- المصدر نفسه، ص١٢، ١٣.

٣- أحمد أمين، ضحى الإسلام. بيروت : دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة. ج٢، ص٣١١.

عمر بن أحمد بن أبّوه الإيديلبي ت ١١٥٢هـ
أحمد ت١١٥٣هـ، ومحمّد ت١١٦٠هـ ابنا فاضل.
منيرة بن حبيب التشمشي ت١١٦٢هـ
الطالب الأمين الخرشي ت١١٦٦هـ
أحمد بن أحمد بن الإمام ت١١٧٨ه
أحمد بن سيدي عثمان القلّاوي ت ١١٧٩هـ
الحاج أبو بكر بن الطالب البرتلي ت١١٧٩هـ
الإمام عمر ممّو المحجوبي الولاتي ت ١٢٠١هـ
محمد الأمين بن الطالب الوافي ت ١٢١٥هـ
الطالب محمد بن أبي بكر الصديق صاحب فتح الشكور، ت١٢١٩هـ
محمد يحيى الولاتي١٣٣٠هـ
محمد يحيى بن سليمة، ت ١٣٥٤هـ
سيدي عيسى بن محمد المختار أهل احمادو، ت ١٣٦٠هـ
محمّدّو السّالم بن الشين، ت ١٣٨٧هـ
الطالب أحمد الجماني

المذهب البونيّ، والمدرّسون النحويّون

المختار بن بونا ت١٢٢٠هـ
سيدي عبد الله بن الفاضل التشمشي ١٢٠٩ هـ
عبد الله بن الطالب حمى الله القلّاوي ت١٢٠٩هـ
مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي ت١٢٤٢هـ
حرمة بن عبد الجليل ت١٢٤٣هـ
عبد الودود بن عبد الله الألفغي ت١٢٦٥هـ
محمد بن الطلبة اليعقوبي ت ١٢٧٢هـ
بلّا بن مكبد الشقروي ت ١٢٧٣هـ
أحمد بن البخاري التندغي ت١٢٧٧هـ
الشيخ سيديا الكبير ت ١٢٨٤هـ
ابن عبدم الديماني الفاضلي ت ١٢٨٥هـ
سيدي محمد بن حبت القلّاوي ت١٢٨٨هـ
جدود بن اكتوشن العلوي ت ١٢٨٩هـ
محمد مبارك اللّمتوني ت ١٢٩٠هـ
محمد عبد الله بن انبويه المحجوبي، ت ق ١٣هـ
محمّد بن حنبل الحسني ت ١٣٠٢هـ

محمد عالي معي بن سعيد ت١٣١٠هـ
الحسن بن زين القناني ت ١٣١٥هـ
محمد محمود بن التلاميذ ت ١٣٢٢هـ
أحمد بن الأمين الشنقيطي ت١٣٣١هـ
أحمد بن كدّاه الكمليلي ١٣٤٠هـ
بابا بن الشيخ سيديا ت١٣٤٢هـ القاضي يحيى التندغي ت١٣٤٥هـ
يحظيه بن عبد الودود ت ١٣٥٨هـ
مَـمُّو أحمد محمود ت ١٣٦١هـ
محمد سالم بن ألمّـا، ت ١٣٨٣هـ
محمد بن النحوي، ت ١٣٨٩هـ
الشيخ محمد الأمين الشنقيطيّ(آبّـه) بن اخطور،١٣٩٣هـ.
محمد عالي بن عدّود، ت ١٤٠١هـ
أبّـه بن أنّـه المحجوبي الولاتي، ت٢٠٠٧م.
محمد سالم بن عدّود، ت ١٤٣٠هـ
أحمد بن محمد التمدكي
أحمد بن محمّذن فال

الحاج بن السالك بن فحفو المسّومي
الحارث بن محنض الشقروي
الأستاذ الخليل بن النحويّ
السفير بن محمد سعيد البصادي
الدكتور سيدي عبد القادر بن الطفيل
الشيخ عبد الله بن بـيّـه
شيخنا بن محمد يــربـــه
محمّد فال أبّاه بن عبد الله
الدكتور محمد المختار بن أبّاه
محمد بن المختار الداه العلوي
محمد عالي بن نعمه
الشيخ محمد الحسن بن الددو

ثـــانيـــا- القضـــايا والمسائل النـــحويــــــة[1]

يُناقش هذا الموضوع جملة من القضايا والمسائل، تشمل مصادر النّحو العربيّ بالبلاد، وما يشيع فيه من ظواهر وضْع القواعد النحوية الشاملة للمسائل والجزئيات، والأصول الاستدلالية التي يُحتجّ بها ويُستدلّ على إثبات الأحكام الجزئية، والمسائل الفرعية. وفيما يلي تبيان ذلك :

المبـحث الأوّل : مـصـــادر النحو العربي ببلاد شنقيط

مصادر النّحو ببلاد شنقيط هي نفسها مصادر النّحو العربي عموما، وهي :

- القرآن الكريم وقراءاته.
- الحديث الشريف.
- كلام العرب شعرا ونثرا.
- أقوال العلماء وآراؤهم.
- القياس.

أوّلاً : القرآن الكريم وقراءاته المتعدّدة : القرآن الكريم هو «الكلام المعجز، المنزّل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر[2] المتعبّد بتلاوته»[3]. والنصُّ الشمولي، المتجانس، الكاسي لألفاظ القرآن الكريم، المنزّل للإعجاز والبيان. قال أبو إسحاق الزجّاج[4] : «يسمّى كلام الله تعالى، الذي أنزله على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم كتابا وقرآنا، وفرقانا. ومعنى القرآن الجمع. وسمّي قرآنا؛ لأنّه يجمع السور فيضمّها. وقوله تعالى : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ.. ١٦، القيامة)، أي جمعه وقراءته : (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ.. ١٧، القيامة)، أي قراءته. قال ابن عبّاس[5] : فَإِذَا

١- أطلقت هذا العنوان على هذه المباحث، وإن كنت أعلم أنّه ينطبق على ما سلف ذكره من مسائل هذا الفصل؛ وذلك لأنّه أنسب لمباحث المصادر والقواعد والأصول من غيرها.

٢- التواتر هو نقل جماعة يمنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أوّل السند إلى منتهاه.

٣- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٢١.

٤- صاحب كتاب معاني القرآن وإعرابه (ت٣١١هـ).

٥ - الصحابي الجليل ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، المتوفّى سنة٦٥هـ. تراجع ترجمته في الإصابة، ج١، ص٣٣٠.

بَـيَّـنَّاهُ لك بالقراءة فاعمل بما بـيّـنـّاه لك» [1].

ومن نافلة القول التنبيه إلى أنّ أسلوب القرآن الكريم لبُّ كلام العرب وزبدته، وأرقى نصٍّ عربيّ، وأعلاه فصاحةً، وبلاغةً. يقول الدكتور أحمد مختار عمر : «وقد اعتبروه في أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثّل للّغة الأدبية المشتركة، ولذا وقفوا منه موقفاً موحّداً فاستشهدوا به. ولا يعرف أحد من اللّغويّين قد تعرّض لشيء ممّا أثبت في المصحف بالنقد والتخطئة... ألفاظ القرآن الكريم هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء.. وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء.. وما عداها.. كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة»[2].

وقد نزل بأفصح لغة، لغة قريش، يقول الدكتور أحمد مختار عمر : «ومن الحقائق المسلّمة أنّ القرآن نزل أوّلاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثمّ أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغتهم، ولم يكلّف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقّة، وكانت الإباحة بعد أن كثر دخول العرب في الإسلام، وذلك بعد الهجرة، فلمّا جاء عثمان، وأراد جمع القرآن في المصاحف ونسخها اقتصر من سائر اللّغات على لغة قريش»[3].

والقراءات لغةً جمعُ قِراءة بكسر القاف، بمعنى وجه مقروء به[4]، وعند القُرّاء أنّ يُقرأ القرآن تلاوةً أَخْذاً من المشايخ[5]، وهي مصدر (قرأ) بمعنى جمع الشيء وضمّ بعضه على بعض. جاء في تاج العروس «وقرأ الشيء جمعه وضمّه، أي ضمّ بعضه إلى بعض، وقرأت الشيء قرآنا جمعته، وضممت بعضه إلى بعض... ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا، ألقيته»[6].

١- معاني القرآن وإعرابه، ج١، ص١٧٠.

٢- البحث اللّغوي عند العرب، ص١٧، ١٨.

٣- المصدر نفسه، ص١٨.

٤- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الشام، ج١، ص٤١٢.

٥- الشيخ عبد الله البستاني، فاكهة البستان. بيروت : المطبعة الأمريكية، ص١١٣٥، مادّة قرأ.

٦- ج١، ص١٠٢، مادّة قرأ.

وفي الاصطلاح هي «كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا، واختلافا، مع عزو كلّ جه لناقله»[1]. أي هي كيفية تأدية النص القرآني، وما به من اتفاق واختلاف مع إسناد كلّ وجه لصاحبه. وموضوعها : «كلمات القرآن الكريم، من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها»[2].

وذلك صيانة للقرآن الكريم «من التحريف والتغيير... والتمييز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به»[3].

ونظراً لما سبق يتّضح التمايز بين القراءات والقرآن الكريم، وهو اختيار الشيخ أحمد البنّا، حيث يقول : «والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزّل للإعجاز والبيان، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف أو تشديد وغيرهما»[4].

وهذا التمايز لايعني أبدا أنّ القراءات الصحيحة ليست وحيا من عند الله، بل كلّ قراءة صحّ سندها عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم هي قرآن، لا يجوز المساس بحرمتها.

القراءة صحيحة أوشاذّة :

أ- القراءة الصحيحة : أركانها : وضع العلماء ضوابط محكمة لتمييز القراءة الصحيحة من الشاذّة، ولهم في ذلك مذهبان : المذهب الأوّل : يشترط أصحابه التواتر في سند القراءة، وموافقة العربية، ولو بوجه من الوجوه، وموافقة رسم المصاحف العثمانية. والقراءات السبع متواترة بالاتفاق عند أصحاب هذا المذهب، والثلاث المكمّلة للعشر متواترة عندهم على الأصحّ[5]. كما يرون أنّه لم يتواتر شيء ممّا سوى القراءات العشر[6].

المذهب الثاني : يشترط أصحابه صحّة السند، بدل التواتر، وموافقة العربية، ولو بوجه من الوجوه، وموافقة المصاحف العثمانية. ويرون أنّ كلّ قراءة توافرت فيها هذه

١- محمد سالم محيسن، المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها. مكتبة الكلّيات الأزهرية، ص٦.

٢- المصدر والصفحة نفسهما.

٣- المصدر والصفحة نفسهما.

٤- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج١، ص٦٨، ٦٩.

٥- المصدر نفسه، ص٧٢.

٦- مباحث في علوم القرآن، ص٢٥٦.

الشروط الثلاثة فهي صحيحة، بغضّ النظر عمّن رواها، وهذا الاتّجاه يمثّله علماء كبار، من أمثال مكّي بن أبي طالب القيسي[1]، وأبي شامة المقدسي[2]، وابن الجزري[3].

ب - **القراءة الشاذّة** : هي عند الجمهور كلّ ما خرج عن القراءات العشر. يقول الأستاذ عبد الفتّاح القاضي :

« كلّ قراءة وراء العشر لا يحكم بقرآنيتها، بل هي قراءة شاذّة، لا تجوز القراءة بها»[4].

والقرآن الكريم بقراءاته المتعدّدة يعدّ المصدر الأوّل للنّحو العربي. ووقع إجماع العلماء على جواز الاحتجاج بالقراءات في العربية، سواء أكانت متواترة، أم شاذّة. يقول عبد القادر البغدادي : «فكلامه عزّ اسمه أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذّه، كما بيّنه ابن جنّي في أوّل كتابه المحتسب [5] وأجاد القول فيه» [6]. ويقول السيوطي : « أمّا القرآن فكلّ ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذّا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذّة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتجّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتجّ بالمجمع على وروده، ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يقاس عليه، نحو : (اسْتَحْوَذَ [7])، و(يَـأْبَى[8])، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذّة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة» [9].

وقد سار النحاة الشناقطة على طريق أسلافهم من النحاة عبر العصور، فأكثروا من الاحتجاج بالقراءات القرآنية، سواء أكانت متواترة، أم شاذّة في بحوثهم النحوية. وهو

١- ت ٤٣٧هـ. تراجع ترجمته في بغية الوعاة، ج٢، ص٢٩٨.

٢- أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ). تراجع ترجمته في طبقات الشافعية. بيروت : دار الآفاق الجديدة، ج ٨، ص١٦٥.

٣- صاحب كتاب القراءات العشر، المشهور.

٤- القراءات الشاذّة وتوجيهها من لغة العرب، ص٩، والإتحاف، ص٧٢.

٥- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، ج١ سنة ١٣٨٦هـ، وج٢ سنة ١٣٨٩هـ.

٦- خزانة الأدب، مصدر سابق، ج١، ص٤.

٧- من قوله تعالى : [اسْتَحْوَذَ عليهمُ الشيطانُ فأنساهُمْ ذِكرَ اللهِ أُولئِكَ حِزبُ الشيطانِ أَلَا إنّ حِزبَ الشيطانِ همُ الخاسرونَ]{١٩، المجادلة}.

٨- من قوله تعالى : [يُرِيدُونَ أَنْ يُطفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِـمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ]{٣٢، التوبة}.

٩- الاقتراح في علوم أصول النحو، ص٤٨.

ما سنقف عليه جلياً في الفصل الأوّل من الباب الثالث، بعون الله تعالى.

ثانياً : الحديث الشــريف : الاستدلال بالحديث الشريف في مسائل النحو مسألة خلافية بين العلماء قديما، فجمهورهم كانوا مقلّين من الاستدلال به، وذلك لسببين اثنين : أوّلهما : كوْن الأحاديث لم يُقطع بروايتها كما سُمعت من الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وذلك لأنّ العلماء جوّزوا روايتها بالمعنى، ممّا جعل لفظ الرسول صلّى الله عليه وسلّم عرضة للتغيير بين الرواة، كما أنّ كثيرا من الرواة كانوا من غير العرب الفصحاء. وثانيهما : أنّ جمهرة العلماء لم يحتجّوا به عندما بدؤوا تدوين اللغة والتأليف فيها.

وقد عبّر الإمام السيوطي عن وجهة نظر هؤلاء قائلا : «وأمّا كلامه – صلّى الله عليه وسلّم – فيستدلّ منه بما ثبت أنّه قاله على اللفظ المرويّ، وذلك نادر جدّا، إنّما يوجد في الأحاديث القصار، وعلى قلّة أيضا، فإنّ غالب الأحاديث مرويّ بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولّدون قبل تدوينها فرووها بما أدّت إليه عبارتهم فزادوا ونقصوا وقدّموا وأخّروا وأبدلوا ألفاظا بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصّة الواحدة مرويّا على أوجه شتّى، بعبارات مختلفة، ومن ثمّ أُنكِر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث»[١]. فالسيوطي كما هو واضح من أشدّ المانعين الاستدلال بالحديث، للأسباب سالفة الذكر.

وقد جوّز بعض المتأخّرين الاحتجاج به، من أمثال ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، والرضي[٢] وابن خروف[٣]. يقول عبد القادر البغدادي : «وأمّا الاستدلال بحديث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقد جوّزه ابن مالك، وتبعه الشارح المحقّق[٤] في ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضي الله عنهم، وقد منعه ابن الضائع[٥] وأبو حيّان[٦]. وسندهما أمران : أحدهما أنّ الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبيّ صلّى

١- الاقتراح في أصول النحو، ص٥٢.

٢- رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي(ت٦٨٦هـ) شارح كافية ابن الحاجب في النحو، وشافيته في التصريف.

٣- أبو الحسن علي الإشبيلي الأندلسي (ت٦٠٩هـ).

٤- يقصد الرضي، شارح كافية ابن الحاجب في النحو وشافيته في التصريف .

٥- علي بن محمّد الأندلسي (ت٦٨٠هـ).

٦- النحوي الأندلسي (ت٧٤٥هـ).

الله عليه وسلّم، وإنّما رُويت بالمعنى، وثانيهما أنّ أئمّـة النحو المتقدّمين من المِصْرَيْن[1] لم يحتجّوا بشيء منه»[2].

وعبد القادر البغدادي من المُجيزين الاستدلال به، حيث يقول : «والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحو في ضبط ألفاظه، ويلحق به ما رُوي عن الصحابة وأهل البيت، كما صنع الشارح المحقّق»[3].

وقد توسّط الشاطبيّ[4] بين الفريقين : المانعين والمجيزين، حيث جوّز الاستدلال بالأحاديث التي اعتنى ناقلوها بلفظها[5].

وقد سار النّحاة الشناقطة في الاستدلال بالحديث الشريف في بحوثهم النحوية على نَهْج شيخ النحاة محمّد بن مالك(ت٦٧٢هـ)، الذي كانت بصماتُ منهجه بارزةً في التراث النحوي، واللّغوي ببلاد شنقيط إلى أبعد الحدود، إذ كان رحمه الله أوّل من استدلّ بالحديث الشريف في مسائل النحو على نطاق واسع، فاهتمّ علماء شنقيط بالاستدلال به في قضايا النحو اهتماما كبيرا، كما فعل ابن مالك رحمه الله، فتآليفهم النحوية تعبّر عن ذلك تعبيرا صادقا، حتّى إنّ بعضهم أفرد شواهده بالتأليف، من أمثال محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي(ت١٣٢٣هـ)، الذي ألّف كتابا بعنوان : (إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار)، فقام فيه بالتقاط هذه الشواهد، وجمعها من الكتب النحوية، في أسلوب مقتضب، مركّز في بعض الأحيان، ومحمد بن الغزالي الشقروي الحسني(١٣٦٢هـ)، الذي كتب تأليفا بعنوان : (عَـقـْل الشواهد على شرح الشواهد من الحديث)، وأحصى محقّق طُرّة ابن بونا الأستاذ أحمد بن محمد المامي في فهارس تحقيقه[6] (واحدا وأربعين ومائةَ حديثٍ شريف وأثَر ،١٤١)، احتجّ بها ابن بونا في بحوثه النحوية، بهذه الطُّرّة، ممّا يدلّ دلالةً واضحة على ما ذُكِر. وفيما يلي أمثلة من استدلالهم به في بحوثهم النحوية :

١- البصرة والكوفة.

٢- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج١، ص٤، فما بعدها.

٣- خزانة الأدب، مصدر سابق، ج١، ص٥.

٤- هو أبو القاسم بن فيرة الأندلسي(ت٥٩٠هـ). يراجع النشر، ج١، ص٦١.

٥- خزانة الأدب، ج١، ص٦، والاقتراح، ص٤٦.

٦- المسمّى تقريب طُـرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو، ج٢، ص٨٤٤، فما بعدها.

١ – قال ابن بونا في طُرّته[١] على قول ابن مالك في باب العدد [٢] :

(ثلاثةٌ بالتاء قل للعشَرَهْ   في عدِّ ما آحادُهُ مُذكَّرَهْ)، مستدلاّ به على غير الغالب من حذف التاء من ثلاثة إلى عشرة إن قُصد الجنس ولم يذكر :

«ثلاثة بالتاء : لزوما إن ذُكِر الجنس، وغالبا إن قُصد ولم يذكر، ومن غير الغالب : صُمنا من الشهر خمساً، وأفطرنا خمساً، وقوله صلّى الله عليه وسلّم : ثمّ أتبعه بستٍّ من شوال»[٣].

٢– وقال مستدلاّ على أنّ بدل البعض إن كان غير وافٍ ولا مُحصِّل لما قبله تعيّن قطعه إن لم يُنوَ معطوف محذوف، مثل : (مررت برجالٍ طويلٌ وقصيرٌ)، وذلك لخلوّه من الاشتمال على ضمير، وهو شيء ممنوع، أمّا إن نُوِي معطوف محذوف فإنّه يجوز الأمران : القطع والإتباع، فقال [٤] :

«وإن يكن غيرَ مُحصِّل فلن يُتْبَع لإيهام بدل البعض، وبدل البعض لا بدّ له من ضمير، ما لم يُنوَ معطوفٌ، كمررت برجالٍ زيدٌ وعمرٌو، فإن نُوي جاز، كقوله عليه الصلاة والسلام : اتّقوا الموبقاتِ السبعَ : الشرك بالله والسحر»[٥].

فرُوي اللّفظان بالرفع على تقدير: منهنّ الشركُ بالله والسحرُ، وبالنصب على تقدير: وأخواتِها لثبوت (السبع) في إحدى روايتي الحديث (رواية بذكر «السبْع» ورواية بحذفها)[٦].

١– المصدر نفسه، ج١، ص٦٦١، ٦٦٢.

٢– البيت الأوّل من باب العدد، من الخلاصة.

٣– الحديث بتمامه عن أيّوب أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : (مَن صام رمضان ثمَ أتبعه بستّ من شوّال فذاك صيام الدهر). رواه الجماعة سوى البخاري، والنَّسائيّ، ورواه أحمد من حديث جابر. يراجع الشوكاني الإمام محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيّد الأخيار، ج٤، ص٦٠٢.

٤– تسجيل التكرار في شرح الاحمرار، ج٢، ص٤٥٠، ٤٥١.

٥– من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواية البخاري : (اجتنبوا السبعَ الموبقات : الشركُ بالله والسحرُ..). يراجع صحيح البخاري، ج٦، ص٥٠، من كتاب الوصايا، ج١١، ص٣٩٦، من كتاب الطبّ.

٦– تسجيل التكرار في شرح الاحمرار، ج٢، ص٤٥١.

٣- وقال مستدلاّ على أنّ (ما) قد تصحب (حاشا) من غير الغالب [١] : «وحُمل عليه قوله صلّى الله عليه وسلّم : أسامة [٢] أحبّ الناس إليّ ما حاشا فاطمةَ» [٣].

٤- وقال مستشهدا على أنّ (مِنْ) قد تأتي لبدء الأزمنة على الأصحّ [٤] : «و(قد تأتي لبدء الأزمنة[٥]) على الأصحّ، نحو قوله صلّى الله عليه وسلّم : مُطِرْنا من الجمعة إلى الأخرى»[٦].

٥- رأى أنّه إذا تنازع أكثرُ من عاملين على معمول واحد، فإنّه يثبت لها من الحكم ما ثبَت لِلاثنين، فعند قوله في الاحمرار[٧] : (واحكُم إذا تنازعتْ أكثرُ مِنْ اثنين بالذي للاثنين زُكِنْ)، استشهد بقوله صلّى الله عليه وسلّم : «تُسبّحونَ وتَحمَدونَ وتُكبِّرونَ اللهَ دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثا وثلاثين»[٨].

٦- تُحذف (كان) عند النحاة مع اسمها، ويَبقى خبرها، ويكثر ذلك بعد (إنْ ولوْ) الشرطيتين، وهو ما عبّر عنه ابن مالك في الخلاصة بقوله [٩] : (ويَحذفونها ويُبْقونَ الخبرْ وبعد إنْ ولوْ كثيراً ذا اشتهَرْ)، فاستدلّ ابن بونا على هذا الحكم بالحديث الشريف[١٠] : «التمِسْ ولو خاتماً من حديد»[١١].

٧- استدلّ الشيخ محمد الأمين (آبّه) بن اخطور(ت١٣٩٣هـ) مثلا على مسألة (العطف بحرفٍ محذوف)، فعند حديثه عن قوله تعالى : (إنّ الدّين عند الله

١- تقريب الطّرّة، ج١، ص٣٣٤.

٢- هو ابن زيد بن حارثة، حبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وابن حبّه، أمّه أمّ أيمن حاضنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

٣- من حديث ابن عمر، أخرجه ابن عبد البرّ في الاستيعاب، ج١، ص٥٨.

٤- تقريب الطّرّة، ج١، ص٣٦٩.

٥- الشطر الثاني من البيت السادس، من باب حروف الجرّ، من الخلاصة.

٦- هذا جزء من حديث طويل في صحيح البخاري، من حديث أنس، لفظه : (فمطرنا يومَنا ذلك، ومِن الغد وبعد الغد، والذي يليه حتّى الجمعة الأخرى». صحيح البخاري، كتاب الجمعة، ج٣، ص٧٨.

٧- البيت الأوّل من احمرار باب التنازع ، من الخلاصة. يراجع تقريب الطّرّة، ج١، ص٢٩٢.

٨- من حديث أبي هريرة، في صحيح البخاري، فتح الباري، ج ٢، ص٥٩٢. من كتاب الأذان.

٩- البيت رقم ثلاثة عشر ١٣، من باب كان وأخواتها، من الخلاصة.

١٠- جزء من حديث طويل، رواه البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي. يراجع صحيح البخاري، فتح الباري، ج١٠، ص١٦٣. من كتاب النكاح.

١١- تقريب الطّرّة، مصدر سابق، ج١، ص١٨٣.

الإسلامُ... ١٩، آل عمران)، قال : «على قراءة [١] فتح همزة (إنّ) هو معطوف بحرف محذوف على قوله : (شهِدَ اللهُ أنّه لا إله إلاّ هو.. ١٨، آل عمران)، أي وشهد أنّ الدين عند الله الإسلام، وهو أحد احتمالات ذكرها صاحب المغني[٢] أيضا، ومنه حديث : (تصدّق رجل من ديناره، من درهمه، من صاع برّه، من صاع تمره)، يعني : ومن درهمه، ومن صاع إلخ. حكاه الأشموني وغيره [٣]، والحديث أخرجه مسلم والإمام أحمد وأصحاب السنن»[٤].

هكذا سار النحاة الشناقطة في استدلالهم بالحديث الشريف في بحوثهم النحوية، بتوسّع واستقصاء. وهو ما سنقف على نماذج منه ناضجة في الباب الثالث عند مبحث (النّحو والحديث) بعون الله تعالى.

ثالثاً : كلام العرب، شعرا ونثرا : استقى علماء العربية قديما كلام العرب، شعرا ونثرا من ينابيعه الأصيلة، فجمعوا ثروة لغوية كبيرة، أفاد منها النحويون في تأسيسهم قواعد النّحو، ومدّ فروعه، وتفريع مسائله، معتبرين في ذلك المكان والزمان أثناء الرواية، وجمْع المادّة اللّغوية. والرواية في أصل اللّغة الاستقاء[٥]، ثمّ أطلقت على جمع المادّة اللّغوية من الناطقين العرب الموثوق بفصاحتهم، وذلك بالذهاب إليهم، أو تلقّيهم، أو بالسماع عمّن روى عنهم مشافهة[٦].

- عصور الاستشهاد بالشعر : قام العلماء بتقسيم الشعراء من حيث الاستشهاد بشعرهم في قضايا النّحو واللّغة إلى أربع طبقات :

الأولى : طبقة الشعراء الجاهليّـين، من أمثال امرئ القيس والأعشى ...

الثانية : طبقة الشعراء المخضرمين، وهم الذين عاشوا في العصر الجاهلي وأدركهم الإسلام، من أمثال لبيد وحسّان بن ثابت ...

١- هي قراءة الكسائي، والباقون بالكسر. ينظر النشر، ج٢، ص٢٣٨.

٢- أي مغني اللّبيب. ص٥٩٩ منه.

٣- الأشموني بحاشية الصبّان، ج٣، ص ٨٩.

٤- أضواء البيان، ج١،ص٣٣٦.

٥- القاموس المحيط، مادّة (روى).

٦- يراجع هذا الموضوع تفصيلا عند الدكتور محمّد عيد، الرواية والاستشهاد باللّغة، ص١٠، فما بعدها، وكتابي في الماجستير بجامعة طرابلس/ ليبيا ١٩٩٩م : (وجوه الإعراب والقراءات بين الفـرّاء والزجّاج)، ص٢٢١، فما بعدها.

الثالثة : طبقة الشعراء الذين عاشوا في صدر الإسلام، من أمثال الفرزدق وجرير ...

الرابعة : طبقة الشعراء المعروفين بالمولّدين، من أمثال بشّار بن برد وأبي نوّاس، وغيرهما، ممّن عاشوا في العصر العبّاسي، ويقال لهم المحدَثون. وتشمل هذه الطبقة عند بعض العلماء شعراء العصور الحديثة[١].

وقد أجمع العلماء على الاستشهاد بشعر الطبقتين الأولين، كما صحّحوا الاستشهاد بشعر الطبقة الثالثة، أمّا الطبقة الرابعة فالصحيح عندهم أنّه لايستشهد بشعر أصحابها[٢]. وقد اختار الزمخشري والرضي الاستشهاد بشعر أصحاب هذه الطبقة، خصوصا من يوثق به منهم. يقول البغدادي : «وأمّا الرابعة فالصحيح أنّه لا يستشهد بكلامها مطلقا، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري، وتبعه الشارح المحقّق – الرضي – فإنّه استشهد بشعر أبي تمّام في عدّة مواضع من هذا الشرح، واستشهد الزمخشري أيضا في تفسير أوائل البقرة من الكَشَّاف ببيت من شعره، وقال : وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه»[٣].

كما ذكر البغدادي أيضا أنّ سيبويه استشهد ببعض شعر بشّار بن برد تقـرُّبا إليه وخشية من هجائه، إذ قال : «وأوّل الشعراء المحدثين بشّار بن برد، وقد احتجّ سيبويه ببعض شعره تقـرُّبا إليه؛ لأنّه قد هجاه لتركه الاحتجاج بشعره»[٤].

وقد تقيّد النحاة الشناقطة في الاحتجاج بكلام العرب بمسلك أسلافهم من النحاة القدامى، حيث التزموا بالاستدلال بكلام مَن يوثق بفصاحتهم في إطار عصور الرواية والاستشهاد، وطبّقوا ذلك في بحوثهم النحوية خير تطبيق.

رابعاً : أقوال العلماء وآراؤهم: اعتنى النحاة الشناقطة مثل أسلافهم من نحاة العربية اعتناءً كبيرا بالاستدلال بأقوال العلماء وآرائهم في بحوثهم النحوية، حيث أقوالهم

١- خزانة الأدب، ج١، ص٣.

٢- المصدر نفسه، ص٤.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

وآراؤهم المبثوثة في بطون الكتب، والروايةُ عنهم في مجالس العلم والدروس، وحلقات النقاش، من مصارهم التي استقوا منها ثروتهم النحوية، واستمدّوا منها الكثير من المسائل والقضايا، وتآليفهم ودروسهم النحوية تفوح بذلك، وخير دليل عليه. وهم في ذلك مثل أسلافهم من نحاة العربية.

خامساً : القياس: وهو أحد مصادر النّحو العربيّ، بعد مصدر السماع. يقول الإمام السيوطيّ :

«وهو معظم أدلّة النحو، والمعوّل في غالب مسائله عليه، كما قيل : (إنّما النحوُ قِياسٌ يُـتَّـبَعْ[1]). ولهذا قيل في حدّه : إنّه علْم بمقاييسَ مُستنبَطة من استقراء كلام العرب... والنحو بعضه مسموع، مأخوذ من العرب، وبعضه مُستنبَط بالفِكْر والرَّوِيَّة، وهو التعليلات.. إلخ» [2].

ويقول الأنباريّ أبوالبركات : «اعلم أنّ إنكار القياس في النّحو لا يتحقّق؛ لأنّ النّحو كلّه قياس، ولهذا قيل في حدّه : النّحو علْم بالمقاييس المُستنبَطة من استقراء كلام العرب، فمَن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يُعلَم أحد من العلماء أنكره، لثبوته بالدلالة القاطعة، وذلك أنّا أجمعنا على أنّه إذا قال العربيّ : كتب زيدٌ، فإنّه يجوز أن يُسنَد هذا الفعلُ إلى كلّ اسم مُسَمّىً تصحّ منه الكتابة، نحو : عمرٌو، وبشرٌ.. إلى ما لا يدخل تحت الحصر، وإثباتُ ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل مُحَال»[3].

وقد استند الشناقطة إلى هذا المصدر كثيراً في تقرير الأحكام، وتفريع المسائل النحوية، مثل أسلافهم من علماء العربية. وسيأتي حديث عنه أشمل ممّا هنا قريباً في مبحث (الأصول الاستدلالية)، بعون الله تعالى.

المبحث الثـــاني ــ القــــــواعــــــد

كيفية استنباط القواعد وإقرار الأحكام : القواعد لغةً كما في لسان العرب : «والقاعدة أصلُ الأُسّ، والقواعدُ الإساسُ، وقواعدُ البيت إساسُه. وفي التنزيل : (وإذْ يَرْفَعُ إبْراهِيمُ القَواعِدَ مِنَ البيْتِ وإِسْماعِيلُ) {١٢٦ : البقرة}. وفيه : (فأَتَى اللهُ بُنْيانَـهُم

١- هذا صدر بيت من جملة أبيات للكسائيّ يتحدّث فيها عن مكانة النحو العربيّ. يراجع الاقتراح في علم أصول النحو، ص٢٠٤.

٢- المصدر نفسه، ص٢٠٤، ٢٠٥.

٣- لُمَع الأدلّة في أصول النحو، ص٩٥، فما بعدها.

مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ) {٢٦ : النّحل}. قال الزجّاج : القواعدُ أساطينُ البناء التي تَعْمِده»[١].

واصطلاحاً كما يقول الدكتور محمّد صدقي بن أحمد أبو الحارث الغزّي هي : « قضية كلّية يُتعرّف منها أحكام الجزئيات المندرجة تحت موضوعها، أي القاعدة هي حكم، أو أمر كلّيّ، أو قضية كلّية، تفهم منها أحكام»[٢].

وقد عرّف الإمام القرافيّ أبو العبّاس أحمد بن إدريس(ت٦٨٤هـ) القواعدَ تعريفاً مفصَّلاً، مُبيِّناً فيه قيمة معرفتها، لأجل ضبط الفروع والجزئيات، مُشيرًا فيه إلى الفرق بين قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصّة، والقواعد الكلّية المشتملة على أسرار الشرع وحِكَمِه، إذ قال :

«فإنّ الشريعة المعظّمة المحمّدية زاد الله تعالى منارها شرفاً، وعلوّاً اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان، أحدهما المُسمّى بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس فيه إلّا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصّة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح، ونحو الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصّة للعموم ونحو ذلك، وما خرج عن هذا النمط إلّا كون القياس حجّة، وخبر الواحد وصفات المجتهدين. والقسم الثاني قواعد كلّية فقهية جليلة كثيرة العدد، عظيمة المدد، مشتملة على أسرار الشرع وحِكَمه، لكلّ قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى، ولم يذكر منها شيء في أصول الفقه، وإن اتّفقت الإشارة إليه هنالك على سبيل الإجمال»[٣].

كما عرّفها تاج الدين السبكي(ت٧٧١هـ) بقوله : «القاعدة أمر كلّيّ ينطبق على جزئيات تعلم أحكامها منه»[٤]. وقال مُشيراً إلى ضرورة إحكام القواعد، ودواعي الاهتمام بها : «حقٌّ على طالب التحقيق، ومن يتشوّق إلى المقام الأعلى في التصوُّر والتصديق أن يُحكِم قواعد الأحكام، لِيرجع إليها عند الغموض، وينهض بعبء الاجتهاد أتمّ نهوض، ثمّ يؤكّدَها بالاستكثار من حفظ الفروع، لترسَخ في الذِّهن،

١- لسان العرب، مادّة (قعد).

٢- كتابه : الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلّية، ص١٥.

٣- كتابه : الفروق في أنوار البروق في أنواء الفروق، ج١، ص٥ - ٧.

٤- سعدنا بن أعل سالم، تيسير المراجع والمدارك لقواعد مذهب الإمام مالك، ص٣٩.

مثمرةً عليه بفوائدَ غيرِ مقطوع فضلُها ولا ممنوع»[1].

هذه التعريفات الاصطلاحية، وإن كان أغلبها مأخوذاً من مصادر قواعد الفقه، هي عامّة، تنطبق أيضاً على تعريف قواعد النّحو، وكيفية استنباطها منه، وإقرار مسائله وجزئياته؛ لأنّها قواعد وقوانين شاملة، وهو ما يوحي بالعلاقة الوثيقة بين قواعد النّحو، وقواعد الفقه. كما العلاقةُ وثيقة أيضاً بين أصول النّحو، وأصول الفقه. حسبما سيأتي في المبحث الموالي.

ولابدّ لِمُستنبط القواعد والأحكام النّحوية من توافر الشروط اللّازمة لعملية الاستنباط. وقد تحدّث الإمام السيوطي عن ذلك قائلاً :

«شرط المُستنبِط لشيء من مسائل هذا العلْم، المُرتقِي عن رُتبة التقليد أن يكون عالماً بلغة العرب، مُحيطاً بكلامها، مُطّلعاً على نثرها ونَظْمها، ويَكفِي في ذلك الرّجوع إلى الكتب المؤلّفة في اللّغات والأبنية، وإلى الدواوين الجامعة لأشعار العرب»[2].

وقد اهتمّ النّحاة الشناقطة كثيرا بوضع القواعد النحوية، الشاملة للمسائل والجزئيات. من ذلك مثلا صنيع:

١- عبد الله بن الطالب أحمد بن الحاج حمى الله القلاّوي (ت١٢٠٩هـ) في تأليفه المسمّى (الــرّبّانــي)، الذي هو عبارة عن (أرجوزة في النّحو)، تربو على (مائة ١٠٠ بيت)، حاذَى فيها نظم ألفية ابن مالك، إذ مزجَ نظْمه بأشطار الألفية، وشَحَنه بأبياتها وألفاظها[3].

فمن أبرز ملامح عمله فيه أنّه خصّص فصلا لقواعد نحوية عامّة، تندرج تحتها جزئيات عديدة، وذُكِر أنّه لم يُسبق إلى ترجمتها، حيث ورد في شرحه المقتضب الذي وُضِع على هذا النظم، إن صحّت نسبته إليه : «قواعد لم يُسبق رحمه الله تعالى لهذه

١- عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام، القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، مقدّمة التحقيق، ص٦.

٢- الاقتراح في أصول النحو، ص٤٣٩.

٣- توجد منه نسختان في مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقمي ١٠٤، ١١٥، وثالثة على (مكروفلم) المعهد نفسه، تحت رقم٤٧٦. حقّقه محمد الأمين بن عبدي في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ، مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٤٨. كما توجد منه نسخة مخطوطة، مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية، مرجع سابق، تحت رقم١١٠.

الترجمة، فجعلها كالأصول العامّة والخاصّة»[1].

فهذا التعبير يوحي بأنّ الشرح ليس له، أو هو له، والتعبير لأحد النّسّاخ، قاله في مستهلّ الشرح عند نسخه. ونسبه إليه الدكتور محمّد المختار بن ابّاه، إذ قال : «قال إنّه لم يُسبق لترجمتها في التصانيف المتداولة، ولقد أبرز في شرحها جميع الجزئيات التي تندرج تحت كلّ قاعدة»[2].

علماً بأنّ للزّين بن الإمام بن سيدي محمّد القلاّوي (وُلِد١٣٤٠هـ-١٩٢٠م) شرحاً عليه، سمّاه (نيل الأماني شرح الربّاني)[3].

ويبدو أنّ اطّلاع بن ابّاه على هذا الشرح كان عن طريق محقّقه، سالف الذكر، فإحالاته توحي بذلك. وستكون إحالاتي عليه على أنّه لصاحب النظْم. وأشاد المؤلّف بنظمه، قائلاً : «ما كان مشروحا لكم فخذوا ما تعرفون، وما لم تعرفوا فدعوا حتّى يجيء إلى القوم الذين غُذُّوا بها غُذِّيتُ به، والذّهن مجتمع، فهو أي هذا النظم بسبب الإيجاز... وما انطوى عليه، وتضمّن من البدع البديعيات، والملح المستحسنات، يستنقصه، ويُزهّد المتعلّمين له الحاسدُ الذي يمثّله، ويُشبّهه بقوله : كأنّه الملْحَة الحريرية، وهو كما فيه ترك العلامة له علامه»[4].

وتحدّث فيه عن جملة من القواعد، استهلّها بقوله :

يجوز حذفُ كلِّ ما قد عُلِما	والفصلُ بالظرفين حيث حَرُما
وكلّ ما يوقِع بالتباس	مُنِع إجماعا وبانعكاسِ
وكلُّ كَوْنٍ مطلقا يَسْتَترُ	حتما وما قُيِّد حتما يظهرُ
وعاملا صُرِّف قدِّمْ عمَلَهْ	وافْصِلْهُ إلاّ مصدراً فكالصِّلَهْ
لِما التعجّبِ والاستفهام	وكمْ وشرطٍ أوّلَ الكلامِ
وعِوَضٌ معَ المُعاضِ ذُمّا	أبَتِ أمّا أنتَ يااللهمّا

١- مخطوطة المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية، ص٢٤.

٢- تاريخ النحو العربي، مصدر سابق، ص٤٦٨.

٣- قام أيْدَه بن محمّد الإمام بتحقيقه من(باب الكلام إلى باب الفاعل) في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة٢٠٠٠/ ٢٠٠١م. وتحقيقه مودَع تحت رقم ٤٩ بقسم الرسائل بالمعهد نفسه.

٤- شرح المؤلّف نفسه على الربّاني، ص٢٩، من المخطوطة.

ومـا بـه سُـمِّي مـن أبـــواب فـهْو على ما كان مِـن إعــــرابِ
والمـثلُ إنْ طَرا على مثلٍ حُـــذِفْ كـساكنٍ وتاء ذي التـــاءِ والألِفْ
وحُـجّةُ النحويّ أضـعفُ الحُجَجْ والبـصرِي معْ تقديرِ شَأْنٍ لا يُحَـجْ
ومـن قـواعــدك أنّ القـاعـــدهْ إمّـا اضـطراراً أو شذوذاً قاعــــدهْ[1].

وقام رحمه الله بشرح هذا النظْم، مبيّناً ما يندرج تحت هذه القواعد من المسائل والجزئيات، مستوعبا فيه كثيرا ممّا ذكره ابن مالك في الخلاصة، ثمّ التسهيل والكافية[2].

- ففي الشطر الأوّل من البيت الأوّل: (يجوز حذف كلِّ ما قـد عُلِـــما) وضع قاعدة في جواز حذف ما يُعلم، مستدلاّ في كلّ ذلك بما في خلاصة ابن مالك، إذ قال [3]: «مُطلقة جارية في كلّ باب لا تنحصر فروعها، قال ابن مالك : وحذْفُ ما يُعلم جائزٌ.. إلخ»[4].

ثمّ ذكر في الشرح نماذج عديدة تندرج تحتها، مثّل لها بحذف المبتدأ والخبر معا، وبحذف أحدهما وإبقاء الآخر، وحذف (كان واسمها)، وإبقاء الخبر، وحذف الفعل وإبقاء الفاعل، وحذفهما معا، وحذف الفاعل وحده، وحذف أحد معمولي (علمت)، وحذف الفضلة، وحذف معمول الحال، والحالات التي تحذف فيها (رُبّ)، وحذف ما يلي المضاف، إلى غير ذلك ممّا يجوز حذفه[5].

- وفي الشطر الثاني من البيت الأوّل: (والفصلُ بالظــرفين حيث حرما) وضع قاعدة (الفصل بالظرف والجارّ والمجرور) بيْن ما لا يجوز الفصل بينه أصلاً، ثمّ تحدّث في الشرح عمّا يندرج تحتها من الجزئيات، فذكر الفصل بخبر (إنّ) بكسر الهمزة، وبالقسّم بين الموصول وصلته، وبين المتضايفين، وما شابه ذلك[6].

١- المصدر نفسه، ص٢٤.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- الشطر الأوّل، من البيت رقم ٢٤، من باب الابتداء، بالخلاصة.

٥- شرح المؤلّف نفسه على الربّاني، ص٢٤، ٢٥، من المخطوطة.

٦- المصدر نفسه، ص٢٥.

- وفي البيت الثاني: (وكلّ ما يوقِع بالتباس مُنِع إجماعا وبانعكاسِ) وضَع قاعدةً (لمنْع ما يُوقع في اللبْس عند النحويّين)، ومثّل له بحذف صدر الصلة إن لم يدلّ عليها دليلَ، وتقديم المفعول به، وخبر المبتدأ في بعض الأساليب خشيةَ الوقوع في اللبس[1].

- وفي البيت الثالث (وكلُّ كَوْنٍ مطلقا يَسْتترُ حتما وما قُيِّد حتما يظهرُ) وضع قاعدةً لوجوب استتار كلّ كوْنٍ مطلقٍ غير مقيّد، ومثّل له بحذف خبر المبتدأ بعد (لولا)، ثمّ استعرض مزيدا من أمثلة ما يجب استتاره، كحذف الخبر بعد الظرفين، وبعد (لا) النافية للجنس[2].

- وفي البيت الرابع: (وعاملا صُرِّف قدِّمْ عملَهْ وافْصِلهُ إلاّ مصدراً فكالصّلَهْ) وضع قاعدةً في جواز تقديم معمول العامل المتصرّف، ومثّل لذلك بتقديم المفعول به والحال ببعض الأساليب، كما تحدّث عن جواز الفصل بين العامل ومعموله، مستثنياً المصدر والصلة، فلا يتقدّم معمولها، ولا يُفصلان[3].

- وفي البيت الخامس: (لِما التعجّبِ والاستفهام وكمْ وشرطٍ أوّلَ الكلام) ذكر ألفاظا تلزم لها الصدارة في الكلام دائما، وهي (مَا) التعجّبية، و(كمْ)، وأدواتَ الاستفهام والشروط[4].

- وفي البيت السادس: (وعِوَضٌ معَ المُعاضِ ذُمّا أبَتِ أمّا أنتَ ياالّلهُمّا)، تحدّث عن ذمّ الجمع بين العِوَض والمُعوَّض. وسيأتي تفصيل لهذه المسألة في الفصل الرابع من الباب الموالي، عند الحديث عن تأثّر النحاة الشناقطة بأساليب الفقهاء[5].

- وفي البيت السابع: (وما به سُمِّي من أبوابِ فهْو على ما كان مِن إعرابِ) ذكر أنّما سُمِّي به من أبواب، كالمثنّى والجمع السالم مثلا فإنّه يُعرب إعرابها قبل التسمية بها[6].

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- المصدر نفسه، ص٢٥، ٢٦.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٦.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

٥- المصدر والصفحة نفسها.

٦- المصدر نفسه، ص٢٧.

- وفي البيت الثامن : (والمثلُ إنْ طَرا على مثلٍ حُذِفْ   كـســاكنٍ وتاء ذي التاءِ والألِفْ)، وضع عدّة قواعد، تمثّلت في حذف المَثَل إذا طرأ عليه مثَل آخر، والساكن إذا طرأ عليه ساكن، لأنّ القاعدة الصرفية : إذا التقى ساكنان وكان أوّلهما لَيْناً حُذِف، وحذفِ ألف التأنيث، وألفِ القصر من المفرد إذا طرأ عليهما تاء جمع المؤنّث السالم، أو ألف الاثنين[1].

- وفي البيت التاسع : (وحُجّةُ النحويّ أضعفُ الحُجَجْ   والبصرِي معْ تقديرِ شَأْنٍ لا يُحَـجْ). تحدّث عن ضعف حُجَج النحويّين، ورجحان أدلّة البصريّين بسبب ما يميلون إليه من التقديرات. وشرح البيت قائلاً : «أي أضعف الدلائل في رفع المبتدأ والخبر وغير ذلك من الخلاف الذي لا فائدة فيه، والبصريّ من البصريّين مع تقدير ضمير شأن لا يُحجّ، أي لا يغلبون.. في حُججهم بسبب تقديرهم لضمير الشأن في كلّ ما أُقيمتْ عليهم الحُجّة فيه»[2].

ثمّ استعرض أمثلة من تقديرات البصريّين في المسائل المختلف فيها، وختم هذا الشرح بقوله :

«والأحسن في فصاحة الكلام أن يؤتى بالأقلّ قليلا، وبالأكثر كثيرا» [3].

- وختم هذه القواعد بالبيت العاشر : (ومن قواعـدك أنّ القـاعدهْ إمّا اضـطراراً أو شذوذاً قاعدهْ)، مبيّناً : «أنّ القاعدة النحوية لا بدّ من فسادها وانخرامها، إمّا اضطراراً لضيق الشعر، خوف فساده، أو شذوذاً لم ينطق بها إلاّ واحد، فبهذا صارت القاعدة قاعدةً باطلة غير جارية، وعليها شواهد من كلّ باب»[4].

ثمّ بسط القول في التمثيل لما ذكر. ونـبّه رحمه الله في ختام هذا النظم إلى قيمة هذه القواعد بقوله : «وكان ذا النظْمُ ضابطاً قواعد يَعرف بها الذكيّ الموجود من النحو، والقرآن لِمَن حصّل منطوقه وتدبّر مفهومه، ولكن تأخذ الأذهان منه قدر القريحة والفهم»[5].

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

٣- المصدر نفسه، ص٢٨.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

٥- المصدر نفسه، ص٢٩.

٢- وضَع المختار ابن بونا قاعدةً، ضبط فيها (متى يجوز حذْف الفاعل)، فقال في احمراره [1] بعد بيت ابن مالك في الخلاصة[2] :

(ويَرْفعُ الفاعلَ فِعْــــــــــــلٌ أُضْمِرَا كمثْلِ زيدٌ في جوابِ مَـنْ قَرَا):
لا يُحْذَف الفاعلُ إلاّ وهْوَ مَـــــعْ رافِعِـــــهِ الَّـــذْ حَذْفُهُ قدِ اتَّسَعْ
ومَصْـدَراً نَـــواهُ أوْ كـــذلـــكْ إنْ حَذْفُــــــــهُ تُوُهِّم ابنُ مالكْ.

وقال في شرح هذين البيتين من طُرَّته: «(لا يحذف الفاعلُ) إلاّ في المواضع التالية: (إلاّ وهو مع رافعه الّذْ حذفه قد اتّسع)، كزيداً جواباً لمن قال : مَن أكرمَ عمْرٌو؟ (و) ضمير (مصدراً نواه، أو كذلك)، أي ضمير اسم الفاعل، أو مصدر، (إنْ حذفُه تُوُهِّمَ)، نحو : (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ ما رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْـجُـنُـنَّـهُ){يوسف : ٣٥}. وفي الحديث : (لا يزني الزاني وهو مؤمن..) [3] وقولهم : (إذا كان غـداً فأتِنِي) [4] وقوله [5] :

فإن كان لا يُرضيكَ حتّى تَــــرُدّني إلى قَطَـــرِيٍّ لا إِخَـــــالُكَ راضيَا.

«ابن ما لك تَبَعا لغير الكسائيّ» [6].

يقصد أنّ الفاعل لا يحذف إلاّ مع رافعه، ولا يحذف وحده، وما تُوُهِّم حذفُه دون رافعه أوّله ابنُ مالك بكوْن الفاعل ضمير مصدر منويّ، أو نحو ذلك من ضميرِ غير المصدر،كما في قوله تعالى : (ثُمَّ بَـدَا لَهُمْ)، أي بدا لهم البداءُ. وكما في الحديث : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، أي لا يشرب الخمر شاربُها، فالفاعل هو ضمير الشارب الذي دلّ عليه(يشرب)، وكفاعل (كان) المؤوّل في قوله : (إذا كان غـداً فأتِنِي)، أي إذا كان ما نحن عليه الآن من السلامة فأتني.. وفي بيت الشعر: أي إن كان الحالُ المشاهدةُ لايرضيك، حيث (لايرضيك)

١- تقريب الطُّرّة، مصدر سابق، ج١، ص٢٦٣.

٢- البيت الخامس، من باب الفاعل، من الخلاصة.

٣- الحديث بتمامه في صحيح البخاري، ج١٤، ص٣١، من كتاب الحدود، رواية ابن عبّاس : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن).

٤- يبدو أنّه من قول العرب، مع أنّي لم أقف عليه في غير هذا المصدر.

٥- من الطويل، لسوار بن المضرب، من قصيدة له، قالها لمّا فـرّ من الحجّاج، خوفا منه. وتقدير الفاعل : (فإن كان لا يُـرضيك ما نحن عليه من السلامة). ملخّص من تعليق صاحب (تقريب الطُّرّة)، ج١، ص٢٦٤. حاشية رقم ١.

٦- المصدر نفسه، ص٢٦٣.

حال من فاعل (كان) [1].

٣- وممّا يوحي باعتنائهم بضبط القواعد قول الشيخ محمّد عالي بن سيدي بن سعيد (مَعِي : ت١٣١٠هـ) : «وإنّما اشترطوا ما ذُكر لئلاّ تنخرم قاعدتهم، وهي أنّ العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها إذا كان مضافا إليه يكون معمولا للمضاف، ولا يعمل في الحال إلاّ إذا أشبه الفعل، فإذا أشبهه فالقاعدة موفّاة، وإلاّ فلا» [2].

٤- وضَبَط محمّد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد(ت١١٦٦هـ) بعضاً من أحكام قاعدةِ جمْع التكسير، فقال : «ولجمع التكسير أوزان معروفة في كتب النّحو، وفي قاعدته غلَبَةُ التأنيث عليهِ، وأنّه لا يُنسب إليه، بل إلى مفرده، وإن نُسِب إليه دون قُبْح، أو ذُكِر دُونَ قُبْح فهو اسم الجمْع»[3].

هذه نماذج فقط، تفيد اعتناء القوم بوضع القواعد النّحوية الشاملة للجزئيات.

المبحث الثالث : الأصـــــول الاستـــــدلالية

- أصول النّحو العربيّ
- أصول الاستـــــدلال

أ- **أصول النّحو العربيّ** : الأصول جمْع أصْل، وهو لغةً ما ينبني عليه غيره[4]، واصطلاحاً يُطلق عموماً، كما يقول الإمام الشوكانيّ على : «الراجح والمُسْتصْحب، والقاعدة الكلّية والدليل... (و) إدراك القواعد التي يتوصّل بها إلى استنباط الأحكام عن أدلّتها التفصيلية، وقيل هو العلم بالقواعد، وقيل هو نفس القواعد الموصّلة بذاتها إلى استنباط الأحكام»[5].

١- تسجيل التكرار ٢/ ١-٣.

٢- في كتابه : تنبيه الصِّغَار بشرْح الاحمرار، بابا الحال والتمييز، تحقيق أحمد بن محمد عبد الله، ص٢٩.

٣- في كتابه : تعليق في الفرْق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلَم الجنس، ص٢، من المخطوطة.

٤- مختار الصحاح. مادّة (أصل).

٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص٥.

وقد أفاض ابن جنّيّ(ت٣٩٢هـ)في خصائصه كثيراً في الحديث عن السماع والقياس والإجماع والاستحسان والعلّة، باعتبارها أصولاً وأدلّةً للنّحو[١]، التي يرى أنّ التأليف فيها لم ينضج إلاّ على يده، موازناً بين عمَل مَن سبقوه، وعمَله فيها، حيث يقول : «وذلك أنّا لم نرَ أحداً من علماء البلدين (البصرة والكوفة) تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه»[٢].

وفرّق في خصائصه بين النحو وأصوله، قائلاً : «وليَكون هذا الكتاب ذاهباً في جهات النظر، إذ ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجرّ والجزم؛ لأنّ هذا أمر قد فُرغ في أكثر الكتب المصنّفة فيه منه، وإنّما هذا الكتاب مبنيّ على إثارة معادن المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ، وكيف سَرَتْ أحكامها في الحواشي»[٣].

وعرّف الأنباري أبو البركات كمال الدين (ت٥٧٧هـ) أصول النحو بقوله : «أدلّة النحو ثلاثة : نقل وقياس واستصحاب حال، (و) أصول النحو هي أدلّة النحو، التي تفرّعت منها فروعه وأصوله، كما أنّ أصول الفقه أدلّة الفقه، التي تنوّعت عنها جملته وتفصيله، وفائدته التعويل على إثبات الحكم بالحجّة والتعليل، والارتفاع عن حضيض التقليد إلى الاطّلاع على الدليل، فإنّ المُخْلِد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، ولا ينفكّ في أكثر الأمر عن عوارض الشكّ والارتياب)» [٤].

بين أصول النّحو، وأصول الفقه : يبدو جلياً تأثّـر النحويّين في أصول النحو بأصول الفقه، وهو ما صرّح به الأنباريّ في كتابه (نزهة الألبّاء)، بأنّه في أصول النحو ينسج على منوال أصول الفقه، معلّلا ذلك بأنّ بينهما من المناسبة ما لا يخفَى؛ لأنّ النحو معقول من منقول، كما أنّ الفقه معقول من منقول[٥]. وممّا يعبّر عن تأثّر الأنباري بمنهج الفقهاء عموماً تصريحه في مقدّمة كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيّين) بأنّه إنّما «صنّفه على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعيّ وأبي حنيفة»[٦].

١- الخصائص، ج١، ص ١٠٠، ١١٥، ١١٧، ١٣٣، ١٧٩.

٢-الخصائص، ج١، ص٢.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٢.

٤- لُمَع الأدلّة في أصول النحو، الأنباري، ص٨١ .

٥- نزهة الألبّاء، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة : سنة ١٩٦٧م. ص٨٩.

٦-مقدّمة الإنصاف، ص٥.

وهذا التأثّر واضح وبيِّن في تقسيمات النحويّين عموماً لقضايا أصول النّحو، ومسائله وتفريعاته، ومصطلحاتهم فيه، فالشبه بينها وبين تقسيمات الفقهاء الأصوليّين، ومصطلحاتهم واضح للعيان، لا يحتاج تدليلاً عليه.

ب-**أصول الاستدلال**: المقصود بالأصول الاستدلالية الأصولُ التي يُحتجّ بها، ويُستدلّ على إثبات القواعد، والأحكام الجزئية والمسائل الفرعية[1]. وأبرز مباحثها في الاصطلاح النحويّ السّماعُ، والقياسُ والإجماع، واستصحابُ الحال. وفيما يلي إلقاء الضوء عليها:

١- السماع: يعرّف الأنباري السماع بأنّه «الكلام العربيّ الفصيح المنقول النقلَ الصحيحَ، الخارجَ عن حدّ القلّة إلى حدّ الكثرة»[2].

ويعرّفه الإمام السيوطيّ بقوله: «ما ثَـبَتَ في كلام مَن يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنةُ بكَثرة المُوَلّدِين، نظماً ونثراً، عن مسلم أو كافر»[3].

واهتمّ به ابن جنّيّ اهتماماً خاصّاً في مواطن كثيرة من خصائصه، مصرّحاً بتقديمه على القياس إذا ما تعارضا، إذ قال: «إذا تعارضا نطقْتَ بالمسموع على ما جاء عليه، ولم تَـقِسْه في غيره»[4].

وقد تحدّثت عنه في مبحث المصادر، سالف الذكر بما يكفي عن إعادة الحديث عنه هنا.

٢- القياس: كما يقول الإمام الشوكانيّ هو«حملُ معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من حكم أوصفة» [5].

واهتمّ به ابن جنّيّ(ت٣٩٢هـ) على نطاق واسع في كتابه الخصائص، كما اهتمّ به أستاذه من قبله أبو عليّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ)، حيث يقول ابن جنّيّ: «وذلك أنّ مسألة

١- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص٥.

٢- لُمَع الأدلّة في أصول النحو، ص٢٨.

٣- الاقتراح، ص٧٤.

٤- الخصائص، ج١، ص١١٧.

٥- إرشاد الفحول، مصدر سابق، ص٢٩٥، وأصول الفقه، محمّد الخضري، ص٢٨٨.

واحدة من القياس أنبلُ وأنبَهُ من كتاب لغة عند عيون الناس. قال لي أبو عليّ رحمه الله: أُخْطئ في خمسين مسألة في اللّغة ولا أُخْطئ في واحدة من القياس»[1].

وتوسّع ابن جنّي في القياس كثيراً حتّى بدا له أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، حيث يقول: «واعلم أنّ من قوّة القياس عندهم اعتقاد النحويّين أنّ ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب»[2].

واستند إليه كثيراً في مناقشة فيض غزير من قضايا العربية، ومسائلها، فعقد لذلك العديد من الأبواب، أبرزها ثلاثة، أوّلها (في مقاييس العربيّة)، التي قسمها فيه إلى ضربين، معنوي ولفظي، وتوسّع فيهما، مبيّناً « أنّ العرب تؤثر التجانس والتشابه، وحمل الفرع على الأصل، ما إذا تأمّلته عرفت منه قوّة عنايتها بهذا الشأن، وأنّه منها على أقوى بالٍ... نعم وقد دعاهم إيثارهم لتشبيه الأشياء بعضها ببعض أن حملوا الأصل على الفرع، ألا تراهم يُعلّون المصدر لإعلال فعله، ويصحّحونه لصحّته»[3].

وثانيها (في جواز القياس على ما يقلّ، ورفضِه فيما هو أكثر)، وذكر من أمثلته حمْل شَنُوءةَ في النسب على حنيفة، وذلك لإجرائهم فَعُولة مجرى فَعِيلة لمشابهتها إيّاها من عدّة أوجه، فكما قالوا: حَنَفِيّ، قياساً قالوا: شَنَئِيّ أيضا قياساً[4]. وثالثها(في تعارُض السماع والقياس)، وصرّح فيه بتقديم المسموع حسبما جاء عليه، وذكر من أمثلته (اسْتحْوَذ) دون القياس عليه[5].

وعرّفه الأنباري من الناحية الاصطلاحية، بقوله: «وهو في عُرْف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل. وقيل: هو حَمْل فرع على أصل بعلّة، وإجراء حُكْم الأصل على الفرع. وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع. وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع. وهذه الحدود كلّها متقاربة»[6].

١- الخصائص، ج٢، ص٨٨.

٢- المصدر نفسه، ج١، ص١١٤.

٣- المصدر نفسه، ج١، ص١٠٩، ١١١، ١١٣.

٤- المصدر نفسه، ج١، ص١١٥.

٥- المصدر نفسه، ج١، ص١١٧.

٦- لُمَع الأدلّة في أصول النحو، ص٩٣.

وفي موضع آخر قال مبيّناً : «وأمّا القياس فهو حمْل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، كرفع الفاعل، ونصب الفعول في كلّ مكان، وإن لم يكن كلّ ذلك منقولا عنهم، وإنّما لّما كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول كان محمولا عليه، وكذلك كلّ مَقيس في صناعة العرب»[١].

٣- الإجماع : الإجماع الذي يكون حُجّة هو إجماع النحويّين المعتبرين على مسألةٍ ما، وبقاؤه دون خرق. يقول ابن جنّيّ : «اعلم أنّ إجماع أهل البلدين (البصرة والكوفة) إنّما يكون حُجّة إذا أعطاك خصمُك يدَه ألّا يخالف المنصوص، والمقيسَ على المنصوص، فأمّا إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حُجّة عليه»[٢].

وابن جنّي بعقله الراجح، وفكره الناضج يُعدّ المؤسّس الحقيقي للأصول الاستدلالية، كما هو المؤسّس الحقيقي لأصول النحو، حسبما رأينا سالفاً، وهذا ما سمح له هنا بكثير من حرّية التفكير والتنظير، لذا نجده يصرّح بمخالفته الإجماعَ في قول العرب : (هذا جُحْر ضَبٍّ خَرِبٍ)، حيث يقول :

«فمِمّا جاز خلافُ الإجماع الواقع فيه منذ بُدِئ هذا العلْم، وإلى آخر هذا الوقت، ما رأيته أنا في قولهم : (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ). فهـذا يتناوله آخِرٌ عن أَوّلٍ، وتالٍ عن ماضٍ على أنّه غَلَط من العرب، وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مِثْل هذا الموضع نَيِّفاً على أَلْفِ موضِع، وذلك أنّه على حذف المضاف لا غير، فإذا حملته على هذا الذي هو حَشْو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسَلِس، وشاع وقُبِل. وتلخيص هذا أنّ أصله : هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ جُحْرُه، فيجري (خرب) وصفاً على (ضبّ)، وإن كان في الحقيقة لِلْجُحْر»[٣].

والاحتجاج بالإجماع في مسائل النحو ليس بمتّفق عليه بين النحويّين. وهو ما أشار إليه الإمام السيوطيّ في تعليقه على تعريف الأنباريّ لأصول النحو : « فزاد (الأنباري) الاستصحاب، ولم يذكر الإجماع، فكأنّه لم يَرَ الاحتجاج به في العربية، كما هو رأي قوم»[٤].

١- الإعراب في جدل الإعراب، ص٤٥.

٢- الخصائص، ج١، ص١٨٩.

٣- المصدر نفسه، ج١، ص١٩١، ١٩٢.

٤- الاقتراح في أصول النحو، ص١٤.

٤- استصحاب الحال كما يقول الإمام الشوكانيّ هو: « استصحاب الحال لأمر وجودي، أو عدميّ عقليّ، أو شرعيّ، ومعناه أنّ ما ثبت في الزمن الماضي فالأصل بقاؤه في الزمن المستقبل، مأخوذ من المصاحبة، وهو بقاء ذلك لأمر ما لم يوجد ما يُغيّره»[١].

أي هو ترك الحكم على ما كان عليه حتّى يأتي ما يُزيله.

ويعرّفه الأنباريّ في الإعراب في جدل الإعراب بقوله : «وأمّا استصحاب الحال فإبقاء حال اللّفظ على ما يستحقّه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل، كقولك في فعل الأمر: إنّما كان مَبنِـيّاً؛ لأنّ الأصل في الأفعال البناءُ، وإنّ ما يُعرَب منها لشبه الاسم، ولا دليل يدلّ على وجود الشبه، فكان باقياً على الأصل في البناء»[٢].

وفي لُمَع الأدلّة بقوله : «اعلم أنّ استصحاب الحال من الأدلّة المعتبرة، والمراد به استصحاب حال الأصل في الأسماء، وهو الإعراب، واستصحاب حال الأصل في الأفعال، وهو البناء، حتّى يوجد في الأسماء ما يوجب البناء، ويوجد في الأفعال ما يوجب الإعراب»[٣].

ويقول الإمام السيوطيّ في الباب نفسه : «قلت : والمسائل التي استدلّ فيها النحاة بالأصل كثيرة جدّا، لا تُحصى، كقولهم : الأصل في البناء السكون إلّا لموجبِ تحريك، والأصل في الحروف عدم الزيادة، حتّى يقوم الدليل عليها من الاشتقاق ونحوه، والأصل في الأسماء الصرف والتنكير والتذكير وقبول الإضافة والإسنادُ »[٤].

٥- العـــلّــــةُ النحوية : العلّة النحوية عند جمهور النحاة[٥] ركـنٌ من أركان القياس، التي هي : الأصل والفرع والعلّة والحكم. وقد تناولها أبو القاسم الزّجّاجي (ت٣٣٧هـ) تناولا منهجيا تعليمياً، مقسّماً إيّاها إلى ثلاثة أقسام، إذ قال :

«وعِلَل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب : عِلَل تعليمية، وعِلَل قياسية، وعِلَل جدلية نظرية. فأمّا التعليمية فهي التي يُتوصّل بها إلى تعلُّم كلام العرب، فمن هذا النوع

١- إرشاد الفحول، ص٣٥٢، وأصول الفقه، الخضري، ص٣٥٦.

٢- الإعراب في جدل الإعراب، ص٤٦.

٣- لُمَع الأدلّة، ص١٤١.

٤- الاقتراح، ص١١٣.

٥- ابن الأنباري وجهوده في النحو، ص١٨٦.

من العلل قولنا : قدم زيد. إن قيل : لم رفعتم زيداً؟ قلنا : لأنّه فاعل اشتغل فعله به. أمّا العلّة القياسية فأن يقال لمن قال نصَبت (زيداً) ب(إنّ) في قوله : إنّ زيداً قائم : ولِمَ وجب أن تنصب (إنّ) الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول : لأنّها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدّي إلى مفعول، فحملت عليه فأعملت إعماله لمّا ضارعته، فالمنصوب بها مشبّه بالمفعول لفظاً، والمرفوع بها مشبّه بالفاعل لفظاً... أمّا العلّة الجدلية النظرية فكلّ ما يُعتلّ به في باب (إنّ) بعد هذا، مثل أن يقال : فمن أيّ جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأيّ الأفعال شبّهتموها...إلخ»[1].

أمّا ابن جنّي فتناولها في خصائصه بكثير من المناقشة والتحليل، فتحدّث بالتفصيل عن شروطها، ووجوه اختصاصها، مبيّناً أوضاعها وأحوالها. وذلك في عدّة أبواب عقدها للحديث عن مسائلها، منها مثلاً :

- ذكر عِلَل العربية، أكلامية هي أم فقهية[2].
- باب في تعارض العِلَل[3].
- باب في الردّ على من اعتقد فساد عِلَل النحويّين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العِلّة[4].

فرأى مثلاً في باب (ذكر عِلَل العربية أكلامية هي أم فقهية)، أنّ عِلَل النحويّين أقرب إلى علَل المتكلّمين منها إلى عِلَل الفقهاء، إذ قال : «اعلم أنّ عِلَل النحويّين... أقرب إلى علَل المتكلّمين منها إلى عِلَل المتفقّهين. وذلك أنّهم إنّما يُحيلون على الحسّ، ويحتجّون فيه بثقل الحال أو خِفّتها على النفس، وليس كذلك حديث عِلَل الفقه، وذلك أنّها إنّما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفيّة عنّا»[5].

وقد قام الشناقطة بتطبيق هذه الأصول عملياً في إنتاجهم النّحوي، مع شيء من التفاوت. وفيما يلي عرْض بعض الأمثلة :

١- الإيضاح في علل النحو، ص٦٤، ٦٥.

٢- الخصائص، ج١، ص٤٨.

٣- المصدر نفسه، ج١، ص١٦٦.

٤-المصدر نفسه، ج١، ص١٨٤.

٥-المصدر نفسه، ج١، ص٤٨.

١- رأى محمّد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد (ت١١٦٦هـ) أنّ لفظ (الفُلْك) في حالة الإفراد محمول على (قُفْل)، وفي حالة الجمع محمول على (حُمْر)، حيث يقول: «ولذا كان فُلْكٌ جمعاً؛ لأنّه يُثنَّى، ولكنّه لا يُجمع ولا يُؤنّث، فيُقدّر في مفرده ضمّةُ المفرد وسكونُه، وفي جمعه ضمّةُ الجمع وسكونُه، فهو في المفرد نظير قُفْل، وفي الجمع نظير حُمْر، فهما متغايران»[1].

٢- ذكر المختار ابن بونا (ت١٢٢٠ أو١٢٣٠هـ) أنّ الأصل في تنكير الأخبار يعود إلى أنّ نسبة الخبر من المبتدأ محمولة على نسبة الفعل من الفاعل. فعند قوله من الاحمرار: (والأصلُ أنْ تُنَكّر الأخبارُ وليس في تعريفها ضِرارُ[2])، يقول في الطّرّة معلّقا : «والأصل أن تنكّر الأخبار؛ لأنّ نسبتها من المَبتدآت نسبة الفعل من الفاعل»[3].

ويقول سيدي محمّد بن حبت عند شرح بيت ابن بونا هذا : « لأنّ نسبته من المبتدأ نسبة الفعل من الفاعل.. قال الرضي[4] : لأنّه مسند فشَابه الفعل، والفعل خالٍ من التعريف والتنكير، إذ هما من عوارض الاسم»[5].

٣- وذكر قِلّة فَصْل (لا)، و(لَمْ) الجازمتين بمعمولي مجزوميْهما، وجوازَ إهمال (لَمْ)، وعدم إعمالها، حمْلا على (لا) النافية، فقال [6] :

وقَلَّ فصْلُ لاَ ولَـــــــــمْ وأهْمِلا حَمْلاً على لاَ لَـمْ ونَصْبـــــاً قَلِّـــلاَ.

وبيّن أيضا أنّ النّحاة جوّزوا تذكير المؤنّث حمْلاً على معناه، كما جوَّزوا العكس، فقال[7] :

وذَكَّروا مؤنّثاً حَمْـــــــــــــلاً على مَعنـــاهُ والعكسُ أتَى. ونُقِـــلا.

١-تأليفه : تعليق في الفرْق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلَم الجنس، ص٤، من المخطوطة.

٢-البيت رقم ٥، من الاحمرار، بعد قول ابن مالك في باب المبتدأ والخبر من الخلاصة : (ورغبةٌ في الخير خيرٌ وعمَلْ بِـرٍّ يَزينُ ولْيُقسْ ما لم يُقَلْ).

٣- تقريب الطّرّة، ج١، ص١٥٠.

٤- رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت٦٨٦هـ). يراجع الأعلام، ج٦، ص٨٦.

٥- المواهب النحوية، باختصارِ حفيده، ج١، ص٢٨٣.

٦- البيت رقم ٢، من احمرار البيت الأوّل من باب الجوازم، من الخلاصة. يراجع تقريب الطُّرّة، ج٢، ص٦٢٤.

٧-البيت رقم ٧، من احمرار البيتين الأوّلين، من باب التذكير والتأنيث، من الخلاصة. يراجع تقريب الطُّرّة، ج٢، ص٦٨٧.

٤- من استعمالات المختار بن بونا للاستحسان في باب التوكيد ذكْرُه عدَم اتّحاد توْكيد المتعاطفين إلاّ إذا كان العامل فيهما مؤتلفاً معنىً وعمَلاً، فيكون مُستحسَنَ الاستعمالِ من حيث القياسُ عند جمهور النحاة، حيث يقول [1] :

لَمْ يتّحِدْ توْكيدُ ما تَعاطَفَا إلاّ إذا العاملُ فيه ائْتَلَفَا
فنَحْوُ ذا أَتَى وجاءَ الحَسَنُ كِلاهُما مُستعْمَلٌ مُسْتَحْسَنُ.

٥- ومن استخدامه للترجيح في مسألة إضافة اثنين، هما جُزءَا مُثنّى، مخفوضٍ بهما لفظاً ومعنىً، قوله [2] :

ورجّحوا الجمعَ فالإفرادَ فَمَا ثَنَّوْا على الأصحّ في اثنيْن هما
جُزْءَا مُثَنّىً خَفَضَاهُ وجُمِعْ مُنفَصِلانِ حيثُما لَبْسٌ رُفِعْ.

ومثل قوله في مسألة زيادة بعض الحروف في صدر الكلام، أوتضعيفها [3] :

ورجّحوا زيادةَ الَّذْ صُدِّرَا مِن ياءٍ أو همزةٍ أو ميم يُرَى
ما بعدَهُ اللّيْنَ أو التضْعِيفَا ما لم يكنْ ترجيحُهُ ضَعيفَا.

ومثل قوله في مسألة إلحاق الثلاثي بالخماسي [4] :

ومِثْلُ الحَبَنْطَى وكذَا الصَّمَحْمَحُ على سبيل غيره يُرَجَّحُوا
مِثْلُ عَفَنْجَجٍ وهكذَا دُرِي مِثْلُ عَقَنْقَلٍ وكالقَنَوَّر.

٦- وذكر سيدي محمد بن حَبَتْ القلاّوي(ت١٢٨٨هـ) أنّ بعض الأحكام قد يُحمل أقلّه على أكثره إجراءً للباب على سَنَنٍ واحد، حيث يقول : «وعند سيبويه أنّ المعرفة تكون خبراً عن النكرة في نحو (كمْ مالُك)؛ لأنّ أكثر ما يقع بعد الاستفهام

١-البيتان : الخامس والسادس، من الاحمرار، الوارد بعد الأبيات الستة الأولى من باب التوكيد بخلاصة ابن مالك. يراجع تقريب طُرَّة ابن بونا، ج٢، ص٥٠٢.

٢- البيتان : السادس والسابع من الاحمرار، الوارد في نهاية باب المقصور والممدود من ألفية ابن مالك. يراجع تقريب طُرَّة ابن بونا، ج٢، ص. ٧٠١.

٣- البيتان : الأوّل والثاني من الاحمرار، الوارد قبل البيت الأخير من باب التصريف في ألفية ابن مالك. يراجع تقريب طُرَّة ابن بونا، ج٢، ص٧٦٢.

٤-البيتان الأخيران من الاحمرار، الوارد في نهاية باب التصريف، من ألفية ابن مالك. يراجع تقريب طُرَّة ابن بونا، ج٢، ص٧٦٥.

النكرات والظروف والجُمل، فتعيَّن إذْ ذاك كوْنُ الاستفهام مبتداً، نحو مَن قائم ومَن عندك ومَن قامَ، فحُكم على(كَمْ) بالابتداء، وعلى المعرفة بالخبرية إجراءً للباب على سَنَن حَمْلاً للأقلّ على الأكثر»[1].

٧- ذكر أنّ الكوفيّين يرون أنّ المبتدأ والخبر «مترافعان لطلب كلّ منهما صاحبه، قياساً على عمَل كلّ من اسم الشرط والفعل المجزوم به في صاحبه، نحو : [أَيّاً مّا تَدْعُوا] {الإسراء، ١١٠}»[2].

٨ -كما رأى في تعليقه على قول ابن مالك[3] : (وخُفِّفَتْ كأَنَّ أيضاً فَنُوِي منصوبُها وثَابتاً أيضاً رُوِي) تخفيفَ (كأنّ) حملاً على (أنّ) المفتوحة. حيث قال : «(وخُفِّفَت كأَنَّ أيضاً) حملاً على (أَنَّ) المفتوحة، (فنُوِي مَنصوبُها) كثيرا، كقوله[4] : (وصَدْرٌ مُشْرِقُ النّحر كَـأَنْ ثَـــدْيَاهُ حُقَّانِ) .. أي كأنّ النحر ثدياه حُقّان»[5].

٩- رأى الشيخ محمّد عالي بن سيدي بن سعيد (معِي : ت١٣١٠هـ) أنّ صاحب الحال لايقع نكرة ما لم يختصّ بنعتٍ، حملاً على المبتدأ، حيث لا يقع نكرة ما لم يختصّ، حيث يقول : «ولمّا كانت الحال خبراً في المعنى، وصاحبها مُخبَرا عنه أشبه المبتدأ، فلم يجز مجيء الحال من النكرة غالبا إلاّ بمسوّغ من مسوّغات الابتداء بالنكرة، فكما لا يقع المبتدأ نكرة ما لم يختصّ لم يقع ذو الحال نكرة ما لم يختصّ بنعت»[6].

كما يرى أنّ ما يتعلّق بالمضاف إليه لايتقدّم على المضاف، حملاً على أنّ ما يتعلّق بالصلة لا يتقدّم على الموصول، حيث يقول : «فكما لا يتقدّم ما تعلّق بالصلة على الموصول، كذلك لا يتقدّم ما تعلّق بالمضاف إليه على المضاف»[7].

١- المواهب النحوية، باختصار حفيده، ج١، ص٢٨٤.

٢- المواهب النحوية، باختصارِ ولدِه : الشيخ محمد بن حبت (ت١٢٩٩هـ)، ٢٦١.

٣- البيت الأخير من باب (إنّ وأخواتها) في الخلاصة.

٤- من الهزج، مجهول القائل، وهو مشهور في كتب النحو. ويروى : (وصدر مشرق النحر). يراجع عبد المجيد الشرنوبي، إرشاد السالك شرح ألفية ابن مالك، ص٤٨، وتقريب الطُّرّة، ج١، ص٢٢٦، وشرح ابن عقيل، تحقيق إميل يعقوب، ج١، ص١٩٨.

٥- المواهب النحوية، اختصارِ الشيخ محمد بن حبت، ج١، ص٦٣٠.

٦ - يراجع تنبيه الصِّغَار بشرْح الاحمرار، ص٢١.

٧ - يراجع المصدر نفسه، ص٢٨.

هكذا تناول الشناقطةُ مسائل الأصول من حيث التطبيق في بحوثهم النّحوية، دون التعرُّض للأصول الاستدلالية نفسها. وهم في ذلك المسلك مقلّدون لبعض أسلافهم من نحاة العربية، وهو ما يتّضح من الأمثلة المذكورة.

البـاب الثالث

النّحو العربي وأثره في العلوم الشرعية ببلاد شنقيط

الفصل الأوّل : النّحو والعـقيـــدة

الفصل الثاني : النّحو والتفسير

الفصل الثالث : النّحو والقراءات

الفصل الرابع : النّحو والحديث

الفصل الخامس : النّــحو والفـــــــقه والأصــــول

الفصل السادس : النّحو واللّغة والمنطق

تمهيـــــــــد

كان لخدمة القرآن الكريم أثر بارز، متميّز في النشاط النحوي عند الشنقيطيين، فعلوم العربية عندهم قامت من أجل تفسيره وفهم مضامينه، كما هو الحال عند غيرهم من المسلمين، وقد تلوّنت خدمتهم له، فكان من ضمنها إعرابه وتصريفه، وذلك إمّا بشكلٍ مستقلّ، في كتب خصّصوها لإعرابه وتصريفه، وإمّا ضمن كتب التفسير، فجاء الإعراب فيها يشكّل لونا من ألوانه المتعدّدة، كما اعتنوا بتوظيف هذا الإعراب في المباحث العقدية، والقراءات القرآنية اعتناء كبيرا، سواء أكانت متواترة أم شاذّة، حيث توسّعوا في الاحتجاج بها، والاستدلال لها، من أجل توثيقها وتأصيلها، كما وظّفوه كثيراً في خدمة بحوث الحديث الشريف والفقة والأصول.

إذ من السّمات البارزة لدى العلماء الشناقطة سِمة الموسوعية، فكان العالم منهم في الغالب متعدّد المعارف، متمكّنا من العلوم اللغوية والشرعية، ممّا نشأ عنه عندهم ترابط وثيق بين هذه العلوم جميعها، خصوصا مادّة النحو مع غيرها من المعارف، حيث كلّ فرع من هذه المعارف يحتاجها احتياجا كبيرا، فهي الآلة التي لا يستغني عنها فنّ من فنون الثقافة العربية الإسلامية، وذلك لأنّ النحو العربي نشأ نشأةً عربية خالصة، وترعرع في أحضان القرآن العظيم من أجل خدمته والدفاع عنه وتبيان كنوزه، والوقوف على إعجازه وإظهار جمال أسراره، ممّا جعل أثَر هذه الأداة واضحا وقويّا في بحوث العلوم الشرعية جميعها، وهو ما سيتّضح من المباحث الآتية.

الفصل الأوّل : النّحـــــو والعـقيـــــدة

كان الشناقطة أوّلَ أمرهم على العقيدة السلفية منذ مستهلّ الفتح الإسلامي، متمسّكين بها، معتمدين فيها على الكتاب والسنة، إلى أن انتشرت الأشعرية (نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، المتوفّى سنة ٣٢٤هـ) ببلاد شنقيط، قادمة من المغرب، في مؤلّفات في العقيدة الأشعرية، أخذت سبيلها إلى المؤسّسة التعليمية الشنقيطية، لعلماء أشعريين مغاربة، لهم منزلة في نفوس الشناقطة،كمؤلّفات السنوسي أبي عبد الله محمد بن يوسف (ت٨٩٥هـ)، وعبد الواحد بن عاشر الفاسي (ت١٠٤٠هـ)، وأحمد المقري، الملقّب

شهاب الدين (ت١٠٤١هـ)[١]. وكان تأثّر الشناقطة بهذه التآليف تأثّراً بالغاً منذ أن وصلت أيديهم.

يقول الدكتور الطيّب بن عمر: «إنّ أبرزما تميّزت به دولةُ المرابطين منهجُها الإسلامي السلفي، القائم على التمسّك بنصوص الكتاب والسنة... وتعتبر الدولة المرابطية واحدة من أبرز الدول الإسلامية، التي تأسّست على الفكر الإسلامي السلفي الخالص من شوائب البدعة... وكان المرابطون لا يعدلون عن تعاليم عبد الله بن ياسين، وقد سار علماؤهم وفقهاؤهم من بعده على المنهج الذي رسمه، فكانوا سلفيين، أصحاب حديث وفروع، لا يتجاوزون الكتاب والسنّة، والمعاني التي تنبني عليهما»[٢].

فظلّ المرابطون على العقيدة السلفية إلى أن دخلت الأشعرية بلاد المغرب الإسلاميّ، على أيدي رجالٍ رحلوا إلى المشرق، وعادوا بها، من أمثال أبي عمران الفاسي (ت٤٣٠هـ)، وأبي الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ)، وأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي، المعروف بالمرادي (ت٤٨٩هـ)، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي(ت٥٤٣هـ). وكان ذلك قبل رحلة ابن تومرت أبي عبد الله محمّد (ت٥٢٤هـ) إلى المشرق بستّ سنوات، الذي عمِل بعد عودته إلى المغرب جاهدا على نشر العقيدة الأشعرية[٣]. يقول ابن خلدون:

«إنّه (ابن تومرت) لقي أئمّـة الأشعرية بالمشرق وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه، بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتّباعهم في التأويل فطعن على أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافّة العقائد، وأعلن إمامتهم ووجوب تقليدهم»[٤].

فبعد انتصار الدولة الموحّدية على الدولة المرابطية عام (٥٤١ هـ)[٥]، واستتباب «الأمر في المغرب لأتباع ابن تومرت عام (٥٤٢هـ) قاموا بتعقّب الدولة المرابطية تعقّبا

١- المصدر نفسه ص٢٢٩، ٢٣٠.

٢- في كتابه: السلفية وأعلامها في موريتانيا، ص١٨٨.

٣- المصدر نفسه، ص١٩٩، ٢٢١.

٤ - تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص٢٢٦. نقلا عن السلفية وأعلامها في موريتانيا، ص٢٢٠.

٥- تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص٦٠.

لا هوادة فيه ولا رحمة، واستأصلوا شأفة أنصارها البارزين، وضربوا على أيدي فقهاء المالكية السلفيين الذين كانت لهم اليد الطولى في عهد المرابطين، واستحلّوا دماء أهل السنّة، وقتلوا منهم خلائق لا يحصيها إلاّ الله خالقُها، وفرضوا العقيدة الأشعرية في المغرب بالسيف»[1].

وقد انقسم المجتمع الشنقيطي في المعتقد إلى قسمين، قسم، وهو الأغلبية اعتنق الأشعرية، وقسم أغلبه من العلماء والباحثين، بقي متمسّكا بالعقيدة السلفية، أو أحياها من جديد، وأعاد لها بريقها الذي كانت عليه في البلاد. ويمثّل المدرسة السلفية العقدية في العصر الحديث ببلاد شنقيط جمع غفير من العلماء والباحثين الأكاديميين، منهم مثلاً العلاّمة محمّد الأمين بن محمّد المختار الشنقيطيّ، الملقّب (آبّه بن أخطور/ ت١٣٩٣هـ)، صاحب تفسير أضواء البيان، والشيخ بدّاه بن البصيري(ت١٤٣٠هـ)، والشيخ محمّد سالم بن عدّود(ت١٤٣٠هـ)، والشيخ محمد الحسن بن الددو، رئيس مركز تكوين العلماء، والشيخ أحمدّو بن حبيب الرّحمن، إمام الجامع الكبير بالعاصمة انواكشوط، وغيرهم كثير.

وقد وظّف العلماء الشناقطة مسائل النّحو في مباحث العقيدة على نطاق واسع، خصوصاً في المسائل الشائكة منها غالباً، لإيضاح معانيها، وإزالة اللّبس عن مسائلها، وذلك أثناء شرح النصوص ومناقشتها. وفيما يلي عرض بعض النماذج للتدليل على ذلك :

- يقول محمّد الأمين بن محمّد المختار الشنقيطيّ، الملقّب (آبّه بن أخطور/ ت١٣٩٣هـ) : «قوله تعالى : {الرّحْمنِ الرّحِيم}(الفاتحة : ٢) : هما وصفان لله تعالى، أو اسمان من أسمائه الحسنى، مشتقّان من الرّحمة على وجه المبالغة، والرّحمن أشدّ مبالغة من الرّحيم؛ لأنّ الرّحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرّحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة»[2].

إذ تحدّث هنا عمّا وُصِف به اسمُ الجلالة، أو ما سُمِّيَ به ربُّنا جلّ علاه من صيغ المبالغة، المشتقّة من الرّحمة.

١- السلفية وأعلامها في موريتانيا، ص٢٢٤.

٢- تفسيره : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، ص١٠١، ١٠٢.

- وعند قوله تعالى : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}(الفاتحة : ٤)، يقول : « أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى : (لا إِلَهَ إِلّا اللهُ)؛ لأنّ معناها مركّب من أمرين : نفي وإثبات. فالنفي : خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات : إفراد ربّ السموات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع. وقد أشار إلى النفي من (لا إِلَهَ إِلّا اللهُ) بتقديم المعمول، الذي هو {إِيَّاكَ}. وقد تقرّر في الأصول، في مبحث دليل الخطاب، الذي هو مفهوم المخالفة، وفي المعاني، في مبحث القصر أنّ تقديم المعمول من صيغ الحصر، وأشار إلى الإثبات منها بقوله {نَعْبُدُ}»[1].

ففي تحقيق معنى (لا إِلَهَ إِلّا اللهُ)، تحدّث عن النفي والإثبات، وتقديم المعمول، وهي مباحث نحوية، بلاغية، أصولية، وُظِّفت جميعاً في تحقيق هذا المبحث العقديّ.

- ووظّف هذا العلاّمة الجليل رحمه الله النّحو توظيفاً قويّاً في مبحث نفيس كتبه في عِلْم تأويل المتشابه. فعند قوله تعالى : {ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ} (آل عمران : ٧)، يقول :

«لا يخفى أنّ هذه الواو محتملة للاستئناف، فيكون قوله : {وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} مبتدأ، وخبره {يقولون}، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلّا الله وحده، والوقف على هذا تامّ على لفظة الجلالة. ومحتملة لأن تكون عاطفة، فيكون قوله : {وَالرّاسِخُونَ} معطوفا على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويلَه الرّاسخون في العلم أيضاً. وفي الآية إشارات تدلّ على أنّ الواو استئنافية لا عاطفة... وممّا يؤيّد أنّ الواو استئنافية لا عاطفة، دلالةُ الاستقراء في القرآن أنّه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبته لنفسه، أنّه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك... إلخ»[2].

كلام نفيس في إطار الإيمان بالمتشابه، وهو مبحث عقديّ، وُظِّف فيه النحوُ توظيفاً كبيراً.

- قال الله تعالى : {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَـذِيرٌ وَبَشِيرٌ}(هود : ٢)، فقال الشيخ محمّد الأمين الشنقيطيّ : «هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أنّ الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها هي أن يُعبَد الله جلّ وعلا وحده، ولا يُشرك به في

١- المصدر نفسه، ص١٠٣.

٢- المصدر نفسه، ص٣٣١، ٣٣٢.

عبادته شيء؛ لأنّ قوله جلّ وعلا : {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّـدُنْ حَكِـيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ}(هود : ١،٢) صريح في أنّ آيات هذا الكتاب فُصِّلَتْ مِن عند الحكيم الخبير لأجل أن يُعبَد الله وحده، سواء قلنا : إنّ (أَنْ) هي المفسِّرة، أو إنّ المصدر المُنسبك منها ومن صلتها مفعول من أجله؛ لأنّ ضابط (أَنْ) المفسِّرة أن يكون ما قبلها متضمّناً معنى القول، ولا يكون فيه حروف القول»[١].

توظيف واسع من هذا العلّامة الكبير للإعراب في مناقشة المسائل العقدية.

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : «لَمّا خَلَقَ الله الخلقَ كتَب في كتابه، وهو يكتُبُ على نفسه، وهْو وَضْعٌ عندَه على العَرْش إنّ رحْمتي تَغْلِب غَضَبِي». فقال الشيخ محمّد حبيب الله بن مايابَى الشنقيطيّ(ت١٣٦٣هـ) : «قوله : (وهو يكتُبُ على نفسه) جملة حالية، أي وهو عزّ وجلّ يكتب على نفسه لأجل رحمة عباده، لا لوجوب شيء عليه، ولا لخوف أن ينسى شيئاً، تعالى عن ذلك علوّا كبيرا. (إنّ رحْمتي) : تنازع فيه كَتَب ويَكْتُب»[٢].

فهو هنا يستخدم الإعراب لغرض تفسير ألفاظ الحديث وتبيانها، والمبحث عقديّ.

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قال : ((لنْ يُدْخِل أحداً عَمَلُهُ الجنّةَ، قالوا ولا أنت يارسول الله، قال ولا أنا إلّا أن يتغمّدني اللهُ برحمته..)). فقال الشيخ محمد حبيب الله بن مايابَى الشنقيطيّ : «قوله: لنْ يُدْخِل أحداً عَمَلُهُ الجنّةَ. أحداً : مفعول (يُدْخِل)، و(عَمَلُهُ) فاعل. والأصل اتّصال الفاعل بالمفعول، وانفصال المفعول عنه، لكن قد جيء به هنا في الحديث على خلاف الأصل، وقد يجاء بخلاف الأصل. وظاهر هذا الحديث أنّ الأعمال الصالحة لا تُدخل أحدا الجنّة... فيرجع معنى الحديث إلى أنّه تعالى لا تُوجب الأعمالُ الصالحة عليه إدخالَ أهلِها الجنّةَ، بل يُدخِلُهم بمحض فضله ورحمته وَفاءً بوعْده تعالى»[٣].

فهذا من أحاديث العقيدة، وقد وظّف الشيخُ النحوَ لتفسيره، وإيضاح معانيه.

١- المصدر نفسه، ج٣، ص٧.

٢- شرْحه على الصحيحين المسمّى : زاد المسلم فيما اتّفق عليه البخاري ومسلم. ج٢، ص٧٧، ٧٨.

٣- المصدر نفسه، ص٨٢، ٨٣.

- أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : ((ما مِن أحدٍ يَشهَد أن لا إلَهَ إلّا الله وأنَّ محمّدا رسول الله صِدْقاً مِن قلبه إلّا حَرَّمَه الله على النّار)). فقال الشيخ محمّد حبيب الله بن مايابَى : « قوله : ما مِن أحدٍ : أي ما مِن عبدٍ من عبيد الله، ذكراً كان أو أنثى (يَشهَد أن لا إلَهَ إلّا الله وأنَّ محمّدا رسول الله) صلّى الله عليه وسلّم شهادةً (صِدْقاً مِن قلبه إلّا حَرَّمَه الله على النّار). والجار والمجرور الأوّل، أي قوله : مِن قلبه، يتعلّق بقوله : صِدْقاً، أو بقوله : يَشهَد. فعلى الأوّل الشهادةُ لفظية، أي يشهد بلفظه، ويصدّق بقلبه، وعلى الثاني، وهو أنّه متعلّق بقوله : يَشهَد، الشهادةُ قلبية، أي يشهد بقلبه، ويصدّق بلسانه.. إلخ»[1].

هكذا وظّف العلماء الشناقطة النحوَ في مناقشة المسائل العقدية، وتفسير نصوصها، وإيضاح معانيها.

الفصل الثاني : النّحو والتفسير

امتزجت بحوث النحو ببحوث التفسير منذ نشأته، وعبر العصور، باعتبار الإعراب أساساً من أساساته التي لا غنىً له عنها، حيث يستند إليها، ويتعمد اعتماداً كبيراً. وكان علماء التفسير الشناقطة مثل أسلافهم، قاموا بتوظيف الإعراب في كتب التفسير على نطاق واسع لأجل خدمته، والكشف عن معانيه، وتبيان الأحكام الشرعية، وإعراب الأساليب. وفيما يلي توضيح ذلك في جملة من تفاسيرهم :

أ- (الذّهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز[2]. لمحمّد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي(ت١١٦٦هـ [3]). وهو موسوعة ضخمة في أربعة أجزاء، مخطوطة، صفحات الجزء الواحد منها حوالي(خمسمائة ٥٠٠ صفحة)، من الورق الكبير. وقد صرّح في مقدّمته أنّه جمعه من أمّهات الكتب، وليس له سوى فضل جمعه، حيث يقول :

١- المصدر والصفحة نفسهما.

٢- توجد منه أجزاء بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام ١٥٠،١٥١،١٠٤٦،١٧١٧،٢١٤٩،٣٠٤٢، ١٤٦. وقد حُقّق جلّه في رسائل تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مودّع بقسم الرسائل بالمعهد.

٣- المنارة والرباط، مصدر سابق، ص٦٠٥ ، والألفية وتأثيرها ، ص١٨، وتاريخ النحو ، ص٥٤١.

«ومن رأى خللا في هذا الكتاب فليراجع الأمّهات المنقول منها، لا تصرّف لي فيه إلاّ محض نقل كلامهم وجمعه؛ لأنّ دأبي التقاط درر العبارات من حياض العلماء ، وأخذ غزير الإشارات من حياض الحكماء، فهو لسانهم وبيانهم لا بياني..»[١].

إنّها أمانة نادرة لدى الكثير من المؤلّفين، وتواضع ليس باليسير منه رحمه الله. وقد نبّه مَن عثَر فيه على سهو أنّه بإزاء ذلك سيجد فيه فوائد جمّة، فقال : «ومن عثر في هذا الكتاب على سهو.. فسيقف على إحسان كثير. وقد نفع الله الأئمّة بكتب طارت كلّ مطار وجاوزت الفلوات وشواطئ البحار، وما منها كتاب إلاّ وقد وقع فيه عيب، وعرف فيه غلط، ولا ريب، ولم يجعل الناس ذلك سببا لرفضها وهجرها، ولا توقّفوا عن الاستضاءة بأنوار فجرها»[٢].

وهو تفسير قيّم، يُلحظ في نصوصه المنقولة الاعتناء بتبيين القرآن بالقرآن، والأحاديث الشريفة، وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال علماء التفسير واللّغة والنحو والأدب.. وقد اهتمّ فيه بمناقشة المسائل الإعرابية، وأهمّ سمات منهجه فيها :

- أنّه يوظّف المسائل الإعرابية أحياناً لغرض التفسير وإيضاح المعنى، من ذلك مثلا ما سجّله عند قوله تعالى : [أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ] {٨٦، البقرة}، حيث قال : «استكبرتم : تكبّرتم عن اتّباعه جواب (كلّما)، وهو محلّ الاستفهام، والمراد به التوبيخ»[٣].

ومنه ما قيّده بتوسّع عند قوله تعالى : [فقليلاً مّا يُؤْمنون]{٨٧، البقرة} ، حيث قال : «(ما) : زائدة أو مصدرية أو نافية، ثلاثة أقوال، أمّا على القول بزيادتها فإنّها زائدة لتأكيد القلّة، أي يؤمنون إيمانا قليلا جدّا... وعلى هذا (فقليلاً) نصب صفة لمصدر محذوف، أي فإيمانا قليلا يؤمنون، أو معناه بقليل.. يؤمنون، ويكفرون بأكثره، أو يؤمنون بقليل من الرسل... وعلى هذا (فقليلا) نصب بنزع الخافض، وهو الباء. وأمّا على أنّها مصدرية كما قال الدماميني، فقال مكّي : إنّها إن جعلت مصدرية لم يجز أن ينصب (قليلا) بالفعل الذي بعده، بل ينصب بفعل مقدّر، و(قليلا) نعت، أي يؤمنون إيمانا قليلا... وأمّا على

١- ص٣، من المخطوط.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

٣- ص ٤٠، من المصدر نفسه.

أنّها نافية فمعناه : لا يؤمنون قليلا، ولا كثيرا...»[1].

إنّه توظيف واضح لمسائل الإعراب لإيضاح المعنى والتفسير.

– كثير الاعتناء بتوثيق النقول، وإسناد العلم إلى أهله، تأكيداً لما صرّح به في المقدّمة، لذلك غالبا ما ينهيها بعبارة (انتهى)، من ذلك مثلا مناقشته إعراب قوله تعالى : [أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلاً مّا بَعُوضَةً]{٢٦،البقرة}، إذ قال :

«مثلا : مفعول أوّل، (ما) نكرة، موصوفة بها بعدها مفعول ثانٍ... قاله الجلال. وقال الكواشي والبيضاوي : (ما): إبهامية إذا قرنت بمنكّر زادته إبهاما، نحو : أعطني كتابا ما، تريد أيّ كتاب كان. فبعوضةً على هذا صفة لها، أوعطف بيان ل(مثلا)، أو(ما) زائدة لتوكيد الخسّة، نحو: (فَبِما رحْمَةٍ){آل عمران : ١٥٩}، ف(ما) بعدها المفعول الثاني.. (بعوضةً) : مفعول ثانٍ ل(يضرب)، لتضمّنه معنى الجَعْل على أنّ(ما) زائدة، وعلى أنّها نكرة موصوفة ب(بعوضةً)، ف(ما) مفعول ثانٍ، و(بعوضةً) عطف بيان، ل(مثلا). وقال البيضاوي: أو (بعوضةً) مفعول ل(يضرب)، و(مثلاً) حال تقدّمت عليه؛ لأنّ (بعوضةً) نكرة . انتهى»[2].

وهو مسلك يؤكّده قوله الذي ختم به تحليلا من تحليلاته الإعرابية : «سبكت كلام بعضهم ببعض، ولفّقته»[3].

يقصد أنّه لم يكن له سوى الجمع والتلخيص والتنسيق المحكم. إنّها فعلا أمانة نادرة، وتواضع جميل.

– غير أنّه قد يحجم عن عزو هذه التحليلات، والمناقشات الإعرابية، كحديثه مثلا عند قوله تعالى : (يَوَدُّ أحدُهم لوْ يُعَمّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ومَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعذابِ أنْ يُّعَمّرَ... ٩٦،البقرة) : «لو : مصدرية بمعنى(أنْ)، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول (يودّ)... (أَنْ يّـُعَمَّرَ) : فاعل (مُزَحْزِحِهِ)، أي تعميره، ويُستعمل (زحزح) لازماً، ومتعدّيا. ويحتمل أن يكون (هو) للتعمير مبتدأ، و(أنْ يعمّر) بدلا من (هو)، و(بمُزحْزحه) خبر. ويحتمل أن يكون للأمر والشأن، وما بعده مبتدأ، وخبره في موضع

١– المصدر نفسه ص٣. ينظر مزيد في ص ٤٤، ٤٥ ، ٤٧ منه.

٢– المصدر والصفحة نفسها. ينظر مزيد في ص ٣٣ ، ٤٧ منه .

٣– ص٤، من المصدر نقسه.

خبر(هو)، ويمنع من هذا التأويل دخول الباء في (بمُزَحْزِحه)؛ لأنّ المجهول، أي ضمير الشأن لا يُفسَّر إلاّ بالجمل السالمة من حروف الخفض»[1].

إلاّ أنّ هذا ليس بالسمة الغالبة في هذا التفسير القيّم.

- أحيانا يناقش توجيهات إعرابية في أسلوب قرآني ثمّ يعمّم هذه التوجيهات على أساليب قرآنية أخرى مشابهة. فقد ذكر في (ما) من قوله تعالى: (فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ... ٨٧، البقرة)، ثلاثة أوجه، هي: الزيادة، والمصدرية، والنفي، ثمّ قال: «وهذه الاحتمالات جارية في قوله تعالى: (قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ...٢،الأعراف)، (وَكَانُوا قَلِيلاً مِّنَ الَّيْلِ مَايَهْجَعُونَ... ١٧،الذّاريات). قاله الكواشي والخازن وتكميل[2] المرام»[3].

وهو شيء فائض في تفسيره.

- كثيرا ما يستشهد للوجوه النحوية بروايات النحويين واستدلالاتهم، ناقلا شواهدهم كما هي من حديث شريف، وأقوال للعرب، شعرا ونثرا، بدقّة وأمانة. من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى: (إلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ.. ١٣٠،البقرة)، حيث قال: «وقال الثعالبي: وسفِه من السفه، الذي معناه الرقّة والخفّة. وقال مكّي[4]: سفِه معناه: جهل وضيّع. ويحتمل أن (نفسه) انتصب بنزع الخافض، أي: سفِه في نفسه، أو على التمييز، وأصله: سفِه نفسُه بالرفع، نحو... قول جرير[5]:

ونأخذ بعده بذَنـــــــــابِ عيْشٍ أَجَبِّ الظهْر ليس لـــــه سَنـــــام.

قاله البيضاوي في البغوي. قال الفرّاء: نصب (نفسه) على التفسير[6]، وكان الأصل سفِهت نفسه، فلمّا أضاف الفعل إلى صاحبها أخرجت النفس مفسِّرةً ليعلم موضع السّفه، كما يقال: ضِقْت به ذرعا، أي ضاق ذرعي به. انتهى. وقال المبرّد وثعلب: سفِه بالكسر متعدٍّ، وبالضمّ لازم. ويشهد له حديث: (الكِبْر أن تَسْفَهَ الحقَّ، وتَغْمِطَ

١- ص٤١، من المصدر نفسه. ينظر مزيد في ص ٤٣، ٤٧.

٢- تكميل المرام بشرح شواهد توضيح ابن هشام للشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي(ت١٠٩١هـ).

٣- الإبريز، ج١، ص٤.

٤- مكّي أبو محمد بن أبي طالب حمّوش الأندلسي (ت ٤٣٧هـ).

٥- بل للنّابغة الذبياني، وهو من الوافر. أجبّ الظهْر: لا سنام له، وذناب الشيء: طرفه. يقصد أنّهم بعد الممدوح سيبقون في شدّة عيش وسوء حال. ينظر مختار الشعر الجاهلي، ج١، ص ١٩١.

٦- التفسير: عند الفرّاء مصطلح كوفيّ يقابل التمييز عند البصريين.

الناسَ[1]). قاله[2] القرطبي»[3].

إنّه نصّ فعلا مُعبّر تعبيرا صادقا عن جُلّ ما ذُكِر من سمات منهجه رحمه الله، في هذا التفسير القيّم.

ب- (الرّيّان في تفسير القرآن). لمحمّد بن محمّد سالم بن محمّد سعيد المجلسي (ت١٣٠٢هـ)[4]. وهو موسوعة تفسيرية ضخمة في سبعة أجزاء كبيرة، مخطوطة، صفحات الجزء الواحد تبلغ (خمسين وثمانمائة ٨٥٠ صفحة[5]، ويشتغل على تحقيقه الآن الأستاذ محمّدّ سالم بن جدّو، بانواكشوط، وقد أخرج منه الجزء الأوّل محقّقا من بداية المصحف حتّى الآية (٢٤٣)، من سورة البقرة، في مجلّد كبير، يدلّ على الجهد الكبير الذي بُذل فيه، من حيث الجمع، والتلخيص والتنسيق والتهذيب.

وقد جمعه من كتب التفسير، وعلوم القرآن، كتفسير البغوي(معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٦هـ)، و(تفسير مفاتح الغيب)، للفخر الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ)، و(تفسير الكواشي)، لأحمد بن يوسف بن الحسن الشافعي(ت٦٨٠هـ)، و(تفسير ابن جزي)، الغرناطي(ت٧٤١هـ)، و(الإتقان)، للسيوطي(ت٩١١هـ)، و(الذهب الإبريز لليدالي(ت١١٦٦هـ)، و(ضياء التأويل)، لعثمان الفوتي(ت١٢٤٥هـ[6])، وغيرها ممّا ورد ذكره في ثنايا التفسير. وهو غالبا ما يصرّح بمصادر نقوله في محالّها، خاتما إيّاها بعبارة (انتهى). ممّا يوحي بأمانة علمية واضحة. وقد عبّر عن عمله فيه بقوله :

«فصنّفت هذا الكتاب مبيّنا فيه ما تيسّر ذكره من علوم القرآن، ولم آلُ جهدا فيما يكون من التحقيق والتدقيق، والتبيان والنكت العجيبة، والفوائد الغريبة، والتناسق

١- هذا معنى أثر ورد ذكره في فتح الباري على صحيح البخاري من رواية عبد بن حميد عن ابن عبّاس مرفوعا : (الكبر السّفه عن الحقّ، وغَمْصُ النّاسِ ...). الفتح، ج١٢، ص١١٤.

٢- انظر تفسير القرطبي، ج٢، ص ١٣٢.

٣- الإبريز، ج١، ص٤٧.

٤- المنارة والرباط، ص٥٩٥، والتفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط، ص٣٠٧، والحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص٩٩.

٥- ما يزال مخطوطا، بمكتبة أهل محمّد سالم بانواكشوط.

٦- يوجد بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١٤٧.

الرائق، وتوضيح المعنى البارع الفائد»[1]. وتحدّث عن النحو حديثا يوحي باهتمامه به في تفسيره : «وأمّا النحو فلا بدّ للمفسّر من معرفته، فإنّ القرآن أنزل بلسان العرب، فيحتاج إلى علم اللّسان..»[2].

وقد اهتمّ بالإعراب فيه حسب ما يحتاج التفسير والبيان. وأهمّ سمات منهجه فيه في مسائل النحو وبحوثه :

– أنّه غالبا ما يورد الإعراب لأجل التفسير، وإيضاح المعنى، من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ... ٨٧، البقرة)، حيث قال : «أي يؤمنون حال كونهم قليلا، أي لا يؤمن منهم إلاّ قليل. قال البغوي : قال قتادة : لا يؤمن منهم إلاّ قليل؛ لأنّ من ءامن من المشركين أكثر ممّن آمن من اليهود، أي فقليلا يؤمنون. ونصب قليلا على الحال.. وقال : لايؤمنون إلاّ بقليل مما بأيديهم، ويكفرون بأكثره، فبقليل يؤمنون. ونصب (قليلا) بنزع الخافض»[3].

ومنه أيضا ما ذكره عند قوله تعالى : (فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا...٨٨، البقرة)، حيث قال: «ما : موصول، فاعل جاء. عرَفوا : وعائد(ما) محذوف، أي عرفوه، والذي عرفوه هو القرآن، والإسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلّم»[4].

– هذا الإلحاح منه على التفسير، وإيضاح المعنى جعله يوظّف القراءات القرآنية لهذا الغرض دون الاعتناء كثيرا بالخوض في الاستدلال بها لوجوه الإعراب، وتوجيهها والاحتجاج لها، والترجيح بينها. من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ..٣، الفاتحة) : «قرأ الكسائي وعاصم : (مالِكِ..) بألف بعد الميم[5]، أي هو السيّد المنفرد بالملك، والتصرّف في يوم الدين.. وخُصّ بالذكر لأنّه لا ملك ظاهر فيه لأحد إلاّ الله تعالى : (لِـمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.. ١٦، غافر)، فعلى القراءة الثانية[6]

١– الريّان، ج١،ص ٦.

٢– المصدر نفسه، ص٢٧.

٣– المصدر نفسه، ص ٣١٩.

٤– المصدر نفسه، ص٣٢٣.

٥– كذا أيضا قرأ يعقوب وخلف، وقراءة الباقين بدون الألف. ينظر الإتحاف، ص ١٦٢.

٦– أي قراءة الألف.

مفعول(مالك) محذوف، أي هو مالك الأمر كلّه في يوم الدين»[1].

ومنه أيضا ما ذكره عند قوله تعالى : (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَـمَّا يَعْمَلُونَ.. ٨٥، البقرة): «يعملون : قرأ ابن كثير ونافع، وأبو بكر[2]، ويعقوب، وخلف، بالياء، والباقون بالتّاء[3]، وهو تأكيد للوعيد، أي أنّ الله تعالى بالمرصاد، لا يغفل عن أفعالهم. انتهى»[4].

– يتمتّع بأمانة علمية كبيرة؛ إذ يعتني كثيرا بإسناد المناقشات النحوية إلى أصحابها، أو توثيقها من مصادرها، من ذلك مثلا ماسجّله عند قوله تعالى : (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ.. ١، البقرة)، حيث قال : «وقوله : هُدًى : الهدى في الأصل مصدر كالسُّرى واللُّقى.. ومعناه الدلالة الموصّلة إلى البغية، قاله البيضاوي[5]. وعلى هذا فإنّه يعرب بأنّه مبتدأ، وخبره (فيه) قبله، فتكون الجملة حالا، وعلى هذا يوقف عند قوله : (لا رَيْبَ)، فيكون خبر(لا) محذوفا، أي لا ريبَ فيه.. ويعرب أيضا بأنّه خبر ثانٍ ل(ذلك)، على أنّ خبر (ذلك) (لا ريبَ فيه)، ويعرب بأنّه منصوب على الحال، أي هاديا»[6].

ومثله ما ذكر عند قوله تعالى : (أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.. ٦، البقرة) : «لا يؤمنون: جملة مفسِّرة لما قبلها، فلا محلّ لها، أو حال مؤكّدة، أو بدل، أو خبر، والجملة قبلها اعتراض. وفائدة هذا الإنذار حصول الثواب للمبلِّغ مع إلزام الحجّة للمبلَّغ إليهم، ولذلك قال : عليهم، ولم يقل : عليك. قاله في الضياء»[7].

– غير أنّه قد يورد تحليلات إعرابية دون عزو، فعند قوله تعالى : (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ.. ٢٢، البقرة) قال : «رِزقاً : مفعول (أخرجَ)، قال صاحب هذا التفسير: يحتمل أن تكون اللّام للملك، أو شبهه، فتكون (لكم) صفة ل(رزقاً)، وهو الظاهر، ويكون(من الثمرات) حالا منه، ويحتمل أن تكون للتعليل فيتعلّق بأخرج.. وهذا الذي أعربت به يأتي على أنّ(مِنْ) تبعيضية أو بيانية، ويأتي على أنّ (مِنْ) تبعيضية

١– المصدر نفسه، ص١١١.

٢– أبو بكر شعبة، راوي عاصم.

٣– النشر، ج٢، ص ٢١٨.

٤– المصدر نفسه، ص ٣١٤. ينظر مثلا مزيد في ص ١٢١، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٣.

٥– هو أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٧٩١هـ). وله تفسير : أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٦– الريّان، ج١، ص ١٢٥.

٧ – المصدر نفسه، ص١٣١. ينظر مثلا مزيد في ص ١٦١، ١٨٠، ٢٢٥.

أن يكون(رزقا) مفعولا لأجله، وتكون هي ومدخولها صفة لمحذوف، أي شيئا بعض الثمرات. ومنهم من يعرب التبعيضية في نحو هذا بأن تكون مفعولا، ويكون حينئذ (رزقاً) مفعولا لأجله»[1].

- إلاّ أنّه قد يختم هذه النقول غير المعزوة بعبارة (انتهى)، التي ربّما تعني أنّها منقولة من مصدر ما. من ذلك مثلا ما سجّله عند قوله تعالى : (أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً... ٢٦، البقرة) ، حيث قال : « أي مِنْ أن يضرب، فسّره غير واحد ب(يجعل)، وعليه فيتعدّى إلى مفعولين، والمفعول الأوّل قوله : (مثلا)، أي شَبَهًا حقيرا، فالبعوضة فما فوقها ممّا هو أكبر منها، و(ما) موصولة معطوفة على (بعوضةً كان)، أيْ مثلاً أيَّ مثلٍ، أو(ما) زائدة لتأكيد الخسّة، والمفعول الثاني قوله : بعوضةً.. انتهى»[2].

- كما أنّ له اختيارات بين وجوه الإعراب تنمّ عن تمكّنه من إعراب القرآن الكريم، من ذلك مثلا ما قيّده عند قوله تعالى : (قَلِيلاً مَّا تَذَّكَّرُونَ... ٢، الأعراف)، حيث قال : «والقول بأنّها مصدرية، والعامل محذوف، الصواب فيه أن يعرب (قليلا) بأنّه حال من الضمير المقدّر مع فعله، لا صفة لمصدر محذوف»[3].

- ومنه أيضا ما عقّب به مع شيء من التوضيح والتبيان عند قوله تعالى : (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ..٢٢، البقرة)، حيث قال : «وقول الكواشي : نَصْب (رزقاً) مفعولا له، يتأتّى على مذهب من لم يعتبر شروط النصب على الأجلية. قاله صاحب هذا التفسير عفا الله تعالى عنه»[4].

ويقصد بــ (صاحب هذا التفسير) نفسه رحمه الله.

ج- (دُمية المحراب في المهمّ من التصريف والإعراب).[5] لمحمّد فال (ببّها) بن محمّذن بن أحمد العاقل الديماني[6] (ت١٣٣٤هـ). وهو في إعراب القرآن الكريم وتصريفه،

١- المصدر نفسه، ص ١٦١.

٢- المصدر نفسه، ص ١٧٩. ينظر مزيد مثلا في ص ٢٢٥.

٣- المصدر نفسه، ص ٣٢١.

٤- المصدر نفسه، ص ١٦١.

٥- توجد منه نسخة على (مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٦٧٣، وأخرى بمخطوطات المعهد نفسه، تحت رقم ٢٥٥٠.

٦- المنارة والرباط، ص٥٩٣، وحياة موريتانيا، ص٦٩، وتاريخ النحو، ص٥٤٢، والألفية وتأثيرها، ص١٩.

مقسومٌ قسمين : الأوّل في الإعراب، والثاني في التصريف. وقد حدّد المصادر التي جمعه منها، بقوله : «وكان اعتمادي في القسم الأوّل منه على مغني اللّبيب لابن هشام، والبيضاوي[1]، والجمَل حاشية الجلالين، وضياء التأويل[2]، وغيرها من كتب النّحو والتفسير. أمّا القسم الثاني منه فجلّ اعتمادي فيه على كتب اللّغة، كالجوهري والقاموس والمصباح... والزاهي لابن الأنباري[3]، وغيرها من كتب التصريف واللّغة»[4].

ومن مصادره أيضا: إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري(ت٦١٦هـ)، وتفسير الكواشي، لأحمد بن يوسف بن الحسن الشافعي(ت٦٨٠هـ)، وتفسير ابن جزي الأندلسي(ت٧٤١هـ)، وحاشية التصريح على توضيح ابن هشام، للشيخ ياسين زين الدين العليمي الحمصي(ت١٠٦١هـ).

وتحدّث عن القسم الثاني قائلا : «ثمّ لا بدّ من ذكر مقدّمة تتعلّق بالقسم الثاني من الكتاب، وهي أنّ المعتبر في الوزن ما يستحقّه الموزون من الشكل قبل التغيير، فيقال في وزن(رَدَّ، ومَرَدّ) : فَعَل، ومَفْعَل؛ لأنّ أصلهما : رَدَد، ومَرْدَد. وإذا وقع في الموزون قلب قُلبت الزنة.. فتقول في وزن(ناء) : فَلَع؛ لأنّه من النأْي»[5].

وهو مأخوذ حرفيا من هذه المصادر التي صرّح المؤلّف بها، مع التفاوت في مدى الاعتماد عليها، وقد اكتسب أهمّيته من قيمتها، ومن الجهد الكبير الذي بذله المؤلّف رحمه الله في النقول المحرّرة، ودقّة التلخيص، والتنسيق. وأهمّ سمات منهجه فيه :

- أنّه قد يحتجّ لتقوية وجه نحويّ بنظائر من الأساليب القرآنية، مثل ما سجّل عند قوله تعالى : (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... ٢٥٩، البقرة) : قال : « قول بعضهم : إنّ فاعل (تَبَيَّنَ) ضمير راجع إلى المفهوم من (أنّ) وصلتها بناء على أنّ(تبيّن، وأعلَمَ) تنازعاه.. إنّه لا ارتباط بين (تبيّن، وأعْلمَ)، ولا بدّ في باب التنازع من

١- في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٢- لعثمان الفوتيّ النيجريّ(ت ١٢٤٥ هـ) .

٣- الأنسب : الأنباري نسبة إلى الأنبار.

٤ - المخطوطة ، ص ١.

٥- المصدر والصفحة نفسها.

ارتباط العاملين، إمّا بعاطف كـ(قامَا وقعدَ أخواك)، أو عمل أوّلهما في ثانيهما، نحو : (وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً... ٤، الجنّ)، (وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً...٧، الجنّ) ، أو كون ثانيهما جوابا للأوّل، نحو: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ... ١٧٦،النساء)، بل فاعل (تبيّنَ) في الأصل ضمير مستتر، إمّا للمصدر، أي فلمّا تبيّنَ له تَـبَـيُّـنٌ، كما قالوا : (ثُـمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ... ٣٥، يوسف). أو لشيء دلّ عليه الكلام، أي فلمّا تبيّنَ الأمرُ... قاله ابن هشام في مغنيه»[1].

– قد ينقل مناقشات العلماء للمسائل النحوية، ناسباً لكلّ منهم رأيه، مع الإدلاء برأيه. من ذلك مثلا قوله : «الرّحمن : عند الأعلم، وابن مالك ليس بصفة، بل هو علَم. ابن هشام : قولهما هو الحقّ، وينبني عليه أنّه في المسألة ونحوها بدل، لا نعت، وأنّ (الرحيم) : بعده نعت له، لا نعت لاسم الله؛ إذ لا يتقدّم البدل على النعت... وممّا يوضّح لك أنّه غير صفة مجيئه كثيرا غير تابع...(قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...١١٠، الإسراء)، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ...٦٠، الفرقان)»[2].

– كما أنّه قد ينقل اختيارات النحويين، وترجيحاتهم كما هي دون الإدلاء برأي خاصّ، من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (كَذَلِكَ قَالَ الذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ.. ١١٨، البقرة) : « قال ابن هشام في مغنيه[3] : فإن قلت : فكيف اجتمعت مع (مثل) في قوله تعالى : (كَذَلِكَ قَالَ الذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ)، و(مثل) في المعنى نعت لمصدر(قال) المحذوف، كما أنّ (كذلك) نعت له، ولا يتعدّى عامل واحد لمتعلّقين بمعنى واحد»[4].

– ومنه ما سجّله عند قوله تعالى : (لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ... ٢٣٣، البقرة) : «وأجاز الكسائيّ والفرّاء كون (لا تُضارّ) معطوف على (لَا تُكَلَّـفُ نَفْسٌ... ٢٣٣، البقرة)، والصحيح أنّه مستأنف، فلا يعطف بـ(لا) بعد نفي، قاله ابن عقيل»[5].

١– المصدر نفسه، ص٢٠. ينظر مزيد مثلا في ص ١٦١، ٢٢٥.

٢– ص٣ من المخطوط. ينظر مزيد في ص ٦، ٨، ٩.

٣– مُغني اللّبيب، ص١٨٤.

٤– ص ١١، من المخطوط.

٥– المصدر نفسه، ص ١٨. وينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر، ج٣، ص٢١٠.

– وهو ما يتّضح أيضا ممّا ذكره من الإعراب في قوله تعالى : (وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَّتَرَبَّصْنَ... ٢٣٤، البقرة) : « الرابط في قوله (والذين يُتوفّوْنَ...) إمّا النون، على أنّ الأصل : وأزواج الذين، وإمّا كلمة (هم) مخفوضة، محذوفة، هي وما أضيفت إليه.. وتقديرهما : إمّا قبل (يتربّصن)، أي أزواجهم يتربّصْن، وإمّا بعدها، أي يتربّصن بعدهم. وهو قول الفرّاء، وقال الكسائيّ، وتبعه ابن مالك : الأصل يتربّص أزواجهم، ثمّ جيء بالضمير مكان الأزواج لتقدُّم ذكرهنّ، فامتنع ذكر الضمير؛ لأنّ النون لا تضاف لكونها ضميراً»[١].

– **شواهده النحوية** : الأساليب القرآنية، والقراءات، والآثار من الأحاديث وأقوال الصحابة، ثمّ أقوال علماء النّحو، واللّغة، على نطاق واسع، مع التصريح بالمذهبين النحويين الكبيرين : البصري والكوفي في كثير من الأحايين.

ملحوظات: مع جودة هذا الكتاب، وحسنه يُلْحَظ عليه :

– أنّه ينقل نقولا كثيرة بنقاشاتها، وتحليلاتها من بعض المصادر دون عزوها، من ذلك مثلا ما سجّله عند مستهلّ سورة البقرة (أَلَمِّ) ، حيث قال : « قول كثير من المعربين والمفسّرين في فواتح السّور أنّه يجوز كونها في موضع جرّ، بإسقاط حرف القسم مردود بأنّ ذلك مختصّ بسم الله، وبأنه لا أجوبة للقسم في سورة البقرة، وعمران، ويونس، وهود، ونحوهنّ، لا يقال الجملة الاسمية في الآيات المذكورة بعدهنّ جواب، وحذفت اللّام على حدّ قول ابن مسعود : (والله الذي لا إله إلّا هو هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة)[٢]؛ لأنّ ذلك على قلّته مخصوص باستطالة القسم»[٣].

فهذا كلام ابن هشام حرفيا في مغني اللّبيب[٤]، باستثناء تبديل بعض الألفاظ. ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى : (فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيلاً... ٤٩، البقرة)، إذ قال : «وقرئ بالرفع، فإن قلت : كيف أبدل من الموجب؟ قلت : لمّا كان معناه : فلم يكونوا

١– ص١٨، من المخطوط.

٢– صحيح البخاري في كتاب الحجّ، ج٤، ص٤١٠.

٣– ص٤، من المخطوط.

٤– ص ٥٥٦ منه.

منه، بدليل : (فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي... ٤٩، البقرة)، وقيل : (إلاّ)، وما بعدها صفة، فقيل : إنّ الضمير يوصف في هذا الباب، وقيل : مرادهم ب(يوصف) : عطف البيان، وقيل : (قليلٌ) مبتدأ، حذف خبره، أي لم يشربوا»[١].

فهذا أيضا كلام ابن هشام في المغني[٢] حرفيا، باستثناء تغييرِ طفيف من العبارات.

- لم يَعتنِ بالاستدلال بالشعر كثيرا، مع نقله نقولاً بتحليلاتها الممتازة من بعض المصاد، كمغني اللّبيب مثلا، مع إسقاط ما فيها من الشعر غالباً.

- كما أنّه لم يتوسّع في بحوث القراءات القرءانية كثيرا، من حيث الاحتجاج بها في مسائل النحو، أو الاستدلال لها بالشواهد من القراءات والشعر والآثار، بل نجده في أغلب الأحيان يقتصر على عزو الوجوه لأصحابها، مع الاقتضاب في توجيهها.

- مع ذلك يبقى هذا الكتاب كتابا حسنا، مفيدا جدّا، يستحقّ العناية والتقدير للجهد الكبير الذي بُذِل فيه، من نقول مختارة بامتياز، مع دقّة التلخيص، وتحرير التنسيق.

د -(كشْف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار). للبشير بن عبد الله بن امباركي اليدمسي (ت١٣٥٤هـ[٣]). وهو تأليف قيّم، تحدّث فيه المؤلّف عن الحذف النّحويّ في الذكر الحكيم، ذاكراً في مقدّمته أسباب تأليفه إيّاه، وعملَه فيه، إذ قال :

«والحاصل أنّ إيجاز الحذف كثير في القرآن، وكثيراً ما يصعب عليّ عند التدبُّر معنى الآية بسببه؛ فشرعت مستعيناً بالله في حاشية تُبيِّن جُلّ ما وقفت عليه من ذالك، من حذف عامل أو معمول، أو شرط أو قسم أو جوابها، أو عطف أو معطوف عليه، أو صفة أو موصوف، أو حرف نداء أو جرّ أو نفي إلاّ ما اتّضح جدّاً، وربّما أُبيّن المُبهم مِن(ما) أو(مَن) الشرطيتين والموصولتين وغيرهما. وكثيرا ما أذكر تقييد المطلق، وأُبيّن مَرجع ضمير خفِـي مَرجعُه بسبب بُعده أو التباسه بغيره، وكذلك معمول خفي عاملُه بأحد السببين، وأذكر في ترجمة كلّ سورة ما ظهر لي فيها من الأحكام الشرعية.. معتمدا ما تداول من التفاسير في قطرنا، وقد وضعت هذه الحاشية على هذا المنوال، الذي لم أعثر على مَن سبقني إليه»[٤].

١- ص١٩،٢٠، من المخطوط.

٢- ص٦٤٠ منه. وينظر المزيد في ص ٤، من الخطوط. و ص ٥٣٤، من المغني مثلا.

٣- سبق الحديث عن أنّ المحقّق منه إلى حدّ الآن هو الجزء الأوّل من بداية المصحف إلى نهاية آل عمران.

٤- الجزء المحقّق من كشف الأستار، ص١٣٠.

ومن سمات منهجه فيه أنّه :

– يستهلّ كلّ سورة بعرض شامل ومركّز، يُجمل فيه ما ظهر له أنّها تتضمّنه من الأحكام الشرعية، وقد يُعرّج إلى تبيين ما يُحتاج إليه من المعاني.

– تظهر عنده الأمانة العلمية، إذ يهتمّ كثيراً بإسناد الأقوال والآراء إلى أصحابها، من ذلك مثلا تعليقه على البسملة : «بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ : مجرورها متعلِّق بعامل محذوف، تقديره : أتلو، أو أقرأُ، ويُقدّر مؤخّراً، ليدُلّ تقديم معموله على الحصر. وفي الصّاوي[1] : والأحسن أن يُقدّر متعلَّق الجارّ هنا : قولوا؛ لأنّ هذا المقام مقام تعليم، صادر عن حضرة الرّبّ سبحانه»[2].

– ومنه تعليقه على قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ..٤، الفاتحة)[3]: «فاعل الفعلين ضمير جمْع، عائد على القارئ، ومَن معه من الحفظة، وحاضري صلاة الجماعة، وله ولسائر المُوحّدين إدراج عبادته في تضاعيف عبادتهم، وخَلْط حاجته بحاجتهم لعلّها تُقبل ببركتها، وتُجاب لهذا الجماعة. انتهى من روح البيان»[4].

– يستعرض الأحكام في أسلوب مُحكم، منساب سلِس، مع الإتقان والإيجاز في أغلب الأحيان، مُزْوَرّاً عن الإطالة والإطناب، وعدم الخوض في تفصيل الأقوال والآراء. من ذلك مثلا قوله : «(هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ...١، البقرة). أي الذين سبق في علم الله أنّهم متّقون، وفيه حذف مضاف، أي ذو هدى، وقيل من باب الوصف بالمصدر مبالغة فلا حذف»[5].

– ومنه ما ذكره عند قوله تعالى : «(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ..٣، البقرة)، حُذِف مفعول رزقناه الثاني، ويُقدّر متّصلاً أومنفصلاً، أي : رزقناهموه، أو إيّاه»[6].

– ومنه ما ذكره عند قوله تعالى : (وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

١– هو أحمد بن محمّد، الشهير بالصّاوي، فقيه مالكيّ مصريّ، من تآليفه حاشية على تفسير الجلالين. وحاشية الصّاوي على الجلالين، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٢م، ج١، ص٥.

٢– الجزء المحقّق من كشف الأستار، سبق ذكره، ص١٣١.

٣– المصدر نفسه، ص١٣٢.

٤– إسماعيل حقّي البرسوي، روح المعاني في تفسير القرءان، ج١، ص٧.

٥– كشف الأستار، ص١٤٢.

٦– المصدر والصفحة نفسها.

مَعَهُمْ..٨٩، البقرة) : «حُذِف جواب (لَـمَّا)، أي : كَفَروا به، دلّ عليه جواب(لَـمَّا)، التي بعدها، فالمكفور به أوّلا الكتابُ، وثانياً النبي، الذي عرفوه بصفته، التي في كتابهم»[١].

– يوظّف الإعراب لأجل التفسير، وإيضاح المعنى كثيراً، كما في قوله : «[وَعَلَى سَمْعِهِمْ] {٧، البقرة}، أي : طُبِع على مواضع سمعهم، ففيه حذف مضاف؛ لأنّ السمع معنى لايمكن الطّبع عليه، وأفرده لأنّه في الأصل مصدر»[٢]. وكما في قوله : « [كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ] {٢٠، البقرة} : فيه حذف مضاف، أي في ضوئه، والضمير راجع إلى البرق، ويحتمل أن يكون (أضاء) متعدّيا، والمفعول محذوف، أي أضاء لهم الطريق، والضمير المجرور عائد إلى الله، ويحتمل أن يكون لازماً، والضمير عائد على الضوء المدلول عليه ب(أضاء)، فلاحذف»[٣].

– ومنه قوله : «[وَقُولُوا حِطَّةٌ]{(٥٨، البقرة} : فيه حذف مبتدأ، أي مسألتنا من الله حِطّةٌ، أي أن تُحَطّ، أي تُغفَر ذنوبنا من عبادة العجل وسؤال الرؤية وغيرهما، وقُرِئ شذوذا بنصبها[٤] مفعولا ل(نسألك) مضمرا، أو مفعولا مطلقا من محذوف، أي احْطُط ذنوبنا حِطّةً، وقيل المراد بها كلمةُ الشهادة الحاطّة للذنوب، فهي مفعول ل(قولوا)؛ لأنّه مفرد في معنى الجملة، وعليه فلا حذف»[٥].

– يُكثر من الاستدلال بألفية ابن مالك للوجوه النحوية، من ذلك مثلاما ذكره عند قوله تعالى : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَّكْفُرُوا..٩٠، البقرة) : « أي حَظّ نفوسهم من الثواب، ففيه حذف مضاف. وقوله (أَنْ يَّكْفُرُوا) خبر مبتدأ محذوف، وقيل مبتدأ خبره جملة (بئسما اشْتَروا)؛ لأنّه مخصوص بالذمّ. قال ابن مالك [٦] :

ويُـــــــذْكَرُ المَخْصُوصُ بعْدُ مُبْتَدَا   أو خَبَـــرَ اسْمٍ لـــيس يَبْـدُو أَبَدَا[٧].

– وما ذكره عند قوله تعالى : (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ..١١٧، البقرة): « أي فهو يكون،

١– كشف الأستار، ص١٥٥.

٢– كشف الأستار، ص١٤٣.

٣– كشف الأستار، ص١٤٤.

٤– وهي قراءة إبراهيم بن أبي عبلة. يراجع البحر المحيط في التفسير، ج١، ص٣٥٩.

٥– كشف الأستار، ص١٥٠.

٦ – البيت رقم٦، من باب (نعم وبئس وما جرى مجراهما).

٧– كشف الأستار، ص١٥٥.

ففيه حذف مبتدأ. هذا على قراءة الرّفع ، وقُرِئ بالنصب[1] ب(أَنْ) مضمرة؛ لأنّه جواب طلب. قال في الخلاصة [2] :

وبعْـــدَ فَـــا جوابِ نفْيٍ أو طَلَـبْ مَحْضَيْنِ أَنْ وَسَتْرُهــا حَـتْـمٌ نَـصَبْ [3].

- ومنه ما ذكره عند قوله تعالى: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ الذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ..١١٩، البقرة) : «جواب قسم محذوف، أي وعزّتي، أو والله لئن اتّبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم، وهو قوله: (مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ..١٢٠، البقرة)، لِتَأَخّرِ الشرط عنه. قال ابن مالك [4]:

واحْـــذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَـــوابَ مـــا أَخَّـرْتَ فَهْـوَ مُلْتَزَمْ [5].

- يمكن أن يقال عنه إنّه كتاب إعراب، وتفسير قيّم، سَجّل فيه مؤلّفه زبدة ما في كتب إعراب القرآن وتفسيره، بأسلوب موجز مُركّز سَلِس. وعليه ينبغي الاهتمام بتحقيقه ونشره، فهو جدير بذلك حقيقة. ومن المستغرب أن لايحظى من الباحثين بما يستحقّ من الاهتمام، ويظلّ بعيدا عن أعين الذين يهتمّون بتحقيق هذا التراث.

هـ- نظم (إملاء ما مَنّ به الرحمن من وجوه الإعرب والقراءات في القرآن[6]). لأبي البقاء العكبري(ت٦١٦هـ)، لزين بن محمّذن بن اجّمد بن أيْدومْ اليدالي(ت١٣٥٩هـ[7]. وهو نظم طويل من الرجز الكامل، تبلغ أبياته (٧٨٥٢ بيتا). وقد تحدّث الناظم في

---

١ - قرأ ابن عامر بنصب (فيكون) في البقرة١١٧، وآل عمران-٤٧، والنّحل٤٠، ومريم٣٥، ويس٨٢، وغافر٦٨، وقرأ الكسائي كذلك في النّحل ويس، وهما من القرّاء العشرة، ووافقهما ابن مُحيصن في يس، وقرأ باقو العشرة بالرفع في الكلّ، واتّفقوا على الرفع في (كُن فَيَكُون.. ٥٩، آل عمران)، و(كُن فَيَكُون... الأنعام). يراجع النشر في القراءات العشر،ج٢، ص٢٢٠، إتحاف فضلاء البشر، ص١٩٠.

٢ - البيت رقم١٢، من باب إعراب الفعل.

٣- كشف الأستار، ص١٦٢.

٤- البيت رقم١٢، من باب عوامل الجزم.

٥- كشف الأستار، ص١٦٣.

٦- توجد منه نسخة بمكتبة أهل محمّد سالم بن المحبوب بانواكشوط. والآن يشتغل على تحقيقه ثلاثة باحثين موريتانيين، مُوزّعينه بينهم، للحصول به على درجة الدكتوراه من جامعة مولاي إسماعيل بمكناس/ المغرب. كما سبق ذكره.

٧- حياة موريتانيا، ص٤٣، والمنارة والرباط، ص٥٥٣، وتحقيق خطري بن حامد ل(نَظْم زين العابدين بن اجّمد لكتاب مُفْهِمات الأقران في مُهِمّات القرآن لجلال الدين السيوطي)، ص١، فما بعدها.

المقدّمة عن موضوع هذا النظم ومصادره، فقال [1] :

وبعـد فالقـصد بذا النظـم بيانْ ... ما يَستدقّ مـن أعـاريب القرآنْ

وبعـض مـا من القراءات اختـلفْ ... ومـا مـن التـصـريف قرّرَالسلفْ

معتـمدا فـيه عـلى الإمـــلاء ... عـنــيت إمـلاء أبـي البـقاء

وربّما اغـتـرفــت مـن زلال ... بحـر الجلال [2] الشّبِمِ السّلسالِ.

يقصد أنّ موضوع النظم الرئيس هو (كتاب إعراب القرآن) للعكبري، وربّما أفاد من إعراب الجلالين. وقد نبّه على ضيق النظم الذي لايسمح عادة باستيعاب مادّة الكتاب كلّها بشكل دقيق، فقال :

ولـم أكـن مستوعبا مـا ذَكَـرا ... مـن الأقـاويـل لكي أخـتصرا

فـجاء نظـمـا مـوجَزا سهْلاً يَروقْ ... ناظرَه كالشـمس في حـال شُروقْ.

فهو فعلا كما قال نظمٌ سلس الأسلوب، سهل المعنى. وممّا يدلّ على مهارته الفائقة محاولتُه في نظمه استيعابَ مادّة الكتاب المنثورة على تشعّبها قدر الإمكان، مع ضيق النظْم. خذ مثلا نموذجا من نظْمه، ثمّ قارنْه بمادّة العكبريّ، المنثورة. وهو قوله في إعراب لفظ (مَلِكِ) من سورة الفاتحة :

... مَـلِـكِ [3] ... يُـقرأ حـيث ألفٌ منـه تُـرِكْ

بـكسرِ لامٍ ولِتخْفيف [4] يجـوز ... تسـكينُـها وبالإضـافـةِ يجوز

تعـريفـا إذ هِي محضـة فبالصـفـهْ ... وبدلٍ يُعـرَب عـن ذي معـرفـهْ

وإن قُـرِي بـألـفٍ فـبـدلُ ... (إذْ هـو عـن تـنكيره لا يُعـزلُ)

١- وقد اعتمدت في تعليقي على هذا النظم على القسم الأوّل بتحقيق الأستاذ المختار بن محمّد سالم بن المحبوب، أحد المحقّقين الثلاثة، الذين أشير إليهم قبل قليل.

٢- يقصد بالجلال هنا جلال الدين المحلّ (ت٨٦٤هـ). الماء الزّلال : الخالي من الشوائب. والماء الشَّبِم : البارد. والماء السّلسال : سهل المرور في الحلق. لسان العرب.

٣- بدون ألف مع كسر حرف اللام قراءة الجمهور، و(مالك) بالألف على وزن فاعِل قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، ووافقهم الحسن والطوعي. وكلتا القراءتين عشرية، صحيحة، متواترة. ينظر الإتحاف، ص١٦٣، و أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. ج١، ص ٢٥.

٤- أي قرئ بإسكان حرف اللّام على وزن فَعْل. وهي قراءة صحيحة متواترة لأبي عمرو بن العلاء البصري. ينظر أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن. ج١، ص٦٩.

مـعْ حذفِ مفـعـولٍ وفي تـقـديره   (مـالك) أمـرَ قـال ذو تقديـره
وقـرؤوا بالـنصب[1] حالا أوعـلى   إضـمار (أعني) أو نـداءً فاعـقِـلا
والرفعُ[2] إضمارا لِـهُو أو خَبـرْ   عـن قوله(الرحمنُ)[3] بالرفع استقرْ
وقـرؤوا[4] (مليك يوم الديـنِ)   بـالأوجـه الثـلاث بـاليـقيـنِ
وقـرؤوا(مَـلَكَ) فِعْلاً[5] والـذي   يـليه هـل مـفعولٌ أو ظرفٌ خـذِي.

قارِنْ هذا النظم بأصل المادّة في إعراب العكبري :

(مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ): يُقرأ بكسر اللّام من غير ألف، وهو مَنْ عَمَّرَ مُلكَه، يقال مَلِكٌ بيّن المُلْك (بالضمّ)، وقُرئ بإسكان اللّام، وهو من تخفيف المكسور، مثل فَخِذ وكَتِف، وإضافته على هذا مَحْضَة، وهو معرفة، فيكون جرُّه على الصفة أو البدل من الله، ولا حذف فيه على هذا. ويقرأ بالألف والجرّ، وهو على هذا نكرة؛ لأنّ اسم الفاعل إذا أريد الحال أو الاستقبال لا يتعرّف بالإضافة، فعلى هذا يكون جرُّه على البدل، لا على الصفة؛ لأنّ المعرفة لا توصَف بالنكرة. وفي الكلام حذف مفعول، تقديره : مالك أمْرَ يومِ الدينِ، أو مالك يومَ الدينِ الأمرَ. وبالإضاة إلى (يوم) خرج عن الظرفية؛ لأنّه لا يصحّ فيه تقدير(في) ؛ لأنها تفصل بين المضاف والمضاف إليه. ويقرأ (مالكَ) بالنصب على أن يكون بإضمار أعني أو حالا. وأجاز قوم أن يكون نداءً. ويقرأ بالرفع على إضمار(هو)، أو يكون خبرا (للرحمن الرحيم) على قراءة مَن رفع (الرحمن). ويقرأ (مَليكِ يوم الدينِ)، رفعا ونصبا وجرّا. ويقرأ (مَلَكَ يومَ الدينِ) على أنّه فعل، و(يوم) مفعول، أو ظرف. و(الدِّين) : مصدر دانَ يَدِين[6].

وقد نقلت النصّ على طوله لأُدلّل به على ما ذكرت من جودة هذا النظم وحسنه.

١- هي قراءة شاذّة للمطوعي. ينظر الإتحاف، ص١٦٣.
٢- أي قرئت بالرفع، وهي قراءة شاذّة. ينظر إملاء ما مَنَّ به الرحمن للعكبري، ج١ ص٦.
٣- قراءة (الرحمن) بالرفع. هي قراءة شاذّة. ينظر التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ج١، ص٤.
٤- هي قراءة شاذّة. ينظر التبيان، ج١، ص٦.
٥- هي قراءة شاذّة. المصدر والصفحة نفسها.
٦- ج١، ص٦.

و- (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن). للشيخ محمد الأمين الشنقيطيّ، المعروف ببلاد شنقيط ب(آبّه) بن اخطور الجكني(ت١٣٩٣هـ[١])، العلاّمة الموسوعيّ، المتميّز، المفسّر، اللّغوي، الأصوليّ،حجّ بيت الله الحرام (سنة ١٣٦٨هـ) واستقرّ بالمملكة العربية السعودية، واشتغل فيها بالتدريس والتأليف، وصدر عن حلقاته العلماء والمدرّسون. وهذا التفسير من أهمّ كتب التفسير وأنضجها، بل في قمّتها، قلّ نظيره، فهو سجلّ حافل، شامل جوانب التفسير المعتبرة، ممّا جعله كتاب تفسير وفقه وأصول ولغة وأدب ونحو وقراءات. كما أنّه يمثّل مدارس التفسير المعتبرة: المدرسة القرآنية (مدرسة تفسير القرآن بالقرآن)، والمدرسة الأثرية، والفقهية، الأصولية، واللّغوية. وقد تحدّث المؤلّف نفسه في المقدّمة عن شمولية هذا التفسير بقوله :

واعلم أنّ من أهمّ المقصود بتأليفه أمران : أحدهما : بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله... وقد التزمنا أنّا لا نبيّن القرآن إلاّ بقراءة سبعية.. وربّما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادا للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحقّقين.. والثاني بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبيَّنة... فإنّنا نبيّن ما فيها من الأحكام، وأدلّتها من السنّة، وأقوال العلماء في ذلك، ونرجّح ما ظهر لنا أنّه الراجح بالدليل من غير تعصّب لمذهب معيّن، ولا قول قائل معيّن.. وقد تضمّن هذا الكتاب أمورا زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب، والاستشهاد بشعر العرب، وتحقيق ما يحتاج إليه من المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث... واعلم أنّ أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك كثيرة جدّا... بيان القرآن بالقرآن[٢].

١- حياة موريتانيا، ص٦٨،٤٣، والمنارة والرباط، ص٥١٧، ومكانة أصول الفقة في الثقافة المحظرية الموريتانية، ص٢٥٦، والتفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط، ص٣٩٣، فما بعدها. وهو مطبوع.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، ص٦٧ ،٦٨. طبع سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. ٧ج.

من أبرز سمات منهجه في مسائل النّحو :

١ - الاستعانة ببحوث النّحو لغرض التفسير والتبيين، فكثيرا مّا يوظّف بحوث النّحو لغرض التفسير وإيضاح المعاني، من ذلك مثلا حديثه عند قوله تعالى : (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ..٥٣، البقرة) : «الظاهر في معناه أنّ الفرقان: هو الكتاب الذي أوتيه موسى، وإنّما عطف على نفسه تنزيلا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات؛ لأنّ ذلك الكتاب الذي هو التوراة موصوف بأمرين... والثاني أنّه فرقان، أي فارق بين الحقّ والباطل، فعطف الفرقان على الكتاب، مع أنّه هو نفسه نظرا لتغاير الصفتين»[1].

ويلحّ في تحليل المسألة ومناقشتها، مكثراً من الاستدلال بالشعر، قائلا :

«كقول الشاعر[2] :

إلى الملك القَـــــرْم وابـن الهـــمام وليثِ الكـتيبـــــة في المزدحَـــــــمِ.

بل ربّما عطفت العرب الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظ فقط، فاكتفوا بالمغايرة في اللفظ.كقول الشاعر[3] :

إنّي لأَعْظُــــــمُ في صدْر الكَمِيِّ على ما كـــــــان فِيَّ منَ التّجديرِ والقِصَرِ.

والقصر هو التجدير بعينه.

وكقول الشاعر [4] :

فَقـــــدَّمَتِ الأديــــــــــمَ لِرَاهِشيهِ وأَلْفَى قـــــولَها كَـــــذِباً ومَـــــيْنَا.

والمَيْن هو الكذب بعينه. وقول الآخر[5] :

ألا حبّذا هنــــــدٌ وأرضٌ بـــــها هندُ وهنـــــدٌ أتى مِن دونِها النأْيُ والبعدُ.

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٣٩.

٢ - البحر المحيط، ج٦، ص١٣٩، ٣٤٣.

٣- وردَ ذِكره في لسان العرب، مادّة (جدر)، دون نسبة.

٤ - ورد ذِكْر هذا البيت في الدُّرَر اللّوامع، ج٦، ص٧٣، منسوباً لعديّ بن زيد العبادي.

٥ - ورد ذِكْره في الدُّرَر اللّوامع، ج٥، ص٢٢١، منسوباً للحُطيئة.

والبعد هو النأي بعينه. وقول عنترة في معلّقته [1] :

حُيّيتَ مــن طـلَل تقـــــادم عهدهُ   أقــــــوى وأقفرَ بعــد أُمِّ الهيثـــمِ.

والإقفار هوالإقواء بعينه»[2].

يدلّ هذا الإلحاح في سبيل التفسير، وبيان المعاني في هذه المناقشة الشاملة الممتعة، والتحليل الممتاز، على عمق البحوث النحوية وحسنها في هذا الكتاب القيّم.

٢- غالبا ما يذكر جملة من المسائل الصرفية عند حديثه عن مفردة معيّنة، ثمّ يسترسل في الاستدلال لكلّ مسألة بالشاهد الشعريّ لتدعيمها وتوثيقها. من ذلك مثلا ما سجّله عند قوله تعالى : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ... ١٧٢، البقرة)، حيث قال :

الدَم أصله دمْيٌ، يائي اللام، وهو من الأسماء التي حذفت العرب لامها ولم تعوّض عنها شيئا، وأعربتها على العين، ولامه ترجع عند التصغير، تقول : دُمَيّ بإدغام ياء التصغير في ياء الكلمة، وترجع أيضا في جمع التكسير، فالهمزة في الدماء مبدلة من الياء التي هي لام الكلمة، وربّما تثبت أيضا في التثنية، ومنه قول سحيم الرياحيّ[3] :

ولو أنّا عــلى حَـــجَرٍ ذُبِحْنـــــا   جـــرى الدمَيان بالخبر اليقـــــينِ .

وكذلك تثبت لامه في الماضي والمضارع، والوصف في مسألة الاشتقاق منه، فتقول في الماضي : دَمِيَت يده كرضِي ومنه قوله[4] :

هــل أنــتِ إلاّ إصــبع دَمِـيــتِ   وفي ســبيــل الله مـــا لَــقِيــتِ.

وتقول في المضارع : يَدْمَى بإبدال الياء ألفا كما في يرضى ويسعى. ومنه قول الشاعر[5]:

ولسْنا عــلى الأعقابِ تَدْمَي كُلُومُنا   ولكــــنْ على أقدامِنـــــا تَقْطُرُ الدِّمَا.

١- في المعلّقات السبع، بشرح الزوزني أبي عبد الله الحسين بن أحمد، ص١٩٢. من البحر الكامل.

٢- أضواء البيان، ج١، ص١٣٩. ينظر مزيد مثلا في ج١، ص ١١٩، ١٤٠، ٣٣٥، ج٢، ص٦، ٦٦،١١.

٣- حاشية الصبّان ،ج٣، ص ٨٤. يقصد الشاعر أنّ التباغض بلغ أشُدّه بينهما حتّى أصبحت دماؤهما لا يمكن لها أن تختلط ولو ذُبِحا على حجر واحد.

٤- في البحر المحيط دون نسبة، ج٩، ص٨٠.

٥- هو الحُصَيْن بن الحُمام. يراجع شرح المفصّل لابن يعيش، ج٤، ص١٥٣، الحاشية ١.

وتقول في الوصف : أصبح جرحه داميا، ومنه قول الراجز [1] :

نــردّ أولاهــا على أخـــــــراها نـــردّها داميــــةً كُلَاهـــــــــا.

والتحقيق أنّ لامه أصلها ياء، وقيل أصلها واو، وإنّما أبدلت ياء في الماضي لتطرّفها بعد الكسر كما في قوِي ورضي وشجي، التي هي واويات اللام في الأصل، لإنها من الرضوان والقوّة والشجو. وقال بعضهم الأصل فيه : دَمَي بفتح الميم، وقيل بإسكانها[2].

إنّها فعلاً مقدرة فائقة على التحليل والمناقشة، وكثرة التوليد، والاستدلال بالتراث الشعريّ لمفردة واحدة من مفردات اللّغة، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على علوّ كعب هذا الرجل، وتضلّعه في علوم الثقافة العربية الإسلامية، دون منازع.

٣- غالبا ما يوظّف مسائل النّحو في البحوث الفقهية لأجل ترجيح حكم على حكم، كاستدلاله مثلا بتأنيث العدد، وتذكير المعدود على ترجيح كون(القروء) تعني (الأطهار) في قوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ... ٢٢٨، البقرة)، إذ قال : «وتؤيّده قرينة زيادة التاء في قوله (ثلاثة قروء) لدلالتها على تذكير المعدود، وهو الأطهار؛ لأنّها مذكّرة، والحيضات مؤنّثة»[3].

وقد توسّع في هذه المسألة، ووظّف فيها آراء بعض النحويّين للترجيح، فقال : «قال الأشموني[4] في قول ابن مالك :

ثلاثــةٌ بالتـــاء قـــل لِلْعشَــرهْ في عـــدّ ما آحـــاده مـــــذكّرهْ.

ما نصّه : الثاني اعتبار التأنيث في واحد المعدود، إن كان اسما فبلفظه... وقال الصّبّان في حاشيته [5] عليه : وبما ذكره الشارح يردّ ما استدلّ به بعض العلماء في قوله تعالى:

١- جاء في موسوعة الحديث بشبكة (إسلام ويب)، ص١٣٠، أنّه لشاعر جاهلي من بني الهَوْن بن خزيمة دون أن يسمّيه، قاله ضمن ثلاثة أبيات، يفخر فيها بقومه، وهي :

قد علمتْ سلمَى ومَن والاهـــا أنّا نَصُــــدّ الخيلَ عــن هواهـــا
قـــد أنصــفَ القارَةَ مَن راماها إنّـــا إذا مـــا فِـئَــةٌ نـلـقـاهـا
نـردّ الخـيلَ عـــــلى أُخراهـا نـــــردّها دامــــيـةً كُـــلاهـا .

٢- أضواء البيان،ج١، ص ١٦٦، ١٦٧.

٣- المصدر نفسه، ج١، ص ٢١٤.

٤- حاشية الصبّان، ج٤، ص٤٧.

٥- المصدر والصفحة نفسها.

(ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) (بأربعة شهداء) على أنّ الأقراء الأطهار، لا الحيض، وعلى أنّ شهادة النساء غير مقبولة... ووجه الردّ أنّ المعتبر هنا اللّفظ، ولفظ (قُرْء وشهيد) مذكّران»[1].

٤ـ كثيرا ما يستدلّ بإعراب في أسلوب قرآنيّ لترجيح وجه إعرابي آخر، وكلّ ذلك يأتي لأجل التفسير، وإيضاح المعنى. من ذلك مثلا حديثه عند قوله تعالى: (وَءَاتَى الْـمَـالَ عَلَى حُـبِّهِ...١٧٧، البقرة)، حيث قال: «لم يتبيّن هنا هل هذا المصدر مضاف إلى فاعله فيكون الضمير عائدا إلى مَنْ (آتى المالَ)، والمفعول محذوفا. أو مضاف إلى مفعوله فيكون الضمير عائدا إلى المال. ولكنّه ذكر في موضع آخر ما يدلّ على أنّ المصدر مضاف إلى فاعله، وأنّ المعنى: على حبّه، أي حبّ مُؤتِي المال لذلك المال، وهو قوله تعالى: (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ... ٩٢، آل عمران). ولا يخفى أنّ بين القولين تلازما في المعنى»[2].

٥- الشنقيطيّ عالم جليل، ثاقب الذّهن، شديد النّباهة، له آراؤه المتميّزة، الجريئة، حيث نجده يحقّق المسائل النحوية وينقّحها، ويناقش آراء العلماء حولها، مرجّحا بينها، مصوّبا، مستخدما عقله الناضج إزاء نقوله الضافية. من ذلك مثلا ما ذكره من توجيه قراءة[3] (أرجلِكم) بالخفض في آية المائدة: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْـمَـرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَـكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ... ٦)، وأنّ خفضها بالمجاورة، واستدلاله لذلك ببيت امرئ القيس[4]:

وظَـلَّ طُهاةُ اللحمِ مـا بين مُنضِجٍ ... صَفِيفَ شِواءٍ أو قـديرٍ مُعَجَّلِ.

بخفض(قديرٍ) على المجاورة للمخفوض (شواءٍ)، مع أنّها عطف على المنصوب (صَفيفَ)، حيث قال: «وهذا الإعراب الذي ذكرناه هو الحقّ؛ لأنّ الإنضاج واقع على كلّ من (الصفيف والقدير)، فما زعمه الصّبّان في حاشيته[5] على الأشموني من أنّ قوله (أو قديرٍ) معطوف على (مُنضِجٍ) بتقدير مضاف، أي وطابخ قديرٍ إلخ ظاهر السقوط؛

١- المصدر نفسه، ص٢١٥.

٢- المصدر نفسه، ص ١٨١، ١٨٢. يراجع مثلا مزيد من النماذج، ص ٣٣٤، ٣٣٦، فما بعدها.

٣- سيأتي توضيحها في مبحث (النحو والقراءات) بعون الله تعالى.

٤ - سيأتي الحديث عنه في مبحث (النحو والقراءات) بعون الله تعالى.

٥ - انظر ج٣، ص٨٩.

لأنّ المُنضِج شامل لشاوي الصفيف وطابخ القدير، فلا حاجة إلى عطف الطابخ على المُنضِج لشموله، ولا داعي لتقدير (طابخ) محذوف. وما ذكره العيني[1] من أنّه معطوف على (شِواءٍ) فهو ظاهر السقوط أيضا؛ لأنّ المعنى يصير بذلك : وصَفيفَ قديرٍ. والقدير لا يكون صفيفا. والتحقيق هو ما ذكرناه من الخفض بالمجاورة»[2].

٦- وتتّضح هذه السمات المنهجية لديه من حديثه عن توجيه قراءة حمزة والكسائي وأبي جعفر[3] في قوله تعالى : (وَحُورٍ عِينٍ...٢٢، الواقعة)، بالخفض في الاسمين على أنّهما مخفوضان بالمجاورة للمجرور: (وَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ..١٩، الواقعة)، حيث قال : «وبه تعلم أنّ وجه الخفض... كما ذكرنا، خلاف لمن قال في قراءة الجرّ : إنّ العطف على (أكوابٍ..)، أي يطاف عليهم بأكوابٍ وبحورٍ عينٍ، ولمن قال : إنه معطوف على (جَنَّاتِ النَّعِيمِ..){الواقعة : ١٤}، أي هم في جنّات النعيم، وفي حور، على تقدير حذف مضاف، أي في معاشرة حور. ولا يخفى ما في هذين الوجهين؛ لأنّ الأوّل يردّ بأنّ الحورالعين لا يطاف بهنّ[4] مع الشراب، لقوله تعالى : (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ..){الرحمن : ٧١}، والثاني فيه أنّ كونهم في جنّات النعيم، وفي حورٍ ظاهر السقوط، كما ترى، وتقدير ما لا دليل عليه لا وجه له»[5].

ثمّ استرسل في الردّ المستفيض على هذين الوجهين بالأدلّة القوية.

٧- وقد سجّل رحمه الله مبحثا متّسعا، قيّما، مُمتعا في إعراب قوله تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ... ٧، آل عمران)، برزت فيه شخصيته الفذّة، بآرائه المتميّزة، واستعراضه للنظائر من الأدلّة الحاسمة، إذ قال :

التنبيه الثاني : إذا كانت جملة (يقولون) لا يصحّ أن تكون حالا لما ذكرنا فما وجه إعرابها على القول بأنّ الواو عاطفة؟ الجواب والله تعالى أعلم أنّها معطوفة بحرف

١- حاشية الصّبّان على الأشموني ،ج٣، ص٨٩. وقال الصبّان هنا : « ما قاله العيني غير ظاهر».

٢- أضواء البيان،ج٢، ص ١٤٠،٩.

٣- النشر، ص٣٨٣.

٤- سبق إلى هذا الاعتراض أبو البقاء العكبري في التبيان في إعراب القرآن، حيث قال : «ويقرأ... بالجرّ عطفا على (أكوابٍ..) في اللّفظ دون المعنى؛ لأنّ (الحور) لا يطاف بهنّ» . ج٢، ص١٢٠٤.

٥- أضواء البيان، ج٢، ص١١.

محذوف، والعطف بالحرف المحذوف أجازه ابن مالك وجماعة[1] من علماء العربية، والدليل على جوازه وقوعه في القرآن، وفي كلام العرب. فمن أمثلته في القرآن قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَـوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ... ٨، الغاشية)، فإنّه معطوف بلا شكّ على قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ...٢، الغاشية)، بالحرف المحذوف الذي هو الواو، ويدلّ له إثبات الواو في نظيره في قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ... : ٢٢، ٢٣، ٢٤، القيامة)، وقوله تعالى في عبس : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَـرَةٌ... : ٣٨،٣٩، ٤٠)... ومن شواهد حذف حرف العطف قول الشاعر[2] :

كيف أصبـــحتَ كيف أمسيتَ ممّا   يـَغْرِس الـــودّ َفي فؤاد الكـــريمِ .

يعني: وكيف أمسيت [3].

٨- أحيانا يناقش المسائل النحوية، ويحلّلها، مكتفياً بعرض آراء العلماء فيها، محتجّا لكلّ منها بأدلّته، ممّا يعني أنّها جميعا قوية الرجحان عنده. من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُّعَمَّرَ... ٩٦، البقرة)، حيث يقول :

«معنى الآية أنّ أحد المذكورين يتمنّى أن يعيش ألف سنة، وطول عمره لا يزحزحه، أي : لا يبعده عن العذاب. فالمصدر المنسبك من (أنْ وصلتها) في قوله (أنْ يُّعمّرَ) فاعل اسم الفاعل الذي هو (مُزحزحُه)، على أصحّ الأعاريب. وفي (لو) من قوله(لو يُعمّر) وجهان : الأول : وهو قول الجمهور أنّها حرف مصدري، وهي وصلتها في تأويل مفعول به ل(يوَدّ)، والمعنى : يودّ أحدهم أي : يتمنّى تعمير ألف سنة، و(لو) قد تكون حرفا مصدريا، لقول قتيلة بنت الحارث[4] :

مَا كَـــانَ ضَرَّكَ لَــــوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَـــنَّ الْفَتَى وَهْـــوَ الْمُغِيظُ الْمُحْنَقُ.

١- تفصيله في الأشموني بحاشية الصبّان، ج٣، ص٨٩.

٢- ورد ذكره في الأشموني بحاشية الصبّان، ج٣، ص ٨٩، دون نسبة.

٣- أضواء البيان ،ج١، ص٣٣٥.

٤ ـ مجلس اللّغة العربية وعلومها، الشواهد الشعرية في كتاب : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشبكة المعلوماتية. الرابط (http://majles.alukah.net).

أي : ما كان ضرّك منُّك. وقال بعض العلماء : إنّ (لو) هنا هي الشرطية، والجواب محذوف، وتقديره: لو يُعَمَّر ألف سنة لكان ذلك أحبّ شيء إليه، وحذف جواب (لو) مع دلالة المقام عليه واقع في القرآن...»[١].

٩- شواهده الشعرية في البحوث النحوية غزيرة جدّا، ممّا يدلّل على علوّ كعبه في اللّغة والأدب، وقد دلّت النقول السابقة على ذلك. وهوكثير عزو الشعر إلى قائليه، وبأساليب متعدّدة، كقوله مثلا: «ومنه قول امرئ القيس...[٢]، ومنه قول سحيم الرياحي...[٣]، وقول عنترة...[٤]، ونظير ذلك من كلام العرب قول الخنساء...[٥]، وكما في قول حسّان...[٦]، وقول قتيلة بنت الحارث...[٧]، وقول ذي الرمّة...[٨]، ومنه في العطف قول النابغة..[٩]، وقد أنشد سيبويه للعطف على المعنى قول الشمّاخ أو ذي الرّمّة...»[١٠].

وقد سبق فيما تمّ عرضُه توثيقُ هذه الإحالات.

١٠- كما أنّه يروي كثيرا في بحوثه النحوية من آراء علماء النّحو الكبار ومذاهبهم، مُوثّقا نقوله منها، كسيبويه مثلا، والكسائيّ، والفرّاء، وابن مالك، وابن هشام في مغني اللّبيب، والأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك، والصبّان في حاشيته عليه، وغيرهم. وهو شديد الاعتناء رحمه الله بالتوثيق، وإسناد العلم إلى أهله، وذلك ما أثبتته النقول السابقة. فهو رحمه الله يتمتّع حقّا بأمانة علمية نادرة، تمثّل قمّة صفاء الضمير، وصدق المنهج عند علماء المسلمين، مصداقا لما أورده الإمام مسلم في صحيحه من أثر منسوب لعبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء»[١١].

١- أضواء البيان، ج١، ص١٤٣، ١٤٤.

٢- المصدر نفسه، ج٢، ص ٩.

٣- المصدر نفسه، ج١، ص١٦٦.

٤- المصدر نفسه، ص ١٣٩.

٥- المصدر نفسه، ص ١٨٣.

٦- المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٩.

٧- المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٣.

٨- المصدر نفسه، ج٢، ص٩.

٩- المصدر والصفحة نفسها.

١٠ - المصدر نفسه، ص١٠.

١١- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. بيروت : دار القلم، ج١، ص٢٠٣، من مقدّمة الصحيح.

الفصل الثالث : النّحو والقراءات

-أجمع العلماء على جواز الاحتجاج بالقراءات في العربية، سواء أكانت متواترة، أم شاذّة، كما سلف ذكره في مبحث (مصادر النّحو العربيّ). وقد استخدمها النّحاة الشناقطة على نطاق واسع في بحوثهم النحوية، احتجاجا بها، وترجيحا بينها، وتوجيها لها، واستدلالاً، وتوثيقا وتأصيلا. وفيما يلي أمثلة منها في ثلاثة من تفاسيرهم، وكتب إعرابهم :

أ – القراءات القرآنية في (الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز)، لمحمّد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد (ت١١٦٦هـ). السمة الغالبة عليه أنّه يوظّف الاستدلال بالقراءة لغرض التفسير، وتبيان المعنى، فهو :

- أحيانا يشير إلى القراءات إشارات مقتضبة لغرض التفسير، وإيضاح المعنى، كما هو الحال عند قوله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا... ١٠٦، البقرة)، حيث يقول : « أي نُزيل حكمها، إمّا مع لفظها أولا. وفي قراءة بضمّ النون[١] من النسخ.. (أو نُنسِها) : نؤخّرها فلا نترك حكمها ونرفع تلاوتها، أو نؤخّرها في اللّوح المحفوظ. وفي قراءة بلا همزة [٢] من النسيان، أي نُنسِكها، أي نمحها من قلبك»[٣].

- خذ مثالا آخر يسير فيه على هذا النسق، ويلحّ فيه على إبراز هذا التوجّه، فعند قوله تعالى : (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ... ١١٧، البقرة)، يقول : « أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب[٤]، جوابا للأمر، فهذا أمر تكويني، وهو عبارة عن : تُعلن القدرة والإرادة بحدوث الكائنات، لا أنّه صدر منه الأمر بلفظ (كُنْ)»[٥].

---

١ – أي بضمّ النّون الأولى، وكسر السين، وهي قراءة صحيحة، متواترة، لابن عامر، من غير طريق الداجوني عن هشام. وقرأ الباقون بفتح النون والسين، وكذا الداجوني عن أصحابه عن هشام. ينظر النشر، ج٢، ص ٢١٩.

٢ – أي بضمّ النون الأولى وكسر السين، وهي قراءة العشرة، سوى ابن كثير وأبي عمرو، فقراءتها بفتح النون الأولى، والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء : (نَنسَأْها). النشر، ج٢ ، ص ٢٢٠.

٣– ص ٤٣، من المصدر نفسه.

٤ – هي قراءة ابن عامر، وقراءة الباقين بالرفع فيها. ينظر الإتحاف، ص١٩٠.

٥– الإبريز، ج١، ص٤٤.

فالمؤلّف لا يخرج في تناول القراءات في تفسيره عن هذا النسق تقريباً، ممّا يعني عدم تنوُّع استخدامه إيّاها.

ب- القـــراءات في (دُمية المحراب في المهمّ من التصريف والإعراب)، لمحمد فال (ببّها) بن محمّذن بن أحمد العاقل الديماني (ت١٣٣٤هـ). أهمّ سمات منهجه في الاحتجاج بها، وتوجيهها، أنّه :

- كثيراً ما يعزو القراءات إلى أصحابها، مع توجيهها توجيها نحوياً مقتضباً، من ذلك مثلا ما ذكره عند قوله تعالى : (كُن فَيَكُون... ١١٧، البقرة) ، حيث يقول : « قرأ ابن عامر بنصب النون، ب(أنْ) مضمرة بعد الفاء، اعتبار صيغة الأمر المجرّدة ، ومثله ثابت في العربية والقرآن. وقد حمل الأخفش قوله تعالى: (قُل لِّعِبَادِيَ الذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ... ٣١، إبراهيم)، على مجرّد اللّفظ، فجزم (يُقيموا) جوابا للفظ(قُلْ)، وكذلك : (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا... ١٤، الجاثية)»[١].

وعند قوله تعالى : (لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ...٢٣٣، البقرة)، قال : «وقرأ ابن كثير وأبوعمرو (لا تُضارُّ)، بضمّ الرّاء، على أنّ (لا) نافية، والضمّة إعرابية، أو ناهية، و(تُضارّ) مجزوم، وضُمّ اتّباعا لضمّ التاء»[٢].

- وقد ينقل توجيه العلماء للقراءات كما هو، من ذلك مثلا ما سجّله عند قوله تعالى: (يَقُصُّ الحقَّ...٥٧، الأنعام)، حيث يقول : «قرأ الحرميان وعاصم (يَقُصُّ) بضمّ القاف، وتشديد الصاد المهملة المضمومة، و(الحقَّ) مفعول به، وقرأ أبو عمرو وابن عامر والأخوان بإسكان القاف وضاد معجمة، مكسورة، مخفّفة، مضارع (قضى) معتلّ اللّام، حذفت ياؤه رسما على لفظ الوصل، ف(الحقَّ) صفة لمصدر محذوف، أي يقضي القضاء الحقّ، أو ضُمّن (يقضي) معنى : ينفذ، أو يقضي بمعنى (يضع) فتعدّى بنفسه من غير تضمين، أو على إسقاط حرف الجرّ. قاله الجعبري والجمل»[٣].

١- المصدر والصفحة نفسهما.

٢- المصدر نفسه، ص١١.

٣- المصدر نفسه، ص ٤٥. ينظر مزيد في ص ٤٤، فما بعدها منه.

- يُلاحظ أنّه رحمه الله لم يتوسّع كثيرا في بحوث القراءات القرآنية، من حيث الاحتجاج بها في مسائل النحو، أو الاستدلال لها بالشواهد من القراءات والشعر والآثار، بل نجده في أغلب الأحيان يقتصر على عزو الوجوه لأصحابها، مع الاقتضاب في توجيهها.

ج – القـــراءات في (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، للشيخ محمد الأمين الشنقيطيّ، (آبّه) بن اخطور الجكني (ت١٣٩٣هـ). يقول في مقدّمته في موضوع استدلاله بالقراءات، كما مرّ في مبحث (النّحو والتفسير) : «وقد التزمنا أنّا لا نبيّن القرآن إلاّبقراءة سبعية.. وربّما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية»[١].

وقد توسّع رحمه الله في احتجاجه بها وتوجيهها. فمن أبرز سمات منهجه في تناولها بهذا التفسير القيّم ما يلي :

- يكثر من توجيهها، وتبيين الوجوه التي وردت عليها، كما في حديثه مثلا عند قوله تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيءٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ...١٤٦، آل عمران). حيث يقول : «هذه الآية الكريمة على قراءة من[٢] قرأ (قُتِلَ) بالبناء للمفعول يحتمل نائب الفاعل فيها أن يكون لفظة (رِبِّيُّون)، وعليه فليس في (قُتِل) ضمير أصلا، ويحتمل أن يكون نائب الفاعل ضميرا عائدا إلى النبيّ، وعليه ف(معه) خبر مقدّم، و(رِبِّيُّون) مبتدأ متأخّر، سوّغ الابتداء به اعتماده على الظرف قبله، ووصفه بما بعده، والجملة حالية، والرابط الضمير، وسوّغ إتيان الحال من النكرة التي هي (نبيء)، وصفه بالقتل ظلما، وهذا هو أجود الأعاريب المذكورة في الآية على هذا القول»[٣].

- كثيراً ما يستدلّ بقراءة لوجه نحويّ جاء على قراءة أخرى. من ذلك مثلا جانب من حديثه الضّافي على آية المائدة : (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْـمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...٦)، مستدلّا لقراءة

١– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، ص٦٧، ٦٨. طبع سنة ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م. ٧ج.

٢– هي قراءة نافع وابن كثير والبصريين. ينظر النشر، ج٢، ص٢٤٢.

٣– أضواء البيان، ج١، ص٣٥٣.

خفض (وأرْجُلِكُم)[١]، التي وجّهها على أنّها مخفوضة بالمجاورة ببعض القراءات الأخرى، التي وجّهها هذا التوجيه أيضا، حيث يقول : «ومن أمثلته في القرآن العظيم (يقصد الإعراب على المجاورة) في العطف على قوله تعالى: [٢] (وَحُورٍ عِينٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْـمَكْـنُونِ.. :٢٢،٢٣، الواقعة)، على قراءة حمزة والكسائيّ، ورواية المفضّل عن عاصم[٣] بالجرّ لمجاورته ل(أَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ... ١٩ : الواقعة). إلى قوله : (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ). مع أنّ قوله : (وحورٌ عينٌ)، حكمه الرفع، فقيل : إنّه معطوف على فاعل (يطوف)، الذي هو (وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)، وقيل : هو مرفوع، أنّه مبتدأ، خبره محذوف، دلّ المقام عليه، أي : وفيها حورٌ عينٌ، أو لهم حورٌ عينٌ» [٤].

- وقال أيضا : «ومن أمثلة الخفض بالمجاورة... قوله تعالى : (بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ..{٢١، ٢٢، البروج}، على قراءة مَن[٥] قرأ بخفض (محفوظٍ)»[٦].

وتوسّع في الاحتجاج لهذه القراءة، فاحتجّ لها بالشِّعْر، قائلاً : «وقد أنشد سيبويه للعطف على المعنى قول الشمّاخ أو ذي الرّمّة[٧] :

بادتْ وغَيَّـــرَ آيَـهُنَّ معَ البِلَى إلاّ رواكدَ جَمْرُهنّ هباءُ.

لأنّ الرواية بنصب (رواكدَ) على الاستثناء، ورفع (مشجّج) عطفا عليه؛ لأنّ المعنى: لم يبق منها إلاّ رواكدُ ومشجّجُ... وبه تعلم أنّ وجه الخفض في قراءة حمزة والكسائي هو المجاورة للمخفوض»[٨].

مُشَجَّجٌ : في بيت موالٍ لهذا البيت، وهو :

١- قرأ بنصب اللّام نافع وابن عامر والكسائيّ ويعقوب وحفص، وقرأ الباقون بخفضها. ينظر النشر، ج٢، ص ٢٥٤.

٢- خفض الاسمين قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائيّ، ورفعها قراءة الباقين من العشرة. ينظر النشر، ص ٣٨٣.

٣- تفصيله في تفسير البحر المحيط، ج١٠، ص٨٠.

٤- أضواء البيان، ج٢، ص١٠، ١١.

٥- قرأه نافع بالرفع نعتاً ل(قرآن)، وقرأه الباقون بالخفض نعتاً ل(لوح). ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ص٥٧٨.

٦- أضواء البيان، ج٢، ص ١٢.

٧- وهو من شواهد سيبويه في الكتاب، دون نسبة، ج١، ص١٧٣.

٨ - أضواء البيان، ج٢، ص١٠.

ومُشَجَّجٌ أمّا سـواءُ قَذَالِهِ فَبَدَا وغَيَّبَ سـارَهُ المَعْزاءُ[1].

فتوظيفه رحمه الله القراآت لأجل توجيه قراءات أخرى شيء شائع في هذا التفسير الممتاز، حيث يبيّن القراءات بالقراءات، كما يفسّر القرآن بالقرآن، وهو ما صرّح به في قوله : «والقراءات يبيّن بعضها بعضا»[2].

- كما يُكثر من الاحتجاج بالشعر العربيّ لتوجيه القراءات، ولا غرو فهو الأديب اللّغوي الكبير رحمه الله، من ذلك مثلا حديثه الواسع، الشامل عن توجيه القراءات الواردة في لفظة (أرجلكم) في آية المائدة، سالفة الذكر : (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)، متوسّعا في الاستدلال لقراءة الخفض على المجاورة حسب ترجيحه، حيث قال :

« ثلاث قراءات[3] : واحدة شاذّة، واثنتان متواترتان. أمّا الشاذّة فقراءة الرفع، وهي قراءة الحسن، وأمّا المتواترتان فقراءة النصب وقراءة الخفض... فاعلم أنّ (وأرجلكم) بالنصب صريح في وجوب غسل الرجلين في الوضوء، فهي تفهم أنّ قراءة الخفض إنما هي لمجاورة المخفوض مع أنّها في الأصل منصوبة بدليل قراءة النصب.. والتحقيق أنّ الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللّغة العربية، وأنّه جاء في القرآن؛ لأنّه بلسان عربي مبين. فمنه في النعت قول امرئ القيس[4]:

كـأنّ ثبيراً في عرانينِ وَدْقِـه كـبيرُ أُنـاسٍ في بِجَادٍ مُزَمّلِ.

بخفض (مزمّل) بالمجاورة مع أنّه نعت(كبيرُ) المرفوع.. وقول ذي الرّمّة[5] :

تُريكَ سُنَّةَ وَجْـهٍ غـيرِ مُقْرِفَةٍ مَلسـاءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ.

إذ الرواية بخفض(غير)،كما قاله غير واحد للمجاورة، مع أنّه نعت (سُنّةَ) المنصوب بالمفعولية. ومنه في العطف قول النابغة[6] :

١- البيتان من الكامل. يراجع المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية، ١/ ٣٥، واللّسان، والتّـاج (شجج).

٢- أضواء البيان، ج٢، ص١٢٠.

٣- تفصيل ذلك في الإتحاف، ص ٢٥١.

٤- من البحر الطويل. ثبير: جبل. والعرين : الأنف، مفرد عرانين. والبجاد : كساء مخطّط. والمزّمّل : الملفّف بالثياب. أي: كأنّ ثبيرا في بدايات المطر سيّد قوم متلفّف بكساء مخطّط. ينظر شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٥٤.

٥- لسان العرب، مادّة (قرف).

٦- من البسيط. معناه : الطريد من بني أسد غير منفلت من الخوف والفزع ، فهو بمنزلة الأسير الموثق. ينظر في مختار الشعر الجاهليّ، شرح وتحقيق مصطفى السّقا، ج١، ص١٦٥.

لم يبـــــــــقَ إلاّ أسيرٌ غيرُ مُنفَلِتٍ ومُوثَقٍ في حبـــــــــال القِدِّ مَجْنوبِ.

بخفض(مُوثَقٍ) لمجاورته المخفوض، مع أنّه معطوف على(أسيرٌ) المرفوع بالفاعلية.

وقول امرئ القيس[1] :

وظَلَّ طُهاةُ اللحمِ ما بين مُنضِـــــجٍ صَفِيفَ شِـــــــواءٍ أو قديرٍ مُعَجَّلِ.

بجرّ (قدير) لمجاورته للمخفوض، مع أنّه عطف على (صفيفَ) المنصوب بأنّه مفعول اسم الفاعل الذي هو (منضِج)»[2].

وعلاوةً على استدلاله لتوجيه قراءة الخفض على المجاورة، استدلّ لها أيضاً بمنثور كلام العرب، حيث قال : «ومن أمثلة الخفض بالمجاورة... من كلام العرب (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ)[3] بخفض(خربٍ) لمجاورة المخفوض، مع أنّه نعت خبر مبتدأ»[4].

إنّه فعلا تحليل عميق، شامل، في استدلاله بالقراءات، وتوجيهها في بحوثه النحوية.

الفصل الرابع : النّـــحـــو والحـــديـــث

الحديث الشريف جزء من السماع الذي هو أهمّ مصادر النّحو العربي، التي سبق الحديث عنها في الفصل الثاني من الباب الثاني، كما مرّ بنا هناك اختلاف القدماء وانقسامهم في الاستدلال به في مسائل النّحو وقضاياه إلى مذهبين اثنين : متحفِّظ، ومُجيز بإلحاح، أمّا المحدثون فهم مُجمعون على الاحتجاج به. وأوّل من توسّع في ذلك هو شيخ النحاة ابن مالك(ت٦٧٢هـ)، الذي تأثّر الشناقطة بتراثه النّحوي واللّغوي تأثّراً بالغاً، لذلك نجدهم يعتنون بتوظيف النّحو على نطاق واسع في بحوث الحديث الشريف، لأجل توجيه رواياته، وإيضاح معانيه، وكان أثرُ ثقافتهم النحوية بادياً في هذه البحوث. وسأتناول جهود عالمين اثنين، هما :

---

١ – من الطويل. ينظر في شرح المعلّقات، ص٤٩.

٢ – أضواء البيان ، ج٢، ص٩.

٣ – ينظر في إنارة الأفكار، ص ٨٦.

٤ – المصدر نفسه، ص١٢.

أ- محمّد الخَضِر بن مايأبى الجكني(ت١٣٥٤هـ)، الذي ترك لنا كتاباً مهمّاً في فنون الحديث الشريف، هو : (كوْثر المعاني الدَّرَاري في كشف خبايا صحيح البخاري»[١].

وهو موسوعة قيّمة، نادرة النّوع، بلغت أربعة عشر مجلّداً. وقد اهتمّ فيه بتوظيف الإعراب على نطاق واسع لغرض توجيه روايات الحديث، وإيضاح أساليبه، مستهلًّا به مناقشة علوم الحديث، ممّا يفيد اعتناءه الكبير به. وفيما يلي عرض نماذج منه :

- قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٢].

فناقش المؤلّف إعرابَ ألفاظٍ من هذا الحديث مناقشةً مستفيضة، حيث قال :

«والظاهر أنّ الألف واللّام في (النّيات) مُعاقبة للضمير، والتقدير : الأعمال بنياتها... وإنّما احتيج إلى التقدير؛ لأنّ الجارّ لابدّ له من متعلّق محذوف هنا، هو الخبر على الأصحّ، فينبغي أن يُجعل المقدّر في ضمن الخبر، فيستغني عن إضمار شيء في أوّل الكلام، لئلّا يصير في الكلام حذفان، حذف المبتدأ أوّلاً، وحذف الخبر ثانياً، والتقدير : إنّما صحّةُ الأعمال بالنيات. لكن قال البرماويّ[٣] : إنّ هذين الحذفين أولى من الحذف الواحد؛ لأنّ الحذف الواحد كوْن خاصّ، وحذف الكون الخاصّ غير مقيس، بل ممتنع إن لم يدلّ عليه دليل، وحذف الكون المطلق مقيس، وحذف المضاف كثير، وارتكاب حذفين بكثرة وقياس أولى من حذف واحد بقلّة وشذوذ. وما قاله هو الوجه المَرضيّ، ويشهد له ما قرّروه في حذف خبر المبتدأ بعد(لولا) من الكوْن العامّ دون الخاصّ»[٤].

ثمّ استطرد في هذا الإعراب مناقشاً، محلّلاً، مع شيء ليس باليسير من الاستقصاء، والتوسّع والتوجيه، والاستدلال، فقال :

١- بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢- رواه عمر بن الخطّاب. ووقع في نسخ البخاري جميعها حذف قوله صلّى الله عليه وسلّم : (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه). وأخرجه تامّاً في آخر الإيمان، من رواية مالك في باب (ما جاء أنّ الأعمال بالنّية). يراجع، ج١، ص١٤١.

٣- هو محمد بن عبد الدائم شمس الدين البرْماوي (ت٨٣١هـ)، صاحب كتاب (اللّامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح)، للبخاري.

٤- كوثر المعاني الدّرَاري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج١، ص١٣٦.

ما : في قوله : (ما نوى) : يحتمل أن تكون موصولة، و(نوى) صلتها، والعائد محذوف، أي الذي نواه، أو مصدرية، ولا حذف، أي لكلّ امرئ نيته. وفي هذه الجملة نوعان من الحصر : قصر المسنَد على المسنَد إليه[1]؛ لأنّ المقصور عليه في (إنّما) دائماً المؤخَّر، وتقديم الخبر على المبتدأ، وهو يفيد الحصر.. واعلم أنّ الأصل تغايُر الشرط والجزاء، فلا يقال : مَن أطاع أطاع، وإنّما يقال : مَن أطاع نجَا، وقد وقَعا في هذا الحديث متّحديْن. والجواب عن هذا من وجوه : الأوّل : أنّ التغايُر مقدّر، أي فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله قصداً ونيةً، فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً. ونحو هذا في التقدير قوله : (ومن كانت هجرته لدُنيا يُصيبها)... الثاني : أنّ التغايُر يقع تارة باللّفظ، وهو الأكثر، وتارة بالمعنى... الثالث : أنّه قد يقصد بالخبر المفرد، وبالجزاء بَيان الشهرة وعدم التغيُّر، فيتّحد الخبر بالمبتدأ لفظاً، والجزاء بالشرط كذلك. قال الشاعر [2] :

خليلي خلِـــيلي دونَ ريبٍ وربّمــا ... ألاَنَ امرُؤٌ قولاً فَظُنَّ خلِــــــيلا.

أي قصد مَن عرف بإنجاح قاصده. الرابع : هو أنّه إذا اتّحد لفظ المبتدأ والخبر، والشرط والجزاء عُلم منهما المبالغة[3].

هذا جزء فقط من مناقشة مستفيضة ذكرها في المسألة.

- قال صلّى الله عليه وسلّم : (بَيْنَا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملَك الذي جاءني بِحِراءٍ جالسٌ على كرسيّ بين السماء والأرض فَرُعِبت منه فَرجعتُ فقلت : زمّلوني.. إلخ) [4]. فقال المؤلّف متتبّعاً، مستقصياً الإعرابَ، مُكثراً من تحليله ومناقشته، لغرض توجيه الرّوايات، والاستدلال لها :

«بَيْنَا : أصله (بين) أُشبعت فتحة النون بالألف، وهي ظرف زمان، وقد تزاد فيها الميم فيقال : بينما، ويضافان غالباً إلى الجملة، والتقدير بحسب الأصل : بيْن أوقاتٍ، وقد يؤتى في جوابهما (بِـإذْ وإذا) الفجائيتين، الأولى كما في هذا الحديث (إذ سمعت

١- هذا، وإن كان مبحثاً بلاغياً، فهو أيضاً مبحث نحويّ، ظاهرٌ فيه الحديث عن المبتدأ والخبر. وسنقف فيما بعد عند هذا العلاّمة على نماذج من توظيف علوم العربية ممتزجةً لغرض خدمة الحديث الشريف.

٢- لم أقف على اسمه. البيت من الطويل، ورد ذكره في طُـرَّة المختار بن بونا. يراجع تقريب الطُّرّة، ج١، ص١٤١.

٣- كوثر المعاني الدّرَاري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج١، ص١٤٥ - ١٤٧.

٤- رواه جابر بن عبد الله.

صوتاً من السماء)، والثانية كقول الشاعر[1] :

فَبَيْنَـــا نسوسُ الناسَ والأمر أمرنا   إذا نحـــن فيهم سوقةٌ ليس نُنصَفُ.

والأكثر حذف (إذْ وإذا) من جوابها، كقول الشاعر[2] :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَـــــــهُ قال قائلٌ   لِمَـــنْ جَمَـــلٌ رَخْـــوُ المِلاطِ نَجيبُ.

وقوله : (فإذا المَلَك الذي جاءني بِحِراءٍ جالسٌ على كرسيّ) : الفاء في(فإذا) فجائية، و(جالسٌ) خبر عن المَلَك، و(الذي) صفته، نحو خرجت فإذا الأسد بالباب. ويجوز نصب(جالسٌ) على الحال، ويكون الخبر مقدّراً، أي فإذا المَلَك حاضرٌ حالَ كوْنه جالساً. وقوله : (بيْنَ السماء والأرض) : ظرف في محلّ جرّ صفةٌ لكرسيّ»[3].

– قال صلّى الله عليه وسلّم مجيباً سؤال الأعرابيّ الذي سأله عن الساعة : (أيْـنَ أُرَاهُ السائلُ عن الساعة، قال : ها أنا يارسول الله، قال : فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال : كيف إضاعتها، قال : إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) [4]. فقال المؤلّف، مازجاً الإعراب بالشرح، مُعتنياً بعرض أقوال العلماء وآرائهم، موازناً بينها، مرجّحاً منها ما تدعمه رواية الحديث :

وفي رواية (أيْنَ السائلْ) بالجزم (يقصد بالسكون)، وهو في الروايتين بالرفع على الابتداء، وخبره (أينَ) المتقدّم، وهو سؤال عن المكان بُنِي لتضمّنه معنى حرف الاستفهام. وقوله : (قال : ها أنا يارسول الله)، أي السائلُ، فالسائلُ المقدّر خبر المبتدأ الذي هو(أنا)، و(ها) : حرف تنبيه. وقد قال في تاج العروس عند قول صاحب القاموس في خطبته : (وهاأنا أقول) : ما نصّه : المعروفُ بينَ أهل العربية أنّ (ها) الموضوعة للتنبيه لا تدخل على ضمير الرفع المنفصل الواقع مبتدأ إلاّ إذا أُخبِر عنه باسم الإشارة، نحو : (هَاأَنـتُـمْ أُوْلَآءِ)[آل عمران : ١١٩]، (هَاأَنـتُمْ هَؤُلَآءِ)[آل عمران : ٦٥]. فأمّا إذا كان الخبر غير إشارة فلا)... قلت : ما ذكره النحويّون واللّغويّون من اشتراط للإخبار عن

١– هي الشاعرة : الـحُـرَقَـة بنت النّعمان بن المنذر. والبيت من الطويل، وروايته في لسان العرب (نصف) :
فَـبَـيْـنَا نسوسُ الناسَ والأمر أمرنا   إذا نحن فيهم سوقةٌ نَـــتَـــنَـــصَّفُ.

٢– هو كما في لسان العرب، مادّة (هدبد) العُجَيْر السّلولي. البيت من الطويل. الملاط : جانب السّنام.

٣– كوثر المعاني الدّرَاري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج١، ص٢٦٤، ٢٦٥.

٤– جزء من حديث طويل رواه أبو هريرة.

الضمير في هذه الحالة باسم الإشارة مردودٌ بما أقرّ عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هذا الأعرابي السائل – وهو أفصح من نطق بالضاد، والأعراب الذين هم سكّان البادية هم أفصح العرب – من النطق بها، دون الإخبار باسم الإشارة، فلا يُلتفت بعد هذا إلى كلام النحاة[٥].

وهي مناقشة مستفيضة، اقتصرت على هذا القدر منها، حيث هذه النماذج تُنبئ عمّا يتمتّع به هذا الإمام الكبير من المقدرة الفائقة على توظيف الإعراب في بحوث الحديث الشريف على نطاق واسع، مستهلًّا به مناقشة فنونه في هذه الموسوعة القيّمة، فصفحاتها مليئة بتوظيف البحوث النحوية لغرض خدمة الحديث، من إيضاح المعاني، وتوجيه الرّوايات، والاستدلال لها. وهي أيضاً تؤكّد ما سلف ذكره في الفصل الثاني من الباب الثاني عند الحديث عن مصادر النحو العربي ببلاد شنقيط، وما ذهب إليه النحاة الشناقطة بتوسّع من الاسدلال بالحديث الشريف لمسائل النحو وقضاياه.

ب- محمّد حبيب الله ابن مايأبى الجكني(ت١٣٦٣هـ)، الذي اهتمّ اهتماماً كبيراً بالبحث في مجال الحديث الشريف، فألّف كتابه : (زاد المسلم فيما اتّفق عليه البخاري ومسلم)[٦].

وهو تأليف كبير يتألّف من خمسة أجزاء، اعتنى فيه بالإعراب أثناءَ تعليقاته المفيدة على الأحاديث، من إيضاح معانيها، وإبراز بعض علومها. وفيما يلي أعرض نماذج منه للتدليل على ذلك :

- أحياناً يذكر من الإعراب والتصريف ما يُحتاج إليه أثناءَ التعليق، دون توسُّع. فعند قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (إنّ في الجنّة شَجَرةً يسيرُ الرّاكبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السّريعَ مائةَ عام ما يَقْطَعُها)، قال : « الجَوَادَ : مفعول (الرّاكب)، يعني به الفرس السابق الجيّد. والمُضَمَّرَ: بصيغة اسم المفعول : هو يُقَلَّل عليه على التدريج ليشتدّ جريه»[٧].

- وعند قوله صلّى الله عليه وسلّم : (لَغَدْوَةٌ في سبيل الله، أو رَوْحَةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها.. إلخ). قال : «الغَدْوَةُ : مبتدأ تخصّص بالصفة، وهي قوله : في سبيل

٥- كوثر المعاني الدّرَاري في كشف خبايا صحيح البخاري، ج٣، ص١١، ١٢.

٦- بيروت : دار إحياء التراث العربي.

٧- المصدر نفسه، ص٨٠.

الله. والتقدير: لَغَدْوَةٌ كائنة في سبيل الله، واللّام في الغَدْوَة للتأكيد..»[1].

- أحياناً يوظّف الإعراب لإيضاح معنى الحديث، لذلك غالباً ما يمزجه بالشرح. فعند قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (إنّ أمَنَّ النّاسِ عَلَيَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولوكنتُ مُتّخِذاً خَلِيلاً لاتّخذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكِنْ أُخُوةُ الإسلامِ ومودّتُه.. إلخ)، قال : «وقوله : لكِنْ أُخُوَةُ الإسلامِ : استدراك عن فحوى الجملة الشرطية، كأنّه قال : ليس بيني وبينه خُلَّة، ولكِنْ أُخُوةُ الإسلامِ»[2].

- وعند قوله صلّى الله عليه وسلّم : (أنتَ مِنِّي وأنا مِنكَ. قاله لعليّ رضي الله عنه)، قال : «مِنْ : هذه تبعيضية، أي أنت منّي ومُتّصل بي، وأنا متّصل بك اتّصالَ نسب ومصاهرة ومؤازرة وغير ذلك»[3].

- وعند قوله صلّى الله عليه وسلّم : (اهتـزّ عرْشُ الرّحمنِ لِمَوْت سعدِ بْنِ مُعاذٍ)، قال: «المختار أنّه على ظاهره، أي تحرّك فرحاً، وسروراً، بانتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء، وأرواحُ الشهداء مُستقرُّها تحت العرش في قناديل هناك. أو على حذف مُضاف، أي اهتزّ حملتُه فرحاً به.. إلخ»[4].

- وعند قوله صلّى الله عليه وسلّم : (لَعَلَّهُ أنْ يُخَفَّف عنهما ما لم تَـيْبَسَا)، قال : «و مَا: في قوله : (ما لم تَـيْبَسَا) مصدرية، زمانية، أي مدّة دوامهما إلى زمن اليُبس... وقوله : تَـيْبَسَا : هو بمثنّاة فوقية بالتأنيث، باعتبارها عَوْدَ الضميرِ إلى الكِسرتيْن، وبمثنّاة تحتية بالتذكير، باعتبار عَوْد الضمير إلى العُودَيْن؛ لأنَّ الكِسْرتيْن عُودَانِ.. والباء في الجميع مفتوحة من باب عَلِم يَعْلَم، وقد تُكسر في لغة شاذّة»[5].

- أحياناً يختم الإعراب بذكر محلّه من ألفية ابن مالك. من ذلك مثلا ما ذكر عند قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (لعَن الله الواشِماتِ والمُستَوْشِماتِ والنّامِصاتِ

١- المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤.

٢- المصدر نفسه، ج١، ص٨٦.

٣- المصدر نفسه، ص١١٤.

٤- المصدر نفسه، ص١١٦.

٥- المصدر نفسه، ج٢، ص١٠.

والمُتَنَمِّصاتِ والمُتَفَلِّجاتِ لِلحُسْنِ المُغَيِّراتِ خَلْقَ الله). إذ قال : «والمُغَيِّراتِ : بكسر الياء التحتية المشدّدة صفةٌ للمذكورات. وخَلْقَ : منصوب على المفعولية لِلمُغَيِّراتِ؛ لأنّ المُرتضَى في اسم الفاعل إذا كان صلة (ألْ) إعمالُه مطلقاً،كما أشار إليه ابن مالك في الألفية[1] :

وإنْ يكُنْ صِلــــةَ ألْ فَفــي المُضِي وغــــــــيْرِهِ إعمالُهُ قدِ ارْتُضِي[2].

- أحياناً يُوظِّف الإعراب في توجيه روايات الأحاديث والآثار، فعند قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (لعن الله اليهودَ والنصارى اتّخذوا قُبور أنبيائهم مساجدَ)، قال المؤلّف : «هكذا في الصحيحين من رواية عائشة رضي الله عنها، مع زيادة قولها : (ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنّي أخشى أن يُتّخَذ مسجداً)، ولفظ مسلم(غير أنّه خشِي أن يُتّخَذ مسجداً)... ورواية (غير أنّه خشِي)، رُويت بالبناء للمفعول للشأن، وعلى رواية البناء للفاعل للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم»[3].
- كثيراً ما يعتني بإعراب المفردات الصعبة، لاستكمال الشرح، وإيضاح المعنى. فمثلاً عند قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (إنّ مَثَلَ ما بَعَثَنِي اللهُ به كَمَثَل رجلٍ أتى قومَه فقال ياقوم إنّي رأيت الجيشَ بِعَيْنَيَّ، وأنا النذير العُرْيانُ فَالنَّجَاءَ فأطاعه طائفةٌ من قومه... إلخ)، قال المؤلّف : «وقوله : فَالنَّجَاءَ : هو بالمدّ والنصب، على الإغراء، أي اطْلُبوا النَّجَاءَ، وهو الإسراع إلى الإسلام»[4].

هكذا يسير الشيخ على هذه الوتيرة من توظيف الإعراب في خدمة الحديث الشريف، من إيضاح المعاني، وتوجيه الروايات. غير أنّ ذلك عنده جاء في أسلوب مقتضب، خالٍ من التوسُّع والاستطراد.

١- البيت الرابع من باب إعمال اسم الفاعل.

٢- زاد المسلم فيما اتّفق عليه البخاري ومسلم، ج٢، ص٢٠.

٣- المصدر نفسه، ص٢٤.

٤- المصدر نفسه، ص٨٥.

الفصل الخامس : النّحـــو والفقـــه والأصـــول

العلاقة بين النّحو، والفقه والأصول علاقة قديمة قِدم العلوم الإسلامية. وسيناقش هذا الفصلُ مظاهرَ توظيف النحاة الشناقطة لمسائل النّحو لغرض خدمة الفقه والأصول، اللّذيْن تبدو حاجتُهما إلى النحو ــ مثل غيرهما من المعارف الإسلامية ــ كبيرة، ماسّة، إذ لابدّ للفقيه والأصوليّ من أن يكونا متمكّنين من هذه المادّة، فهي الآلة التي يستعينان بها على التفوّق في التخصّص، والتمكُّن من مسائله وقضاياه. وفيما يلي تبيان ذلك في مبحثين اثنين :

المبحث الأوّل : النــّحو والفـــــقه

توظيف الفقهاءِ النحوَ لغرض استيعاب الفقه، ومسائله شيء معروف في الثقافة العربية الإسلامية، حتّى رأى جمال الدين الإسنوي الفقيه المصري(ت٧٧٢هـ)، أنّ الفقه مستمدّ من علم العربية؛ لأنّ فهمَ أدلّته، والعلمَ بها متوقّفان على فهْم العربية وعلمِها، حيث يقول : « إنّ علم الحلال والحرام الذي به صلاح الدنيا والأخرى، وهو المسمّى بعلم الفقه مستمدّ من علم أصول الفقه، وعلم العربية، فأمّا استمداده من علم أصول الفقه فواضح، وأمّا العربية؛ فلأنّ أدلّته من الكتاب والسنّة عربيّة، وحينئذ يتوقّف فهمُ تلك الأدلّة على فهمها، والعلمُ بمدلولها على علمها»[1].

وقد وظّف الفقهاء الشناقطة النحو كثيراً في بحوثهم الفقهية، أثناءَ مناقشة الأحكام، وتبيانها. وسأتناول في هذا المبحث جهود عالمين اثنين من علماء شنقيط، هما :

أ- عبد الله بن الحاج حمى الله القلاّوي(ت١٢٠٩هـ)، الذي اعتنى بتوظيف النّحو في البحوث الفقهية، اعتناءً لافتاً، وذلك في شرحيْن اثنين وضعهما على نظْمه: (رسالةَ ابن أبي زيد القيرواني)، ونظْمِه: (متْن الأخضريّ)، في الفقه المالكيّ. وفيما يلي عرض بعض النماذج للتدليل على ما ذُكر :

- أحياناً يُعرب بعض المفردات إعراباً مقتضباً، يتناول فيه من التصريف والإعراب ما يُحتاج إليه في تبيان المعاني، والأحكام، دون الخوض في المناقشة والتحليل. من ذلك مثلاً قوله في مستهلّ باب الوضوء من نظمه الرسالة :

١- كتابه : الكوكب الدّرّيّ، تحقيق الدكتور محمد حسن عواد. عمّان، الأردن : دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٥م. ص١٨٥.

ويجبُ الوضـــــوءُ ممّا خــــرجَا   يَعتـــادُ عادةً مِنَ المَخــــــرجِ جَا
غائطٍ او بـــولٍ وريـــحِ دُبُـــرِ   ...

حيث يقول في الشرح : «غائطٍ : بالجرّ بدل من (ما)، والنصب حالاً مِن(جا) : فِعْلٍ أو اسمِ فاعل»[1].

- وعند قوله في باب الحيض من نظمه الرسالة :

لِخمســـةَ عشـــــرَ أقَلِّ الطُّهرِ   فإن تمـــــادَى تبقَ نِصْفَ شهْرِ.

يقول : « أقَلِّ الطُّهْرِ : بالجرّ بدلا من العدد المركّب أو نعت أو بيان»[2].

- وعند قوله في باب الصلاة من نظمه الرسالة :

ويَرفعُ اليـــــدين حَذْوَ المنكبيْنْ   واقْرَأْ وفي الصُّبح اجْهَرَنْ سُنَّـةَ عَيْنْ
بِأُمِّ قُرْآنٍ...

يقول شارحاً مُعرباً : «وفي الصُّبْح اجْهَرَنْ. وقولي : سُنَّـةَ عَيْنْ : للقارئ، راجع له ولِرفْع اليدين، وللقراءة مِن وجْهٍ. سُنَّـةَ : حال أو تمييز، تأمّل. بِأُمِّ القُرْآنٍ : يتنازع فيه اقْرَأْ واجْهَرَنْ»[3].

- وعند قوله في فصل الوضوء من نظمه الأخضريّ :

مَضْمَضَـــةٌ مُسْتنشَقٌ مُـسْـتَـنْـثَـ   ـــرُ ورَدُّ مَسْحِ الرأسِ فيما أَثَـرُوا.

يقول : « مُسْتنشَقٌ : مصدر بصيغة اسم المفعول.. مُسْتَنْثَـرُ : مصدر ميميّ أيضا»[4].

- ومثل قوله في فصل نواقض الوضوء من نظمه للأخضريّ :

ومسُّهُ ذكَرَهُ بِبَطْنِ كَــــــفْ   أو أصْبــــعٍ أو جَنبِهِ بِمُخْتَلَـفْ.

إذ قال : « بِمُخْتَلَـفْ : مصدر بصيغة اسم المفعول، أي باختلاف كثير»[5].

١- عبد الله بن الحاج حمى الله القلاّوي، شرح على نظْمه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مخطوط، مودَع بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١٢٢. ص١٤.

٢- المصدر نفسه، ص١٥.

٣- المصدر نفسه، ص٢٦.

٤- عبد الله بن الحاج حمى الله القلاّوي، نظم الأخضري، مع شرحه، ص١٧.

٥- المصدر نفسه، ص٢١.

- وعند قوله في فصل الغسْل من الجنابة من نظمه للأخضريّ :

وَجُنُبٌ غيْـرُ الصِّماخِ فاغْسِلَـــــنْ أُذْنَـيْكَ ظـاهـــــــــــرَهما وما بَطَنْ.

قال : « وَجُنُبٌ : خبر مقدَّم للحصر على مبتدئه، وهو (غيْـرُ الصِّماخِ)»[١].

- وعند قوله في فصل الخشوع من نظمه لأخضريّ :

يَلعَبْ بِقلبك إلى أن يُظْلِـــــــــما قلْباً ولذّةَ الصلاة تُحرَمَا.

قال مازجاً بين الشرح والإعراب : «إلى أن يُظْلِما. قلْباً : تمييز محوَّل عن الفاعل، أي إلى أن يُظْلِم قلبُك من غيبوبة نور شمس الخضوع. (ولذّةَ الصلاة تُحرَمَا) : مركّب بمعنى تُمنع، ونائبه ضمير للمخاطب، ومفعوله الثاني (لذّةَ) المقدَّم عليه»[٢].

- وأحياناً كثيرة يكتفي عند إعراب بعض المفردات الواردة في النظْم بإشارة موجزة إلى نصّ في ألفية ابن مالك، أو غيرها من المصادر، دون توطئة، ممّا يجعل الفهم مستعصياً على غير المتخصّصين. من ذلك مثلا إعرابه كلمة (الغُسْل) في مستهلّ باب الغسل من النّظميْن :

والغســـــلَ لِلجسَـــــد بالجنــابَهْ والحيضِ والنّفاسِ خُـــــذْ إجَابَهْ.

حيث يقول في شرح الرسالة : « والغسْلَ : واختيرَ نَصْبٌ قبلَ فِعْلٍ ذِي طَلَبْ»[٣].

هذا شطر البيت السادس، من باب الاشتغال، يقصد به ابن مالك أنّ الاسم المشغولَ عنه عاملُه في هذا الباب يُختار نصبه إذا ما ورد قبل فعْل دالّ على الطلب، وهو محلّ قول الناظم : (والغسلَ... خُذْ إجابَهْ).

- وعند قوله في باب الغسل أيضاً من نظمه الرسالة :

ولْيَتَــــحفَّظْ أن يَمَسَّ الــــذَّكَرَا بِبَطْـنِ أو جَنبِ يَدٍ فَـــــإن عَــرَا.

يقول : «بِبَطنِ يدِه : ويُحذَف الثّاني فيَـبْقَى الأوّلُ كَحالِهِ ...»[٤].

هذا جزء بيت من باب الإضافة، من ألفية ابن مالك، معناه أنّ المضاف إليه قد يُحذَف

١- المصدر نفسه، ص٢٥.

٢- المصدر نفسه، ص٤١.

٣- نظم الرسالة مع شرحه، ص٢٠.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

ويَبقَى المُضاف كحاله، وهو محلّ قول الناظم (بِبَطْنِ أو جَنبِ يَدٍ)، أي ببطْنِ يَدٍ ..

- وعند قوله في باب أوقات الصلاة من نظمه الرسالة :

آخِرُه الإسفــــارُ ذُو إن سَلَّمَــــا   منهـــا بَدَا حاجِبُ شَمْسِهِ ومَــا.

يقول : « آخِره أي وقت الإسفار البيِّن. (ذُو عند طيّءٍ شُهِرْ)، أي الذي إن سَلَّما»[1].

فقوله : (ذُو عند طيّءٍ شُهِرْ)، جزء بيت من باب الموصول، من ألفية ابن مالك، يقصد به أنّ (ذو) تستعمل في لغة طيّئ موصولاً مشتركاً، وهو محلّ قول الناظم (آخِرُه الإسفارُ ذُو إن سَلَّمَا).

- ومثل هذا ما ذكر في باب الإمامة عند قوله من نظمه الرسالة :

واقْرأْ مع الإمام في الـــــذي يُسِرّْ   نَدْباً وأَنْصِتَنْ لهُ فِـــــــيمَا جَهَرْ.

إذ قال : «واقْرأْ يامؤتمّ مع الإمام في الذي يُسِرّ فيه. ابنُ مالك : (كذا الذي جُرَّ بِمَا الموصولَ جَـرْ)»[2].

هذا صدر البيت الأخير من باب الموصول، من الخلاصة. معناه أنّ عائد الموصول إذا كان مجروراً بحرف فلا يُحذف هذا الحرف إلّا إذا دخل على الموصول حرفٌ مثلُه لفظاً ومعنًى، واتّفق العامل فيهما مادّة[3].

- وعند قوله في باب المسح على الخفّين من نظمه الرسالة :

وقيلَ يَبدَأ مِن الكـــــــعْب إلى   أَصابِـــــــعِ لِلْقَشْبِ أَلاَّ يَحْمِلاَ.

قال : « وقيل يبدأ في مسح أسفله من الكعب إلى أطراف أصابِـعِ. ابنُ الحاجب[4] :

والصرْفُ في الجمْـــــع أتى كثيراً   حتّى ادّعَــى قـــــومٌ به التخييرَا.

يعني والمسألة بحالها من وضع اليمنى على اليسرى، وإنّما بدأ لِلقشْب.. أن لاّ يَحمِلا: بدل من الْقَشْب، أي لئلاّ يصل إلى عَقِب خُفّه شيءٌ من رطوبة ما مسح من خُفّه»[5].

١- المصدر نفسه، ص٢٤.

٢- المصدر نفسه، ص٣٣.

٣- شرح ابن عقيل، ج١، ص٩٤.

٤- صاحب الكافية في النحو، والشافية في التصريف (ت٦٤٦هـ).

٥- نظم الرسالة مع شرحه، ص٢٣.

وحديث المؤلّف هنا عن صرْف لفظ الجمْع : (أَصابِـعٍ).

- وعند قوله في فصل الجنابة من نظمه للأخضريّ :

وما لُمحدِث صلاةٌ أو طـــــواف　　أو مسُّ مُصـــحفٍ ولو جلداً أنافْ

ولوْ بِعُـودٍ غيرِ جُزْءٍ مُعـــظَـمِ ...

قال : « مُعظَم : بضمّ الميم وفتح الظاء، بمعنى جلّه، بدل أو عطف بيان :

فقـــد يكــونانِ مُنكّــريْن　　كــما يكـــونـان معرّفـــين[1].

هذا اليت من باب عطف البيان من ألفية ابن مالك، والغرض من إتيانه به هو الإشارة إلى جواز ورود عطف البيان، ومتبوعه نكرتين ومعرفتين. ومحلّ ذلك في نظمه قوله : (غيْرِ جُزْءٍ مُعــظَـمِ).

- وعند قوله في فصل هيئة المصلّي من نظمه للأخضريّ :

للفرض ستّـــةٌ عـــلى الترتيبِ　　ثـــلاثةٌ منـــها عـلى الوجـــوبِ

أن يَستقِلَّ قائماً ثـــــمّ استنَـدْ　　أوِ استــقــلَّ جـالساً ثـمّ اعْتمَدْ.

قال مشيراً إلى محلّ الإعراب في الخلاصة : « وقولي : استندَ واعتمدَ : منصوبان تقديراً بحذف (أنْ) :

وإنْ على اسْمِ خالِصٍ فِعْــلٌ عُطِفْ　　تَنصِبُهُ (أنْ) ثابتاً أو مُنحــــذِفْ.

فالفعلان مقدَّران»[2].

أي أنْ يَستندَ، وأنْ يَعتمدَ، يعني أنّ صيغة الماضي هنا في الجملتين بمعنى المضارع المقدّر. والبيت من باب إعراب المضارع، من الخلاصة. يُقصد به جواز النّصب (بأنْ) محذوفةً بعد عاطِف سبَقَه اسمٌ خالص. وتعليقات الشيخ النّحوية ــ رحمه الله ــ مقتضبة كاقتضاب النّظْم.

ب - الشيخ محمّد الحسن بن أحمد الخديم التشمشيّ اليعقوبي، عالم نحويّ معاصر، شيخ محظرة مشهورة، موروده في المنطقة الغربية (الكِبْلَة)، له شرح جيّد على نظْم (الكَفَاف)، في الفقه المالكي، للشيخ محمّد مولود ين أحمد فال اليعقوبي(ت١٣٢٣هـ)،

١- نظم الأخضري مع شرحه، ص٢٣. هذا البيت من باب عطف البيان، من ألفية ابن مالك.

٢- المصدر نفسه، ص٤٣،٤٢.

سمّاه : (مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي)[1]، اعتنى فيه بتوظيف الإعراب والتصريف في البحوث الفقهية. وفيما يلي عرض نماذج منه تبيّن منهجه فيه :

- كثيراً ما يقتصر الشارح على قدر الحاجة من الإعراب والتصريف، لغرض إيضاح المعاني وتبيين الأحكام الواردة في النظْم. قال الناظم محمّد مولود، في باب البيوع :

وجوّزوا شراءَ حاضرٍ لِبـــــادْ   مِن سِلَـــعِ الحضَرِ نقْداً ما أرادْ.

فقال الشارح : « نقْداً : مفعول مطلق، أي شراءً نقداً، أي حالًّا. ما : مفعول (شراء).. فانظر هل يعني بقوله : (نقْداً) ما قابلَ السِّلَع؟ فهو منصوب بنزع الخافض، أي بنقد»[2].

- وقال الناظم أيضاً في الباب نفسه :

ما ليسَ فيهِ حـــقُّ توفيــــةٍ انْ   لمْ يَعْـــدُ يومَيْنِ ووصْفُـــهُ زُكِنْ

مِـن غير شـــارِيهِ وبيعَ بَـــتْلا   شَرْطُها لِلنّقـــد فيـــهِ حَـــلّا

فقال الشارح : «ما : مبتدأ، أي الغائب الذي ليس عقاراً، وليس فيه حقّ توفية، من كيل، ووزن، وعدّ.. وخبرُ المبتدأ جملةُ (شَرْطُها لِلنّقد فيهِ حَلَّا)»[3].

- وقال في فصْل عيوب المبيع التي تَمنع المشتري الخيار :

والرّدُّ بالبادِي لِمَـــن تأمّـــلا   مِن مُشتَرٍ ذِي بَصَـرٍ لـــن يُقْبَلا.

فقال الشارح : « والرّدُّ : مبتدأ، (مِن) : صلة (يُقْبَل)، (لن يُقْبَلا) خبر المبتدأ»[4].

- غير أنّ هذا الإيجاز الشديد في الإعراب ليس هو السّمة الغالبة على الشارح، فقد يبسط القول في الإعراب أكثر من هذا، مازجاً بينه وبين الشرح. قال الناظم في باب البيوع :

أو مِثْلَهُ إنِ اسْتُحِــقّ يَـدْفَـــعِ   أو يَنْكُثُ العقْدَ لِدَعـــوَى مُدَّعِي

أو شرطِ أنّك إذا لـــم تُلْفِ ما   حَمَـلْتَ أدّيْـــتَ إليــه القيَـــمَا

وغَلَـــقِ الرّهْـنِ لجَهْلِ البـائِعِ   بِما يَـــنالُـــهُ بِتِـــلكَ الأرْبَـــعِ.

١- إشراف أبي محمّد بن محمّد الحسن. مصر : دار الشمس للطباعة الحديثة، الطبعة الخامسة. ج ٢.

٢- المصدر نفسه، ص٢٣.

٣- المصدر نفسه، ص٣٦.

٤- المصدر نفسه، ص٦٨.

فقال الشارح : «مِثْلَهُ : أي البيع مفعولُ (يَدْفَعِ). إنِ اسْتُحِقّ : بالتركيب. يَدْفَعِ : بالجزم، إذ لا يمنع جزمَ جواب الشرط عند الكوفة عملُه فيما قبل الأداة، يعني أنّه يفسد البيعُ إن تحمّل البائع للمبتاع في عقدة البيع أنّه إن طرأ عليه استحقاق في المبيع أعطاه مثلَه... فقوله : غَلَقِ الرّهْنِ : مصدر غَلِق الرّهنُ كفرِح، إذا استحقّه المرتهن»[1].

- وقال الناظم في فصْل عيوب المبيع التي تَمنح المشتري الخيارَ أيضاً :

ومنهُ في العُجْـــــــم حِرَانٌ وعُثُور   وقِلَّـةُ الحَمْـــــــلِ وشِدَّةُ النُّفُورْ.

فقال الشارح مازجاً التصريف بالشرح لغرض إيضاح المعاني والأحكام : «حِرَان: بالكسر والضّمّ، بأن لا تنقاد، أو تقف في الجري، وقد حَرَنَ كنصَر وكرُم. و(عُثُور) : الذي في القاموس عَـثر كضرَب ونصَر وعلِم وكرُم، عثراً وعثيراً وعثاراً، وتعثّر : كبـا. وفي المصباح : يقال : عثر الرجل عُثوراً، وعثر الفرس عِثاراً. وفي التاج واللّسان : عثر الفرس عِثاراً، وعيوب الدوابّ تجيء على فِعال، مثل الحِرَان والعِضَاض. لكن قياس مصدر فعَل بالفتح اللّازِم الفُعولُ، ويجوز عند الفرّاء القياس في المصادر مع وجود السماع. ويحتمل فتح العين وصفاً، أي كون الجمل مثلاً عَثوراً» [2].

- وقال الناظم في فصل الإقالة :

ففي ثلاثِ صُـــــــــوَرٍ مِنِ اثنتَيْ   عـــــشَرةٍ لـــــيٌّ وفي الباقاةِ حَيْ

ضابِطُها دَفْعُ الأخيرِ دَفْـــــــعَا   أكـــثَرَ مِـــــــمّا قد تعاطَى بِدْعَا

فقال الشارح : «ففي ثلاثِ صُوَرٍ مِنِ اثنتَيْ عـشْرةٍ : بإضافة صدر المركّب إلى عجزه، وهوجائز عند الكوفيّين. وأنشدوا[3] :

كَلِفَ مِن عنـــــائهِ وشِقـــــــوتِهْ   بنتَ ثمانِـــــي عشـــرةٍ مِن حِجّتِهْ.

(لـيٌّ) : أي باطل، مبتدأ، خبره المجرور قبله. (وَفِـي) الصور التسع (الباقاة) على لغة طيّئ، أي الباقية، خبر قوله : (حَيٌّ) أي حقّ. (دَفْعُ الأخيرِ) : مصدر مضاف لفاعله،

١- المصدر نفسه، ج، ص١٦، ١٧.

٢- المصدر نفسه، ج، ص٦٤، ٦٥.

٣- من الرجز، ورد ذكره في كثير من المصادر النحوية، منها طُرّة المختار بن بونا، مع تقريبها، ١/ ٦٦٧. منسوب في بعض هذه المصادر إلى نقيع بن طارق.

مفعوله (أكثَرَ) الآتي. (دَفْعاً) : تمييز حُوِّل عن الفاعل، أي المتأخّر دفعه»[1].

هكذا وظّف الفقهاء الشناقطة النحوَ على هذا النسق في بحوثهم الفقهية على نطاق واسع، مع شيء من الإيجاز والإقتضاب في عرْض المسائل الإعرابية، اكتفاءً بقدر الحاجة ممّا يحتاجه النصّ من إيضاح المعنى، وتبيان ما يتضمّنه من أحكام، دون الميل إلى التعمُّق في تحليل الإعراب، ومناقشته.

المبحث الثاني : النـــّــحو والأصـــــــول

وظّف الأصوليّون الشناقطة النّحو في بحوثهم الأصولية على نطاق واسع، كغيرهم من الأصوليّين، حيث علاقة الأصول بالنّحو علاقة وثيقة، إذ يعتمد كثير من بحوثه على النّحو اعتماداً كبيراً. وفيما يلي عرض نماذج من جهودهم تلك :

١- أخذ البحثُ في اللّفظ والمعنى حيّزاً هامّاً من اهتمام الأصوليّين، مع توظيف كبير منهم للإعراب في بحوثهم. من ذلك مثلاً أنّ الحاج الحسن بن آغْـبُدِّي الزّيدي التشيتي(ت١١٢٣هـ) سئل[2] عن صحّة عطْف لفظ الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بحرف العطف، فأجاب :

فمن نظر إلى الخبر الذي يقتضيه لفظها عطف خبراً على خبر؛ لأنّ (بسم الله) خبر لفظا ومعنى، وصلّى الله خبرٌ لفظاً، طلبٌ معنًى، تقديره على هذا : أَبتدِئ بسم الله، وصلّى الله على رسول الله، فصحّ عطف الجملة الثانية على الأولى، لأجل تناسبهما في الخبرية اللّفظية. ومن نظر إلى الطلب الذي يقتضيه معناها منع حرف العطف، وذلك أنّ (صلّى الله) لفظه لفظ الخبر، ومعناه الدعاء والطلب؛ لأنّ تقديره : اللّهمّ صلّ على محمّد، كما تقول : غفر الله تعالى لنا، ورضي الله تعالى عن أبي بكر، فلا يصحّ عطف الجملة الثانية الطلبية على الجملة الأولى الخبرية. فحصل من هذا أنّ من اعتبر اللّفظ أتى بالواو، ومن اعتبر المعنى أسقط الواو. ومنهم من أجاز إثبات الواو مع الجملة المحذوفة دون الجملة الثابتة، وهي جملة القول، تقديره : أَبتدِئ باسم الله تعالى، وأقول صلّى الله على سيّدنا محمّد؛ لأنّ العرب تحذف القول كثيراً[3].

١- مَرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي، ج٢، ص٨٩.

٢- لم تذكر المصادر صاحب السؤال.

٣- المجموعة الكبرى، ج٤، ص٦٢١.

٢- المخزون الدلالي للألفاظ أحد الحقول المعرفية، الذي حظي باعتناء الأصوليّين، موظّفين النّحو في بحوثهم فيه على نطاق واسع. من ذلك مثلا أنّ أحمد بن المصطفى بن اطْوَيْر الجنّة الحاجي(ت١٢٦٥هـ)، سئل[١] عن الفرق بين دلالتي اسم الجمع، والجمع، فأجاب إجابة مستفيضة، نقلتُ منها ما يلي :

«وأمّا جوابكم عن الفرق بين دلالة اسم الجمع والجمع، فهو أنّ الفرق بين الدّلالتين يفهم من الفرق بين الدّالّين، والفرق بين الدّالّين هو أنّ الدّالّ على أكثر من اثنين إمّا أن يكون موضوعاً لمجموع الآحاد، دالّا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف، وإمّا أن يكون موضوعاً لمجموع الآحاد، دالًّا عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسمّاه، فالأوّل هو الجمع، سواء كان له واحد من لفظه مستعمل كرجال وأُسُود، أو لم يكن كأبابيل. والثاني هو اسم الجمع، سواء كان له واحد من اسمه، وواحد من لفظه كرَكْب وصَحْب، أو لم يكن له كقوْم ورهْط. وأمّا الفرق بين الدّلالتين المسؤول عنهما فهو أنّ دلالة الجمع دلالة تكرار الواحد بالعطف، ودلالة اسم الجمع دلالة المفرد على جملة أجزاء مسمّاه»[٢].

ثمّ استطرد في الحديث عن مصدوقاتها، ومصدوقات جموع الكثرة والقلّة، قائلاً :

وأمّا باعتبار مصدوقيهما، ومصدوق الكثرة جمعاً، أو اسم جمع، ومصدوق جموع القلّة تكسيراً، أو تصحيحاً، ففيهنّ خلاف بين الأصوليّين فيما بينهم، وخلاف بينهم، وبين النحاة، فأمّا عند النحاة فجموع القلّة تكسيراً، نحو: أرجل وأفلس، وتصحيحا، نحو : مسلمين ومسلمات، إن قصد بالأرجل جمع قلّة، وأمّا اسم الجمع فهو من قبيل جمع التكسير؛ لأنّ جلّ أوزانه متغيّر عن بناء واحده... وأمّا الأصوليّون فقد خالفوا النحاة في الفرق بين جمع القلّة في أقلّ مُسمّى الجمع، إذا كان جمع كثرة باعتبار أقلّ ما يصدق عليه، ووافقوهم إذا كان جمع قلّة، فقالوا : إنّ أقلّ مسمّى الجمع ثلاثة، أو اثنان على خلاف بينهم في ذلك. وأمّا اسم الجمع فحكمه (حكم) جمع الكثرة في المصدوق، وهو ثلاثة أو اثنان... وهذا كلّه من الخلاف بين النحاة والأصوليّين إذا لم يُعرّف بألْ.. إلخ [٣].

وهو مبحث أصوليّ قيّم، كان أثرُ النّحو فيه بادياً، والاستناد إليه بارزاً.

١- لم تذكر المصادر صاحب السؤال.

٢- المجموعة الكبرى، ج٤، ص٦٢٢، ٦٢٣. نقلاً عن ميكروفلم جامعة افرايبور/ ألمانيا.

٣- المجموعة الكبرى، ج٤، ص٦٢٣، ٦٢٤. نقلاً عن ميكروفلم جامعة افرايبور/ ألمانيا.

٣- سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلويّ(ت١٢٣٣هـ)، من أبرز علماء الأصول ببلاد شنقيط، إذ ألّف ألفيته المشهورة : (مَراقِي السُّعُود)، وشَرْحَها : (نشر البنود)[١]. وقد اعتنى هذا العالِم بتوظيف الإعراب في بحوثه الأصولية. أعرض له النماذج الموالية :

- كثيراً ما يوظّف الإعراب في بحوثه الأصولية، الواردة في هذا الشرح، لغرض إيضاح معاني النظْم، وتبيان ما يتضمّنه من القضايا والمسائل. من هذا مثلاً قوله في فصل التعريفات :

فِعْلُ العبــــــــــادةِ بوقْتٍ عُـيِّـنَا   شــــرْعاً لها باســـــمِ الأداءِ قُرِنَا.

فقال في الشرح، متتبّعاً مفردات النّصّ بالإعراب : «(فِعْلُ) : مبتدأ، و(بِوقْتٍ) : يتعلّق به، وجملة (عُـيِّـنَ) : بالبناء للمفعول نعتُ (وقْتٍ)، و(شرْعاً) : ظرف عامل فيه (عُـيِّـنَ)، وجملة (قُرِنَ باسمِ الأداءِ) : خبر المبتدأ، و(قُرِنَ) : مبنيّ للمفعول، واقترانه باسم الأداء اقتران الدّالّ بالمدلول»[٢].

حيث استعان بهذا الإعراب على تعريف الأداء، إذ به توصّل إلى أنّه إيقاعُ العبادة في وقتها، احترازاً من القضاء.

- وقال في فصل المنطوق والمفهوم :

نَـصٌّ إذا أفـــادَ ما لا يَحْتَمـــلْ   غَيْراً وظاهِرٌ إنِ الغيْـرُ احْتمــــلْ.

ثمّ قال شارحاً، مبيّنا النّصّ والظّاهر : «وقد صرّح النّحاة بأنّ التأكيد في نحو جاء زيد نفسُه لدفع المجاز عن الذات، واحتمال أنّ الجائي رسوله أو كتابه مثلا. ويجاب عندي عن الثاني بأنّ التوكيد إنّما هو لدفع توهّم إسناد المجيء إلى غير زيد فيصير في الكلام مضاف إلى زيد محذوف، وأمّا زيد فلا يحتمل غيره من بكر وخالد مثلا. قوله : ظاهرٌ.. إلخ بالرفع عطف على (نصّ)، و(الغيرُ) : مرفوع بفعل مبنيّ للمفعول محذوف، يفسّره (احْتمل) المذكور، يعني أنّ اللّفظ الدالّ في محلّ النطق ظاهر، أي يسمّى به إن احتمل بدل المعنى المفاد منه معنىً مرجوحا كالأسد في نحو رأيت اليوم الأسد، فإنّه

١- تحقيق محمّد الأمين بن محمّد بَـيْـبَـه. الطبعة الأولى١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

٢- المصدر نفسه، ج١، ص١٧٠.

مفيد للحيوان المفترس، محتمل للرجل الشجاع بدله احتمالا ضعيفا»[1].

- وقال في الفصل نفسه:

وهـو دلالةُ اقتضاءٍ انْ يَـــــــدلّْ   لفظٌ على مـــــا دونهُ لا يَستقِــلّْ
دلالةَ اللّــزوم مـــثـــــــلُ ذاتِ   إشـــارةٍ كـــذاكَ الإيـــما آتِ
فأوّلٌ إشـــارةُ اللّـــــفظِ لِـــــما   لم يكنِ القـــــصدُ لهُ قـــد عُلِـما
دلالـــــةُ الإيمـــــاءِ والتنبـــيـهِ   في الفـــنِّ تُقـصَــــد لدَى ذويـه

ثمّ قال موظّفاً الإعراب، مازجا بينه وبين الشرح لِتبيين بعض الدّلالات الأصولية:

«قوله: دلالةَ اللّزومِ: مفعول مطلق لقوله (يدلّ). مثلُ: خبر مبتدأ محذوف، أي هي، أي دلالة الاقتضاء مثلُ دلالة الإشارة في كوْن كلّ بالالتزام، ومن المنطوق غير الصريح. قوله: (كـذاكَ الإيـما آت): (الإيما): دون همز اللّام، مع القصر للوزن مبتدأٌ، خبره (آت)، فاعل. (يقصد اسم فاعل) من (أتى)، و(كـذاكَ): حال، يعني أنّ دلالة الإيماء أتت عندهم مثل دلالة الاقتضاء، والإشارة في كون كلّ بالالتزام، ومن المنطوق غير الصريح (أوّلُ): مبتدأ، خبره (إشارةٌ)، و(عُلِما): بالتركيب، ألفه للإطلاق... دلالةُ: مبتدأ، خبره جملة (تقصد)، والفنُّ فنُّ الأصول الراجع إليه (ذويه)، يعني أنّ الدلالة التي تسمّى دلالة الإيماء، ودلالة التنبيه مقصودة عند المتكلّم بالأصالة، لا بالتّبع»[2].

- وقال فيه أيضاً:

إعطاءُ ما لِلَفظة المسكـــــــــوتا   مِن بـــاب أَوْلَى نفْياً اوْ ثبـــــوتا

ثمّ قال شارحاً موظّفا الإعراب لإيضاح مفهوم الموافقة: «إعطاءُ: خبر مبتدأ محذوف، والمبتدأ ضمير الموافقة، وفاعل المصدر، وهو المتكلّم محذوف، و(ما) الموصول أضيف إليه ما قبله إضافة المصدر إلى مفعوله، (والمسكوت): مفعول ثانٍ، و(مِن باب أَوْلَى): متعلّق بإعطاء، و(نفْياً اوْ ثبوتا): حالان مِن(ما)، أي منفياً أو ثابتا. يعني أنّ مفهوم الموافقة هو إعطاء ما ثبت للّفظ من الحكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق

١- المصدر نفسه، ص٢٧٣.

٢- المصدر نفسه، ص٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦.

الأولى والأحرى»[1].

- وقال في الفصل نفسه أيضاً :

وقيلَ ذا فَحْوى الخطـــاب والذي ســــاوَى بِلحنهِ دَعاهُ المُحــتذِي

دلالـــــــةُ الـــوفاق للـقـياس وهـــو الجـــــلي تُعزَى لدَى أُناسِ

ثمّ قال شارحاً، موظّفا الإعراب في تبيان لحْن الخطاب، ودلالة مفهوم الموافقة : «قوله : (ذا) : إشارة لِلأولى مبتدأ، خبره (فَحْوى الخطاب)، (والذي ساوَى) : مبتدأ، خبره جملة (دَعاهُ المُحتذِي)، أي المتّبع لأهل الأصول في اصطلاحاتهم؛ لأنّهم كذلك يسمّونه، و(بِلحْنهِ) : متعلّق ب(دَعاهُ)، أي سمّاه لحن الخطاب. دلالة : المضاف للوفاق مبتدأ، خبره (تُعزَى)، و(للــقياس) متعلّق به، وكذا (لدَى)، وقوله : وهو الجلي : اعتراض. يعني أنّ دلالة مفهوم الموافقة قياسية عند بعض الأصوليّين»[2].

٤- محمد الأمين الشنقيطي (آبّه بن اخطور: ت١٣٩٣هـ)، المفسّر الأصوليّ اللّغويّ الموسوعيّ. ترك لنا في علم الأصول كتابه : (نثر الورود على مراقي السّعود)[3]، الذي اعتنى فيه اعتناءً لافتاً بتوظيف البحوث النحوية لغرض خدمة مسائل الأصول وقضاياه. وأعرِضُ منه النموذجين الآتيين :

- ففي فصل الاشتقاق عند قول الناظم، صاحب (مراقي السعود) :

لا بُـــدّ في المشتقّ مـــــــن تغييرِ مُحقَّقٍ أو كـــان ذا تقـــــــــــديرِ

وإن يكـــــنْ لمبهمٍ فقدْ عُـــــهِدْ مطّــــــــــرِداً وغيرُهُ لا يطّـــرِدْ.

قال الشارح مُستنداً في شرحه إلى مسائل النّحو والتصريف، مع شيء ليس باليسير من المناقشة والتحليل :

قال مقيّده عفا الله عنه : ضابط الاشتقاق المطّرد بالقياس الصرفيّ إذا أردت أن تعْلَمه فاعلَم أنّ المصدر الذي منه الاشتقاق له حالتان، الأولى : أن يكون حدثاً متجدّدا باختيار الفاعل كالقيام والجلوس، الثانية : أن يكون صفة قائمة بالذات من غير اختيارها

١- المصدر نفسه، ص٢٩١.

٢- المصدر نفسه، ص٢٩٥.

٣- تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن حبيب الشنقيطي. جدّة : الطبعة الأولى١٤٢٠هـ١٩٩٩م. ج٢.

كالسجايا والألوان ونحو ذلك، فالسجايا نحو الكرم والشجاعة، والألوان كالسواد والبياض، والقسم الأوّل الذي هو الحدث المتجدّد باختيار الفاعل له حالتان، الأولى : أن تكون نسبته واحدة، وهو المعبّر عنه باللّزوم، أي عدم التعدّي إلى المفعول به كالقيام والجلوس. الثانية : أن تكون له نسبتان، نسبة إلى فاعله من حيث وقوعه منه، ونسبة إلى مفعوله من حيث وقوعه عليه، نحو الضرب، فإنّه لا تتعقّل حقيقته إلّا بضارب ومضروب؛ لأنّه صفة إضافية، وهي لا تدرك حقيقتها إلّا بإدراك المتضايفَيْن، وهذا هو المعبّر عنه بالتعدّي إلى المفعول، فإن كان المصدر الذي منه الاشتقاق صفة قائمة بالذات من غير اختيارها كالكرم والشجاعة، فلا يشتقّ منها باطّراد القياس الصرفيّ إلّا ثلاثة أشياء، الأوّل : الفعْل ككرُم وشَجُع، الثاني : الصفة المشبّهة، ككريم وشجَاع، الثالث : صيغة التفضيل بشروطها المعروفة، نحو زيدٌ أفضلُ من عمرو وأشجَع منه..."[1].

- والشنقيطيّ عالم جليل، ثاقب الذّهن، يؤسّس الأحكام الأصولية على ما يراه ويُرجّحه من المسائل الإعرابية. من ذلك مثلا مناقشته المتعة لمسألة الاستثناءات المتعدّدة، المعطوف بعضها على بعض عند قول الناظم :

وذا تعــدُّدٍ بعــطْفٍ حصِّـــــــلِ   بالاتّفــاق مُــــــسْجَــــــلاً للأوّلِ
إلّا فكـــلُّ للّذي به اتّصَـــــــــلْ   وكلُّها عنــد التســــــاوِي قد بطَلْ.

حيث يقول :

يعني أنّ الاستثناءات المتعدّدة إذا كان بعضها معطوفا على بعض ترجع كلّها للأوّل الذي هو المستثنى منه، لا الأوّل من الاستثناءات. وقوله : مسْجَلاً يعني مطلقا، أي سواء كان الاستثناء مستغرِقا أم لا، إلاّ أنّه يبطل في المستغرِق ويصحّ في غيره. مثال غير المستغرِق : له عليّ عشرةٌ إلّا واحداً، وإلاّ اثنين، وإلاّ ثلاثةً، فتسقط الستّة من العشرة، فتبقى أربعة هي اللّازمة له، ومثال المستغرِق : له عليّ عشرةٌ إلاّ خمسةً، وإلاّ أربعةً، وإلاّ واحداً، فالمجموع عشرة. وعلى القول بجمع مفرّق الاستثناء يبطل جميع الاستثناءات؛ لأنّها بمثابة له عليّ عشرةٌ إلاّ عشرةً، وأمّا على القول بإنّه لا يجمع مفرّقه فلا يبطل إلاّ الذي حصل به الاستغراق مع ما بعده إن كان بعده شيء، والباطل الذي حصل به الاستغراق في هذا المثال الأخير هو الواحد؛ لأنّه آخر مذكور حصل به الاستغراق

١- المصدر نفسه، ج١، ص١٢٦، ١٢٧.

فتسقط تسعة ويلزم واحد لبطلان الاستثناء فيه. وقوله : ذا تعدُّد : مفعول به مقدّم لقوله : حصِّلِ. قوله : إلّا، يعني : وإلّا تكن الاستثناءات المتعدّدة متعاطفة، بل كانت متعدّدة من غير تعاطف، فكلّ منها عائد إلى ما قبله يليه ما لم يستغرقه...»[1].

هكذا يسير هذا العلّامة الجليل في توظيف مسائل الإعراب لمناقشة المباحث الأصولية، وتبيان ما يلزم من تقرير الأحكام وتوضيحها، مع كثير من تعميق التحليل والمناقشة، مستفيداً في ذلك من موسوعيته المعرفية، التي من ضمنها مقدرته اللّغوية الفائقة.

الفصل السادس : النّحو واللّغــة والمنطــــق

العلاقة بين النّحو واللّغة علاقة وثيقة، متلازمة، باعتبار أنّ اللّغة كما يقول ابن جنّيّ: « أصواتٌ يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[2]. وأنّ النّحو : «هو انتحاءُ سَمْت كلام العرب، في تصرّفه من إعراب وغيره... لِيلحَق مَن ليس مِن أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها»[3]. وأنّ الإعراب : «هو الإبانة عن المعاني، ألا ترى أنّك إذا سمعت أكرم سعيدٌ أباه، وشكَر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما، ونصبِ الآخرَ الفاعلَ من المفعول، ولو كان الكلام شَرْجاً واحداً لاسْتَبْهم أحدهما من صاحبه»[4].

فهذا يفيد قوّة التلازم، والترابط بين الاثنين، وحاجة كلّ منهما للآخر، باعتبار النحو ركيزةً أساسية من ركائز اللّغة، التي هي أصوات يتفاهم بها الناس فيما بينهم، وهو القانون الصارم الذي يضبطها، ويتكفّل بسلامتها، لتُؤدّي وظيفتها في التفاهم، والتواصل، وإجلاء المعاني على الوجه المطلوب. وممّا يُعبّر أيضاً عن هذا الترابط والتلازم بين الاثنين ما ورد في محاورة لأبي حيّان التوحيديّ (ت٤٠٠هـ)، مع المنطقيّ أبي سليمان السجستاني(ت٣٨٠هـ)، جاء فيها :

١- نثر الورود على مراقي السّعود، ج١، ص٢٩٢، ٢٩٣.

٢- الخصائص، ج١، ص٣٣.

٣- المصدر نفسه، ص٣٤.

٤- المصدر نفسه، ص٣٥.

«وأسألُ شيخنا أبا سعيد السيرافيّ (ت٣٦٨هـ) في غدٍ إن شاء الله، فهو اليوم عالِمُ العالَم، وشيخ الدنيا، ومقنع أهل الأرض... فسألت أبا سعيد، فقال: هذا من قَبِيل الأسماء المنسوبة، فلا يقال لذلك: فعيل بمعنى أنّه فاعل، كقدير بمعنى قادر، ولا يقال: إنّه فعيل بمعنى مفعول كذبيح، ولكن يقال: هو فعيل في أصله، كحنين وأنين. ومع هذا فمعنى الفعل به أقرب من معنى الفعل منه، ولفعيل أسرار ووجوه... تابعت أحاطك الله بين هذه المقابسات الثلاث؛ لأنّها متواخية في بابها، أعني أنها في حديث اللّغة، والنحو، والمنطق والنظر، وبهذا تبيّن لك أنّ البحث عن المنطق قد يرمي بك إلى جانب النحو، والبحث عن النحو قد يرمي بك إلى جانب المنطق. ولولا أنّ الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطقيّ نحوياً، والنحويّ منطقياً، خاصّة واللّغة عربية، والمنطق مترجم بها، ومفهوم عنها»[1].

فهذا نصّ مُعبّر بحقّ عن الترابط الوثيق بين علوم النّحو واللّغة والمنطق عند علماء العربية. وسيأتي الحديث في المبحث الثاني عن العلاقة بين النحو والمنطق، التي ظهرت بقوّة في عصر أبي حيّان التوحيديّ. وقد استعان النّحاة الشناطقة في تحرير بعض المسائل النحوية، وتأصيلها باللّغة المعجمية، وكذلك ببحوث المنطق على نطاق غير متّسِع. وفيما يلي عرض بعض الأمثلة؛ للتدليل على ذلك:

المبحث الأوّل: النّحـــــو واللّـــــغـــــة

كان للّغة العربية على المستوى المعجمي حضور في المحاظر الشنقيطية أقلّ من حضور النّحو، وعلوم القرآن، والفقه، وكان هذا الحضور متفاوتاً، مُتركِّزاً بشكل أكبر في محاظر المنطقة الغربية الجنوبية (الكِبْلة)، وانحصرت مقرّراتها في مثلّثات محمّد بن مالك، والمقصور والممدود له، ومثلّث قطْرُب أبي عليّ محمد بن المستنير(ت٢٠٦هـ)، ولامية العرب للشنفرى(توفّي سنة ٧٠ قبل الهجرة)، ودواوين شعراء ما قبل الإسلام، وديوان ذي الرّمّة غيلان (ت١١٧هـ)، ثمّ مقامات محمد الحريري (ت٥١٦هـ)، واستيعاب مادّة القاموس للفيروز آبادي وهضمها.

---

١ – أبوحيّان التوحيديّ، المقابسات، تعليق الدكتور علي شلق. بيروت: دار المدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٩٨٦م. ص٩٦، ٩٧.

- فمن استعانتهم مثلاً باللّغة «في تحرير المسائل النحوية وتأصيلها»[1] السؤالُ الذي طرحه الشيخ محمد عالي بن عبد الودود المباركي(ت١٤٠١هـ) : «على بعض مشايخ [2] معاصريه، حيث سأل عن شاهد من كلام العرب يُحتجّ به على جمع العَلَم جمعَ مذكّر سالم... رأى أحد الشيخين اللذين سألهما الشيخ محمد عالي أنّ السؤال ضرْب من الفضول، فلم يوله ما يستحقّ من التأمّل، بينما رأى الشيخ الثاني أنّه سؤال وارد، يُنبئ عن مستوى لغويّ رفيع، فامتدح السائل، وقال : إنّ من شواهد المسألة قراءة عاصم والأخوين[3] : [سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ]{١٣٠، الصّافّات}. على أنّها جمع إلياس»[4].

- وذكر الأستاذ محمّد بن بتّار [5] أنّ الشيخ محمّد فال بن عبد الله العلويّ (ما يزال حيّاً) كان يُعلّق في بعض دروسه على قول المختار بن بونا (ت١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ)، في جامعه بباب الإضافة في كوْن المضاف قد تُزال منه تاء التأنيث قياساً [6] :

وقد تُزالُ منه تاءٌ إنْ أُمِنْ   لَبْسٌ كما في ليتَ شِعْرِي قد زُكِنْ.

قائلاً : «ما الحامل على جعْله من باب حذف التاء من المضاف مع أنّ (الشعر) بمعنى (العلم) موجود، واقتران هذا اللّفظ بالتاء لم يُسمع حتّى يُدّعَى حذفها» [7].

ويبدو أنّ هذا الاستدراك قديم، قد قرّره الزّبيدي في تاج العروس[8]، يقول الأستاذ محمّد بن بتّار [9] : «وهو ما رآه صاحب التاج بحثا نفيسا بعد ما نقل مثله عن شيخه،

١- بحث (النحو في النوادي الشنقيطية)، مصدر سابق، ص١٥٧.

٢- لم أقف على تحديد هذا البعض.

٣- هذا كلام غير دقيق. جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيّان النّحوي، ج٩، ص١٢٢ : «وقرأ زيد بن علي ونافع وابن عامر (على آلِ ياسينَ).. وقرأ باقو السبعة (على إلْياسينَ) بهمزة مكسورة، أي إلياسين جمع المنسوبين إلى إلياس معه». وجاء أيضا في الوافي في شرح الشاطبية، لعبد الفتّاح عبد الغني القاضي. الأسكندرية : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الخامسة١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٢٨٨ : «وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكوفيّون بكسر الهمزة (إلْياسِينَ) .. فتكون قراءة نافع والشامي بفتح الهمزة وإثبات ألف بعدها، وكسر اللّام». يراجع النشر في القراءات العشر، ج٢،ص٣٥٧.

٤- في المصدر والصفحة نفسها.

٥- في بحثه : (النحو في النوادي الشنقيطية)، ص١٥٨.

٦- أوّل بيت من الاحمرار، بعد أوّل بيت من باب الإضافة في الخلاصة. يراجع تقريب الطُّرّة، ج١، ص٤٠٥.

٧- في بحثه (النحو في النوادي الشنقيطية)، ص١٥٨.

٨- مادّة (شعر).

٩- المصدر والصفحة نفسها.

فقال : (وقد أنكر شيخنا هذا على سيبويه، وتوقّف في حذف التاء منه لزوما، وقال : لأنّه لم يُسمع يوما من الدهر (شعرتي) حتّى تُدّعَى أصالة التاء فيه».

– غير أنّ ما ذهب إليه المختار بن بونا يوجد له سَنَد قويّ في التراث العربي، لا يُمكن التغافُل عنه. جاء في مختار الصحاح : «ومنه قولهم : ليت شِعْرِي، أي ليتَني عَلِمْت. قال سيبويه : أصله شِعْرَة، لكنّهم حذفوا الهاء كما حذفوها من قولهم : ذهب بِعُذْرِها، وهو أبو عُذْرِها» [1].

وعليه ففي المسألة رأيان اثنان لعلماء العربية، ممّا يُسوّغ عدم وجاهة هذا النقد.

المبحث الثاني : النّحــــــو والمنـــــــطـــــق

نشأ النّحو العربي نشأة عربية خالصة في أحضان القرآن الكريم، من أجل خدمته والدفاع عنه، غير أنّه بعد ترجمة كثير من العلوم الأجنبية إلى العربية، وهضم العربية للعديد من الثقافات الأجنبية بعامل هذه الترجمة، واتّساع رقعة الإسلام، أخذ التلاقي بين النّحو العربيّ، وعلْم المنطق يظهر شيئا فشيئا، إلى أن بدأ احتكاك ملحوظ بين الاثنين في القرن الرابع الهجري، إذ تجلّى في شيوع ظاهرة المناظرات بين النحاة والمناطقة، مثل مناظرة الفيلسوف أبي بشر متّى بن يونس (ت٣٢٨هـ)، مع النحويّ أبي سعيد السيرافيّ (ت٣٦٨هـ) [2]، التي قال فيها متّى :

لا سبيل إلى معرفة الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشرّ، والحجّة من الشبهة إلّا بما حويناه من المنطق.. إنّ المنطق آلة من الآلات يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، وإنّه بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة.. لا حاجة بالمنطقيّ إلى النحويّ، وبالنحويّ حاجة إلى المنطقيّ... فقال أبو سعيد السيرافيّ : إنّ صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف، والإعراب المعروف، إذا كنّا نتكلّم بالعربية، وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إن كنّا نبحث بالعقل، وإذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها، واصطلاحهم عليها، وما يتعارفون به من رسومها وصفاتها، من أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتّخذوه حكما لهم وعليهم، وقاضيا بينهم.. إنّ المنطق والنّحو واللّفظ والإفصاح والإعراب

١- مادّة (شعر).

٢- الرّمّانيّ النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، الدكتور مازن المبارك، ص٢٣٠.

والإنباء والحديث والإخبار والاستخبار والعرض والتمنّي والحضّ والدعاء والنداء والطلب كلّها من وادٍ واحد بالمشاكلة والمماثلة.. إنّ تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئا، وأنت تجهل حرفاً واحداً من اللّغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية (يشير إلى أحكام الواو)، ومن جهل حرفاً واحدا أمكن أن يجهل اللّغة بكاملها، وإن كان لا يجهلها كلّها، ولكن يجهل بعضها، فلعلّه يجهل ما يحتاج إليه، ولا ينفعه فيه علْم ما لا يحتاج إليه[1].

وهي مناظرة فعلاً ممتعة، أظهرت رجحان كفّة النّحو العربيّ. وقد سأل أبوحيّان التوحيديّ (ت٤٠٠هـ)، المنطقيّ أبا سليمان السجستاني(ت٣٨٠هـ)، عن مدى التلاقي بين الاثنين، فأجابه قائلاً:

قلت لأبي سليمان : : فما النّحو؟ فقال : على ما يَحْضُرني الساعة من رسمه على غير تصفية حدّه وتنقيحه : إنّه نظر في كلام العرب، يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده أو تعرفه.. قلت له : فما المنطق؟ قال : آلة يقع بها الفصل والتمييز بين ما يقال هو حقّ أو باطل فيما يعتقد... قلت : فهل يعين أحدهما صاحبه؟ قال : نعم، وأيّ معونة! إذا اجتمع المنطق العقلي، والمنطق الحسّيّ، فهو الغاية والكمال. قال : ويجب أن تعلم أنّ فوائد النّحو مقصورة على عادة العرب بالقصد الأوّل، قاصرة عن عادة غيرهم بالقصد الثاني، والمنطق مقصور على عادة جميع أهل العقل من أيّ جيل كانوا، وبأيّ لغة أبانوا... قال : وبالجملة فإنّ النّحو يرتّب اللّفظ ترتيباً يؤدّي إلى المعنى المعروف، أو إلى العادة الجارية، والمنطق يرتّب المعنى ترتيبا يؤدّي إلى الحقّ المعترف به من غير عادة سابقة، والشهادة في المنطق مأخوذة من العقل، والشهادة في النّحو مأخوذة من العرب[2].

هذا فيما يبدو كان حواراً فقط، متمثّلاً في سؤال وجاب، ولم يكن مناظرة بين نحويّ ومنطقيّ.

- وكان أبو الحسن الرمّانيّ (ت٣٨٤هـ)، من أبرز العلماء النحويّين في القرن الرابع الهجري، الذين تأثّروا بالمنطق تأثّراً ملحوظاً في فكرهم النحويّ، إذ كان منطقيّا في الأسلوب، والتعبير، والتحليل، والفكر، ووضْع المفاهيم. يقول الدكتور مازن المبارك:

١- ملخّص من مناظرتهما. يراجع معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص٨٩٤ - ٩٠٣.

٢- المقابسات، ص٩٢، ٩٣.

«أبو الحسن الرمّانيّ من علماء القرن الرابع ، وممّن عاش في تلك البيئة، وعاصر تلك المناظرات، لقد حضر بعضها، ووعاها حتّى رواها، وكان إلى تلك من أئمّة الاعتزال والكلام والمنطق، ومن أكثر العلماء احتفاء بهذه العلوم العقلية الجدلية، وتأليفا فيها.. فلابدّ أن يكون نحوه بعد ذلك ابن بيئته وعصره المنطقيّ، وابن طبيعته وعقيدته العقلية، ولابدّ أن نتوقّع عنده نحواً، كلّه منطق»[1].

وفي القرن السادس الهجري يظهَر عالم مغربي جليل، يبدو التلاقي بين النّحو والمنطق في إنتاجه جلياً. هو الجزوليّ أبوموسى السوسيّ المغربيّ. وذلك في تأليفه المعروف في النّحو (بالمقدّمة الجزولية).. يقول الدكتور محمد المختار بن ابّاه :

«هذه المقدّمة التي كانت في منهجها قمّة اللّقاء بين منهجي النّحو والمنطق، وتعتبر بمثابة عمل توفيقيّ بين رأيي أبي سعيد السيرافيّ، ومتّى بن يونس في مناظرتهما المشهورة... وبعد كثير من المحاولات والجهود والتنقيح استطاع إنشاء نظام منطقيّ، أدرج فيه هياكله، خاصّة القواعد النحوية، والجديد في هذا النظام هو الدقّة في الحدود والتعريفات، ومحاولة التفسير المنطقيّ للظواهر اللّغوية حتّى يتمّ انسجامها في النسق العامّ للنظريات العامّة للمدرسة البصرية. وتتمثّل الدقّة في تعريفه للكلام بزيادة الإفادة (بالوضْع)، فقال : (إنّه اللّفظ المركّب المفيد بالوضع) [2]. ثمّ إنّ تعريفاته المتكرّرة للاسم تدلّ على جهده للوصول إلى حدّ منطقيّ جامع مانع»[3].

ويرى الدكتور حسن منديل العكيليّ أنّ النحاة العرب المتأخّرين هم الذين تأثّروا بالمنطق الأجنبيّ، أمّا النحاة القدامى فكانوا متأثّرين بمنطق الفقه الإسلاميّ، حيث يقول : «والحقّ أنّ النحاة العرب المتأخّرين هم الذين تأثّروا بالمنطق الأجنبيّ، وخلطوا بينهما للشبه الكبير بينهما، أمّا النحاة المتقدّمون فقد تأثّروا بمنطق الفقه الإسلاميّ، وطبّقوه على علوم العربية، وهو نابع من منطق العقيدة الإسلامية»[4].

١- الرمّاني النحوي، ص٢٣٠.

٢- الجزوليّ أبو موسى، المقدّمة الجزولية، ص٣.

٣- تاريخ النحو العربيّ، ص٢٦٩، ٢٧٠.

٤- مقال له بعنوان : (النحو بين المنطق والاستعمال اللّغويّ) على موقع (شبكة صوت العربية).

ربّما ينطبق كلامه هذا تماماً على ما قبل القرن الرابع الهجري، أمّا فيه، وفيما بعده فقد ظهر شيء من التلاقي بين الاثنين عند بعض النّحويّين، كما رأينا من نماذج يبدو الاحتكاك فيها واضحاً بين الاثنين.

وعبّر الدكتور العكيليّ عن ما يراه جمهور علماء العربية فيما يخصّ العلاقة بين العِلْمين، قائلاً : «ومهما يكن من محاولات لإخضاع اللّغة إلى المناهج العقلية المنطقية فلا تدرس اللّغة إلاّ بمناهج اللّغويّين. ومن ثمّ يمكن الاستفادة من العلوم الأخرى ومناهجها. إنّ اللّغة لا تصحّ دراستها إلاّ بمناهج اللّغويّين والنحويّين المتقدّمين، ذلك أنّها تخضع لنظام خاصّ بها مرتبط بالأنظمة الأخرى الاجتماعية والثقافية وغيرها. ويمكن الاستفادة من المناهج والعلوم الأخرى، كما أخذ النحاة القدامى من دراسات الأصوليّين والفلاسفة والمناطقة، وكذلك النحاة المعاصرون استفادوا من العلوم المعاصرة. اللّغة نظام لها منطق خاصّ بها يتمثّل في واقعها الاستعمالي، الذي ينأى عن المنطق العلميّ العامّ، والخلط بينهما يؤدّي إلى انحراف الدرس النحوي واللّغويّ ويضرّ بهما»[1].

وهذا الصوت الرافض لدراسة النّحو العربي في ضوء المنطق نجد له جذوراً قويّة قديماً، حتّى بين علماء القرن الرابع الهجري الذي امتدّ فيه سلطان المنطق بقوّة إلى بعض النحويّين الكبار، حسب ما سلف ذكره. فالزّجّاجيّ أبو القاسم (ت٣٣٧هـ) يذكر أنّ :

«الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيّز الفاعل والمفعول به. هذا الحدّ داخل في مقاييس النحو وأوضاعه، وليس يخرج عنه اسم البتّة، ولا يدخل فيه ما ليس باسم، وإنّما قلنا في كلام العرب؛ لأنّا له نقصد، وعليه نتكلّم، ولأنّ المنطقيّين وبعض النحويّين قد حدّوه حدّا خارجا عن أوضاع النحو، فقالوا : الاسم صوت موضوع دالّ باتّفاق على معنى، غير مُقترن بزمان. وليس هذا من ألفاظ النحويّين ولا أوضاعهم، وإنّما هو من كلام المنطقيّين، وإن كان تعلّق به جماعة من النحويّين، وهو صحيح على أوضاع المنطقيّين ومذهبهم؛ لأنّ غرضهم غير غرضنا، ومغزاهم غير مغزانا، وهو عندنا على أوضاع النحو غير صحيح؛ لأنّه يلزم منه أن يكون كثير من الحروف أسماء؛ لأنّ من الحروف ما يدلّ على معنى دلالة غير مقترنة بزمان، نحو : إنّ ولكنّ وما أشبه ذلك»[2].

١- النحو بين المنطق والاستعمال اللّغويّ.

٢- كتابه : الإيضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك. بيروت : دار النفائس، الطبعة الثالثة١٩٧٩م. ص٤٨.

وقد تأثَّر بعض النحاة الشناقطة بالمنطق تأثّراً بيّناً في تحرير المسائل وضبطها ببحوثهم النحوية. وفيما يلي عرض نماذج تفيد ذلك:

- توجد نماذج عديدة من اشتراك بحوث النّحو والمنطق في تأليف محمّد بن سعيد اليدالي الشنقيطي (ت١١٦٦هـ)، الذي وضعه في الفرق بين (الجمع واسم الجمع، واسم الجنس وعلَم الجنس[١])، فمن الفرق بين علَم الجنس واسمه قوله:

«وأمّا اسم الجنس فهو الموضوع للحقيقة الذهنية بلا اعتبار قيد ولا فردية، يخرج بالأوّل علَم الجنس كأسامة فإنّه يعتبر فيه قيد الحضور في الذهن، وبالثاني الجمع واسم الجمع لدلالتهما على الأفراد، ودخل علَم الجنس لأنّه تعتبر أفراده... وأمّا علَم الجنس فهو الموضوع للحقيقة الجنسية الذهنية باعتبار حضورها في الذهن، الذي هو نوع تشخُّص لها مع قطع النظر عن أفرادها كأسامة فيصدق على كلّ أسد في العالَم كان ماضيا أو حاليا أو مستقبلا»[٢].

وقوله: «ومِن الفرق بين علَم الجنس واسمه اعتبارُ وضع الواضع؛ لأنّه إذا استحضر صورة الأسد لها فتلك الصورة المستحضرة في ذهنه جزئية باعتبار تشخُّصها. وبالنسبة إلى الكلّية التي هي مطلق صورة الأسد فإنّ هذه الصورة واقعة لهذا الشخص في زمان، ومثلها يقع في زمان آخر، وفي ذهن شخص آخر، والجمع مشترك في مطلق صورة الأسد. وهذه الصورة جزئية في مطلق صورة الأسد بالنسبة إلى الكلّية، أي بالنسبة إلى مطلق صورة الأسد، فإن وُضع لها من حيث خصوصيتها فهو علَم الجنس، أو من حيث عموميتها فهو اسم الجنس، وفي كلام سيبويه إيماء إلى هذا الفرق»[٣].

فهذا بحثٌ مُوغِل في عِلْم المنطق، إذ هو من بحوث المناطقة، الذين يضعون عادة فصلا في (الفرْق بين علَم الجنس واسمه)[٤].

١- مخطوط، مودَع بمخطوطات المعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم١١٦.

٢- ص٦، من المخطوط.

٣- ص١١، من المخطوطة.

٤- رفْعُ الأعلام على سُلَّم الأخضري، وتوشيح عبد السلام في علم المنطق، ص٤٣.

- من هذه التحقيقات عند الشناقطة، التي يلتقي فيها الاثنان، مكتوبٌ، ما فيه منسوب للشيخ مَـحَـنْـضْ بابا بن اعبيْد الديماني (ت١٢٨٧هـ) في (أل). يقول فيه : «وحاصل التحقيق أنّ (ألْ) إمّا للإشارة إلى الحقيقة المطلقة، أو للحقيقة في ضمن جميع أفرادها، أو للحقيقة في ضمن فرد مُبْهَم، ونظير مدخول الأولى علَم الجنس، والحكم عليه قضية طبيعية عند المناطقة، ونظير مدخول الثانية (كلّ) مُضافة إلى نكرة، والحكم عليه قضية كلّية، ومدخول الثالثة نكرة معنى، والحكم عليه قضية مُهملة»[1].

هذه النّماذج تفيد بوضوح تأثّر بعض النّحاة الشناقطة بعلم المنطق تأثّراً بالغاً، وإن كانوا قليلين، بإزاء الجمهور، الذين درسوا النّحو دراسة عربية خالصة، في أحضان القرآن الكريم، من أجل خدمته، من جميع الجوانب، وفي الحقول المتنوّعة.

١- يراجع بحث : (النّحو في النوادي الشنقيطية)، ص١٥٧

الباب الرّابع

الوضع الرّاهن للّغة العربية ببلاد شنقيط

الفصل الأوّل : الوضع الرّاهن للنّحو العربيّ ببلاد شنقيط، ودخول اللّسانيات إليها

الفصل الثـــاني : المجال التركيبيّ

الفصـــل الثالث : المجال الصرفيّ

الفصل الرّابـــع : المجال الصوتيّ

الفصل الخامس: المجال الدلاليّ

تمهيـــــــــد

يرى بعض الباحثين[1] أنّ اصطلاح (العصر الرّاهن)«اصطلاح جديد، يعني الفترة التي أعقبت الحرب العالمية، أو نهاية الحرب الباردة. ويمكن أن تكون بدايته الفعلية في موريتانيا بقيام الدولة الوطنية سنة ١٩٦٠م».

وأرى أنّ هذا التحديد يتناسب إلى حدّ كبير مع ما نحن بصدده من الحديث عن الفصحى، ورصْد ازدحام اللّهجات الوطنية، ولغة المستعمر معها، وما هو حاصلٌ بينها، وبينهما من احتكاك وتأثير وتأثُّر.

حيث العربية الفصحى هي اللّغة الرسمية لبلاد شنقيط، وهو ما أكّده دستور ١٩٩١م، الذي نصّ في مادّته الأولى على أنّ اللّغة العربية هي اللّغة الرسمية الوحيدة للبلاد[2]. وهي مستخدمة في محاضرات أساتذة الجامعات في العلوم الإنسانية، الذين يحرصون على تحريرها، وتقديمها لطلاّبهم بالفصحى، وعند المثقّفين في الندوات العلمية والفكرية، ومقالات الصحفيّين، والنشرات الإخبارية، المقروءة والمكتوبة.

كما يوجد بين العلماء في هذه الحقبة مَن حافظ على إلقاء محاضراتهم بها، من أمثال الشيخ محمد سالم بن عدّود (ت١٤٣٥ه)، والعلّامة الشيخ محمّد الحسن بن الددو، والشيخ أحمدّو بن المرابط، إمام الجامع الكبير بانواكشوط، مثلاً. كما أنّ المناهج الدراسية في جميع المستويات، من الابتدائية إلى الجامعة في التخصّصات الإنسانية مكتوبة بالفصحى، التي تحظى بحبّ الشناقطة، وعشقهم إيّاها إلى حدّ كبير، ممّا جعلهم يُجلّون الماهرَ في تطبيق القواعد النحوية أثناء الحديث بها أيّما إجلالٍ، ويقدّرونه تقديرا خاصّاً، ويكرهون اللّاحن فيها، ويسقط من عيونهم، معرّضاً نفسه للسخرية والاستهزاء.

وقد انتشرت العربية الفصحى في كامل ربوع القطر الشنقيطي، منذُ انتشار قبائل بني حسّان العربية بالصحراء الشنقيطية في القرن الثامن الهجريّ، كما سبق الحديث في التمهيد، ثمّ ازدهر الأدب العربي المكتوب بها ازدهاراً كبيراً، ممّا أسهم في ارتـقاء مقامها، من حيث هي لغة هذا الأدب الوحيدة في البلد، بغير منازع، وساعد على اتّساع دائرة

١- كالدكتور حماه الله بن السالم، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص١٤.

٢- محمد لكبيد بن حمديْتْ، المفتّش العامّ للتعليم سابقا، التعليم الموريتاني من المحظرة إلى المدرسة الحديثة، أيّ مسيرة لبناء النّخب؟. ص٨٢.

نفوذها أنّها أصبحت في البلاد لغة فصحى في درجة ثابتة، كاملة الحلقات. ويُعدّ فصيحا فيها مَن سلم من الخطإ بمراعاة الإعراب والتصريف، ولاحظ قواعد العربية في صوْغ الأفعال والأسماء، وتجنّب العبارات الدارجة في اختيار الألفاظ، لذلك غدتْ حذقا فـنّيا يُحسنه المرء على تفاوت كبير في الدجات والمراتب[1].

ومع ذلك فإنّ الصراع بقي مُحتدِما بينها وبين اللّهجة الحسّانية، الملحونة من العربية، وبينها وبين الفرنسية، الذي نتج عنه استخدامهما معاً في كثير من المواطن، أكثرها حساسيةً وخطورةً إحلالُ لغة المستعمر الفرنسية محلّها في الإدارات الحكومية، إذ أصبحت – الفرنسية – لغة الإدارة المكتوبة، وهو أمر سبّب إحراجاً كبيراً، وأسَفاً بالغاً لغالبية الشعب الشنقيطي، الذي ثمانون في المائة منه من العرب، النَاطقين بالعربية، ممّا جعل البعض منهم يستشعر خطرا كبيراً، يهدّد قدسية الفصحى، ومكانتها[2].

الفصل الأوّل : الوضع الرّاهن للنّحو العربيّ ببلاد شنقيط، ودخول اللّسانيات إليها

أوّلاً : الوضع الرّاهن للنّحو العربيّ ببلاد شنقيط : سيكون الحديث في هذا المحور عن النقاط الموالية :

- النّحو كمادّة للتدريس في المحاظر والمدارس الثانوية.
- النّحو والنظرية اللّسانية : المؤيّدون والمعارضون.
- النّحو ومستويات الكفاية في البحث اللّساني.

أ – النّحو كمادّة للتدريس في المحاظر والمدارس الثانوية :

١ – **النّحو في المحاظر**: انحسر ازدهارُ نشاطِ التأليف في النحو العربي ببلاد شنقيط بشكل كبير في القرن الخامس عشر الهجري، واقتصر جهد الباحثين فيه على مراجعة التراث وتمحيصه، كما سلف ذِكْره في نهاية الفصل الأوّل من الباب الثاني، واعتنى العلماء والدارسون بدراسته وهضمه، وتدريسه في المحاظر، التي تقلّص عددها، وقلَّ تميُّز الباقي منها في البلاد بشكل ملحوظ، وذلك

---

١ – يوهَارفكِ، العربية دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب، ص١٦٧ – ١٦٩ .

٢ – المصدر والصفحة نفسها.

بسبب عوامل التحضّر، والجفاف المستمرّ، والهجرة من الريف إلى المدينة، ومزاحمة التعليم العصري الشديدة، والبحث عن الوظائف، وعدم اعتناء الدولة الرسمية بالمحاظر وتراثها، وكَثرة المغريات، غير أنّ تعلُّق الشناقطة بأمجاد المحظرة، وحبّهم الكبير لتراثها الشامخ ظلّا صامدين أمام هذه العوامل، فبقي الاعتناء بالنحو مستمرّا على استحياء بين العلماء والدارسين، مع شيء من التفاوت في المحاظر، حيث الاهتمام به يتمركز أكثر في محاظر المنطقة الغربية الجنوبية (القبلة)، علاوةً على العاصمة انواكشوط.

ودراسة النحو الآن في المحاظر تتمّ على ثلاثة مستويات، المستوى الابتدائي، الذي يدرُس فيه الطّلاّب نظْم الأجرّومية، المسمّى(عُبَيْد ربِّه) لمحمد بن أُبّه المزمري التّواتي(ت١١٦٠هـ)، وأصل هذا النظْم (متْن الأجرّومية)، لعبد الله بن أجروم الصنهاجي، الفاسي(ت٧٢٣هـ)، والمستوى المتوسّط، الذي يدرسون فيه أحياناً مُلحة الإعراب، لأبي محمّد القاسم بن علي، الحريري البصري، (ت٥١٦)، وأحياناً قطْر الندَى، لابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، والمستوى العالي التخصُّصي، الذي يدرسون فيه ألفية ابن مالك(ت٦٧٢هـ) في النحو، ولامية الأفعال في التصريف له، وفي محاظر المنطقة الغربية الجنوبية (القبلة) غالباً ما تُدرَس في هذا المستوى الألفيةُ، ممزوجةً باحمرار المختار بن بونا(ت١٢٢٠ أو١٢٣٠هـ)،ولاميةُ الأفعال، ممزوجةً باحمرار الحسن بن زين (ت١٣١٥هـ).

وقد ينتقل الطّلاّبُ مباشرةً من المستوى الابتدائي إلى العالي، دون المرور بالمستوى المتوسّط، وذلك فيما إذا استوعب الطّالب المرحلة الابتدائية استيعابا جيّدا يؤهّله لولوج مرحلة التخصُّص العالي. ويُلحظ في هذه الحقبة اختفاءُ ألفيةِ السيوطي (ت٩١١هـ) الفريدةِ من المناهج النحوية بالمحاظر الشنقيطية، بعد ما كان لها حضور كبير في محاظر ولاتة وتيمبكتو بالمنطقة الشرقية. أمّا طريقة الأخْذ عن الشيوخ فهي كما كانت، حيث يتحلّق الطُّلاّب بألواحهم حول شيخ المحظرة، الذي يأخذ في الشرح المناسب لطالب كلّ مرحلة، وهم فرادَى، واحداً بعد واحد، مقدّماً الدروس لوجه الله، لا يملّ ولا يكلّ، وتستمرّ العملية التدريسية طيلةَ الأسبوع الدراسي، باستثناء عطلة الأسبوع الاستجمامية، التي عادةً ما تبدأ من ضَحْوة يوم الأربعاء إلى منتصف يوم الجمعة.

ذلك هو النحو في مؤسّسة المحظرة العتيقة، ويوجد اليوم من المؤسّسات التعليمية ما تجمع بين الأصالة والعصرنة، حيث تُقدّم مقرّراتها في ثوب عصريّ على منوال المؤسّسات العصرية، مع التزامها بمقرّرات المحظرة المتعدّدة، التي من ضمنها المتون النحوية سالفة الذكر. من أبرز هذه المؤسّسات المعهدُ العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وهو المؤسّسة الوحيدة المعترف بها من الدولة ضمن هذه المؤسّسات، ومعهد ابن عبّاس، والمحظرة النموذجية لتكوين العلماء، التي يوجد بها فصل تمهيدي لإعداد الطّلاّب للمساهمة في المسابقة السنوية لدخول المؤسّسة، ومركز تكوين العلماء، الذي توجد به مرحلتان : متوسّطة، ومتخصّصة عالية، في مستوى الجامعة. وهذه المؤسّساتُ تستقبل الطّلاّبَ سنوياً عن طريق مسابقات، وبعد أربع سنوات من الدراسة والاختبارات، وإكمال المقرّرات تمنح خرّيجيها إجازات عالية، وهي تقدّم لطلاّبها مِنَحا مالية، وبعضها - مثل مركز تكوين العلماء - يـُوفِّر لهم السكنَ والمعاش، وتوجد كلّها بالعاصمة انواكشوط.

٢- **النحو في المدارس الثانوية** : تبدأ دراسة النحو ببلاد شنقيط في التعليم العصريّ بطريقة مبسَّطة من السنة الرابعة الابتدائية، مُتدرّجةً عمودياً، إلى أن يُقدَّم النحوُ دروساً متكاملة، في السلك الأوّل الثانوي (الاعدادية، بسنواتها الأربع)، شاملةً أبوابَ النحو الأساسية، بحيث لا يُنهِي الطالب هذه المرحلة حتّى يكون في الغالب متمكِّنا من ناصية الإعراب، مع الإمام الجيّد بقواعده وجزئياته، مستعينا بمحفوظاته من اللّغة والأدب، التي عادة ما تركّز المؤسّسة على تزويده بها في هذه المرحلة بشكل متميّز، يؤهّله تأهيلا جيّداً لولوج أقسام اللغة العربية في التعليم الجامعي ببلاد شنقيط، التي يُقدَّم النحوُ العربي اليوم فيها غالباً باستيعاب شديد، وتركيز متين، مع الاعتناء الخاصّ بألفية ابن مالك ولامية الأفعال له وشروحها، إذ لهذه التآليف حضور كبير بهذه الأقسام.

وتُقدّم مسائل النّحو هذه في (السلك الأوّل الثانوي : الاعدادية، بسنواتها الأربع) ضمنَ مُقاربة الكفايات لتعليمٍ مُندمِج ناجح. فقد جاء في ديباجة المفتّشية العامّة للتهذيب الوطني، التعليم الثانوي، منهاج اللّغة العربية، السلك الأوّل، سنة ٢٠١٤م. ما يلي :

« الكفايات والتعلُّم» : في المقاربة بالكفايات فترتان للتعلّم :

- فترة التعلّم المنتظم (تعلّم المعارف والمهارات والسلوكات).

- فترة نشاطات الاندماج.

أ- **تعلّم المعارف والمهارات والسلوكات** : إنّ المقاربة بالكفايات تتابع تنمية المعارف والمهارات والسلوكات، كما كان عليه الحال في مقاربات .. أخرى مع التأكيد على الفوارق الثلاثة الآتية :

- تعطى الأولوية لتنمية المعارف والمهارات والسلوكات التي تتعلّق بالكفاية، أمّا غير المتعلّقة بها، فتعتبر ثانوية. ولايتمّ تناولها إلا إذا أتقن التلاميذ كلّ الكفايات.

- تحاول قدر الإمكان أن تجعل التعلّم ذا معنى ببيان فائدته، وتصل بالتلميذ إلى تركيب المعارف والمهارات والسلوكات فيما بينها بشكل تدريجيّ.

- تُـنَـمّى المعارف والمهارات والسلوكات خلال(٧٥ في المائة) من الزّمن (مدّة ثلاثة أسابيع من أربعة مثلا ليبقى من الوقت ما يكفي لإدماج المكتسبات فعليا)...»[١].

أمّا السلك الثاني الثانوي (السنوات الثلاث النهائية) فلا تُقدّم فيه مسائل نحوية جديدة، بل يُكتفى فيه ضمنَ تحليل النصوص الأدبية، بتطبيق ما تمّت دراسته من القواعد النحوية في السلك الأوّل. وهو ما أُشيرَ إليه في نقطتين من نقاط محور التوصيات، الواردة في مقدّمة برنامج اللّغة العربية للسلك الثاني،من التعليم الثانوي : «تنـمية رصيده (التلميذ) اللّغوي، ومعارفه النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية... المراجعة الدائمة للقواعد في موادّها المختلفة عند دراسة النصّ»[٢].

ب - **النحو والنظرية اللّسانية** : المؤيّدون والمعارضون : يُلحظ أنّه لّما تتبلور بعدُ ببلاد شنقيط نظرية لسانية معاصرة، مع كثرة المختصّين من أساتذة جامعيّين في اللّسانيات المعاصرة، درسوا هذا التخصّص في جامعات عربية وأجنبية، ثمّ عادوا إلى حقل التدريس والبحث الأكاديميّ في مؤسّسات التعليم العالي بالوطن. بل ما

١- وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، مجموعة أساتذة، المفتّشية العامّة للتهذيب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللّغة العربية، منهاج اللّغة العربية للسلك الأوّل، سنة ٢٠١٤م. ص٥.

٢- وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، مجموعة أساتذة، المفتّشية العامّة للتهذيب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللّغة العربية، برنامج اللّغة العربية للسلك الثاني، سنة ٢٠٠٩م. ص٤.

هو حاصل في هذا الإطار ببلاد شنقيط اليوم هو أنّ المختصّين في اللّغويات العربية ينقسمون إلى قسمين اثنين، أوّلهما : مؤيّد، غير أنّه لم يُكوِّن نظرية لسانية، وثانيهما : معارض معارضة صامتة، غير صريحة. وفيما يلي تبيان ذلك :

القسم الأوّل : أصحاب هذا القسم مؤيّدون للنّظريات اللّسانية المعاصرة، غير أنّ أيّاً منهم لم يقدّم لنا نظرية لسانية خاصّة به، يتبنّاها ويدافع عنها، فنجدهم جميعا يستعرضون النظريات اللّسانية المعاصرة جميعها عند الحديث عن مستويات البحث اللّسانيّ وقضاياه، وهو أمرٌ من شيوعه عندهم لا يحتاج إلى تدليل. وإن كنّا قد نلمح عند بعضهم الميل إلى النظرية التوليدية. لنوازِن مثلاً بين نصّين اثنين للأستاذ المختار الجيلاني الشنقيطي عن النظريتين : البنيوية والتوليدية، حيث يقول عن الأولى : «بهذه الأفكار قاد سوسير البحث في اللّغة إلى حقله الحيوي، جاعلاً من نفسه مؤسِّسَ اللّسانيات الوصفية البنيوية. لقد جاءت آراؤه بحقّ متألّقة وقويّة بحيث جذبت أسسها النظرية كلّ المهتمّين بالبحث العلميّ في مختلف الدراسات ذات الصلة باللّغة، سواء في ذلك من خضعوا ومن لم يخضعوا لتأثيرها بصورة مباشرة»[1].

وعن الثانية : «ولقد جاءت مظاهر الاحتفاء باللّسانيات التوليدية التحويلية كبيرة وواسعة، فقد تغلغل منهجها في علم اللّهجات والدراسات الدلالية والبراجماتية، ودراسة صيغ الكلمة، وتاريخ اللّغة، كما بدأ استثمار منجزاتها في البحث الصوتي والترجمة الآلية بنجاح باهر. وفي مجال الدراسة الأدبية نرى تقبّلا واسعا للطريقة التوليدية التحويلية في تحليل التراكيب النحوية، وتعاطيا حيّا لمفردات الجهاز المفهومي والإجرائي الذي اجترحه تشومسكي وأتباعه بين المنشغلين بالموضوعات الأدبية تنظيرا وتطبيقا»[2].

فبالموازنة بين النصّين نجد ميلاً واضحاً إلى النظرية التوليدية التحويلية.

ولنأخذ مثالاً آخر عند الدكتور يحيى بن محمّدن الهاشمي الشنقيطي لدى حديثه عن مستوى (التركيب)، يقتصر فيه على مفهومه عند التوليديّين، مُكتفياً فقط بالإشارة إلى المدارس الأخرى، حيث يقول : « بعد هذه الرحلة الطويلة ينبثق الفكر اللّسانيّ الغربي

١- الخطاب الشّعريّ الحَدَاثيّ في موريتانيا دراسة في أجرّوميّة النّصّ. موريتانيا، ص٤٩، ٥٠.

٢- المصدر نفسه، ٥٩.

في مدارس متعدّدة، كان أشهرها إلى اليوم مدرسة تشومسكي التحويلية التوليدية. تقوم هذه المدرسة على جهود تشومسكي، وتجمع هذه المدرسة بين خلفيات متعدّدة، منها اعتبارات جديدة : ميزان الحدس مقياسا لمقبولية الإنحاء (المتكلّم المستمع المثالي للغة ما : مرجعا معتمدا)، تحويل موضوع الدراسة اللّسانية إلى دراسة الطاقة الخلّاقة في الإنسان.. إلخ»[1].

فهذان المثالان يفيدان بوضوح أنّ القوم وإن كانوا لم يكوّنوا لأنفسهم نظرية لسانية معاصرة، إلّا أنّهم يناصرون النظرية اللّسانية التوليدية بوضوح، مُكثرين من الإشادة بها والتنويه.

القسم الثاني : أصحاب هذا القسم معارضون معارضة صامتة، غير صريحة، وهؤلاء يمثّلون غالبية المختصّين في اللّغويات العربية، فنجدهم يتجاهلون الخوض في الحديث عن النظريات اللّسانية المعاصرة، وقد يصارحوننا في أحاديثهم الخاصّة بأنّ كلّ ما في هذه النظريات هو موجود في النحو العربي منذ ما يزيد على ألف عام، في نظرية النحو التركيبي عند أبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، وأنّ النّحو العربي قام بوظيفته، وأدّاها كما ينبغي عبر العصور، قبل ظهور اللّسانيات المعاصرة، وأنّ كثيراً من المختصّين فيها هم مقلّدون لنظريات أجنبية، ويُمعِنون في هدم بنية النحو العربيّ القديم. لذلك نجد علماء كباراً شناقطة، مختصّين في النحو، مؤلّفين فيه، لايعرّجون في تآليفهم على ذكر هذه النظريات، من هؤلاء مثلاً العلّامة الموسوعيّ المختار بن حامدن(ت١٩٩٣م)، في كتابه : (حياة موريتانيا الثقافية)، والأستاذ النحويّ الأديب الخليل النحويّ (حيّ)، في كتابه : (بلاد شنقيط المنارة والرباط)، اللّذان خصّصا مساحاتٍ واسعةً للنّحو والنحاة ببلاد شنقيط في هذين التأليفين، دون الإشارة إلى أيّ نظرية لسانية.

وقد يتحدّث عنها أحدهم حديثا علميّاً موضوعياً، دون أيّ تَبَنٍّ، أو انتصارٍ لها، بل يُفهم من ثنايا حديثه أنّه مُتوجِّس منها على تغيير البنية النحوية القديمة، وغير متحمّس لها، وأنّ حاجة الدرس النحويّ القديم إليها ليست بملحّة، وإن كانت مُمكنة. ويمكن أن يكون الأستاذ الكبير الدكتور محمد المختار بن أبّاه ممثّلاً لهذا المنحى، بقوله :

١ – محاضرات في اللّسانيات والعربية. انواكشوط : دار الفكر، منشورات اتّحاد الأدباء والكتّاب الموريتانيّين. ص٦٥، ٦٦.

«وهذه المقتطفات التي أوردناها تدلّ على وجود نشاط يسعى القائمون به إلى وضع أسس لقواعد مشتركة بين اللّغة العربية واللّغات الأخرى، وليس من المستبعد أن يُفيد اللّسانيّين العربَ في دراسة مباحث الدلالة، وأصول النحو في التراث العربي، وأن يُعين النحاةَ العرب المعاصرين على التدقيق في خصائص اللّغة، وعلل القواعد النحوية، أمّا كون هذا النشاط سوف يُغيّر من البنية النحوية التقليدية للّغة العربية فهذا ما لا نتوقّعه ولا نرجوه»(١).

ج - **النّحو ومستويات الكفاية في البحث اللّساني** : مع أنّه لّما تتبلور بعدُ ببلاد شنقيط نظرية لسانية معاصرة، فإنّ بعض أساتذة الجامعات اليوم ببلاد شنقيط يهتمّون في بحوثهم اللّسانية بتوظيف النّحو في إطار مستويات الكفاية في البحث اللّساني. وذلك باعتبار الكفاية في البحث اللّساني «التمكُّن من اللّغة والقدرة على استعمالها»(٢) أو «مجموع المعارف اللّسانية لدى المخاطب، تمكّنه من فهم وإنتاج عددٍ لانهائيّ من الجمل»(٣)، ومستوياتها في البحث اللّساني هي : الكفاية في ملاحظة الظاهرة المدروسة، والكفاية في وصفها، والكفاية في تجريدها وتفسيرها.

إنّ مصطلح الكفاية كما يقول الدكتور محمّد يونس علي : « قد ارتبط باللّسانيّ المشهور تشومسكي ضمن ثنائيته المشهوة : الكفاية والأداء»(٤).

الذي يؤطّره تشومسكي نفسه في الإطار التراتبي لهذه الكفايات بشكل ملحوظ في قوله مثلاً : «ويتحقّق المستوى الأدنى من النجاح إذا قدّم النحوُ المادّةَ الأولية الملاحَظة تقديما سليما، ويمكن بلوغ المستوى الثاني والأعلى من النجاح عندما يُقدِّم النحوُ تفسيرا سليما للحدس اللغوي للمتكلّم السليقيّ، ويُحدِّد النحو كذلك المادّةَ الملاحظَة، ولا سيما من حيث التعميمات المهمّة التي تكشف عن الاطّرادات الأساسية في اللّغة. ويمكن بلوغ المستوى الثالث والأعلى على الإطلاق من النجاح عندما تُقدِّم النظريةُ اللّسانيةُ المعنيةُ أساسا عامّا لاختيار القواعد التي تحقّق المستوى الثاني من النجاح على حساب

١- تاريخ النحو العربي، ص٥٦٠.

٢- عن مقال للدكتور محمد محمد يونس علي، بعنوان : الكفاية اللّـغوية والكفاية التخاطبية. على الشبكة المعلوماتية.

٣- عن مقال على الشبكة المعلوماتية، بعنوان : الكفاية ومفاهيمها. والتعريف أصلاً منقول عن الدكتور محمد الدريج المغربي، من كتابه : الكفايات في التعليم من أجل تأسيس علميّ للمنهاج المندمج.

٤- عن مقال للدكتور محمد محمد يونس علي، بعنوان : الكفاية اللّـغوية والكفاية التخاطبية. على الشبكة المعلوماتية.

قواعد أخرى منسجمة مع المادّة الملاحظَة ذات الصلة، لكنّها لا تحقّق هذا المستوى من النجاح. وفي هذه الحال نقول : إنّ النظرية اللّسانية المعنية تقترح تفسيرا للحدس اللّغوي للمتكلّم السليقيّ» [١].

بما أنّ الأمر كذلك فإنّ بعض الباحثين الأكاديميّين الشناقطة حاولوا مثلاً تحليلَ هذا التوجّه التشومسكي وتعميقه. وهم من أمثال الأستاذ المختار بن محمّد الأمين بن الجيلاني الشنقيطي، الأستاذ بجامعة انواكشوط، في قوله :

«يرى تشومسكي أنّ للّغة جانبين : جانباً سمّاه : (البنية العميقة) (deep structure)، وجانبا ثانيا، سمّاه : البنية السطحية (surfacestructure)». ويمثّل الجانب الأوّل ما يعرف بالطاقة أو الكفاية، وهي معرفة الإنسان العقلية بالقواعد النحوية غير الخاضعة للملاحظة، التي تجسّد مقدرته الإبداعية، التوليدية على إنتاج عدد غير محدود من الجمل، التي لم يستخدمها بالضرورة، أو يسمعها من قبل، وفهم هذه الجمل. أمّا الجانب الثاني فيمثّل ما يعرف بالأداء (performance)، أي الناتج الفعلي المولّد عن الطاقة بوساطة قواعد تحويلية معيّنة. وهذا الاستخدام الفعلي للّغة هو الذي يمكن الاستعانة به للكشف عن الجملة غير الظاهرة، على مستوى البنية السطحية، والمتضمّنة في البنية العميقة...»[٢].

كما نجد الدكتور يحيى بن محمّدن الهاشمي الشنقيطي، الأستاذ بجامعة انواكشوط أيضا يسير في هذا المنحى، موظِّفاً النحو بشكل واضح في إطار مستويات الكفاية في البحث اللّساني. حيث يقول :

«على النظرية اللّغوية أن تُقدّم تعريفا لمفهوم النحو، أي تخصيصا لطبقات الأنحاء الممكنة، والنظرية اللّغوية لا تكون كافية وصفياً إلّا إذا قدّمت نحوا كافيا لكلّ لغة طبيعية، ويتوقّف ذلك على بناء نظرية لغوية عامّة تحدّد العناصر المشتركة بين كلّ اللّغات البشرية، وتقوم بإقصاء اللّغات المتخيّلة. أو بتعبير آخر تقوم بتحديد الكلّيات اللّغوية بفرز الجزء المكتسب من الملكة اللّغوية عند الفرد من الجزء الفطري الموروث. وبما أنّ النحو يمكن اعتباره نظرية للّغة فإنّ النظرية لكي تكون كافية وصفيا لابدّ أن

١- عن مقال للدكتور محمد محمد يونس علي، بعنوان : الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية الموجِّهة لاِتّجاهات المدارس اللّسانية في القرن العشرين. على الشبكة المعلوماتية.

٢- كتابه : الخطاب الشّعريّ الحَدَاثيّ في موريتانيا دراسة في أجرّوميّة النّصّ، ص٥٨، ٥٩.

تصِف وصفا صحيحا المقدرةَ الباطنية للمتكلّم الأهلي المثالي، ويجب أن يوافق الوصف البنيوي للجمل في مستوى الكفاية الوصفية حدس المتكلّم اللّغوي، وذلك بأن يميّز النحوُ تمييزا واضحا بين الجمل السليمة والجمل المنحرفة في تركيبها النحويّ»[١].

فهذا تحليل معمّق من القوم يستند بشكل واضح إلى توظيف النّحوِ في مناقشة مستويات الكفاية في البحث اللّساني.

ثانــياً: دخول اللّسانيات إلى بلاد شنقيط : علْم اللّسانيات الحديثة علْم جديد ببلاط شنقيط، بدأ ظهوره بها في ثمانينيات القرن الماضي بعد إنشاء جامعة انواكشوط سنة ١٩٨١م، وقدوم أساتذة شناقطة للتدريس بها، مختصّين في اللّسانيات الحديثة، بعد حصولهم على درجات الدكتوراه والماجستير من بعض الجامعات العربية والأجنبية.

فمِن أبرز جيل الرواد الذين قاموا بإلقاء الدروس اللّسانية بجامعة انواكشوط : الدكتور جمال بن الحسن (ت ٢٠٠١م) الذي قام بعد حصوله على شهادة الدروس المعمّقة (في درجة الماجستير) من الجامعة التونسية سنة١٩٨١م، على دراسته : (أسلوب محمّد بن الطلبة اليعقوبي) بإلقاء محاضراتٍ في اللّسانيات بجامعة انواكشوط سنة ١٩٨٣م[٢]. والدكتور أحمد بن امبيريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، الذي قام بعد حصوله أيضاً على شهادة الدروس المعمّقة من الجامعة التونسية سنة ١٩٨١م، على بحثه : (صورة بخيل الجاحظ الفنّية في كتاب البخلاء) بإلقاء محاضراته في اللّسانيات بجامعة انواكشوط سنة ١٩٨٣م. فهما زميلان في الدراسة، متعاصران. وتجدر الإشارة إلى أنّ الاختصاص الدقيق لهذين الأستاذين ليس اللّسانيات، بل الأوّل مختصّ في الأدب، والثاني في النقد، إلّا أنّه كانت لهما فيما يبدو ثقافة متمكّنة في اللّسانيات، علاوةً على اختصاصهما الدقيق، وذلك بواقع تلمذتهما في الدراسات العليا على أستاذ الأسلوبية الكبير التونسي الدكتور عبد السلام المسدّي[٣].

١- كتابه : محاضرات في اللّسانيات والعربية، ص٦٤.

٢- مقابلة مع الدكتورة مريم بنت الشيخ، الأستاذة بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٠٦/ ١١/ ٢٠١٤م. والدكتور أحمد بن امبيريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٤م.

٣- مقابلة مع الدكتور أحمد بن امبيريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٤م.

ثمّ بعد جيل الرواد نصادف جيلاً آخر يُعدّ الرعيل الأوّل من المختصّين في اللّسانيات، من أبرزهم : الدكتور يحيى بن البراء، الذي تحصّل على شهادة الدروس المعمّقة سنة ١٩٨٥م، من جامعة محمد الخامس بالمغرب، على رسالته (صفة فعَل في اللغة العربية دراسة وصفية)، ثمّ أخذ في إلقاء محاضراته في تخصّص اللّسانيات بجامعة انواكشوط السنة الدراسية ١٩٨٦/ ١٩٨٧م. كما تحصّل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها سنة ١٩٩٠م. على أطروحته (صورة الهمزة في اللّغة العربية وتطبيقاتها الصوتية)[١].

وفي سنة ١٩٨٦م تحصّل الأستاذ يسلم بن حمدان على شهادة الدروس المعمّقة في النّحو العربيّ، من جامعة محمّد الخامس بالمغرب، على رسالته (العمل والرّتبة عند نحاة العرب)، ثمّ أخذ في إلقاء محاضراته في مجال اللّسانيات بجامعة انواكشوط في السنة الدراسية ١٩٨٦/ ١٩٨٧م[٢].

وفي سنة ١٩٨٣م حاز الدكتور يحيى بن محمّدّن الهاشمي شهادة الدراسات المعمّقة في اللّسانيات من جامعة تونس، ثمّ قام فيما بعدُ بإلقاء محاضراته في التخصّص نفسه[٣]. وهو صاحب كتاب : (محاضرات في اللّسانيات العربية).

هؤلاء هم الرعيل الأوائل الذين دخلت اللّسانيات الحديثة على أيديهم بلاد شنقيط، في ثمانينيات القرن الماضي، وانتشرت بجهودهم في مؤسّسات التعليم العالي، عن طريق المحاضرات والتأليف والمقالات، وتكليفِ طلاّبهم بإعداد البحوث الميدانية ورسائل التخرّج، ثمّ تتابَع قدومُ أجيال أخرى إلى مؤسّسات التعليم العالي بالبلد من الأساتذة المختصّين في هذا الحقل، من أبرزهم الدكتور المختار الجيلاني، الأستاذ بجامعة انواكشوط، صاحب كتاب (الخطاب الشعريّ الحَـدَاثـيّ في موريتانيا دراسة في أجرّومية النّصّ).

١- مقابلة معه في جامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠١٤م.

٢- مقابلة معه أيضاً في جامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠١٤م.

٣- مقابلة معه بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٤م.

الفصل الثاني : المجال التركـيـــبيّ

التركيب النّحويّ في الاصطلاح هو «علم الأساليب، أو الجُمَل، أو التراكيب، بحيث مِن تَضامّ الأدوات والكلمات تنشأ التراكيب اللّغوية، وهي الوحدات التعبيرية التي لا يحصُل التفاهم من دونها... فما التركيب إذن إلاّ ألوانٌ من العلاقات تقوم بين أجزائه بحيث لو تغيَّرت واحدة منها أدّى ذلك إلى اضطراب الدّلالة أو تغيُّرها.. علم النّحو هو علم التركيب، وهذا يعني أنّه لا يدرس الكلمات نفسها، بل علاقات بعضها ببعض في التركيب اللّغويّ» [١].

فعلم التركيب في اللّغات البشرية له نظام صارِم ودقيق، كما عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) بقوله: «والألفاظ لا تفيد حتّى تؤلّف ضربا خاصّا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنّك عمدت إلى بيت شعْر أو فصْل نثْر فعددت كلماته عدّا كيف جاء واتّفق، وأبطلت نَضْدَه ونظامه الذي عليه بُني، وفيه أفرِغ المعنى وأجرِي، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد... وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركّبة، وأقسام الكلام المدوّنة» [٢].

فالتركيب بين الألفاظ يؤدّي إلى ألوانٍ من العلاقات والأنساق الخاصّة، كما يُظهر الإسناد والتعدية في الأساليب والجُمَل. يقول الدكتور محمّد خير حلواني: «فحين يقول: هذه مفعول به، وتلك فاعل، فإنّه يوضّح علاقة كلّ منهما بالفعل، فالمصطلح (فاعل) يعني أنّ الكلمة تتعلّق بالفعل بعلاقة الإسناد، والمصطلح (مفعول به) يعني أنّها تتعلّق بالفعل بعلاقة التعدية، وهكذا يحدّد العلاقات الزمنية والمكانية.. إلخ»[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنّ اللّسانيات الحديثة علْـمٌ جديد ببلاد شنقيط - كما سبقت الإشارة ــ ظهر بوضوح مع إنشاء أوّل جامعة بالعاصمة انواكشوط سنة١٩٨١م، على أيدي أساتذة جامعيّين تخصّصوا في اللّسانيات بجامعاتٍ خارج البلاد. وفيما يخصّ المستوى النحوي التركيبي اهتمّ الباحثون الشناقطة بتطبيقه على نصوص شعرية

١- محمّد خير حلواني، المعنى الجديد في علم الصرف. ص١٠، ١١، ١٢.

٢- أسرار البلاغة في علم البيان، تعليق السيّد محمّد رشيد رِضَا. ص٢،٣.

٣- المعنى الجديد في علم الصرف، ص١٣.

فصيحة من الشعر الشنقيطي، واللّهجة الحسّانية الملحونة من الفصحى بشكل أقلّ، ولغة الصحافة. وفيما يلي تبيان ذلك :

أوّلاً- الدكتور يحيى بن محمّدّنْ الهاشمي في كتابه : (شعر المقاومة الموريتانية ضدّ الاستعمار الفرنسي من ١٨٥٤ إلى١٩٦٠م)[١] الذي قام فيه بانتقاء ثلاث قصائد شعرية شنقيطية، تمثّل المقاومة الثقافية، والمقاومة المسلّحة، والمقاومة السياسية، جاعلاً إيّاها عيّناتٍ للدراسة والتحليل، معتنياً بتحليل المستوى التركيبي فيها، وإن بشكل مقتضب. وسنقف فيما يلي على نموذج يبيّن جهد الهاشميّ، ومنهجه في تحليل المستوى النحوي، بنصّ(المقاومة السياسية) للمختار بن ابلول الحاجي (ت١٣٩٨هـ)، بعنوان : (الحدائق الجامعة للأمّة السامعة [٢]) الذي يقول في مطلعه[٣]:

أَيَا شَعبَ شِنجِيطَ اتِّحاداً ونَهضَـــــةً حِفْــظ ضَروريَاتِ دِينِك كيْ تَعْلُو.

يقول الهاشمي في تحليل المستوى التركيبي بالنصّ :

زاوج النصّ بين استخدام الجمل الاسمية والجمل الفعلية، كما راوح بين أزمنة الفعل (الماضي، والمضارع، والأمر) بشكل متنوّع، ممّا يناسب استحضار الأبعاد الزمنية في التعامل مع موضوع نهضة الشعب وفاءً للماضي، ونهوضاً بالحاضر، واستشراقاً للمستقبل، فالماضي مفعم بالإنجاز : نشر الإسلام، نشر العلم، إقامة النُّظُم والدول على أساس العدل في محطّات تاريخية متعدّدة. فالاستفادة من قوّة الماضي باستحضاره والعمل على استعادته قد تساعد في حلّ أزمة الحاضر: الاستعمار الفرنسي النصراني للشعب الموريتاني المسلم، وبالرجوع إلى أسباب قوّة الماضي، تُمكِن استعادة المفقود، وجميع لَبِنات ذلك الماضي وسيلة لبناء الحاضر الذي يتولّد عنه المستقبل، ومن هنا نعثر على مفتاح الحدائق، فكلّ حديقة تمثّل دعامة من دعائم بناء الدولة... فقد تناول الشاعر هذه المواضيع تناولاً يوحي برؤية متكاملة، تتشابك وشائجه في بناء موحّد[٤].

وهذا الاقتضاب في التناول ربّما يرجع إلى كوْن الكتاب ليس في موضوع اللّسانيات أصلاً.

١- القاهرة : دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢- يقصد بالحدائق مقاطعَ النصّ ومحاوره، حيث كلّ مقطع يعالج موضوعاً جزئياً من الموضوع العامّ.

٣- يبلغ عدد أبيات هذا النصّ (٣٢١ بيتاً). اقتصر الهاشمي على مقاطع منه للدراسة.

٤- شعر المقاومة الموريتانية ضدّ الاستعمار الفرنسي، ص١٥٥، ١٥٩.

ثانياً- الشيخ بن أحمد الشنقيطي: في بحثه : (مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمّد بن الطالب - دراسة لديوان : اللّيل والأرصفة)[1] قدّم دراسة معجمية، خصّص منها مساحة ليست بالعريضة لدراسة المستوى التركيبي، حيث تحدّث عن السبك النحوي، وجودة التأليف، استناداً إلى ظاهرتي التوزيع والاستبدال. فقال :

«وقد امتاز البناء المعجمي لهذا النصّ بقوّة السبك، وجودة التأليف، ويعود الفضل في ذلك أساساً إلى توخّي الشاعر الواعي للقوانين النحوية بشكل عامّ، وفي اعتماده الواعي أو التلقائي على النحو التوليدي، وبالأخصّ على خاصّيتي التوزيع والاستبدال، اللّتين يرتكز عليهما البناء التركيبي والمعجمي لأيّ نصّ، إذ يحدّدان المساحة المثلى للكلمة وقوعاً وتكراراً، وحدود هذا التكرار والاستخدام. إذ يتحدّد بواسطة هذا النحو نظام العلاقات، الذي يربط النصّ، والذي يمثّل ماهية اللّغة»[2].

ثمّ تحدّث عن نوعين من هذه العلاقات، يلعبان دوراً كبيراً في التركيب النحويّ، إذ قال : «يمكن إجمالها فيما يلي :

١- الترابط السياقي : الذي هو مناط تأليف الجملة على المستوى الأفقي،كما أنّه مناط حركة المعنى.

٢- الوضع الاستبدالي : الذي يتمّ بمقتضاه اختيار بعض العناصر على نحو يؤدّي إلى دخول القيم الخاصّة بالعلامات في علاقات تبادل، بعضها مع بعض على المحور العموديّ»[3].

حديث مقتضب عن هذا المستوى، غير أنّه معبِّر عن جهدٍ طيّب بذله الباحث في تطبيقه (المستوى التركيبيّ) على العيّنة المدروسة.

ثالثاً- كتب الباحث محمّد بن بلال بحثاً جادّاً لدراسة أصوات اللّهجة العربية الحسّانية، بعنوان[4]: (الوصف الصوتي والصواتي في الحسّانية). تحدّث فيه عن المستوى

١- وهو بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية وآدابها. من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٦٨.

٢- المصدر نفسه، ص٣٢، ٣٣.

٣- المصدر نفسه، ص٣٣.

٤- وهو بحث لنيل الإجازة من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ١٩٨٨/ ١٩٨٩م. مودَع بقسم الرسائل، بقسم اللّغة العربية، تحت رقم٧٠٠٤٣.

التركيبي، فذكر في مستهلّ حديثه عنه أنّ ظاهرة الإعراب معدومة في اللّهجة الحسّانية، حيث قال :

إنّ النّحو الذي نعني به الإعراب، أي فرع المعنى الوظيفي لا وجود له في اللّهجة الحسّانية، ولا نهتدي إلى معرفة دلالة الجملة إلّا من خلال الموقعية الثابتة لدلالة الألفاظ في التركيب الحسّاني، وقد يكون هذا السبب هو الوحيد الذي يعين على إهمال الإعراب. وقد لاحظت في كثير من الخطابات الحسّانية أنّ الموقعية ثابتة غير متغيّرة، كما في اللّغات الفصيحة. المبتدأ دائماً في صدر الجملة، والخبر يليه، وفي الجملة الفعلية يتقدّم الفعل، ويليه فاعله، وأخيراً المفعول إن اقتضاه الفعل. ولا نقتصر في معرفة المبتدأ والفعل والفاعل والمفعول في الحسّانية على حركات؛ لأنّ الحركات التي تدلّ على وظائف في الأسماء مفقودة في اللّهجة الحسّانية، وإنّما هدايتنا إلى معرفة الوظيفة الإعرابية الصيغةُ والموقعُ الثابت. ومن ناحية أخرى نلاحظ أنّ أهمّية النحو باقية وموجودة في اللّهجة الحسّانية، هذه الأهمّية التي تكمن في معاني الجملة من تقرير واستفهام وتأكيد وهلمّ جرّا...[1].

ويُلحظ هنا أنّ بعض المعلومات التي أوردها الباحث غير دقيقة، وهي قوله : إنّ المبتدأ في اللّهجة الحسّانية دائماً في صدر الجملة، والخبر يليه، والفعل في الجملة الفعلية يتقدّم، ويليه فاعله. أقول : بل يتقدّمان ويتأخّران على السواء، مثل قولنا : أحمدْ قَرَّايْ للقرآن، وقَرَّايْ أحمدْ أيضاً للقرآن. وجَ محمّدْ، ومحمّد جَ.. أمّا ما ذكره عن الإعراب، وكيف تتحدّد الدلالة فهو صحيح.

ثمّ تحدّث عن السمات التركيبية للجملة الحسانية، وعمّا يحدث في مكوّناتها الأساسية عند التحويل والتقليب، فقال: «كلّ جملة في الحسّانية لها سمات تركيبية.. كشأن الجملة في العربية.. كما أنّ المكوّنات الأساسية لها تختلف من سياق لآخر، فالموقعية متغيّرة في كلّ سياق...»[2].

دراسة لسانية للمستوى التركيبيّ حقيقةً جادّةٌ، مطبّقة على اللّهجة الحسّانية، الملحونة من العربية.

١- المصدر نفسه، ص٣٠، ٣١.

٢- المصدر نفسه، ص٣٧ - ٣٩.

رابعـاً- الأستاذ المختار بن محمّد الأمين بن الجيلاني التنواجيويّ في كتابه : (الخطاب الشّعريّ الحَدَاثيّ في موريتانيا دراسة في أجرّوميّة النّصّ)[1]. إذ قام بتطبيق المستوى التركيبي على خمسة نصوص من الشعر الحرّ، انتقاها من خمسة دواوين لشعراء شباب، من جيل تسعينيات القرن الماضي،. وهي :

- نصوص «دموع غيلان» من ديوان (تيه المراكب)[2]. للشاعر بَـنَّاصرْ سيدي الأمين بن سيدي أحمد.
- و«رحيل» من ديوان (أحلام أميرة الفقراء)[3]. للشاعرة بنت البراء باتّه.
- و«الكشف» من ديوان (مدائن الإشراقات الكبرى)[4]. للشاعر ولد ابنو بدّي.
- و«الشريد» من ديوان (أنشودة الدم والسَّنَا)[5]. للشاعر ولد بديوه ببّهاء.
- و(رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية) من ديوان (الأرض السائبة)[6]. للشاعر ولد عبدي محمّد.

فقدّم ابن الجيلاني حقيقةً دراسة جادّة بمعنى الكلمة في المجالين : التركيبي، والدلاليّ، مطبّقةً على هذه النصوص، مستهلّا حديثه بذكر عدّة وسائل يتحقّق بها السبك النحوي، هي : (الإحالة، والوصْل، والحذف). فتحدّث عنها حديثاً ضافياً. وفيما يلي أعرض نموذجاً مختصراً، للتمثيل به فقط على أسلوبه المتميِّز في هذه الدراسة الجادّة، حيث ذكر أنّ :

أ - الإحالة تكون بالضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، التي يرى أنّها «لا تخضع لقيود نحوية، وإنّما لقيد دلالي، هو وجوب التطابق في الخصائص الدلالية بين العنصر المُحيل، والعنصر المحال إليه، فالعناصر المحلّية هي عناصر غير

١- موريتانيا، الإمارات : الطبعة الأولى١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٢- تونس : الطبعة الأولى١٩٩٧م.

٣- انواكشوط : الطبعة الأولى١٩٩٧م.

٤- باريس : القلم للنشر ١٩٩٦م.

٥- القاهرة : مكتبة الآداب، الطبعة الأولى١٩٩٥م.

٦- أبوظبي : ١٩٩٥م.

مكتفية ذاتياً، إذ لابدّ من الرجوع إلى ما تُحيل إليه حتّى يمكن تأويلها، من ثمّ عدّت الإحالة علاقةً دلالية»[1].

وميّز في الضمائر «بين أدوار الكلام التي تندرج فيها ضمائر التكلّم الدالّة على الكاتب، وضمائر الخطاب الدالّة على القارئ أو القرّاء، والإحالة فيها تأتي نمطياً (خارج نصّية)، اللّهمّ إلاّ في الكلام المنقول حرفيا، أو في الخطاب السردي، وأدوار أخرى تندرج ضمائر الغيبة، وهذه تُحيل قبْلياً بشكل نمطي إلى أشخاص أو أشياء، رابطة بين أجزاء النّصّ»[2].

وأسماء الإشارة «بما فيها الظرف الزماني والمكاني (الآن، هنا، هناك، غداً، ..) فبالإضافة إلى ما تقوم به من الربط القبلي والبعدي بين مفردات الجمل، فإنّ فيها ما يتميّز .. بالإحالة الموسّعة التي تعود إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل المكوِّنة للنّصّ، وهو اسم الإشارة المفرد»[3].

والمقارنة تنقسم إلى «مقارنة عامّة تضمّ علاقات التطابق التي تنجم عن استعمال كلمات من نوع (نفسه، عينه، ذاته، ...)، وعلاقات التشابه التي تنجم عن استعمال أدوات التشبيه، ومقارنة خاصّة تتفرّع إلى كمّية (أكثر، أقلّ،...) وكيفية (أجمل، أفضل،..)، والمقارنة كلّها نصّية، تربط بين سابق ولاحقٍ»[4].

ب- الوصْل : هو « تحديد للطريقة التي يترابط بها اللّاحق مع السابق بشكل منظّم، يختلف عن الوسائل الثلاث الأخرى في أنّه لا يوجّه إشارة نحو عنصر مفترض فيما سبق، أو فيما يلحق من النصّ، وإنّما يتخلّل المتتاليات المتعاقبة ليصنع منها وحدة متماسكة، وذلك بواسطة التعبير عن نوع العلاقة التي تربط العنصر اللاّحق بالعنصر السابق.. وهذا الاختلاف في المعاني يقابله تنوّع في الوسائل، إذ هناك وصْل إضافي، ووصْل سببيّ، ووصل عكسيّ، ووصْل زمنيّ »[5].

١- الخطاب الشعري الحداثي، ص٢٦٦.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

٣- المصدر نفسه، ٢٦٦.

٤- المصدر نفسه، ص٢٦٧.

٥- المصدر والصفحة نفسها.

ج – الحذف : يبرز دوره في سبك النصّ، وبصورة خاصّ في العلاقات بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة، كما ذكر ابن الجيلاني، إذ بيّن أنّه «علاقة قبْلية داخل نصّية دائماً، تتمثّل في وجود فراغ بنيوي في الجملة الثانية، يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى، أو النصّ السابق. وقسّمه .. إلى حذفٍ اسميّ وحذف فعليّ وحذف قوليّ. والصفة التي تتقاطع فيها هذه الأقسام الثلاثة هي عدم وجود أيّ أثرٍ للعنصر المحذوف (اسم، فعل، قول) في الجملة أو العبارة اللّاحقة»[١].

وقد استعان ابن الجيلاني في حديثه عن السبك النحوي في هذه النصوص بوسائل السبك، التي يؤدّي تعانقها، وتشابكها إلى ما يحصل من الحبك، والسبك في النصوص المدروسة. وهي : (العلاقات، المسافات، الذوات، العنوانات، الجمل الشعرية، المقاطع الشعرية، الاستمرارية). وفيما يلي إشارة مقتضبة إليها، لغرض الوقوف على أسلوب الباحث في العرض والتحليل، اكتفاءً بها عن عرض النصوص المدروسة، إلّا قليلاً :

١ – العلاقات : هي وسائل التركيب النحوي، المتمثّلة في علاقات الإحالة والوصْل والحذف. فذكر ابن الجيلاني أنّ النصوص المدروسة تتفاوت في استخدامها «وإن غلب عليها جميعا الاعتماد بواسطة علاقات الإحالة»[٢].

والجدول الآتي مثلاً يوضّح «الوسائل المستخدمة، وكمّية الفروق بينها، في سبك كلّ نصّ على حدة على المستوى النحوي»[٣] :

جدول(١) : توزيع علاقات السبك النحوي

العلاقات/ النصّ	دموع غيلان	رحيل	الكشف	الشريد	رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية
علاقات الإحالة	٥٤	٥٤	١٣١	٧٢	٩١
علاقات الوصل	٢٦	٧	٢٨	٤٤	٣٤
علاقات الحذف	٣	٠	٣	٠	٢
المجموع	٨٣	٦١	١٦٢	١١٦	١٢٧

١ – المصدر نفسه، ص٢٦٧، ٢٦٨.

٢ – المصدر نفسه، ص٢٦٨.

٣– المصدر نفسه، ص٢٦٨، ٢٦٩.

٢- المسافات : يُسمّى عدد الجمل الفاصلة بين العنصرين المترابطين نحوياً بالمسافة الفاصلة بين الكلمات المترابطة، حيث « تأتي نتائج الفحص هنا لتكشف عن اتّفاق النماذج في الحدّ الأدنى لطول هذه المسافة، وهو الصفر، وتفاوتها الكبير في الحدّ الأقصى الذي جاء في كلّ نصّ على النحو الآتي :

- دموع غيلان : (٤) جمل شعرية[١].
- رحيل : (١٤) جملة شعرية
- الكشف : (١١) جملة شعرية
- الشريد : (٣٢) جمل شعرية
- رسائل سرّية إلى صخصيات سرّية : (١١) جملة شعرية»[٢].

٣- الذوات: هي الإحالة إلى ذات المتكلّم أو المخاطب أو الغائب. كما يقول ابن الجيلاني: نصّ (دموع غيلان): أحالت أغلب الوسائل الإحالية إلى ذات واحدة هي المتكلّم (الشاعر) القائم بالفعل خارج الكون النصّي.. كما هو الحال في الجملتين الشعريتين : الأولى والثانية، من المقطع الثالث، وهما :

رَكِبْتُ الفيافي وبوصلتي العِشقُ
علِّي أعثُر بين الُّدرُوبِ
على حبَّةٍ مِن رِمالِ بِلَادِي
توسّدتِ الأرضَ واختبأْتِ بينَ حَبَّاتِها[٣].

ففي هاتين الجملتين وردت سبعة روابط إحالة ضميرية، تعود كلّها إلى متكلّم مفرد واحد.

٤- العنوانات : أي ما يحصل من الربط النحوي بين العنوان والمتن، وهو ما لم يقع كثيراً في النصوص المدروسة هنا. يقول ابن الجيلاني : « لم يوجد سبب نحوي يربط بين عنوان النصّ ومتنه، إلّا في نصّ واحد فقط من نصوص العيّنة، وهو نصّ «الشريد»

١- تنتهي الجملة الشعرية حيثما ينتهي المعنى، لذلك قد تضمّ أسطراً عديدة، وجملاً نحوية كثيرة، ويندرج تحت المقطع الشعريّ الواحد العديدُ من الجُمَل الشعرية. يراجع ابن الجيلاني، الخطابي الشعري الحداثي، ص٤٠١، حاشية٢.

٢- المصدر نفسه، ص٢٦٩.

٣- الشاعر: بنّاصر، مصدر سابق، ص٥٦.

الذي قامت بين عنوانه ومتنه خمس عشرة رابطة، كلّها إحالة ضميرية»[1].

٥- الجمل الشعرية : مثلاً : الربط الداخلي : أي الترابط الداخلي بين جمل النصوص الشعرية المدروسة. يقول ابن الجيلاني موضّحاً أنواع الروابط الرئيسة لوسائل السبك النحوي، وكَـمَّها في كلّ نصّ، مثلاً في : (دموع غيلان) :

- الإحالة : (١٨ حالةً، منها ثنتان مقارنة، وحالة واحدة إشارية بعدية، والبقية كلّها ضميرية).
- الوصل : (١٦ حالةً، منها واحدة زمنية، وسبع سببية، والبقية كلّها إضافية).
- الحذف : (بحالاته الثلاث في النصّ).

٦- المقاطع الشعرية : مثلاً : الربط الداخلي : أي الربط بوسائل السبك النحوي داخل المقاطع، التي ذكر ابن الجيلاني أنّ بينها تفاوتاً كبيراً داخل بعض النماذج النصّية، إذ قال : «وبصورة عامّة لقد تراوحت الروابط الداخلية بالنسبة إلى المقطع الشعري الواحد في العيّنة ما بين (١٠ - ١٥) في نصّ (دموع غيلان)، و(٠ - ٣١) في نصّ (رحيل)، و(١٦ - ٣٨) في نصّ (الكشف)، و(٢ - ٢٢) في نصّ (الشريد)، و(١ - ٣٩) في نصّ (رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية). وهو ما يكشف عن التفاوت الفاحش في درجات السبك النحوي داخل مقاطع بعض النماذج النصّية. وهذا ما توضّحه أكثرَ الفقرة الخاصّة باستمرارية السبك النحوي فيما بعد»[2].

٧- الاستمرارية : أي استمرارية السبك بين أجزاء المقطع الواحد، وبين المقاطع، أوانقطاع هذه الاستمرارية في النصوص المدروسة. وتوضيحاً لوضع استمرارية السبك النحوي، و« قياس درجات تذبذبها ارتفاعاً وانخفاضاً في كلّ نصّ على انفراد»، قام ابن الجيلاني بوضع جداول وأشكال لحصر الروابط النحوية، وإيضاح مؤشّراتها في مقاطع كلّ نصّ على حدة[3].

وهي تدلّ بوضوح على شبه انعدام وسائل السبك النحوية البينية في مقاطع النصوص الشعرية المدروسة، والتفاوت الكبير في استخدام وسائل الربط الداخلية في هذه المقاطع.

١- المصدر نفسه، ص٢٧٩، ٢٨٠.

٢- المصدر نفسه، ص٢٩٢.

٣- المصدر نفسه، ص٢٩٤ - ٢٩٧.

في الحقيقة هذه الدراسة التي قام بها ابن الجيلانيّ في مجال النّحو التركيبيّ هي دراسة جادّة في إطار اللّسانيات المعاصرة، لم يُسبق إليها ببلاد شنقيط، لعلّه يقدّم المزيد فيها، خصوصاً أنّه الآن يواصل بحثه في المجال نفسه بجامعة انواكشوط.

خامساً- أخطاء الصحافة في المستوى التركيبي: تسرّبت إلى لغة الصحافة ببلاد شنقيط أخطاء عديدة في المستوى التركيبي. وتتجلّى مظاهر هذه الأخطاء في كونها «تتعلّق بوضع كلمات في غير مواضعها، أو تعدية فِعل لا زم، أو العكس، أو تعديته بحرف غير حرفه، أو الإتيان بتراكيب ضعيفة..»[١].

وفيما يلي أعرض أمثلة من هذه الأخطاء:

١. يخطئون في استعمال (طالما)، حيث: «يقولون: لن أترك حقّي طالما لم أحصل عليه»[٢].
والصواب هنا استعمال (ما دام)، بأن يقال: مادمت لم أحصل عليه؛ لأنّ طالما المركّبة من (طال) و(ما) تستعمل بمعنى (كثيراً)[٣].

٢. خطأ متمثّل في استخدام (لا زالت)، حيث « يقولون: لا زالت الأنباء تأتيكم أو تصل مسامعكم. ومقصودهم ب(لا) هنا النفي»[٤].
والصواب هنا أن يقال (ما زالتْ)؛ لأنّ (لا) النافية يجب تكريرها إذا دخلت على الفعل الماضي[٥].

٣. من أخطائهم استعمال: (لا أحيد)، حيث يقولون: «سوف لا أحيد عن مبادئي»[٦].
والأصحّ أن يقال: لن أحيد عن مبادئي؛ لأنّ (سوف) بمنزلة السين التي تُخصّص الفعل للاستقبال، وهي كالجزء من الفعل، فلا يصحّ الفصل بينهما[٧].

١- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، إبراهيم بن يحظيه، ص٧٤.
٢- المصدر نفسه، ص٧٥.
٣- يراجع مغني اللّبيب، ج١، ص٣٠٦. (حرف: ما).
٤- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص٧٦.
٥- يراجع مغني اللّبيب، ج١، ص٢٤٣. (حرف: لا).
٦- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص٧٦.
٧- مغني اللّبيب، ج١، ص١٣٩. (حرف: سوف).

٤. كما يُخطئون في قولهم : «هل إذا انتهى الاجتماع؟، و هل إنّ الاتّحاد الإفريقي ماضٍ في كذا؟»[١].

والصحيح أن يقال : هل بعد الانتهاء من الاجتماع؟؛ وذلك لأنّ (هل) لا تدخل على الشرط،كما أنّ الصواب أن يقال : هل الاتّحاد ماضٍ؟، بدون الإتيان ب(إنّ)، إذ لا معنى لها هنا[٢].

٥. من أساليبهم الشائعة : (أكّد عليه)، حيث «يقولون : أكّد على كذا»[٣].

والصواب أن يقال : أكّد كذا وكذا؛ لأنّ (أكّد) متعدٍّ إلى مفعوله بنفسه[٤].

٦. كثيراً ما يرد على ألسنتهم (حاز على كذا)، فـ«يقولون : حاز على شهادة كذا»[٥].

والصواب أن يقال : حاز شهادةَ كذا.؛ وذلك لأنّ (حازَ) يتعدّ إلى مفعوله بنفسه[٦].

٨- قد يستعملون لفظة في التركيب غير مناسبة تؤدّي إلى فساد معناه. يقول الباحث المصطفى بن أحمد معاوية : « خلال استماعنا لإذاعة موريتانيا، وخاصّة في نشراتها الرئيسة تمكّنّا من تسجيل نموذج عشوائي من المآخذ اللّغوية التي تسرّبت خلال النشرات الرئيسة.. وذلك في الفترة ما بين الأسبوع الأخير من إبريل لغاية منتصف يونيو ٢٠٠٩م»[٧].

وكان من نتائج هذا الرصد تسجيل جملة من الأخطاء، منها مثلاً ما ورد في قوله: «في نشرة الرابعة مساءً يوم (٢١) إبريل ٢٠٠٩م تضمّنت النشرة تقريراً حول تصريحات الرئيس الإيراني (أعيد انتخابه) التي أثارت حفيظة إسرائيل، قرأ صاحب التقرير:

١- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص٧٦.
٢- مغني اللّبيب، ج٢، ص٣٥٠.
٣- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص٧٧.
٤- لسان العرب، مادّة (أكّد).
٥- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص٧٧.
٦- يراجع لسان العرب، مادّة (حاز).
٧- المصطفى بن أحمد معاوية، لغة الإعلام بين قيود الفصاحة ومعوّقات المهنة - مقاربة للصحّة اللّغوية في نشرات الأخبار الرئيسة لإذاعة موريتانيا. بحث لنيل الإجازة من شعبة الحضارة والإعلام، من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٤٢. ص٤٠.

(مؤتمراً اشتدّت إليه الأنظار). ولعلّه يقصد : شُدّت إليه الأنظار، فاختلف المعنى ولم يفهم من السياق.. (و) في مساء اليوم نفسه تضمّنت نشرة الثامنة ملفّاً عن عزوف الجمهور عن الحِرَف البسيطة، تضمّن عبارة (الجمهور يوحي باللّائمة على..)، ولعلّ المذيع كان يقصد أنّ الجمهور يُـنْحِـي باللّائمة، من باب أنحى. يقال : أنحى عليه ضرباً، وأنحى عليه باللّوم»[1].

وهذه الأخطاء تفيد بوضوح ضعف تكوين الصحفيين اللّغوي في مجتمع يشمئزّ من الأخطاء اللّغوية، وغالباً ما يسخر من مرتكبيها.

الفصل الثالث : المجال الصّرفي

التّصريف عند أصحاب اللّسانيّات المعاصرة علْـمٌ «يدرس الكلمة في معزل عن السّياق، فيتناول مكوّناتها الصّوتية بالبحث، أفيها صوتٌ زائدٌ، أم فيها صوْت ناقصٌ، أم فيها صوْت تبدَّل به صوْت آخر. كما يدرس تقلّباتها من صيغة إلى صيغة، وبهذا يُعرف جامد الأفعال ومتصرّفها، أو جامد الأسماء ومشتقّها»[2]. أي: «العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللّغوية وتلوّناتها على وجوه وأشكال عدّة، وبما يكون لأصواتها من الأصالة والزيادة والحذف والصحّة والإعلال والإدغام والإمالة، وبما يعرض لقوالبها من التغيّرات، ممّا يفيد معاني مختلفة»[3].

علماً بأنّ «دائرة النّظام الصّرفيّ رؤيةٌ لسانية تقوم على الإفادة من معطيات علم الأصوات بشقّيه النّطقي والوظيفيّ في تحليل بيانات التصريف وتوجيهها بما يخدم الرؤية المنطقية السليمة لشؤون هذه اللّغة»[4].

– ويتجاوز مجالُه الكلمات المتصرّفة إلى الجامدة عند بعض المحدثين. يقول الدكتور محمّد خير حلواني : « أمّا علم الصرف فقد حدَّد اللّغويّون القدماء مجاله، فذكروا أنّه لا يدرس إلاّ الكلمة المتصرّفة، ولا يتناول ما جمُد من الكلمات، كالأدوات والأفعال

١– المصدر نفسه، ص٤١.

٢– مثلاً المعنى الجديد في عِلْم الصّرف، ص١٣.

٣– عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة. ص٣٨٧.

٤– المصدر نفسه، ص٣٨٣.

الجامدة وبعض الأسماء التي لا تتصرّف، وتركوا دراسة هذه الكلمات لفروع أخرى، فكان من جرّاء ذلك أن توزّعت في دراسات متعدّدة، كالدراسات المعجمية والدلالية والنحوية، مع أنّ مجالها الصحيح في علم الصرف دون غيره؛ لأنّه يدرس الكلمة. ولا أرى ما يحول بيننا وبين أن نوسّع ميدان هذا العلم حتّى يبلغ المدَى الذي تتيحه أنظمة اللّغة العربية»[1].

– وقليل ماهم ببلاد شنقيط مَن اهتـمّوا بدراسة المستوى الصرفيّ في ضوء اللّسانيات الحديثة، وهو ما انعكس على إنتاجهم فيه، إذ كان محدوداً جدّاً. وانحصر تطبيقه على اللّهجة العربية الحسّانية بشكل يتّسم غالباً ما بعدم العلمية والنّضْج، وعلى ظاهرة الأخطاء في لغة الصحافة بنصيب ليس بالوافر. وفيما يلي أعرض نماذج من جهودهم فيه:

أوّلاً-مُلَيكة بنت لَمْهابة: التي أعدّتْ بحثاً بعنوان : (الصِّيَغ الفِعلية في اللّغة الحسّانية)[2] ذاكرةً فيضاً غزيراً من الصِّيَغ الصرفية، التي تلتقي مع الفصحى في جذْر الميزان الصرفي، مشيرةً إلى ما تفيده من معاني التعدّي واللّزوم، والتصغير. حيث قالت :

«– افْعلْ : ارْكَبْ : (متعدّ)، اهْرُبْ : (لازم).

– اتْفعَّلْ : اتْكَـبَّـرْ، اتْـلَـبَّـسْ : لازم.

اتْفَاعِلْ : اتْنَاظِرْ، اتْخَابِطْ : لازم.

– انْفْعَلْ : انْجْبَـرْ : لازم.

– افْتَعَلْ : افْتَـقَـرْ : لازم.

– افْعَالْ : احْمَارْ، اخْظَارْ.

– اسْتَفْعَلْ : اسْتَعْرَبْ، اسْتَقْبَلْ.

– اتْفَوْعَلْ : اتْـكَوْنَـنْ.

– فَيْعَلْ : هَيْدَنْ

وهذه الصِيَغ وغيرها ممّا ورد في ثنايا البحث ندعم به رأينا في أنّ الحسّانية ذات نموذج صرفي متميّز، وقد سبق أن أشرنا إلى قابلية هذه الصِيَغ للتصغير، ومثال ذلك :

١– المعنى الجديد في علم الصرف، ص١٤.

٢– سبق حديث عنه مفصّل في مبحث « المجال التركيبي».

(فَعَل : افَّـيْـعِلْ)، و(انْفَعَل : انْـفَـيْـعَـلْ). وهذه غالباً ما تأتي مسكّنة اللّام»[1].

كما قامت بموازناتٍ بين صِيَغها وصِيَغ الفصحى، حيث قالت مثلاً في صيغتي : (أفعل التفضيل، والتعجّب) :

– سبق أن أشرنا إلى مرونة القواعد اللّهجية، ومن تجلّيات تلك المرونة ما نلحظه في (أفعل التفضيل) المشروطة في العربية بعدّة شروط، أهمّها أنّها لا تصاغ من فعل غير ثلاثي، في حين أنّها في الحسّانية تصاغ من أغلب الأفعال.. وصيغة (افْعلْ) مضطّردة في النظام الصرفي للحسّانية (دالّة على الفعل الثلاثي المجرّد برمّته)، وزيادة على ذلك فإنّ (أفعل التفضيل) في الحسّانية تأتي في الغالب على (أفعل) كما في العربية، خاصّة إذا علمنا أنّ جلّ الأمثال الشعبية عندنا تبدأ بهذه الصيغة : (أفْعَلْ مِنْ) :

– أَبْـرَدْ مِنْ عَيْشْ تمْنانْتْ.

– أَهْرَدْ مِنْ عَبْلَه.

– أَبْـيَـضْ مِنْ دَرَّاعتْ وُلْ فَيْسْ.

كذلك تختلف البنية الصرفية لأفعال التعجّب في الحسّانية عنها في العربية، وإن كانت تأتي كلّها مسبوقة ب(مَ) بفتحة قصيرة. فمعنى التعجّب في هذه الأفعال، وفي السياقات التي تتخلّلها يبقى موقوفاً على نطق المتكلّم، يستشفّه منه السامع :

– مَ اكْبَـرْ : ما أكْبَرَه!

– مَ اسْمَنْ : ما أسْمَنَه! [2].

ثمّ وازنتْ الباحثة بين صيغة الفعل الرباعي المجرّد في اللّهجة الحسّانية ونظيرتها في الفصحى، مشيرةً إلى ما تفيده في الغالب صيغته في الحسّانية من بعض الدلالات، حيث قالت : «وهذه الصيغة متفشّية في البنية الصرفية للأفعال في اللّغة الحسّانية، وهي لا تختلف فيها عن وضعيتها في العربية الفصحى، إلّا بإسكان اللّام الأخيرة. ولهذا دلالات متعدّدة، إلّا أنّ الغالب اثنتان :

– الصوت، مثل : كَرْكَرْ، وسَرْسَرْ.

١– المصدر نفسه، ص٤٠.

٢– المصدر نفسه، ص٤١، ٤٢.

- المُهلة والتكرار، مثل: جَرْجَرْ... »[1].

ورأت الباحثة أنّ الصورة تختلف مع صيغة الفعل الثلاثي المجرّد، حيث تشيع في الحسّانية صيغة واحدة من صِيَغه الثلاث في الفصحى. إذ قالت:

«وإنّه لَمِمّا لفتني وشدّ انتباهي في بحثي وتنقيبي عن الصِّيَغ الفعلية في اللّغة الحسّانية، ودراستي لها، صيغةُ الفعل الثلاثي المجرّد منها، إذ تأتي هذه الصيغة على هيئة واحدة، تمثّل قالباً للفعل المذكور، يندر أن يخرج منه، وهي: افْـعَلْ، بتسكين الفاء واللّام، وفتح العين. وأيّ من حروف مادّة هذا الفعل لا تتغيّر حركته، لا في الماضي ولا في المضارع. ومن هذا وغيره نتبيّن اختلاف النِّظام الصرفي للحسّانية عن العربية الفصحى... فلئن كان الصرفيّون قد ذكروا للفعل الثلاثي المجرّد ثلاث صِيَغ في الماضي.. فإنّه تقابلها في الحسّانية صيغة واحدة، هي: افْـعَلْ، مثل، ارْكَبْ، اكْعَدْ. هذا ويرجع بعض الباحثين انعدام الصِيَغ المذكورة في الحسّانية إلى طبيعة النطق لدى متكلّميها، إذ يألفون نوعاً من الفونيمات أكثر من غيره...»[2].

ثمّ قامت الباحثة بوضع جدول طويل قدّمت فيه مقارنةً جادّة بين صِيَغ الأفعال في اللّهجة الحسّانية، ومثيلاتها في الفصحى، مشيرةً إلى بعض الدلالات المشتركة. وفيما يلي أعرض جزءاً من هذا الجدول، مع إجراء تعديل في شكله[3]:

جدول (٢): مقارنة صِيَغ الأفعال في اللّهجة الحسّانية بمثيلاتها في الفصحى

الصّيَغ الفعلية في العربية وأمثلتها	الصّيَغ الفعلية في الحسّانية وأمثلتها	الدلالات المشتركة
فَعَل: كَـتَب	افْعِلْ: اكْتِبْ	—
فَعِل: حَزِن	افْعَلْ: احْزَنْ	—
فَعُل: عَظُم	أَفْعَلْ: أَعْظَمْ	اللّزوم / السجية
أَفْعَل: أَخْرَج	أَفْعَلْ: أَصْبَحْ	الدخول في الوقت/ الصيرورة
فَعَّل: كَسَّر	فَعَّلْ: كَسَّرْ	التكثير والمبالغة

١- المصدر نفسه، ص٤٤.

٢- المصدر نفسه، ص٤٤ - ٤٦.

٣- المصدر نفسه، ص٤٨.

الصّيَغ الفعلية في العربية وأمثلتها	الصّيَغ الفعلية في الحسّانية وأمثلتها	الدلالات المشتركة
فاعَل : خَاصَمَ	فاعَلْ : خاصَمْ	المشاركة والتعدّي
انْفعَل : انْطَفَأَ	انْفعَلْ : انْقَطَعْ	المطاوعة واللّزوم
افْتعَل : اقْتَدَر	فِتْعَلْ : فِتْخَرْ	ـــ
تَفاعَل : تَحارَب	اتْفَاعِلْ : اتْحَارِبْ	المشاركة
تَفعّل : تَنَدَّرَ	اتْفَعَّلْ : اتْوَسَّدْ	الاتّخاذ

الجدول طويل، حاولت الباحثة فيه حصر ما أمكنها حصرُه من الصِّيَغ الفعلية في اللّهجة الحسّانية، وما شاكلها في الفصحى، ثمّ استنتجت منه ما يلي قائلةً :

- للفعل الثلاثي المجرّد في الحسّانية صيغة واحدة.
- يوجد تماثل جزئي بين العربية والحسّانية في أغلب الصِّيَغ.
- بعض صِيَغ الأفعال العربية تقلّ في الحسّانية، ويندر استعمالها.
- الفرق بين الصّيَغ الفعلية الحسّانية والفصيحة ليس عميقا.
- تكاد الفوارق تتلاشى بين العديد من الصِّيَغ إذا أثبتْنا الإعراب في الحسّانية.

ولئن اتّفقت بعض هذه الصِّيَغ ظاهريّاً فإنّ دلالاتها قد تختلف. فَانْفَعَـــلَ مثلاً أبرز دلالاتها المطاوعة، كما قد تدلّ على البناء للمجهول.. في العربية دلالتها على المطاوعة أكثر، وفي الحسّانية دلالتها على البناء للمجهول أكثر.. ونلاحظ في صيغة (أَفْعَلَ) أنّ همزتها في الفصحى قطعية، وفي الحسّانية وصلية، وأنّ دلالتها في العربية الشائعة واحدة، أمّا في الحسّانية فدلالاتها مختلفة... والملاحظة الأخيرة والهامّة هي أنّ اللّغة الحسّانية يمكن إخضاعها بكلّ سهولة لنفس النظام الصرفيّ الذي تخضع له الفصحى[١].

إنّها محاولة مهمّة من هذه الباحثة، ترمي إلى تقديم دراسة لسانية جادّة لهذا المستوى، الذي لم يهتمّ الشناقطة بالبحث فيه كثيراً، وهو ما يمنح عملها قيمة خاصّة، حيث كانت دراستها مخصّصة لصِيَغ الأفعال في اللّهجة الحسّانية، بينما جاءت دراسة الباحث الآخر الموالي للمستوى الصرفيّ ضمنَ دراسة صوتية أساساً.

١- المصدر نفسه، ص٥١، ٥٢.

ثانياً- الباحث محمّد بن بلال، الذي سبق في مبحث (المجال التركيبي) أنّه أعدّ بحثاً جادّاً لدراسة أصوات اللّهجة العربية الحسّانية، بعنوان : (الوصف الصوتي والصواتي في الحسّانية)، تحدّث فيه عن المستوى الصرفي، فذكر في مستهلّ حديثه عنه أنّ المعنى الوظيفي للصيغة الصرفية في اللّهجة الحسّانية يتحدّد غالباً من السياق، لا من الصيغة ذاتها دائماً، حيث قال :

«ومن هنا تصبح العلامة الصرفية غير كافية للدلالة على المورفيم، لكن للتأكّد من معنى اللّفظة نعود إلى السياق الذي ترد فيه، فمثل ذلك كلمة (عَدْل) في الجملتين التاليتين :

- جَانَ رَاجِلْ عَدْلْ.
- عَدْلْ الرّاجِلْ فَوْقْ الْعَدْلْ.

ف(العَدْلْ) في الجملة الأولى صفة، وفي الجملة الثانية مصدر»[1].

وفي الأولى أيضاً مصدر، وُصِف به.

ثمّ عرض أمثلة من أمثلة صِيَغ الأفعال في اللّهجة الحسّانية، أُورِدُها في الجدول الآتي [2] :

جدول (٣) : جدول لبعض صيغ الأفعال في اللّهجة الحسّانية

المثال	الصيغة	نوع الفعل
انْـتِـفْ	افْعِلْ	ماضي/ أمر
جَرْجَرْ	فَعْلَلْ	ماضي
كَرْكَـرْ	فَعْلَلْ	ماضي/ أمر
اسْتَـنْـكَـرْ	اسْتَفْعَلْ	ماضي/ أمر

كما عرض أمثلة من أمثلة صيغ المصادر في اللّهجة الحسّانية، أُورِدُها في الجدول الآتي[3] :

١- الوصف الصوتي والصواتي في الحسّانية، ص٣٤.

٢- المصدر نفسه، ص٣٥.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

جدول (٤) : جدول لبعض صيغ المصادر في اللّهجة الحسّانية

المثال	الصيغة	نوع المصدر
مَوْتْ	فَعْلْ	ثلاثي
اكْـتِـيلْ	افْعِيلْ	خماسي
تَدْرِيسْ	تَفْعِيلْ	خماسي
اتْجَرْجِيرْ	اتْفَعْلِـيلْ	سباعي

– ونبّه الباحث ابن بلال إلى أنّه لا توجد موازين صرفية للأسماء غير المشتقّة، وأسماءِ الآلة، إذ قال : « لا توجد موازين صرفية للأسماء، باستثناء ما كان منها على وزن اسم الآلة : (مَـفْعل) مثل : (مَدْفَعْ، مَقْرَجْ)»[١]. ثمّ ذكر أمثلة لصِيَغ بعض الأسماء المشتقّة، وأسماء الآلة في اللّهجة الحسّانية، أُورِدُها في الجدول الآتي [٢] :

جدول (٥) : صيغ بعض الأسماء المشتقّة، وأسماء الآلة في اللّهجة الحسّانية

مثال	الوزن	الصيغة
جَوَّاقْ	فَعَّالْ	صيغة مبالغة
طَايِحْ	فَاعِلْ	اسم فاعل
مَخْبوطْ	مَفْعولْ	اسم مفعول
مَقْرَجْ	مَفْعَلْ	اسم آلة

– هكذا استمرّ الباحثان، (خصوصاً الباحثة) في تحليل المقاطع، والوحدات اللّغوية الصُّغرى داخلَ البِنْيات الصّرفية الكبرى، فيما يُشكّل دراسة وصفية لقواعد تتداخل فيها (المورفيمات والمونيمات) لتؤلّف وحدات لغوية كبرى، حيث أخذت الباحثة في الاعتبار أثناءَ معالجة المعيار الصّرفيّ اصطفافَ الوحدات اللّغوية، التي حدّد أصحابُ اللّسانيات الحديثة اصطلاحاتها، والتي من أبرزها :

- الجذر lexème : وهو المادّة الأولى التي تشكّل الأصل، وهو ثلاثيّ في اللّغة العربية، ومنه تنطلق المعاجم والقواميس العربية.
- المـورفـيم morphème: وهو مرتبط بالشّكل، إلاّ أنّه يؤثّر على المعنى والدّلالة، مثل : (دخل : دخلــوا ، دخلـــتـم، الاستدخال ... إلخ).

---

١ – المصدر والصفحة نفسهما.

٢– المصدر نفسه، ص٣٦.

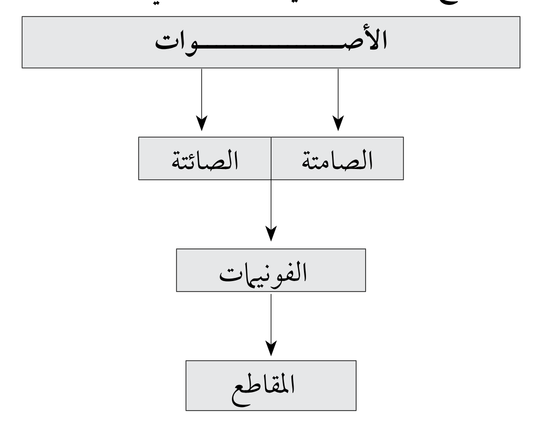
- المونـيـم monème : وهو (الكلمة)، وتساوي الجذر + الـمورفيـم.
- الـفـونـيـم phonème : وهو أصغر وحدة صوتية، ليس لها دلالة في اللّغة العربية إذا كانت منعزلة. فحرف (ك) مثلا له دلالة في (مـونـيـم) كتَب، ودلالة مغايرة في (مونيم) أكْرِمْ.

القيم الخلافية distinctive valeurs : وهي تكون في الجوانب الصوتية النّطقية، فحرف (ل) مثلاً في السلام ليس هو حرف (ل) في الصلاة من الناحية الصوتية النطقية[1].

وإذا كانت الدراسات القديمة قد ميّزت بين التّصريف والتركيب على أساس أنّ التّصريف يُعنَى بالشكل، ويهتمّ بدراسة الزوائد واللّواحق والصّيغ والأوزان، بينما يُعنَى التركيبُ بالوظيفة، أي أنّه يهتمّ بدراسة تركيب الكلمات وانتظامها وتداخلها داخل الجملة الواحدة، فإنّه في نظر اللّسانيات البنيوية لم يعد لهذا التّمييز مسوّغات منهجية، ممّا أدّى إلى ظهور مفهوم جديد، ألاَوهو (المورفوتركيب)، الذي يعني الدراسة الوصفية لقواعد تتداخل فيها (المورفيمات والمونيمات) لتؤلّف وحدات لغوية كبرى[2].

وبما أنّ الصّيَغ الصّرفية ماثلة في الوحدات التي يتألّف منها التّركيب النّحويّ فإنّه بالإمكان في ضوء ذلك وضعُ مخطّطٍ بيانيّ للّغة العربية وفْق المنظور الموالي :

الشكل (٦) : الصّيَغ الصّرفية ماثِلة في الوحدات التي يتألّف منها التّركيب النّحويّ



١ – المعنى الجديد في علم الصرف، ص١٠، فما بعدها، والأصوات ووظائفها، ص١٣١، فما بعدها.

٢ – المصدران نفسهما.

فقد برَز الدرسُ الصّرفـيُّ عند الشناقطة مثل ما عند غيرهم من أصحاب اللّسانيات الحديثة[1]، من نسيج الرّؤية الصوتية للفونيمات التركيبية العربية، وقام على طبيعتها التكوينية، وهو يعالج الأبنية الصرفية، وارتكز على المنظومة الصوتية، وما يعرض للصّوائت من التغيّرات والتقلُّبات، مع ملامسة تحوّلاتها.

ثالثاً- أخطاء الصحافة ببلاد شنقيط في المستوى: الذي « كثرت فيه الأخطاء، وأخطاؤه تقع في الإتيان بأوزان لغير معانيها، أو صِيغ لا وجود لها، أو ضبط مصدر، أو اسم مكان، أو عين فعل، أو كيفية جمع، أو نسب»[2]. فمن هذه الأخطاء :

١- من أخطائهم : استعمالهم صيغة (تَمَعّنَ) بمعنى (أمْعنَ)؛ وذلك «لأنّ معنى (أمعَنَ) أصلاً (أبعد)، والبعد نوع من الوصول الذي هو من معاني أفْعَل، عكس تفَعَّل»[3].

٢- شاع عندهم استخدام لفظة (التواجد) بمعنى الحضور بمكان كذا، أو في وقت كذا. والصواب أن يقال مثلاً : سنحضر، أو نوجد في مكان كذا، أو في وقت كذا. «وذلك لأنّ التواجد إظهار الموجدة»[4].

وهو خطأ كثر شيوعه عندهم.

٣- من أخطائهم الشائعة أيضاً استعمالهم لفظة (تتوفّر) بدل (تتوافر). والصواب أن يقال مثلاً : توافرت فيه الشروط؛ «لأنّ تفاعل هو الذي يقتضي المشاركة، عكس التفَعُّل»[5].

٤- منها أيضاً استعمال لفظة (مُسْوَدَّة) البحث، بتسكين السين، وتخفيف الواو، بدل (مُسَوَّدَة) البحث، بفتح السين، وتشديد الواو. وذلك لأنّ صيغة (مسودة) بفتح السين «اسم فاعل من سَوَّد، أمّا بتسكينها فاسم فاعل من أَسْوَد»[6].

هذه أمثلة فقط من جملة أخطاء صرفية كثيرة، رُصِدت في لغة الصحافة الشنقيطية على المستوى الصرفيّ.

١- علم اللّسانيات الحديثة، ص٣٨٥، ٣٨٨.

٢- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص٦٢.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

٥- المصدر والصفحة نفسها.

٦- المصدر نفسه، ص٦٥.

الفصل الرابـع : المجال الصّوتـيّ

علْم الأصوات كما يقول الدكتور محمّد مُنصف القماطيّ هو : «عِلْم يُعنى بظاهرة الصّوت البشريّ، باعتباره المادّة الأساسية لبناء اللّغة، والأداة التي يحقّق بها الإنسان وجوده اللّغوي في اتّصاله ببني مجتمعه، ونقل تراثه الاجتماعيّ. وهو يدرس كيفية إنتاج الأصوات مفردة مجرّدة، ويتولّى النظر في الخصائص التي تميّز كلّا منها، كما يعمل على إدراك الكيفية التي تنتقل بها الأصوات من المتكلّم إلى السّامع...»[١].

وعلم الأصوات اللّغوية ينقسم «إلى فرعين، الأوّل : علم الأصوات الذي يدرس الأصوات مفردةً، والثاني : علم وظائف الأصوات، الذي يدرس الأصوات في درج الكلام»[٢].

وهذا الأخير ينقسم إلى ثلاثة فروع، هي :

- علْم الأصوات النّطقي.
- علْم الأصوات الفزيائي.
- علْم الأصوات السّمعي.

التي تتباين وظائفها « طبقاً لاختلاف الأحوال والظروف التي يمرّ بها الصّوت في انطلاقه من فَم المتكلّم إلى أذن السّامع، وينفرد كلّ فرع بدراسة الصّوت في مرحلة من مراحله الثّلاث : الحدوث، والانتقال، والإدراك»[٣].

- فعِلم الأصوات النّطقي يعتني «بدراسة أعضاء النّطق وحركتها وبيان وظائفها أثناء إحداث أصوات الكلام. وفيه يتابع الدارس اندفاع الهواء من الرّئتين، أو إليهما عبر ممرّاته في جهاز النّطق ليتعرّف على العمليات العضوية التي تؤثّر في إصدار الصّوت وطبيعته»[٤].

وهو أهمّ فروع هذا العلم؛ «لأنّه يقوم على فهم الوظيفة الميكانيكية لآلة الصّوت، التي يحملها كلّ إنسان في جسمه»[٥].

١- الأصوات ووظائفها، ص١٤.

٢- الدّراسات الصوتية عند علماء العربية، ص١٠.

٣- المصدر نفسه، ص١٨، ١٩.

٤- المصدر نفسه، ص١٩. ويراجع الدّراسات الصوتية عند علماء العربية، ص١٧.

٥- المصدر نفسه، ص١٩.

والأصوات اللّغوية تشمل الصّوامت (consonants) والصّوائت (vowels) [1].
فـ «الصّامت مصطلح لغوي معاصر، وضع ليقابل المصطلح الانكليزي (consonant) والفرنسي (consonne). وقد أطلق نحاة العربية على الصّوامت اصطلاح الحروف تمييزاً لها عن الحركات، كما أطلقوا عليها اصطلاح الصّحاح تمييزاً لها عن العلل »[2].

كما أنّ « الصّوائت مصطلح لغويّ وضع لمقابلة الاصطلاح الانكليزي ((vowel، والفرنسي (voyelle). وكان نحاة العربية قد فرّقوا بين نوعين من الصّوائت، فأسموا القصيرة منها (short vowels) حركات (الفتحة والضمّة والكسرة)، وألحقوا بها السكون، وهو انعدام الحركة وتكدُّس صامتين، دونما فصل بينهما بحركة، وأسموا الطّويل منها (long vowel) حرف مدّ، وحروف علّة، وهي : الألف في نحو (قال)، والواو في نحو (سور)، والياء في نحو (طريق)»[3].

وقد عبّر ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) عن مصطلح (الصّوائت) بمَطْل الحركات، حيث إنّ من العرب « مَن كان يسمّي الضّمّة الواوَ الصغيرة، والكسرة الياءَ الصغيرة، والفتحة الألفَ الصغيرة. ويؤكّد ذلك أنّك أشبعتَ ومطلتَ الحركة بعد ما أنشأت حرفاً من جنسها»[4].

وأصول الأصوات العربية، التي عبّر عنها سيبوية بالحروف تبلغ تسعة وعشرين صوتاً، وهي كما وردت في الكتاب [5] : «الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف، الضّاد، الجيم، الشّين، الياء، اللّام، الرّاء، النّون، الطّاء، الدّال، التّاء، الصّاد، الزّاي، السّين، الظّاء، الذّال، الثّاء، الفاء، الباء، الميم، الواو». وقد توسّع في تحليل مخارجها وصفاتها[6].

وهذه الأصول تتولّد منها فروع عند علماء العربية، بعضها مستحسن الاستعمال، وبعضها غير مستحسن، تحدّث عنها سيبويه بقوله : «وتكون (الأصوات) خمسة

١- الدّراسات الصوتية عند علماء العربية، ص٥٣.
٢- الأصوات ووظائفها، ص٦٩.
٣- المصدر والصفحة نفسهما.
٤- الخصائص، ج٢، ص٣١٥.
٥- ج٤، ص٤٣١.
٦- المصدر نفسه، ص٤٣١ - ٤٣٦.

وثلاثين حرفاً بحروفٍ هنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها ويستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي : النّون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تُمال إمالة شديدة، والشّين التي كالجيم، والصّاد التي تكون كالزّاي، وألف التفخيم. وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة مَن تُرضى عربيته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشّين، والضّاد الضعيفة، والصّاد التي كالسّين، والطّاء التي كالتّاء، والظّاء التي كالثّاء، والباء التي كالفاء»[١].

ثمّ عقد باباً درس فيه ظاهرة الإدغام، وناقش فيه مسائله بتوسُّع [٢].

وخصّص ابن جنّي كتابه (سرّ صناعة الإعراب) بجزئيه لدراسة الأصوات العربية دراسةً مستفيضة، ممّا يدلّ على عراقة الدّراسات الصّوتية عند العرب وأصالتها. يقول في مستهلّه : « أن أضع كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كلّ حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب، وأن أتقصّى القول في ذلك وأُشبعه وأُوكّده ... وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومَدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورَخْوها، وصحيحها ومعتلّها، ومطبقها ومنفَتِحها، وساكنها ومتحرّكها .. إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها»[٣].

وعلى هذا المنوال من الاعتناء بدراسة الأصوات تواصلت جهود علماء العربية عبر العصور. وقد تجسّدت دراسة الظّاهرة الصّوتية بجلاءٍ أيضاً في دراسة القراءات القرآنية، والتّجويد، والرّسم، والضّبط، حيث القراءات تُعنى بـ «كيفية النّطق بالكلمات القرآنية،وطريق أدائها اتّفاقاً واختلافاً، مع عزو كلّ وجه لناقله»[٤]، ويُعنى علم التجويد بـ «تعلُّم القواعد والضّوابط المتعلّقة بمخارج الحروف وصفاتها والوقف والابتداء والوصل والفصل وتاءات التأنيث المكتوبة بالتّاء وإتقان ذلك »[٥]،

١- المصدر نفسه، ص٤٣٢.

٢- المصدر نفسه، ص٤٣٧.

٣- سرّ صناعة الإعراب، ج١، ص٣، ٤.

٤- محمّد سالم محيسن، المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها عن طريق طيبة النّشر، ص٦.

٥- هذا التعريف للشيخ محمّد الحسن بن الدّدو الشنقيطيّ. يراجع محمد المختار بن الدّخوّة بن الطّالب أعلِ المسّوميّ الشنقيطيّ، اللّؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن. ص٣٧٢.

وبـ «إحكام حروف القرآن، وإتقان النّطق بكلماته، وذلك بإخراج كلّ حرف من مخرجه، وإعطائه حقّه من الصّفات اللاّزمة له من همس أو جهر، أو شدّة أو رخاوة، أو استعلاء أو استفال .. كذلك إعطائه مستحقَّه من الصّفات العارضة النّاشئة عن الصّفات الذّاتية من تفخيم المستعلي وترقيق المستفل، ومن الإظهار والإدغام، والقلب والإخفاء .. إلخ»[1]. والرّسم يهتمّ بـ «أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطّية»[2]. والضّبط يعتني « بالعلامات المميّزة أو الحركات ونحوها»[3].

وقد أسهم العلماء الشناقطة في دراسة المستوى الصوتيّ إسهاماً متنوّعاً، إذ تناولوا بالدرس والتحليل علوم القراءات القرآنية، والتجويد، والرّسْم والضّبط[4]، وذيّلوا بعض مؤلّفاتهم النّحوية بالحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها[5]، كما أفردوا بعض الأصوات بكثير من الجدَل والنقاش والتحليل. والغرض هنا تقديم نماذج للتدليل بها على حجْم هذا الإسهام، قديماً وحديثاً في مجال الدرس الصوتيّ. وذلك على النّحو الآتي:

١ – **القراءات** : حظي كتاب (الدُّرَر اللّوامع في أصل مقرإ الإمام نافع) لمؤلّفه المغربي أبي الحسن علي بن محمّد الرّباطي، المعروف بابن برّي(ت – حوالي – ٧٣٠هـ) باعتناء الشناقطة، فألّفوا عليه شروحاً وتعاليق عديدة، استطاع الدكتور محمّد بن مولاي أن يحصي منها واحداً وعشرين[6]. منها مثلاً تعليقٌ مفيد للغاية، لأحمد بن الطّالب محمود بن اعمر إدوعيشي(ت١٢٥٧هـ) على الدّرر اللّوامع، سمّاه (الأخْذ)، وأبياته ممزوجة بأبيات الدُّرَر اللّوامع، وهو استدراك عليه، وترجيح بين رواياته، والأخْذ بما يراه المؤلّف أرجح. من ذلك مثلا :

– قال ابن برّي في (الدّرَر اللّوامع) في باب المقصور والممدود :

١– هداية الطّالبين في إحكام تلاوة الكتاب المبين شرح متن الجزرية، محمّد مصطفى بلال، ص٣.

٢– مقدّمة ابن خلدون، ص٥٢.

٣– الأصوات ووظائفها، ص١٠٨.

٤– قام بمحاولة إحصاء هذه المؤلّفات مثلاً المختار بن حامدن في كتابه (حياة موريتانيا الثقافية)، ص٣٧، فما بعدها، ثمّ الخليل النحوي في كتابه (بلاد شنقيط المنارة والرّباط)، ص٢١٣، فما بعدها، والدكتور محمّد بن سيدي محمّد بن مولاي في القسم الدراسي من تحقيقه (للمقبول النّافع على الدّرر اللّوامع)، ص٧٤، فما بعدها، ومحمد المختار بن الدّخوّة بن الطّالب أعلِي المسّوميّ في كتابه : (اللّؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن)، ص٤٢٩، فما بعدها.

٥– مثل ما فعل المختار بن بونا في احمراره على ألفية ابن مالك مثلاً. يراجع تقريب الطُّرّة، ج٢، ص٨٠٤.

٦– في القسم الدراسي من تحقيقه لكتاب : (المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع)، ص٧٤.

... والخُلْفُ عن قالـــــونَ في المُنفصِلِ

نحو بما أنزل أو ما أخفِـــــــــــي لعـدم الهـــــــمزة حال الوقـــفِ.

أي : يجوز عند قالون في التلاوة الوجهان : المدّ والقصر في المنفصل. فعلّق إدوعيشي على ذلك بأنّه في حالة (الرّدْف)، (وهو في المحظرة الشنقيطية يعني أن يجمع التلميذُ بين روايتن، أو رواياتٍ، تطبيقاً على الشيخ، بأن يقرأ برواية، ثمّ يُثنّي بأخرى، وهكذا)، يبدأ لقالون بالمدّ، وقدره ستّ حركاتٍ، ثمّ يُثنّي بالقصر له، وقدره حركتان. فقال :

وصدّرنْ بالمـــــــــــدّ ثمّ ثَـــنِّي بالقـــــــــصر فافهمَنْ وخذهُ عنِّي[1].

- قال ابن برّي أيضا في الباب نفسه :

والخلف في المـــــــدّ لمـــا تغـيّـرَا اولســـكونِ الوقفِ والمـــدَّ أرَى.

يعني أنّه قد جرى الخلاف عن نافع في المدّ الذي تغيّر أحد أسبابه الثلاثة : الهمزة، والسكون، والشدّة، وفي المدّ الذي أتى قبل السكون الذي لا يوجد إلّا في حالة الوقف. وهذا الخلاف هو إمّا الأداء بالمدّ المُشبَع، أو بالقصر، أو بالتوسّط.

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

والأخذ بالمدّ الطّـــــويل عنهـــما كـــذا روينــــاه فحقِّقْ واعْلـــــما.

أي العمل الراجح عنده في الأداء بالمدّ المُشبَع في ذلك لورشٍ وقالونَ[2].

- قال ابن برّي في باب التّحقيق والتسهيل :

فنافعٌ سهّـــــــلَ أخرى الهـمزتين بكِلْمـــــــةٍ فـهْي بذاكَ بــيْنَ بـيْنْ

لكـــــنْ في المفتوحتين أبْـــدِلتْ عن أهـــــل مصرَ ألِفـــاً ومُكِّنتْ.

أي : سهّل نطق الثانية بين الهمزة وما يجانس حركتها، بين الهمزة والواو إن كانت مضمومة، وبين الهمزة والياء إن كانت مكسورة، وبين الهمزة والألف إن كانت مفنوحة. لكنّ ورشا يُبدل الثانية من المفتوحتين حرف مدّ، حسب قواعد المدّ، مثل : [ءَآقْرَرْتُمْ]{ آل عمران : ٨١}.

١- المصدر نفسه، ص١٦٣.

٢- المصدر والصفحة نفسها.

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

وذا الذي يُعزَى لأهـــل مـــصرِ جَـــرَى به العمـــل فافْهـــمْ وادْرِ

غيرَ ءامـــنتمْ ثلاثِ أحـــــرُفِ كـــــــذا ءَالِهتُنا في الـــزّخرُفِ.

أي : جرى العمل عنده بالذي نُسِب لورش في الهمزتين المفتوحتين بكلمة واحدة، ولا يكون ذلك فيما صُدِّرت بثلاث هُمَز، كما مثّل[1].

- قال ابن برّي في باب الإمالة :

إلاّ رؤوسَ الآي دون هـــــــاءِ وحــــرفَ ذِكرَيهــا لأجـل الرّاءِ.

أي : إلّا ما جاء ممّا رُسم بالياء، في أواخر الآي، دون هاء، فإنّ ورشا يُميله بلا خلاف، وكذلك حرف [ذِكْرَيهَا]{والنّازعات : ٤٣}.

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

أمّا الّتي قد قُـــــرِنتْ بهـــاءِ ما كـــان منــها مـن ذوات اليـاءِ

فالخلفُ فيـها غيرَ أنّ العـــــمَلا فـيها عـلى الفتح كـما قـــد نُقِلا

أمّا ذوات الواو مِـــــن دَحَيــها كـــذا تلَيها وكـــذا ضُحَــــيها

فـليس إلاّ الفـــــتح قولاً واحدا ونجـــلُ قـاصـح لذاك قـــيّدَا.

يقصد أنّ في المسألة تفصيلاً، وهو أنّ ما كان من تلك الألفات أصلُه ياءً، مقروناً بالهاء، ففيه خلاف لورش، غير أنّ الفتح فيه أرجح من الإمالة، أمّا ما كان منها أصلُه واواً، كما مثّل، فلا يوجد فيه سوى الفتح[2].

- قال ابن برّي في باب ترقيق الرّاءات :

والسّــــيْر والطّيْر وفي حـــيْرانـا خُـلفٌ لــه حمـــلاً على عِمـرانا.

أي : في (حَيْرَانَ) {الأنعام : ٧١} قولان لورش، قول بالترقيق، وقول بالتفخيم، قياساً على : [عِمْرَانَ]{ آل عمران : ٣٣}.

١- اللّؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن، ص٤٢٩، فما بعدها.

٢- المصدر نفسه، ص٤٩٩.

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

ثمّ على الترقيق أخذُنا جَـــــــرى　　　والقـــول بالتّفخيم ممّا هــــــجرا.

يقصد أنّ الراجح في (حَيْرَانَ) لورش هو الترقيق، الذي به الأخْذ والعمل عنده[1].

- قال ابن برّي أيضا في الباب نفسه: ...　والخلــفُ في (فِرْقٍ) لِفَرْقٍ سهْلِ.

أي: الخلاف حاصل بين القرّاء في (فِرْقٍ) {الشعراء : ٦٣} لأجل الفرْق الواضح بينها وبين (فِرْقَةٍ) {التوبة : ١٢٢}.

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

والأخذ بالترقيق في الوصل فقــطْ　　　والوقفُ بالتّفخيـــــم دونما شَطَطْ.

يقصد أنّ العمل لورش عندنا على ترقيق (فِرْق) في الوصل، وتفخيمها في الوقف.

- قال ابن برّي في باب فرْش الحروف :

ولأهبْ همْـــزةٌ واللّائـــــــي　　　مـــــعْ لئلاّ في مكـــان اليــــاءِ.

أي : همز قالون موضع الياء، التي يقرأ بها ورش في هذه الكلمات الثلاث[2].

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

ومذهب الـــــدّاني على التسهيلِ　　　لــــورشهمْ في اللّائي عن دليلِ

وأخـــذنا موافــقٌ للدّانــــــي　　　إذ كـــان ذا حفْــظٍ وذا إتـــقانِ.

يقصد أنّ مذهب الداني هو تسهيل همزة (اللّائي) لورش، وهو ما اختاره إدوعيشيّ، وأخذ به[3].

- قال ابن برّي أيضاً في الباب نفسه :

ونــــونِ تامَنّا وبالإخفـــاءِ　　　أخـَذَهُ لـــهُ أُولُــــــو الأداءِ.

أي : يقصد أنّ ورشا وقالون اتّفقا عن الإمام نافع في إشمام نون (تامَنّا)، مع الإدغام، مشيرا إلى أنّ أهل التجويد أخذوا بإخفاء النون الأولى لنافع، والإخفاء هنا هو نطقها مُختلَسةً، مع فتح الثانية.

١- المصدر نفسه، ص٥٠٠، ٥٠١.

٢- المصدر نفسه، ص٥٠٤.

٣- المصدر والصفحة نفسها.

فعلّق إدوعيشي قائلاً :

وأخذُنا أيضاً بالاِخفاء جــــــرَى	فخــــذه كـــما شـــهّره مَن شهّرا
هذا والاِخفـــــــاء والاختلاس	تـــــرادفا وما بـــــــذاك باسُ
والاختلاس حـــدّه الإســـــراع	بالحــــركات كــــلّ ذا إجـــماعُ.

يقصد أنّ العمل عنده بالإخفاء في هذه النون، وأنّ الإخفاء والاختلاس ترادفا فيها؛ لأنّهما بمعنىً واحد، ولابأس بذلك عنده، مُختتما حديثه بتعريف الاختلاس[1].

وهكذا على هذا المنوال عالج إدوعيشيّ في هذه الأبواب كثيراً من مسائل المُدود : الطويل، القصير، المتوسّط، وتحقيق الهُمَز وتسهيلها، والإمالة والفتح، وترقيق الرّاءات وتفخيمها، والإدغام والإشمام. إلى غير ذلك من معالجة الظّواهر الصّوتية وتحريرها. وهي نماذج للتّمثيل فقط، مع ملاحظة أنّه غطّى أبواب الدُّرَر اللّوامع جميعها بهذه الاستدراكات والتعاليق.

٢- **التجويد** : كان للقوم إسهام ملحوظ في فنّ التجويد، نكتفي منه بالوقوف على بعض موضوعات كتاب (نسيم الرّيحان في تجويد القرآن)، للأستاذ محمّد المختار ولد الدّخوة ولد الطّالب اعْلِـي المسّومي[2]. وهو تأليف نثريّ مفيد، استوعب فيه مؤلّفه دراسة أبواب التجويد جميعها. فتحدّث ضمنَ هذه الأبواب عن مباحث صوتية جليلة، من أبرزها أحكام المدود : الطويل، والقصير، والمتوسّط، وأحكام النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة، وأحكام الغنّة ومراتبها، ومخارج الحروف وصفاتها، والوقف والابتداء والسكْت.

وفيما يلي نكتفي من هذه الأبواب بعرض ملخّص من (باب مخارج الحروف وصفاتها) عنده. حيث عرّف المخارج بقوله : « أوّلاً - المخارج جمع مخرج على وزن مَفْعَل، والمخرج لغة محلّ الخروج، وفي اصطلاح القرّاء محلُّ خروج الحرف وتمييزه من غيره، وهي بمثابة الموازين للحروف...»[3].

١- المصدر والصفحة نفسهما.

٢- ذيّل به كتابه : اللّؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن، ص٣٦٦ - ٤٢٨.

٣- المصدر نفسه، ص٤٠٢.

ثمّ ذكر المخارج الخمسة، وأخذ في شرحها بالتفصيل، عاقداً فصلاً للصفات، فذكر أنّها في الاصطلاح : « كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج من جهر واستعلاء وقلْقلة، ونحو ذلك. والصفات منها ما هو ذاتي لملازمته للحرف، كالقلقلة والاستعلاء مثلا، وهذا ما يسمّى (حقّ الحرف). ومنها ما هو عرضي كالتفخيم والترقيق والإدغام والإخفاء، ممّا يلحق الحرف أحيانا، ويفارقه أخرى، وهذا ما يسمّى (مُستحَقّ الحرف)»[1].

ثمّ أفاض في شرح هذا الإجمال، بأسلوب سهل، سلس، فقال في الاستطالة :

«الاستطالة : لغة الامتداد، واصطلاحا امتداد الصوت من أوّل إحدى حافتي اللّسان إلى آخرها. وهي صفة لحرف الضاد فقط. واعلم أنّ الضاد المشدّدة والساكنة تمتاز عن باقي الحروف بامتداد الصوت معها عند النطق مدّة حركة، أو أكثر، وذلك لاستطالتها...»[2].

المُسُّوميُّ حقيقةً في هذا التأليف قدّمَ مساهمة جليلة في مجال الدرس الصوتيّ.

٣- الرّسم والضّبط :

أوّلاً- الرسم التوقيفيّ : وهو كما يقول الدكتور محمّد بن سيدي محمد بن مولاي : «علم تعرف به مخالفات خطّ المصاحب العثمانية لأصول الرسم القياسي»[3].

وعولِج في هذا الفنّ كثير من الظواهر الصوتية، وقد ترك الشناقطة فيه العديد من التآليف، من أبرزها : (رَشْفُ اللَّمَى على كشْف العَمَى)، للشيخ محمد العاقب بن مايَابَى الجكني(ت١٣١٢هـ)، وهو نظْم مع شرحه. نكتفي منه بالإشارة إلى عمله في (باب الإدغام)، حيث تحدّث عن إدغام المثلين في كلمتين، وإدغام النون في حروف (لم يرو) بكلمتين أيضا، وكذلك التاء في الدّال والطّاء والظاء، و(قد) في الضاد والظاء والتاء، واللّام في الراء، و(إذْ) في الظاء.

ثمّ ذكر تسعة ألفاظ في القرآن العظيم يدغم فيها المثلان، أو المتقاربان في كلمة واحدة، مع المحافظة على شكل الأوّل بارزاً. وهي : [بِأَيـيَّامِ الله..] {إبراهيم : ٥}،

١- المصدر نفسه، ص٤٠٧.

٢- المصدر نفسه، ص٤١١ - ٤١٤.

٣- الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني، رشف اللّمَى على كشْف العَمَى، ص١٦.

و[يُكْرِههُّنَّ..]{النور : ٣٣}، و[يُوَجّههُّ..]{النحل : ٧٦}، ونحو : [لَـتّخَذتَّ..]{الكهف : ٧٧}، و[يُدْرِككـُّـمُ المُوْتُ..]{النّساء : ٧٨}، و[بِأَيـيِّكُمُ المُفْتُونُ..]{القلم : ٦}، و[أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ..]{المرسلات : ٢٠}. والدّال والطّاء في المضمر، التاء، نحو : [لقدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ..]{الإسراء : ٧٤}، و[عَقَّدتُّـمُ الْأَيْمَانَ..]{المائدة : ٨٩}، و[لَئِن بَسَطتَّ إِلَيَّ يَدَكَ..]{المائدة : ٢٨}، و{وَأَحَطتُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ..]{النمل : ٢٢}[1].

ثانيا – باب الضّبط : الذي هو « فنّ يعرف به ما يدلّ على عوارض الحرف، التي هي : الفتح والضّمّ والكسر والسّكون، والشّدّة والمدّ والنّقط والهمز، وغير ذلك»[2].

فقد تناوله الشناقطة باستفاضة ضمنَ مؤلّفاتهم في الرسم، فحلّلوا أثناءَ دراسته العديدَ من الظواهر الصوتية، ضمنَ مناقشة موسّعة لحقول الدرس الصوتيّ عموماً.

٤- **مخارج الأصوات**، وصفاتها في تآليف النّحاة : عقد شيخ النّحاة ببلاد شنقيط المختار بن بونا (ت١٢٢٠/ ١٢٣٠هـ) باباً لمخارج الأصوات، وصفاتها في احمراره، على ألفية ابن مالك، مستهلّا الباب بالحديث عن مخارج الأصوات الأصول، إذ قال :

لكلِّ حــرفٍ مخـــــرجٌ إن سَكَــنا	بإثْرِ همــزٍ مــوصَلٍ تَـبَـــــيَّـنَا
فالهـمزَ والهَا مُخْــــرِجٌ ذو النّطْـــقِ	والألفَ واللّيْنَ مِـن أقصَـى الحـلقِ
والحا مِن الوسط والعـــــينُ ومِـنْ	أدنَاهُ حــرفَ الخاءِ والغـيْــــنَ أبِنْ
والقـافُ مِــمّا ذا يلي والكافُ جا	مِــــمّا يلي والجيـمُ واليا خَــرَجا
مِــمّا يلي كالشّــــــينِ مِـــمّا أوّلِ	حـــافَةِ الألْسُنِ ومـا لها يـــــــلي
من جملة الأضراسِ جـا الضّاد ومِنْ	حافــتَـيِ اللّسـانِ جا اللاّمُ ومِـنْ
ما بيــنَ مـا طـــرَفَيِ اللّســـــانِ	وفــوقَ مـــا ثَـنِـيَّـةِ الإنســـانِ
جـا النّــونُ والرّاءُ وطـــاً دالٌ وتَا	مِـــن بينِ ما أصْل الثّـنَايَا قـد أتى
وطـــــرَف اللّســـانِ ما بينـهما	للـزّاي والسّينِ وصـــادٍ وانتـمَى
هـــذِي الثّلاثُ للصّـــفيرثمّ ما	مِـــن بين أطـــرافٍ لـها وبينَ ما

١- المصدر نفسه، ص٢٣٣ - ٢٣٥.

٢- اللّؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن، ص٣٤٩.

طَــــــرَفـــــهِ لِلــظَّا وثــاً وذالِ وبــاطـنُ الشّــفـــة ذوانسِــفالِ
لِلْفا وأطـراف الثّـــنايا العُــــليا وأَخْـــرِجَـــنَّ الميمَ نِلْـتَ العَـلْيَا
والبــاءَ بيـنَ الشّــفــتيـْن مُطبقا كالـــواوِ إلاّ أنّها لــنْ تُطْــبَــقا[1].

ثمّ عقد فصلاً للمخارج الفروع، والصّفات، فقال :

واسْتُحْسِنتْ لهـا فـروعٌ فاعْلــمِ كالألفِ الممالِ والمُفَـخَّـــــــــمِ
وهمْزنا المُسهَّلِ المَعــــــــلوم والغُنّـةِ التي مِنَ الخَـيْـــــشوم
والصّادِ كالزّاي وشِـــينٍ مِثْلِ جيمْ واسْتُقْبِــحَتْ أُخَرُ كالكافِ كَجيمْ
والعكسِ والجيم كَشينٍ وكَسِـــينْ صادٌ وطاً كالتّا وظـــاً كَـثَا يَـبينْ
وبــاً كَفاءٍ وكَضادٍ ضُـــعِّــفَتْ ومامِن الحروفِ قد حَـوَى (سَكتْ
فَحَثَّهُ شَخْصٌ) فبـالْهْمــــوسَةِ تُدْعَى وغيرُهُنَّ بالمــــــــجهورةِ
وما حَوى (أَجْدَكَ تَطْبَقُ) دُعِـــي شديدةٌ وما حوَاها فاسْمَــــــــعِ
(لمْ يَرْوِ عَنَّا) فادْعُها مُــوَسَّطَـــهْ وما عدَاها رَخْوَةً مُنضَــبِطَـــــهْ
مُطْبَقَةٌ صادٌ وطاءٌ أَهْــــــــمِلاَ أوْ أَعجِما وما عَــدَاها فاجْـعَـــلاَ
ذاتَ انفتَاحٍ وادْعُ بالمُسْتعْلِـــيَهْ الغيْنَ والمُطْبَقَ والخَا فَـادْريَـــــهْ
والقافَ. والغيرَ فَوَصْفَها اعْقِـــلَهْ خَفْضاً و(قُطْبُ جَدٍّ) المُقَــلْقَلَـــهْ
واللَّيْنُ (وايٌ) وادْعُـها المعْتلَّـــهْ والهمْزَ زادَ نَـفَـرٌ أَجِـــــــلَّـــهْ
ولِلتّـفَشّي الشّينُ باتِّفــــــاقِ وصِـفْ بِهِ الضّادَ على شِـــــقاقِ
والرَّا المكرّرَةَ والمُنـــــــــحرِفا اللاّمَ والهاويَ يَدعُو الأَلِـــــفَا
والهمزةَ المَهْتوتَ ذو الحَـــــذاقَهْ و(مُرْ بِنَقْلٍ) أحرُفُ الذَّلاَقَـــــهْ
وما عدَاها فــــادْعُ بالمُصَمَّــتَه وما سوى ذلكَ فاجْعَلْ نِسْبَتَـــــهْ
إلى المَــــخارج وما جــاوَرَها فاقْـفُ الهُداةَ واجْفُ مَنْ غايَــرَهَا[2].

وهذا الباب مشروحٌ شروحاً ضافيةً في طُرّة المؤلّف على الاحمرار، وفي شروح

---

[1] - تقريب الطُّرّة، ج٢، ص٨٠٤ - ٨٠٦.

[2]- المصدر نفسه، ص٨٠٧ - ٨٠٩.

الاحمرار، التي سبق الحديث عنها في مباحث الفصل الأوّل، من الباب الثاني.

٥- **اختلاف الشناقطة في نطْق بعض الأصوات العربية**، وهي : (الهمزة المسهّلة بين بين، الجيم، الضّاد). فقد حصل نزاع شديد بين القوم في نطق هذه الأصوات في قراءة القرآن الكريم. ولكلّ فريق أدلّته التي استند إليها واعتمد.

أوّلاً- الهمزة المسهّلة بيْـن بيْـن : وقع جدلٌ كبير بين الشناقطة في نطْق الهمزة الثّانية مِنَ الكلمات : [أَؤُنَـبِّـئُكُمْ..]{آل عمران : ١٥}. و[أَئِـنَّـكُمْ...]{فصّلت : ٨)، و[أَءَالِهَـتُـنَا...]{الزّخرف : ٥٨}. وأشباهها، فبعضهم ينطقها هاءً خالصة، وجمهورهم ينطقها مسهّلةً بين بين، أي بين الهمزة وما يجانس حركتها. وفيما يلي عرض أدلّة الفريقين:

أ- **أدلّة أصحاب الهاء الخالصة** : من أصحاب هذا الاتّجاه الشيخُ أعمر بن محّمْ بَـوْبَـه الجكني (ت١٤١٣هـ)، حيث له مكتوبٌ، يؤيّد فيه الهاء الخالصة، يقول في مستهلّه :

« أمّا بعد... فأردت أن أردّ على مانعي القراءة بالهاء الخالصة ما سُهّل بين بين ... ثمّ اعلم وفّقني الله وإيّاك للصّواب أنّه يجب تحسين الظّنّ بالدّاني[١]، ومن أساء الظّنّ به زعم أنّه تعدّى بتجويز القراءة بالهاء الخالصة؛ لأنّه يعلم أنّها لم تصحّ نسبتها للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وما لم تصحّ نسبته للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا يُعدّ قرآنا، وحينئذ يكون نسَب له ما يُكفَّر به فيكون كفَّره، ومن نسب أحداً إلى الكفر باء به أحدهما. وفي عمدة البيان على الرّسم للخرّازي ما نصّه :

روى عيـــاضٌ أنّـه منْ غـــيّرا ... حــــرفاً من القرآن عمداً كفــرَا
زيادةً أو نقصـــاً أو إن بــــــدّلا ... شيئاً مــن الرّســـم الذي تأصَّلا.

ومن كذَّب العازي للدّاني في العزْو له زعم أنّه نسَب للدّاني ما يُكفَّر به، فاتّقوا الله يامنكري الهاء»[٢].

ومجمل أدلّتهم، كما ذكر الدكتور محمّد بن مولاي [٣] هي :

- أنّ الهاء الخالصة وردت في رواية عن الإمام الدّاني، في النّجوم الطوالع[٤] على ابن برّي.

١- هو الإمام أبو عمرو الدّاني الأندلسي، المتوفّى سنة٤٤٤هـ.

٢- المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص٨١، ٨٢. والمكتوب المذكور يبلغ ٢٨ صفحة.

٣- في القسم الدّراسي من تحقيقه كتاب المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص٨٣، ٨٤.

٤- ص٦٧. «ولكن في النجوم : والأكثرون على المنع ». يراجع المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص٨٣.

– أنّ القراءة بالهاء الخالصة إنّما وصلتهم عن ابن القاضي[1]، أشهر رواة المغرب في زمانه، ومنكرو هذه القراءة يعتمدون في سندهم عليه، فكيف ينكرون قراءةً ثابتة عن شيخهم القريب ابن القاضي، وشيخهم البعيد الإمام أبي عمرو الدّاني؟.

– أنّ الرّافضين للهاء الخالصة لا يجيدون (بين بين)، ولا يجدون لها شيخاً، والقراءة دون شيخ ضلال مبين، وينسبون للمرابط محمد أحيد بن سيدي عبد الرحمن المسّومي (توفّي حوالي ١٣٣٦هـ) قوله :

إيّاكَ أن تقـرأ بـيْـنَ بـيْـــــــــــنَا | فإنّـــنا في أمـــــــــرها رَوَيْـــــــنا
في ثامنِ القرونِ قـرنُها انتهـــــــــى | ســـــــــدنا يُصيِّرُ الهـــــمزةَ ها.

– أنّ العدول عن الهاء، وبين بين، يؤدّي إلى تحقيق الهمزة عند من يقرأ بقراءة نافع، وهو جمع بين قراءتين، والجمع بينهما ممنوع، وقيل مكروه[2].

– أنّ في قراءة بين بين بالهاء الخالصة تيسيراً، ودين الله يسر.

– أنّ من حججهم اللّغوية كثرة إبدال الهمزة هاءً في اللّغة العربية، يقول المرابط محمد أحيد (ت١٣٣٦هـ) :

فـبَانَ مِن ذا أنّ مَـن قد قـــــــرأ | لهمـــــزة التسهيل بالــــــها ما نَـآ
عن الصّـــواب إذ بهاءٍ يُـبـــــدلُ | الهمـــزُ عنـدهم كما قد نقــــــلوا
من قولهم هِيّاك في إيّـــاك مـــــع | هــــرقت في أرقت هاءً قد وقـــعْ.

– كتابة الهمزة هاء عند بعض الكتّاب، مثل: جاه في جاء، وهامنوا في آمنـــوا[3].

– قرب مخرج الهمزة من مخرج الهاء، حتّى قيل إنّهما في مستوى واحد.

– كثرة القارئين من الفضلاء الأتقياء المتقنين لفنّ القراءة بالهاء الخالصة.

ب – أدلّة أصحاب التّسهيل، بين بين : انطلق الشناقطة المانعون القراءة بالهاء الخالصة منذ البداية من قول ابن برّي في الدّرَر اللّوامع [4] :

١– لم أقف على تاريخ وفاته.

٢– محلّ ذلك جمعهما في كلمة واحدة.

٣– تحصيل المنافع، الورقة ٥٤، مخطوط دار الثقافة رقم٢٢١٩. يراجع المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص٨٤.

٤– المصدر نفسه، ص١٧٦.

فَنافعٌ سهَّل أُخرى الهمــــــــزتينْ بكِلمـــةٍ فهي بذاك بـيْـــن بـيْـــنْ.

وذلك لتأثّرهم الكبير في مجال القراءات بهذا التأليف منذ نشأة ذا الفنّ بقطرهم.

ومجمل أدلّة هذا الفريق هي [1] :

- أنّهم نفوا ثبوت قراءة الهاء عن الدّاني مطلقا، قال الشيخ عبد الله بن دادّاه[2] في منظومة له في إبطال الهاء الخالصة:

ونحن نُنكر وجــــــــود سنــدِ بالهــــاء للــــــــدّاني بلا تردُّد

فالمدّعي له بـــــــذي الها سنــدَا يأتي على الذي ادّعَى بشُـــــهَدا

ولا يثبت القـــــرآن إلاّ بسـنــدْ متّــصل عـــن عــدَد جمٍّ ورَدْ

والكتْب توجـــد مَـن ادّعــــاها فلـــــــيأتِنا بــــها لكي نراهـا.

- انقطاع سندها عن الدّاني على افتراض وصولها إليه.

- رأى العلاّمة الشيخ محمّد الأمين الشنقيطيّ(ت١٣٩٣هـ) في تفسيره (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) أنّها لم تثبت عن أحد من القرّاء، لا الدّاني ولا غيره، حيث قال : «اعلم وفّقني الله وإيّاك أنّ ما جرى في الأقطار الإفريقية من إبدال الهمزة الأخيرة هاء خالصة من أشنع المنكر وأعظم الباطل، وهو انتهاك لحرمة القرآن العظيم، وتحدٍّ لحدود الله، ولا يعذر فيه إلاّ الجاهل الذي لا يدري، الذي يظنّ أنّ القراءة بالهاء الخالصة صحيحة، وإنّما قلنا هذا؛ لأنّ إبدال الهمزة هاء خالصة لم يروه أحد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم ينزل عليه به جبريل البتّة، ولم يروَ عن صحابيّ، ولم يقرأ به أحد من القرّاء، ولا يجوز بحال من الأحوال»[3].

- مخالفة هذه القراءة للقياس النّحوي، قال محمّد مولود (ت١٣٢٣هـ) :

مَن جعل الهمزة هاءً خالـصـــــا لحـــن لحنـــاً مستبيناً وعَصـــى

كما به النّووي شيــــــخ المقرئين صرّح في إرشـــــــاده للقـــارئين.

١- يراجع الدكتور محمّد مولاي، القسم الدّراسي من تحقيقه على كتاب : (المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع)، ص٨٤، فما بعدها.

٢- لم أقف على تاريخ وفاته.

٣- أضواء البيان، ج٧، ص٧٨١.

وقال محمد المختار بن محمد يحيى الولاتي (ت١٣٥٢هـ):

أوّل مَـــــن قال بـه أكــــازُ ... وقوله ليس لــه اعــــــــتزازُ
لأنّه خالف خـــــــطّ المصحفِ ... والنّحـــوَ والسّنَدُ فيـــــه مُنتفِ.

– قالوا لو كانت فيها رواية صحيحة لذكرها الأقدمون من أهل التّجويد في كتبهم، وجعلوا سبب وقوع المبْدِلين في الخطإ توهّما في فهم النّصوص الواردة عن الأقدمين، واختلفوا في تفسير ذلك التّوهّم على ثلاثة أقوال، حيث رأى بعضهم أنّه توهُّم جاء بسبب سوء فهم شرح الدّاني لمصطلح التّسهيل، وذلك أنّه قال: إنّ الهمزة لّما سُهّلت بين بين زالت شدّتها فشابهت الهاء في ضعفها فظنّ القوم أنّ التشابه في الصفة هو التشابه في الصوت، وشتّان ما بينهما.

ورأى بعضهم أنّه توهّم في نصّ لابن القاضي منظوم محذوف منه مُضافٌ، وناب عنه المضاف إليه، والمضاف المحذوف هو (صويت)، والمضاف إليه النّائب عنه في الإعراب هو الهاء، واستدلّ على هذا بأنّ ابن القاضي ذكر (صويت) الهاء في نثره، وقال في نظمه:

واختلفوا في النّطق بالتسهــــيل ... فــقيل بالهـــاء بلا تفـــصيلِ.

ولّما كان النّظم أضيق مجالاً من النثر وأكثر تعرّضاً للحذف لزم حمل عبارة النّظم على عبارة النّثر. وقال محمد المختار بن محمد يحيى الولاتي (ت١٣٥٢هـ)، في نظمه المسمّى دُرّة الغامض في الرّدّ على أهل الهاء الخالص:

واغترّ من جهـــــــــلا إليه ما لا ... بنظـم نجل القاضـي حين قـالا
واختلفوا في النّطـق بالتسـهـــيل ... فـــقيـــل بالـهاء بـلا تفـــصيلِ
من بعـد نـثره الذي فيـــــه أبى ... عـن ذكر هــاء مطـــلقا فـــوجبا
أنّ مـــضـــافا في النّظام حـــــذفا ... وهـو صويت الها لما قــــد عــرفا
لا ســـيـما إن كان في نـــــثرٍ وفَى ... بمقـــصد النــاظم حيث عــرفا.

بينما رأى بعضهم أنّ التوهّم حصل من قول ابن القاضي بجواز صوت الهاء عند النطق ببين بين على سبيل الاستحسان، حيث قال: « إنّ الهمزة المسهّلة لّما صارت دون مخرجها وسط الحلق، ووسط الحلق هو موضع الهاء، فلّما اجتمعت مع الهاء في مخرج

واحد يمكن أن يكون فيها منه قليل استحساناً منه. وأنكر عليه أهل التّجويد قاطبة»[1].

- كما أنّه « لّما لم يثبت لهذه القراءة ركن واحد مقطوع بصحّته ترجّح فيها قول العلماء الذين عدّوها من البدع الدّاخلة في الإسلام على حين غفلة من أهله أيّام جنوح الأمّة إلى الإفراط في التقليد والإقبال على حفظ المتون المختصرة دون ربطها بأصولها الأولى ومراجعها الأساسية»[2].

ويقول محمد العاقب بن مايابى (ت١٣٢٧هـ) في منظومة يردّ فيها على أهل الهاء الخالصة، بدلَ بين بين :

ومَـن لهاءٍ خالصٍ قد أوقعـــا   مـنهم فقد أحدث قـــولاً رابعـــا
وخالف الإجمـــاع والشّرّاحـا   وحــــادَ عن نهج الهدى وانزاحا[3].

وبهذا يتبيّن لنا قوّة أدلّة هذا الفريق، وضعف أدلّة الفريق الأوّل، فيما أرى. يقول الدكتور محمد بن مولاي في الرّدّ على أصحاب الهاء الخالصة : « ليس بحجّة من جهتين، الأولى أنّه مخالف لكثير من أهل الرّواية والدّراية في هذا القطر الذي احتجّ به، ومخالف لما عليه أهل الأداء في جميع العالم الإسلاميّ، إلاّ قلّة بالمغرب العربي، والثّانية أنّه منقطع الإسناد، مداره على انفرادٍ، غايته الشّذوذ»[4].

زد على ذلك أنّ الأدلّة اللّغوية التي استند إليها هذا الفريق (أصحاب الهاء الخالصة) شاذّة، مخالفة للقياس، وللفاشي من لسان العرب، هذا إذا لم تكن مصنوعة، أو منسوجة بعد عصور الاستشهاد، وعليه فلايُلتفت إليها في قراءة القرآن العظيم.

ثانياً- الجيـــــم: اختلف الشناقطة أيضا اختلافا شديدا في نطق الجيم في القرآن الكريم، فجمهورهم ينطقها شديدة، وبعضهم ينطقها متفشّية كالشين[5]. ومن المعلوم أنّ الجيم عند سيبويه على ثلاثة أنواع، جيم شديدة، وهي الأصل التي يمنع الصوت

١- القسم الدراسي من المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص٨٧.

٢- إرشاد القرّاء، محمد المختار بن أحمد، ص٤٠. نقلاً عن الدكتور محمد بن مولاي، القسم الدراسي من المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص ٨٩.

٣- القسم الدراسي من المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص٨٧.

٤- المقبول النّافع على الدّرر اللّوامع، ص١٧٧، الحاشية ٧.

٥- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٣.

معها من الجريان، باعتبار«الشّدّة امتناع الصّوت أن يجري في الحرف» [1]، وهذه هي «الجيم الفصحى، وهي الشديدة»[2]. وجيم كالكاف، وجيم كالشين[3]. وفيما يلي أدلّة الفريقين :

أ- أدلّة أصحاب الجيم المتفشّية: يرى هذا الفريق أنّ الجيم الشّديدة لغة السّودان، وهم عجَـم، وأنّ أصحابها يجعلون لله ما يكرهون؛ لأنّهم ينطقون في كلامهم العادي، وفي الأشعار، وفي الكتب والفقه بالجيم المغربية، وأمّا القرآن والحديث فلا ينطقون فيهما إلاّ بالجيم الشّديدة[4]، وأنّ التّفشّي الذي يُتحدّث عنه هو عبارة عن الامتداد المكاني الزّائد، وليس الامتداد الزّمني[5]، وأنّ الجيم غير المنعقدة يظهر فيها الانفتاح والانسفال، وفيها من الانحصار ما ليس في شريكتها في المخرج، على أنّ بعضهم يفهم الانحصار مكانياً لا زمانياً[6].

ويقول العلاّمة المؤرّخ الشنقيطيّ المختار ولد حامدن، وهو من المنتصرين فيما يبدو للجيم المتفشّية : «وكانوا يسمّون غير المنعقدة بالجيم المتفشّية، لفهم التفشّي بالامتداد الزمنيّ، والحال أنّ التفشّيّ هو الامتداد المكاني الزائد، وإلاّ لكانت الحاء والخاء والذال والفاء والرّاء والزّاء والسّين والصّاد والظّاء والعين والغين والواو والياء متفشّيات»[7].

ومن أبرز علماء شنقيط المنتصرين لهذه الجيم، المدافعين عنها : الشيخ محمّد اليدالي (ت١١٧٧هـ)، والشيخ محنضْ بابا بن اعبيد (ت١٢٧٧هـ)،والشيخ محمد المامي (ت١٢٨٢هـ)،والشيخ محمّد بن حنبل(ت١٣٠٠هـ).

ب – أدلّة أصحاب الجيم الشّديدة: احتجّ هذا الفريق بمجموعة من الأدلّة، أبرزها: « أنّهم راعوا في القرآن والحديث وجوب النطق باللّغة الفصحى، وفيما عداهما اتّبعوا السّهل مع جوازه؛ لأنّه لغة توجد بمرجوحية – و – أنّ الجيم المتفشّاة لغة الشّلح

١- المصدر نفسه، ص٥١٤.

٢- المصدر نفسه، ص٥١٥.

٣- كتاب سيبويه، ج٤، ص٤٣٢.

٤- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٤.

٥- حياة موريتانيا الثقافية، ص٤٥.

٦- المصدر نفسه، ص٤٦.

٧- المصدر نفسه، ص٤٦.

والبربر.. وحيث وقع دليلان متقابلان بالنسبة إلى العجم، فالحكم بيننا إنّما هو كتب الأئمّة» [1].

ومن أدلّتهم القوية أنّ شيخ النّحاة سيبويه جعل الجيم الشديدة هي الأصل، والجيم التي كالشّين فرعاً عنها، وأنّها غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة مَن تُرضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن، ولا الأشعار. حيث يقول : «وتكون - الأصوات - خمسة وثلاثين حرفاً بحروفٍ هنّ فروع ... وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة مَن تُرضى عربيته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشّين ... ومن الحروف الشديدة، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم .. إلخ »[2].

فهذا نصّ صريح، بيِّن الدّلالة، في أنّ الجيم التي هي فرعٌ متفشّيةٌ، يجري فيها الصّوت كما يجري في الشّين، لا تستحسن في القرآن، ولا الشعر. وهذا في الحقيقة من أقوى الأدلّة.

يقول العلاّمة الشنقيطي أحمد بن الأمين في كتابه الوسيط، منتصراً فيما يبدو للجيم الشديدة : «فعرفت أنّ منع الجري في الجيم ولزومه لموضعه يمنعان دخول الجيم المغربية تحت هذين المعنيين؛ لأنّها متفشّية قطعاً، وذلك النوع فرع من غير نكير، فلا يجعله التعوّد أصلاً يعتمد عليه. وهذه النصوص المتقدّمة لا تقبل التأويل، وقد رأينا قرّاء مصر - وهم من أكثر بلاد الإسلام قرّاء - لا ينطقون بالجيم المغربية، وإن كان بعضهم يجعلها كافاً معقودة، إلاّ أنّ هذه أقرب إلى الجيم الشديدة من المغربية، فإنّها تقارب الشين، والكاف أقرب إلى الجيم الشديدة من الشين، أمّا أهل الحجاز واليمن ونجد والعراق، فكلّهم ينطقون بالشديدة.. والحاصل أنّ الجيم فصحى، وهي الشديدة، وفرعية، وهي المغربية، وأكثر القرّاء في جميع الأرض على الفصحى، إلاّ المغرب وأهل القبلة من صحراء شنقيط»[3].

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٤.

٢- كتاب سيبويه، ج٤، ص٤٣١ - ٤٣٧.

٣- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٥.

وبهذا يتّضح لنا ضعف أدلّة أصحاب الجيم المتفشّية، وقوّة أدلّة أصحاب الجيم الشديدة، ونصاعتها. وقد ألّف الفريقان في الموضوع تآليف نظمية ونثرية ثرّة، أكثروا فيها من التحاليل والمناقشات، وتسويغ الحُجَج، ودحْض أدلّة الخصم[1]. ومن أبرز علماء شنقيط المتصرين للجيم الشديدة : الشيخ سيدي محمّد بن حبت القلاّوي (ت١٢٨٨هـ)، والشيخ بن حامني القلاّوي(ت١٣١٨هـ)، والشيخ محمّد فال بن بابا(ت١٣٤٩هـ).

ثالثاً - الضّــــاد : أثار نطْق الضّاد في القرآن العظيم نزاعاً بين الشناقطة قديماً وحديثاً. ومن المعلوم أنّ مخرجها عند سيبويه [2] «من بين أوّل حافة اللّسان، وما يليه من الأضراس.. وفي التّسهيل (لابن مالك) : وأوّل حافة اللّسان وما يليه من الأضراس للضّاد. وقال السيوطي في جمع الجوامع : وأوّل حافتيه وما يليهما من الأضراس للضّاد، وهو من الأيسر أقيس، قيل تختصّ به، وقيل : بالأيمن»[3].

ويقول ابن جنّي : «ومن أوّل حافة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرجُ الضّاد، إلاّ أنّك إن شئت تكلّفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»[4].

وجمهور أهل شنقيط ينطقونها كما ينطقها أهل البلاد الإسلاميه، بينما رأت قلّة منهم ــ من أبرزهم الشيخ محمّد فال بن بابا (ت١٣٤٩هـ)، والشيخ بُدّاه بن البصيري (ت٢٠٠٩م)، وإمام الجامع الكبير الآن بانواكشوط الشيخ أحمدُو بن المرابط ــ أنّ الضّاد التي ينطقها الجمهور قريبة من الدّال، بعيدة عن الضّاد التي حدّد سيبويه وغيره من اللّغويّين مخرجها. وقد رأى جمهور الشناقطة أنّ هؤلاء لاينطقون إلاّ ظاءً، ليست من الضّاد في شيء، وأنّ الضّاد التي ينطقها الجمهور هي الضّاد العربية، الموصوفة في كتب التّراث العربيّ.

١- مثلاً كتاب المقبول النّافع على الدّرَر اللّوامع، ص٩٠، فما بعدها.
٢- كتاب سيبويه، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٣١ - ٤٣٧.
٣- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٦.
٤- سرّ صناعة الأعراب، ج١، ص٤٧.

يقول العلاّمة أحمد بن الأمين الشنقيطي : «كلّ أهل شنقيط ينطق بالضّاد الموجودة في مصر وغيرها، سوى العلاّمة اللّقن الفهم محمّد فال بن بابا حفظفه الله، فإنّه ينطق بها قريبة من الظّاء المألوفة، وكان أحدث القراءة بهذه الضّاد بعد أن رجع من الحجّ في آخر أيّام السّلطان مولاي الحسن رحمه الله. وقد أنكر عليه بعض أهل شنقيط ذلك. وقدمتُ من القسطنطينية سنة ١٣١٩هـ، فاجتمعت ببعض أفاضل الشّام، فذكروا أنّ الفقيه الصّالح عبد الحكيم الأفغاني رحمه الله ذكر أنّ الضّاد التي ينطق بها الدّمشقيّون وغيرهم غير صحيحة، منكرين عليه ذلك، فقلت لهم : هذا الذي قال : قال به أحد علمائنا، أعني محمد فال المتقدّم. وهو ظاهر ما في الكتب... والحاصل أنّ هذه الضّاد المألوفة عندي وعند غيري غير صحيحة؛ لأنّها تُباين التي وصفها سيبويه»[١].

والعلاّمة ابن الأمين الشنقيطي منتصرٌ فيما يبدو لما ذهب إليه القلّة من الشناقطة، حيث يقول : « ولا ينطق بها وبالحاء غيرُ العرب... فعلمت أنّ الضّاد التي ينطق بها أكثر النّاس غير التي مضت صفتها، وأنّها أقرب إلى الدّال منها إلى الضّاد المذكورة، ومـمّا بين طرف اللّسان وأصول الثّنايا مخرجُ الطّاء والدّال والتّاء، فهذا هو مخرج الضّاد الموجودة الآن عند أكثر النّاس. وقد أطلنا في هذين الحرفين – الجيم والضّاد – لفساد الأوّل عند المغرب، ولفساد الثاني عند الجميع»[٢].

وقد أشار سيبويه بعد أن وصف مخرج الضّاد بأنّه «من بين أوّل حافة اللّسان، وما يليه من الأضراس» إلى ضادٍ أخرى ضعيفة، ليست بالكثيرة في لغة مَن تُرضى عربيه، ولا تستحسن في القرآن ولا الشعر، إذ قال : «وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة مَن تُرضى عربيته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشّين والضّاد الضعيفة... إلخ»[٣].

١– في كتابه : الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٥، ٥١٦.

٢– المصدر نفسه، ص٥١٦، ٥١٧.

٣– كتاب سيبويه، ج٤، ص٤٣١ – ٤٣٧.

وأرى أنّ ما ينطقه اليوم أغلبُ النّاس هو أقرب إلى هذه الضّاد الضعيفة، وذلك لصعوبة مخرج هذا الصوت. وهو ما عبّر عنه أحمد بن الأمين الشنقيطي بقوله: «ولا ينطق بها وبالحاء غيرُ العرب... والضّاد أصعب الحروف في النّطق، وهي من الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها، وهي قليلة في لغة بعض العجم، ومفقودة في لغة الكثير منهم .. والضّاد لا يُخرج من موضعها غيرها من الحروف عندهم»[1].

وقد كتب الدكتور يحيى بن محمّدّن الهاشمي، أستاذ اللّسانيات بجامعة انواكشوط مقالاً قيّماً استعرض فيه العلاقة بين الضاد والظاء[2] عبر العصور الإسلامية، متوصّلاً إلى أنّ أهل القرون الهجرية الثلاثة الأولى كانوا ينطقون كِلا الصوتين من مخرجه، دون حصول أيّ التباس أو تشابُهٍ عندهم في مخرجيهما، مُلمِّحاً إلى أنّ الضّاد التي ينطقها الجمهور اليوم هي الضاد العربية الأصيلة التي كان ينطقها أهل هذه القرون المزكّاة، وليس كما يقول الذين ينطقونها ظاءً، أنّها قريبة من صوت الدّال. حيث يقول في بعض خلاصاته:

تضمّن القسم الأوّل(من المقال) صفوة النصوص الأصلية التأسيسية المتناوِلة للموضوع في عصر الاستشهاد وامتداداتها في القرون اللّاحقة عند علماء اللّغة والقراءات.. فكانت تلك خلاصة الأقوال والمواقف في النتائج التالية:

- اختلاف الحرفين في المخرج اتّفاقاً.
- اختصاص الضّاد بصفة الاستطالة اتّفاقاً.
- التفاوت بين الحرفين في الصفات المشتركة.
- قوّة الضاد الفصيحة لاتّصافها بدرجات أعلى من الظاء في صفات الإطباق..
- ضعف الظاء لاتّصافها بدرجات أعلى من الضاد من صفات اللّين والرّخاوة.

وجود ضاد ضعيفة طرأت بعد العهد الأوّل، لها صفاتها وحيّزها، يتكلّمها قوم استعصت عليهم الضاد الفصيحة[3].

١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٥١٦.

٢- بعنوان: العلاقة بين الضاد والظاء. وهو منشور في ثلاث حلقات بمجلّة (التعليم)، التي يصدرها المعهد التربوي بانواكشوط، الأعداد: ٣٢/ سنة٢٠٠١م. و٣٣/ سنة٢٠٠٢م. و٣٤/ ٢٠٠٣م.

٣- المصدر نفسه، العدد ٣٣، ص٩٢.

وخلاصة مناقشاته انتصارٌ واضح منه لفريق الضاد الفصيحة، غير المشوبة بصوت الظاء، مدعوم بفيض غزير من الأدلّة والبراهين، حاسمٌ كلّ مقال في المسألة، فيما أرى.

٦- كتب الباحث محمّد بن بلال بحثاً مهمّاً لدراسة أصوات اللّهجة العربية الحسّانية، كما سلف ذكره في مبحثي(المجال التركيبي، والمجال الصرفي) بعنوان : (الوصف الصوتي والصواتي في الحسّانية). يقول في مستهلّه :

كما يمكن أن نميّز كلمة عن أخرى بكمّية الأصوات الداخلة في بناء الصوتية، مثل: قَالْ (ق= g) : صوتية حسّانية. قُلْ : صوتية حسّانية، تختلف عن سابقتها كمّاً وكيفاً ودلالةً، فالفرق يكمن في أنّ اللّين في المثال الأوّل أطول من الفتحة في المثال الثاني. كما أنّ الحركات في الحسّانية تلعب دوراً مهمّاً في تمييز صوتية عن أخرى، كما في الأمثلة التالية في الأفعال : قَلْتْ، قَلْتِ، فالكسرة في المثال الأخير تدلّ على خلاف المقصود من الفعل الأوّل. وممّا يدعو إلى الدهشة وجود بعض الكلمات ذات الأصوات الواحدة والمعاني المختلفة، ويكون التمييز في هذا إلى نطق الأصوات المركّبة ووقوع النبر على بعضها، فبعض هذه الأصوات مفخّم، وبعضها مرقّق، مثل : جَـرْ: بتفخيم الراء، ومعناها السَّحْب. جَرْ: بترقيق الراء، معناها اجترار الحيوان لِما يأكله. كما أنّ موقعية الكلمة في السياق تختلف من جملة إلى أخرى، مع أنّ العائلة الصوتية تظلّ ثابتة. ومن هذا كلّه نخلص إلى أنّ الصوتية عبارة عن مجموعة من الأصوات المشكّلة في بيئة واحدة، والمؤدّية لمعنى مستقلّ...[(١)].

ورأى الباحث أنّ النبْر في اللّهجة الحسّانية يُشابِه إلى حدّ كبير النبر في العربية الفصحى، إذ قال :

ومن هنا نقول إنّ النبر في العربية ثابت نسبياً، عكس النبر في الانكليزية والفرنسية، فالنبر فيهما حرّ، والنبر في الحسّانية يشبه إلى حدّ كبير النبر في العربية... والنبر في اللّهجة الحسّانية يعني ارتفاع قوّة الصوت في المقطع، أو الكلمة.. وننطلق من الموقعية إلى تقسيم النبر إلى :

- نبر المقطع الواحد، وهذا نبر يتعلّق بالصرف.
- نبر الكلمة، ولهذا النبر وظيفة دلالية.

١- الوصف الصوتي والصواتي في الحسّانية، ص١٣، ١٤.

يقع النبر على المقطع قبل الأخير إذا كان من النوع الطويل، مثل : قَالْ (ق= g)، ويندر وقوعه على المقطع الأخير؛ لأنّ الحسّانية يكثر فيها إسكان الأواخر، والإسكان يصحبه انخفاض في الصوت، وبالتالي عدم النبر. وكلّ صوت في الحسّانية مشدّد فهو منبور : قَدَّمْ (ق= g)، لَصَّقْ.. إلخ[1].

وتحدّث الباحث ابن بلال عن ظاهرة التنغيم في اللّهجة الحسّانية، مبرزاً مواطنه بها، حيث قال : «وفي اللّهجة الحسّانية يمكن ملاحظة التنغيم في أكثر من صيغة! : (إِلَـيْـنْ تْـرَاجِـعْ دُرُوسَـكْ دَّوْرْ تَـنْـجَـحْ)، فهاتان الجملتان إحداهما شرطية، والأخرى جواب لها، والتنغيم يقع على كلّ واحدة منهما، وذلك بالوقوف على الأولى وقفة تنفّس، وذلك لإثبات الشرط، ويقع التنغيم على الأخرى ليؤكّد جواب هذا الشرط... فنبْر الكلمة أو إعطاؤها صوتاً ذا نوْع خاصّ، كلّ هذا يدخل في التنغيم، فيصبح النبْر نغمةً، مثل : (جَانَ رَاجِلْ طَوِيلْ)، فعند مدّ الواو في (طويل) مدّاً طويلاً يُصبِح نبْراً، وبالتالي تنغيماً دالًّا على المبالغة.. كما أنّ في الحسّانية ألفاظاً تدلّ على التنغيم، مثل : (يَـلَّالِ (بتفخيم اللّام الأولى) وُوكَـكْ، اسْـكِ)» [2].

وتحدّث عن ظاهرة التأليف بين الأصوات في اللّهجة الحسّانية، فقال : «وما ظاهرة التبادل بين الحروف في الاستعمال الحسّاني إلّا دليلاً على تقارب الحروف في المخارج. من هذا الإبدال ما بين القاف والقاف المعقودة (g)، يقولون مثلاً : ثَقِيلْ واثْقِـيلْ. وكذلك بين القاف والغين، يقولون مثلاً : شَغْلَه وشَقْلَه، عبد الغادر وعبد القادر، وقِشَّابَه وغِشَّابَه، ويكثر كذلك إبدال الضاد بالظاء، وهذا هو السبب في قلّة وجود الضاد في الحسّانية... إلخ»[3].

كما ناقش ظاهرة التسهيل في الحسّانية، بمعنى تخفيف الهمزة بإسقاطها أو إبدالها، فقال :

ومن جملة هذه التسهيلات حذف الهمزة في وسط الكلمة وآخرها : ذِيب : أصلها ذئب، فحذفت الهمزة في الحسّانية تسهيلاً لنطق الكلمة، وبقيت الياء دالّة على أنّ أصل

١- المصدر نفسه، ص١٥، ١٦.

٢- المصدر نفسه، ص١٧.

٣- المصدر نفسه، ص١٨.

الهمزة في العربية على الياء. صايِمْ : أصلها في العربية صائم، فحذفت الهمزة في الحسّانية للتسهيل، وبقيت الياء دالّة على أنّ أصلها في العربية على الياء. ومن التسهيلات في الحسّانية في مجال النطق ظاهرة الإسكان التي احتلّت الصدارة.. وكانت السمة والخاصّية التي ميّزت الحسّانية عن غيرها من اللّهجات العربية، فالعبارات الحسّانية في الغالب تقف على ساكن، سواء أكانت أفعالاً أم أسماء، ممّا يؤكّد عدم مبالاة هذه اللّهجة بنظام الإعراب؛ لأنّ الإعراب ينظر إلى أواخر الألفاظ، وفي الحسّانية ساكنة...إلخ[١].

وذكر الباحث ابن بلال أنّ اللّهجة الحسّانية متطابقة مع الفصحى في مخارج الأصوات وصفاتها، غير أنّها تزيد عليها بعضَ الأصوات بسبب نطقها فيها مفخّمة تارة، ومرقّقة تارة أخرى، بينما تُنطق في الفصحى بصفة واحدة، إمّا مرقّقة وإمّا مفخّمة. حيث يقول : « أمّا صفات هذه الأصوات ومخارجها فهي متطابقة بين العربية والحسّانية.. ومن جملة هذه النتائج اتّساع جهاز النطق عند الحسّاني، بحيث نجد أنّ الأصوات الحسّانية تزيد على الأصوات العربية بالأصوات التالية»[٢].

والأصوات التي تزيدها اللّهجة الحسّانية، كما ذكرها الباحث مفخّمةً، مرقّقةً، مع شيء من التنقيح والتصحيح، في الجدول الآتي[٣] :

الجدول (٧) : جدول الأصوات التي تختصّ اللّهجة الحسّانية بتفخيمها تارةً، وترقيقها تارة

الأصوات	المفخّمة	المرقّقة
ب	بَـمْبَه	بَاتْ
ث	أَثْــرُ	ثَوْبْ
ف	جَـفَّافَه	مَقِرْفَه
ز	زَرْبَه	زِنْـبِـيلْ
ق	اثْقِيلْ (ق= g)	ثَـقِيلْ

هذه مقتطفات فقط من دراسة لسانية جادّة لأصوات اللّهجة الحسّانية، جديرة بالتقدير، قدّمها هذا الباحث.

١- المصدر نفسه، ص٢٨، ٢٩.

٢- المصدر نفسه، ص٤٦.

٣- المصدر والصفحة نفسهما.

٧- الأخطاء الصوتية في لغة الصحافة ببلاد شنقيط : تسرّبت إلى لغة الصحافة الشنقيطية بعض الأخطاء المخلّة، حدّد الباحث إبراهيم بن يحظيه نوعها قائلاً : «الأخطاء الصوتية في الإعلام كثيرة.. ومثل ذلك كثير لو تقصّيته لطال.. أهمّ ما يلفت النظر في جانب الصوت والأداء افتقار كثير من المتحدّثين إلى الثقافة الصوتية، وإلى التدريب الكافي على استخدام الإمكانات الصوتية المتنوّعة، التي تدخل تحت ما يسمّى بالوسائل الصوتية غير اللّفظية، أو الملامح النطقية غير التركيبية، المصاحبة للعملية الكلامية، والمشاركة لها في أداء الرسالة اللّغوية والمستخدمة لتنويع نماذج الأصوات، مثل النبر والتنغيم، ومعدّل سرعته، أو استمراريته ونوعيته، ومدى ارتفاعه وطول الوقفة والسكتة..»[1].

أمّا على مستوى المخارج والصفات فلم تسجّل لهم أخطاء.

ونظراً لما سلَف ذِكره فما قدّمه العلماء والدارسون الشناقطة من التحاليل والمناقشات في هذا المبحث يُعدّ بحوثاً جليلة القدر في مجال الدرس الصّوتي، وهو امتداد لجهود علماء العربية عبر العصور. وفيما يلي عَـرْض جداول هذا المبحث[2] :

١- الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني، ص٨٤، ٨٥.

٢- استعنت في وضع هذه الجداول بجداول الدكتور محمّد منصف القماطي، في كتابه : الأصوات ووظائفها، ص٦٤، ١٢٨، فما بعدها. علاوة على مصادر المبحث الأخرى.

جدول (٨) : جـــــــدول المخـــــــارج والصفات

المخارج	الصــــــــــــفات												
	شديد (انفجاري – وقفي)				رخو (احتكاكي) مركّب				شبه رخو (متوسّط)	أغنّ (أنفي)	نصف حركة	جانبي (منحرف)	تكراري (مكرّر)
	مهموس		مجـهور		مهموس		مجهور						
	غير مفخم	مفخم	غير مفخم	غير مفخم / مفخم	غير مفخم	مفخم	غير مفخم	مفخم					
شفوي			ب							م	و		
شفوي أسناني					ف								
أسناني					ث		ذ	ظ					
أسناني لثوي	ت	ط	د	ض	س	ص	ز						
لثوي										ن		ل	ر
غاري					ش		ج				ي		
طبقي	ك				خ		غ						
لهوي	ق												
حلقي					ح				ع				
حنجري	ء				ه								

جدول (٩) : جدول الفونيتيكي للحركات

الحركات	المخرج	الموقع	درجة الانفتاح	شكل الحركة	المدى الزمني للحركة	
					قصيرة	طويلة
الفتحة	حنجرية	محايدة مركزية	منفتحة	منفرجة	قصيرة	
الضمّم	حجابية	خلفية	منغلقة	دائرية	قصيرة	
الكسرة	حنكية	أمامية	منغلقة	منبسطة	قصيرة	

جدول (١٠) : جدول الفونولوجي للحركات

الحركات	الموقع	درجة الانفتاح
الفتحة	مركزية	منفتحة
الضمّة	خلفية	منغلقة
الكسرة	أمامية	منغلقة

جدول (١١) : جدول التفخيم والترقيق في الصوائت القصيرة

الحركات	التفخيم	الترقيق	بين بين
الفتحة	صَلاة / طَهارة	نَصوح/ ثَابِت	قَول
الضمّة	صُراخ / طُهاة	نُجوم/ مُجاهد	قُدوم
الكسرة	صِيام/ طِعَان	مِهاد/ نِعال	قِلاع

جدول (١٢) : جدول اصطلاحات علم التجويد

الصفات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
الجهر	ا	ب			ج			د	ذ	ر	ز				ض	ط	ظ	ع	غ	
الشدّة		ب	ت		ج			د								ط				
الاستعلاء							خ							ص	ض	ط	ظ		غ	
الإطباق														ص	ض	ط	ظ			
الإصمات	ا		ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ		ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	
الصفير											ز	س		ص						
القلقلة		ب			ج			د								ط				
الانحراف										ر										
التكرير										ر										
التفشّي													ش							
الاستطالة															ض					
الغنّـة																				
الهمس			ت	ث		ح	خ					س	ش	ص						ف
الرخاوة	ا			ث		ح	خ		ذ		ز	س	ش	ص			ظ		غ	ف
الاستفال	ا	ب	ت	ث	ج	ح		د	ذ	ر	ز	س	ش					ع		ف
الانفتاح	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش					ع	غ	ف
الإذلاق		ب								ر										ف
اللّين																				
التوسّط										ر								ع		

الصفات	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩
الجهر	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	ء
الشدّة			ل	م	ن		و	ي	ء
الاستعلاء	ق	ك							ء
الإطباق	ق								
الإصمات									
الصفير	ق	ك				هـ	و	ي	ء
القلقلة	ق								
الانحراف			ل						
التكرير									
التفشّي									
الاستطالة									
الغنّـة				م	ن				
الهمس		ك				ه			
الرخاوة						ه	و	ي	
الاستفال		ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ء
الانفتاح	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ء
الإذلاق			ل	م	ن				
اللّين							وْ	يْ	
التوسّط			ل	م	ن				

الفصل الخامس : المجـــال الدّلالي

الدّلالة : مفردُ دلائلَ ودلالاتٍ، وهي في اللّغة : الإرشادُ، وفي الاصطلاح : ما يقتضيه اللّفظ من المعنى عند إطلاقه[١]. أو«علْم يتناول معرفة اقتران المعنى باللّفظ، مفردًا ومركّباً في مختلف الأساليب والسّياقات»[٢].

وأداة الدّلالة كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس هي : « اللّفظ أو الكلمة»[٣].

١ – المعجم الوسيط. مادّة (دلل).

٢– كتاب محاضرات في اللّسانيات والعربية، ص٨٤.

٣– دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرّابعة ١٩٨٠م. ص٣٨.

اللّذان تكاد المعاجم العربية تجمع على أنّهما مترادفان، غير أنّ علماء النحو[1] حاولوا التفرقة بينهما على أساس أنّ الكلمة أخصّ، حيث هي لفظ دلّ على معنى، وكأنّهم : « يستشعرون مع اللّفظ عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما يستتبع هذا من حركات اللّسان والشّفتين، فإذا ربطت هذه الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدلّ عليه من معنىً تكوّنتْ في رأيهم الكلمةُ»[2].

وقد قسّم اللّسانيّون الدّلالاتِ إلى أربعة أنواع، هي[3] :

١- الدلالة المعجمية أو الاجتماعية[4] وهي المعنى الأساس، الذي يُستفاد من الكلمة أو التركيب، بغضّ النظر عمّا قد تُحدثه بعضُ الأصوات، أو الصِيَغ الصّرفية من دلالات زائدة على دلالاتها الأساسية، المسمّاة بالدلالة المعجمية أو الاجتماعية.

٢- الدلالة النحوية، وهي التي تستمدّ من وضْع الجملة العربية وطبيعة نظامها الخاصّ، الذي إذا اختلّ كان من العسير فهْم المراد منها. حيث فهْم دلالتها يصبح عسيراً، إن لم يكن مستحيلاً عند ما يقع فيها اختلالات في التركيب النحوي.

٣- الدلالة الصّرفية، وهي التي تنشأ من طبيعة الصيغ وبنيتها. فقولنا مثلاً باللّهجة العربية الحسّانية : (فلان قَـرّايْ للقرآن) يفيد كثرة القراءة بالصّيغة الصرفية (قَـرّايْ)، حيث هي صيغة مبالغة، تفيد الكثرة، الزائدة على الدلالة المعجمية أو الاجتماعية، المستفادة من صيغة اسم الفاعل (قَـارِي - باللّهجة الحسّانية -)، لذلك تسمّى الدلالة المستمدّة من صيغة المبالغة بالدّلالة الصّرفية.

٤- الدلالة الصوتية، وهي التي تنشأ من طبيعة بعض الأصوات، ونبرات الكلام، وتنغيمات المتكلّم. فالموازنة مثلاً بين كلمتـيْ (نضَح ونضَخ) في المعاجم العربية[5] تُعطينا أنّ الأولى تفيد الرّشّ أو السّيلان ببطء وضعف، وهذه هي الدّلالة المعجمية، بينما الأخيرة تفيد السّيلان باندفاعٍ وفوَرَانٍ وشدّة مِن ينبوعه، وقد استُمِدّت هذه

١- كتاب سيبويه، ج١، ص١٢، وشرح ابن عقيل، ج١، ص٢٠.

٢- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص٣٨.

٣- دلالة الألفاظ، ص٤٤ - ٤٨.

٤- بعض اللّغويّين من المحدثين يميلون إلى التفرقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية. يراجع تفصيل ذلك عند إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص٥٠.

٥- المعجم الوسيط، مادّتي نضح، نضخ.

الزّيادة من صوت الخاء. وعليه فهذه الدّلالة المستفادة من صوت الخاء هي المسمّاة بالدّلالة الصّوتية[١].

وقد تنشأ الدلالة الصوتية من طبيعة (النّبر)، الذي هو «الضّغط على مقطع معيّن في الكلمة بقصد زيادة وضوحه في السمع»[٢].

وهو في العربية ثابت، لا أثر له غالباً في المعنى، بعكسه في بعض اللّغات الأخرى، إذ قد يكون فيها حرّاً متحرّكاً، مؤثّراً في المعنى.

كما تنشأ الدّلالة الصوتية باستخدام التنغيم الكلامي، الذي هو « نمط لحنيّ، يتحقّق بالتنوّع في درجة جهر الصوت أثناء الكلام»[٣].

والتنغيم قد يلعب في العربية دوراً كبيراً في التمييز بين الدلالات عن طريق ترجمة «حال المتكلّم من غضب أو دهشة أو رغبة»[٤] .

فبالإمكان مثلاً قراءة الجُمل الآتية بنغماتٍ متمايزة، يُعطي كلٌّ منها دلالة معيّنة [٥] :

- بدأت المحاضرة : إخبار.
- بدأت المحاضرة : تأكيد.
- بدأت المحاضرة : استفهام ؟.
- بدأت المحاضرة : استغراب !.

وقد حظي المستوى الدلالي بشيء من اهتمام الدارسين الشناقطة ليس بالكثير، إذ كتبوا فيه بعض الأعمال، مطبّقةً في الغالب على الفصحى، ثمّ اللّهجة العربية الحسّانية، ولغة الصحافة بشكل أقلّ. وفيما يلي تبيان ذلك عن طريق عرض عمليْن اثنين فصيحين، وثالثٍ، لغتُه مختلطة من الفصحى واللّهجة العربية الحسّانية، ثمّ ذكْرِ أمثلة من أخطاء الصحافة :

١- علي عبد الواحد وافَى، علم اللّغة. ص٣١٣، فما بعدها.

٢- الأصوات ووظائفها، محمد منصف القماطي، ص١٥٢.

٣- المصدر نفسه، ص١٥٦.

٤- المصدر والصفحة نفسها.

٥- دلالة الألفاظ، ص٤٧، والأصوات ووظائفها، ص١٥٦.

أوّلاً- الأستاذ المختار بن محمّد الأمين بن الجيلاني في كتابه : (الخطاب الشّعريّ الحَدَاثيّ في موريتانيا دراسة في أجرّوميّة النّصّ)، الذي قام بتطبيق المستوى الدلالي على النصوص الشعرية الخمسة، سالفة الذكر في مبحث (المجال التركيبي)، وهي نصوص: «دموع غيلان» و«رحيل» و«الكشف» و«الشريد» و(رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية). فقدّم حقيقةً دراسة موغلة في البحث اللّساني، في مجال المستوى الدلالي، مطبّقةً على هذه النصوص. وذلك على النّحو الآتي :

أ- في الباب الثاني: (وسائل السّبْك) أورد المؤلّف في الفصل الثاني : (السّبْك المعجميّ والنحويّ) مبحثاً بعنوان : (المستوى المعجميّ)، تحدّث فيه عن الدلالة حديثا ضافياً، ذاكراً وسيلتين اثنتين تحقّق بهما السبك المعجمي في النصوص المدروسة، هما (التّكرار، والتّضامّ)، إذ قال : «تنهض العلاقات المعجمية بين الكلمات، مسهمة في سبْك النّصّ، على وسيلتين .. هما : التّكرار، والتّضامّ (المصاحبة والمناسبة المعجمية)»[1].

فناقش بـإفاضةٍ وسيلةَ التكرار، معرّفاً إيّاها، ذاكراً سُلّمها، محدّدا درجاتها، فقال :

- فالتكرار : يقصد به إعادة العنصر المعجمي نفسه، أو إيراد مرادف له، أو شبه مرادف، أو اسم مطلق أو شامل، أو كلمة عامّة لهذا العنصر. ولا يشترط في الترابط بواسطة التكرار أن يكون للكلمتين المترابطتين المحال إليه ذاته من ناحية المعنى. ومن هنا يمكننا أن نتحصّل على سلّم للتّكرار، مكوّن من أربع درجات :

الدرجة العليا هي إعادة الكلمة كما وردت أوّلا دون تحريف، وهذا ما يعرف بالتكرار المحض أو التّامّ، أو إعادتها مع شيء من التغيير في صيغتها، وهذا ما يعرف بالتكرار الجزئي الذي يختلف في الاشتقاق، ويتّفق في الجذر المعجمي. والدّرجة الثانية هي الترادف وشبهه، وهو يعني إعادة المعنى بلفظ مغاير، أي تكرار المدلول دون الدّالّ، فإن تطابق المعنى تماماً فهو الترادف، وإلاّ فهو شبه الترادف. أمّا الدرجة الثالثة فهي الاسم الشامل الذي يسمّى أحياناً (الأساس المشترك)، حيث تندرج تحته أسماء عدّة، يجمعها أو يشملها. ومثاله كلمة الإنسان، التي تشمل الرّجل والمرأة والولد والبنت والحاكم والمحكوم... وأمّا الدرجة الرّابعة والأخيرة في سلّم التكرار، فهي الكلمات العامّة، وهي أعمّ من الأسماء الشّاملة، حيث يمكن أن يشار عادة إلى كلمات سابقة

١- الخطاب الشّعري الحداثي في موريتانيا، ص٢٣٣.

بكلمات أخرى من نوع (الشيء، الأمر، الفكرة، الشّأن...[1].

- كما ناقش التّضامّ أيضا مناقشةً موسّعةً، مبيّناً بعضاً من وجوه العلاقات النسقية بين الكلمات المتلازمة، أو الأزواج المتواردة، فقال، مستهلًّا بتعريفه :

«ويقصد بالتّضامّ، أو المصاحبة المعجمية، توارد أزواج أو زوج من الكلمات المتلازمة بشكل اعتياديّ أو نمطيّ، بحيث يناسب ذكرُ إحداها ذكرَ الأخرى، أو يستدعيه في الذاكرة... وقد تكون علاقةً بين كلٍّ وجزءٍ، أو بين جزءٍ وجزءٍ، أو دخولاً في سلسلة مرتّبة، كأيّام الأسبوع، أو أشهر السنة، أو اندراجاً في صنف عامّ، كعلاقة الكرسيّ بالطّاولة، حيث تشملها كلمة (أثاث). وقد عولجت الأصناف الثلاثة الأخيرة من التّضامّ ههنا تحت مسمّى التّواصل أيضا، لوجود أساس مشترك في كلّ منها، أي ضمن علاقات التكرار، كما عولجت العلاقة بين العامّ والخاصّ ضمن التّضامّ، لمضارعتها العلاقة بين الكلّ والجزء»[2].

كما تحدّث عن خصوصية الدلالة في الخطاب الشعري، أو ما يشحنها من دلالات زائدة على الدلالة الأساسية، المسمّاة بالدلالة المعجمية أو الاجتماعية[3]. ثمّ قام بتطبيق هاتين الوسيلتين على النصوص الشعرية الخمسة، المذكورة سالفاً، للشعراء الشناقطة المذكورين، وهي : (دموع غيلان)، و(رحيل)، و(الكشف)، و(الشريد)، و(رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية). وقد استعان ابن الجيلاني في الحديث عن الدلالة المعجمية في هذه النصوص بالوسائل المعجمية، سالفة الذكر : (العلاقات، المسافات، العنوانات، الجمل الشعرية، المقاطع الشعرية، الاستمرارية). التي يؤدّي تعانقها، وتشسابكها، مترابطةً، متداخلةً إلى ما يحصل من السبك للنصوص المدروسة. وتجنُّباً للإطالة سأكتفي بالإشارة إلى اثنتين من هذه الوسائل، إشارة مقتضبة، هما : (العلاقات، والاستمرارية)، لنقف على أسلوب ابن الجيلانيّ في العرض، والمعالجة :

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- المصدر نفسه، ص٢٣٤.

٣- من أبرز مصادر المؤلّف، التي أفاد منها هذه المادّة : محمّد خطّابي، لسانيات النّصّ، ص٢٤، ٢٥. وجميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصّية، سلسلة دراسات أدبية. ص٧٩ - ١٠٩.

١-العلاقات : وسيلة السبك المعجميّ، المتمثّلة في علاقات التكرار، وعلاقات التضامّ ـ كما يرى ابن الجيلانيّ ـ تختلف النماذج النصّية المدروسة، وتتفاوت في درجات استخدامها، حيث يغلب على ثلاثة منها الترابط بواسطة علاقات التكرار، بينما يغلب على اثنين منها الترابطُ بواسطة علاقات التضامّ، وإن بفارق طفيف عن علاقات التكرار[١]. ولتوضيح ذلك وضع الجدول الموالي :

الجدول (١٣) : توزيع علاقات السبك المعجمي

العلاقات/ النصّ	دموع غيلان	رحيل	الكشف	الشريد	رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية
علاقات التكرار	٣٤	٢٨	٩٢	٨٥	٧٠
علاقات التضامّ	٣٧	٣٣	٣٣	٤٢	٤٢
المجموع	٧١	٦١	١٢٥	١٢٧	١١٢

٢- الاستمرارية : يقصد بها استمرارية السبك بين أجزاء المقطع الواحد، وبين المقاطع، أوعدم هذه الاستمرارية، في النصوص المدروسة. كما يقول : « فهو (السبك) يعلو ويهبط على الدوام، وبدرجات متفاوتة، عند الانتقال من كلّ نقطة إلى نقطة أخرى في النصّ، حتّى إنّه قد ينقطع هنا أو هناك حالما ينعدم بين الوحدتين المتواليتين (المقطعين تحديداً)، أو بين الوحدات الجملية المكوّنة للمقطع الواحد، كما أنّه قد يشتدّ ويرتفع فيما بين المقطعين المتواليين، أو داخل كل منهما، أو أحدهما، دون الآخر إلى ما لا نهاية»[٢].

ونظراً لهذا التذبذب الحاصل صعوداً وهبوطاً في وسائل السبك بالنصوص المدروسة قام ابن الجيلاني بحصر الروابط الداخلية في كلّ مقطع على حدة، وحصر البينية منها بين كلّ مقطعين متواليين كذلك على حدة في جداول، مع وضع أشكال بيانية توضّح حالة الاستمرارية هذه. وهذه الجداول والأشكال تدلّ بوضوح على ما حظيت به هذه النصوص من متانة السبك والترابط، نظراً لكثرة استخدام وسائل الربط المعجمية بها، داخلياً وبينياً، وإن بتفاوت ملحوظ في هذا الاستخدام.

١- الخطاب الشّعري الحداثي في موريتانيا، ص٢٣٥.

٢- الخطاب الشّعري الحداثي في موريتانيا، ص٢٦١، ٢٦٢.

ب – **في الباب الثالث** : (وسائل الحبْك) جاء فصله الأوّل بعنوان : (الحبْك الدّلالي)، الذي تحدّث فيه عن ثلاث خطوات، تبيّن أنّها من الممكن أن تحقّق قدراً من تماسك النصّ، ونموّه وحبْكه على المستوى الدلالي «في اتّجاه البنية الدلالية الكلّية الحاكمة لنظام التشكّلات النصّية للخطاب»[1].

وهذه الخطوات هي : التغريض، وموضوع الخطاب، والبنية الكبرى :

– فالتغريض : لغةً اجْتِناء الشيء طَريّاً[2]، واصطلاحاً «تنمية عنصر معيّن في الخطاب، يكون اسماً لشخص، أو قضية، أو واقعة ما، انطلاقاً من فرضية نصّانية مؤدّيها أنّه في كلّ خطاب متماسك توجد نقطة جذب مركزية تؤسّسها بدايته، وتحوم حولها بقية مكوّناته اللّاحقة .. وذلك بالاعتماد على بعض المؤشّرات اللّغوية البحتة، كتكرار الاسم أو جزء منه، والإحالة إليه، ونعته.. إلخ»[3].

وناقش المؤلّف (عنوان) النصّ، أيّما عنوانٍ، باعتباره «معبّرا عن مقاصد الكاتب، ووجهة نظره تجاه أهمّ المحدّدات الدلالية والنوعية للنصّ»، وتعبيراً ممكناً عن موضوع الخطاب، محدّداً وظيفته بالتغريض، وذلك بوصفه وسيلةً بارزة وخاصّة له[4]، ونظراً لخصوصية هذه الوظيفة، وتعقيد وضعيتها في مضمار الحبْك في مستواه الدلالي، زاد المؤلّف الموضوعَ تحليلاً وتعميقاً[5].

وتبياناً للمسألة فإنّ من يقرأ نصّ (دموع غيلان) «حتّى نهايته يتأكّد له أنّ هذه الذات الشاعرة المتكلّمة فيه لم تكن هي «غيلان» المسمّى صراحة في عنوان النصّ، ولم تصل إلى حدّ التماهي معه، وأنّ العلاقة بينها وبينه ليست سوى علاقة معيّنة، وتشابه في الحيرة والمعاناة والدموع، ينهض على حيلة مجازية محدّدة هي التشبيه البليغ في قول الشاعر :

غيلانُ كان معِي،

١– المصدر نفسه، ص٣٠٩.

٢– المعجم الوسيط، مادّة (غرض).

٣– الخطاب الشّعريّ الحَداثـيّ في موريتانيا، ص٣٠٩.

٤– المصدر نفسه، ص٣١٠. عن محمد خطّابي، ص٥٩.

٥– الخطاب الشّعريّ الحَداثـيّ في موريتانيا، ص٣١٠. عن محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتّصال الأدبي، ١٩٩٨، ص٢١.

وحيرتُهُ حَيْرَتي،
والجراحُ التي فيهِ فِي،
وأدْمُعُهُ أَدْمُعي[١].

وهكذا يصبح المغرض بدلاً من العنوان هو هذه الذات المتكلّمة عن نفسها، الحاضرة على امتداد متن النصّ منذ أوّل كلمة حتّى آخر كلمة فيه»[٢].

- موضوع الخطاب : تحدّث المؤلّف في هذه الخطوة عن الارتباط الوثيق بين التغريض والموضوع، وعن كون العنوان «يمثّل أحد التعبيرات الممكنة عن (الموضوع)، ذلك أنّنا حينما نرى عنصراً ما مغرضاً في عنوان النصّ، فإنّنا نتوقّع على الفور أن يكون هذا العنصر هو موضوع الخطاب فيه»[٣].

واسترسل في تحليل ملابسات (الموضوع)، باعتباره إحدى الخطوات المُسهمة في تحقيق قدر من تماسك النصّ وحبْكه على المستوى الدلالي[٤]، ثمّ عرض أمثلة من النصوص المدروسة لكشف اللّثام أكثر عن (موضوع الخطاب). أقتبس منها قوله :

فإذا بحثنا في النصّ عن طبيعة هذا الشيء الذي ينشده الشاعر : (بـنَّاصر/ في دموع غيلان) المتكلّم، سنجده مذكوراً ثلاث مرّات بصور مختلفة، الأولى عندما رمز له في المقطع الأوّل بأنّه (نجمة)، وذلك في قوله :

لعلِّيَ أعثرُ في مهرجانِ الكواكبِ يومَ تذرُّ الضياءْ،
على نجمةٍ رحلتْ مِن سنينْ،
لتندسَّ بينَ النجومِ،
لتنسى عناق التّرابِ[٥].

والثانية عندما رمز في المقطع الثاني بأنّه (قطرة)، وذلك في قوله :

١- بـنّاصر، مصدر سابق، ص٥٨.

٢- الخطاب الشّعريّ الحَـداثـيّ في موريتانيا، ص٣١٢.

٣- الخطاب الشّعريّ الحَـداثـيّ في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص٣١٦. عن محمد خطّابي، ص٦٠، ٢٨٢، ٢٩٣.

٤- الخطاب الشّعريّ الحَـداثـيّ في موريتانيا، ص٣١٧.

٥- بـنَّاصر، سابق، ص٥٥.

لعلّيَ أعثرُ بينَ المياهِ،
على قطرةٍ سقطتْ في المحيطِ،
فطهّرها الماءُ،
واجتاحها مِخْلَبُ الموجِ،
لاعبَها المدُّ كالطّفل بينَ يدَيْهْ[1].

والثالثة عندما ذَكر جزءاً من أجزائه، مضيفاً إليه تصريحاً، وذلك في المقطع الثالث، حيث يقول :

عليَّ أعثرُ بينَ الدرُوبِ
على حبّةٍ مِن رِمالِ بِلَادِي[2].

إذن ليس المنشود سوى هذه البلاد، التي لها صفة النجمة المضيئة، وقطرة الماء الطاهرة... تأسيساً على ما سبق يمكننا أن نصوغ (موضوع الخطاب) في نصّ «دموع غيلان» على النحو الآتي : حكاية شاعر، حائر، ظلّ يجتهد في البحث عن وطنه الضائع بلا جدوى[3].

تحليل عميق، وإبحار جميل فيما يرمي إليه الأديب بنّاصر.

- البنيـــــة الكبرى : قرّر المؤلّف أنّ البنية الكبرى : «هي النواة أو البؤرة الدلالية التي تنبثق منها كلّ الوحدات الدلالية، أو من وجهة إجرائية .. هي التمثيل التجريدي للدلالة الشاملة لنظام الأبنية المتشكّلة على مختلف المستويات النصّية، بطابعها الكلّيّ، وبطبيعتها الإطارية الأبعاد، التي بدورها يكون النصّ مجرّد مجموعة من الكتل أو المشاهد المشتّتة القابلة للبتر والإضافة والاجتزاء؛ وذلك لأنّ البنية الكبرى تتولّى تأسيس الهيكل السّتاتيكي للنصّ»[4].

١- المصدر والصفحة نفسها.

٢- المصدر نفسه، ص٥٦.

٣- الخطاب الشّعريّ الحَـداثـيّ في موريتانيا، ص٣١٩، ٣٢٠.

٤- المصدر نفسه، ص٣٣٠. عن صبحي الطعّان، بنية النصّ الكبرى، مجلّة (عالم الفكر)، م٢٣، ع١، ٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو - ديسمبر ١٩٩٤، ص٤٣٩.

ثمّ بيّن أنّه : «يمكن الاستدلال على هذه الأهمّية التي للبنية الكبرى من طريق بنيات داخلية عدّة، منها ظهور عبارات أو جمل متنوّعة نمطياً في بداية المقطع أو نهايته، تعبّر مباشرة عن قضايا كلّية أو كبرى تسهّل الفهم واستخلاص البنية الدلالية العليا»[1].

وقد ألـحّ في المزيد من كشف اللّثام عن هذه الخطوة الممثّلة لبؤرة تماسك النصّ وحبْكه على المستوى الدلالي، قائلاً : « الخطوة الواسعة إذن في ضبط خواصّ النصّ، وتحليل العلاقات فيما بين الوحدات المكوّنة له مرهونة بالإدراك السليم لبنيته الكبرى المرتبطة بسلاسل القضايا المعبّر عنها بمتتالياته. والطرق التي يسلكها القرّاء للوصول إلى هذه البنية، لا تكاد تختلف بشكل عامّ؛ وذلك لاستنادها بالضرورة إلى ما يعرف بالقواعد الكبرى التي تمكّن من إفراز ما هو أكثر جوهرية في مضمون النصّ ككلّ»[2].

ثمّ تحدّث بإفاضة عن مراحل آلية الكشف عن الوصول إلى البنية الكبرى للنصّ، وما تخضع له بعض هذه المراحل من الخطوات الإجرائية، والقواعد الأساسية[3]، محاولاً صياغة البِنْـيات الدلالية الكبرى للنصوص المدروسة. فيقول معلّقاً على بعض النصوص المدروسة :

١- من نصّ «دموع غيلان» :

عَرَجْتُ على صهوةِ الريحِ كالنسماتِ
إلى خيمةٍ في أعالي السماءِ.
وحدَّقْتُ في صفحاتِ السماواتِ.
رَكِبْتُ البحارَ أُجَدِّفُ كالسندبَادِ.
نظرتُ إلى الماءِ.
رَكِبْتُ الفيافيَ.
توسَّدْتُ الأرضَ.

١- الخطاب الشّعريّ الحَداثـيّ في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص٣٣١. نقلاً عن صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ. الكويت : عالم المعرفة، ع١٦٤، أغسطس ١٩٩٢م. ص٢٦٢، ومحمد خطّابي، ص٤٥، ٤٦.

٢- الخطاب الشّعريّ الحَداثـيّ في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص٣٣١.

٣- المصدر نفسه، ص٣٣٢ - ٣٣٥.

وَفَتَّشْتُ بينَ الصخورِ.

رَكضتُ على جُثَثِ الطيْرِ والوَحْشِ[1].

«ومن هنا نستطيع صياغة بنية النصّ الكبرى على النحو الآتي : النصّ استنكار كامل للحالة الراهنة التي يعيشها وطن الشاعر».

٢- من نصّ «رحيل» :

تُطلّ ياحُلماً تأبّد موجع الأعصاب، ملتبس الخناق.

تُطلّ مسكوناً بماضيك الذي عرف الخراب.

غادرك الرفاق، شدّوا الرحال وأدلجوا.

....

ها أنت ترقُبُ من عصور التيهِ هودجَها الجميلَ.. يادار عبلة أقفرت.

عبثاً تحاول نشلها من عاديات المعتدين.

رحلْتَ إلى لا مُنتهَى[2].

«ومن هنا يمكن القول بوجود بنية دلالية شاملة تؤسّس هذا النصّ، وتشدّ لحمته، وتلغي مقطعته التي لم يعد لها معنى في هذا السياق، وهي : الهجوم على مفهوم الفتوّة العربية، لارتباطه بالقصيدة العمودية، وبالنظرة الحريمية».

٣- من نصّ « الكشف» :

إنّي انتهيتُ عويلاً.

وقفتُ على ندم المستحيلِ.

استقلتُ من الأرض بَدْءاً، بدأتُ.

شربتُ كؤوساً من اليأس ليلاً.

....

صديقةُ لن تَستقِيلَا.

١- بـنّاصر، سابق، ص٧٥.

٢- بنت البراء، مصدر سابق، ص٤٣.

وجودٌ تجدَّد أنتِ.

نداءٌ مِن الصدق أنتِ.. تجلَّى انبثاقاً جميلاً.

وأنتِ عهودٌ تُطلّ.. ثورةُ عصرٍ.. غَدٌ قادمٌ[1].

«وبهذا يكون نصّ «الكشف» قد برهن على وجود بنية دلالية شاملة تؤسّسه، وتتمحور حولها مكوّناته لضمان تماسكه الدلالي. وعند محاولة تركيب هذه البنية تتحدّد أمامنا الصيغة الآتية :

النصّ إضاءة لعوالم الشعر من منظور العلاقة الخاصّة بين الشاعر والقصيدة، تظهر فيها القصيدة وحدها مصدراً أزلياً للصدق والحقيقة».

٤- من نصّ «الشريد» :

كذلك هذا الذي تَـتَحرّاهُ بينَ الحنينِ وبينَ الأنينِ، فيَقْذِفُكَ المُسْتَحِيلُ إلى المُسْتَحِيلِ.

لَظِـلُّـكَ يمْلأُ وَجْهِي، لِيَمْلأَ ما بينَ شَوْقِي وَدَمْعِي.

ومِنْ حَسْرَةٍ تَـتَغَوَّرُ في البُعْدِ، فَلْتَـتَغَوَّرْ لَيَالِيك في الكأسِ ما اتَّـسَعَ الكَأْسُ.

....

أَمُنْسَرِبٌ في البَرَارِيِّ، مَيْسَمُه البُعْدُ، مُنْتَظَرٌ لا يَؤُوبُ.

كَفُّهُ مَنْبَعٌ غَدَقٌ إنْ أَرَدْتَ ارْتِوَاءْ.

لَظِلُّكَ يَمْلأُ وَجْهِي[2].

«بهذا نلازم سياق البنية الدلالية الشاملة التي تبطن أجزاء هذا النصّ وتضمن تماسكها : النصّ إضاءة لعوالم الشعر من منظور العلاقة الخاصّة بينه وبين الشاعر، يظهر فيها الشعر جسراً أزلياً، يصل الكائن بالممكن، والحقيقي بالوهم».

٥- من نصّ «رسائل سرّية إلى شخصيات سرّية» :

رسالة إلى أمّي :

ما زِلتُ في شَفتَيَّ وَصِيَّتُكِ الأزَلِيةُ...

١- ولد ابنو، مصدر سابق، ص١.

٢- ولد بديوه، مصدر سابق، ص٣.

علَّ ذاكِرَةً تَـتَذَكَّرُ أنّ المراثيَ على رَبْعِهَا
تَـتَحَضَّرْ.
أنامُ وأحْلُمُ أنّ فُطوراً مِنَ اللّغة العربيةِ مِنْ أرضِنَا يَـتَفَجَّرْ.

....

رسالة إلى أبي ذرّ الغفاريّ :
... تماماً كمِثْلِكَ.
وصِرْتُ صِراطاً مِن الصَّمْغِ يَعْجِنُ للفُقَراءِ رَغِيفاً
مِنَ الرَّفْضِ.

....

رسالة إلى جُدُّو ولد السّالِكْ :
... وأنذرتَ.. قُلتَ احْفَظُوا النخلةَ الواقِفَةْ.
وأعطيتَ... أعطيتَ حَتّى دِمَاءَكَ.
فهَا النّخلةُ اليومَ تَذْوِي، تَأَرْجَحُ، تَهْوِي.
إنّها نَاشِزٌ بيْنَ صمْغٍ تَشَظَّى وَنَهْرٍ تَلَظَّى[١].

«في ضوء هذه القراءة تتقاطع مختلف بنيات النصّ الصغرى، المتشكّلة عبر مقاطعه الثلاثة الرئيسة في بنية شاملة واحدة، عند إعادة صياغتها نكون قد وصلنا إلى بنية النصّ الكبرى، وهي : إدانة لمجتمع الشاعر الذي فرّط في مسؤوليته التاريخية تجاه بلاده حتّى باتَ حالها أدعى للأسى والرثاء»[٢].

فهذه المناقشات المستفيضة، والتحليلات العميقة تفيدان نضْج جهود ابن الجيلاني وقوّة إسهامه في مجال اللّسانيات المعاصرة عموماً، والتركيبية والدّلالية منها خصوصاً، بأسلوبه الأكاديميّ الرّفيع، ولغته المُحكمة الرّصينة.

١- ولد عبدي، مصدر سابق، ص٥١.

٢- الخطاب الشّعريّ الحَداثـيّ في موريتانيا، المختار الجيلاني، ص٣٣٧، فما بعدها.

ثانياً- الشيخ بن أحمد الشنقيطي : في بحثه : (مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمّد بن الطالب – دراسة لديوان اللّيل والأرصفة)، سالف الذكر، في مبحث (النّحو التركيبيّ)، قدّم دراسة معجمية، تناول فيها المستوى الدلالي، فتحدّث عن الدلالة المعجمية أثناءَ مناقشة العنوان، فقال :

«عنوان الديوان يغري باختياره، فهو مكوّن من وحدتين معجميتين، ربط بينهما بأداة ربط صِرْفة، هي الواو، وهاتان الوحدتان، هما : اللّيل والأرصفة.. حيث إنّ للّيل من حيث الإطار المرجعي وجودَه الحيّ في تراث الشعر العربي عبر عصوره المديدة، بما يرمز له، ويوحي به من معاناة وحشة، ووحشة وغربة.. أمّا الوحدة الثانية من وحدات هذا العنوان (الأرصفة) قد تكون أكثر ابتعاداً عن التراث من سابقتها، وفي المقابل أشدّ لصوقاً بحياة الشاعر، وواقعه المعيش... أمّا عن النصّ كوحدة عامّة فهو نصّ تطبعه الحداثة في بنيته السطحية موضوع الدراسة، والعميقة أيضاً، تلك الحداثة التي تجلّت في غلبة المعجم الطبيعيّ على النصّ (اللّيل، الفجر، الورد، الشمس، البدر)، وفي ظهور البُعد الرمزي.. (وضّاح، الحلّاج، الطاووس)، وفي استخدام المعجم السياسي(المحيط، الخليج»[(١)].

ويُلحظ ورود أنواع الدلالات متجاورةً في تحليل الباحث نصوصَ الديوان، كما رأينا في النصّ السابق، الذي تمّت فيه المزاوجة في الحديث بين الدلالتين : النحوية والمعجمية. وكما هو متجسّد أيضاً في النصّ الآتي : «أبعاد العلاقة التي يوحي بها العنوان علاقة اللّيل بالأرصفة، التي هي في نظره علاقة الظرف الزماني بمعادله المكاني، مستخدماً للتعبير عن ذلك بنية تركيبية توحي بالديمومة والاستمرار هي الجملة الاسمية، وأداة الجرّ الباء الظرفية قبل اللّيل، باعتباره الإطار الزماني للواقع الذي تكرّسه ثنائية اللّيل والأرصفة»[(٢)].

وتجسّدت أيضاً المزاوجة بين الدلالتين : المعجمية والصوتية في قول الباحث : «وقد حاول الشاعر في بقية المقاطع أن يضع المتلقّي أمام المشهد بكلّ مكوّناته، المشهد الناشئ عن اجتماع ثنائية اللّيل والأرصفة، متّكئاً في ذلك على الدلالات الموحية لبعض الألفاظ

١- مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمّد بن الطالب، ص٢٢، ٢٣.

٢- المصدر نفسه، ص٢٣، ٢٤.

التي ساهم التجاور بينها في تقريب المتلقّي من المشهد، من قبيل ضآلة الضوء التي توحي بالظلام الدامس، وكثرة الغبار...»[١].

وفي بعض مقاطع الديوان حلّل الباحث تحليلاً معجميّاً ما اتّكأ عليه الشاعر من الألفاظ ذات الدلالات الرمزية، إذ قال : « وفي المقطع الثالث ينتقل ليحدّثنا بضمير المفرد الذي يستبطن في طيّاته التعبير باسم الضمير الجمعي للأمّة : (لا زِلْتُ أعدُو تائهاً)، مختاراً لذلك مجموعة ألفاظ تشترك في حقل دلاليّ واحد، هو البؤس والإخفاق.. وما يميّز هذا المقطع عن غيره هو غلبة الاستخدام الرمزي فيه، فقد اتّكأ فيه الشاعر على مجموعة من الألفاظ ذات الدلالات الرمزية، أسقطها على مأساته، نظراً لدرجة التقاطع والتشابه الكبيرة بينها وبين واقعه المأزوم...»[٢].

ونـبّه الباحث إلى بعض ما ورد في نصوص الديوان من حضورٍ لوسائل السبك المعجمي، قائلاً : «نلاحظ أيضاً أنّ في المعجم مستوىً من السبك والتأليف، متأتّيَيْن حسب وجهة نظرنا من اختيار الشاعر لمعجم متحرّك، وتوظيفه الجيّد له، إضافةً إلى اعتماده على خاصّية التكرار : (وَثَبَ المَدَارُ على المَدَار) بمعدّل مرّتين، كما تكرّرت كلمة (حَقّ) هي الأخرى مرّتين مضافةً إلى (البحث) تارةً، وإلى (الخروج) تارةً أخرى، وكذلك كلمة (الإصلاح) التي وردت مرّتين مضافةً إلى (البحث) مرّةً، ومعرّفةً (بألْ) مرّةً أخرى»[٣].

ثمّ عرض الباحث جدولا طويلاً رصد فيه مظاهر تكرار السبك النحويّ المعجميّ في نصوص الديوان. وفيما يلي أعرض جزءاً منه، مع بعض التعديل[٤] :

١- المصدر نفسه، ص٢٤.

٢- المصدر نفسه، ص٢٦.

٣- المصدر نفسه، ص٢٧.

٤- المصدر نفسه، ص٣٦ - ٣٨.

جدول (١٤) : مظاهر التكرار المعجمي ودلالاته

النصّ	الكلمات	عدد الورود	نسبته	المحمولات الدلالية للتكرار
الليل والأرصفة	في	٥ - مرّات	٢,٧١٪	الظرفية بِبُعدَيْها الزماني والمكاني
	عن	٤- مرّات	٢,٢٣٪	التعدية
	المدار	٤- مرّات	٢,٢٣٪	معانٍ ترتبط بنفسية الشاعر وظروف تجربته الشعرية
	حَقّ	٢	١,١٢٪	الحقّ بمفهومه القضائي
	أبي	٢	١,١٢٪	معانٍ رمزية لها ارتباط بنفسية الشاعر وظروفه
	لِمَ؟	٢	١,١٢٪	الاستفهام الإنكاري
	كي	٢	١,١٢٪	التعليل
	الورد	٢	١,١٢٪	دلالات رمزية تحيل إلى الواقع المثالي الذي ينشده الشاعر
	الأرصفة	٢	١,١٢٪	معانٍ ترتبط برؤية الشاعر ونفسيته
	الليل	٢	١,١٢٪	معانٍ ترتبط برؤية الشاعر ونفسيته
	وثب المدار على المدار	٢	١,١٢٪	معانٍ ترتبط بالتصوّرات الفكرية التي يرتهن لها النصّ
	المدينة	٢	١,١٢٪	معانٍ رمزية للإطار المكاني المحتضن لأمّته
	الأحلام	٢	١,١٢٪	معانٍ رمزية للعالم المثالي الذي ينشده الشاعر

إنّ هذه الدراسة حقيقةً دراسة لسانية محُكمة لبناء المستوى المعجمي لنصوص الديوان المدروس.

ثالثاً- الباحث إبراهيم بن إسلمو، في بحثه : ([1] الزّمَن في رواية : الأسماء المتغيّرة، البنية والدلالة[2]) تحدّث عن التغيُّر الدلاليّ الحاصل في لغة الرواية، بين الزَّمَنَيْن :

١- عبارة عن بحث لنيل الإجازة في الأدب العربي، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٩/ ٢٠١٠م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٥٢٩٨.

٢- للشاعر الشنقيطيّ أحمد بن عبد القادر، أوّل رواية شنقيطية، كان ظهورها سنة ١٩٨١م.

القديم والحديث، ثمّ تحدّث عن الدلالة المعجمية في لغة الزّمَن الأوّل، فقال : «لغة الزّمن الأوّل (الانعتاق والبداوة) : وتعكس المجتمع في زمن البداوة بامتياز، تصف الفضاء البدوي، والمسكن البدوي، والإنسان البدوي، بحيواناته وحاجاته وتصرّفاته الخاصّة به، فتكثر فيها كلمات من نوع (الخيمة والجمل والعشيرة والقِرَب... إلخ). وقد ميّز الكاتب فيها بين اللّغة العربية الفصيحة، واللّغة الدارجة(الحسّانية) : (لم يعد بمقدور الجِمال أن تتحمّل «العَضَّ» أكثر ممّا مضى.. هل ترون تلك «التَّيْدُومَة») الفارعة الطول... إلخ»[1].

ثمّ تحدّث عن التغيُّر الدلالي في لغة الزّمن الحديث، فقال : « لغة الزمن الحديث الانفتاح : وتعكس انفتاح المجتمع على العالم بعد مجيء الاستعمار.. كما تعكس نزوحه إلى المدينة وتفاعله مع انعكاسات الصراعات الإيديولوجية العالمية على البلاد.. لذلك تكثر فيها الكلمات الدخيلة من اللغة الأجنبية... كما تكثر فيها العبارات اللّغوية الجديدة والدالّة على المدينة والانفتاح : (مع السلامه، إلى اللّقاء)... لقد تطوّرت نثرية النصّ بتطوّر الفترات التاريخية.. إلخ»[2].

هكذا سار الباحث في تحليل نصّ الرواية، منبِّهاً إلى ما حدث فيها من تغيُّر الدلالات المعجمية عبر أزمنتها الممتدّة... وتكمن أهمّية هذا التحليل في كون موضوعه نصّاً نثرياً، مكتوباً بلغة ممزوجة من الفصحى، واللّهجة الحسّانية الملحونة منها، وهو ما لم يتوافر في غيره من العيّنات المدروسة.

رابعاًـ نماذج من أخطاء الصحافة في الحقل الدلالي : شاع بعض الأخطاء الدلالية في لغة الصحافة ببلاد شنقيط، أذكر منها ما يلي :

- سبق في مبحث (المجال الصرفي) أنّ الباحث المصطفى بن أحمد قام برصد جملة من أخطاء الصحفيين أثناءَ مراقبته النشرات الإخبارية بإذاعة موريتانيا ما بين الأسبوع الأخير من إبريل لغاية منتصف يونيو ٢٠٠٩م. منها مثلاً ما سجّله بقوله : «وفي النشرة نفسها(نشرة الثامنة، ٢١/ إبريل/ ٢٠٠٩) في عناوين النشرة، قرأ مقدّمها عنواناً جاء ضمنه : (في انتظار موعد الحسم غداً عند فتح صناديق الاقتراع). ولعلّ المذيع يقصد :

١- الزمن في رواية الأسماء المتغيّرة، ص٣٧.

٢- المصدر نفسه، ص٣٨.

(عند إغلاق صناديق الاقتراع)؛ لأنّه عند فتحها لا يمكن معرفة النتائج؛ لأنّ الاقتراع لـمّا ينتهِ بعدُ، اللّهمّ إلّا إذا كانت نتيجته محسومة سلفاً»[1].

بل الصواب أن يقال : (عند فرز صناديق الاقتراع)؛ لأنّ النتيجة لا تُعرف أيضاً عند الإغلاق عادة.

- منها أيضاً ما ذكره بقوله : «وفي يوم (١٣/ يونيو/ ٢٠٠٩م) في نشرة التاسعة صباحاً، في خبر عن تشييع جنازة عمر بونغو، وحضور الرئيس الفرنسي ساركوزي لها قرأت المذيعة العبارة : (عمر بونغو الذي فوّض نفسه). فكأنّ الجملة لـمّا تنتهِ، فيما حاولت المذيعة إفهام المستمعين أنّ عمر بونغو حكم بلاده لفترة طويلة حدود أربعين سنة»[2].

- منها أيضاً ما أورده بقوله : «وفي نشرة الثامنة يوم ١٤ يونيو ٢٠٠٩م قرأ المذيع ضمن تقرير عن فعاليات وطنية لتخليد اليوم العالمي للتبرّع بالدم : (لتحسيس المواطنين وتحفيزهم حول..). ولعلّه يقصد : لتحسيس المواطنين حول.. وتحفيزهم على.. فالخطأ هنا دلالي، إذ أنّه يمكن قولنا : حفّزه على.. ولا يصحّ حفّزه حول..»[3].

هذه أمثلة من أخطاء الإعلاميّين الشناقطة في الدلالة الاجتماعية، وهي أخطاء شائعة لديهم على نطاق واسع.

١- لغة الإعلام بين قيود الفصاحة ومعوّقات المهنة، ص٤١.

٢- المرجع والصفحة نفسهما.

٣- المصدر نفسه، ص٤٢.

الباب الخامس

النّحو واللّسانيات المعاصرة، وأوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغوي (ملحق).

تمهيـــــد

نالَ النّحوُ ضِمْنَ الاهتمام الكبير بقضايا اللّغة الإنسانية قديماً وحديثاً، نصيباً وافراً، من اعتناء اللّسانيّين العرب المعاصرين بالبحث في مسائله وقضاياه، ممّا أحدث احتكاكاً ملحوظاً بين تيّارين اثنين، أحدهما، ثقافته الأجنبية أرسخ من ثقافته العربية؛ لذلك انتقد مناهج نحاة العربية القدامى، واصفاً إيّاها بالجمود، وعدم الجدوائية في دراسة النّحو العربيّ، وهم في ذلك متأثّرون بمناهج اللّسانيّين الغربيّين المعاصرين، تأثُّراً بالغاً، وثانيهما، متمكّن من ثقافته العربية، مؤمن بأصالتها، مع رؤيته الإفادة من مناهج اللّسانيّين الغربيين، لكن مع الاحتفاظ لعلماء العربية بمكانتهم الخاصّة، المتميّزة في دراسة النّحو العربيّ، وخصوصية مناهجهم، بسماتها، ومميّزاتها، التي هي خاصلة لها وحدها في دراسة ظواهر اللّغة العربية، دون غيرها من اللّغات، وذلك كلّه حَتّم النّظر في أوجه التشابه والاختلاف، ومستويات الكفاية في البحث اللّغويّ، في هذه الدراسة.

كما سيعرّج بعض مباحث هذا الباب على مسألة (النّحو العربيّ بين القديم والحديث)، وشعور بعض علمائه، ودارسيه، بما لامس بعض مناهج دراسته من صعوبة، وما قُدّم من جهود في سبيل تيسيرها، وتسهيلها. وفيما يلي مناقشة الموضوع، في فصوله الثلاثة.

الفصل الأوّل: النّحو واللّسانيات البنيوية والتوليدية، وأوجه التشابه والاختلاف ومستويات الكفاية في البحث اللّغوي

يشمل هذا الفصل ثلاثة مباحث، هي :

المبحث الأوّل : النّحو واللّسانيات البنيوية، والتوليدية :

أ - **النّحو واللّسانيات البنيوية**: كانت دراسة اللّغة قبلَ دي سوسور(١٨٥٧-١٩١٣م) تتمّ حسب مقاربات متعدّدة : فيلولوجية، جمالية، تاريخية، اجتماعية[١]، إلّا أنّ نشر كتابه (دروس في اللّسانيات العامّة، سنة ١٩١٦م) أحدث ثورة منهجية في علم اللّسان. وقد انطلقت اللّسانيات البنيوية من عدّة مسلّمات منهجية، أبرزها[٢]:

١- فردينان ديسُوسيـر، دروس في الألسنية العامّة، تعريب : صالح القرمادي وآخريْن. الدار العربية للكتاب ١٩٨٥م. ص١٠٩، فما بعدها.

٢- المصدر نفسه، ص١١١، فما بعدها، وعلي عبد الواحد وَافَى، علم اللّغة، ص٦، فما بعدها.

- عدم الاهتمام بالمظاهر الواعية للّغة، ودراستها في آنيتها وتزامنها دراسةً (سانكرونية). لقد رأى سوسور أنّ اللّغة كلٌّ(forme) وليست جوهراً (sub-stance)، وأنّها تشكّل نظاما مغلقا قائم الذات، له قواعده الخاصّة وروابطه الذاتية الداخلية. لقد انطلق سوسور من اعتباطية (الدالّ والمدلول) ليصل إلى (أنّ اللّغة شكل، وليست جوهرا)، إذ تكتسي كلّ كلمة دلالتها بحسب وضعها وتفاعلها مع الكلمات الأخرى، فاللّغة ليست جوهرا ، أي كلمات مستقلّ بعضها عن بعض، فكلّ وحدة لغوية - صوتية كانت أو معنوية- تتحدّد قيمتها بالمحلّ الذي تحتلّه في النظام اللّغوي.
- إخضاع المادّة اللّغوية لصرامة الدراسة العلمية من خلال إزاحة حقيقتها المعطاة في التجربة التاريخية أو المجتمعية أوالتطوّرية.
- رفض التعامل مع الوقائع اللّغوية كما لو أنّها كيانات مستقلّة. إنّ الموادّ والكائنات اللّغوية ليس لها استقلال ماديّ، لكنّها في حاجة إلى استيعاب عن طريق تمثّل اللّغة نسقا مبنيا على أساس قيم خلافية وعلاقات تضادٍّ محاذيةلها.
- اعتبار اللّغة نسقا أو نظاما مبنيا على أساس علاقات لغوية مباطنة[1].

ب - **النّحو واللّسانيات التوليدية** : أحدث تشومسكي بكتابه : (البُنَى التركيبية، struc-tures syntaxiques سنة ١٩٥٧) ثورة عالمية في اللّسانيات المعاصرة، إذ تحدّث فيه عن النظرية اللّسانية، التي يجب أن تحلّل مقدرة المتكلّم على أن ينتج الجُمل التي لم يسمعها من قبل، وعلى أن يتفهّمها. وذلك انطلاقا من قواعد ضمنية تمكّنه من توليد الجمل وتحويلها توليدا وتحويلا لامتناهيين. وإذا كان دي سوسور الأب الروحي للبنيوية، فإن تشومسكي يعدّ الأب الروحي للتوليدية [2].

وركّز التوليديّون في دراسة النحو على البنية العميقة والجانب الضمني، والملاحظ أنّ تشومسكي تحدّث مثلاً عن العمَل والعامل والمعمول والرتبة، أي عن النّظام والفاعل والمفعول، ورأى أنّ الجملة يمكن أن تكون سليمة من حيث النحوية أو القواعدية grammaticalité، التي تَصف بطريقة ملائمة وضعَ ما هو مقبول في نحوٍ ما، وما هو

١- ديسُوسير، دروس في الألسنية العامّة، ص١١٦، فما بعدها.

٢- نظريـة تشُومسكي اللّغوية، جون ليـونـز، ترجمة : د/ حلمي خليل. الطبعة الأولى١٩٨٥م. الدار المعرفية الجامعية_ الأسكندرية. ص٢١، فما بعدها.

غير مقبول، وهي غير صحيحة من الناحية المنطقية المقبولية acceptabilité .

ورأى تشومسكي أنّه لا بدّ من نظرية لممارسة التحليل اللّسانيّ، وهذه النظرية تتكوّن من النحو التوليديّ، التحويليّ الكليّ، إذ اعتبر النظرية النحوية نظرية علمية يمكن تطبيقها على جميع اللّغات الطبيعية. فالنّحو إذن نظام من القواعد والمبادئ، والمبادئ المحدّدة لخصائص الجمل الشكلية والدلالية، حيث يستعمل في تفاعله مع مجموعة من الميكانيزمات الذهنية من أجل فهم لغة مّا والتحدّث بها، فالنّحو العالميّ نظام من المبادئ والقواعد والشروط، أي عبارة عن عناصر وخصائص مشتركة بالنسبة لسائر لغات العالم[1].

المبحث الثاني: التركيب النّحويّ بين علماء العربية قديماً، وأصحاب النظرية البنيوية

بذل علماء اللّغة العربية جهوداً عظيمة في جمع مادّة اللّغة من مظانّها وتدوينها، ثمّ دراستها وتصنيفها إلى مستوياتها اللّغوية. يقول الدكتور خليل أحمد عمايرة : « إنّ الناظر في المؤلّفات القديمة اللّغوية والنحوية يدرك قيمة هذا التراث الضخم الذي تركه لنا السلف، ويدرك أيضا الجهد والمعناة التي بذلها اللغويون والنحاة في جمع مادّتهم ودراستها والتمعّن فيها لتقعيد القواعد النحوية، ووصف الظواهر اللّغوية على حدّ لا يقلّ عمّا يقوم به الباحثون اللّغويون المعاصرون، فقد قاموا بجمع كمّية كبيرة من المعطيات (الشواهد) وتدوينها، ثمّ تصنيفها إلى مستويات لغوية : صوتية phonetice، وصرفية morphological، وتركيبية syntactic structures. ثمّ قاموا بوضع العناصر التي يمكن أن تكون في مجموعها نظرية لغوية متكاملة لا تقلّ عن النظريات اللّغوية لعلماء اللغة المعاصرين في الغرب والشرق»[2].

فها هو ابن جنّي يصف اللّغة ــ أيّها لغةٍ ــ وصفا شاملا، معرّفاً إيّاها، واضعاً الخصائص التي تنطبق على اللّغات جميعها، إذ قال : (أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم..)[3]. والمتتبّع لأقوال علماء العربية، وآرائهم قديماً، يجد لديهم نظريات لغوية ناضجة جدّاً، متناثرة هنا وهناك في مؤلّفاتهم، لو جمعت لشكّلت ما لا يقلّ شمولاً، ونضجاً عن النظريات اللّسانية المعاصرة لكبار اللّسانيين[4].

١- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللّغوية، ص١٠٥، فما بعدها.

٢- خليل أحمد عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللّغوي، ص٢٩١.

٣- الخصائص، ج١، ص٣٣.

٤- يراجع المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللّغوي، ص٢٩١.

هذا عموماً، أمّا خصوصاً فإنّه بوصولنا إلى عالم اللّغة العربية الكبير، صاحب نظرية (النـّظم = النّحو التركيبي)، فإنّنا نجد نظرية لسانية متطوّرة جدّا، جديرة بالتقدير والاحترام، صالحة للموازنة والمقارنة في هذا الإطار، هو عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ). الذي ألحّ كثيراً في كتابه (دلائل الإعجاز) على أنّه لا نظْم ولا ترتيب في الكلِم إلّا بتعلُّق بعضه ببعض حسب قواعد النحو العربي، وأنّ ترتّبه في النطق يأتي إثر ترتُّب معانيه في النفس، وأنّ اللّفظ تبَع للمعنى. حيث يقول :

واعلم أنّك إذا رجعْت إلى نفسك علِمتَ عِلْماً لا يعترضه الشكّ أنْ لا نظْم في الكلِم ولا ترتيب حتّى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك. وإذا كان كذلك فَبِنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناءِ وجعْلِ الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله. وإذا نظرنا في ذلك علِمنا أنْ لا محصول لها غير أنْ تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعلٍ أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تُتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأوّل، أو توكيداً له، أو بدلا منه... وعلى هذا القياس. بَانَ بذلك أنّ الأمر على ما قلناه من أنّ اللّفظ تـبَعٌ للمعنى في النظم، وأنّ الكلِم تترتّب في النّطق بسبب ترتُّب معانيها في النفس، وأنّها لو خَلَت من معانيها حتّى تتجرّد أصواتا وأصداءَ حروف لما وقع في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ أنْ يجب فيها ترتيب ونظْم[١].

وانطلاقا من هذه المعادلات اللّسانية المتطوّرة جدّا عند الجرجاني، يصحّ لنا القول بإنّ الجرجاني سبق (دي سوسير) بكثير إلى نظرية (النّظم، أو المعنى، أو التّضامّ)،أي : نظرية (المعنى) التي تنشأ عن نظْم الكلام، إذ اللّفظ تـبَعٌ للمعنى في النظم، أو تضامِّ بعضه إلى بعض، حيث اللّغة عند (دي سوسير)، وغيره من اللّغويّين المعاصرين هي: «ظاهرة اجتماعية مكوّنة من مجموعة من الرموز الصوتية أو الحروف المكتوبة التي لا معنى لها قبل تأليفها وانتظامها في مبانٍ صرفية»[٢]. وهذا نفسه هو ما عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني، قبلهم بألف عام، كما رأينا في نصّه سالف الذكر.

١- دلائل الإعجاز، تحقيق الدكتور محمد رضوان الدّاية، ص٤٦.

٢- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللّغوي، ص٢٩٢.

المبحث الثالث: التركيب النحويّ بين علماء العربية قديماً، وأصحاب النظرية التوليدية

كذلك أيضاً كان عبد القاهر الجرجاني، وعلماء العربية عموماً أسبق إلى النظرية النّحوية التوليدية، من صاحبها (تشومسكي)، الذي يرى الجملة بؤرة الانطلاق في التحليل اللّغويّ، حيث تتعدّد الجمل عن طريق التقليب والتوليد، ممّا يفسح المجال لتوليد ألوان من التراكيب، والأساليب. وهذا ما برع فيه، وأبدع علماء العربية قديماً. يقول عبد القاهر الجرجاني، معبّراً عن الموضوع نفسه :

«وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له فتقدّم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا. فأنت في هذا لم تقدّم.. على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير.. بل على أن تُخرِجه عن كونه.. إلى كونه» [(١)].

ويستعمل الجرجاني أيضا في هذا المضمار مصطلحاً آخر، مُوازياً لمصطلح (النظم)، وهو (التعلُّق)، أي : تعلّق الألفاظ بعضها ببعض، لينتج المعنى المطلوب، كما هو حال النظْم، حيث يقول :

«معلوم أنْ ليس النظم سوى تعلُّق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسببٍ من بعض. لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتّى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، ويجعل بسببٍ من ذلك. واعلم أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت، فلا تُخلّ بشيء منها»[(٢)].

وثقة الجرجاني العالية في نظريته اللّسانية التركيبية هذه يجسّدها قوله : «وقد علمتَ إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أنْ لا فضْل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ.. إلخ»[(٣)].

١- دلائل الإعجاز، ص٨٠.

٢- دلائل الإعجاز، ص٤٦، ٦٢.

٣ - المصدر نفسه، ص٦٢.

ونظرية التركيب النحوي هذه عند الجرجاني نجد جذورها بوضوح عند عالم عربيّ آخر كبير، من علماء القرن الرابع الهجري، هو أبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، الذي يقول : «إنّ معاني النحو منقسمة بين حركات اللّفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخّي الصواب في ذلك، وتجنّب الخطأ من ذلك، فإن زاغ شيء من هذا النعت فإنّه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر، والتأويل البعيد، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم»[1].

إذن يمكن القول باطمئنان إنّ علماء العربية هم السّابقون إلى مضمون النظريتين اللّسانيتين : (البنيوية والتوليدية)، وما أضافه أصحاب هاتين النظريتين من اللّسانيين المعاصرين الأجانب، هو تحديد المصطلحات، وترتيبها فقط، فالنظريّات اللّسانية المعاصرة، سابقةٌ متجذّرة في الثقافة العربية بشكلها الناضج، المتكامل الحلقات، في جميع مستويات البحث اللّساني، ومستوياتِ الكفاية فيه، من حيث ملاحظة الظواهر، ووصفها، وتفسيرها، منذ ألف عام، أو يزيد قبل أن تظهر في الغرب بشكلها المعاصر. مع التنبيه إلى أنّ دراسة المستوى الصوتي، كما هي الآن في ضوء الدراسات اللّسانية المعاصرة، قديمة عند العرب منذ القرن الثاني الهجري على أيدي علماء التجويد والقراءات.

الفصل الثاني: اللّسانيّون العرب المعاصرون والنّحو العربيّ - المواقف النظرية والمنهجية

يُعنى هذا الفصل بمناقشة مواقف اللّسانيّين العرب المعاصرين من مناهج النحويّين العرب القدامى، في مبحثين اثنين، حيث تتلمذ اللّسانيّون العرب المعاصرون المثقّفون باللّغتين : الفرنسية والإنكليزية على اللّسانيّين الغربيّين والأمريكيّين في دراسة اللّسانيات، وتأثّروا بمذاهبهم اللّسانية تأثُّراً كبيراً، خصوصاً المذهبين البارزين : البنيوي والتوليدي، إذ كانت بصمات أصحابها بارزة في دراساتهم وبحوثهم اللّسانية، غير أنّ تأثّرهم بها جاء متبايناً إلى حدّ كبير، ممّا أدّى إلى تبايُن مواقفهم النظرية والمنهجية، فمنهم من انبهر بها انبهاراً شديداً، ورآها مذاهب فريدة، يجب احتذاؤها وتبنّيها

١- عمّار ربيح/ جامعة محمّد خيضر بسكرة، مقال بعنوان : نظرية النظم في مفهوم عبد القاهر الجرجاني. منشور بمجلّة الآداب واللّغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، مايو٢٠٠٥م.

بالكامل في دراسة النحو العربي، الذي كان يُدرس قديماً وفْق مناهج ليست بالكافية حسب رأيهم!!.

ومنهم من رأى إمكانية الإفادة منها وتوظيفها في دراسة النحو العربي، وإثراء بحوثه بما فيها من سمات مفيدة، مع تقديرهم لمناهج النحاة العرب القدامى، وإجلالهم لما قدّموه من دراسات للنّحو عبر العصور، خصوصا أنّهم قد سبقوا غيرهم في الدراسات اللّسانية بألف عام، أو يزيد، وإن اختلفت المصطلحات والمناهج، كما سلف تبيانه في المبحث السابق، وأنّ النحو العربي يتميّز بخصائص وسمات هي له خالصة، إذ ترعرع في أحضان القرآن الكريم وفي رحابه، من أجل خدمته والحفاظ عليه، ممّا أكسبه أصالة ورسوخاً في القواعد والأصول، وثباتاً في الجزئيات والفروع، وعمقاً وثراءً في المباحث، وتشقيق التفريعات. فهم لذلك يقدّرون جهود أولئك القدامى، وإن اختلفوا معهم في بعض المصطلحات والترتيبات، مع إجلالهم للجوهر والمنطلقات. والفريقان مع اختلافِ مواقفِهم النظرية والمنهجية فإنّهم جميعا خدموا النحو العربي، لكنْ كلٌّ بطريقته ومنهجه.

المبحث الأوّل : تأثّر وانتصار

في مسلك الفريق الأوّل انبهار شديد، وتأثّر بالغٌ بمذاهب اللّسانيّين الغربيّين، حسب رأيي. وفيما يلي بعضٌ من ملامح مسلكهم في دراسة النّحو :

١ - الدكتور أحمد المتوكّل: العالم اللّساني المغربي، صاحب المؤلّفات اللّسانية العديدة[١]، من أبرز ملامح مسلكه في دراسة النحو تبنّيه نظرية النحو الوظيفيّ، وهو المصطلح الذي حمل لواءه، وغلب على عنوانات مؤلّفاته اللّسانية، حيث يقول : «وتيّار وظيفي يحاول وصف بنية اللّغات الطبيعية، يربطها بما تؤدّيه هذه اللّغات من وظائف داخل المجتمعات البشرية.. ومن هذا المنطلق يسعى لسانيّو المنحى الوظيفيّ في إنجاز مشروع ذي شقّين : إضاءة نسق اللّغة العربية صرفاً وتركيباً، واستعمالها فُصحى ودوارج في مختلف القطاعات»[٢].

---

١ - كالجملة المركّبة في اللغة العربية، واللّسانيات الوظيفية، مدخل وظيفيّ، والوظائف التداولية في اللّغة. مثلاً.

٢ - الدكتور حافظ إسماعيلي علوي، الدكتور وليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص٣٥.

وقد وضع عدّة مبادئ أساسية للنّحو الوظيفيّ، هي : (أداتية اللّغة، وظيفة اللّغة الأداة، اللّغة والاستعمال، سياق الاستعمال، اللّغة والمستعمل، القدرة اللّغوية، الأداة وبنية اللّغة، الأداتية وتطوّر اللّغة، الأداتية والكلّيات اللّغوية، الأداتية واكتساب اللّغة[1].

كما اقترح منطلقاً في منهجية دراسة التراث اللّغوي، وتشكيلَ إطار نظريّ موحّد يحلّ محلّ المناهج القديمة، حيث قال : «المنطلق في المنهجية التي نقترحها لقراءة التراث اللّغوي العربي هو أنّ المفاهيم المعتمدة في(علوم اللّغة العربية) تنزع إلى التوحّد، وإن تعدّدت هذه العلوم، وإلى تشكيل إطار نظريّ يخلُف الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية والتفسيرية على حدّ سواء»([2]).

ولم يكتف الدكتور المتوكّل بهذا التنظير، بل قدّم تطبيقات عملية لنظريته (النحو الوظيفي) على الجُمَل العربية، مركّزاً على تنميطها في إطار النحو الوظيفيّ، موضّحاً بالأمثلة ما اقترحه من هذا التلوين لِذِي الجُمَل، التي قسمها إلى بسيطة ومركّبة، مكثراً من تنميط المركّبة.

٢- الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري (وُلد ١٩٤٧م) : الخبير اللّساني الدولي المغربي، أستاذ اللّسانيات المقارنة، من أبرز أنصار المدرسة التوليدية التحويلية. من ملامح مسلكه في دراسة النحو حديثه عن أسباب عدم تعرّف الثقافة العربية بشكل كامل على البحث اللّساني بمعناه الحديث، إذ قال :

«المشكل الأساسي كان هو طغيان الفكر التراثي وعدم الخروج عن معطيات القدماء ومناهجهم، فالكثير من العناصر ما زالت تحول دون تحقيق التجديد والثورة الضرورين. وإنّ الأسباب الموضوعية التي تحول دون تحقيق نقلة نوعية يمكن أن نجملها في طغيان الفكر المحافظ في اللّسانيات. وإنّ التراث الغني بأفكاره وأدواته جعل من الصعب اقتراح بديل له على المستوى الإجرائيّ، وما زلنا حبيسي معطيات القدماء، ولم نُدخل معطيات جديدة ... إنّ أوّل مدخل أساسي لتطوير اللّغة في الوقت الحاضر هو تطوير حوسبتها وإدخالها في النقاشات اللّسانية العامّة، كما نجد في كلّ اللّغات التي تريد أن تتقدّم»[3].

١- الدكتور أحمد المتوكّل، دراسات في نحو اللّغة العربية الوظيفي، ص٩، فما بعدها، ٢٦، فما بعدها.

٢- الدكتور أحمد المتوكّل، الجملة المركّبة في اللّغة العربية، ص٧. ويراجع أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص٤١.

٣- أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص٩٦، ١٠٠.

وذكر جملة من العناصر رأى أنّها تعترض سبيل التجديد في اللّسانيات، هي : (تصوّر خاطئ للّغة العربية، التجريبوية الساذجة، ادّعاء العلمية والمنهجية، تصوُّر خاطئ للتراث)[1]. ثمّ عدّد ما رآه جملةً من الأخطاء والأوهام تسرّبت إلى هذا التراث، تُلامس المناهج والمعطيات القديمة لدراسة التراث، التي بالإمكان الاستغناء عنها بمعطيات ومسالك حديثة[2].

٣- الدكتور داوود عبدة : العالم اللّساني الأردنيّ المتجوّل، أحد أنصار المدرسة التوليدية التحويلية، من أبرز ملامح مسلكه اللّسانيّ مطالبته بإلغاء بعض الإعراب، وتبنّي تدريس النحو الوظيفي للدّارسين، الذي سيؤدّي تلقائياً إلى إلغاء معظم الإعراب التقليدي، وإحلال الإعراب الوظيفي محلّه، حسب رؤيته، حيث يقول: «المنحى الوظيفي في تدريس العربية هو تدريسها بطريقة تؤدّي إلى إتقان المهارات اللّغوية الأربع : فهْم اللّغة مسموعة، وفهمها مقروءة، والتعبير الشفوي.. والتعبير الكتابي.. وبالتالي يقتصر في تدريسها على ما يحتاج إليه الطالب لإتقان المهارات الأربع: فهم اللّغة بشقّيها فهماً عميقا دقيقا.. والتعبير الخالي من الخطأ بشقّيه. وهذا ما يُلغي معظم الإعراب التقليدي تلقائياً، ويُحلّ محلّه الإعراب الوظيفي»[3].

ووصولاً إلى ذلك اقترح بعضاً من التعديلات على خِطط أقسام اللّغة العربية بالوطن العربي، أبرزها قوله : «إلغاء جميع مساقات (موادّ) النحو، وتدريس النحو الوظيفي بالطريقة الوظيفية التي اقترحتها من خلال النصوص، وهي تشمل إلغاء الإعراب التقليدي والاكتفاء بالإعراب الوظيفي، تخصيص موادّ لكلّ مهارة من مهارات اللّغة: فهم المسموع، وفهم المقروء، والتعبير الشفوي، والتعبير الكتابي، يُهتمّ في كلّ منها بأهداف تلك المهارة، وبالوسائل التي تحقّق تلك الأهداف (قواعد تركيب الكلمة، وقواعد تركيب الجملة، وقواعد الكتابة...»[4].

ومن هذا الفريق أيضاً الدكتور حمزة بن قبلان المزيني : أستاذ اللّسانيات السعوديّ،

١- الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية، ص٥٦ ـ ٥٨.

٢- المصدر نفسه، ص٦١.

٣- أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص٦٦

٤- المصدر نفسه، ٦٨.

أحد أنصار المدرسة التوليدية التحويلية، الذي من آرائه النحوية التي يصف فيها رؤيةَ التفوّق العربي في دراسة اللّغة بالوهْم، قوله : «ومن الأسباب الأخرى أنّ هناك وهماً بالتفوّق العربي في دراسة اللّغة، وهو ما يؤدّي إلى وهم آخر يتمثّل في أنّه لا يمكن لأحد أن يتجاوز ما أنجزه العلماء العرب الأقدمون في دراسة النظام النحوي للّغة العربية»[1].

هذا مجمل آراء أصحاب هذا الفريق.

المبحث الثاني: الإفادة من مناهج اللّسانيين الغربيين، مع الاحتفاظ بأصالة التراث وخصائصه

رأى أصحاب هذا الفريق إمكانيةَ توظيف مذاهب اللّسانيّين الغربيّين في دراسة النّحو العربي، وإثراء بحوثه بما فيها من سمات مفيدة، مع تقديرهم لمناهج النحاة العرب القدامى، وإجلالهم لما قدّموه من دراسات في النّحو عبر العصور، وما توصّلوا إليه من معطيات، وإن خالفوهم في بعض المصطلحات والترتيبات. ويبدو في نبرة بعضهم نقدٌ لأصحاب الفريق الأوّل، إذ وصفوهم بالاستغراب الجامح، ومحاولة تطبيق ما تعلّموه من مناهج ومعطياتٍ غربية في دراسة التراث العربي، دون الأخْذ في الاعتبار ما يتميّز به هذا التراث الأصيل من خصائص وسماتٍ. وفيما يلي عرض بعضٍ من ملامح مسلكهم في دراسة النحو :

١- الدكتور أحمد العلوي المغربي : أستاذ اللّسانيات بكلّيات فاس، والرّباط، وبني ملال، يصفُ التقليد الأعمى للّسانيّين الغربيّين بما يُشبِه (تجارة الماركات اللّسانية)، حيث يقول : «واستولى عليهم هوس المتابعة الصحافية، ونقلوا النماذج، ولم يمارسوا بأنفسهم الحفر والحرث والدرس والحصاد، وبدا لهم أنّهم وحدانٌ في الباب، وفاتهم أنّ بعض علمهم مذاهب متروكة عند أهلها، وأنّ البحث اللّغوي في الغرب هو ثمرة حوار قائم عندهم كالحوار السياسيّ.. لا يستطيع أحد أن ينكر أنّ اللّسانيات المعاصرة تحمل في خلاياها وثناياها خصائص الممارسة اللّغوية الأوروبّية ومصطلحاتها، ولذلك فإنّ إمكان نشرها في الأوساط الأوروبّية أسهل من إمكانه في الأوساط العربية. يضاف إلى ذلك أنّ اللّغويّين العرب ليسوا مشاركين في الحوار اللّغوي الأوروبّي الأمريكي، وإنّما هم متبضّعون. ولذلك فإنّ من العسير نقل

١- أسئلة اللّغة، أسئلة اللّسانيات، حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص٥٧.

اللّعبة اللّغوية؛ لأنّ ذلك يستوجب أن يكون الناقل عارفاً بأصولها، وهذا يستوجب أن يكون مشاركاً فيها»[1].

٢- الدكتور مبارك حنون : أستاذ اللّسانيات في الجامعات المغربية، بيّن وجهةَ نظره في اللّسانيات المعاصرة بالوطن العربي، التي وصفها ب(الاغترابية)، قائلاً : «وهكذا نشأت في الثقافة العربية لسانيات اغترابية تميّزت بانبثاقها في الغرب من لغاتهم لتطوير معرفتهم بأنساقها بُغية الإسهام في تطوير ما يرتبط باللّغة من قطاعات صناعية واجتماعية وسياسية نشيطة، ثمّ اجْـتُـثّت من وسطها الطبيعيّ، ونُقلت إلى العالم العربي بغير أهدافها لانتفاء البيئة العلمية والصناعية المشابهة، فاللّسانيات في العالم الغربي شديدة التفاعل مع لغاته وثقافته، وهي فعّالة في مجالات مختلفة، لكنّها في العالم العربي متدافعة مع لغته وتراثه اللّساني، ومُعطّلة بالقياس إلى واقع أنشطته الصناعية والاجتماعية »[2].

٣- الدكتور مازن الوعر: باحث وأستاذ اللّسانيات بجامعة دمشق (وُلد ١٩٥٢م، بحمص)، من أنصار المدرسة التوليدية التحويلية، من أبرز مؤلّفاته اللّسانية كتاباه: (جملة الشرط عند النحاة والأصوليّين في ضوء نظرية النحو العالمي لشومسكي، ١٩٩٩م)، و(دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللّسانيات المعاصرة، ٢٠٠١م). وقد وضّح وجهة نظره من اللّسانيات المعاصرة، مبيّناً أنّ الحداثة عندنا نحن العرب هي حداثة فوضوية :

«فهذا العلم ما يزال محض العقلية الغربية التي أنتجته، ووضعت مبادئه وأصوله، ونحن العرب نتعرّف عليه من خلال الترجمة التي لا تخضع للضوابط العلمية، ولا تحكمها منهجية علمية أكاديمية، يضاف إلى ذلك أنّ الترجمات ليست متكاملة ومنسّقة. أمّا عندنا فالحداثة هي حداثة فوضوية؛ لأنّها نشأت من فراغ، ولم نأخذ بالحسبان ما فعله العرب القدماء، وما فعلته التراثات العالمية الأخرى»[3].

ورأى من الإساءة على اللّسانيات عموماً، وعلى اللّغة العربية خصوصاً، تطبيق النظريات الغربية على اللّغة العربية بشكل اعتباطي وغير مسؤول، إذ قال :

١- أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، ص٢٠، ٢١.

٢- المصدر نفسه، ص١٧٤.

٣- المصدر نفسه، ص١٢١.

«إنّ تطبيق النظريات الغربية على اللّغة العربية على نحو اعتباطي وغير مسؤول هو إساءة للنظرية اللّسانية المطبّقة، ثمّ هو إساءة للّغة العربية نفسها. والواقع أنّ الذي يحصل هنا أنّ أغلب الباحثين اللّسانيّين العرب هم متخرّجون من أقسام اللّغات الأجنبية (الإنكليزية والفرنسية..) واطّلاعهم على اللّسانيات الغربية هو اطّلاع واسع وعميق، ولكنّهم من جهة أخرى لا يعرفون لغتهم العربية، نحواً ودلالةً وصوتاً حقّ المعرفة. لذلك كانوا في الخمسينات والستّينات يطبّقون النظريات اللّسانية الغربية على اللّهجات التي يتكلّمونها، وبذلك لم تفز اللّغة العربية الفصحى من هذا بشيء. ولكن في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات بدأ هؤلاء اللّسانيّون يطبّقون هذه النظريّات على اللّغة العربية الفصحى التي لا يعرفونها تمام المعرفة»[1].

وقد قام مازن بمقارنة علمية متميِّزة بين دراسة العرب القدماء لجملة الشرط العربية وتطبيق نظرية شومسكي النحوية عليها، وتوصّل إلى أنّ دراسة العرب القدماء لها كانت أفيد وأشمل، ممّا يجعل من الممكن سدَّ النقص والفجوات المنهجية الحاصلة في نظرية شومسكي بالنتائج الُمتحصَّل عليها من دراسة العرب القدماء. إذ قال:

«أمّا في حالة نقص النظرية النحوية العالمية لشومسكي فإنّه يمكن أن تستفيد من نظريات العرب القدماء: النحاة والأصوليّين إلى جملة الشرط العربية، من أجل أن نملأ الفجوات المنهجية الموجودة في نظرية شومسكي. إذ إنّ كثيرا من الفجوات المنهجية في هذه النظرية التي وجدت جوابا كافيا وشافيا عنها في أعمال الأصوليّين العرب عندما درسوا جملة الشرط العربية، فقد كان هدف الأصوليّين هو التوصّل إلى دلالة الجملة الشرطية من أجل التوصّل إلى الحكم الشرعي الذي كان هدف دراساتهم، وهذا لم يُضمِّنه شومسكي في نظريته. ذلك أنّ هدفه من دراسته للجملة عموماً هو معرفة سرّ المعرفة اللّغوية في الدماغ البشري... وإنّما هناك ربح على صعيد النظرية، وعلى صعيد المادّة اللّغوية»[2].

٤- الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: العالم اللّساني الجزائري، (وُلد١٩٢٧م، بوَهْران)، الذي اتّهم اللّسانيّين العرب المعاصرين بالتقصير وعدم محاولة اكتشاف ما عند نحاة العربية القدماء من مقاصد حقيقية في تحليلاتهم وأفكارهم النظرية،

١- المصدر نفسه، ص١٢٤.

٢- المصدر نفسه، ص١٢٥، ١٢٦.

التي أسّسوا عليها مفاهيمهم النحوية،والتي لاوجود لبعضها في اللّسانيات الغربية. حيث يقول :

والذي أراه، وهو خاصّ بي فهو أنّ اللّسانيّين العرب في عصرنا متأثّرون بالمذاهب الغربية، وهذا لا مفرّ منه، إلاّ أنّني لا أعلم أحداً منهم - والله أعلم - حاول أن يكتشف عند النحاة الأوّلين مثل الخليل وسيبويه مقاصدهم الحقيقية في تحليلاتهم، والأفكار النظرية الأساسية التي بنوا عليها مفاهيمهم النحوية، مثل بناء الكلمة (وزنها)، وهو مفهوم تجهله تماما اللّسانيات الغربية (ومعرفة بعضهم له ترجع إلى أنّه درس النحو العربية). وهناك مفاهيم علمية دقيقة كثيرة لا نجدها إلاّ عند النحاة الأوّلين، وخاصّة عند الخليل وسيبويه، ولا نجدها في اللّسانيات الغربية الحديثة، ولم يتفطّن لها الباحثون العرب في زماننا، منها مفهوم (اللّفظة [1])، وهي غير الكلمة وغير التركيب - لعمومه - ولمفهوم العامل أيضا أهمّية كبيرة. ثمّ إنّ أكبر حجّة على صحّة ما ندّعيه هو أجود تحليل للّغة، وأصحّه وأقربه إلى الحقيقة هو الذي يقوم به اللّغوي العبقريّ بالنسبة إلى لغته التي نشأ عليها، والعبقريّ بالنسبة إلى العربية هو الخليل، وكان له حظّ عظيم في أن ورثه وخلَفه عبقريّ مثله، وهو سيبويه. فالذي أنتقده وأنفر منه هو التهجّم الشديد على نحاتنا الأوّلين دون أن يُجرى بحث دقيق في ذلك يدوم السنين، كما أنفر من الاعتماد الكليّ المطلق على مذهب واحد أو نظرية واحدة ونبذ ما سواها نبذاً[2].

كلام نفيس من عالم لسانيّ متمكّن في مجال اللّسانيات المعاصرة، يُنصف - مع ما قدّمه أصحاب هذا الفريق - النحوَ العربيّ القديم بالدّفاع عنه وعن علمائه، والتدليل على تميُّزه بخصائص وسِماتٍ بارزة، هي له خالصة دون غيره، مع فتح الباب واسعاً للإفادة من المناهج والنظريات اللّسانية المعاصرة الأجنبية، دون الانبهارِ الشديد بها على حساب التراث العربي، ومحاولةِ إحلالها محلّ ما قدّمه علماء العربية القدماء من نظريات ومناهج شامخة جليلة، وهذا - حسب رأيي - هو المنهج العلميّ الرصين، الذي يُؤسّس نتائج النظريّات ومعطياتها على البحث الجادّ والأدلّة والبراهين.

١- المقصود باللّفظة : « الاسم المفرد وما يدخل عليه، فليس قطعة كلامية جامدة، بل وحدة لها تصرّف لا في صفتها الداخلية فقط، بل بدخول زوائده وخروجها، كأداة التعريف والمضاف إليه، وعلامة الإعراب، والتنوين والصفة».
يراجع المصدر نفسه، ص٩٣، حاشية المؤلّف، رقم ١.

٢- المصدر نفسه، ص٩٢ - ٩٥.

الفصل الثالث : النّحو العربيّ بين القديم والحديث

سيناقش هذا الفصل مسألة صعوبة النّحو العربيّ، ومحاولة تيسيره، وتسهيله، قديماً وحديثاً، في مبحثين اثنين.

المبحث الأوّل : النّحو العربيّ في القديم - الأسس النظرية والمنهجية

كثرت الدعوات التي نادت بتيسير النّحو، وتسهيله، قديماً وحديثاً، وذلك بعد شعور أصحابها منذ وقت مبكّر بصعوبة بالغة لامستْ قواعده، ومسائله، فتحدّثوا عن ذلك، وقاموا بمحاولات عدّة هنا وهناك عبرَ العصور لتسهيله وتيسيره على الدّارسين، نضجت وتكاملت حلقاتها على يد ابن مضاء القرطبيّ، حيث «ما إن ظهر كتاب سيبويه حتّى أدرك الأساتذة والطّلاّب مدى صعوبة فهمه واستيعابه، فكان يقال لمن يريد قراءته : (هل ركبتَ البحر؟ [١])، ثمّ توالت بعده مصنّفات لشرحه، وبيان نكته وأبنيته واختصاره»، والاعتناء بشواهده وشرح مشكلاته، واختصار شروحه[٢].

فيُذكر أنّ أبا عثمان المازنيّ (ت٢٤٩هـ) قال : « قرأ عليّ رجل كتاب سيبويه في مدّة طويلة فلمّا بلغ آخره قال لي : أمّا أنت فجزاك الله خيراً، وأمّا أنا فما فهمت شيئا»[٣].

ورُوي عنه أيضا قوله [٤] : «سألت الأخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل في (باب من المبتدأ يضمر فيه ما بُني على الابتداء)، وهو قوله : (ما أغفله عنك شيئاً، أي دع الشكّ)، ما معناه ؟ قال الأخفش : أنا منذ وُلدت أسأل عن هذا. وقال المازنيّ : سألت الأصمعيّ وأبا زيد، وأبا مالك عنه فقالوا : ما ندري ما هو»[٥].

وقد سجّلت لنا كتب التراث طرفاً ممّا كان يقع بين الأدباء والنحاة القدماء من وقت لآخر من احتكاك يُشعر باتّهام النحاة للأدباء بالقصور في معرفة قواعد النحو،

---

١ - هذه المقولة للمبرّد، كان يقولها تعظيما واستصعاباً لما فيه. يراجع الكتاب، ج١، ص٣٢.

٢ - الكتاب، ج١، ص٣٧، فما بعدها، من القسم الدراسيّ. وتاريخ النحو العربي، ص٥٦١.

٣ - الكتاب، ج١، ص٢١، من القسم الدراسيّ . نقلا عن مراتب النحويّين لأبي الطيّب اللّغوي، ص٧٨.

٤ - الكتاب، ج١، ص٣٢، من القسم الدراسيّ.

٥ - يقول محقّق الكتاب عبد السلام هارون، ج١، ص٣٢، من القسم الدراسيّ : « قال السيرافي (في حواشي سيبويه، ج١، ص٢٧٩، بولاق) : لم يُفسّر هذا الحرف فيما مضى إلى أن مات المبرّد، وفسّره أبو إسحاق الزجّاج بعد ذلك، فقال : معناه على كلام تقدّم، كأنّ قائلاً قال : ليس زيد بغافل، فقال المجيب : بلى ما أغفله عنك، انظر شيئاً، أي تفقّد أمرك. فاحتجّ به على الحذف، يريد حذف (انظر)، الناصب شيئاً».

وتهكّم الأدباء من قوانين النحو وقواعده. من ذلك مثلاً قول الجاحظ في أسلوب ساخرٍ: «قلت لأبي الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو فلِمَ لا تجعل كتبك مفهومة كلّها؟ وما بالُنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما بالُك تقدّم بعض العويص، وتؤخّر بعض المفهوم؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلّت حاجتهم إليّ فيها.. وإنّما كسبت في هذا التدبير، إذ كنت إلى التكسّب ذهبت»[1].

ومنه ما يُذكر عن الجاحظ من قول النحويّين : « إنّ أفْعَل الذي مؤنّثه فُعْلى لا يجتمع فيه الألف واللّام ومِن، وإنّما هو بمِنْ أو بالألف واللّام، نحو : الأفضل وأفضل منك، والأحسن وأحسن من جعفر، ثمّ قال : وقد قال الأعشى[2]:

فلستَ بالأكـــــــــثرِ مِنهمْ حَصىً وإنّمـا العِـــــزّة لِلــــــــــــكاثرِ.

يقول ابن جنّي : رحم الله أبا عثمان، أمَا إنّه لو علم أنّ (مِنْ) في هذا البيت ليست التي تصحب أفعل للمبالغة، نحو أحسن منك وأكرم منك لضرب عن هذا القول إلى غيره، ممّا يعلو فيه قوله، ويعفو لسداده وصحّته خصمه. وذلك أنّ مِنْ في بيت الأعشى إنّما هي كالتي في قولنا : مِن الخيل كريم، فكأنّه قال : لست من بينهم بالكثير الحصى، ولست فيهم بالأكثر حصىً. فاعرف ذلك»[3] :

وترجع صعوبة النحو على الطّلاّب والدّارسين إلى مجموعة من الأسباب، من أبرزها[4] :

- إقحام النحاة القدماء اللّهجات العربية حين تقعيدهم القواعد بصفاتها «وخصائصها المتباينة، ونظروا إليها على أنّها صور مختلفة من اللّغة المشتركة، ممّا خلق مشاكل معقّدة، أيسرها اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة، ومحاولة التوفيق بين المذاهب والشواهد (المتباينة) والإكثار من الأمور الجائزة، وكثرة

١- الحيوان، الحلبي, ص٩١. نقلاً عن صابر بكر أبي السعود، نقد النحو العربي. ص١١.

٢- من رائيته التي يهجو فيها علقمة بن عُلاثة، ويمدح عامر بن الطفيل، في منافرة مشهورة جرت بينهما. يراجع مختار الشعر الجاهليّ، ج٢، ص١٦٩.

٣- في نقد النّحو العربي، ص١٤، ١٥. نقلاً عن ابن جنّي، الخصائص، ج١، ص١٨٦.

٤- مثلاً معاذ السَّرطاني، ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص٧٥، فما بعدها.

التقسيمات والتشعيبات، والإسراف في وضع الشروط»[1].

- نظرية العامل، التي بالغ النحاة فيها حقيقةً، كقولهم مثلاً : «لا يجتمع عاملان على معمول واحد (ذاكرَ ونجح محمّد) (و) الحرف لا يعمل في نوع من الكلمات حتّى يكون مختصّاً به (النصب بأنْ مضمرة بعد فاء السببية) (و) لا يعمل العامل في الاسم وضميره معاً (محمّداً ضربته)»[2].
- الإكثار من التأويل والتقدير «وحمل الأساليب العربية على غير ظاهرها (من ذلك مثلاً) تقدير(أنْ) مضمرةً بعد الفاء ونصب الفعل (بأنْ) هذه، ثمّ اعتبار الفاء حرف عطف عطفت المصدر المؤوّل من (أنْ) المقدّرة ومدخولها.. وتقدير نحو: ذاكِرْ فتنجحْ، لتكن منك مذاكرةٌ فنجاحٌ .. إلخ»[3].

يقول ابن مضاء : «ولم أحتج إلى إضمار ما الكلام تامّ دونه، وإظهاره عـيٌّ مخالف لغرض القائل»[4].

- اعتناؤهم بالعلل الثواني والثوالث في النحو، و«ذلك مثل سؤالهم عن زيد من قولنا : قام زيد : لِـمَ رُفِع؟ وإجابتهم : لأنّه فاعل وكلّ فاعل مرفوع، ثمّ سؤالهم : ولِـمَ الفاعل؟ وإجابتهم : للفرق بين الفاعل والمفعول، ثمّ سؤالهم: ولِـمَ لَـمْ تُعكس القضية فينصب الفاعل ويرفع المفعول؟ وإجابتهم : بأنّ السبب أنّ الفاعل قليل، لا يكون للفعل إلاّ فاعل واحد، فأُعطِي الأثقل الذي هو الرّفع للفاعل، وأُعطِي الأخفّ الذي هو النصب للمفعول ليقلّ في كلامهم ما يستثقلون»[5].
- الإكثار من الأقيسة النظرية، التي لا شواهد لها تُسنِدها من لسان العرب، كمنعهم مثلاً تقديم الفاعل على الفعل[6].

١- أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب، ص١٤٦.

٢- المصدر نفسه، ص١٤٧.

٣- المصدر نفسه، ص١٤٨.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٣١. نقلاً عن ابن مضاء، الرّدّ على النحاة، ص١٤١.

٥ - يراجع البحث اللّغوي عند العرب، مصدر سابق، ص١٤٨. نقلاً عن ابن مضاء، الرّدّ على النحاة، ص١٥١.

٦ - يراجع في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص٧٢، ٧٣.

- الاهتمام ببعض الأمور التي لا دورَ لها في تقويم اللّسان، ولا عصمته من الخطأ. من ذلك مثلا اختلافهم في رافع المبتدأ والخبر، فقيل : كلاهما مرفوع بالابتداء، وقيل : الخبر مرفوع بالمبتدأ والابتداء معاً، وقيل : هما مُترافعان، كلّ واحد منهما مرفوع بصاحبه[1].

وقد أحسّ بعض العلماء والدّارسين قديماً بهذه الصعوبة فقاموا بتأليف كتب، حاولوا فيها تيسير النحو وتسهيله، متحاشين الخوض في الأمور التي كانت سبباً في صعوبته، منها مثلاً :

١- (مقدّمة في النحو) : تأليف لخلف الأحمر(ت١٨٠هـ)، استهلّها بقوله : «لمّا رأيت النحويّين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلّم المتبلّغ في النحو من المختصر.. والمأخذ الذي يخفّ على المبتدئ حفظه ويحيط به فهمه، فأمعنت النظر والفكر في كتاب أؤلّفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلّم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق، ولم أدع فيها أصلاً ولا أداة ولا حجّة ولا دلالة إلاّ أمليتها فيها، فمن قرأها وحفظها وناظر عليها عَلِم أصول النحو كلّه »[2].

ومن عنوانات هذه المقدّمة :

- باب الحروف التي ترفع كلّ اسم بعدها، وهي : إنّما وكأنّما، وهل وبل وهو وأين..
- باب الحروف التي تنصب كلّ شيء أتى بعدها، وهي : رأيت وظننت وحسبت ووجدت..
- باب الحروف التي تخفض ما بعدها من اسم وأخبار مرفوعة، ويقال لها حروف الصفات، وهي : مِن وإلى وعن وعلى وتحت ودون ووراء.. وكلّ وبعض وغير.. وأطيب وأكتب وأفرس وأشجع... [3].

٢- (التفّاحة في النحو) : تأليف لأبي جعفر النحّاس (ت٣٣٨هـ)، وهو صغير الحجم، يقع في ثماني ورقات من مخطوطة المكتبة المتوكّلية بصنعاء، ومفيد جدّاً لاحتوائه على

---

١ - يراجع الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١، ص٣١.

٢ - يراجع البحث اللّغوي عند العرب، الدكتور أحمد مختار عمر، ص١٥٤. نقلاً عن المقدّمة المذكورة.

٣ - يراجع المصدر والصفحة نفسها.

جميع مبادئ النحو وقواعده الرئيسة، وتجنّبه الخلافات النحوية، واستناده إلى اللّغة الأدبية المشتركة، مزورّاً عن الخلافات اللّهجية. وقد احتوى على واحد وثلاثين فصلا، منها : باب أقسام العربية، باب الإعراب، باب رفع الاثنين، باب أقسام الفعل، باب الفاعل والمفعول به، باب الابتداء، باب حروف الخفض، باب الحروف التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار، باب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة[1].

ومِن هؤلاء مَن حاول تغيير نظام الجملة العربية كما رآها الخليل وسيبويه ومَن سار على منهجهما، ودعا إلى ذلك بدعوى أنّ جمهور النحاة بالغوا في اعتبار نظرية العامل، التي أدّت في نظر هؤلاء إلى جمود الدراسات النحوية، وعدم السماح بتطوّرها وانسيابها، فقدّموا جملة من الاقتراحات والإصلاحات لتيسير النحو وتسهيله على الدارسين، مشفوعة بنماذج من نقد مناهج النحاة الآخرين في التركيب النحوي. مِن هؤلاء مثلاً[2] :

٣- أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ولّاد المصري (ت٣٣٢هـ) : من أبرز المبادئ التي نادى بها هي أنّه لا يصحّ الطعن على العربيّ، أو رميه باللّحن أو الخطأ أو تقديم القياس النظريّ - هو الذي لا شاهد له يُسنِده من لسان العرب - على المادّة اللّغوية المسموعة، التي يجب الوقوف عندها، ولا يجوز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النظري، فهناك من الأساليب والكلمات ما يصحّ في القياس، ولكنّه لم يسمع، فيجب أن نقف عند ما قالته العرب ولا نغيّره. كما هاجم التأويل والتقدير، وادّعاء الحذف والإضمار.. [3].

٤- أبو العلاء المعرّي الشاعر المعروف (ت٤٤٩هـ) : ثار ثورة عارمة على مبدأ التأويل والتقدير، وانصبّ أغلب آرائه الإصلاحية على هذا الجانب، وأكثر من أمثلة النحاة للتدليل على ذلك، حيث « لم يكن هناك ما يغيظه أكثر ممّا كان يقرؤه ويسمعه من تأويلات النحاة وتكلّفاتهم، وتخريجهم بعض الأبيات على غير حقيقتها للاستشهاد بها على آرائهم الخاصّة»[4].

١- يراجع المصدر نفسه، ص١٥٥.

٢ - يراجع المصدر نفسه، ص١٥٦.

٣ - يراجع المصدر نفسه، ص١٥٦، ١٥٧.

٤- المصدر نفسه، ص١٥٧.

٥- ابن حزم الأندلسي (ت٦٥٤هـ) : العالم المفسّر، الذي شكّل هجومُه الكاسح على العِلل النحوية معظمَ آرائه الإصلاحية، حيث رآها « كلّها فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة البتّة، وإنّما الحقّ من ذلك أنّ هذا سمع من أهل اللّغة الذين يرجع إليهم في ضبطها، وما عدا هذا فهو (مع أنّه تحكّم فاسد متناقض) أيضا كذب؛ لأنّ قولهم : كان الأصل كذا فاستثقل فنقل إلى كذا.. شيء يعلم كلّ ذي حسّ أنّه كذب لم يكن قطّ، ولا كانت العرب عليه مدّة ثمّ انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك.. أمّا التعمّق في علم النحو ففضول لا منفعة بها، بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهمّ..»[١].

٦- ابن مضاء الأندلسيّ أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد (ت٥٩٢هـ) : أبرز هؤلاء، الذي تكاملت حلقات هذه النقود على يده بتأليف كتابه : (الرّد على النحاة)، الذي انتقد فيه بشدّة نظرية العامل عند النحاة [٢]، وأودعه فكره النحوي و آراءه الناقدة. وقد قام الدكتور شوقي ضيف بتحقيق هذا الكتاب، والتقديم له تقديما وافيا، بيّن فيه نظرية ابن مضاء ومنهجه «في نقد النّحو والنحاة. وكانت غاية ابن مضاء أن يحذف من النحو ما يستغنى النحويّ عنه، وأن ينبّه على ما اجتمعوا على الخطأ فيه، وتتحقّق هذه الغاية في رأيه بإلغاء نظرية العامل، وإلغاء العِلَل الثواني والثوالث، وإبطال القياس، وترك المسائل النظرية، وإسقاط كلّ ما لا يفيد في النطق»[٣].

انتقد ابن مضاء بشدّة في هذا الكتاب مناهج النحاة القدماء في دراسة النحو، وحاول « توضيح منهجه النحويّ الجديد، وترسيخه في أذهان الدارسين والنحاة، والدعوة إلى اتّباعه في دراسة النحو .. لقد قام ابن مضاء بدراسة النحو دراسة وصفية بحتة تقوم على احترام النصّ اللّغويّ، والوقوف أمامه، وعدم تجاوزه أو تحميله من التأويلات ما لا يحتمل»[٤].

١- المصدر نفسه، ص١٥٨، ١٥٩.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٠٠، فما بعدها.

٣- البحث اللّغوي عند العرب، ص١٥٩.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص٩٧، ٩٨.

وقد أسّس منهجه «هذا على أُسس وقواعد جديدة ومستقلّة خالف فيها الأسس التي أقام عليها النحو التقليدي بنيانه وصرحه الشامخ، بل إنّه حارب تلك الأسس والقواعد القديمة ودعا إلى هدمها، والتخلّي عنها حيث يصرّح بذلك في مستهلّ حديثه عن العامل بقوله : .. قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحويّ عنه» [1].

لذلك أقام منهجه على أُسس بارزة، وهي :

- موقفه من نظرية العامل.
- موقفه من العِلَل والسّماع والإجماع.
- موقفه من القياس والتقدير، وكلّ ما لم يرَ له ضرورة.

أ- موقفه من نظرية العامل

يبدو تأثّـرُ ابن مضاء واضحاً « في موقفه من نظرية العامل بشكل خاصّ، ومن أُسس النحو التقليديّ بشكل عامّ، بمذهبه الفقهيّ الذي كان يدين به، حيث كان في مذهبه ظاهريّا يقدّس النصّ اللّغوي، ويقف أمامه ويتمسّك بحرفيته، وعدم خروجه على معانيه الظاهرية، مع رفض كلّ ما ينتج عن تطبيق نظرية العامل في الدراسات النحوية، من تأويل وزيادة في النصّ اللّغوي الأصليّ ممّا ليس منه، فاللّغة في رأي الظاهرية مقدّسة وكاملة لا تحتاج إلى تعديل أو زيادة؛ لأنّها.. توقيفية، وأنّ العامل فيها هو المتكلّم نفسه، وليس شيئا محذوفا يجب تقديره»[2].

ورفضاً منه لنظرية العامل استعرض أمثلة عديدة صالحة لطغيان العامل (حسب رأيه) في مباحث النّحاة القدماء، التي رفض فيها بشدّة مسائل التأويل والتقدير والإضمار والنقص والزيادة. فتناول مثلاً مبحث باب الاشتغال، فقال: «ولا يضمر رافع، كما لا يضمر ناصب، إنّما يرفعه المتكلّم، وينصبه إتباعاً لكلام العرب»[3].

وتحدّث عن العامل في مبحث التنازع، فرفض ما هو ثابت ومقرّر عند النحاة القدماء، من أنّ « كلّ عامل لابدّ له من معمول، كما لا يجتمع عاملان على معمول

١- المصدر نفسه، ص٩٩. نقلا عن الرّدّ على النحاة، ص٨٥.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٠٠. عن المدارس النحوية، ص٣٠٤.

٣- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٠١. نقلاً عن الرّدّ على النّحاة، ص١٥٠.

واحد، وكذلك كلّ مسند لابدّ له من مسند إليه. وقد بيّن رأيه في اضطراب الآراء في هذا الموضوع بقوله: (وأمّا أيّ الرأيين أحقّ، فرأي الكسائيّ ..) وهو يشير بذلك إلى ما قرّره الكسائيّ في هذا الباب من أنّه لا ضرورة لتقدير محذوف أو إضمار شيء؛ لأنّ المعنى تامّ، والكلام مفهوم، وقد ورد من النصوص اللّغوية عن العرب ما يؤيّد هذا الرأي»[1].

وتحدّث ابن مضاء صراحة عن بطلان العامل، وإنكاره، وفساد القول به، حيث قال: « فمن ذلك ادّعاؤهم أنّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلاّ بعامل لفظيّ، وأنّ الرّفع منها يكون بعامل لفظيّ وبعامل معنويّ.. وذلك بيّن الفساد .. وأمّا العوامل النحوية فلم يقل بعملها قائل، لا ألفاظها ولا معانيها؛ لأنّها لا تفعل بإرادة ولا بطبع»[2].

وقد نقل نصّاً عن ابن جنّي رآه مؤيّداً لما ذهب إليه في هذا المضمار، وهو قوله: « فأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرّفع والنصب والجرّ والجزم، إنّما هو للمتكلّم نفسه، لا لشيء آخر»[3].

ب - موقفه من العِلَل والسّماع والإجماع:

- العلّة في الفكر النحويّ قديمة بقدمه[4]؛ لأنّ « العرب قد نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها عللُه، وإن لم ينقل ذلك عنها..»[5].
وتحدّث ابن جنّي كثيراً في كتابه الخصائص[6] عن قضايا العلّة والمعلول ومسائلهما.

وقسمها ابن مضاء قسمين، أوّلهما أسماه: العلل الأولى، التي «بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك بالنظر..»[7]. فهذه العلل فيما يبدو مقبولة عنده «على أساس أنّها تصف الظاهرة اللّغوية كما هي، وقد مثّل لها بقوله في الإجابة عن السؤال: (لِمَ رُفع زيد؟) في مثال (قام زيد): بأنّ (زيد) رُفع لأنّه فاعل، فهذا التعليل عند ابن مضاء ممّا يخدم النصّ اللّغوي، ويؤدّي إلى معرفتنا بكلام العرب، أمّا إذا زاد السائل

١- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٠١. نقلا عن الرّدّ على النّحاة، ص١٠٩.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٠٤. نقلاً عن الرّدّ على النّحاة، ص٨٥ - ٨٨.

٣- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٠٤. نقلاً عن الرّدّ على النّحاة، ص٨٧.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٠٦. نقلاً عن علي أبي المكارم، أصول التفكير النحوي، ص١٦٢.

٥- السيوطيّ، الاقتراح في علم أصول النّحو، ص٣٨.

٦- مصدر سابق، ج١، ص١١٤، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١، ١٨٣.

٧- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١١٠. نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص١٥٢.

وسأل عن سبب آخر أو علّة أخرى، فالصواب عند ابن مضاء أن يقال له : (كذا نطقت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر)»[١].

وثانيهما عنده هو ما أسماه العلل الثواني المستغنى عنها، إذ قال : «وممّا يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث.. والعلل الثواني هي المستغنى عنها في ذلك، ولا تفيدنا إلاّ أنّ العرب أمّة حكيمة..»[٢].

وهي عنده «على ثلاثة أقسام : قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده..»[٣].

وختم ابن مضاء حديثه عن العلّة قائلاً : «وممّا يجب أن يسقط من النحو الاختلافُ فيما لا يفيد نطقاً، كاختلافهم في علّة رفع الفاعل، ونصب المفعول، وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها ممّا لا يفيد نطقاً» [٤].

فابن مضاء بهذا لا يرفض العلل التي تستند إلى النصّ اللّغوي وتخدمه، والتي يسمّيها العلل الأولى، أمّا التي لا تستند إلى نصّ فهي عنده فاسدة، غير مفيدة. وهذا حقيقة مقبول لوجاهته، فيما أرى.

- موقفه من السماع في النحو : السماع هو أهمّ الأسس التي بنى عليها النحاة القدماء قواعد النّحو، وفرّعوا عليها مسائله. وكان موقف ابن مضاء منه «واضحاً وضوحه في التعليل، ولا غبار عليه، حيث إنّ احترام النصّ اللّغوي كما هو والتقيّد بالمسموع عن العرب يعتبر من الأسس القوية والمتينة التي قام عليها منهجه النحويّ الجديد» [٥].

لذلك تحدّث عنه كثيرا في كتابه (الردّ على النحاة)، كما في قوله مثلاً في مسألة جواز رفع الاسم أو نصبه بباب الاشتغال : «وهذا لا يجوز عندي، حتّى يسمع من العرب»[٦]، وقوله في باب التنازع : «ورأيي في هذه المسألة وما شاكلها أنّها لا تجوز؛ لأنّه لم يأت لها

١- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١١١. نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص١٥١، ١٥٢.

٢- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١١١. نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص١٥١، ١٥٢.

٣- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١١١. نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص١٥١، ١٥٢.

٤- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١١٣. نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص١٦٤.

٥- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١١٥.

٦- المصدر والصفحة نفسها.

نظير في كلام العرب»[1]. وقوله في موضع آخر : «كذا نطقت العرب»[2].

– موقفه من الإجماع في النحو : الإجماع النحويّ حجّة وأصلٌ من أصول النحو عند نحاة العربية القدماء إذا تحقّق، يقول ابن جنّي : «اعلم أنّ إجماع أهل البلدين إنّما يكون حجّة إذا أعطاك خصمُك يده ألاّ يخالف المنصوصَ والمقيسَ على المنصوص، أمّا إذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجّة عليه، وذلك أنّه لم يرد ممّن يطاع أمره في قرآن وسنّة أنّهم لا يجتمعون على الخطأ، كما جاء النصّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.. وإنّما هو علم منتزع من استقراء هذه اللّغة»[3]. ويقول السيوطي : «وإجماع العرب أيضا حجّة، ولكن أنّى لنا بالوقوف عليه»[4].

والدليل على أنّ موقفه من الإجماع قريب من موقف ابن جنّي ما نقل عنه من قوله : « فممّا جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بُدئ بهذا العلم، وإلى هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم : (هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ)، فهذا يتناوله آخر عن أوّل، وتالٍ عن ماضٍ على أنّه غلط عن العرب.. وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مثل هذا الموضع نيِّفاً على ألفِ موضع »[5].

يقصد ابن مضاء بهذا الاستدلال أنّ هذا الأسلوب لا يصحّ وصفه بالشذوذ، لوروده في لسان العرب، وإن أجمع النحاة القدماء على وصفه بذلك. وعليه فالإجماع المخالف للنصّ مُنخرمٍ عنده، فاسد، غير مفيد. وفي الحقيقة مَن استند في تدليله إلى إمام العربية ابن جنّيّ فقد استند إلى أصل مكين، وارتكز إلى رُكن ركين. فهو بهذا متمسّك بالنصّ اللّغويّ، متأثّر بمذهبه الظاهريّ، الذي يحترم النصوص ويقدّمها على ما سواها[6].

ج – موقفه من القياس والتقدير وكلّ ما لم يرَه مفيداً :

القياس قديم في الفكر النحوي، ودليل من أدلّته عند النحاة القدماء، يقول السيوطيّ: «اعلم أنّ إنكار القياس في النحو لا يتحقّق؛ لأنّ النحو كلّه قياس، ولهذا قيل

١– المصدر والصفحة نفسها.

٢ – المصدر والصفحة نفسها.

٣ – الخصائص، ج١، ص١٨٩.

٤ – الاقتراح في علم أصول النحو، ص٣٦.

٥– الخصائص، ج١، ص١٩٢، والرّدّ على النحاة، ص٩٥، ٩٦.

٦– ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص١٢٠.

في حدّه : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يعلم أحد من العلماء أنكره لثبوته بالدّلالة القاطعة»[١].

وعندهم «ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم»[٢]. لذا يقول ابن جنّي: «واعلم أنّ قوّة القياس عندهم اعتقاد النحويّين أنّ ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب»[٣].

وهو عندهم «حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه»[٤].

وقد اتّسع نطاق القياس النحوي عبر العصور في مباحث النحاة حتّى تسرّبت إلى رحابه التمارين الصعبة، التي لا صلة لها بروح اللّغة، ممّا جعل ابن مضاء يرفضها ويعلّق عليها كثيراً، من ذلك مثلا قوله في باب التنازع : «ورأيي في هذه المسألة وما شاكلها أنّها لا تجوز؛ لأنّه لم يأت لها نظير في كلام العرب»[٥]. وقوله في باب الاشتغال : «ولم أحتج إلى إضمار ما الكلام تامّ دونه، وإظهاره عيّ، مخالف لغرض القائل»[٦].

ومنه تعليقه على ما أورده النحاة من الأقيسة والمناقشات في بناء (فعل) : «وهذا في مسألة واحدة، فكيف إذ أكثر من هذا الفنّ، وطال فيه النزاع .. والناس عاجزون عن حفظ اللّغة الفصيحة، فكيف بهذا المظنون المستغنَى عنه؟» [٧].

وهو يُلحّ كثيراً في رفض الأقيسة العقلية، القائمة على المشابهة والظنّ، كما في رفضه مثلاً قياس الخبر على النعت، حيث يقول : « أمّا قياس الخبر على النعت فليس بالبيّن؛ لأنّ حكميهما مختلفان»[٨].

كما ينتقد بشدّة القياس النظري الذي تفقد فيه العلّة الجامعة بين المقيس والمقيس عليه، حيث يقول : «والعرب أمّة حكيمة، فكيف تشبّه شيئا بشيء، وتحكم عليه بحكمه،

١- الاقتراح في علم أصول النحو، ص٣٩.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٢، ٤٤.

٣ - الخصائص، ج١، ص١١٤.

٤- الاقتراح في علم أصول النحو، ص٣٨.

٥- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٢٦.

٦- المصدر والصفحة نفسها.

٧- المصدر نفسه، ص١٢. نقلا عن الردّ على النحاة، ص ١٦٤.

٨ - ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٢٨. نقلا عن الردّ على النحاة، ص ١٦٤.

وعلّة حكم الأصل غير موجودة في الفرع، وإذا فعل واحد من النحويّين ذلك جُهّل، ولم يُقبل قوله.. وذلك أنّهم لا يقيسون الشيء، ويحكمون عليه بحكمه إلاّ إذا كانت علّة حكم الأصل موجودة في الفرع»[1].

فهو بهذا يرفض القياس الذي لا يستند إلى نظير من كلام العرب، ويطالب بإلغائه من النحو، مستنداً في ثورته هذه إلى أستاذه اللّغوي إمام العربية ابن جنّيّ، فيما أرى، الذي يسترشد في هذا المضمار بقوله : «إذا تعارضا نطقتَ بالمسموع على ما جاء عليه، ولا تقسه على غيره... واعلم أنّك إذا أدّاك القياس إلى شيء ما، ثمّ سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه»[2].

كما أنّه في ذلك متأثّر بشكل واضح بمذهبه الفقهي الظاهريّ الذي يعادي القياس صراحةً، ويشنّع على متّبعيه، ويرى أنّ الأخذ به يؤدّي إلى إحلال الحرام، وتحريم الحلال[3].

- الحذف والاستتار والإضمار مظاهر من مظاهر التقدير والتأويل، شاعت في الفكر النحوي منذ نشأته، غير أنّ ابن مضاء وقف منها موقفا مخالفاً لما سار عليه النحاة القدماء «إلى جانب النصّ اللّغوي، والاحتكام دائماً إلى المسموع عن العرب، وذلك على نقيض النحاة الأوائل الذين احتكموا والتزموا بما وضعوه من أُسس وقواعد ثابتة لا تتغيّر.. وقد رأى.. أنّ التأويل وجميع مظاهره أثر من آثار فلسفة العامل التي رفض القول بها ودعا إلى إلغائها من النحو، ولذلك كان لابدّ له من إلغاء ورفض ما جاء بعدها من آثار مختلفة»[4].

وقسّم ابن مضاء الحذف إلى ثلاثة أنواع، أوّلها يحتاجه النصّ ويخدمه، وهو واضح معلوم في ذهن المخاطب، حيث يقول : «والمحذوفات في كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدّا، وهي إذا أظهرت تمّ بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ»[5].

١- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٢٩. نقلا عن الردّ على النحاة، ص ١٥٦، ١٥٧.

٢- الخصائص، ج١، ص١١٧، ١٢٥.

٣- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٢٧. نقلا عن الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم القرطبيّ، ص٤٩.

٤- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٣٠.

٥- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٣١. نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص٨٨.

وثانيها لا يخدم النصّ ولا يحتاجه؛ لاستغنائه عنه، وعدم حاجته إليه، حيث يقول : «والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تامّ دونه، وإن ظهر كان عيباً»[١].

وثالثها وجوده مُخِلٌّ بالنصّ، يغيّره عن مقصده، حيث يقول : «وأمّا القسم الثالث فهو مضمر إذا أُظهر تغيّر الكلام عمّا كان عليه قبل إظهاره»[٢].

ويختم حديثه عن هذا التقسيم قائلاً : «وادِّعاء الزيادة في كلام المتكلّمين من غير دليل يدلّ عليها خطأ بيّن»[٣].

كما يرفض الاستتار، ويراه ضرباً من التأويلات، مجانباً للصواب، حيث يقول : «وممّا قالوا فيه ما لم يفهم، وأضمروا فيه ما يخالف مقصد القائل أبواب نصب الفعل»[٤].

ثمّ ختم هذه المناقشة بضرورة إسقاط ما لا فائدة فيه للنّحو من الاختلاف، قائلا : «وممّا يجب أن يسقط من النّحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقاً»[٥].

في الحقيقة هذا الكتاب (الرّدّ على النحاة) كتاب قيّم، احتوى كثيراً من الآراء الجادّة والجريئة المتميّزة، المفيدة لخدمة الدرس النّحويّ، إذ قدّم دراسة وصفية للنّحو في أحضان النصوص، غير بعيدة عنها، وأرى أنّ بصماته كانت واضحة على مناهج اللّسانيّين العرب المعاصرين، وأنّه من أهمّ مصادر الثورة الحديثة على وُعورة مناهج القدماء في دراسة النّحو العربيّ، وحامل لواء الصّيحات المعاصرة الدّاعية إلى تيسير النّحو وتسهيله.

المبحث الثاني : النّحو العربيّ في العصر الحـــديـــث - الأسس النظرية والمنهجية

مستويات الكفاية في البحث اللّساني هي: الكفاية في ملاحظة الظاهرة المدروسة، والكفاية في وصفها، والكفاية في تجريدها وتفسيرها. وذلك باعتبار الكفاية في البحث اللّساني « التمكُّن من اللّغة والقدرة على استعمالها»[٦] أو «مجموع المعارف اللّسانية لدى

١- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٣٢ . نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص٨٩.

٢- المصدر والصفحة نفسهما.

٣- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٣٢ . نقلاً عن الرّدّ على النحاة ص٩٢.

٤- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٣٢ . نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص١٤٢ .

٥- ابن مضاء القرطبيّ وجهوده النحوية، ص١٣٣ . نقلاً عن الرّدّ على النحاة، ص١٦٤ .

٦- الدكتور محمد محمد يونس علي، مقال بعنوان : الكفاية اللّـغوية والكفاية التخاطبية. على الشبكة المعلوماتية.

المخاطب، تمكّنه من فهم وإنتاج عددٍ لانهائيّ من الجمل»[1].

وقد تحقّقت مستويات الكفاية في البحث اللّساني، وتجسّدت في جهود الباحثين المعاصرين، مع كثير من الميل إلى الدّقّة والعمق في البحث، ورصانة التحليل وجودته، وقوّة التخطيط والتنظير، في جميع مستويات البحث اللّغوي، حيث تعدّدت النظريات اللّسانية وتلوّنت، فكانت البنيوية، والتوليدية من أبرزها، اللّتان كان لهما انتشار واسع بين الباحثين العرب المعاصرين، إذ انتصر لكلّ منهما أجيال وصفوف من العلماء والباحثين الكبار، الذين تلوّنت بحوثهم اللّسانية بمبادئ هاتين النظريتين، حيث صُبِغت جهود البنيويّين بصبغة المستوى الكفائي الملاحظيّ، والمستوى الكفائي الوصفيّ، أي مستوى الكفاية في ملاحظة الظاهرة المدروسة، والكفاية في وصفها، وذلك باعتبار النظرية البنيوية نظرية وصفية، حيث تُحلّل اللّغةَ انطلاقا من مسلّمة أنّها شكل قبل كلّ شيء، ووسيلة للتّواصل أو التعبيرِ.

بينما صُبِغت جهود التوليديين بصبغة المستوى الكفائي التفسيريّ التجريديّ، أي مستوى الكفاية في تجريد الظاهرة وتفسيرها، باعتبار النظرية التوليدية نظرية تجريدية تفسيرية، تُحلّل اللّغة وتُفسّرها انطلاقا من مسلّمة أنّها مجموعة جُمل، كلّ جملة منها تحتوي على شكل صوتيّ، وعلى تفسير دلاليّ ذاتيّ، مُعطيةً الأسبقية للجوهر والبنية العميقة، دون أن تُهمل البنية السطحية، أي المعنى الظاهر للّغة[2].

وأرى أنّه كان من مظاهر هذا التمكّن من مستويات الكفاية في البحث اللّساني، في جميع مستويات البحث اللّغوي، ما قُدّم من جهود كبيرة في العصر الحديث لغرض تيسير النّحو العربي وتسهيله، بعد أن ارتفعت صيحاتٌ من بعض العلماء والباحثين، مناديةً بضرورتها. وقد أخذت هذه الأصوات تنحو منحيين اثنين – فيما أرى – أحدهما يمثّل ثورة عنيفة على النحاة القدماء، ومناهجهم في دراسة النحو العربيّ، مع شيء من التفاوت في حدّة نبرة هذه الثورة، والآخر أخذ مساراً هادئاً، حفظ فيه للقدماء فضلهم، مع إقراره بالحاجة الماسّة إلى تسهيل النحو وتيسيره. وفيما يلي توضيح ذلك :

١– محمد الدريج المغربي، مقال على الشبكة المعلوماتية، بعنوان : الكفاية ومفاهيمها. والتعريف أصلاً منقول من كتابه : الكفايات في التعليم من أجل تأسيس علميّ للمنهاج المندمج.

٢– العربي اسليمانيّ، إشكالية المنهج في اللّسانيات الحديثة. منشور بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٧م. في موقع (أنفاس (نت)، من أجل الثقافة والإنسان). والأسس الإبستمولوجية للنظرية اللّسانية البنيوية والتوليدية، ص٢٢٠.

أصحاب المنحَى الأوّل: تعدّدت جهود أصحاب هذا المنحَى، وسأكتفي بإلقاء الضوء على مثالين اثنين منها، تَـقارَبَـا في التوجُّه والطرْح، هما :

أ- المجامع العربية: ركّزت بعض المجامع العربية على تغيير جذريّ في ألقاب الإعراب ومصطلحاته، والاستغناء عن كثير من قضاياه المعروفة عند النحاة القدماء، غير أنّها بذلت «جهوداً طيّبة في سبيل الحفاظ على اللّغة العربية والعناية بقواعدها. وفي مجمع اللّغة العربية في مصر تُحقِّق هذه الجهود بعضَ ثمارها من خلال الأبحاث التي تقوم المجلّة المتخصّصة التي يُصدرها المجمع، وهي (مجلّة اللّغة العربية) بالإضافة إلى ما يقوم به المجمع من جهود ثقافية وتبادل الآراء حول متابعة مسار اللّغة الفصحى... وممّا قدّمه مجمع اللّغة بمصر لتيسير النحو بعضُ الاقتراحات التي قُدّمت للمؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية في دمشق في منتصف الخمسينيات»[1].

وقد تلخّصت هذه الاقتراحات في الآتي[2] :

- وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديريّ والإعراب المحلّيّ.
- لا يؤمن المجمع بما يسمّى بالعلامات الفرعية، فالعلامات الأصلية للإعراب والعلامات الفرعية، كلّ علامة في موضعها تعدّ أصلاً.
- توحيد ألقاب الإعراب وألقاب البناء.
- الجملة العربية تنقسم إلى موضوع ومحمول، ولا داعي للمبتدأ والخبر، والمسند إليه والمسند، والفعل والفاعل.
- إلغاء الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً.
- المتعلّق العامّ لا يُقدّر.
- كلّ ما يُذكر في الجملة غير الموضوع والمحمول هو التكملة.
- في مجال علم الصرف رأت .. أن أكثر مسائله من بحوث فقه اللّغة التي لا يحتاجها البادئ، بل لا يصل إليها فهمه، كالإعلال والإبدال والقلب، وتنقُّل الكلمة في موازين مختلفة حتّى تصل إلى هيئتها في النطق[3].

١- صابر بكر، في نقد النحو العربي، ص ٥١.

٢- أعمال الإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، بعنوان (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

٣- في نقد النحو العربي، ص ٥١، ٥٢. نقلاً عن أعمال الإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، بعنوان : (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

وقد عقد المجمع اللّغوي في مصر أولى جلساته في أواخر سنة ١٩٣٤م، وحدّد أغراضه في :

- أن يحافظ على سلامة اللّغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدّمها، وملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر.
- أن يقوم بوضع معجم تاريخي للّغة العربية.
- أن ينظّم دراسة علمية للّهجات العربية الحديثة، وأن يبحث كلّ ماله شأن في تقدّم اللّغة[١].

كما استهدف المجمع اللّغوي في مصر منذ نشأته عدّة أمور عامّة، أبرزها :

- توسيع أقيسة اللّغة العربية، وتبسيط قواعدها النحوية والصرفية، وتيسير كتابتها وإملائها، والعناية بخطّها.
- تحقيق المخطوطات العلمية العربية، والعناية بها وبألفاظ الحضارة.
- تشجيع الإنتاج الأدبيّ.
- تطويع مادّة اللّغة العربية لمسايرة مستحدثات العلوم والفنون.
- درس المصطلحات العلمية والفنّية درساً دقيقا مستأنياً.
- بحث النصوص القديمة[٢].

وختم مجمع اللّغة العربية قراراته فيما يخصّ قواعد النحو والصرف والإملاء بمبدإ انتهى إليه سنة ١٩٤٥م، مفاده أنّ «كلّ رأي يؤدّي إلى تغيير في جوهر اللّغة وأوضاعها العامّة لاينظر إليه، وأنّ المهمّة هي تيسير القواعد»[٣].

ب- الدكتور شرقي ضيف: ضمّن الأستاذ شوقي ضيف فكره في تيسير النحو وتسهيله في كتابه : (تجديد النّحو)، وفي هذا المضمار كانت بينه وبين المجامع اللّغوية العربية في عصره علاقةٌ متبادلة، خصوصاً مجمع اللّغة العربية بمصر، لذلك نجده يستهلّ كتابه هذا بقوله :

١- في نقد النحو العربي، ص٥٢. نقلاً عن أعمال (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م..

٢- في نقد النحو العربي، ص ٥٢، ٥٣. نقلاً عن أعمال (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

٣- في نقد النحو العربي، ص ٥٣. نقلاً عن أعمال (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.

«وكانت الصيحات ترتفع منذ أكثر من أربعين عاماً مطالبةً بتيسير النحو وتخليصه ممّا فيه من تعقيد وعسر شديد، وتألّفت لذلك لجنة بوزارة المعارف (التربية والتعليم الآن)، وكتبتْ تقريراً مسهباً ضمّنته مقترحاتها للتيسير المنشود، ودرس مجمع اللّغة العربية في مؤتمره سنة ١٩٤٥م هذه المقترحات، وأدخل عليها بعض التعديلات»[١].

والأسُس التي وضَع عليها كتابه هذا لتجديد النّحو هي ستّة أُسس، هي :

- إعادة تنسيق أبواب النحو.
- إلغاء الإعراب التقديريّ والمحلّيّ.
- إلغاء من الإعراب ما لا يُحتاج إليه في تصحيح نطْق.
- وضْع ضوابط وتعريفات دقيقة.
- حذف زوائد كثيرة.
- إضافات متنوِّعة.

وبهذا يتبيّن لنا أنّ جهوداً كبيرة قد بذلت على هذا المنوال في سبيل تسهيل النحو وتيسيره، ومع ذلك فإنّه لم يكتب لها النجاح كما أراد أصحابها، بل ذهبت أدراج الرياح؛ وذلك لما حوته من وجهة نظري من هجوم حادّ، وثورة كاسحة على جُلّ ما وضعه النحاة القدماء من قواعد وضوابط لدراسة النحو العربيّ، رسخت في أذهان الناس عبر العصور الممتدّة، وارتبطت بإجلالٍ وتعظيم للقدماء وإنتاجهم الفذّ.

أصحاب المنحىَ الثاني: جهود أصحاب هذا المنحَى أخذت مساراً هادئاً، حفظت فيه للقدماء فضلهم، وجهودهم العظيمة، مع إقرارها بالحاجة الملحّة إلى تسهيل النحو وتيسيره. وسأكتفي بإلقاء الضوء على مثالين اثنين منها، هما :

أ- الدكتور صابر بكر أبو السعود: في كتابه : (في نقد النحو العربي)، يعدّ من الذين أدلوا بدَلْوِهم بين الدّلاء في موضوع تيسير النحو وتسهيله، مركّزا على ما تعرّض له النحو العربي عبر العصور من نقْدٍ حادّ لا مسوِّغ له من وجهة نظره، مدافعاً عن ما وضعه القدماء من قواعد وقوانين. حيث يقول في مقدّمة هذا الكتاب :

«لم يعْرِض لِعلْم من علوم العربية ما عرض للنحو العربي من نقد، وبالغَ النّقّاد كثيراً

١- تجديد النّحو، مصدر سابق، ص٣، ٤.

في هجومهم على النحو العربي، لم ينصفه منصف، وإنّما كالوا له بميزان غير العادل، وأغفلوا الجهود المثمرة التي خلّفها النحاة في مراحل مختلفة، ودخل ميدان النقْد كثيرون من غير المتخصّصين، فلم يسلم النحو ولا النحويّون من نقْدهم... وفي نظري أنّه لا يوجد علم تعرّض لما تعرّض له النحو العربي في عصور مختلفة، وضاق البعض بهذا العلم الذي يمثّل ثمرة من ثمار الفكر العربي... ومن دواعي الأسف أنّ الذين يوجّهون نقدهم السلبيّ إلى النحو العربي من العرب، بينما نجد الجامعات في الغرب والشرق وفي الولايات المتّحدة تقوم بعمل دراسات لهذا العلم»[1].

وهو يرفض إلغاء الإعرابين: التقديري والمحلّيّ، حيث يقول: «وقد قلنا إنّ الاستغناء عن الإعراب التقديري أمر لا يتّفق وطبيعة العربية التي تفرّق بين الاسم المتمكّن في باب الاسمية، والأمكن في هذا الباب، والاسم المتمكِّن غير الأمكن، والاسم المبنيّ، أي غير المتمكِّن، وقلنا إنّ إلغاء الإعراب التقديريّ يفصل بين العلاقة بين الأصل والفرع. ففي قولنا: هذا هُدىً: هذا مبنيّ على السكون في محلّ رفع، وهذا ليس بتعقيد»[2].

وما قاله من إعجاب الأجانب بصنيع نحاة العربية القدماء هو ما أكّده المستشرق الألماني (يوهان فك) بقوله: «ولقد تكفّلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللّغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات والصيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات على صورة شاملة، حتّى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد»[3]. وتلك حقيقة لا مراء فيها، ولا تحتاج الاستدلال عليها بكلام المستشرقين لإثبات صحّتها.

ب - الدكتور عبده الرّاجحي: في كتابه: (التطبيق النحوي[4])، يُعدّ مِنْ أبرز مَن حاولوا تيسير النحو العربي وتسهيله، بعرضه في منهج مبسّط، يحترم ما وضعه القدماء من ضوابط وقوانين، الذين نال إنتاجَهم في نظره نصيبٌ وافرٌ من الحيْف وعدم

١- المصدر نفسه، ص٤ ــ ٥.

٢- المصدر نفسه، ص٦٠، فما بعدها.

٣- كتابه: العربية دراسة في اللّغة واللّهجات والأساليب، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجّار، ص٢.

٤- الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الطبعة ١٤٢٠ه١٩٩٩م، الرياض.

الإنصاف. حيث يقول :

«وذلك وحده كافٍ أن نطرح من فكرنا تشكيك الناس في النحو العربي، وعلينا أن نبحث عن الداء في موطن آخر. والمتتبّعون لتاريخ العربية في العصر الحديث يعلمون أنّها تعرّضت لخطّة مدروسة تستهدف القضاء عليها من خلال القضاء على نحوها، وظلّت هذه الخطّة تعمل عملها حتّى وقر في أذهان الناس أنّ النحو العربي صار جامداً لا يساير العصر، وأنّ علينا أن نبحث عن نحو جديد، وظهرت إلى الوجود تجارب من هنا وهناك ماتت الواحدة منها بعد الأخرى، وظلّ النحو العربي هو هو دون أن يصل المخطّطون إلى ما يبغون من القضاء عليه»[١].

ويرى أنّ الدّاء اليومَ كامنٌ في طريقة تدريس النحو العربي بمدارسنا، وأنّه من الضروريّ تدريسه في مظانّه القديمة، مع التركيز على الجوانب التطبيقيّة، حيث يقول : «على أنّنا لاينبغي أن ننكر أنّ طريقة تدريس النحو في مدارسنا وفي جامعاتنا غير صالحة في نقل ما وضعه النحاة إلى الناشئة والدارسين، ولعلّ ضعف مدرّس العربية ثمرة من ثمرات التخطيط الذي أشرنا إليه منذ قليل»[٢].

ثمّ بيّن منهجه في كتابه قائلاً : «وقد قسمناه بابين، أوّلهما عن الكلمة، وثانيهما عن الجملة، ثمّ ألحقنا به قسماً خاصّاً عن بعض المتفرّقات التي لها استعمالات معيّنة بالإضافة إلى نماذج إعرابية. ويرى الدارس أنّنا نعتمد في عرض المادّة النحوية على المصطلحات القديمة، مع شرح ما تعنيه هذه المصطلحات بالأمثلة الموضّحة، وطريقة إعراب كلّ مثال، ثمّ ذيّلنا كلّ قسم بتدريبات من القرآن الكريم. وغنيّ عن البيان أنّ هذا الكتاب لا يعرض لشرح أبواب النحو جميعها على طريقة الكتب التفصيلية، وإنّما يهدف إلى تقديم الاستعمالات المختلفة للجملة، مع تحليلها تحليلا نحوياً تطبيقياً»[٣].

وقد أشفع بحوثه المشار إليها ببعض التنبيهات والتدريبات، وأكثر من التمثيل بالأساليب العربية الرفيعة السهلة، مُزْوَرّاً عن التعرّض للخلافات والمذاهب النحوية. وفيما يلي أعرض نموذجاً من موضوع (الإعراب الظاهر والإعراب المقدّر) عنده،

١- المصدر نفسه، ص٧، ٨.

٢- المصدر نفسه، ص٨، ٩.

٣- المصدر نفسه، ص٩.

للوقوف على ملامح منهجه. حيث يقول :

«لعلّك لاحظت في الأمثلة السابقة أنّا أعربنا كلمة بأنّها مرفوعة بالضمّة الظاهرة، وأخرى بأنّها منصوبة بالفتحة الظاهرة، وثالثة بأنّها مجرورة بالكسرة الظاهرة، وهكذا. وهذا النوع هو الذي نسمّيه الإعراب بالعلامات الظاهرة. وأنت تعلم أنّ الحرف الأخير من الكلمة هو محلّ الإعراب، ومعنى ظهور العلامة عليه أنّه صالح لتلقّي هذه العلامة. لكن هناك كلمات لا تظهر عليها علامة الإعراب التي يقتضيها موقعها في الجملة، ولا يرجع عدم ظهور العلامات إلى أنّ هذه الكلمات مبنية، بل إلى أسباب أخرى، وهذا النوع من الإعراب نسمّيه الإعراب بالعلامات المقدّرة، والعلامات المقدّرة قد تكون حركات، كما قد تكون حروفا»[1].

وبهذا أرى أنّ هذا المنحى أفضل منهج لتسهيل الدرس النحويّ، وتيسيره على الدارسين المبتدئين والمتوسّطين، حيث يعرض النّحو في منهج تطبيقيّ مبسّط، خالٍ من التعقيد، والخوضِ في الأمور التي لا يحتاجها الدرس النحويّ كثيراً، محافظٍ على اصطلاحات القدماء، وما وضعوه من ضوابط وقوانين، رسخت في أذهان الناس عبر العصور، حتّى أصبح من العسير تقبُّل إلغائها لدى العلماء والباحثين والدارسين.

١ - المصدر نفسه، ص٢٧.

الخـــاتمــــــــة

لست هنا بقاصدٍ تلخيص ما ورد في هذه الدراسة من شتات المادّة، وما توزّع في أطرافها من نتائج، لكن بعد الترحال الطويل، والمسير بين دروبها أودّ الوقوف فقط عند أهمّ نقاطها، وضمّ بعضها إلى بعض في إيجاز شديد، بَـيْدَ أنّه يكفي لإبراز أهمّ ملامحها، ولِمْلمة أطراف اتّجاهاتها. إذ تبيّن في المستهلّ أنّه في مطلع القرن الثامن الهجريّ دخلت الصحراء الشنقيطية مجموعة من قبائل بني حسّان العربية، التي أجلاها ملوك بني مرين من جنوب المغرب، وكان هذا العهد بداية انتشار للّغة العربية بالصحراء الشنقيطية، وبدأ عهد جديد لاح بالحضور العربي، وإحلال العربية محل الأمازيغية.

وبدأ النشاط العلمي بالصحراء الشنقيطية في المدن التاريخية منذ نشأتها في وقت مبكّر من الفتوحات الإسلامية، والتي اندثر بعضها، وبقي بعضها الآخر شاهدا على إسهامها الكبير في الإشعاع الثقافي عبر العصور، وكانت هذه المدن أهمّ المراكز الثقافية والدينية في الصحراء، مُسهِمة بنصيب وافر من هذا الإشعاع.

واهتمّ الشناقطة اهتماما كبيراً بتشييد المحاظر العلمية، التي علا شأنها وذاع صيتها بسيطرة بني حسّان على البلاد، ورجحان كفّة العربية والتعرُّب في القرن الثامن، ومطلع التاسع الهجري، وتطوّرت بشكل ملحوظ، وازدهرت ازدهارا كبيرا في القرن العاشر الهجري، ثم بلغ هذا الازدهار أوجه في القرون الأربعة الموالية حتّى أضاء ربوع الصحراء الشنقيطية كلّها، وامتدّ إشعاعه خارجها إلى بعض الحواضر العربية الإسلامية في إفريقيا وآسيا.

وقد أنجبت هذه المحاظر كثيرا من العلماء الكبار، الذين كانوا رافدا حيّا للثقافة العربية الإسلامية ببلاد شنقيط، وخارجها ببعض الحواضر الإسلامية، إذ سافر كثير منهم إليها، وأصبحوا بها سفراء للثقافة العربية الإسلامية، أساتذة محاضرين، مؤلّفين في مراكز العلم والثقافة، ومثّل خرّيجوها ذاكرة الصحراء الشنقيطية وعبقريتها أحسن تمثيل في استظهار العلوم المحظرية، وضبطها.

وانتقل ثقل الدراسات النحوية بشكل واضح من المشرق إلى المغرب والأندلس في القرنين : الخامس والسادس الهجريين، حيث ظهر بهما كوكبة من العلماء اللّامعين، انتشر النحو على أيديهم، وبفضل جهودهم تدريساً وتأليفاً، وفي القرن السابع الهجري

أنتج شيخ النحويين بالأندلس محمّد بن مالك الجياني (ت٦٧٢هـ) مذهبا نحويا متميّزا بسماته وخصائصه، ثمّ انتقل هذا المذهب إلى بلاد شنقيط، التي احتضنته محاظرها خير احتضان، وتوطّدت معالمه في رحابها، وبين ربوعها.

ولا يعلم بالضبط متى حلّ النحو العربي ببلاد شنقيط، غير أنّه من الممكن - من وجهة نظري - أن يؤرّخ لبداياته بها مع ظهور الإشعاع الثقافيّ بالمدينتين المندثرتين بشرق صحراء شنقيط:

- أَوْدَغَسْتْ، العاصمة القديمة للصنهاجيّين، التي فتحها المرابطون سنة ٤٤٦هـ.

- وكُومْبِي صالح، عاصمة دولة غانه القديمة، حيث كان النشاط العلمي والديني بهاتين المدينتين المندثرتين مشهودا في القرن الرابع الهجري، وعليه فلا يستبعد أن يكون النحو ضمن هذا النشاط.

كما أنّ معلّمِي شنقيط الأوائل: عبد الله بن ياسين(ت٤٥٠هـ)، والإمام الحضرمي (ت٤٨٩ هـ)، وإبراهيم الأموي(ت٥٢٠هـ)، كانوا فقهاء مدرّسين، وأصحاب حلقات علمية، قدموا إلى البلاد من أجل بثّ العلم، فمن الحتمل جدّا أن يكون النحو ضمن المعارف التي اهتمّوا ببثّها في المجتمع. وفي القرن السادس الهجري قدِم يحيى الكامل - جدّ قبيلة المحاجيب - إلى ولاتة، وهو رجل علم وصلاح، وكان قدومه إليها محطّة بارزة في حركة الإشعاع الثقافي، وفي القرن نفسه أيضا « تصدّعت أركان مملكة غانا تحت ضغط أمراء صوصو فهاجر علماؤها إلى ولاتة».

وقد اعتمدت الثقافة العربية الإسلامية عموما، والدراسات النحوية خصوصا ببلاد شنقيط في بدايات نشأتها وتكوُّنها على الروافد المعرفية الوافدة إليها من المغرب والأندلس أوّلا، ثم مصر، وفيما يخصّ النّحو أخذت المؤلّفات تصِل من هذه الأقطار إلى البلاد في أوقات مبكّرة، متفاوتة، عن طريق العلماء والقوافل، وأقدم متن نحويّ عرفته بلاد شنقيط هو متن الملحة للحريريّ(ت٥١٦هـ)،ثمّ متن الآجُرُّومِيَّة لابن آجُرّوم الصنهاجيّ(ت٧٢٣هـ)، ومؤلّفات ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، ومؤلّفات ابن مالك(ت٧٦٩هـ) النحوية، وعبد الرحمن المكّوديّ (ت٨٠٧هـ)، وفريدة السيوطي(ت٩١٥هـ). غير أنّ الحديث عن الدرس النحوي لم يُلحَظ بالبلاد إلّا في القرن التاسع الهجريّ.

وكان أوّل مَن ألّف في النحو ببلاد شنقيط هم أربعة علماء: محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن الفقيه المختار التيمبكتي (ت١٠١٤هـ)، وأحمد بابا التيمبكتي (ت١٠٣٦هـ)، وعبد الله الملقّب اندعبد الله بن سيدي أحمد المحجوبي الولاتي (ت١٠٣٧هـ)، وسيدي أحمد بن اندغ محمد بن أحمد التيمبكتي (ت١٠٤٥هـ).

وخَطَا النحوُ العربيّ ببلاد شنقيط خطواتٍ عدّةً، من النشأة، إلى النضج والاكتمال، إلى الازدهار والاتّساع، لذا أمكنني تصنيفه إلى مراحل أربع، تمايز بعضها عن بعض، وهي: مرحلة البدايات والنشأة: (من القرن الخامس إلى نهاية القرن العاشر الهجري)، ومرحلة التأسيس والنُّضج: (في القرنين: الحادي عشر والثاني عشر للهجرة)، حيث أخذت حركة التأليف في هذين القرنين في الاتّساع والتمدّد، ومالت إلى التأسيس لنشاط نحويّ كبير في البلاد، اتّسم بالنّضْج والاكتمال، وترعرع في أحضان المحاظر، واتّسع نشاطه وتمدّد بين ربوعها.

ومرحلة الازدهار واتّساع الحواشي والاجتهاد (في القرنين: الثالث عشر والرابع عشر للهجرة)، حيث ظهر في هذا الطوْر عند النحويين إطلاقُ العنان للاجتهاد، وحرّية التفكير، فكان من مظاهر ذلك أن ازدهرت البحوث النحوية باتّساع الحواشي وتمدّدها، وظهرت الشروح الموسوعية، خاصّة على مؤلّفات ابن مالك النحوية باهتمام بادٍ، وعناية أكبر، وإن نال غيرها من المتون حظًّا لا بأس به من هذه الشروح والحواشي، لكن بعناية أقلّ.

ثمّ مرحلة المراجعة للتراث النحوي، وتحقيقه (في القرن الخامس عشر الهجري)، حيث انصبّ في هذه الحقبة عمَل بعض العلماء والباحثين الشناقطة في الدراسات النحوية على مراجعة التراث، وتحقيقه، ونفض الغبار عنه، وتنقيحه وإخراجه في ثوب حسن يليق به، لحفْظه وتأمينه، وتسهيله على الطلبة والدارسين؛ لأنّ أغلبه للأسف ما يزال مخطوطا، معرَّضا للضياع، والسقوط من يد الزمن. وهو توجُّه ما يزال محدودا، لصعوبة التعامل مع المخطوطات، وقلّة الإمكانات، وفَقْد المؤسّسات المهتمّة بهذا التراث المجيد.

هذا التراث الغزير، الذي استطعت أنْ أُترجم – ترجمات موجزة غالبا- في دراستي هذه ل(واحد وستّين ومائتيْ ٢٦١) عالمٍ نحويٍّ، مؤلّف، أحصيت لهم من التآليف

النحوية (اثنين وخمسين وأربعمائة ٤٥٢)، من ضمنها كثير من الموسوعات. مع العِلم أنّني لم أتمكّن من حصر المؤلّفين جميعهم، ومؤلّفاتهم النحوية، لاستحالة ذلك إلى حدّ الآن.

وانتقل مركز ثِقلِ الدراسات النحوية ببلاد شنقيط من المنطقة الشرقية إلى المنطقة الغربية الجنوبية(الكِبْلَة) في القرن الثالث عشر الهجري، وذلك بازدهار الدراسة النحوية على يد شيخ النحاة ببلاد شنقيط، المختار بن بونا (ت١٢٢٠ أو١٢٣٠هـ)، وجهود العلماء النّابهين من طلبته، وتلاميذهم.

وقد شاع في النّحو العربيّ على نطاق واسع ببلاد شنقيط سماتٌ بارزة، أبرزها ظواهر الأنظام، والطُّرَر، والملخّصات، والألغاز، والأحاجي، والمناظرات، والطُّرَف، والاستدراكات النحوية.

وتبيّن في الدراسة أنّ مصادر النّحو العربيّ ببلاد شنقيط لم تختلف عن مصادر النحو العربي عموماً، المتمثّلة في القرآن الكريم وقراءاته، والحديث الشريف، وكلام العرب شعرا ونثرا، وأقوال العلماء وآرائهم.

وكان لخدمة القرآن الكريم أثر بارز متميّز في النشاط النحوي عند الشنقيطيين، فعلوم العربية عندهم قامت من أجل تفسيره، وفهم مضامينه، كما هو الحال عند غيرهم من المسلمين، وقد تلوّنت خدمتهم إيّاه، فكان من ضمنها إعرابه وتصريفه، إمّا في كتب خصّصوها لإعرابه، وإمّا ضمن كتب التفسير، فجاء الإعراب فيها يشكّل لونا من ألوانه المتعدّدة، واعتنوا بالقراءات القرآنية اعتناء كبيرا، سواء أكانت متواترة أم شاذّة، حيث توسّعوا في الاحتجاج بها لإثبات الأحكام النحوية، واحتجّوا لها من أجل توثيقها وتأصيلها، كما امتزجت البحوث النحوية لديهم ببحوث العلوم الشرعية الأخرى، خدمةً لها. وذلك لأنّ النحو العربي نشأ نشأةً عربية خالصة، وترعرع في أحضان القرآن العظيم من أجل خدمته والدفاع عنه، وتبيان كنوزه، والوقوف على إعجازه، وإظهار جمال أسراره، ممّا جعل أثَر هذه الأداة واضحا، قويّا في بحوث العلوم الشرعية جميعها.

وقد انحسر ازدهارُ نشاطِ التأليف النحوي ببلاد شنقيط بشكل ملحوظ في القرن الخامس عشر الهجري، إذ انصبّت جهود الباحثين والدارسين على مراجعة التراث وتمحيصه، ودراسته وهضمه بالمحاظر، التي تقلّص عددها، وقلَّ تميُّز الباقي منها في

البلاد بشكل كبير، وذلك بسبب عوامل التحضّر، والجفاف المستمرّ، والهجرة من الريف إلى المدينة، ومزاحمة التعليم العصري الشديدة للتعليم الأصلي، والبحث عن الوظائف، وعدم اعتناء الدولة الرسمية بالمحاظر وتراثها، وكَثرة المغريات والحواجز المشوِّشة، غير أنّ تعلُّق الشناقطة بأمجاد المحظرة، وحبّهم الكبير تراثَها الشامخ ظلّا صامدين أمام هذه العوامل، فبقي الاعتناء بالنحو مستمرّا على استحياء بين العلماء والدارسين.

ولِعلم اللّسانيات الحديثة حضور متفاوِت في إنتاج الباحثين الشناقطة، حيث كان لهم إسهام معتبر في دراسة الأصوات، ومخارجها وصفاتها، إذ جهودهم فيها جليلة القدر، وهي امتداد لجهود علماء العربية عبر العصور، كما كان لهم إسهام دون ذلك بالبحث في المستويات : التركيبيّة والصرفية والدّلاليّة، حيث تحدّثوا عن وسائل السبك النحوي والمعجمي، ومراحل آلية الكشف عن الوصول إلى البنية الكبرى للنصّ، وما تخضع له بعض هذه المراحل من الخطوات الإجرائية، والقواعد الأساسية. ومع هذا فإنّ جهود الشناقطة اليوم في اللّسانيات الحديثة تبقى متواضعة إلى حدّ كبير.

وحظِي النّحو العربي واللّسانيات الحديثة، والنّحو العربي بين القديم والحديثِ أيضاً بنصيب لا بأس به من البحث والدراسة.

ونالَ النّحوُ ضِمْن الاهتمام الكبير بقضايا اللّغة الإنسانية قديماً وحديثاً نصيباً وافراً من اعتناء اللّسانيّين العرب المعاصرين بالبحث في مسائله وقضاياه، الذين اختلفت طُرقهم ومناهجهم اللّسانية حسب مشاربهم، فكان منهم من تأثّر تأثُّراً بالغاً باللّسانيّين الغربيّين، مقلّداً إيّاهم تقليداً مبالغاً فيه، وكان منهم من رأى إمكانية الإفادة من مناهج هولاء الأجانب، وتوظيفها في دراسة النحو العربي، وإثراء بحوثه بما فيها من سمات مفيدة، مع تقديرهم لمناهج النحاة العرب القدامى، وإجلالهم لما قدّموه من دراسات للنّحو العربيّ عبر العصور، الذي يتميّز بخصائص وسمات هي له خالصة، إذ ترعرع في أحضان القرآن الكريم وفي رحابه، من أجل خدمته والحفاظ عليه، ممّا أكسبه أصالة ورسوخاً في القواعد والأصول، وثباتاً في الجزئيات والفروع، وعمقاً وثراءً في المباحث وتشقيق التفريعات، وإن اختلفوا معهم في بعض المصطلحات والترتيبات، مع إجلالهم للجوهر والمنطلقات.

وقد أحسّ العلماء والباحثون العرب منذ وقت مبكّر بصعوبة بالغة تُلامس قواعد النحو العربيّ ومسائله، فتحدّثوا عن ذلك وقاموا بمحاولات عدّة هنا وهناك عبرَ العصور لتسهيله وتيسيره على الدّارسين، نضجت وتكاملت حلقاتها على يد ابن مضاء القرطبيّ. وفي العصر الحديث ارتفعت صيحات من بعض العلماء والباحثين، منادية أيضاً بهذا التيسير، وأخذت هذه الأصوات تنحو منحيين اثنين – فيما أرى – أحدهما يمثّل ثورة عنيفة على النحاة القدماء ومناهجهم في دراسة النحو العربيّ، مع شيء من التفاوت في حدّة نبرة هذه الثورة، والآخر أخذ مساراً هادئاً، حفظ فيه للقدماء فضلهم، مع إقراره بالحاجة الماسّة إلى تسهيل النحو وتيسيره، فعرَض النحو في منهج تطبيقيّ مبسّط، خالٍ من التعقيد، والخوضِ في الأمور التي لا يحتاجها الدرس النحويّ كثيراً، مُحافظٍ على اصطلاحات القدماء، وما وضعوه من ضوابط وقوانين.

والحمد لله ربّ العالمين أوّلاً وآخراً. ١٤/ ٠١/ ٢٠١٥م.

قائمة المصادر والمراجــع

أوّلاً – المصادر المطبوعة

– أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين :
١. التّبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي. بيروت: دار الشام للتراث. ج٢.
– أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي :
٢. منح الرّبّ الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تحقيق الدكتور الهادي المبروك الدّالي. بنغازي : دار الكتب الوطنية ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
– أبو حيّان التوحيديّ :
٣. المقابسات، تعليق الدكتور علي شلق. بيروت : دار المدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٩٨٦م.
– أبو حيّان النحوي الأندلسي، محمد بن يوسف :
٤. البحر المحيط في التفسير، مراجعة صدقي محمد جميل. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٢هـ١٩٩٢م. ١٠ج.
– أبو داود، سليمان بن الأشعث السّجستاني :
٥. سنن أبي داود، تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ١٩٩٤م.٤ج.
– أبو عبد الله محمد بن الطيّب الفاسي :
٦. فيْض نشْر الانشراح من رَوْض طيّ الاقتراح، تحقيق الدكتور محمود يوسف فـجّـال. الإمارات: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الثانية١٤٢٣هـ٢٠٠٢م. ٢ج.
– إبراهيم أنيس الدكتور :
٧. دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة١٩٨٠.
– إبراهيم السّامرّائيّ الدكتور :
٨. المدارس النحوية أسطورة وواقع. عَـمّان : دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٩٨٧م.
– أبوزيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي:

٩. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي. منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية١٤٠١هـ١٩٨١م. ج٢.

- أبو سعيد البراذعي خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني :

١٠. التهذيب في اختصار المدوّنة ، تحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ ، مراجعة أحمد علي الأزرق. دبي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث : الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ١٩٩٩م. ٤ج.

- أبو الطيّب اللّغويّ :

١١. مراتب النحويّين، تحقيق محمّد بن أبي الفضل إبراهيم. القاهرة : دار الفكر العربيّ، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

- أحمد بن الأمين الشنقيطي:

١٢. الدُّرَر اللّوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم. بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ١٩٨٥م. ٦ج.

١٣. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، بعناية فؤاد سيّد.القاهرة : مكتبة الخنجي، الطبعة السادسة١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.

- أحمد أبوبكر الإمام :

١٤. اشتغال العامل عن المعمول بين تباين النظريات النحوية وتمايز الأساليب القرآنية. انــواكشوط. بدون بيانات نشر.

- أحمد أمين الدكتور :

١٥. ضحى الإسلام. بيروت : دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة. ٣ج.

- أحمد بن الحسن الدكتور :

١٦. الشعر الشنقيطي في القرنين ١٢ - ١٣هـ . منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.

- السيد أحمد زيني دحلان :

١٧. شرح الآجرّومية. الكويت : شركة غراس للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

- أحمد شلبي الدكتور:

١٨. موسوعة التاريخ الإسلامي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة٢٠٠٠.

- أحمد المتوكّل الدكتور :
١٩. الجملة المركّبة في اللّغة العربية، الدكتور أحمد المتوكّل. الرباط : منشورات عكاظ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
٢٠. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي. الدار البيضاء : دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ١٩٨٦م.
- أحمد فال سيدي القلاّوي :
٢١. دعوة المرابطين في صحراء شنقيط حتّى قيام دولتهم في المغرب. نشر المؤلّف، ومحمد محمود ولد محمد الأمين، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ١٠٠١م. مكتبة يوسف بن تاشفين والإمام مالك. الإمارات/ موريتانيا.
- أحمد مختار عمر الدكتور :
٢٢. البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثّر. القاهرة : عالم الكتب، الطبعة١٩٨٨م.
- أحمد بن محمد المامي اليعقوبي:
٢٣. تقريب طُرّة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. انواكشوط ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م. ج٢.
- أحمد بن محمد يحيي :
٢٤. فهرس مخطوطات شنقيط ووادان، تحقيق أولريح ريبجتوك. لندن : مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي١٤١٧هـ١٩٩٧.
- الإدريسي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي :
٢٥. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. بيروت : ١٩٨٩م.
- إسلمو بن محمد الهادي :
٢٦. موريتانيا عبر العصور، جمع وترتيب حلقات التاريخ الموريتاني. بدون بيانات نشر.
- إسماعيل حقّي البرسوي :
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن. بيروت : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة السابعة١٩٨٥م.
- الأنباري، أبو البركات كما الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد :

٢٨. الإعراب في جدل الإعراب، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني. بيروت : دار الفكر، الطبعة الثانية سنة١٩٧١م.
٢٩. لُمع الأدلّة في أصول النحو، تحقيق الأستاذ عطية عامر. بيروت : المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣م.
٣٠. نزهة الألبّاء، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة : سنة ١٩٦٧م.
٣١. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر.ج٢.
- إميل بديع يعقوب الدكتور :
٣٢. المعجم المفصّل في شواهد اللّغة العربية. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٦م. ١٤ج.
- أنيس فريحة الدكتور :
٣٣. اللّهجات وأسلوب دراستها. بيروت : دار الجبل، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ١٩٨٩م.
- أولريخ :
٣٤. فهرس مخطوطات النعمة وولاتة، الإعداد الأوّلي أولريخ، فهرسه أحمد ولد محمد يحيى، حقّقه إبراهيم شبّوح. لندن : مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.
- ابن أبي زرع أبو جعفر أحمد الأنيس :
٣٥. الأنيس المُطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ١٩٧٣م.
- ابن بطوطة أبو محمد عبد الله اللواتي الطنجي :
٣٦. تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف بالرحلة، تحقيق محمد عبد المنعم العريان. بيروت : دار إحياء العلوم ١٩٩٦م.
- ابن جنّي أبو الفتح عثمان :
٣٧. الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار. بيروت : دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية. بدون تاريخ. ٣ مجلّدات.
٣٨. اللّمَع في العربية، تحقيق حامد المؤمن. بيروت : عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣٩. سرّ صناعة الأعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوي. دمشق : دار القلم، الطبعة الثانية١٤١٣هـ١٩٩٣م. مجلّدان.
٤٠. موسوعة حياة موريتانيا – الحياة الثقافية – لابن حامدن – طبعة ١٩٩٠،الدار العربية للكتاب.
٤١. موسوعة حياة موريتانيا – التاريخ السياسي – لابن حامدن – بيروت : دار الغرب الإسلامي، الطبعةالأولى٢٠٠٠م.
٤٢. ٤٢ـ حياة موريتانيا الجغرافية. جامعة محمّد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، معاجم وموسوعات. بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٤هـ١٩٩٤م.
– ابن حمدون الطالب ابن الحاج :
٤٣. حاشية ابن حمدون على شرح عبد الرحمن المكّودي لألفية ابن مالك. دار الفكر للطباعة والنشر.ج٢.
٤٤. حاشية الطّالب بن حمدون بن الحاج على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
– ابن حوقل أبو القاسم النصيبي :
٤٥. صورة الأرض. بيروت : دار صادر١٩٢٨م.
– ابن خروف أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الحضرمي الإشبيلي :
٤٦. شرح كتاب سيبويه المسمّى تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، تحقيق محمد خليفة بريري. طرابلس: منشورات كلّية الدعوة الإسلامية، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٥ ميلاد الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ١٩٩٥ افرنجي. السلسلة٢١.
– ابن خلدون، عبد الرحمن :
٤٧. تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية١٤٢٤هـ٢٠٠٢م.
٤٨. مقدّمة ابن خلدون، تحقيق حامد الطاهر. القاهرة : دار الفجر للتراث، الطبعةالثانية١٤٣١هـ٢٠١٠م.
– ابن عبد البرّ أبوعمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي :

٤٩. الاستذكار، تعليق سالم محمد عطا، ومحمد علي معوّض. بيرروت : دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون. ج٩.

- ابن عذارى المرّاكشي :

٥٠. البيان المُغرِب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جي أس كولان وليفي بروفنسال، ما عدا الجزء الرابع بتحقيق إحسان عبّاس. بيروت : دار الثقافة١٩٩٨م.

- ابن عقيل أبو محمد بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي :

٥١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية.ج١. ومنتخب ما قيل في شرح ابن عقيل، للشيخ محمد البقاعي. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.٤ج. وتحقيق الدكتورإيميل بديع يعقوب. بيروت : دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى١٤١٨هـ١٩٩٧م.ج٢.

- ابن مالك، أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطّائي الجيائيّ :

٥٢. شرح الكافية الشّافية ، تحقيق علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ٢٠٠٠م. ج٢.

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:

٥٣. لسان العرب. بيروت : دار صادر. بدون تاريخ.

- ابن هشام الأنصاري جمال الدين :

٥٤. شرح قطر الندَى وبلّ الصدَى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. توزيع دار الفكر العصرية.

٥٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٤١٩هـ١٩٩٨م. وبحاشية الشيخ محمد الأمير. القاهرة : دارإحياء الكتب العربية.ج٢.

- ابن يعيش مُوفّق الدين بن علي :

٥٦. شرح مفصّل الزمخشري ، تصحيح مشيخة من الأزهر الشريف. مصر:منشورات إدارة الطباعة المنيرية.١٠ج.

- انْجُبْنانْ، المختار بن محمّذن، الحَيْبَلِّي :

٥٧. أُسّ الإسلام، تحقيق محمد عبد الرحمن بن محمد . بيروت : دار الوسام للطباعة والنشر، الطبعةالأولى١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.

- باحثون بالمدرسة الوطنية للإدارة :

٥٨. تقرير عن المحظرة الشنقيطية. طبعة المدرسة الوطنية للإدارة ١٩٨١م. انواكشوط.

- البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :

٥٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة١٤١٦هـ١٩٩٦م. ١٨ج.

- بدّي ولد ابنو :

٦٠. أودية العطش (رواية) الدار البيضاء : منشورات عرفان، بالتعاون مع المجمع الفرنسيّ للدراسات العربيّة والبحوث الفلسفية.

- البرتلي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي :

٦١. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الدكتورجمال بن الحسن، وعبد الودود بن عبد الله. مصر : طبعة دار نجيبويه .

- البغدادي، عبد القادر بن عمر :

٦٢. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب. بيروت : دار صادر، الطبعة الأولى. بدون تاريخ.

- البكري أبو عبيد:

٦٣. المُغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب. القاهرة : دار الكتاب الإسلامي. بدون تاريخ.

- البنّاء، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي :

٦٤. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، تصحيح أنس مهرة. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة٢٠٠٦م.ج٢.

- بَـنَّـاصر سيدي الأمين بن سيدي أحمد الدكتور :

٦٥. ديوان : تيــــه المراكب. تونس : الطبعة الأولى١٩٩٧م.

- بنت البراء باتّه الدكتوراه :

٦٦. ديوان : أحلام أميرة الفقراء. انواكشوط : الطبعة الأولى١٩٩٧م.

- بول مارتي :

٦٧. القبائل البيضانية في الحوض والسّاحل الموريتاني، ترجمة محمد محمود ولد ودّادي. منشورات جمعية كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا. بدون تاريخ.
٦٨. كُنته الشرقيون، تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودّادي. دمشق : مطبعة زيد بن ثابت١٩٨٥م.
- التجمّع الوطني للإصلاح والتنمية (حزب تواصل) الإسلامي :
٦٩. نصوص ووثائق. موريتانيا : طبعة دجمبر٢٠١٠م. الدار بدون.
- تمّام حسّان الدكتور :
٧٠. اللّغة العربية معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامّة للكتاب١٩٧٩م.
- الجاحظ :
٧١. البيان والتبيين. بيروت : الشركة اللّبنانية للكتاب.
- جامعة الدول العربية :
٧٢. أعمال الإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، بعنوان (المؤتمر الأوّل للمجامع اللّغوية العلمية)، دمشق ١٩٥٦م.
- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد :
٧٣. أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق السيّد محمّد رشيد رِضَا. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧٤. كتاب الجمل في النحو، شرح ودراسة وتحقيق يُسْري عبد الغَني عبد الله. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٧٥. دلائل الإعجاز، تحقيق الدكتور محمد رضوان الدّاية، والدكتور فايز الدّاية. سوريا : دار قتيبة، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي:
٧٦. النشر في القراءات العشر ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضّبّاع. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.ج٢.
- الجزوليّ أبو موسى :
٧٧. المقدّمة الجزولية، تحقيق الدكتور شعبان عبد الوهّاب محمّد. القاهرة : ١٩٨٨م.
- جمال الدين الإسنوي :

٧٨. الكوكب الدّرّيّ، تحقيق الدكتور محمد حسن عواد. عمّان، الأردن : دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

- جميل علّوش الدكتور :

٧٩. ابن الأنباري وجهوده في النحو. ليبيا، تونس : الدار العربية للكتاب ١٩٨١م.

- حافظ إسماعيلي علوي الدكتور، وليد أحمد العناتي الدكتور :

٨٠. يراجع أسئلة اللّغة، أسئلة اللّسانيات، حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية. الرباط : دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

- حسّان بن ثابت :

٨١. ديوان حسّان، تحقيق أحمد الفاضل. بيروت : دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

- الحسن ولد زين :

٨٢. طُرّة الحسن ولد زين على لامية الأفعال، بخياطة محمد سالم ولد عدّود ، تحقيق عبد الحميد بن محمد الأنصاري. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى٢٠٠٨م.ج٢.

- الحسن بن محنض :

٨٣. تاريخ موريتانيا القديم والوسيط من ما قبل التاريخ إلى الانتشار الحسّاني في بلاد شنقيط. انواكشوط ، دار الفكر : الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٨٤. تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار. انواكشوط ، دار الفكر: الطبعة الأولى١٤٣٠هـ ٢٠١٠م.

- الحضرمي، بحرق، جمال الدين محمد بن عمر :

٨٥. فتح الأقفال وحلّ الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير. الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، الطبعة١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

- الإمام الحضرمي :

٨٦. كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد سالم إديدبي ، تقديم ابروفيسور فيديريكومايور. بدون بيانات نشر.

- حماه الله بن السالم الدكتور :

٨٧. تاريخ موريتانيا – العناصر الأساسية – الدار البيضاء : منشورات الزمن٢٠٠٧م.

٨٨. موريتانيا في الذاكرة العربية. منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

- الشيخ خالد الأزهري :

٨٩. شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، لأبي محمد بن هشام الأنصاري، بحاشية الشيخ ياسين بن زين الدين العليمي الحمصي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. مجلّدان.

- خليل أحمد عمايرة الدكتور :

٩٠. المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللّغوي. الأردن، عمّان : دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

- الخليل النحوي :

٩١. بلاد شنقيط المنارة والرباط. تونس : المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٧م.

- الزجّاجي أبو القاسم :

٩٢. الإيضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك. بيروت : دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

- الزّركلي خير الدين :

٩٣. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة السادسة ١٩٨٤م. ٨ج.

- الزقّاق علي بن القاسم التّجيبي :

٩٤. المنهج المُنتخب إلى قواعد المذهب، شرح الشيخ محمّد الأمين بن أحمد زيدان الجكني الشنقيطي، إعداد وترتيب الشيخ أحمد بن محمّد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي. بيروت : دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

- الزوزني، أبوعبد الله الحسين بن أحمد:

٩٥. شرح المعلّقات السبع. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة.

- سعدنا بن أعل سالم :

٩٦. التيسير تيسير المراجع والمدارك لقواعد مذهب الإمام مالك، الأستاذ سعدنا بن أعل سالم. الجمهورية الإسلامية الموريتانية، والإمارات العربية المتحدة : دار يوسف بن تاشفّين، ومكتبة الإمام مالك، الطبعة الأولى١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.
- سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قمبر :
٩٧. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون. بيروت : دار الجبل، الطبعة الأولى. ٥ج. القاهرة : مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة١٤٠٨هـ١٩٨٨م.
- سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي :
٩٨. نشر البنود شرح مراقي السُعود، تحقيق محمّد الأمين بن محمّد بَـيْـبَـه. الطبعة الأولى١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.
ج٢.
- سيدي عيسى بن محمد المختار بن أهل احمادو :
٩٩. شرح عُبَيْد ربّه، مراجعة عبد الكريم قبول. الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :
١٠٠. ألفية السيوطي النحوية. بيروت : المكتبة الشعبية.
١٠١. شواهد المغني، تصحيح محمد محمود ولد التلاميد التركزي الشنقيطي. بيروت : منشورات مكتبة الحياة.
١٠٢. الاقتراح في علوم أصول النحو، تعليق أحمد سليم الحمصي، والدكتور محمد أحمد قاسم. الطبعة الأولى١٩٨٨م. ومع تعليق الدكتور محمود سليمان ياقوت/ كلّية الآداب - جامعة طنطا - دار المعرفة الجامعية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.
١٠٣. المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، ضبط وتصحيح فؤاد علي بيضون. بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٨م. وبيروت : دار الجبل. مجلّدان.
- شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري، المعروف بالقرافي :
١٠٤. العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تحقيق الشيخ علي محمّد معوّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. بيروت : دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠١م.

- شوقي ضيف الدكتور :
١٠٥. تجديد النحو. القاهرة : دار المعارف، الطبعة الخامسة.
١٠٦. المدارس النحوية. القاهرة : دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٦٨م.
- الشوكاني، الإمام محمد بن علي بن محمد :
١٠٧. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول. بيروت : منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.
١٠٨. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيّد الأخيار، تعليق عصام الدين الصّبابطيّ. القاهرة : دار الحديث. ٤ أجزاء.
- الشيخ أحمد الجيلاني الدكتور :
١٠٩. الهوية والانتماء في المجتمع الموريتاني دراسة ميدانية أنثروبولوجية. موريتانيا، الإمارات، انواكشوط : دار يوسف بن تاشفّين/ مكتبة الإمام مالك. الطبعة الأولى١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
- الشيخ سيدي المختار الكنتي :
١١٠. فتح الودود شرح المقصور والممدود ، تحقيق مأمون محمّد أحمد. دمشق : مطبعة الكاتب العربي، الطبعة الثانية ١٩٩١م.
- الشيخ محمد الخضري :
١١١. أصول الفقه. دار الفكر، الطبعة السابعة ١٤٠١هـ١٩٨١م.
- الشيخ الطيّب بن عمر :
١١٢. السلفية وأعلامها في موريتانيا. بيروت: دار ابن الأرقم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٥م.
- الشيخ بن محمّد بن الشيخ أحمد :
١١٣. الكنز الثّمين على رسم الطّالب عبد الله بن الشيخ محمد الأمين. القاهرة : دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، الطبعة الأولى٢٠١٠م.
- الشيخ مصطفى حمزة الأطهوي :
١١٤. نتائج الأفكار لشرح إظهار الأسرار في النحو، دراسة وتحقيق إبراهيم عمر سليمان زبيدة. طرابلس: منشورات كلّية الدعوة الإسلامية، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، الطبعة الأولى١٩٩٢م - ١٤٠١هـ من وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

- صابر بكر أبو السعود الدكتور :
١١٥. في نقد النحو العربي. دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٨م، شارع سيف الدين المهمراني - الفجالة.
- الصّاوي أحمد بن محمد:
١١٦. حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين. بيروت : دار الكتب العلمية١٩٨٢م. ٤ج.
- الصّبّان محمد بن علي :
١١٧. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ٤ج.
- صبحي الصالح الدكتور :
١١٨. دراسات في فقه اللّغة. بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة الحادية عشرة١٩٨٦م.
- الطالب اخيار بن الشيخ مامينا :
١١٩. الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبّي. نشر مؤسّسة الشيخ مُربّيه ربّه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م. ج٢.
- طه عبد الرحمن الدكتور :
١٢٠. النحو والمنطق الصوريّ. بيروت : طبعة ١٩٨٣م.
- عبّاس حسن الدكتور:
١٢١. النحو الوافي. مصر : دار المعارف. ٤ج.
- عبد العلي الودغيري الدكتور :
١٢٢. اللّغة والدين والهوية. الدار البيضاء ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- عبد الفتّاح عبد الغني القاضي :
١٢٣. الوافي في شرح الشاطبية. الأسكندرية : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،الطبعة الخامسة١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- عبد القادر عبد الجليل الدكتور :
١٢٤. علم اللّسانيات الحديثة، الأردن، عمّان : دار صفاء للنشر، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- عبد القادر الفاسي الفهري الدكتور :

١٢٥. اللّسانيات واللّغة العربية. بيروت، باريس : دار عويدات، الطبعة الأولى١٩٨٥م.
- عبد القادر مّمّه حيدرة :
١٢٦. فهرس مخطوطات مكتبة مّمّه حيدرة للمخطوطات والوثائق، تحرير الدكتور أيمن فؤاد. لندن : مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاّوي :
١٢٧. نظْم الأخضري في الفقه، مع شرحه. طُبع بمطبعة دبي. بدون تاريخ.
- عبد المجيد الشرنوبي الأزهري :
١٢٨. يراجع إرشاد السالك شرح ألفية ابن مالك، الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- عبده الراجحي الدكتور :
١٢٩. التطبيق النحوي. الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الطبعة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام :
١٣٠. القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق الدكتور نزرية كمال حمّاد، والدكتور عثمان جمعة ضميريّة. دمشق : دار القلم ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. ٢ج.
- علي بكر سيسي :
١٣١. تاريخ المجتمع السوننكي في موريتانيا. المغرب، الرباط : مطبعة طوب بريس، الطبعة الأولى ٢٠١٢م. منشورات المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية بانواكشوط.
- علي عبد الواحد وافي الدكتور :
١٣٢. علم اللغة. القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة التاسعة. بدون تاريخ.
- علي فهمي اخشيم الدكتور :
١٣٣. رحلة الكلمات. روما، إيطاليا : الطبعة الأولى١٩٨٦م ١٣٩٦ من وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.
- علي بن محمد :
١٣٤. التجانية دراسة لأهمّ عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنّة. الرياض : نشر وتوزيع دار طيبة. بدون تاريخ.

- فاي منصور علي :
١٣٥. أسكيا الحاج محمّد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية. ليبيا، طرابلس : منشورات كلّية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى١٩٩٧م.
- الفيروز آبادي :
١٣٦. القاموس المحيط. مؤسّسة الرسالة، الطبعة السابعة١٤٣٤هـ٢٠٠٣م.
- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي :
١٣٧. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد تاويت الطنجي. المملكة المغربية : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية١٤٠٣هـ١٩٨٣م. ٧ج.
- القرافي أبو العبّاس أحمد بن إدريس :
١٣٨. الفروق في أنوار البروق في أنواء الفروق، ضبط وتصحيح خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات علي بيضون، الطبعة الأولى١٤١٨هـ١٩٩٨م. ٤ج.
- مار مول كره بخال :
١٣٩. إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجّي وآخرون. الرباط : مكتبة المعارف، طبعة١٤٠٤هـ١٩٨٤م.
- المتنبّي :
١٤٠. ديوان المتنبّي، تحقيق عمر فاروق الطّبّاع. بيروت : شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٤١٨هـ١٩٩٧م.
- مازن المبارك الدكتور :
١٤١. الرّمّانيّ النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه. بيروت : دار الفكر المعاصر، دمشق : دار الفكر، الطبعة الثالثة١٤١٦هـ١٩٩٥م.
- مجد محمد الباكير البرازي الدكتور :
١٤٢. فقه اللّغة العربية. الأردن، عَمّان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
- مجمع اللغة العربية :
١٤٣. المعجم الوسيط، إخراج الدكتورإبراهيم أنيس وآخرين. استانبول : المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.ج٢.

- مجموعة أساتذة :
١٤٤. منهاج اللّغة العربية للسلك الأوّل، المفتّشية العامّة للتهذيب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللّغة العربية، وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، سنة ٢٠١٤م.
١٤٥. برنامج اللّغة العربية للسلك الثاني، المفتّشية العامّة للتهذيب الوطني، التعليم الثانوي، قسم اللّغة العربية، وزارة التعليم الوطني، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، سنة ٢٠٠٩م.
- محمد بن بتّار ابن الطلبة :
١٤٦. الشعر الموريتاني المَلحُون (لِغْـنَ)، خطوة نحو الاكتشاف، دراسة مقارنة. القاهرة : دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر ٢٠١٠م.
- محمد الأمين الشنقيطي (آبّه ولد اخطور) :
١٤٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت : عالم الكتب. ٨ج.
١٤٨. نثر الورود على مراقي السّعود، تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن حبيب الشنقيطي. جدّة : الناشر : محمد محمود محمد الخضر القاضي، توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. ج٢.
- محمّد إبراهيم عبادة الدكتور :
١٤٩. كتاب الجمل في النّحو المنسوب للخليل بن أحمد، دراسة تحليلية. الاسكندرية : منشأة المعارف، جلال حزى وشركاه.
- محمد أحيد بن الطالب اعل :
١٥٠. المقبول النافع على الدَّرَر اللوامع، تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن محمد مولاي. دار يوسف بن تاشفّين، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- محمّد أحمد الدّاه الشنقيطي :
١٥١. الفتْح الربّاني شرح على نظْم رسالة ابن أبي زيد القيرواني. المغرب - الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.
- محمد حبيب الله بن ما يأبى الجكني :
١٥٢. زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم. بيروت : دار إحياء التراث العربي. ٥ ج. القاهرة : مطبعة مصر، الناشر : محمّد بن محمّد الشرنوبيّ ١٩٥٤م. ٤ج.

- محمّد الحسن بن أحمد الخديم التشمشي اليعقوبي :
١٥٣. مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي، إشراف أبي محمّد بن محمّد الحسن. مصر: الناشر : دار التيسير للنشر والتوزيع، الطباعة : دار الشمس للطباعة الحديثة، الطبعة الخامسة. ج ٢.
- محمد الخِضْر بن ما يأبى الجكني الشنقيطي :
١٥٤. كوْثر المعاني الدَّرَاري في كشف خبايا صحيح البخاري. بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤١٥هـ١٩٩٥م. ١٤ج.
- محمّد خير الحلواني الدكتور :
١٥٥. المعنى الجديد في علم الصرف. بيروت : دار الشرق العربي. بدون تاريخ.
١٥٦. المفصّل في تاريخ النحو العربي. بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى١٣٩٩هـ١٩٧٩م.
- محمد سالم محيسن الدكتور:
١٥٧. المقتبس من اللّهجات العربية والقرآنية. إسكندرية : مؤسّسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦م.
- محمد بن سيدي محمد مولاي الدكتور :
١٥٨. التفسير والمفسّرون ببلاد شنقيط. دار يوسف بن تاشفين، ومكتبة الإمام مالك، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
- محمد بن الطّلبة :
١٥٩. ديوان محمد ولد الطلبة، تحقيق محمد بن عبد الله بن الشيباني بن ابّوه. الناشر : أحمد سالك بن محمد الأمين بن ابّوه، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- محمّـدّ سالم بن جدّ :
١٦٠. الحسّانية ألسنياً وأدبياً دراسة. انواكشوط : مطبعة المنار بلكصر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ٢٠١١م.
- محمد صالح بن عبد الوهّاب :
١٦١. الحَسوة البيسانية في الأنساب الحسّانية، تحقيق الحسن بن إبراهيم بن صالح. الطبعة الأولى١٤١٤هـ١٩٩٣م. الدار بدون.

- محمّد صدقي بن أحمد أبو الحارث الغزّي الدكتور :
١٦٢.الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلّية. بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
- محمد عبد الله الكيش الدكتور :
١٦٣.أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة النحوية حتّى أواخر القرن الثاني الهجري. طرابلس : منشورات كلّية الدعوة الإسلامية.
- محمد العاقب بن مايابى الجكني :
١٦٤.رَشْف اللَّمَى على كشف العَمَى ، تحقيق الدكتور محمد بن سيدي بن محمد مولاي. دار إيلاف الدولية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.
- محمّد فال (ابـّاهْ) بن عبد الله العلوي الشنقيطي، شيخ محظرة النَّبَّاغية :
١٦٥.تسجيل التّكرار بشرح الاحمرار. موريتانيا، انواكشوط : دار الرضوان، لصاحبها أحمد سالك بن محمد الأمين بن أُبّوهْ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م. ٣ج.
- محمد لكبيد بن حمديْتْ، المفتّش العامّ للتعليم سابقا :
١٦٦.التعليم الموريتاني من المحظرة إلى المدرسة الحديثة، أيّ مسيرة لبناء النّخب؟. طبعة ٢٠١١م. الدار بدون.
- محمد محفوظ بن أحمد :
١٦٧.أنظام الطُّرّة في الفوائد النحوية لعدد من العلماء الموريتانيّين على حواشي ألفية ابن مالك واحمرار ابن بونا، مراجعة أبّاه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي. انواكشوط : منشورات محمد محفوظ بن أحمد، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.
١٦٨.مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرية الموريتانية. انواكشوط : الطبعة الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م.
- محمد محفوظ بن الشيخ بن فحفو :
١٦٩.رفْع الأعلام على سُلّم الأخضري وتوشيح عبد السلام في علم المنطق، بآخره المقولات العشر. للناشر محمد محمود ولد الأمين. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ١ ٢٠٠م.
- محمد محمود بن ودّادي :
١٧٠.البرابيش. دمشق : مطبعة زيد بن ثابت ١٩٨٦م.
- محمّد سالم محيسن الدكتور :

١٧١. المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها عن طريق طيبة النّشر. مكتبة الكلّيات الأزهرية. الدار وتاريخ النشر بدون.
- محمد المختار ولد ابّاه الدكتور :
١٧٢. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب. بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
١٧٣. الشعر والشعراء في موريتانيا. تونس : الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٧م.
- محمد المختار بن الدّخوة بن الطّالب أعلِ المسّوميّ الشنقيطيّ :
١٧٤. اللّؤلؤ المرجان في رسم وضبط وتجويد القرآن (جمع وتحقيق). انواكشوط: دار الفكر، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.
- محمّد محمّد العمري الدكتور :
١٧٥. الأسُس الإبستمولوجية للنظرية اللّسانية (البنيوية والتوليدية). الأردن، عمّان : دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى٢٠١٢م.
- محمّد مصطفى بلال :
١٧٦. هداية الطّالبين في إحكام تلاوة الكتاب المبين شرح متن الجزرية. القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
- محمد مولود ولد أحمد فال اليعقوبي :
١٧٧. إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخباروالآثار، تحقيق عبد الله ولد اخيار. الدار البيضاء : مطبعة النجاح. بدون تاريخ.
- محمد منصف القماطي :
١٧٨. الأصوات ووظائفها. ليبيا : منشورات جامعة الفاتح١٩٨٦م.
- محمّد مصطفى بلال :
١٧٩. هداية الطّالبين في إحكام تلاوة الكتاب المبين شرح متن الجزرية،. القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
- محمد يوسف مقلد :
١٨٠. شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون. بيروت : ١٩٦٢م.
- مجهول :

١٨١. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المرّاكشية، تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة. الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة. بدون تاريخ.
- المختار بن محمّد الأمين بن الجيلاني التنواجيوي الأستاذ :
١٨٢. الخِطاب الشِّعْري الحَـدَاثِـي في موريتانيا - دراسة في أجرُّوميّة النصّ. الإمارات، موريتانيا : دار يوسف بن تاشفّين، ومكتبة الإمام مالك، الطبعة الأولى١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.
- مركز أحمد بابا بتيمبكتو :
١٨٣. قائمة المخطوطات النحوية بمركز أحمد بابا للتّوثيق والبحوث التاريخية بتيمبكتو. لندن : مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلامي. الأجزاء : الأوّل: ١٩٩٥م، تحقيق سيدي عمر بن علي، تحرير حوليات يوهانسين، الثاني : ١٤١٧هـ١٩٩٦م، الثالث: ١٤١٨هـ١٩٩٧م، الرابع : ١٤١٨هـ١٩٩٨م، الخامس : ١٤١٩هـ١٩٩٨م. إعداد مجموعة من المكتبيّين بالمركز، تحرير عبد المحسن العبّاس.
- مسعود عمر محمّد علي :
١٨٤. تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين. ليبيا، طرابلس : منشورات كلّية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- الإمام مسلم :
١٨٥. صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي . بيروت : دار القلم، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ١٩٨٧م.١٩ج.
- مصطفى السّـقا :
١٨٦. مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق السّقا.المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة١٣٨٩هـ١٩٦٩م.ج٢.
- معاذ السّرطاوي :
١٨٧. ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية. الأردن : دار محمّد لاوي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- المكّودي، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح :

١٨٨.شرح المكّودي على ألفية ابن مالك، ضبط إبراهيم شمس الدين. بيروت : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى١٤١٧هـ١٩٩٦م.

– مكّي، أبومحمد بن أبي طالب القيسي :

١٨٩.الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان .الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ١٩٧٤م. ج٢.

١٩٠.مشكل إعراب القرآن،تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامر. بيروت : مؤسّسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. ج٢.

– المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

١٩١.الجمهورية الإسلامية الموريتانية (دراسة مسحية شاملة). القاهرة :١٩٨٧م.

– مهدي المخزومي الدكتور :

١٩٢.في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت : دار الرائد العربي، الطبعة الثانية١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

– الشيخ موسى كمرا :

١٩٣.تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى ، تحقيق د – حماه الله ولد السالم. بيروت : دار الفكر العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

– الميداني ، أبو الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري :

١٩٤.مجمع الأمثال، تعليق سعيد محمد اللّحّام. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٢هـ١٩٩٢م.ج٢.

– النديم أبو الفتح محمد بن إسحاق :

١٩٥.الفهرست . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر.

– النّسائي :

١٩٦.سنن النسائي ، ضبط صدقي جميل العطّار. بيروزت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع١٤١٥هـ١٩٩٥م.٨ج.

– وزارة الشؤون الإسلامية :

١٩٧.كتاب التهذيب. طبعة الوزارة. بدون تاريخ.

– ولد ابنو بدّي الدكتور :

١٩٨. ديوان : مدائن الإشراقات الكبرى. باريس : القلم للنشر ١٩٩٦م.
- ولد بديوه ببّهاء الدكتور :
١٩٩. ديوان : أنشودة الدم والسنا. القاهرة : مكتبة الآداب، الطبعة الأولى١٩٩٥م.
- ولد بزيد سيدي محمد بن محمد عبد الله :
٢٠٠. معجم المؤلّفين في القطر الشنقيطي. انواكشوط : طبعة تجارية١٤١٤هـ.
- ولد عبدي محمّد :
٢٠١. ديوان : الأرض السائبة. أبوظبي : ١٩٩٥م.
- ياقوت الحموي :
٢٠٢. معجم الأدباء. نشر وطبع الحلبي.
٢٠٣. معجم البلدان. بيروت : دار صادر، الطبعة الثانية١٩٩٥م. ٧ج.
- يحيى بن البراء الدكتور :
٢٠٤. المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوي ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء. انواكشوط : نشر الشريف مولاي الحسن بن المختار، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. ١٢ج.
- يحيى بن محمّدّن الهاشمي الدكتور :
٢٠٥. شعر المقاومة الموريتانية ضدّ الاستعمار الفرنسي من ١٨٥٤ إلى١٩٦٠م). القاهرة : دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٢٠٦. محاضرات في اللّسانيات العربية. انواكشوط : دار الفكر، منشورات اتّحاد الأدباء والكتّاب الموريتانيّين.
- يونس بحـــــــــري :
٢٠٧. هذه جمهورية موريتانيا الإسلامية. لبنان : مؤسّسة الحياة١٩٦١م.
- يـوهَـارفــكِ :
٢٠٨. دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، نقله إلى العربية وحقّقه وفهرس له الدكتور عبد الحليم النجّار. الناشر مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة : مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.

ثانياً – المصادر المخطوطة :

– أحمد بن حبَتْ القلاّوي :

٢٠٩. أنساب قبائل موريتانيا، ٢٠١١م. مودَع بمخطوطات المعهد الموريتاني للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. اواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١١٩.

– أحمد بن كدّاهْ الكمليلي :

٢١٠. الكَدَّاهية : (أنظام نحوية). مودَعة بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٩٣.

– ابن حامدن وهيموسكي :

٢١١. المؤلّفون الموريتانيون ومؤلّفاتهم. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي. بدون رقم.

– ابن عقيل بهاء الدين بن عبد الله العقيلي :

٢١٢. المساعد على التسهيل. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٣٢٣١.

– ابن مالك، أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطّائي الجيائيّ :

٢١٣. شرح التسهيل. مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم٣٢٣١.

– انْجُبْنانْ، المختار بن محمّذن، الحَيْبَلِّ :

٢١٤. شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل(شرح لألفية ابن مالك)، مخطوط، مودَع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١٢٠.

– البرتلي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي :

٢١٥. فتح الربّ الرؤوف في شرح قصيدة معاني الحروف، للطالب محمّد بن أبي بكر الصديق الولاتي. مخطوط تحت رقم١١٣، بقسم مخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.

– التّاه بن محمّدّن ابن اجّمَدْ الدكتور :

٢١٦. حياة أحمد بن اجّمَد اليدالي وآثاره. مخطوط، مودَع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١٢١.

– السالك بن أحمدو السالم :

٢١٧.أعلام المؤلّفين وشيوخ المحاظر في ولاية الاعصابة من القرن الحادي عشر حتّى دخول الاستعمار. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ٩٠ – ١٩٩١م، مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم١٠٩.

– شعراء وعلماء شناقطة :

٢١٨.مجموعة شعرية ونظمية. مخطوطة، مودعة بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٩.

– عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاّوي :

٢١٩.الربّاني في الإعراب، مع شرحه. مخطوط، بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١١٠.

٢٢٠.نظْم رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي، مع شرحه. مخطوط، مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي والدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة. تحت رقم ١٢٢.

– عبد الودود بن عبد الله بن انجبنان الألفغي :

٢٢١.رَوْض الحُزُون على مقابل الأصحّ من طُـرّة ابن بون. توجد منه نسخ بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت أرقام : (٥٩٨، ناقصةالبداية والنهاية)، (٢٥٩٤، ناقصة النهاية)، (٣٠٢٦، ناقصة، غير منطمسة)، ونسخة بمخطوطات مركز أحمد بابا بتيمبكتو تحت رقم ٣٥١١.

– علماء شناقطة :

٢٢٢.أنظام نحوية. مخطوطة، مودَعة بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٤.

– الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين :

٢٢٣.تبيين ما يعنون من الألفية وابن بون. مخطوط، مسجّل تحت رقم ١١٤، بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط / بوحديدة.

– محمد الحافظ بن المجتبى :

٢٢٤. الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط. مخطوط، مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط – بوحديدة. تحت رقم ١٢٣.

– محمد المختار ولد السيّد :

٢٢٥. حرب شَرْبَبّه. انواكشوط : المعهد الموريتاني للبحث العلمي. بدون رقم.

– محمد النابغة القلّاوي :

٢٢٦. نظْم بوطليحية على ما اعتُمِد من الكتب والأقوال، تحقيق وشرح الدكتور يحيى ولد البراء. مودَع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة، تحت رقم ١١٧.

– محمد يحيى ولد سيد أحمد :

٢٢٧. الأزهار الشذية بأعلام وأخبار المجلسية. مخطوط، مودَع تحت رقم (١٠٨) بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة. ٤ج.

– محمد اليدالي بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي :

٢٢٨. تعليق في الفرْق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلَم الجنس. مخطوط تحت رقم ١١٦، بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط/ بوحديدة.

– محمّذن بن أحمد بن المحبوبي الدكتور :

٢٢٩. أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجري (١٩/ ٢٠م) مقارنة وتنظير. بحث مخطوط، مودَع بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٥.

٢٣٠. الجملة العربية. بحث مخطوط، مودَع بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٦.

٢٣١. حضور العلماء المغاربة في الدرس الشنقيطي. بحث مخطوط، مودَع بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٧.

– المختار بن المحبوب الشنقيطي :

٢٣٢. أنظام نحوية. مخطوطة، مودعة بقسم المخطوطات بالمعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠٣.

- المرواني بن سيدي محمد :

٢٣٣. تاريخ مدينة ولاتة. مودع ب(ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ١١٩٤.

٢٣٤. ٢٣٤ـ مجموعة وثائق تاريخ ولاتة. (ميكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم ١٢٢٣.

٢٣٥. قائمة المخطوطات النحوية الموريتانية، المسجّلة تحت أرقام : ١٠٢ـ ٣٥٥٦ بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٢٣٦. فهرس مكتبة (الميكرو فلم) للمخطوطات الموريتانية بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

٢٣٧. فهرس مكتبة أهل ابّاه بن محمد الأمين على (ميكرو فلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم١٣٧٧.

- مَمّ بن عبد الحميد الجكني :

٢٣٨. نظم حياة يحظيه بن عبد الودود ، تحقيق محمد يحيى بن سيدي أحمد. مودَع بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم٣٤٩٢.

- النّابغة القلاّوي محمد :

٢٣٩. نظْم بوطليحية على ما اعتُمِد من الكتب والأقوال، تحقيق وشرح الدكتور يحيى ولد البراء. مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط- بوحديدة. تحت رقم ١١٧.

- نحاة شناقطـــــــــــة :

٢٤٠. مجموعة أنظام نحوية ولغوية. مودع بمخطوطات المعهد الاتحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية. انواكشوط- بوحديدة. تحت رقم ١٠٤.

- يحظيه بن عبد الودود بن أوبك الجكني :

٢٤١. أمّ الحواشي (طُرّة). توجد على(مكروفلم) المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٥٥٠.

٢٤٢.إقراء يحظيه (مجموعة أنظام). مخطوط، مودَع بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم ٢١٩١.
٢٤٣.فهرس مخطوطات مكتبة أهل الشيخ سيديا - بوتلميت. بدون رقم.
٢٤٤.فهرس مخطوطات مكتبة أهل متّالي بن محمد المختار - بوتلميت. بدون رقم.
٢٤٥.فهرس مخطوطات مكتبة الفقيه محمد حمى الله- أوقاف تشيت. بدون رقم.
٢٤٦.فهرس مخطوطات مكتبة كُرْكَلْ - امبودْ. بدون رقم.

ثالثاً - الأطروحات :

- أحمد بن محمد فال بن إدومو :
٢٤٧.تحقيق (كشف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار) للبشير بن عبد الله امباركي اليدمسي. بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة أم درمان بالسودان سنة١٤٢٩هـ٢٠٠٩م.
- يحفظ عمرو ولد إنجّيه :
٢٤٨.وجوه الإعراب والقراءات بين الفَـرّاء والزّجّاج دراسة وصفية تحليلية مُوازِنَة لِكتابيْهما معاني القرآن. رسالة الماجستير من جامعة الفاتح، بطرابلس/ ليبيا سنة ١٩٩٨م.

رابعاً - الدوريات :

- أحمد محمود بن الدنبجة الدكتور :
٢٤٩.٢٤٩ـ المحظرة الموريتانية والدراسات الصوتية. (بحث) منشور ضمن الأعمال الكاملة للندوة العلمية (الثقافة العالمة في بلاد شنقيط من أهلية المحظرة إلى آفاق الجامعة)، في مجلّة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، مركز البحوث الإسلامية والحضارية. انواكشوط : ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
- عمّار ربيح :
٢٥٠.نظرية النظم في مفهوم عبد القاهر الجرجاني (مقال). منشور بمجلّة الآداب واللّغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، مايو٢٠٠٥م.
- محمد بن بتّار ابن الطلبة :

٢٥١. النحو في النوادي الشنقيطية. (بحث) صادر في حولية جامعة شنقيط العصرية، السنة الأولى، العدد الأوّل ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. انواكشوط.

- محمّد عزّام :

٢٥٢. نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (مقال). منشور بمجلّة الموقف الأدبي. الناشر : اتّحاد كتّاب العرب / دمشق، العدد٣٤٧، آذار٢٠٠٠م.

- محمد يحيى ولد سيد أحمد :

٢٥٣. حضور الألفية في الثقافة الموريتانية.(بحث) منشور بمجلّة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. انواكشوط : مطبعة المنار١٤٢٨هـ-٢٠٠٦م، العدد ١.

- محمدّو بن المرابط :

٢٥٤. الحوليات كمصدر من مصادر التاريخ الموريتاني. (بحث) صادر في مجلّة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. انواكشوط : مطبعة المنار١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- محمّذن بن أحمد بن المحبوبي الدكتور :

٢٥٥. النحو الشنقيطي بين دروس التعمّق ومباحث التخصّص. (بحث) منشور في مجلّة المنهل بجدّة، العددان : ٥٤٧ شوال، ٥٤٨ ذو الحجّة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- المختار ولد محمّد موسى :

٢٥٦. المحاظر الإسلامية في موريتانيا (بحث). منشور في مجلّة الجماهيرية العربية للتربية والعلوم والثقافة. العدد٣٢، ديسمبر١٩٨٧م.

- يحيى بن محمّدّن الهاشمي الدكتور :

٢٥٧. العلاقة بين الضاد والظاء. منشور في ثلاث حلقات بمجلّة (التعليم) التي يصدرها المعهد التربوي بانواكشوط، الأعداد : ٣٢/ سنة٢٠٠١م. و٣٣/ سنة٢٠٠٢م. و٣٤/ ٢٠٠٣م.

خامساً – الرسائل الجامعية :

– إبراهيم بن إسلمو :

٢٥٨.الزّمَن في رواية : الأسماء المتغيّرة، البنية والدلالة. بحث لنيل الإجازة في الأدب العربي، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٩/ ٢٠١٠م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٥٢٩٨.

– إبراهيم بن يحظيه :

٢٥٩.الأخطاء اللّغوية في الإعلام الموريتاني. بحث لنيل الإجازة في الإعلام، من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الدراسية ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ١٩.

– أبوبكر بن طالب جالو :

٢٦٠.تأثّر المجتمع الفلّاني باللّغة العربية لساناً وأدباً. بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية وآدابها، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٠٢٨.

– أحمد بن محمّد عبد الله :

٢٦١.تحقيق بابي الحال والتمييز. رسالة تخـرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ١٩٩٣/ ١٩٩٤م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

– ابن عمر بوسم :

٢٦٢.تأثير الإسلام واللّغة العربية في اللّغة الفلّانية. بحث لنيل الإجازة في الآداب واللّغة العربية، من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم٨٠٢٩٧٨.

– الشيخ بن أحمد الشنقيطي :

٢٦٣.مدخل إلى البناء المعجمي عند الشاعر محمّد بن الطالب – دراسة لديوان اللّيل والأرصفة. بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية وآدابها. من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٦٨.

– محمّد معمّر بن محمّد عبد الرحمن :

٢٦٤.تحقيق (تيسير الورود إلى تحفة المودود لابن مالك). لعبد الله العتيق بن محمد بن ذي الخلال اليعقوبي. لنيل شهادة المتريز من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية ٩٦/ ١٩٩٧م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم٩٧.

- فاطمة بنت بابا :

٢٦٥.الشعر التعليمي في موريتانيا من خلال الألغاز في القرآن الكريم، ابن حنبل، والنّهَا، وابن العاقل نموذجاً. بحث لنيل الإجازة في اللّغة العربية من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٤١٤٨.

- محمد بن أحمد بن بابا :

٢٦٦.معجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم في ولاية اترارزة. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية٩٠ - ١٩٩١م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم١١١.

- محمّد بن بلال :

٢٦٧.الوصف الصوتي والصواتي في الحسّانية. بحث لنيل الإجازة من جامعة انواكشوط، السنة الدراسية ١٩٨٨/ ١٩٨٩م. مودَع بقسم الرسائل، بقسم اللّغة العربية، تحت رقم٧٠٠٤٤٣.

- محمد حامد (الشيخ بابّاه) بن آلاء الحسني الأعمري :

٢٦٨.الأنظام النحوية، تحقيق فاطمة بنت يسلم، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ٢٠٠٦/٢٠٠٧م. مودعة بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٢٩.

- محمد سالم بن عبد الحي :

٢٦٩.محمدّو السالم بن الشين الإيدكّوجي حياته وآثاره. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٩م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد تحت رقم١٣٦.

- محمد سالم بن المختار (ألّمّا) :

٢٧٠. الأنظام النّحوية واللّغوية، تحقيق سيدي بن أتّـاه، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة الدراسية ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م. مُودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقمي ٢٦/ ٤٦.

- محمد ولد محمد يحيى ولد الدّوة :

٢٧١. الإسهام الشنقيطي في درس أصول النحو ـ التعقيبات على جامع ابن بونا وشروحه نموذجا. بحث لنيل شهادة الماستر من جامعة شنقيط العصرية ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.

- محمّدّن بن محمد (مَيمّيهْ) بن المحبوب :

٢٧٢. الأنظام النحوية واللغوية، تحقيق محمد بن ابّوه، في رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية/ السنة الدراسية ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٧٣.

- مَحَنضْ بابا بن اعْبَيْد الديماني :

٢٧٣. نظْم قواعد مغني اللبيب، تحقيق ودراسة محمّذن بن أحمد بن المحبوب، في رسالة تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة ١٩٨/ ١٩٨٦م.

- المصطفى بن أحمد معاوية :

٢٧٤. لغة الإعلام بين قيود الفصاحة ومعوّقات المهنة - مقاربة للصحّة اللّغوية في نشرات الأخبار الرئيسة لإذاعة موريتانيا، بحث لنيل الإجازة من شعبة الحضارة والإعلام، من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه، تحت رقم ٤٢.

- معي محمّد عالي بن سيدي بن سعيد :

٢٧٥. تنبيه الصغار بشرح الاحمرار، تحقيق امبيريكة بنت محمد محمود، للحصول على الإجازة من جامعة انواكشوط سنة ١٩٩١م. مودَع بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٢٤١. وحقّقت منه أبواب عديدة في رسائل تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. مثلاً قام أحمد بن محمّد عبد الله بتحقيق بابي الحال والتمييز، في رسالة تخـرّج من المعهد نفسه. السنة الدراسية ١٩٩٣/ ١٩٩٤م. مودَع بقسم الرسائل بالمعهد نفسه تحت رقم ٥٩٠.

- مُلَيكة بنت المْهابـــــة :

٢٧٦. الصِّيَغ الفِعليّة في اللّغة الحسّانية. بحْث لنيل الإجازة من قسم اللّغة العربية، من كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة انواكشوط، السنة الدراسية ١٩٨٨/ ١٩٨٩م. يوجد بقسم الرسائل تحت رقم ٨٠٠٠٦٣.

- يحيى بن احريمو :

٢٧٧. معجم المؤلّفين في ولايتي العصابة وتكانت. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. بدون رقم.

- يحيى بن البراء الدكتور :

٢٧٨. ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية. رسالة تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة، السنة الدراسية ١٩٨١/ ١٩٨٢م. مخطوط، مودَع بالمعهد الاتّحادي للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، انواكشوط، بوحديدة، تحت رقم ١٠١.

سادساً - المواقـــــع الألكترونية :

٢٧٩. مقال بعنوان : الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية الموجِّهة لاتّجاهات المدارس اللّسانية في القرن العشرين. الموقع :

www.shatharat.net/vb/showthread.php

- حسن منديل حسن العكيليّ :

٢٨٠. مقال بعنوان : (النّحو بين المنطق والاستعمال اللّغويّ). موقع شبكة صوت العربية : www.shatharat.net/vb/showthread.php

- العربي اسليمانيّ :

٢٨١. إشكالية المنهج في اللّسانيات الحديثة. بحث على موقع أنفاس نت :

www maamri-ilm2010 yoo7.com

- محمد محمد يونس علي الدكتور :

٢٨٢. مقال بعنوان : الكفاية اللّـغوية والكفاية التخاطبية. الموقع

www. takhatub.blogspot.com.

- مهدي بن علي بن مهدي آل ملحان الدكتور :

٢٨٣. الترتيب الصرفي في المؤلفات النحوية والصرفية إلى أواخر القرن العاشر الهجري. موقع دهشة : www.dahsha.com/53035

٢٨٤. تاج العروس – الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة :
shamela.ws/index.php/book/7030
٢٨٥. موقع جامعة أمّ القرى : www.ummulqura.org.sa
٢٨٦. الكفاية ومفاهيمها. الموقع : www.moontada.net/forum. والتعريف أصلاً منقول عن الدكتور محمد الدريج المغربي، من كتابه : الكفايات في التعليم من أجل تأسيس علميّ للمنهاج المندمج.
٢٨٧. لسان العرب – الموسوعة الشاملة :
islamport.com/w/lqh/Web/1156/1.htm
٢٨٨. موقع أ. د. محمد سعيد ربيع الغامدي : www.mohamedrabeea.com
٢٨٩. المكتبة الشاملة : shamela.ws .www
٢٩٠. منتدى اللّغة العربية : www.mbrarabic.com
٢٩١. موقع الموسوعة الحرّة: .www wikipedia.org
٢٩٢. الموسوعة العالمية للشعر العربي. الموقع :
www.adab.com/world/index.php
٢٩٣. موسوعة ملتقى أهل الحديث. على موقع إسلام ويب :
www.ahlalhdeeth.com/vb
٢٩٤. مجلس اللّغة العربية وعلومها، الشواهد الشعرية في كتاب : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشبكة المعلوماتية. الرابط
(http://majles.alukah.net).

المقابلات :

٢٩٥. مقابلة مع الدكتور أحمد بن امبيريك، الأستاذ بجامعة شنقيط، بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٤م.
٢٩٦. مقابلة مع الدكتور سيدي عبد القادر بن الطفيل، الشاعر النحويّ، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. بتاريخ١٣/ ٠٦/ ٢٠١٤م.
٢٩٧. مقابلة مع الأستاذ محمّد لَقظف بن الدّاه بن أيْدَه الولاتي، في مكتبه بوزارة التعليم الأساسي، انواكشوط ٢٠١٢م.

٢٩٨. مقابلة مع الدكتورة مريم بنت الشيخ، الأستاذة بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٠٦/ ١١/ ٢٠١٤م.
٢٩٩. مقابلة مع الدكتور يحيى بن البراء، الأستاذ بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠١٤م.
٣٠٠. مقابلة مع الدكتور يحيى بن محمّذن الهاشميّ، الأستاذ بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٤م
٣٠١. مقابلة مع الأستاذ يسلم بن حمدان، الأستاذ بجامعة انواكشوط، بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠١٤م.

يعمل مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على تعزيز خدماته في المجالات المتنوعة لخدمة اللغة العربية وعلومها، إذ ينطلق من رؤية موحّدة في أعماله عامة – ومنها برنامج النشر – وذلك بأن يطلق برامجه ودراساته في المجالات التي تفتقر إلى جهود نوعية، أو التي تحتاج إلى تكثيف العمل فيها.

ويجتهد المركز في انتقاء الكتب التي تصدر ضمن هذه السلسلة، بأن تكون مضيفة إلى حقلها المعرفي، ومفتاحا للمشروعات العلمية والعملية، ومحققة لتراكمٍ معرفيٍّ مثرٍ.

وإذ تشيد الأمانة العامة في المركز بجهد مؤلف الكتاب، تأليفاً، وتصحيحاً لمسوداته، ومراجعةً للطباعة، فإنها تدعو الباحثين كافة من أنحاء العالم إلى المساهمة في هذه السلسلة، لتتكامل مع سلاسل المركز العلمية الأخرى.

ويسعد المركز بالعمل مع المؤسسات والأفراد المختصين والمهتمين في خدمة لغتنا العربية، وتكثيف الجهود والتكامل نحو تمكين لغتنا، وتحقيق وجودها السامي في مجالات الحياة.




9 786039 084761



ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ – ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa